المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة صباحي

جهود الشيخ
محمد أمان الجامي - رحمه الله -
في تقرير عقيدة السلف
والرد على المخالفين

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب: صلاح محمد بن محمد موسى

إشراف

أ.د. صالح بن محمد العقيل

العام الجامعي ١٤٢٨ / ١٤٢٩ هـ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

وبعد: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتُها، وكلَ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة. أما بعد:

فإن العقيدةَ الإسلامية هي أساس البناءِ التشريعي؛ إذ لا يتم البناءُ ما لم يكن ذا أساسٍ قويٍ متين، فلا يُؤمَر الناسُ بطاعةِ الله وعبادته، إلا إذا اعترفوا بوجوده وإلــهيته، وعلمه وقدرته وإرادته، ولتقرير هذه العقيدةِ السليمة، ونشر السلوكيات القويمة، أرسل الله تعالى للبشرية الرسلَ، وأنزل الكتب، فعلت راية التوحيد، وهُدِمت معالم التنديد، وبعدَ ختمِ النبوةِ والرسالات، وحفظاً للأمة من شر الضلالات والجهالات، قيض الله سبحانه لهم مشاعل الهدى ومصابيح الدجى، ممن اقتفوا أثر المرسلين، وتمسكوا بالحبل المتين، فجدد الله تعالى بهم الدين، وعلَّموا الناسَ تعاليم الشرع القويم، وأرشدوهم إلى الصراطِ المستقيم، وهذا مصداق قول المصطفى ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك)[1]؛

---

(١) رواه البخاري (٧٤٥٩) ومسلم (٤٩٥٠).

ولذلك فقد بقي معتقد السلف واضحَ السبيل، ظاهرَ المعالم، وكل ذلك بسبب حفظ الله جل وعلا لهذا الدين، ثم بجهود العلماء الذين عنوا بإبراز العقيدة الصافية والذب عنها.

ولما كان لهؤلاء العلماءِ والمصلحين الدورُ البارزُ في تقرير عقيدةِ السلف والذب عنها، سعى كثير من الباحثين لإبراز جهودِهم في ذلك، ولم يقتصروا على إبراز جهود العلماءِ السابقين، بل حتى المعاصرين؛ لإظهار النَّموذَج العملي والصورةِ الحية التي تترك في النفس ما لا يتركه الخطابُ النظري المجرد، وحتى لا يُظنَّ أن الأمرَ مقصور على السابقين من السلف رضوان الله عليهم، بل إن الباب مفتوح لمن أراد السير بعزيمةٍ صادقة وأعمال صالحة.

ولما كان نظام الجامعةِ الإسلامية يُلزِم طلاب الدراسات العليا الذين يتقدمون للحصول على شهادة العالِمية (الماجستير) أن يكتبوا بحثاً علمياً في مجال تخصصهم، أحببت أن أسهم في خدمة العقيدة السلفية؛ بإبراز جهود علمائها الذين قاموا بالدعوة إليها والذب عنها، وإظهار منهجهم في تقرير عقيدة السلف، فاستخرت الله جل وعلا، ثم استشرت مجموعةً من المشايخ في القسم في أن يكون بحثي في إبراز: (**جهود فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين**)، فنال استحساناً منهم، وزادت رغبتي في ذلك لَمَّا لم أجد الدراسةَ الوافيةَ عن هذا العَلَمِ المشهودِ له بالعلم والفضل وحُسن المعتقد، ذي المكانة الرفيعة، والحياةِ الحافلة بالعلم والعمل والدعوة والصبر على الأذى، صاحبِ المنة الكبيرة بعد الله تعالى على كثير من العلماء وطلاب العلم في هذه الجامعة المباركة وغيرها من البقاع والأصقاع.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أولاً: خدمة العقيدة السلفية؛ بإظهار معالمها، وتوضيح وسطيتها، ونشر فضائلِ مَن أسهم بخدمتها، مع مراعاة الموضوعية المجردة عن الميل والهوى والعاطفة، وتحري الصواب وفق القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة.

ثانياً: دراسة سير العلماء العاملين ومعرفة أقوالهم ومواقفهم، فيه الوفاء لهم بما قاموا به، من نشر العقيدة السلفية، فينشط مَن بعدهم للسير على دربهم واقتفاء أثرِهم. كما أن فيه تسليةً وسلواناً للمسلم الحريص على اتباع السنة، حيث يرى ما يلقونه من المتاعب والأذى في سبيل نشر دين الله، فإن ذلك مما يعين على ثبات المســـلم.

ثالثاً: إبراز محاسن هذه الجامعة المباركة —الجامعةِ الإسلامية– التي احتضنت العلماءَ وطلبة العلم منذ نشأها، خصوصاً أن الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله يعد من أوائل من درَّس فيها وأسهم في رقيها ورفع مستواها.

رابعاً: الفائدة العلمية التي تعود عليَّ بدراسة أكثر أبواب العقيدة؛ حيث إن الشيخ رحمه الله تعرض لأكثر مسائل الاعتقاد في كتبه ومحاضراته، يضاف إلى ذلك رغبتي الشديدة في الاطلاع على ما خلفه الشيخ من تراث علمي كبير مع كونه لم يلق العناية المرجوة.

خامساً: الأهمية الكبيرة لهذا الموضوع، وهي إضافة إلى ما سبق تتجلى في أمور منها:

أ. قوة الشيخ العلمية التي تتميز بالأسلوب الفريد في عرض الأقوال، وطرح المسائل ومناقشتها، ويظهر ذلك جلياً في مصنفاته التي تتعلق بالدعوة إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة والرد على أهل البدع والأهواء، مع تجرده الواضح للحق فقد كان في غالب ردوده يحث على الرد على كلامه إن كان مخالفاً للصواب.

ب. عناية الشيخ الفائقة بشرح كتب الاعتقاد، وبخاصة كتب شيخـــي الإســـلام ابن تيميـــة وابن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى(١)، وتتميز شروحه رحمه الله بحل المشكلات، وفتح المغلقات، والتعريف بالمصطلحات، باستخدامه المناسب من العبارات، واهتمامه بإبراز وتوضيح فكرة تلك الكلمات، ويظهر ذلك جلياً لمن تأمل.

ت. نشاط الشيخ الدعوي الكبير –داخل هذه البلاد السعودية وخارجها– المشتمل على النصح للأمة والتحذير من البدع و الخرافات، المتضمن للتعاليم النبوية في كيفية

---

(١) كشرحه للواسطية، والحموية، والتدمرية، والقواعد الأربع، والأصول الثلاثة، وكتاب التوحيد، والأصول الستة، ونواقض الإسلام، وشروط لا إله إلا الله وغيرها، بل إن بعض هذه المتون شرحها الشيخ أكثر من مرة.

الدعوة إلى الله، والمشتمل على الحرص على عباده، فقد كان يحرص جاهداً على ترسيخ مبدأ الدعوة في نفوس الطلاب، فكان يقول:"**ينبغي أن يكون (منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله) هو عنواناً لجميع محاضراتنا**"[1].

خطة البحث:

قسمت الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والخطة التي سرت عليها، والمنهج المتبع في البحث، وأهم الصعوبات، وشكر وتقدير.

التمهيد: ويشتمل على ترجمة الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وأسرته ومولده ووفاته.

المبحث الثاني: نشأته وطلبه للعلم وصفاته ورحلاته ومؤهلاته.

المبحث الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ورثاؤه.

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الخامس: عقيدته.

المبحث السادس: آثاره العلمية وأعماله.

الباب الأول: جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله في توضيح الإيمان بالله:

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: جهوده في توضيح توحيد الربوبية والألوهية. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح توحيد الربوبية. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في تعريف الرب والربوبية.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح أدلة وجود الرب سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: جهوده في بيان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية.

---

(١) راجع مقدمة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله).

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح توحيد الألوهية. وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: جهوده في تعريف الإله والإلهية.
المطلب الثاني: جهوده في بيان أهمية توحيد الإلهية.
المطلب الثالث: جهوده في توضيح كلمة التوحيد وما يتعلق بها من مسائل.
المطلب الرابع: جهوده في توضيح دلائل توحيد الألوهية.
المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح العبادة وبيان أنواعها. وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: جهوده في توضيح معنى العبادة وبيان حقيقتها.
المطلب الثاني: جهوده في توضيح أهمية العبادة.
المطلب الثالث: جهوده في توضيح شروط العبادة وأركانها.
المطلب الرابع: جهوده في توضيح بعض أنواع العبادة.
المبحث الرابع: جهود الشيخ في توضيح ما ينافي توحيد العبادة. وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: جهوده فيما يتعلق بالشرك.
المطلب الثاني: جهوده في بيان ما ينافي حقيقة التوحيد من الأفعال.
المطلب الثالث: جهوده في بيان ما ينافي حقيقة التوحيد من الأقوال.
الفصل الثاني: جهوده في توضيح توحيد الأسماء والصفات. وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات. وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: جهوده في بيان أهمية العلم بأسماء الله وصفاته.
المطلب الثاني: جهوده في تعريف توحيد الأسماء والصفات.
المطلب الثالث: جهوده في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات.
المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالأسماء والصفات. وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالأسماء الحسنى.
المطلب الثاني: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالصفات.
المطلب الثالث: جهوده في توضيح أقسام الصفات.
المطلب الرابع: نماذج من جهوده في تقرير بعض الصفات.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح قواعد أهل السنة في باب الأسماء والصفات. وفيه مطلبين:

المطلب الأول: جهوده في توضيح قواعد الاستدلال في باب الأسماء والصفات

المطلب الثاني: جهوده في توضيح بقية القواعد المتعلقة بالأسماء والصفات

الباب الثاني: جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله في توضيح بقية أركان الإيمان ومسائل الاعتقاد الأخرى: ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جهوده في توضيح بقية أركان الإيمان. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالملائكة. وفيه مطلبين:

المطلب الأول: من هم الملائكة.

المطلب الثاني: جهوده في بيان كيفية الإيمان بهم.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالكتب. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في بيان كيفية الإيمان بالكتب السماوية.

المطلب الثاني: جهوده في بيان الوحي وأقسامه.

المطلب الثالث: جهوده في بيان الإيمان بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالرسل. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في فيما يتعلق بالإيمان بالأنبياء والرسل عموماً.

المطلب الثاني: جهوده في بيان كيفية الإيمان بالرسل.

المطلب الثالث: جهوده في بيان الإيمان بنبينا محمد ﷺ.

المطلب الرابع: جهوده في بيان الآيات والدلائل على صدق نبوة الأنبياء، والمسائل المتعلقة بذلك.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في توضيح الإيمان باليوم الآخر. وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بأول منازل الآخرة وما يتعلق به من مسائل.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالبعث.

المطلب الثالث: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالشفاعة.

المطلب الرابع: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالحوض والحساب والميزان والصراط.

المطلب الخامس: جهوده في توضيح الإيمان بالجنة والنار.

المبحث الخامس: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالقضاء والقدر. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في توضيح القدر ومراتبه.

المطلب الثاني: جهوده في النهي عن الخوض في القدر.

المطلب الثالث: جهوده في توضيح مسألة أفعال العباد.

المطلب الرابع: جهوده في توضيح بعض المسائل المؤثرة في الخلاف في باب القدر.

الفصل الثاني: جهوده في توضيح حقيقة الإيمان ومسائله. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح حقيقة الإيمان. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في تعريف الإيمان لغة وشرعاً.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح الإيمان عند المخالفين.

المطلب الثالث: جهوده في تحرير محل النزاع بين الجمهور ومرجئة الفقهاء.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح زيادة الإيمان ونقصانه، والاستثناء فيه. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في توضيح زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح الإستثناء في الإيمان.

المطلب الثالث: جهوده في توضيح الصلة بين مراتب الدين.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح الكبيرة، ومسائل تتعلق بها. وفيه مطلبين:

المطلب الأول: جهوده في توضيح الكبيرة وحكم مرتكبها.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالكبيرة.

الفصل الثالث: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالصحابة والإمامة. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالصحابة. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في توضيح فضل الصحابة رضي الله عنهم.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح تفاوت الصحابة في الفضل.

المطلب الثالث: جهوده في توضيح موقف أهل السنة من الصحابة.

المطلب الرابع: موقف الشيخ في من طعن في الصحابة.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالإمامة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في توضيح الإمامة بعد عصر النبوة.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح الحقوق الواجبة لولي الأمر.

المطلب الثالث: جهوده في توضيح المصالح المنوطة بولي الأمر.

الباب الثالث: جهود الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ في توضيح منهج السلف في الاستدلال والرد على الفرق والأفكار المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة. ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جهوده في توضيح منهج السلف في الاستدلال والرد على المخالفين. ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الاستدلال. وفيه مطلبين:

المطلب الأول: جهوده في توضيح المراد بمنهج السلف الصالح، وحكم الأخذ به.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند السلف.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الرد على المخالفين. وفيه مطلبين:

المطلب الأول: جهوده في توضيح أسباب الفرقة والخلاف.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح جهاد السلف في الرد على المخالفين.

الفصل الثاني: جهوده في الرد على بعض الفرق. ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في الرد على الخوارج. وفيه مطلبين:

المطلب الأول: الكلام عن الخوارج من حيث النشأة والحكم.

المطلب الثاني: جهوده تجاه مظاهر التهييج السياسي في الوقت الحاضر.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في الرد على الرافضة. وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: أصل منشأ الروافض.

المسألة الثانية: موقف الرافضة من الشريعة وحملتها.

المسألة الثالثة: الخميني وحقيقة إسلامه.

المسألة الرابعة: الحكم على الشيعة.

المسألة الخامسة: الباطنية وعلاقتهم بالروافض.

المسألة السادسة: عقيدة الأسماء والصفات عند الروافض.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في الرد على الصوفية. وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: أصل نشأة الصوفية.

المسألة الثانية: مفاهيم الدين عند الصوفية.

المسألة الثالثة: من أساليب الصوفية في الدعوة إلى طرقهم.

المسألة الرابعة: القاديانية وخطرهم على الإسلام.

المسألة الخامسة: أهداف مشايخ الصوفية في دعوتهم.

المسألة السادسة: الحكم على الصوفية.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في الرد على الفلاسفة والمتكلمين. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في الرد على الفلاسفة.

المطلب الثاني: جهوده في الرد على الجهمية.

المطلب الثالث: جهوده في الرد على المعتزلة.

المطلب الرابع: جهوده في الرد على متكلمة الصفاتية.

الفصل الثالث: جهوده في الرد على بعض الأفكار المخالفة. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في الرد على الحركات المعاصرة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقفه من إنشاء الجماعات والانتماء إليها.

المطلب الثاني: موقفه من جماعة الإخوان المسلمين.

المطلب الثالث: موقفه من جماعة التبليغ.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في نقد النظم والقوانين الوضعية. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في نقد النظام الديمقراطي.

المطلب الثاني: جهوده في نقد النظام الاشتراكي.

المطلب الثالث: جهوده في نقد أدعياء تحرير المرأة.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في الرد على منكري السنة. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهوده في الرد على من رد السنة مطلقاً.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح أثر الاستعمار في الإعراض عن السنة.

المطلب الثالث: جهوده في الرد على المنكرين للسنة إنكاراً جزئياً.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها. وبعض التوصيات.

الفهارس: وهي: فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث والآثار.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المنهج المتبع في البحث:

أولاً: جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع، مما قاله الشيخ أو كتبه.

ثانياً: الكتابة في جهود الشيخ تقتضي جمع كلامه وآرائه في المسائل العلمية التي تناولها بالأخذ والرد؛ وعرضها عرضاً منسقاً مرتباً تتجلى فيه جهوده، وفق خطة البحث المقررة، وبناء على ذلك قد أكتفي بسرد كلامه مرتباً على أبواب العقيدة، إلا عند الحاجة؛ لتفصيل ما أجمله وتوضيح ما أراده، أو بيان ما قصده، أو الاستدلال على ما لم يذكر عليه دليلاً.

ثالثاً: إذا قلت في البحث (قال الشيخ) فالمقصود الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ، وإن أردت غيره عينته.

رابعاً: أميز كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ باللون الأسود الغامق؛ زيادة في إظهاره، إلا إذا قمت بنقل كلامه بالمعنى أو بتصرف واختصار مع التنبيه على ذلك، بقولي: (راجع أو انظر) محيلاً إلى موطن النقل. فإن كان النقل ضمن (مجموع رسائل الجامي) أشرت إلى ذلك بعد ذكر

اسم الرسالة بقولي: (ضمن المجموع صـــ). وأما المواد الصوتية للشيخ فعزوها يكون بتسمية المادة المضمنة ذلك الشريط، ورقمها إن وجد، والإشارة إلى الوجه الأول أو الثاني بـــ[و (أ) أو و (ب)].

خامساً: عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

سادساً: عزو الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إلى موضعه منهما، وإن لم يكن فيهما اجتهدت بعزوه إلى مظانه مع ذكر حكم أهل العلم عليه صحة وضعفاً، كما أقوم بعزو الآثار إلى مظانها.

سابعاً: ذكر خاتمة للبحث أوجز فيها أهم النتائج التي تم الوصول إليها.

ثامناً: تذييل البحث بفهارس علمية؛ لتسهيل الاستفادة منه حسب ما ورد في الخطة.

تاسعاً: التعريف بالفرق والطوائف. والترجمة للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

عاشراً: الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

ويجدر بالقارئ الكريم التنبه إلى أن هذه الرسالة قد اشتملت على كمٍ هائلٍ من النقول عن الشيخ، ليست موجودة ضمن كتبه ومقالاته المنشورة(1)، وإنما هي ضمن أشرطته المسموعة التي لم يقصد الشيخ من ورائها التأليف واختيار العبارات البليغة، والألفاظ الجزلة، واستيعاب الأدلة والردود، بل كان أصلها شروحات ومحاضرات وفتاوى شفوية ألقاها على طلابه، فكان المقام يقتضي منه تسهيل العبارة وتكرارها، وأحياناً الاستطراد بذكر الوقائع التي تقرب الفهم وتسهم في تثبيت المعلومة. والمقصود أني كرهت أن أَحرِم نفسي والقارئ الكريم من الفائدة المرجوة من وراء تلك النقول، التي قد لا تكون محررة على وجه الكمال من قِبل الشيخ رحمه الله، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) وهذا -في نظري- أحسن؛ لأن المقصود من دراسة جهود الشخصيات إبراز الجهود الغير بارزة.

الصعوبات التي واجهتني في البحث:

١- ندرة الدراسات التي تناولت شخصية الشيخ رحمه الله، وقد حاولت جاهداً أن أجمع كل ما تيسر جمعه عن الشيخ من تلاميذه ومحبيه، وقد واجهت صعوبات في سبيل ذلك استغرقت وقتاً وجهداً وبعض الأسفار، ولم أجد البغية المرجوة، وقد حاولت التغلب على هذه العقبة بجمع ما كُتب، وتدوين ما استنبطته خلال سياحتي الطويلة مع أشرطة الشيخ.

٢- كثرة الأشرطة الصوتية (المتضمنة لشروح الشيخ ومحاضراته وتوجيهاته) التي تزيد على أربعمائة وخمسين شريطاً[(١)]، مع قلة العناية بكثير من تلك الأشرطة، فيعتريها الانقطاع، وسقط بعض الدروس، ولاشك أن في تفريغ الشريط الواحد من العناء ما الله به عليم؛ ولذلك استعنت بعد الله تعالى ببعض الأفاضل –جزاهم الله عني خير الجزاء– في تفريغ ما تدعو الحاجة إليه، وجمعت ما تم تفريغه مما هو منشور في الشبكة العنكبوتية، ثم راجعت تلك التفريغات مرة أخرى، ولما توفرت المادة العلمية التي تستقيم بها الخطة، تركت كثيراً من تلك المواد الصوتية –التي لا تمت كثيراً لموضوع البحث–؛ خشية الاستطراد الذي قد يخرج البحث عن هدفه.

٣- تناثر كلام الشيخ وكثرته حول مسائل الاعتقاد المبثوث في مؤلفاته ومقالاته المكتوبة، وشروحه ومحاضراته المسموعة، وبياناته ومقالاته المنشورة، مما كلف مجهوداً كبيراً في استقرائه وترتيبه وفق الخطة المرسومة.

وهذه بعض المشاق والصعاب، ولا تبرئ ساحة الباحث من اللوم والعتاب، فالنقص حاصل، وتخلل الفتور على النفس البشرية وارد.

---

(١) وهي مع ذلك قليل بالنسبة لما يتيسر الوقوف عليه؛ إما لعدم الوقوف عليه، وإما لعدم التسجيل في ذلك الوقت؛ بل وعدم التفكير بذلك؛ فإنه إن توفرت تلك المسجلات ذات الحجم الكبير فإن تلك المجالس تحتاج إلى أشرطة كثيرة يصعب شراؤها وذلك قبل توفر التسجيل في المسجد النبوي.

شكر وتقدير:

أشكر الله العلي القدير على نعمه الكثيرة وآلائه الوفيرة، التي لا تعد ولا تحصى، وأسأله سبحانه أن يجعل لي في هذا البحث باباً إلى تحصيل العلم النافع والعمل الصالح.

وأثني بشكر من أمر الله بشكرهما بعد شكره في قوله جل شأنه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ فأشكر والدي رحمه الله الذي أنار لي الطريق في هذه الدنيا بعد توفيق الله تعالى؛ فإن كل أعمالي ثمرة من ثماره، فاللهم اغفر له وارحمه، وارفع درجاته في المهديين واغفر لنا وله يا رب العالمين.

ثم أشكر والدتي حفظها الله وبارك في عمرها التي كانت لي نعم المعين؛ أسقطت كل حق لها مقابل الاجتهاد في الدراسة، وهي مع ذلك مستمرة بالدعاء لي بالتوفيق والإعانة، فاللهم اجزها عني خير ما جزيت والدةً عن ولدها.

ثم أشكر هذه الجامعةَ المباركة الجامعة الإسلامية التي صارت مناراً لنشر دين الله تبارك وتعالى في أنحاء الدنيا، وأسأله سبحانه أن يديم خدمتها لأبناء المسلمين بتعليمهم دين الله والدعوة إليه. وأخص بالشكر قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين الذي أتاح لي فرصة المواصلة في سلكه التعليمي، وعلى رأس هذا القسم فضيلة أ.د سعود الخلف وفقه الله وسدده الذي كان له الفضل بعد الله تعالى في وضع أساس هذه الأطروحة.

وأشكر مشرفي الفاضل صاحب الأخلاق العالية والتواضع الجم الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، وكان لتوجيهاته الأثر الملموس فيها، فضيلةَ الشيخ أ.د صالح بن محمد العقيل أصلح الله له البنين والذريه.

كما أشكر فضيلة المناقشين اللَذين تكرما بقبول مناقشة هذه الرسالة وبذلا الجهد والوقت في سبيل إصلاح أغلاطها وتقويم ما اعوج منها، وهما فضيلةَ الوالد الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي حفظه الله، الذي ما هذه بأول فضائله علينا بعد الله عز وجل، فما أملك سوى الدعاء له فاللهم اجزه خيرا وبارك له فيما أعطيته. وهكذا فضيلة

الشيخ الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد السعيد وفقه الله وسدده الذي تحمل عناء قراءة هذه الرسالة، وعناء السفر من أجل التكرم علينا بإبداء ملحوظاته فجزاه الله خيراً.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر عائلةَ فضيلة العلامة محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله وأخص بالذكر الأخ الفاضل عمر وعلي بن محمد أمان الذي سهل لي الاطلاع على مكتبة الشيخ، بل وفَّر لي كافة الأشرطة الصوتية -المتعلقة بوالده- الموجودة بتسجيلات ابن رجب، فاللهم اجزهم خيراً، وأحسن لي ولهم العاقبة، وأعني وإياهم على بر والدهم.

كما أشكر كل مشايخي الكرام، وإخواني الأعزاء، وكل من أفادني برأي أو أمدني بتوجيه أو أعانني بجهد، أو ساعدني بتفريغ، أو ساندني بتنسيق أو مراجعة، أو شاركني بحضوره هذه المناقشة -وخصوصاً من تكبدوا عناء السفر من أجل ذلك-، أخفي أسمائَهم وجهدَهم لضيق المقام لكن الله يعلمهم، وسيجزيهم بفضله وكرمه على كل ما بذلوه من أجلي، وأستسمحهم جميعاً بذكر أخي وشقيقي الفاضل عبد الناصر محمد بن محمد موسى الخلاقي وفقه الله، فأشكرهم جميعاً وأدعو لهم بظهر الغيب أن يجعل ما قدموا في موازين حسناتهم يوم يلقوه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وفي ختام هذه المقدمة أسأل الله العلي القدير الإخلاص في القول والعمل، وأرجو أن أكون قد وفقت في رد شيء يسير من جميل ذلكم العالم السلفي الإمام محمد أمان الجامي رحمه الله، وأسأل الله أن يكون في عملي هذا باكورةً لمشاريع أخرى تتعلق بخدمة ما بقي من آثاره.

وأكرر هذا جهد مُقِلٍ، وصاحبه معترف بالعجز والتقصير، فما أصاب فيه فمن توفيق الله وفضله، وما أساء فمن نفسه ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه، وأنبه أن هذه الأطروحة أعتبرها موضوعاً عاماً؛ ولذلك أهيب بالجميع صيانتَها من الزلل، وتقويمها من الاعوجاج، فـ"إذا عَثَر على شيء طغى به القلم، أو زلَّت به القدم أن يغتفر ذلك".."وأن يُحضِر قلبَه أن الجواد قد يكبو، وأن الصارمَ قد ينبو، وأن النار قد تخبو، وأن الإنسان محل النسيان، وأن الحسنات يذهبن السيئات.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ...."[1][2]

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(١) البيت ليزيد بن محمد المهلبي، نسبه إليه الحصري في زهر الآداب ٦١/١.

(٢) مقدمة مغني اللبيب ٥٦/١.

تمهيد

ترجمة فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وأسرته ومولده ووفاته.

المبحث الثاني: نشأته وطلبه للعلم وصفاته ورحلاته ومؤهلاته.

المبحث الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ورثاؤه.

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه.

المبحث الخامس: عقيدته.

المبحث السادس: آثاره العلمية وأعماله.

تمهيد

لقد بلغ الشيخ محمد أمان رحمه الله المكانة الرفيعة التي تجعل النفوس تتطلع لقراءة ترجمة لحياته الحافلة بالعلم والدعوة، كيف وله منة كبيرة بعد الله تعالى على كثير من العلماء وطلاب العلم في هذه البلاد السعودية وخارجها، فلا أحد يستطيع أن ينكر ما قدمه الشيخ رحمه الله من جهود جبارة كان لها الأثر العظيم في تجلية وتوضيح المنهج السلفي الذي أحبه الله وارتضاه، والتحذير من كل المناهج والفرق المخالفة له، وسيأتي بيان جهوده في تقرير مسائل الاعتقاد والرد على المخالفين فيها.

وعلى عظم الأثر الذي خلفه الشيخ رحمه الله والأذى الذي لحقه، إلا أنا لا نجد مبادرات منه ولا من طلابه للترجمة الوافية عن نفسه؛ حتى يستفيد أصحاب الهمم الضعيفة، عندما يتعرفوا على كثرة الصعاب التي واجهت هذا الرجل، ومع ذلك لم تمنعه من الجد والاجتهاد والصبر في ذلك على الابتلاء؛ للبذل والعطاء، حتى صارت له مكانة مرموقة شهد له بها الأعداء، ونفع الله بها كثير من السعداء، ويمكن إرجاع السبب في ذلك إلى ميله رحمه الله إلى عدم الظهور، وما تحلى به من شدة التواضع ونبذ الغرور، كما سيأتي بيانه-إن شاء الله- فكان يجد صعوبة في ذلك، وقد أخبرني غير واحد من طلابه أن الشيخ كان ينهى أن يُكتَب عنه(١)، ولا بأس من عرض جواب الشيخ على طلب سائلٍ -ولعله من الكويت- سأل الشيخ أن يتحدث عن نفسه، فقال رحمه الله :"**الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: أما التحدث عن نفسي فصعب جداً، لكني أقول بالاختصار: أخوكم محمد أمان بن علي الجامي، كنت أستاذاً مشاركاً في الجامعة الإسلامية ورئيس شعبة العقيدة في الدراسات العليا، وهاأنذا كما ترون أحلت على التقاعد، وتفرغت للعمل مع الشباب، حالياً مدرس وموجه في المسجد النبوي، ولي**

---

(١) قال الشيخ مصطفى بن عبد القادر الهوساوي مبيناً وقت كتابة للترجمة :"وذلك قبل موت الشيخ محمد أمان رحمة الله عليه، فنهاني -رحمه الله- عن الكتابة عنه، ورأى أن ذلك لا يفيد، وهذا من تواضعه وهضمه لحقه رحمه الله" سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي صـ ٥ حاشية (١).

دروس ومحاضرات في جدة، أعيش مع الشباب هذه المشاكل التي سمعتموها، ها أناذا أسأل الله أن يوفقني وإياكم، والأخ الذي طلب هذا الطلب أنا أشكره على هذا الشعور، وما ذكر أنه يحب أن يعرف عني الكثير، لكن أرجو أن لا يعرف أكثر من هذا؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم حقيقة العباد، ولا ينبغي لنا أن ندَّعي العلم أو العمل أو الدعوة، كل ذلك نتركه لله سبحانه وتعالى، الله هو العليم بحقيقة عباده"[١]. فلعل هذا من الأسباب الرئيسة لندرة ما كتب عن الشيخ رحمه الله.

وتمهيداً للجهود الجبارة التي بذلها الشيخ رحمه الله في توضيح عقيدة السلف الصالح والرد على المخالفين فيها، أحببت المساهمة في كتابة ترجمة للشيخ رحمه الله، أجمع فيها جهود من سبقني من تلاميذه ومحبيه، وما لمسته منه رحمه الله من خلال سياحتي مع شروحه ومحاضراته، ولا أنسى في هذا المقام صاحب السبق في هذا: فضيلة الشيخ مصطفى بن عبد القادر الهوساوي، الذي بر بشيخه فكتب ترجمة له[٢]، وهي بحق أجمع ما كُتب في ترجمة الشيخ. وقد اعتبرت كتابة الشيخ مصطفى المرجع الأصلي للترجمة التي سوف أدونها، وبهذا التنبيه قد أكتفي عن الإحالة إليها في بعض المواطن، وما زدته من خلال سماعي لأشرطة الشيخ، أو من خلال طلاب الشيخ ومحبيه فسأشير إليه في الحاشية، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) مقطع منشور على الشبكة العنكبوتية http://www.sahab.net.

(٢) طبع المختصر من الترجمة مرات، والترجمة المطولة تحت الطبع.

المبحث الأول
اسمه ونسبه وأسرته ومولده ووفاته

اسمه:

هو العلامة محمد أمان بن علي بن جامي علي الهرري الأثيوبي من قبيلة أرومو(١) من ألا.

موطنه:

الحبشة ، منطقة هرر(٢)، محافظة شرشر، في بلدة أصبوت.

مولده:

وُلد كما هو مدوَّن في أوراقه الرسمية بتاريخ ١/٧/سنة ١٣٤٩ هـ (تسع وأربعين وثلاثمائة وألف) في قرية تسمى طغا طاب، مقاطعة هرر أسيوت.

أسرته:

توفي الشيخ رحمه الله عن امرأتين، وخلف عشرة من البنين وهم: أحمد، وعمر، وعلي، وعبد السلام، وعبد الملك، وعبد الواسع، وعبد العزيز، ومنصور، وفهد، ومنتصر، وثمان من البنات حفظهم الله وأصلحهم وجعلهم خير خلف لخير سلف.

مرضُه ووفاته:

لقد اُبتلي الشيخ رحمه الله في آخر عمره –قبل موته بنحو سنتين- بمرضٍ عُضال في كبده، ألزمه الفراش نحو عام فصبر واحتسب.

وقد جمع أولاده قبل وفاته بيوم –وذلك قبل نقله للمستشفى- وأوصاهم بتقوى الله عز وجل، والتمسك بالعقيدة السلفية، ونشرها، وقال لهم: قولوا للمشايخ: عليهم

---

(١) وللشيخ رحمه الله مقالين في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٤٥) صـ ٣٧٢، والعدد (٤٦) صـ ٤١٣، بعنوان: (ماذا تعرف عن أورمو؟).

(٢) كانت إمارة إسلامية قديمة، وسمت بالمدينة المحروسة، وهي محاطة بسور من جميع جهاتها، وتقع المدينة على خط عرض ٩، وخط طول ٤٢ درجة، وكانت مركزاً للتجارة. انظر: أثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ لمحمد الطيب اليوسف ٢/٢١٣، ٣٥٠.

الاعتناء والحرص على العقيدة السلفية ونشرها. نعم لقد ودع الشيخ الدنيا واستقبل الآخرة وهو يوصي في ساعة احتضاره بالتوحيد والدعوة إليه، وفي صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤١٦هـ، الموافق ١٧/يناير/ ١٩٩٦م، في مستشفى الملك فهد، وقبل موته بلحظات دخل عليه ابنه علي، ووجده يحرك السبابة ويشير بها إلى السماء. ثم فاضت روحه، ومات وهو يردد الشهادة، شهادة التوحيد التي قضى حياته في الدعوة إليها والحث عليها، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وصُلي عليه بعد ظهر يوم الأربعاء، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ عبد الله بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة، وحضر الصلاة عليه وشهد دفنه في بقيع الغرقد جمع كبير من أصحاب الفضيلة العلماء والقضاة وطلبة العلم، وكبار المسؤولين بالمدينة، يتقدمهم وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة الأستاذ عبد الله الفايز.

وقد اجتمع في جنازته عدد كبير من طلبة العلم، مع أنه لم يكن بين وفاته والصلاة عليه ودفنه وقت طويل، ولم يعلم كثير من طلاب العلم بوفاته؛ لأنهم كانوا حينئذٍ في قاعات الامتحانات -إذ كان آخر أيام الامتحانات-. قال الشيخ مصطفى:"وأخبرني أحد طلبة العلم أنه سمع الشيخ علي بن مهنا -القاضي بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة- وهو يقول عندما رأى كثرة من اجتمع في جنازة الشيخ وهو بالبقيع: (قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز)"(١). وقد مكث جماعة من محبي الشيخ رحمه الله يصلون على القبر حتى شهر رمضان، وكان آخرهم صلاةً على قبره: صاحب السمو الملكي الأمير ممدوح بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله. كما صُلّي على الشيخ رحمه الله صلاة الغائب في كل من جازان والدوادمي، وحفر الباطن، والكويت(٢).

وبموته فقدت الأمة أحد علمائها العاملين، فنسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه ويخلف على المسلمين خيراً، اللهم آمين.

---

(١) سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ١٤١.

(٢) المصدر السابق صـ ١٤٢.

المبحث الثاني
نشأته وطلبه للعلم ورحلاته ومؤهلاته وصفاته

المطلب الأول: نشأته وطلبه للعلم:

إن المتأمل في بلدة الشيخ التي نشأ فيها يجد كثرة الصراعات السياسية، والنزاعات القبلية السائدة في تلك البيئة، حيث يتنافس في المنطقة عنصران اثنان:

١-العنصر الأمهري الذين يدين في الغالب بالدين النصراني الذي دخل المنطقة بعد الإسلام بفترة طويلة.

٢- العنصر الأورومي الذين يدين في أغلبيته بالإسلام.

قال الشيخ رحمه الله:"**فكل عنصر يحاول السيطرة على الموقف وإظهار دينه، واستعان المسيحيون بأهل ملتهم الأوروميين؛ ليفوزوا في هذا السباق الديني. فبادرت أوروبا فلبت الطلب؛ فدخلت الكنائس التبشيرية المنطقة التبشيرية بكل ثقلها، فأخذت تبشر بالمسيحية وربطت الكنائس الحبشية بالكنيسة الأم بروما حتى تتمكن من محاربة الإسلام بكل ما أوتيت من صلاحيات ونفوذ محلي وعالمي. هكذا سيطر المسيحيون على الموقف بعد أن وثقوا علاقتهم بأوربا وأمريكا سياسيا واقتصاديا وفكريا، فأنشأوا في قلب أراضي أوروميا إمبراطورية حبشية متوارثة في (أديس أبابا)، فأخذت الإمبراطورية تسوم المسلمين سوء العذاب، ولم تترك أي نوع من أنواع التعذيب والاضطهاد إلا عرض على المسلمين؛ انتقاماً منهم على تمسكهم بدينهم واعتزازهم بإسلامهم محاولين ردهم عن دينهم، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل الذي لا يتوقعونه ولا يتوقعه أسيادهم الأوربيون، ولله الحمد والمنة.**

ويجدر بالذكر أن كثيراً من المسيحيين والوثنيين يعتنقون الإسلام طوعاً على الرغم مما يعانيه المسلمون من الأوربيين وغيرهم من المضايقة الشديدة. بل قد استطاع المسيحيون دون خجل أو حياء أن يقولوا اعتمادا على سلطانهم ونفوذهم أنه لا يوجد في الحبشة غير الدين المسيحي، وإن وجد أحد يدين بالدين الإسلامي فإنما هو من بعض الغرباء الذين نزحوا من الجزيرة العربية وهم أقلية في المنطقة.

هكذا يذيع صوت الإنجيل بأديس أبابا، كدعاية مضللة يعرف عدم صحتها قائلها قبل سامعها، ولكنه يقول ويذيع لتضليل الرأي العام العالمي.

ولقد انخدع كثير من المؤرخين والجغرافيين من المسلمين فضلاً عن الأجانب وسجلوا فيما كتبوا عن الحبشة أن المسلمين في المنطقة أقلية جداً، وأن نسبتهم لا تزيد على٤٠ أو٥٠ % بينما أن النسبة الصحيحة أن المسلمين يشكلون ٧٠ أو ٧٥ %. وقد سجلت هذه النسبة في بعض الجهات العالمية الرسمية كرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في بعض اجتماعات المجلس التأسيسي للرابطة[١]"[٢].

على الرغم من ضخامة عددهم والحزم في تمسكهم بدينهم، فقد عاش هذا الشعب تحت سيطرة القوى النصرانية، فالحكام لتلك المنطقة نصارى، والصراع بين المسلمين والنصارى في بلاد الحبشة يطول سرده، فلقد توالت الحروب والاضطهادات على المسلمين قروناً عديدة، تحملوا خلالها أشد أنواع الظلم والتشريد، وكانت الحروب سجالاً بين المسلمين والنصارى، ولقد ظل المسلمون يكافحون عن دينهم وعقيدتهم كفاحاً مريراً[٣].

وتعتبر منطقة المسلمين (هرر) مركز إشعاع إسلامي في شرق افريقيا قبل احتلال الأحباش"**ومما أجمع عليه المؤرخون الأجانب أن الأوروميين استطاعوا أن يحافظوا على عاداتهم وتراثهم القومي واستقلالهم عدة قرون، حتى جاءت الموجات المتتالية من الاستعمار وخاصة الأحباش متعاونين مع أسيادهم الأوربيين فأخضعوهم لسلطانهم.**

(١) انظر: قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، من يوم الإثنين ١٣٩٤/١١/٢٥هـ، إلى ١٣٩٤/١٢/٢٥هـ. صـ١٤.

(٢) ماذا تعرف عن أرومو ضمن مجلة الجامعة العدد (٤٥) صـ ٣٧٢ . وانظر: أثيوبيا والعروبة في الإسلام.

(٣) انظر: أثيوبيا والعروبة في الإسلام ٢/٤٤-٢٨٠. وسيأتي دور الشيخ رحمه الله في الجهاد في بلاد الحبشة صـ١٣٥.

ويقول بعض المؤرخين: "كان ذلك في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وعند ذلك بدءوا المقاومة مع الغزاة الأجانب"(١).

مما أدى هذا الوضع إلى انتشار المدارس التنصيرية في المدارس الحكومية المخصصة لأبناء الأمهرة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:**"اضطر المسلمون في الحبشة ولا سيما الريفيون منهم إلى مقاطعة المدارس الحكومية التبشيرية؛ لما يلاحظون من أن مدارسهم تحرص على التضليل وتشويه الإسلام، والنيل من الرسول ﷺ أكثر من حرصها على التعليم والتثقيف، إذ قد يدرسون في مناهجهم بعض الكفريات التي لا يفطن لها صغار الطلبة، حتى ينشأ الطلبة على تصور الإسلام تصوراً خاطئاً... لما تأكد المسلمون من أن المدارس الإثيوبية عبارة عن دور تبشير، فقرروا مقاطعتها كما أسلفنا، لم يجدوا بديلا إلا مساجدهم الأهلية التي ينشئوها على حسابهم، فاتخذوها مدارس لأولادهم على نظام الحِلَق المعروفة لدى المسلمين الأولين قبل نظام التعليم الحديث. وإذا أراد الطالب التوسع؛ للإطلاع على بعض المواد التي لا تدرس في تلك المساجد، هاجر إلى حيث الأزهر بالقاهرة، أو إلى السودان، أو إلى الجزيرة العربية مقر الحرمين الشريفين. هذه نبذة عن نظام التعليم في أوروميا. ولقد حافظوا بهذا النظام على دينهم وعقيدتهم ولغة دينهم اللغة العربية...استطاع الأوروميون الريفيون مقاطعة المحاكم الإثيوبية، فلا يتقدمون لها بأي دعوى في قضاياهم، فاصطلحوا أن يعالجوا مشكلاتهم بالتفاوض فيما بينهم حتى تنتهي المفاوضة إلى الصلح، (والصلح خير). وبالنسبة لجريمة القتل اصطلحوا على أن أولياء الدم لا يطالبون بالقصاص، بل يتنازلون إلى الدية والدية تتحملها قبيلة القاتل، لأن إقامة حد القصاص فيه لفت [نظر] الدولة كما لا يخفى، إلا أن المصلحة تقتضي حل مشكلتهم بالصلح على الدية كما قلنا. ولهم نظم كثيرة**

(١) ماذا تعرف عن أرومو ضمن مجلة الجامعة العدد (٤٥) صـ ٣٧٢

خاصة استغنوا بها عن القانون المتبع عند الأحباش"(١). وهذا من فضل الله عليهم، ثم بفضل أولئك الغيورين المتطلعين؛ لاستعادة الماضي بصمت(٢).

والمقصود أن الظروف كانت قاسية، والمحن والفتن كثيرة، والأوضاع مؤسفة، ومع تلك الأوضاع فلم تخل تلك البلاد من العلماء والمصلحين، ومن إقبال الطلاب على العلم؛ طمعاً في تحرير الأوضاع من الجهل، وكان الشيخ محمد أمان رحمه الله ممن وفقهم الله لاجتياز تلك المصاعب، ورزقهم حب الإقبال على العلم، فقد درس اللغة العربية في قرية طغا طاب تلك القرية التي نشأ فيها، وتعلم القرآن الكريم فيها، وبعدما ختمه شرع في دراسة كتب الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، وهو المذهب المتبع في تلك البلاد.

ولِما حبى الله الشيخ من علو الهمة، والحرص على بلوغ الهدف والغاية، فقد قرر السياحة النبيلة؛ للقاء العلماء والتزود منهم وتحصيل العلم الذي عندهم بعد الفراغ من علماء بلده، وهذه هي سنة سلفنا الصالح في طلبهم للعلم كما هو مقرر في تراجمهم(٣).

وبعد أن ترك الشيخ رحمه الله قريته على عادة أهل تلك الناحية إلى قرية أخرى(٤)، وفيها التقى مع زميل طلبه وهجرته إلى البلاد السعودية الشيخ عبد الكريم بن

(١) ماذا تعرف عن أرومو ضمن مجلة الجامعة العدد (٤٥) صـ ٣٧٤-٣٧٦

(٢) سيأتي بيان دور أهم الجبهات (جبهة تحرير أورمو) التي كان يشرف عليها الشيخ محمد أمان.

(٣) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي.

(٤) قال الشيخ مصطفى:"وعادة أهل تلك الناحية في طلب العلم: يخرج الطالب من بلدته بعد تعلمه القرآن الكريم إلى بلدة أخرى؛ ليتفرغ لطلب العلم؛ لئلا يشغله أحوال أهله، واهتماماً بالعلم ومحبة له، وعندما يخرج الطالب من بلده لا يملك ما يتزود به في سفره غير بعض الكتب -التي ربما تحصل عليها بالاستعارة، أو الشراء إن كان ميسور الحال، وحقيبة، وسجادة، وإبريقاً؛ يجعل فيه الماء؛ ليتطهر ويتوضأ به، وذلك لتعذر الماء في بعض الأمكنة وهو الغالب- فيبحث عن حِلق العلم، فإذا ما وجدها لازمها سنين طويلة حتى يتمكن من الفن الذي يدرسه على ذلك الشيخ أو المدرس، حديثاً كان أو فقهاً أو توحيداً أو تفسيراً أو علوم عربية، فلربما انتقل من مدرس إلى آخر في مدة رحلته الطويلة بدون أن يرجع إلى وطنه وبلده التي قد تستغرق ما بين (١٠-٢٥ سنة)" سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ ١٤حاشية رقم (٢).

الشيخ حسن[١]، فانعقدت بينهما الأخوة الإسلامية، وهذا من توفيق الله للعبد أن ييسر له من يعينه على الطلب.

والشاهد أنهما ذهبا معاً إلى شيخ يُسمى الشيخ موسى الملقب بـــ(يكا) نسبة إلى بلدة اسمها يكا، ودرسا عليه نظم الزبد لابن رسلان[٢]، ثم درسا متن المنهاج[٣] على الشيخ أبادر. وتعلما في هذه القرية عدة فنون.

ويجدر التنبيه في هذا المقام إلى أن طلب الشيخ رحمه الله للعلم كان مشوباً بالتصوف والأشعرية؛ بحكم البيئة التي يعيشون فيها، ولا غرابة في ذلك فالعقيدة الأشعرية المشتملة على التصوف كانت لها دعاية كدعاية شماغ البسام في الشوارع كما عبر الشيخ رحمه الله بذلك[٤].

وقد أشار الشيخ رحمه الله أنه"**عاش في أول حياته العلمية أشعرياً درس العقيدة الأشعرية، فأجادها ظناً منه أنها عقيدة أهل السنة والجماعة كما تزعم الأشعرية، ثم منَّ الله عليه بفضله سبحانه ويسر له أمره حتى درس العقيدة على منهج السلف الصالح، فأنقذه الله من جاهلية الأشعرية بعد أن أدرك ما فيها من الاضطراب والإرتباك، ولاسيما في صفة الكلام**"[٥]. قال الشيخ مصطفى: "فقد درس الشيخ على عادة أهل تلك البلاد العقيدة الأشعرية، ولكن لا أدري أفي بلده؟ أو في بلدة الشيخ عبد الكريم؟ وقد أراني رحمه الله تعالى الكتاب الذي كان يدرسه وتعليقاته عليه"[٦].

---

(١) لم أظفر له بترجمة وافية، وقد كان داعية إلى الله في نيروبي، وهو الراوي لرحلتة مع الشيخ إلى البقاع المقدسة كما سيأتي. وتبعد قرية الشيخ عبد الكريم عن قرية الشيخ مسيرة أربعة أيام تقريباً، سيراً على الأقدام.

(٢) نظم مشهور يعتني به فقهاء الشافعية.

(٣) متن مشهور يعتني به فقهاء الشافعية.

(٤) راجع: توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٨).

(٥) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـــ ١٥٥.

(٦) سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي حاشية (١) صـــ ١٦.

وكذلك فقد تأثر في صغره بالصوفية، بل عاش في أحضانهم، قال رَحِمَهُ اللهُ: "**فليُتنبه لا تنخدعوا بالمظاهر والسُبحة الطويلة والتكسر أحياناً وضرب الصدر، هذه مظاهر خداعة، فالقوم من أشر الناس، من أشر من ينتسب للإسلام إلى الإسلام، وأضر على المجتمع، لا أعلم أمثال هؤلاء؛ لأني عشتُ في صغري معهم –خذوا هذه الأسرار– ومن نعومة أظفاري كنتُ في أحضانهم، ولكن الله أنقذني منهم، وعرفتُ منهم ما لا يعرفه غيري، وهم موجودون إذا كنا نتحدث عن الأشاعرة في باب الأسماء والصفات، وهم أخفُ ضرراً من الصوفية؛ لأن الصوفية تُفسد القلوب، القلوب منصرفة عن الله ﷻ ولا يبالون أبداً بالله، معتمدين على الشيخ تماماً في الدنيا والآخرة اعتماداً كلياً، ويعتقدون أن من له شيخ سوف يمر على الصراط على ظهر الشيخ**"(1).

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يحفظ منذ الصغر أبياتاً من تائية ابن الفارض، قال رَحِمَهُ اللهُ:"**تائية ابن الفارض –كما يعلم بعض الشباب– في بعض الأقطار تقرأ كالورد، وخصوصاً في مجالس الذكر، يتلذذون بها، ويطربون عندما يقرأون، ولا يدرون عن الكفر البواح التي تحمله تلك الأبيات:**

ولي صلوات بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت

...هذا البيت حفظته من الذين يقرأون في مجالس الذكر، يكرِّرون، كنا طلاب نسكن قربهم، كل ليلة جمعة يجتمعون، فحفظت بعض الأبيات من كثرة ما يكررون، ونحن جيران نمر بهم ويمرون بنا –الله المستعان–، الحمد لله على نعمة الإسلام"(2).

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ تأثر بالصوفية والأشعرية في طفولته؛ لانتشارهم في بيئته آنذاك، فكان لهم منه النصيب الأوفر من التحذير والتنفير(3)، قال رَحِمَهُ اللهُ:"**وأنا إنما أنقل إليكم في**

---

(١) تعليق الشيخ على شرح الهراس على الواسطية الشريط (١٢) و (ب).

(٢) شرح تجريد التوحيد الشريط (٨) و (ب).

(٣) وسيأتي مزيد توضيح لجهوده في مبحثي الرد على الصوفية والمتكلمين صـ ٧١٢، ٧٥٦.

هذه الجلسة ما قاله أهل العلم في هؤلاء، وإنْ كان لديَّ معلومات شخصية من تجربتي ومخالطتي لهم في طفولتي ولكنني؛ أكتفي بأن أنقل إليكم معلومات من أهل العلم المعتبرين"[١]. وقد ذكر الشيخ ﵀ في بعض دروسه[٢] أنه قرأ وهو صغير كتاب: (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) للنبهاني.

واستمر الشيخ ﵀ في طلب العلم حتى ذاق حلاوة العلم أكثر فأكثر، على ما فيه من دخن، ومن توفيق الله تبارك وتعالى له أن قافلة الغايات النبيلة عنده والأشواق الجميلة بدأت تحدو به تجاه تلك البقاع المقدسة (مكة المكرمة)؛ للازدياد من العلم، والتفقه في الدين؛ ولأداء فريضة الحج. ولكن هذه المرة مع رفيقه في طلب العلم الشيخ عبد الكريم.

وأترك المجال للشيخ عبد الكريم يصف تلك الرحلة حيث قال:"فبدأنا السفر إلى البلاد المقدسة مع أننا لا نحمل من الزاد إلا الشيء القليل. فبعد يومين من خروجنا من مدينة (هرر) وصلنا مدينة (زيلع) على ساحل البحر الأحمر، وهذه المدينة للصومال، وهي واقعة مقابل مدينة (عدن) غرباً، ومكثنا في هذه المدينة أياماً، ثم وجدنا سفينة شاحنة كبيرة تحمل البضائع إلى (عدن) فحملتنا مع عدد قليل من الناس.

ووصلنا إلى مدينة (عدن) في مدة ثلاثة أيام وشيء تقريباً، ولكن بعدما نجانا الله تعالى من خطر الغرق. فبعد ما غادرنا مدينة (زيلع) بيوم –على ما أظن– توقفت الريح التي جعلها الله قوة دفع السفن الشراعية وتسييرها على الجهات المقصودة، توقفت وارتفعت الأمواج من كل جهة، وسفينتنا مرة ترتفع وتعلو على الأمواج ومرة تنخفض وتنزل تحت الأمواج، ونرى الأمواج تأتي من فوقنا مثل الجبال، ونحن نغمض أعيننا حتى لا نرى موتنا بأعيننا. وهكذا نرى أرواحنا ترتفع تارة إلى حناجرنا مع الأمواج المرتفعة، وتنخفض أخرى معها أيضاً وترجع أماكنها –ونحن في كلتا الحالتين كأننا سكارى لا نعقل شيئاً– نذهب على القبور في تلك الأمواج الرهيبة، ولكن نسمع بين وقت وآخر –

---

(١) محاضره للشيخ بعنوان: (من صور الجاهلية).

(٢) راجع: التعليق على قرة عيون الموحدين الشريط (٧).

حينما يخف عنا السكر- نسمع الناخوذ (صاحب السفينة) يقول: يالله هات يالله هات — يطلب الريح من الله- لا ينفك يكرر هذا الدعاء. ثم فرج الله عنا الكربة بعفوه ورحمته، ورد على نصابه واعتدل الجو، وسرنا كالمعتاد إلى (عدن) وبعد يومين تقريباً —على ما أظن- وصلنا على (عدن)..."[1]إلى آخر كلامه عن تلك الرحلة.

فقد خرجا من الحبشة إلى الصومال فركبا البحر متوجيهن إلى عدن - حيث واجهتهما مصاعب ومخاطر في البحر والبر - ثم سارا إلى الحُدَيدة سيراً على الأقدام فصاما شهر رمضان، وفيها حذرهما بعض الشيوخ من الدعوة السلفية التي يطلقون عليها اسم (الوهابية)، قال الشيخ مصطفى مخبراً عن الشيخ أنه قال له:"عندما كنا في اليمن في طريقنا إلى الحجاز التقينا ببعض علمائها فحذرونا من الوهابية"[2].

ثم غادرا إلى السعودية فمرا بصامطة وأبو عريش حتى حصلا على إذن الدخول إلى مكة، وكان هذا سيراً على الأقدام. وبعد أن خاضوا الصعاب، وقطعوا الأودية والهضاب، وركبوا البحر، وجازوا الوعر[3]، أعقبهم الله لذة مطلوبهم، ومن عرف قيمة ما يطلب، هان عليه فيه ما يبذل.

فيسر الله للشيخ أداء فريضة الحج عام ١٣٦٩هـ[4]، وهو يناهز العشرين من عمره تقريباً، مع زميله الشيخ عبد الكريم، ومع ما واجهوا من صعاب إلا أن طلب العلم ما زال هدفهم، والرغبة في الازدياد منه هي همتهم ومُناهم، وبينما هم هناك في المسجد

---

(١) نقلاً من سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي حاشية (١) صـ ١٦.

(٢) انظر: سيرة فضيلة الشيخ صـ ٥٣.

(٣) أي الجبل. انظر: القاموس المحيط صـ٤٥٨.

(٤) وبالمناسبة قال الشيخ رحمه الله في رده على الشطي: "وقد حضرت موسم حج ١٣٦٩هـ وشاهدت المقامات الأربعة للأئمة الأربعة، موزعة في المسجد الحرام، إلا أن المصلين يصلون خلف إمام واحد، يقف أمام الكعبة كما هو الحال اليوم، ولكن جاذبية التعصب كانت تجذب الحجاج وتوزعهم على هذه المقامات الأربعة؛ للتجمع حولها والجلوس تحتها، كل مجموعة تحت مقام إمام مذهبها، أو في مكان قريب منه على الأقل.."ا.هـ الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٥٩.

الحرام إذ "دسَّ بعض الطلبة (ثلاثة الأصول) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في متاع الشيخ وصاحبه، فأخذ الشيخ النسخة فتكلم هو وصاحبه، فعلِما أن هذه الرسالة هي لمحمد ابن عبد الوهاب رحمه الله الذي حُذِرا منه ومن عقيدته، فما كان من الشيخ محمد أمان رحمه الله تعالى إلا أن قال لصاحبه: نحن طلبة علم ونفهم، فعلينا أن نقرأها؛ فإنه سيتبين لنا الأمر إن كان خطأً أو صواباً. وما إن فرغا من قراءتها حتى شرح الله تعالى صدر الشيخ لهذه العقيدة السلفية، وصدر صاحبه، وكان ذلك أول قدومه هذه البلاد سنة ١٣٦٩هـ"[(١)].

فبدأ طلبه للعلم بالمسجد الحرام في حلقات العلم المبثوثة في رحابه، واستفاد منها كحلقة فضيلة الشيخ عبد الرزاق حمزة رحمه الله، وفضيلة الشيخ عبد الحق الهاشمي رحمه الله، وفضيلة الشيخ محمد عبد الله الصومالي رحمه الله وغيرهم.

ومرحلة الشيخ هذه تعتبر نقطة تحول صادقة لمنهج السلف الصالح الخالية من بدعة الكلام والتصوف، ففي هذه المرحلة من الطلب ذاق الشيخ رحمه الله حلاوة العقيدة السلفية، بعد أن خَبِر مرارة العقيدة الخلفية واضطرابها، فمن هنا أخذ على عاتقه أن يستمر في طلب العلم والدعوة إلى هذه العقيدة، بل والتحذير والتنفير من كل دخن يكدر صفوها ويعكر مسارها.

وهناك فترة للشيخ رحمه الله دَرَس فيها ودرَّس يحسن الإشارة إليها -وإن لم أجد المعلومات الكافية عنها-: أخبرني أحد تلاميذ الشيخ[(٢)] أن الشيخ طلب العلم في السودان، والتحق لدراسة الثانوية في جامعة أم درمان، وما لبث فيها إلا قليلاً حتى فُصِل؛ لتراكم الشكاوى عليه، ومن ذلك: أنهم رأوه يضم في الصلاة، وهذا مخالف لمذهبهم المالكي!! فقالوا له أنت وهابي؟! فقال رحمه الله: "لا" أنا شافعي، والشافعية يوجبون الضم في

(١) انظر: سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ ٥٣.

(٢) فضيلة د. خالد بن عبد اللطيف محمد نور السوداني وفقه الله وذلك بتاريخ ١٨/١٢/١٤٣١هـ.

الصلاة فسمحوا له". ولكن لما لمسوا منه تتبع زملائه ودعوتهم للتوحيد الخالص والخالي من بدع الكلام والتصوف، وشوا به حتى فصلوه؛ بتهمة أنه وهابي.

وسمعت الأخ محمد الشافعي السوداني يقول: بلغني أن الشيخ كان يدرس في عمدة الأحكام –ولعله في تلك الفترة التي ذهب يَدرُس فيها[1]– فلما بلغ حديث (إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوافات)[2]، بين رحمه الله أن الطواف ينقسم إلى قسمين: طواف لغوي ومنه ما ورد في الحديث، وطواف شرعي ولا يجوز التعبد لله تعالى به إلا بما ورد عن نبيه ﷺ، وذلك بالطواف حول الكعبة، وعليه فلا يجوز الطواف حول الأضرحة والقبور...الخ كلامه، فقاموا عليه ومنعوه من التدريس.

ولعل بعد هذه الفترة رجع الشيخ إلى مكة، وانتظم في الدراسة بسلك (دار الأرقم) التي سميت فيما بعد بـــ (دار الحديث الخيرية) وتعلم فيها، وممن زامله في تلك المدة فضيلة الشيخ يحيى بن عثمان الهندي حفظه الله تعالى.

ثم تعرَّف الشيخ على سماحة العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله وصَحِبهُ في سفره إلى الرياض لما افتُتح المعهد العلمي بالرياض التابع لآل الشيخ، وكان ذلك في أوائل السبعينيات الهجرية. وممن زامله في دراسته الثانوية بذلكم المعهد فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العبَّاد حفظه الله، وفضيلة الشيخ علي بن سليمان بن مهنا القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة سابقاً حفظه الله، والشيخ عطية محمد سالم رحمه الله، والشيخ عبد الصمد بن محمد كاتب رحمه الله وآخرين.

وفي هذه الفترة النظامية حنَّ الشيخ رحمه الله لحِلَق العلم بالمسجد الحرام فهمَّ بترك المعهد، فرحل إلى (عنيزة) للقاء الشيخ ابن سعدي رحمه الله، وعرض ما همَّ به عليه[3]، فأشار

---

(١) وهذا من حرص الشيخ رحمه الله على الدعوة إلى الله وسرعة نبوغه وشعوره بمسؤلية الدعوة إلى الله في وقت مبكر.

(٢) رواه أبو داود (٧٥) والترمذي (٩٢) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٣) ولعل أيضاً من الأسباب التي دعت الشيخ لترك الدراسة في المعهد أنه كان يدرس فيه بعض الذين تشوبهم بعض البدع؛ لحاجة المعهد لهم في ذلك الوقت، وقد حكى الشيخ قصة حصلت له

=
وزملائه في ذلكم المعهد عام ١٣٧٣هـ فقال:"**وبهذه المناسبة أقص للقراء واقعة لي أنا وزملائي ونحن ندرس في المرحلة الثانوية عام ١٣٧٣هـ. في معهد الرياض العلمي، دخل مدرس مادة التفسير فصلنا في إحدى الحصص؛ ليدرس مادته، فبدأ الدرس بمقدمة لم يوفق فيها، إذ جاء فيها: (إن كلام الله ليس بحرف ولا صوت، بل هو منزه عن ذلك)!! ولم ينتبه لهذه العقيدة الأشعرية التي تطرق بعض الأسماع لأول مرة، وعدد الطلاب في الفصل لا يقل عن ثلاثين طالباً إن لم يزيدوا، وفيهم طالب واحد سبق له أن درس العقيدة الأشعرية فعرفها جيداً،[-يشير الشيخ رحمه الله إلى نفسه؛ ولكنه من تواضعه لم يصرح-]فرفع إصبعه مستأذناً للسؤال، فأذن له، فقال للمدرس: هل هذا القول (كلام الله ليس بحرف ولا صوت) قول أهل السنة والجماعة؟ فقال المدرس: نعم، قال الطالب: أليس هذا قول الأشاعرة؟! قال المدرس هل هناك أهل السنة والجماعة غير الأشاعرة -يبدو من كلامه أنه ليست لديه فكرة عن مذهب السلف- قال الطالب: أهل السنة والجماعة هم السلف، فقولهم: إن هذا القرآن كلام الله حروفه ومعانيه.**

هنا غضب المدرس غضبة أشعرية فثار فتكلم على الطالب وغلظ له في الكلام، وفي أثناء حوار طويل وأخذ وردٍّ الذي استمر إلى نهاية الحصة نهض أحد الطلاب فسأل المدرس السؤال التالي قائلاً: هل هذا القرآن الذي نقرأه كلام الله أو شيء آخر؟ قال المدرس: نعم هو كلام الله مجازاً، فازداد الموضوع غموضاً لدى كثير من الزملاء، مما جعل بعض الطلاب يخرج فيتصل بالإدارة؛ ليخبر عن الواقع الذي جرى في الفصل، فانتهت الحصة، فبادر المدرس بالخروج -وهو غضبان- ولقد كانت الواقعة مفاجئة للجميع وللمدرس الذي ما كان يتوقع ذلك الحوار والنقاش، بل كان يظن أن الجو صالح لنشر العقيدة الأشعرية -تحت عنوان عقيدة أهل السنة والجماعة- وهو أسلوب مقبول بالجملة لدى طلاب المرحلة الثانوية؛ وهم لَمَّا ينضجوا بعد، وقد نشأوا في الإسلام، ولم يعرفوا الجاهلية بألوانها وأنواعها.

أما الطالب الصغير الذي ناقش المدرس فقد عاش في أول حياته العلمية أشعرياً درس العقيدة الأشعرية فأجادها ظناً منه أنها عقيدة أهل السنة والجماعة كما تزعم الأشعرية، ثم منَّ الله عليه بفضله سبحانه ويسر له أمره حتى درس العقيدة على منهج السلف الصالح، فأنقذه الله من جاهلية الأشعرية بعد أن أدرك ما فيها من الاضطراب والارتباك، ولاسيما في صفة الكلام، وبعد.. فعلمت إدارة المعهد ماجرى من النقاش الحاد في الفصل، فطلبت من المدرس الحضور

عليه الشيخ بالاستمرار بالدراسة في المعهد والاستفادة من كبار أهل العلم هناك، وسمى له جماعة منهم سماحة ابن باز رحمه الله، فعمل الشيخ بتلك النصيحة، وأخذ بذلك التوجيه، ولازم العلامة ابن باز ملازمة تامة طالباً ومدرساً.

واستمر الشيخ رحمه الله بملازمة حِلَق العلم المنتشرة في الرياض، فقد كان ملازماً لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رحمه الله منذ عام ١٣٧٢هـ، واستفاد و تأثر بسماحة المفتي العلاَّمة الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله. وغير هؤلاء كثير من الشيوخ الذين سيأتي ذكرهم في مبحث شيوخه.

ومنذ ذلك الحين ورغبة الشيخ الصادقة وعزيمته القوية تزداد في نشر ما تعلمه من العقيدة السلفية، والتحذير من العقيدة الخلفية، ولكنه في تلك الفترة يُغلِّب جانب التحصيل، ثم بعد أن أنهى الشيخ المرحلة الثانوية سنة ١٣٧٤هـ تقريباً، انتسب بكلية الشريعة في الرياض؛ لإكمال المرحلة الجامعية.

ولما رأى شيوخه ومنهم العلامة ابن باز منه الحرص على العلم والمثابرة فيه، قدمه لسماحة مفتي عام المملكة آنذاك العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله فتُعوقد معه للتدريس بمعهد صامطة العلمي بـ(جازان) فور وفاة مديره الحافظ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله سنة ١٣٧٧هـ.

قال إبراهيم الشعبي مبيناً حرص الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله على استمرار العملية التعليمية في صامطة بعد وفاة حافظها حافظ حكمي رحمه الله، وحاكياً كلامه للشيخ عبد الله القرعاوي وتلاميذه، -وقد كان إبراهيم الشعبي من بينهم-:"لستم مَن فقد الشيخ حافظاً وحسب، بل نحن نفقده أيضاً، وتفقده الأمة الإسلامية، يقول هذا وهو يبكي، ثم قال: أبشروا بالخير، لن ينقص عليكم شيء، بل سيزيد بإذن الله، ونحن سنضاعف الجهود،

=

لدى مدير المعهد، وبعد استجواب ومناقشة استتيب المدرس، فأظهر التوبة تحت الضغط، فمُكِن من التدريس إلى نهاية السنة، ثم استغنوا عنه، ولله الحمد والمنة"ا.هـ من كتاب (اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه) صـ١٥٥-١٥٦.

والعناية بمعهد صامطة. ووفى رحمه الله بما وعد؛ فبعث إلينا بعد ذلك بمدرِّسين مصريين، وأرسل إلينا الشيخ محمد أمان الجامي مدرساً في المعهد، وكان وقتها طالباً منتسباً في كلية الشريعة بالرياض، وكان على قدر من العلم والأدب رحمه الله..الخ"[1].

والمقصود أن الشيخ رحمه الله استمر في العلم والتعلم، فاستفاد رحمه الله من فضيلة الداعية المجدد عبد الله القرعاوي رحمه الله. ومكث هناك اعتباراً من ١٣٧٨/٣/١هـ، حتى تم افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سنة ١٣٨١هـ[2]، فاختير ضمن أعضاء هيئة التدريس بها اعتباراً من ١٣٨١/٥/١٦هـ. وفي هذا المقام يحضرني شهادة عالم عرفه مذ أقدم من تلك الفترة وهو فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته رحمه الله حيث قال:"فإن أخانا فضيلة الدكتور الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله عرفته منذ أمد بعيد، بعد أن قدم إلى هذه البلاد طالباً للعلم وراغباً في الخير وحريصاً على التزود من عقيدة أهل السنة والجماعة. عرفته في عام ١٣٧٢هـ. وفي مترل شيخنا وقدوتنا ووالدنا فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي رحمة الله علينا وعليه بالرياض، إذ كان ملازماً له ومستفيداً منه، فسألت عنه فأُخبرت بأن المذكور قادم من صامطة يدرس فيها، ويشترك في أداء الاختبار بالمعهد العلمي والكليات التابعة لآل الشيخ. والذي لفت نظري إليه في ذلك الحين هو حيويته وحرصه ونجابته، وعنايته بالتحدث باللغة العربية الفصحى، واستفساراته عن بعض المسائل المشكلة، الأمر الذي دل على أنه طالب علم متمكن.

و لم يمض كبير وقت حتى بلغني أن شيخنا رحمه الله قد عرض عليه مصاهرته؛ ليكون زوجاً لأخت زوجة الشيخ عبد الرحمن الأفريقي رحمه الله، وأنه قد عاش معها وولدت له ولداً قد توفي، وعلى هذا فقد تقوت به الصلة وازدادت العلاقة والمحبة.

وعندما فتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وإذا بفضيلة الشيخ محمد أمان يقدم إليها ضمن أعضاء هيئة التدريس بها، فكثر الاختلاط به وتعمقت المعرفة، الأمر

---

(١) المسيرة لداعية جنوب الجزيرة القرعاوي صـ١٤٥.

(٢) وعلى قلة الفترة التي مكث فيها هناك إلا أنه خلد فيها أثراً ما زال باقياً إلى الآن.

الذي أدى إلى معرفته على حقيقته ومن واقع التعايش معه، والحكم عليه بالخبرة والاختلاط لا بالسماع والافتراض"(١).

المطلب الثاني: رحلاته:

إن المتأمل في ما سبق وما سيأتي من سيرة الشيخ رحمه الله منذ نشأته في طلب العلم إلى أن توفي، يجد أن رحلاته كلها من أجل العلم أو التعليم، أو العلم والتعليم معاً، وهذا واضح وجلي لمن تأمل. وفيما سبق جملة من الرحلات العلمية والدعوية التي قام بها الشيخ، ويعتبر هذا المقام استكمالاً لمسيرة العطاء التي بذلها رحمه الله؛ في سبيل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، في شتى نواحي البلدان التي رحل إليها.

كان الشيخ رحمه الله يشارك في الدعوة إلى الله تعالى، وإرشاد الحجيج في المشاعر المقدسة، ضمن أساتذة الجامعة، أو بصحبة مركز الدعوة والإرشاد بالمدينة النبوية منذ استقراره في المدينة إلى سنة ١٤١٤هـ. قال الشيخ محمد حمود الوائلي رحمه الله:" ولقد ازدادت معرفتي به رحمه الله عندما رتبت الجامعة الإسلامية -وفقها الله- في عام ١٣٨٣هـ رحلة إلى الحج، وكان من بين أساتذة تلك الرحلة. وكنت واحداً من الطلاب الذين رافقوا تلك الرحلة، وقد أدركت تقديره لطلاب العلم، وبخاصة المجدين منهم، الذين اطمأنت قلوبهم بعقيدة السلف الصالح، وفاضت نفوسهم حباً وتعلقاً بها. وكان رحمه الله يقوم بجولات في داخل موسم ذلك الحج، يدعو حجاج بيت الله الحرام إلى العقيدة الصافية النقية الخالية من كل شائبة أو إشكال"(٢).

وكان الشيخ رحمه الله يصحب فضيلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا رحمه الله في رحلاته الدعوية الأسبوعية (الخميس والجمعة) كما أخبر بذلك الشيخ البنا رحمه الله(٣)، وفي العطلة الصيفية لعام ١٣٨٣هـ، كانت رحلتهم إلى بور سودان، وبعد أن أقام معهم يوماً

---

(١) كتابه المؤرخ ١٤١٧/٢/٨هـ، وانظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ٢٤-٢٥.

(٢) من كتابه المؤرخ بتاريخ ١٤١٧/٥/٢٩هـ.

(٣) انظر: سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ٢٤.

عزم على السفر إلى الخرطوم؛ لإجراء اللازم في السفر إلى الحبشة بواسطة السفارة الأثيوبية بالخرطوم؛ حيث كان على عزم لدخول الحبشة. وجعل الشيخ يسأل عن أمهات المدن فيما بين بور سودان والخرطوم، فوصفت له مدينة عطبرة ورُغِّب في النزول بها، وفيها أقام رحمه الله (المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية)(١).

وفي سنة ١٣٨٥هـ بعثت الحكومة السعودية وفداً دعوياً من الجامعة الإسلامية زار خلالها عشر دول أفريقية برئاسة فضيلة الشيخ العلامة المفسر الأصولي محمد الأمين الجكني الشنقيطي رحمه الله، وعضوية فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله وفضيلة الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله، وكانت الرحلة الدعوية مباركة حيث قابل فيها الوفد علماء البلاد التي زاروها، وناقشوهم ووضحوا لهم المفهوم الصحيح للإسلام، كما التقوا برؤساء الدول التي زاروها"(٢)، وقد أخبرني الشيخ اللغوي ابن عوف كوني حفظه الله أن الشيخ عطية محمد سالم قال:"لما ذهبنا في تلك الرحلة التي نظمتها الجامعة الإسلامية إلى أفريقيا، فكان يدخل على شيخنا الأمين رجالٌ عاقدي التمائم على أيديهم، فكنت أرى تغيراً شديداً في وجه الشيخ محمد أمان رحمه الله"(٣). وهذا من شدة غيرته على العقيدة رحمه الله.

وفي تاريخ ١٣٨٦/٤/١٠هـ اُنتدب إلى غربي أفريقيا لمدة ثلاثة أشهر(٤).

وقد انتدبته الجامعة الإسلامية للعمل بمعهد التضامن بمقديشو –الصومال- من غرة جمادى الثانية ١٣٨٧هـ، حتى ١٣٩٠/١١/٣٠هـ وقد عمل مديراً للمعهد، وقام بهذا العمل خير قيام.

وكلف رحمه الله من قبل الجامعة الإسلامية للتدريس في باكستان، جامعة لئل فور(١)، لمدة سنتين، اعتباراً من ١٣٩٢/١٠/٢٠هـ. فدرَّس الشيخ في تلك الجامعة وأسهم في

---

(١) محاضرة للشيخ تم طبعها سيأتي الكلام عليها في مبحث: مؤلفاته.

(٢) للاستزادة انظر: لمحات فيصلية، (الرحلة إلى أفريقيا) طبع فيها الأشرطة العشرة المتضمنة محاضرات الشيخ الأمين رحمه الله، وانظر سيرة فضيلة الشيخ صـ١١٥.

(٣) في مجلسه بعد أحد دروس ١٤٣١هـ.

(٤) بموجب قرار ٦٤ بتاريخ ١٣٨٦/٤/١٠هـ. كما هو مدون في ملف الشيخ.

وضع مناهجها الدراسية، وأخبرني الأخ حبيب الرحمن[٢] بن الشيخ عبد الوهاب بن محمد حنيف: أن والده تعرف على الشيخ محمد أمان رحمه الله في تلك الفترة وزامله، وكان للشيخ الفضل بعد الله تعالى في تقديم أوراق والده وأوراق الشيخ عبد الرحمن خليق، للشيخ ابن باز رحمه الله الذي عينهما داعيتين إلى الله في تلك المنطقة اعتباراً من ١٣٩٤/٨/١هـ، وكان في تعيينهما بداية لنشأة المرحلة الثانية للدعوة السلفية هناك، حيث انتعش فيها الخير وانتشرت السنة، ومن ذلك: أنه يوجد بها جامعتان، ويتبع لتلك الجامعتين حوالي ثمانين مدرسة تقريباً منتشرة في ربوع تلك المنطقة، فإن سألت عن عدد طلابها؟ فيربو على ستة آلاف طالب وطالبة، إلى غير ذلك من مئات المساجد التي بنيت وصارت تابعة للسلفيين[٣]. وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى هذا الخير في بعض رسائله فقال:"**ولعلكم على علم بأن المدارس الأهلية قد لعبت دوراً هاماً في القارة الهندية في ميدان نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وقد بدأت تلكم المدارس بمدارس تحفيظ القرآن في المساجد ثم انتهت إلى التعليم الجامعي، ولا تزال تعمل وتؤدي واجبها إلى اليوم، وهناك جامعات كثيرة في كل من الهند وباكستان تخرج علماء فطاحل في علوم الحديث بالهند وعلوم القرآن واللغة العربية، وأذكر على سبيل المثال جامعة بنارس لأهل الحديث بالهند، وجامعة لائلفور بباكستان، وقد عملت في جامعة لائلفور مدرساً منتدباً من الجامعة الإسلامية لمدة سنتين، وعرفت المجهود الجبار الذي يقوم به شعب باكستان في سبيل خدمة دينهم ولغة دينهم، دون حاجة إلى الدولة إلا للاعتراف فقط. والجدير بالذكر أننا صرنا نحتاج إلى استعارة علماء في علم الحديث من الجامعات الأهلية في الهند وباكستان؛ ليقوموا بتدريس علوم الحديث في جامعتنا في البلاد العربية، ويوجد**

=

(١) نسبة للمنطقة وتسمى الآن فيصل آباد.

(٢) الأخ ما زال يحضر الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بكلية الحديث الشريف.

(٣) في جلسة مع الأخ حبيب الرحمن في المسجد النبوي بتاريخ ١٤٣٢/٢/٢٧هـ.

الآن في الوقت الحاضر أساتذة من باكستان في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.."[1].

ويحسن التنبيه على أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حصل على الماجستير من جامعة البنجاب في تلك الفترة.

وقد أشار الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى جملة من رحلاته وبعض الآثار الإيجابية التي جنتها تلك الزيارات، ودور الجهود التي تبذلها المملكة لتصحيح مفاهيم الدين عند كثير من تلك الدول، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**"تمكنت بتوفيق من الله من زيارة عديد من دول القارة، وأكثرها في غرب أفريقيا، والفضل في ذلك راجع- بعد الله- للجامعة الإسلامية؛ إذ كنت عضوا في وفود الجامعة التي ترددت إلى تلك الدول للزيارة الأخوية والدعوة والتوجيه والتوعية وللمساهمة مع الدعاة القائمين بالدعوة هنالك.**

وإذا قارنَّا بين زيارتنا لتلك الدول في سنة ١٣٨٥هـ وسنة ١٣٨٦ هـ وبين زيارتنا في الصيف الماضي سنة ١٣٩٥هـ وجدنا ما يفرح القلب ويثلج الصدر: من سير الدعوة الإسلامية في تلك الدول، وتقدمها ولله الحمد والمنة. والدول التي تمت لنا زيارتها هي:

تشاد، والكميرون، ونجيريا، وداهومي، وتوجو، والنيجر، وساحل العاج، وفولتا العليا، ومالي، وسنغال، وليبيريا، وسيراليون، وموريتانيا، وغانا، وغينيا.

وفي زيارتنا الأولى والثانية كنا نلاحظ! في بعض تلك الدول المذكورة غربة شديدة يعانيها الدعاة والدعوة معاً، وكان وضعهم يشبه تقريباً وضع الصحابة يوم كانوا في دار الأرقم بن أبي الأرقم قبل إسلام عمر وحمزة رضي الله عنهما، والدعوة في مهدها سرية. وخوف على النفس وخوف على الدعوة أن يقضى عليها- دعوة باسم الدعوة الوهابية ما أشبه الليلة بالبارحة.

وأما في زيارتنا الثالثة في الصيف الماضي. فقد أسلم عمر وحمزة معاً، وسلمت الدعوة وزال الخوف، وأمن الدعاة على أنفسهم وعلى دعوتهم، بل جدوا بها، بل بنوا

---

(١) طريقة الإسلام في التربية ضمن المجموع صـ ٢٩٩.

مساجد للجمعة والجماعات، وأسسوا مدارس وأنشأوا جمعيات تحت عنوان (الجمعية المحمدية) أو جمعية أهل السنة أو ما يقارب هذه الألفاظ على اختلاف بلدانهم.

ولقد لاحظنا في الدعاة السُنيين روحاً عالية، وعزيمة ماضية، وروح الجهاد، والتضحية مع ما ينقصهم من الإمكانيات المادية والثقافية، ولكنهم في الواقع أنشط وأصدق في دعوتهم من كثير من الذين يملكون الإمكانيات الضخمة مادية وثقافية والله المستعان"[1]. وقال أيضاً:"**زرنا ذات مرة -أكرر هذه القصة- خمسة عشر دولة في غرب أفريقية، فوجدنا منهجنا الذي يدرسه أبناؤنا هنا في المرحلة الابتدائية أو المتوسطة، منتشر هناك في المدارس الأهلية، هذا الكتاب الذي كنا ندرسه يحفظ، وكشف الشبهات وكتاب التوحيد والأربعين النووية وعمدة الأحكام، أولاد أفارقة عجم يحفظون حفظ الفاتحة هذه الكتب، فوقفنا في وسطهم في مدارسهم، واستمعنا إليهم، وفي عبادتهم وصلاتهم تذكرك صفة صلاة النبي عليه الصلاة والسلام، علماً بأن المنطقة منطقة مالكية، ولكن المدرسة حولت وأوجدت بيئة أخرى سلفية، وهكذا وجدناها في القارة الهندية في الهند وباكستان، وأنتم تعلمون الآن انتشارها في أوربا وأمريكا وفي كل مكان، ذكرت بعضه، ولم أذكر كله تصديق لخبر رسول عليه الصلاة والسلام (لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم)**[2]"[3].

وفي تاريخ ١٣٩٥/٩/١٦هـ انتدب رحمه الله إلى مالي والنيجر؛ للقيام بالدعوة إلى الله تعالى لمدة اثني عشر يوماً[4].

---

(١) سير الدعوة في أفريقيا عبر التاريخ ضمن المجموع صـ ٣٢٨-٣٢٩. وراجع محاضرة بعنوان:(ليس من النصيحة في شيء) الشريط (٢).

(٢) رواه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (٤٩٥٥).

(٣) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٢) .

(٤) بموجب خطاب ٣٤١١خ ١٣٩٥/١٢/٦هـ، كما هو مدون في ملف الشيخ.

وقد مثل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجامعة الإسلامية التي هي بدورها ممثِلة للمملكة العربية السعودية، في (مهرجان ابن رشد) المقام بتونس، وقدم بحثاً بعنوان: (العقل والنقل عند ابن رشد)، كُتِب بتاريخ ١٣٩٨/٧/٢٥هـ[١].

ومثل الجامعة الإسلامية في الندوة الدينية التي نظمها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لمسلمي كينيا، بدولة كينيا بنيروبي، ببحث بعنوان:(نظام الأسرة في الإسلام)[٢].

ومثَّل الجامعة الإسلامية في الندوة الدينية التي نظمها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في جمهورية نيجيريا بجامعة (بايرو) بكانوه، وقدم بحثاً بعنوان: (طريق الإسلام في التربية)[٣].

وعندما وجهت جماعة (التبليغ والدعوة) للجامعة الإسلامية دعوة لحضور لقاء إسلامي كبير يعقد في (داكا) عاصمة (بنغلادش) فلبّتْ الجامعة الطلب، فبعثت الشيخ محمد أمان الجامي، والشيخ عبد الكريم مراد؛ للمشاركة في ذلك اللقاء المقام بتاريخ ١٣٩٩/٢/١٥هـ[٤].

وقد كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ محل ثقة تامة عند الشيخ بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد اختاره للعمل في إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وتعيينه مديراً لمركز الدعوة في جيبوتي، فطلب الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من مدير الجامعة آنذاك د. عبد الله الصالح العبيد الموافقة على انتداب الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ للعمل بمكتب الملحق الديني بجيبوتي، وبموجب قرار مجلس الجامعة[٥]، تمت الموافقة على إعارة الشيخ لمدة أحد عشر شهراً، اعتباراً من

(١) راجع: مقدمة العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ ٢٤١.

(٢) انظر: مقدمة نظام الأسرة في الإسلام صـ٥.

(٣) انظر مقدمة طريقة الإسلام في التربية ضمن المجموع صـ ٢٨٥.

(٤) انظر: تقرير الشيخ حول جماعة التبليغ، وراجع: مبحث جهود الشيخ في الرد على جماعة التبليغ فيما سيأتي.

(٥) كما هو مدون في ملف الشيخ.

١٤٠٥/٢/١هـ، للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وبطلب من سماحة رئيسها بُعث مديراً لمكتب الدعوة في جيبوتي، وكما هو معروف عن الشيخ رحمه الله فقد كان يؤدي عمله على أحسن وجه، جاعلاً نصب عينيه الهم الذي بعثه من أجله سماحة الشيخ، وهو الدعوة إلى الله وتصحيح عقائد الناس، وتبصيرهم بتعاليم الدين، وبعد انتهاء الفترة التي عينتها له الجامعة كتب سماحة العلامة ابن باز كتاباً قال فيه:"إلى معالي الدكتور عبد الله بن صالح العبيد رئيس الجامعة الإسلامية الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

سبق أن تكرمتم بالموافقة على إعارة خدمات فضيلة الدكتور محمد أمان بن علي الجامي بعمل الملحق الديني بجيبوتي، **وقد باشر هذا العمل ونفع الله به كثيراً في نشر العقيدة السلفية في تلك البلاد، وأطفأ به فتنة كبيرة وقعت بين الدعاة وبعض المسئولين من أهل البلاد، وهدأ الأمور بحكمة وأصلح الله به الأحوال، حتى أصبح المناوئون للدعوة السلفية أنصاراً لها ودعاة إليها، وصاروا يلهجون بالثناء على المملكة والمسئولين فيها بعدما كانوا يسبوهم ويصرحون بعداوهم لها وذمها، وقد ورد إلينا كتب من المسئولين هناك يطالبون ببقاء الدكتور محمد أمان، ويذكرون ما حصل بسببه من الخير الكثير للبلاد وأهلها في أمور دينهم ودنياهم**، وآخر ما ورد إلينا كتاب معالي وزير العدل هناك نرفق لمعاليكم صورة منه؛ ولأجل ذلك وتقديم للأهم على المهم، **فإننا نرجو من معاليكم التكرم بالموافقة على تجديد الإعارة سنة أخرى، ولعلنا نجد من يقوم بعمله، بعد ذلك يعود إلى الجامعة تقديراً لما ذكرنا، وما حصل ويحصل إن شاء الله ببقائه هذه السنة من النفع العظيم، وأنا أدرك أهمية بقائه في الجامعة لسلامة عقيدته وحسن سيرته ومحبة طلاب العلم له وقبولهم لتوجيهه وانتفاعهم بعلمه، ولكني أرجو أن تجدوا في بقية إخواني المشايخ الموجودين بالجامعة من يسد مسده ويقوم مقامه، كما حصل في السنة الكاملة التي غابها عن الجامعة.** وأسأل الله أن يجعلنا وإياكم مباركين أينما كنا،

وأن ينفع بجهود الجميع إنه جواد كريم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الرئيس العام"[(١)].

وهكذا تظهر ثمرة العمل المنبثق من الإخلاص الصادق، الذي تُؤتى ثماره حيثما حل، وأينما كان.

هذه مجمل رحلات الشيخ الدعوية التي ملأها بالبذل والعطاء ونفع الآخرين، ونشر دين الله والدعوة إليه، وتصحيح مفاهيم المخالفين.

ولم تقتصر رحلاته الدعوية على خارج المملكة، بل كان لداخلها النصيب الأوفر، فكان يجول فيها كل ما سنحت له الفرصة، ومن ذلك: أن مدينة (جدة) حظيت بدروس مستمرة من الشيخ رحمه الله فكان يأتيهم باستمرار، ومن الدروس التي درسها في جدة (شرح العقيدة الواسطية للهراس) في مسجد الأنوار بحي الصفا، ومسجد الأمير متعب. وبعد أن أنهى الواسطية شرع في الحموية الكبرى ولكن عاقه المرض؛ إذ اشتد عليه في تلك الفترة، إضافة إلى المحاضرات والندوات التوجيهية التي كان يعقدها هناك. كما كان رحمه الله يقوم بجولات دعوية للمنطقة الشرقية والظهران والإحساء والدمام والجبيل والخبر، والرياض، والخرج، وغير تلك الأماكن التي يأتيها موجهاً ومرشداً ومدرساً.

وبهذا العرض الموجز يتضح جلياً أن حياة الشيخ رحمه الله كلها جهاد في جهاد، مليئة بالكفاح والعمل الدؤوب في الدعوة إلى الله تعالى، بتلك الرحلات المتتابعة والمتلاحقة، داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، وهمه في كل ذلك تعليم الناس وإرشادهم وتوضيح الحق لهم وتحذيرهم من كل ما يكدره أو يعكر صفوه. وبالله التوفيق.

---

(١) كتاب رقم ١١٢٢/خ بتاريخ ١٤٠٥/١٠/٩هـ، انظر: ملف الشيخ في الجامعة الإسلامية.

المطلب الثالث: مؤهلاته العــلمية:

١- حصل على الثانوية من المعهد العلمي بالرياض.

٢- ثم انتسب بكلية الشريعة: التي أصبحت فيما بعد جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحصل على شهادة إتمام الدراسة العالية (الليسانس) كلية العلوم الشرعية بتاريخ ٦/٥/ ١٣٨٠هـ.

٣- ثم حصل على معادلة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة البنجاب في مايو سنة ١٩٧٤م/ ١٣٩٣هـ.

٤- ثم حصل على شهادة الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة، حيث قدم رسالته (الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتتريه) إشراف د. مصطفى بن محمد حلمي. وقد حضر مناقشته جمع كبير، وكان فيها بفضل الله نصرة لمنهج السلف المستغرب في تلك البلاد[1]، قال الشيخ محمد بن حمود الوائلي رحمه الله:"وقد حضرت مناقشة رسالته في مرحلة الدكتوراه -في دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة بمصر- وكان يسعى في عامة مباحثها إلى بيان صفاء عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجها، وتجلت شخصيته العلمية في قدرته -أثناء المناقشة- على كشف زيف كل منهج خرج عن منهج عقيدة السلف، وبطلان كل دعوى صوبت نحو دعاهّا المخلصين، الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها، والوقوف عندها، والدعوة إليها، ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بها من هذه العقيدة"[2].

---

(١) المقصود في ذلك الوقت في تلك الجامعة.

(٢) من كتاب الشيخ المؤرخ بتاريخ ٢٩/٥/١٤١٧هـ.

المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه:

صفاته الخَلقية وهيئته:

كان الشيخ محمد أمان رحمه الله أسود اللون، طويلاً، صحيح البنية، يخضب لحيته، ومعلوم أن الصفات الخَلقية لا يتوجه بها أو منها مدح أو قدح لمخلوق، وإنما في ذلك مدح لخالقه وموجده الذي خلقه على هذه الصورة، وميزه ورفعه بالعلم مع أنه هو وغيره من صنع الله الذي أتقن كل شيء، فلا أكرم لأبيض على أسود إلا بالتقوى(١).

وكان رحمه الله ذا هيبة ووقار، بريء من التكبر والتصنع، جاداً فلا يجرؤ الطلبة على الضحك والمزاح في مجلسه؛ هيبة له وإجلالاً، وقد أخبرني أحد طلابه أنه جلس مجلساً وكان فيه مجموعة من أهل العلم، وكان كلٌ منشغلاً بجاره، فلما دخل الشيخ سكت الجميع؛ إجلالاً له رحمه الله. ومع ما تحلى به من هيبة، فقد كان هيناً ليناً حسن المعاشرة متواضعاً، فالتواضع خلقه الذي لا ينفك عنه، وما سبق بيانه من ميله رحمه الله إلى عدم الظهور والشهرة إلا من شدة تواضعه، ومع غزارة علمه فكثيراً ما كان يُظهِر لمستمعيه أنه طالب علم، وكثيراً ما يقول:(طالب علم صغير مثلي ومثلكم)(٢)، ويُرشد إلى غيره من أهل العلم، وكان رحمه الله محباً للطلاب فتأتيه بعض الأسئلة مشتملة على مدحه والثناء عليه،

---

(١) وبالمناسبة فمن صنوف الأذى التي تعرض له الشيخ رحمه الله أنه عُيِّر بلونه، وصدق فضيلة الدكتور محمد بن هادي حفظه الله حين قال في قصيدته المسماه بـــ(شيخَ الأكابر):

يعيرك الأنذال باللـــون مـــا دروا	بأن سواد المســـــك ليس بضائر
وأن ســـواد العود ما ضر طيبـــه	فريحتـــه محبـــوبةً في المبـــاخـــر
يزيدونه حـــرقاً ويزداد طيبه انتـــ	ـــشارا على الأقوام من كل حاضر
فواعجباً من فعلـــهم وجـــزائـــه	يزيـــدون إحراقاً ويجزي بعـــاطـــر

(٢) راجع: توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (١).

فكان يكره ذلك ويقول:"**لا استحسن قراءتها؛ لأن فيها نوع من الثناء بما لا استحق أنا؛ لأنه لا يعلم مني شيئاً**"(١).

وكان رحمه الله زاهداً مستشعراً الكفاف والعفاف، مجانباً الهمز واللمز والغيبة، فلا يطعن ولا يُغتَاب في مجلسه، ولا يسمح بنقل الكلام وعيوب الناس إليه، وإذا وقع بعض طلبة العلم في خطأ طلب الشريط أو الكتاب فيسمع أو يقرأ، فإذا ظهر له أنه خطأ، قام بما يجب على مثله من النصيحة(٢).

صفاته الخُلُقية:

لقد تمتع الشيخ رحمه الله بأخلاق عظيمة ومزايا كريمة وسجايا فاضلة وصفات حميدة ومناقب جمة، ومن عرف سيرة الشيخ رحمه الله أو تأمل فيما ذكره العلماء الذين عاصروه وخالطوه في دراسته وفي أعماله بل وفي حله وترحاله تبين له صحة ذلك(٣)، وقد ذكر الشيخ مصطفى وفقه الله ما يربو عن خمس عشرة خصلة، وقد لمست كثيراً من تلك الخلال من خلال سماعي لشروحه ومحاضراته.

كان رحمه الله كثير العبادة حريصاً مجداً فيها، حاثاً طلابه عليها، فتجده قوَّاماً بالليل يحيه بالصلاة، فيأتي إلى المسجد النبوي عند الأذان الأول فيقوم الليل في الروضة الشريفة(٤)، ومرة رآه عدد من الطلاب وهو يصلي بالليل، فتخفى عنهم عندما أحس أنهم علموا بحاله، فكان يتقدم للصفوف الأولى(٥)، واستمر رحمه الله على قيام الليل حتى في شدة

(١) راجع السؤال (١٠) بعد محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله)

(٢) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـــ٤٨.

(٣) سيأتي جملة من كلام أهل العلم في المبحث الرابع من هذه الترجمة.

(٤) أخبرني بذلك ابنه علي وفقه الله.

(٥) ذكر ذلك الشيخ مصطفى في سيرة الشيخ صـــ ٤٧.

مرضه، وعندما كان يعالج خارج البلاد السعودية. وكان رَحِمَهُ اللهُ كثير الصوم وخصوصاً يومي الإثنين والخميس، بل كان يوقف درسه أحياناً؛ تحفيزاً للطلاب على ذلك(١).

وكان رَحِمَهُ اللهُ بكاءً يستشعر مراقبة الله تعالى له، فتأتيه العبرة في الدرس ويخفي ذلك بشتى الوسائل حتى إنه لا يعلم بحاله أحياناً إلا المتقدمين في الحلقة(٢)، وقد لمست ذلك في مواطن من شروحه، بل أخبرني أحد مشايخي أنه لما أكثر المغرضون الشائعات عن الشيخ –التي لا أستحسن ذكرها– ابتعد عن حضور دروسه، وبعد فترة رجع إلى الحلقة –شوقاً للدرس– محبذاً الجلوس خلف كرسي الشيخ؛ خشية أن يراه، فتكلم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كلاماً عن علو الله تعالى على خلقه فلم يملك نفسه حتى ذرفت عيناه(٣)، عندئذ أيقن التلميذ أن تلك الشائعات إنما هي بسبب حملات التشويه والتضليل. والمقصود بيان ما تميز به الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من رقة القلب والخشية لله تعالى –فيما نحسب–، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .

ومما تمتع به الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قوة عزيمته وإرادته وعلو همته، ومن تأمل ما سبق من رحلاته التي منشؤها العزيمة الصادقة لطلب العلم أو للدعوة إليه أو لهما كليهما لاح له ذلك.

---

(١) أخبرني بذلك الشيخ د. محمد بخيت الحجيلي وفقه الله.

(٢) أخبرني بذلك الشيخ د. خالد عبد اللطيف، في جلسة بعد حج ١٤٣١هـ.

(٣) قال الشيخ مصطفى:"وربما بكى إذا كان يتكلم في صفة من صفات الباري عز وجل، وأخذ يتكلم عن آثار تلك الصفة الإلهية في النفس البشرية والكون، فيجهش بالبكاء –رحمه الله– تعظيماً لله" سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ ٤٧. وراجع: شرح قرة عيون الموحدين الشريط (١٢) و (أ)، فما إن تحدث الشيخ عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلا وأخذته العبرة.

وكان رحمه الله سخياً كريم النفس باذلاً لماله ونفسه وجسده في سبيل الله[1]، كثير النفقة والجود وخصوصاً لطلاب العلم المقيمين والوافدين من الداخل والخارج، وهذا مشهور عنه عند من عرفه، قال الشيخ مصطفى:"فمرة ذهب مع مجموعة كبيرة من الطلبة بعد العشاء إلى إحدى المكتبات القريبة من المسجد النبوي، فأخذ الأخوة ما احتاجوه من كتب، وعندما تقدموا لدفع قيمة الكتب أخبرهم الكتبي بأن الشيخ قد دفع قيمة الكتب. وأيضاً كان يشتري نسخاً كثيرة للكتاب الذي يدرسه فيوزعه على طلبة العلم. وكثيراً ما كلفني بشراء الكتب والأشرطة؛ لتوزيعها على بعض الطلبة من داخل المملكة أو خارجها، فيدفع إليَّ المال، وأفعل ما يأمرني به رحمه الله"[2]. ومن عجيب ما اطلعت عليه من أحد طلابه، مما يدل على إخلاصه في البذل والعطاء:"أن الشيخ رحمه الله بعث إلى ذلكم الطالب مبلغاً من المال وكتبه في ورقة وعليها توقيعه، وطلب منه أن يكون هذا المبلغ بينهما؛ لصالح طلاب العلم وخصوصاً المحتاجين منهم، ولشراء الكتب العلمية. قال الطالب: فلما توفي الشيخ رحمه الله نميت هذا المبلغ له، وأصبحت صدقته جارية مستمرة إلى الآن، وهنا تذكرت قول المولى جل في علاه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ . ومن صور الجود التي تحلى بها الشيخ رحمه الله أنه قبل وفاته بعشرة أيام أوقف عقاراً؛ لتصرف غلته في الجهاد القائم في الحبشة عن طريق: الجبهة الإسلامية لتحرير أوروميا[3].

(١) وانظر: مبحث أعماله: ومساهمته للجهاد في بلاد الحبشة صـ١٣٥.

(٢) سيرة فضيلة الشيخ صـ ٥١.

(٣) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ١١٩.

وكان رحمه الله شديد التمسك بدينه قوي الصدع به، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ناصحاً لله ولكتابه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم(١)، فلا تكاد تسمع له محاضرة إلا وتشعر من خلالها النصح الصادق للشباب والدعاة والمصلحين، وخصوصاً فيما تستجد من فتن وابتلاءات، بل يتعدى نصحه للمخالفين بشتى طرق النصح؛ شفقة عليهم وحرصاً منه على هدايتهم، وسعياً في تخفيف أتباعهم الذين قد يضلِون بسببهم، وردوده رحمه الله شاهدة على ذلك. وجل تلك النصائح تنصب على همه الكبير وشغله الشاغل وهو: جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، وتصحيح عقائدهم؛ وذلك بالتصدي للأفكار المنحرفة التي راجت عليهم؛ بسبب معرفتهم لسبيل المؤمنين، وعدم خبرتهم سبيل المجرمين –كما كان يشير إلى ذلك كثيراً-.

وكان رحمه الله شجاعاً عزيز النفس جريئاً صريحاً، لا يجامل ولا يداهن، ولا يكتم ما في نفسه، ولا يخشى في الله لومة لائم، إن ظهر له الحق صدع به، ولا يعبأ بالرد على من خالفه، وكانت شجاعته محلاة بالأخلاق العالية، ومتضمنة –فيما نحسب- الاعتماد الكلي على المولى جل في علاه، فكم حاول خصومه أن ينالوا منه، وكم أوذي ونِيل منه، وصادف كثيراً من الكيد والمكر، ولم يصرفه ذلك عن توضيح الحق الذي يدين الله به.

ومع ما تمتع به الشيخ رحمه الله من تلك الشجاعة التي يعسر على مثلي وصفها؛ وهي مشهورة عنه، فقد كان حليما عفواً، قال الشيخ مصطفى:"وقد حضرته مراراً بالمسجد النبوي أو في الطريق يأتيه بعض من كان ينال من عرضه، أو يطعن أو يفتري، فيستسمح منه رحمه الله تعالى فيقول: (أرجو الله تعالى ألا يُدخل أحداً النار بسببي)، ويسامح من يتكلم في عرضه، ويقول:(لا داعي لأن يأتي من يعتذر، فإني قد عفوت عن الجميع) ويطلب من جلسائه إبلاغ ذلك عنه.

---

(١) راجع محاضراته في ذلك، ومنها: ليس من النصيحة في شيء، الدين النصيحة، فقه النصيحة وغيرها.

وقد تعرض رَحِمَهُ اللهُ مرة للضرب أثناء محاضرة له[1] بحضرة بعض العلماء، وجمع من طلبة العلم، وعندما قُبِض على من حاول ضربه عفا عنه وتنازل عن حقه.

وأيضاً عفا عن الطالب الأشعري بالجامعة الإسلامية، بل وسعى في عدم فصله من الجامعة، فقد كان الشيخ في قاعة الدرس بالجامعة الإسلامية يقرر عقيدة السلف، ويدحض شبه المبتدعة، فقام طالب وتكلم على الشيخ بسبب تقريره للعقيدة السلفية، فقام أحد الطلبة الصادقين في سلفيته فأخبر عميد كلية الشريعة، فكون العميد لجنة للتحقيق مع الطالب الأشعري، فقررت اللجنة فصل الطالب من الجامعة، وكل هذا حصل والشيخ لا يعلم به، فعندما علم رَحِمَهُ اللهُ طلب عدم إنفاذ ما رأته اللجنة من فصل الطالب"[2].

ولما اتهمه بعض الدعاة[3] بأنه يبيح الربا قال:"**عفا الله عنه سواء كان بسوء فهم أو بسوء قصد، وأسأل الله أن لا يعاقبه فيَّ، وأنا ساعٍ في إصلاحه**"[4]. والمواقف كثيرة[5] والمقصود بيان ما تحلى به الشيخ من العفو والحلم والصفح، والحرص على توصيل الحق والتحذير من الباطل، دون انتقام للنفس.

وكان رَحِمَهُ اللهُ كثيراً ما يرسخ هذا المعنى في نفوس طلابه قولاً وفعلاً، قال رَحِمَهُ اللهُ:"أن تعفو عمن ظلمك، وهذا موقف عظيم وعظيم جداً، قد يظلمك إنسان في نفسك، ويعتدي عليك ولا تحاول أن تقابل السيئة بالسيئة، بل تحاول أن تقابل السيئة بالحسنة وتعفو، وربما في مثل هذه الأيام يُنقل إليك فلان قال فيك كذا، فلان اغتابك، وقال: كذا، وظلمك وفعل وفعل، عليك أن تقول: عفا الله عنه وتعفو وتصفح، هذا من مكارم

---

(١) وهذه المحاضرة كانت بعنوان (الدين النصيحة) في مسجد الشيخ عبد المحسن العبيكان، وهو الذي قدَّم للشيخ فيها.

(٢) سيرة فضيلة الشيخ صـــ ٥٠.

(٣) هو الدكتور سفر الحوالي.

(٤) راجع شريط بعنوان: (تحقيق المعية).

(٥) راجع: شريط بعنوان: (الإجابة العلمية على من تاب من الحزبية).

الأخلاق، وتزداد بذلك عند الله عزاً، إذا عفوتَ وأنت قادر على الانتقام إما بنفسك أو بواسطة السلطة ومع ذلك عفوت وتجاوزت يرفع الله لك درجة؛ **لذلك نحن نعفو عن كل من ظلمنا من إخواننا سواء كانوا حاضرين أو غائبين، ونسأل الله ألا يأخذ أحداً ولا يؤاخذ ويعاقب أحداً من إخواننا المسلمين بسببنا**، فنرجو من الجميع أن يتبادلوا معنى العفو والصفح؛ لنعمل مجتمعين واقفين في صف واحد في السير إلى الله، ونصح عباد الله وتعليم الجاهلين من إخواننا المسلمين وتذكير الغافلين"(١).

لم تكن صفة العفو والصفح هي المميزة للشيخ رَحِمَهُ الله عن كثير من أهل العلم فحسب، بل كان الصبر الذي تحلى به غاية في الوصف، وذلك ظاهر لمن تأمل سيرته المحفوفة بكثير من المصاعب في تحصيل العلم والغربة في طلبه أولاً، ثم ما لاقاه من صنوف الأذى بعد ذلك ثانياً، فتجده صابراً على الدعوة مثابراً عليها، لا ينقطع ولا يَملُّ، بل وصابراً على ما يعترض دعوته من معارضات ومجادلات، وصابراً على ما يناله من الأذى في سبيل نشره للعقيدة الصحيحة والدعوة إليها. حريصاً على ترسيخ هذه المعاني في نفوس الطلاب، ومن ذلك قوله:"**فعلى دعاة الحق أن يقفوا موقف الدعاة الأولين الذين دافعوا عن هذه العقيدة وصبروا عليها واستماتوا في سبيل الدفاع عنها، وتحملوا الأذى في سبيل إثباتها ونشرها، وألفوا في ذلك كتباً وانتشرت هذه الكتب التي بين أيدينا**"(٢).

ومما حبى الله به الشيخ رَحِمَهُ الله -مما يعسر على كثير من النفوس- أنه كان رجاعاً للحق، إن ظهر له خلاف ما هو عليه، وهذا حال المؤمنين الصادقين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . ومن تأمل واقع الشيخ العلمي والتطبيقي منذ نشأته

---

(١) التعليق على شرح الهراس للواسطية الشريط (٣٤) و (أ).

(٢) المصدر السابق الشريط (٢٥) و (ب).

لاح له ذلك؛ فإنه نشأ على تعلم العقيدة الأشعرية والتصوف، وما إن قرأ الأصول الثلاثة حتى شرح الله صدره لترك ما كان يعتنقه، فعلم أنه الحق، وهذا من توفيق الله تعالى له.

والأمثلة على تراجعه رحمه الله كثيرة ومنها: ما ذكره فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود وفقه الله حيث قال: "ومن ذلك ما أذكره دليلاً على أن الشيخ محمد أمان رحمه الله تعالى وقافاً عند الحق رجَّاعاً إليه؛ أنني راجعته فيما أورده على حديث الصورة (خلق الله آدم على صورته)[(١)] من أن الضمير يعود إلى آدم، فلما بينت له كلام الشيخ أبي بطين[(٢)] في الدرر السنية، وغيره من العلماء والأئمة، استرجع الأمر وقال: أجل أنا اتبعت ابن فورك! واستوثق مني بأن أخذ أرقام صفحات الدرر السنية للشيخ ابن قاسم المذكورة، وعلمت أنه رجع رحمه الله بدون أدنى تردد، وأنا أُعتبر من صغار تلامذته علمياً. وذكرت ذلك؛ لأبين أيضاً أن ما ورد في رسالته (المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية) عنه من كلام على الصورة قد رجع عنه إلى كلام العلماء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره[(٣)]؛ لئلا يتوهم واهم أن ما في تلك المحاضرة المنتشرة من ذلك لم يرجع عنه الشيخ محمد أمان"[(١)].

---

(١) رواه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٧١٦٣).

(٢) كذا في الأصل ولعل الصواب (أبا بطين) لكونه لقب وليس كنية.

(٣) وقد قرر الشيخ رجوعه في غير موطن منها: إجابة على سؤال عن حديث الصورة بعد درس (شروط لا إله إلا الله) الشريط (١) و (ب)، حيث قال:"ربما قرأ بعضكم محاضرة بعنوان:(المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية) محاضرة قديمة كتبتها، لعلها أول محاضرة، للرد على محمود محمد طه السوداني الذي هلك، الذي كان يتخبط أحياناً يدعي النبوة وأحياناً يدعي الربوبية، أنشأ له جماعة يسمون الجمهوريون..وفي هذا الحديث لما أورده ناقشته فيه، وفي ذلك الوقت لم يثبت عندي و لم يصح الحديث الثاني: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن)؛ لذلك لم ألتفت إليه و لم أعرج عليه؛ لأنه لم يثبت عندي في تلك اللحظة، ومن قرأ كلامي في تلك المحاضرة يشعر بأني ربما جعلت هذا الحديث ليس من نصوص الصفات، هكذا فهمت، وهكذا ذكر كثير من أهل العلم، ولكن لنا اليوم كلام غير ذلك الكلام، أي: زيادة إيضاح. القول الأول من أقوال أهل العلم: إن الضمير في قوله (فإن الله خلق آدم على صورته) راجع للمضروب..ويسمونه التشبيه المقلوب، فيه تشبيه الفرع

ومن ذلك ما أشار إليه تلميذه الشيخ مصطفى من رجوعه رحمه الله عن خطأ وقع في رسالته النافعة (تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة)(٢)، وذلك في قوله:(القرآن الكريم **عبارة** عن رسالة بعثها الله إلى أهل الأرض..) حيث قال:"فهذه العبارة رجع عنها المؤلف رحمه الله تعالى كما أخبرني هو بذلك، وبأنه سيعدلها في طبعة قادمة، ولكن وافته المنية قبل أن يحقق ما أراد، فالواجب على من يرى ذلك أن يصلح هذه العبارة، ويبدلها بعبارة ليس فيها لبس ولا إيهام، والله الموفق"(٣).

=

بالأصل..هذا معنى وهذا قول. القول الثاني: من نظر إلى آخر الحديث جعل مرجع الضمير آدم نفسه، إن الله خلق آدم على صورته طويلاً هكذا طوله ستون ذراعاً، لم يتطور كما تطور أبناؤه، ولكن خلقه الله هكذا طوله ستون ذراعاً..

القول الثالث: إن الله خلق آدم على صورته أي على صورة الرحمن؛ توفيقاً بين الحديثين، يأتي البحث عن معنى الصورة، إن الله خلق آدم متصفاً ببعض صفاته تعالى، كالعلم والحلم وهذا ليس خاصاً بآدم، بل في غيره، آدم وأولاده، فيهم العلم وفيهم السمع وفيهم البصر، لكن كما قلنا غير مرة هذا اشتراك في الاسم والمعنى العام، وبعد إضافة هذه الصفات إلى الله تعالى، لا مشاركة بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى، وبعد صحة الحديث الثاني (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن) – تتبعه بعض أهل العلم وصححه، وقرض هذا الكتاب وأيد تصحيحه شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز- **يكون المصير على القول الثاني إن هذا الحديث من نصوص الصفات**. وعلى المعنى الأول، أي إذا كان مرجع الضمير الغلام المضروب، أو كان المرجع هو آدم، بهذين الاحتمالين الحديث ليس من نصوص الصفات، ولعل السائل يطلب هذا المعنى، والله أعلم". وكذا في شرحه للقواعد المثلى، قال الشيخ مصطفى:"بل إنه _أي المترجم له- قد وزع على الطلبة في ذلك الدرس كتاب فضيلة الشيخ حمود التويجري يرحمه الله.. وقال لي يرحمه الله بعد مدة إنه إن طبع المحاضرة الدفاعية فسيصلح ذلك الغلط ويثبت الصواب" سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـــ ٣٣.

(١) من كتاب الشيخ صالح العبود المؤرخ بتاريخ ١٤١٧/٤/١٥هـــ.

(٢) صــ٣٩.

(٣) سيرة فضيلة الشيخ صـــ ٣٣ حاشية رقم (١).

وكذا رجوعه رَحِمَهُ اللَّهُ عن الثناء على جماعة التبليغ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:"**كنت أعتقد أنهم جماعة ضعيفة ليس لهم منهج موحد، ولا علاقة لهم بالتبليغيين الذين هم في الهند الذين هم الصوفية المتطرفة، كنت أحسب أن من يسمون أنفسهم في هذا البلد ليس منهجهم كمنهج أولئك التبليغيين الصوفيين الهنود، ولكن تبين لي أنهم مرتبطون بأولئك وأوامرهم تأتي من هناك، ويأتمرون بأوامرهم وهم بمكة جنب البيت الحرام، لا يستفيدون من دروس الحرمين، ولكن يتلقون التعليمات من الهند، هذا ما بلغني من الرواة الثقات الذين أثق فيهم، ودائماً الأخبار إنما تؤخذ من الرواة الثقات، إذا كانوا ثقات عندي وجب علي العمل بأقوالهم وبرواياتهم، وجب علي أن أغير بعض مواقفي إن كان موقفي سابقاً غير هذا الموقف، وبناءاً على ذلك إن وصل أمر جماعة التبليغ إلى ما سمعت وعلمت من أخبار الثقات: يجب التحفظ منهم، ومن كان مخدوعاً بهم من شبابنا يجب علينا المبادرة إلى دعوته وإصلاحه ما استطعنا، أما من وصل منهم –على حد تعبيرهم– إلى الإمارة صار أميراً لهم، ويصدر الأوامر بعد أن يتلقاها من مصدره الأصيل، هناك فأصبح داعية يعتبر من الدعاة من أهل البدع الدعاة**"[(١)].

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حريصاً على ترسيخ هذه الحلية –الرجوع للحق وعدم التمادي في الباطل– في نفوس طلابه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً رجوع الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ عن لفظة (معية ذاتية) إلى (معية حقيقية)؛ لما أوجبت من الارتباك وسوء الفهم عند بعض الطلبة:"**وهذا التصريح –تصريحه بأنه حذف هذه الكلمة لما أوجبت ما أوجبت– يزيد للشيخ عند أهل العلم مكانة وتقديراً؛ لأن ذلك يدل على شدة مراقبته لله وخوفه من الله وعلى إنصافه.**

فليدرك طلاب العلم: أن من فهِم فهماً غير صحيح ثم رجع وأعلن خلاف ذلك يزداد عند أهل العلم مكانة ومنزلة، ولا ينال ذلك من مكانته شيء؛ إلا عند الذين لا يقدرون هذا المعنى. ولو تتبعتم كلام الأئمة لوجدتم الشيء الكثير من هذا القبيل:

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٦).

للإمام أحمد عدة روايات في مسألة واحدة، من روايتين إلى ثلاث نحفظ في كثير من المسائل، والإمام الشافعي بنى له مذهباً في العراق، ولما انتقل إلى مصر نقض أكثر ما جاء في ذلك المذهب، وأنشأ له مذهباً جديداً في مصر، والعمل في مذهبه في الغالب الكثير على المذهب الجديد دون القديم، ورجوع كثير من أهل العلم عن فتاويهم ومقالاتهم وما أصدروا من الأحكام بعد أن يتبين لهم أن الصواب خلاف ذلك لم يزدهم عند أهل العلم إلا رفعة ومكانة ومنزلة. فليعلم طلاب العلم هذا المعنى، وليتعودوا؛ لأن الإنسان بشر قد يفهم فهماً ويظن أن هذا الفهم هو الفهم الصحيح، ويتبين له بعد ذلك أن الصحيح في خلاف ذلك، هنا أنت بين أمرين: إما أن تكون منصفاً مراقباً لله تعالى؛ ترجع عن الفهم الذي فهمته سابقاً، وتبين لك أنه خطأ إلى الصواب وتعلن ذلك. أو تتعصب لفهمك حتى بعد أن تبين لك، وتبقى على فهمك الخاطئ الذي تبين لك خطؤه فلم ترجع عنه"[1].

ومن أهم ما تمتع به الشيخ رحمه الله أنه كان والداً مربياً ومعلماً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فتجده حريصاً على ترسيخ ما تحلى به من صفات حميدة في نفوس طلابه، فيعتبر من أولئك المدرسين الذين كان لهم عميق الأثر في توجيه وتربية الطلاب[2]، وإضافة إلى ما سبق، فلا بأس من مزيد بيان، من خلال توجيهاته المبثوثة في أشرطته:

كان رحمه الله حريصاً على غرس وحدة المصدر للعقيدة والشريعة في نفوسهم[3]، وكان حريصاً على إرشادهم إلى معرفة المرجعية الصحيحة في شتى نواحي الحياة، فكثيراً ما يرشد إلى الرجوع للعلماء وخصوصاً إمام العصر وفقيه الأمه الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله، وكان يقول:"**كونوا دائماً على اتصال بالعلم وأهله، أهل العلم معروفون، لا تبتعدوا عن كبار العلماء، في هذه المناسبة لو زرتم الرياض في إجازتكم وتحضروا**

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (٩) و (ب).

(٢) وقد كتب فضيلة الشيخ أ.د إبراهيم الرحيلي وفقه الله جملة من المواقف التي حصلت له مع الشيخ تؤكد هذا المعنى وتقويه.

(٣) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٧).

دروس الشيخ عبد العزيز بن باز؛ لأن دروسه مستمرة حتى في الإجازة، له طلاب غير طلاب الرسميين، في يوم الخميس عدة كتب تدرس على الشيخ بعد صلاة الفجر، أربعة أيام في الأسبوع، مجرد الحضور والاستماع إلى الكتب التي تقرأ بين يدي الشيخ وتعليق الشيخ تستفيدون، أحثكم على الازدياد من العلم"(١).

وكثيراً ما كان يحث على الدراسة على فضيلة الشيخ المحدث عبد المحسن بن حمد العباد حفظه الله، حتى إنه قال: (إن استطعتم أن تدرسوا على الشيخ –يعني الشيخ عبد المحسن– فادرسوا عليه أي فن)، وإذا كان في المدينة عالم دل الطلبة عليه، وحثهم على حضور محاضرته، وكم مرة قطع درسه بالمسجد النبوي؛ لحضور محاضرة لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد، أو الشيخ صالح الفوزان، أو الشيخ محمد بن صالح العثيمين(٢)، أو الإمام الألباني"(٣). وهذا من تعظيمه وتوقيره لأهل العلم والفضل، وحض طلابه على الرجوع إليهم. بل كان يرشد الطلاب إلى عرض كلامه على أولئك العلماء؛ ليستيقن الطلاب من خطر ما يحذرهم منه، قال مرة:"**لا أزال أكرر وأدعوكم لتتصلوا بالشيوخ الكبار من مشايخنا، وتعرضوا عليهم كلامي مسجلاً، وتسألوا هل هذا هو الواقع؟ أو الكلام فيه نوع من المبالغة، اسألوا أهل الذكر وأهل الفقه وأهل الفهم؛ لتكونوا على يقين وتتحفظوا من هذه الحركات**(٤)"(٥).

وكان رحمه الله كثيراً ما كان يوجه الطلاب إلى عدم الاستقلالية بالفهم، أو التسرع في إصدار الأحكام دون الرجوع إلى أهل العلم، قال مرة:"**ودائما لاحظوا يا شباب، لا**

---

(١) المصدر السابق الشريط (٨).

(٢) قال الشيخ عبد الله البخاري:"كان إذا جاء الشيخ العثيمين يحاضر في المسجد النبوي، أوقف الشيخ الجامي درسه وجاء يحضر درس الشيخ العثيمين، وهذا من أدبه رحمه الله" مادة صوتية منشورة في موقعه على الشبكة: /.

(٣) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ٥٢.

(٤) سيأتي مزيد عرض لجهوده رحمه الله في نقد الحركات المعاصرة صـ٨٠٧.

(٥) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٦).

تحاولوا أن تنفردوا بالفهم الجديد من عند أنفسكم، لا في فهم الآيات، ولا الأحاديث، ولا الآثار المنقولة من الصحابة والتابعين، انظروا فهم من كان قبلكم من الصحابة، والعلماء والأئمة كيف فهموا؟ حتى تفهموا كما فهموا، وتنهجوا منهجهم، أمّا كون طالب علم صغير مثلي ومثلكم اليوم يريد أن يفهم من عنده فهماً جديداً، فيدعو الناس إلى هذا الفهم، قبل أن يبحث: هل مفهومه هذا صحيح له أصل أم لا؟ أو يتعمد أن يأتي بمفهوم جديد فلا ينبغي ذلك"[(١)]. وقال أيضاً:"**أيها الشباب أنتم صغار، وهناك من هم أكبر منكم سناً، وأكثر منكم اطلاعاً، وأنضج منكم عقلاً، عندكم كبار العلماء، من الخطأ أن يستقل طالب صغير برأيه وفهمه وعقله الصغير، فيفتي ويحكم، ربما بعضهم بالغ إذا قال قائل قال شيخ الإسلام: هكذا، قال ابن القيم: كذا، قال فلان: كذا وكذا، قال: نحن رجال وهم رجال، ونحن لم نستفد بعد من بعض علومهم، هذا الكلام قاله الإمام أبو حنيفة بمناسبة، قال (ما جاء عن الله على الرأس والعين، وما جاء عن رسول الله على الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة على الرأس والعين، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال)[(٢)] فأبو حنيفة قال هذا في زملائه، وفي أقرانه من التابعين، لكن هل لتابع التابعين أن يقولوا في التابعين نحن رجال وهم رجال؟ لا. فلا تتعجلوا تريثوا، واستفيدوا من أهل العلم ومن كتبهم، لا يؤدي هذا إلى الحرمان من الاستفادة من كتبهم**"[(٣)]. ونصائحه الغالية من هذا القبيل كثيرة، وقد أشار الشيخ إلى منبع الانحراف عن العلماء وأنه الاندفاع والحماس وقلة التريث والاستقلالية في الفهم[(٤)]؛ ولذا لابد أن يضبط ويهذب ويوجه؛ ليعطي ثمرته بإذن ربه.

ومن التوجيهات التي كان يرشد بها الطلاب، حرصه على تحليهم بالأدب الجم والأخلاق العالية مع مدرسيهم، قال رحمه الله:"**ومما يؤسفني جداً أن أسمع أن بعض المشايخ**

---

(١) راجع: المصدر السابق الشريط (١).

(٢) المبسوط ١٣/ ٢٣.

(٣) التعليق على شرح الهراس للواسطية الشريط (٢٩) و (أ)

(٤) وانظر: جهود الشيخ تجاه مظاهر التهييج السياسي في العصر الحديث فيما سيأتي صـ٦٨٣.

يشكوا من بعض الشباب...ينبغي لك عند الشيخ الذي تحضر عنده؛ لتستفيد منه، تحترمه وتخاطبه باحترام، ولو كنت ترى أنك أعلم منه في بعض المواد..التأدب مع المدرسين ولو كنت تدرس لغة انجليزية، على مدرس انجليزي تحترمه؛ حتى تستفيد منه؛ لأنه عِلم، اللغة الانجليزية قد تفيدك حتى في دينك...ينبغي أن تحترمه حتى تستفيد منه، أما تتعالى وتستحقره وتريد أن تتعلم منه، لا، خطأ في التصور،...وأسأل الله الهداية و التوفيق، وحسن الأدب في طلب العلم"[١].

وكان رحمه الله يرشد الطلاب إلى حسن السؤال وعدم التعود على العبارات الجافة[٢]، وكان يكره الأسئلة التي ليس فيها نفع للسائل[٣]، أو المشعرة بانشغال الطالب عما ينفع[٤]، أوالمتضمنة قلة أدب مع الآخرين كالسؤال عن أشخاص لا ينبغي السؤال عنهم؛ لاشتهارهم بالسنة والدفاع عنها[٥]، وكان رحمه الله يرشد إلى أنه إذا اختلفت آراء العلماء في رجل من رجال العلم، يوضع على ميزان العلم[٦].

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٥).

(٤) قال رحمه الله:"**وتكراركم السؤال دائما حول هذه الفرق، مع كثرة الكلام فيها مني ومن غيري لا أدري هل يدل على الفراغ؟ أو أن هذه الأسئلة من الأشخاص الذين لم يسبق لهم أن سمعوا شيئاً؟ إن حملنا هذا المحمل فهو أحسن المحامل، وإلا لا أستحسن أن تكرروا دائماً أسئلة سألتموها فأجبنا، وسجلت والأشرطة في أيديكم، لماذا التكرار؟! لا داعي لهذا، خليكم جادين**".راجع توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٨).

(٥) سئل مرة ما رأيك في فلان؟ ما رأيك في فلان؟ فقال:"**هذا ما هو سؤال!! اسأل سؤال علمي، تسأل رأيي عن الشيخ فلان، والشيخ فلان من المشايخ الموجودين عندكم، ما هذا السؤال؟ هذا قلة أدب، لا ينبغي**". توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٢).

(٦) راجع: توجيهات بعد العشاء الشريط (٢)

وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يكثر التحذير من الجاهليات المنتشرة[1] -على حد تعبيره- والتي انخدع بسببها الكثير وخصوصاً جاهلية الصوفية، وجاهلية الانتماءات للحركات المعاصرة، وجاهلية علم الكلام والأشعرية؛ وذلك لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ كما قال:"**وأنا خائف قلق على شبابنا لعلمي بتلك الجاهليات وأثرها؛ لِما أشاهد في كثير من شبابنا من التأثر بتلك الجاهليات، وخصوصاً الانتماءات، الانتماءات التي زينت لهم الاتجاه السياسي، وتحاول أن تنفرهم من حول المشايخ وكبار العلماء، وتصحب لهم القلاقل والتشويش والإثارات؛ لذلك خوفي على شبابنا في كل مناسبة أتحدث عن الحركات وعن الصوفية وعن الأشعرية، لا رغبة في الكلام والحديث -إن شاء الله- ولكن -فيما أزعم- رغبة في الإصلاح، أسأل الله تعالى أن يرزقني وإياكم الإخلاص**"[2].

وقد اهتم رَحِمَهُ اللَّهُ بتوجيه الطلاب إلى الموقف السديد في الفتن، وأنه ينبغي الإكثار من التضرع إلى الله سبحانه في رفع الفتنة، وأن نحسن الظن بعلمائنا الكبار، فلا نتقدم عليهم بإصدار الأحكام، خصوصاً وقت الفتن، وأذكر ما أرشد إليه في فتنة الخليج نموذجاً لذلك، حيث قال:"**أرجو أن تموت هذه الفتنة قبل أن يحي البحث فيها، وينسحب القوم من أرضنا، ويسلم الله المسلمين من القتال، هذا ما نرجوه، الذي نطلب منكم بهذه المناسبة أن تكونوا فعّالين لا قوّالين، أي: أن تكثروا من الدعاء والتضرع إلى**

---

(١) سئل الشيخ: ما معنى الجاهلية؟ فقال: "الجاهلية إذا أطلقت تطلق على الفترة التي قبل الإسلام، ولكن اصطلح أهل العلم بعد ذلك على كل خُلِق، وكل خصلة وكل فعل لم يأت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك يقال: جاهلية علم الكلام، جاهلية الصوفية، جاهلية البدع، جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله، جاهلية رجال التشريع، هذه الجاهليات لا يعنى بها تلك الفترة الزمنية التي قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يراد بها المعاني والأخلاق والمعاملات والصفات التي تجددت مخالفة لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي اليوم كثيرة".توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٥). ومنه ما جاء في الحديث : (إنك امرؤ فيك جاهلية) رواه أبو داود (٥١٦١) وصححه الألباني.

(٢) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٥).

الله، المسألة ليست تعالج بالمحاضرات والخطب، المسألة في غاية من الصعوبة والأسباب المادية اتخذت، لا يبقى إلا الالتجاء إلى الله ليحفظ المسلمين من شر الحروب والقتال، ولتنسحب هذه الجيوش قبل أن تقع حرب بينهم وبين غيرهم، ويصلح الله شأن المسلمين، عليكم بإكثار الدعاء في الأوقات التي تظنون أن الدعاء مستجاب أكثروا من الدعاء، فليكن همكم هماً عملياً إصلاحياً، لا مجرد إلقاء الأسئلة، وأما بالنسبة للفتنة الأخيرة (فتنة النساء)(١) فيما أعتقد: المسألة قيد بحث عند المسئولين وكبار العلماء الذين هم من أهل الحل والعقد، العلماء قسمان: علماء يتكلمون فيبحثون فيبينون (طلاب علم) نرجو أن نكون منهم، وعلماء من أهل الحل والعقد أولئك يشتركون مع المسئولين في حل المشاكل، وعلينا نحن صغار الطلبة أن نحسن بهم الظن، ولا نرجع فيما بيننا نختلف ونتخذ هذه الفتن موضوعا للبحث والخطب والمحاضرات فقط، ينبغي أن يكون الاهتمام حل وانتهاء هذه الفتنة، وما تنتهي إلا بإذن الله، ونسأل الله تعالى أن يحل لنا هذه المشاكل حتى نستريح من مثل هذه الأسئلة"(٢).

و لم تقف علاقة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بطلابه عند هذا الحد من الإرشاد والتوجيه، بل كان من الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تنتهي بانتهاء الدرس، فكان يحضر مناسباتهم، ويسأل عن أحوالهم، ويعين محتاجهم، ويعالج بعض مشاكلهم الأسرية في الدرس وخارجه، ويرفع معنوياتهم بشتى الأساليب المنبثقة من أعماق الفؤاد، والمتضمنة التحفيز على الجد والاجتهاد، فقد ذكر فضيلة أ.د إبراهيم الرحيلي وفقه الله من ضمن المواقف التي حصلت له مع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"ومن المواقف التي حصلت لي مع الشيخ أثناء الإشراف أني لمست منه مرة في أحد مجالس الإشراف إعجابه بالبحث، وسروره به، فشكرته على ذلك، فقال لي ما نصه: (نجاحك نجاحٌ لي) .

---

(١) المراد ما ظهر من السعي لقيادة المرأة للسيارة في الرياض في ذلك الوقت.

(٢) المصدر السابق الشريط (٤).

وفي هذا من التشجيع للباحث، وأثره على مواصلة الجهد ما لا يخفى، ولعل هذا هو ما قصده الشيخ من وراء عبارته المؤثرة، والتي لا زلت أتذكرها بنصها لعظم أثرها في نفسي منذ ذلك الوقت"[(١)].

لم تكن تلك المشاعر الأبوية من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ خاصة بطلاب العلم بل كانت متعدية حتى لعموم الناس –وخصوصاً المغتربين منهم–، فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يخصص لهم ما يتعلق بهم من النصائح والتوجيهات التي تخفف عنهم عناء المشاكل التي يواجهونها في غربتهم عن أوطانهم، وإليك هذا النموذج الذي لم يثن الشيخ عن عرضه بعد درسه لكتاب التدمرية: فقد قدم له عامل ورقة بعد الدرس متضمنة الشكوى بسبب ما يجد من كفيله، وطلب النصح، أكتفي بما ورد فيها من توجيهاته رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال:"نصيحتي لمن يكفل هؤلاء المساكين من العمال فيستقدمهم ليعمل لديه، وربما استقدم عدداً من الناس ثم وزع على الناس، كأنه يأخذ عليهم الخراج كأنهم عبيد له يشغّلهم عند الناس، فيأخذ من دخلهم شهرياً كذا، مبلغ متفق عليه، هذه عملية غير جائزة، أولاً إنما سُمح لك لتستقدم العمال في مقدار حاجتك، وغير مسموح لك في النظام أن تستقدم أكثر من حاجتك؛ لتوزع على الناس وتستغل دخلهم، هذا شيء غير جائز، ثم إن هؤلاء الذين استقدمتموهم وشغلتموهم في مؤسساتكم الواجب عليكم النصح لهم، وأنتم مسؤولون عنهم أمام الله، الله جعلهم محتاجين إليكم، وجعلكم قادرين على استقدامهم وتشغيلهم، عليكم أن تتقوا الله وتشكروا نعمة الله، وأن لا تظلموا عباد الله، إخوانكم المسلمين وتمكنوهم من العبادة، علمت أن بعضهم يقول للعامل: (اليوم يأتي نفر كثير يشتروا)، (اليوم أنت يصلي هنا في البيت) –في محل العمل–، (اليوم أنت لا يروح الجمعة)، هكذا يشتكي بهذه اللهجة المكسرة يعني يتكلم معه بلهجته، يمنعه من حضور صلاة الجماعة، ويمنعه من حضور الجمعة؛ بدعوى يأتي عدد من الناس عدد كبير يشتري اليوم، هذا حرام لا يجوز، ظلم لعباد الله، الواجب طالما جاءك أخوك المسلم يعمل تحت يدك، وبعد سنة أو سنتين سوف يغادر، كان الواجب أن تدعوه إلى الدين وتعلمه الدين، وتمكنه من العبادة؛

(١) كتاب الشيخ أ.د إبراهيم الرحيلي المؤرخ بتاريخ ١٤٣٢/٥/١١هـ.

لينتهز فرصة وجوده هنا سنة أو سنتين، ثم يغادر، يجب أن تحب له كما تحب لنفسك، وهل لو جعلك الله محتاجاً ترضى من يمنعك من صلاة الجمعة والجماعة، ويستغل نشاطك وخبرتك وهو لا ينصح لك؟ لا يعلمك ما تجهله، ولكن يستغلك فقط، هل ترضى هذا؟ هذا حرام ليس من النصح، لذلك ننصح هؤلاء الإخوة بأن ينصحوا لإخوانهم المستضعفين المستقدمين للعمل، وأن لا يظلموهم فيما يعطونهم بل عليهم أن يتصدقوا، عندما يغادرك هذا المسكين عليك أن تزيد له، وعندما تعطيه أجرته آخر الشهر إذا كانت أجرته خمسمائه ينبغي أن تتصدق سرا فيما بينك وبينه، تزيد له مئة أو مئتين حتى لا يعلم أحد، يكون لك هذا صدقة سرية تنفعك عند الله، من يتصدق صدقة سرية ينفق بيمينه حتى لا تعلم شماله، (من الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله)، هذه فرصة أعطاك الله مالاً، ومكنك من أن تشغل هؤلاء الضعاف يجب أن تتصدق عليهم، وتكسب الأجر بدلا من أن تظلمهم.

أنا ما قرأت ما كتبه هذا العامل، **يشكوا ظلما أنه مظلوم من كفيله، ويذكر أن كفيله إمام وخطيب أخشى لو قرأت بالتفاصيل ما كتب ربما يعرف ذلك الرجل، ونحن لا نريد كشف جميع الأسرار ولكننا ننصح**، كما قلنا إخوتنا الذين جعل الله في أيديهم مالا ومكنهم أن يستقدموا هؤلاء الضعاف أن لا يظلموهم أولا، الظلم ظلمات يوم القيامة، يجب أن تعلم بأن الديوان الذي تسجل فيه حقوق بني آدم لا يترك أبدا حتى يتركه صاحب الحق، هذا ديوان من أصعب الدواوين الثلاثة، يلي ديوان الكفر والشرك، لذلك ينبغي أن تحرص أن لا تظلم هؤلاء، ولو في ريال واحد، بل إنما من الدين إذا كان لديك رغبة فيما عند الله أن تتصدق عليهم صدقة سرية وخصوصا عندما يغادرك؛ ليرجع إلى بلده. والله أعلم. والله الموفق"[1] .

وبكل ما سبق من النماذج المشعرة بالتوجيهات الأبوية، والتصرفات التربوية فقد تركت أثراً بالغاً –ولاشك– عند طلابه ومحبيه، فرُزق بسبب ذلك المحبة الصادقة منهم. وشعروا بعد موته بفراغ كبير في هذه الناحية. نسأل الله أن يخلف علينا وعليهم بخير.

---

(١) راجع: سؤال وشكوى طرحت على الشيخ بعد درس التدمرية.

وختاماً لهذا المبحث أنبه القارئ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قد اجتمعت فيه خصال كثيرة – يعسر على مثلي عدها– وأكتفي بما ذُكِر، وليس في كلامي نوع من المبالغة في حقه –بل اشتمل على كثير من القصور–، وإنما هو عرض لأخلاقه وصفاته التي شهد له بها العلماء الأجلاء، وطلابه النجباء، الذين عاصروه وخبروا حاله في حله وترحاله. وبالله التوفيق.

المبحث الثالث
مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ورثاؤه

اتضح مما سبق مكانة الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلمية وجهوده وجهاده في الدعوة إلى الله تعالى منذ بداياته للطلب، ولذلك كان منذ تلك الفترة محل ثقةٍ عند مشايخه أهل العلم والفضل، ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه، وسبق أنه اُختِير؛ للتدريس في معهد صامطة العلمي، وما زال لم يتم دراسته الجامعية، بعد وفاة الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولذلك يعتبر هذا المبحث تكملة وتأكيداً لما سبق من بيان صفاته الحميدة، تلك الصفات التي جعلت العلماء يثنون عليه ويصفونه بما هو أهله، ولذلك فهذا المبحث مبني على شهادات العلماء الذين عاصروه وخالطوه، كما سيأتي في كلامهم، وذلك يدل على أنه احتل مكانة بارزة بين علماء هذا الزمان، فصار عَلَماً يشار إليه بالبنان، إماماً جليلاً سائراً على منوال أهل الإيمان.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الحب لعقيدة السلف الصالح، مخلصاً في الدعوة إليها، متفانياً في الدفاع عنها. فقيهاً بمذاهب الأئمة، عارفاً بالعربية، محباً للحديث وأهله، عالماً بالتفسير، بصيراً بالانحرافات العقدية المخالفة لمنهج السلف، دقيقاً في معرفة مقالات المخالفين، خبيراً بالمتعصبين، قال مرة عنهم:"**تعبت معهم تعباً ليس بعده تعب، لذلك أنا أعرف الناس بالمتعصبين على اختلاف مذاهبهم، عشت معهم كثيراً**"(١).

وقد كانت عنايته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بأشرف العلوم وأولاها بالاهتمام، وهو العلم الذي يعرف بأشرف معلوم، علم التوحيد الذي هو حق لله على العبيد، والموضح لما لصفات وأفعال الباري من العظمة والتمجيد. فكان لا يدع مناسبة تمر دون أن يبيّن فيها سمو هذا العلم وأهميته، حتى لا يكاد يعرف إلا به.

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٢).

ثناء العلماء عليه ورثاؤه:

إن شهادات أهل العلم تدل على اتفاق كلمتهم على المكانة الرفيعة التي كانت للشيخ محمد أمان رحمه الله بينهم، وإليك بعض ما قيل في الشيخ رحمه الله في حياته وبعد مماته:

قال سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله:"من عبد العزيز بن باز إلى حضرة الأبناء الكرام أبناء صاحب الفضيلة الدكتور محمد أمان ابن علي الجامي رحمه الله رحمة واسعة وأصلح ذريته جميعاً آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد: فيسرني أن أفيدكم جميعاً حسب رغبتكم: إن الوالد رحمه الله: "**معروف لدي بالعلم والفضل وحسن العقيدة، والنشاط في الدعوة إلى الله سبحانه والتحذير من البدع والخرافات**، غفر الله له وأسكنه فسيح جناته وأصلح ذريته وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته إنه سميع قريب"[(١)].

وسئل عن موقفه من الشيخ محمد أمان والشيخ ربيع فقال:" ...بخصوص صاحبي الفضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي **كلاهما من أهل السنَّة، ومعروفان لدي بالعلم والفضل والعقيدة الصالحة**. قد توفي الشيخ محمد أمان رحمه الله في ليلة الخميس ٢٧ شعبان من هذا العام[(٢)]، **فأوصي بالاستفادة من كتبهما**. وأسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه. وأن يوفق جميع المسلمين لما في رضاه وصلاح أمر عباده إنه سميع قريب"[(٣)].

وقد سبق ذكر الخطاب الذي أرسله العلامة ابن باز رحمه الله لمعالي مدير الجامعة الإسلامية السابق د. عبد الله العبيد[(٤)] ومما قال فيه:".. سبق أن تكرمتم بالموافقة على

---

(١) في كتاب رقم (٦٤) في ١٤١٨/٩هـ

(٢) لعل الخبر وصل إلى الشيخ ليلة الخميس، أو سبق لسان منه رحمه الله، وإلا فقد توفي الشيخ صباح يوم الأربعاء كما سبق بيانه.

(٣) راجع بداية شريط بعنوان: (فقد العلماء: وفاة الشيخ محمد أمان).

(٤) انظر: صـ ٣٩ من الترجمة.

إعارة خدمات فضيلة الدكتور محمد أمان بن علي الجامي بعمل الملحق الديني بجيبوتي، **وقد باشر هذا العمل ونفع الله به كثيراً في نشر العقيدة السلفية في تلك البلاد، وأطفأ به فتنة كبيرة وقعت بين الدعاة وبعض المسئولين من أهل البلاد، وهدأ الأمور بحكمة وأصلح الله به الأحوال، حتى أصبح المناوئون للدعوة السلفية أنصاراً لها ودعاة إليها، وصاروا يلهجون بالثناء على المملكة والمسئولين فيها بعدما كانوا يسبونهم ويصرحون بعداوتهم لها وذمها، وقد ورد إلينا كتب من المسئولين هناك يطالبون ببقاء الدكتور محمد أمان، ويذكرون ما حصل بسببه من الخير الكثير للبلاد وأهلها في أمور دينهم ودنياهم**، وآخر ما ورد إلينا كتاب معالي وزير العدل هناك نرفق لمعاليكم صورة منه؛ ولأجل ذلك وتقديم للأهم على المهم، **فإننا نرجو من معاليكم التكرم بالموافقة على تجديد الإعارة سنة أخرى، ولعلنا نجد من يقوم بعمله، بعد ذلك يعود إلى الجامعة تقديراً لما ذكرنا، وما حصل ويحصل إن شاء الله ببقائه هذه السنة من النفع العظيم، وأنا أدرك أهمية بقائه في الجامعة لسلامة عقيدته وحسن سيرته ومحبة طلاب العلم له وقبولهم لتوجيهه وانتفاعهم بعلمه، ولكني أرجو أن تجدوا في بقية إخواني المشايخ الموجودين بالجامعة من يسد مسده ويقوم مقامه، كما حصل في السنة الكاملة التي غابها عن الجامعة**. وأسأل الله أن يجعلنا وإياكم وإياه مباركين أينما كنا، وأن ينفع بجهود الجميع إنه جواد كريم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الرئيس العام"[1].

وقال الشيخ محمد بن علي بن محمد ثاني رحمه الله- المدرس بالمسجد النبوي-: "**أعرف فضيلته من سنوات طويلة، عندما كان يدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وبعدما تخرج منها وعمل في معهد تابع للمعاهد التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود، وعندما كان يدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنوات، وعندما أخذ الدكتوراة من جامعة الأزهر.**

---

[1] كتاب رقم ١١٢٢/خ بتاريخ ٩/١٠/١٤٠٥هـ، انظر: ملف الشيخ في الجامعة الإسلامية.

وفضيلته عالم سلفي من الطراز الأول في التفاني في الدعوة الإسلامية، وله نشاط في المحاضرات في المساجد والندوات العلمية في الداخل والخارج، وله مؤلفات في العقيدة وغيرها، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأجزل له الأجر في الآخرة، إنه سميع مجيب"(١).

وقال فضيلة الشيخ الداعية محمد عبد الوهاب مرزوق البنا رحمه الله:"زاملت الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله بالجامعة الإسلامية من عام ١٣٨١هـ. كما كان يصحبنا في رحلاتنا مع طلبة الجامعة يومي الخميس والجمعة، وخرجنا سوياً ومعنا بعض الطلبة منهم: د. ربيع هادي المدخلي، والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، والشيخ عمر الأشقر، إلى السودان للدعوة إلى الله، ونمرن الطلبة على ذلك.
ثم شاء الله أن أتحول إلى جدة، ولكن العلاقة الأخوية استمرت حتى توفاه الله، أسأل الله أن يجمعنا في جنته. **ولقد كان رحمه الله على خير ما نحب من حسن الخلق وسلامة العقيدة وطيب العشرة،** أسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جنته ويجمعنا جميعاً إخواناً على سرر متقابلين)(٢).

وقال فضيلة الشيخ العلامة عمر بن محمد فلاته -المدرس بالمسجد النبوي ومدير شعبة دار الحديث بالمدينة المنورة- رحمه الله:"**قدم الشيخ محمد أمان إلى هذه البلاد وهو طالب علم، درس في بلاده المذهب الشافعي، والعقائد والعلوم التي تدرس في تلك البلاد وهي عقائد تخالف مذهب أهل السنة والجماعة، وعندما وصل إلى المملكة عن طريق اليمن، درس في دار الحديث المكية، واستفاد من الشيوخ المدرسين بالمسجد الحرام، كالشيخ عبد الرزاق حمزة، والشيخ محمد عبد الله الصومالي، والشيخ عبد الحق الهاشمي، وغيرهم. ولما**

(١) في كتابه المؤرخ في ١٤١٧/١/٤هـ.

(٢) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ٢٤.

فتح المعهد العلمي بالرياض التابع لآل الشـيخ التحـق بـه، وأثنـاء دراسـته في الكلية تعوقد معه للتدريس في فرع المعهد العلمي بصامطة.

وكانت البلاد قد تأثرت بالدعوة الإصلاحية التي بدءها فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله القرعاوي، وسقاها ورعاها تلميذه الشيخ حافظ الحكمي بدروسه وتآليفه السلفية نظماً ونثرا. ووجد طلاباً نجباء حريصين على طلب العلم والازدياد من الخير فساعده ذلك بعد توفيق الله تعالى على المثابرة والانقطاع للعلم، والحرص على المزيد من التحصيل، وبرز وبرَّز، وكرع ونهل وعل، ولما صادف ذلك صدق الإخلاص في الطلب، وعظيم الرغبة في التقوى والعمل حالفه التوفيق، وأينعت الثمرة، **وفقاً لما قال الله تعالى** ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

هذا ولقد تخرج من كلية الشريعة بالرياض، ونال الماجستير في باكستان، وشهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة، وانتدبته الجامعة الإسلامية؛ لإدارة معهد التضامن الإسلامي بمقديشو، والقيام بالعديد من الرحلات الدعوية، والأعمال الإدارية بها، فقام بما أسند إليه خير قيام.

وبالجملة فلقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صادق اللهجة عظيم الانتماء لمذهب أهل السنَّة، قوي الإرادة داعياً إلى الله بقوله وعمله ولسانه، عف اللسان قوي البيان سريع الغضب عند انتهاك حرمات الله، تتحدث عنه مجالسه في المسجد النبوي الشريف التي أداها وقام بها، وتآليفه التي نشرها، ورحلاته التي قام بها، ولقد رافقته في السفر فكان نعم الصديق، **ورافق هو فضيلة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب "أضواء البيان" وغيره –فكان له أيضاً نِعمَ الرفيق– والسفر هو الذي يظهر الرجال على حقيقتهم.**

وتتحدث عنه محاضراته الناصعة، لا يجامل ولا ينافق ولا يماري ولا يجادل، إن كان معه الدليل صدع به، وإن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به ورجع إليه، وهذا هو دأب المؤمنين كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الآية.

وأشهد الله تعالى أنه رحمه الله قد أدى كثيراً مما عليه من خدمة الدين، ونشر لسنّة سيّد المرسلين. ولقد صادف كثيراً من الأذى، وكثيراً من الكيد والمكر فلم ينثن ولم يفزع حتى لقي الله، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله. فرحمه الله رحمة واسعة، ونور له في قبره، وجزاه عما قدم لهذه الملة خيراً كثيراً، وثواباً جزيلاً، وأصلح له عقبه وبارك فيهم، وجمعنا الله به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"[(١)].

وقال فضيلة الشيخ المحدث عبد المحسن العباد البدر -المدرس بالمسجد النبوي- حفظه الله:**"عرفت الشيخ محمد أمان بن علي الجامي طالباً في معهد الرياض العلمي ثم مدرساً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المرحلة الثانوية ثم في المرحلة الجامعية.**

عرفته حسن العقيدة سليم الاتجاه، وله عناية في بيان العقيدة على مذهب السلف، والتحذير من البدع وذلك في دروسه و محاضراته وكتاباته، غفر الله له ورحمه، وأجزل له المثوبة"[(٢)].

وقال فضيلة العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:".. وأما الشيخ محمد أمان رحمه الله **فما علمت منه إلا رجلاً مؤمناً موحداً سلفياً فقيهاً في دينه متمكناً من علوم العقيدة.**

ما رأيت أجود منه في عرض العقيدة، إذ كان الرجل قد درسنا في المرحلة الثانوية، درسنا (**الواسطية، والحموية**)؛ **فما رأينا أجود منه وأفضل، ولا أكبر على تفهيم طلابه من هذا الرجل رحمه الله. وعرفناه بحسن الأخلاق والتواضع والوقار، نتعلم والله من هذه الأخلاق.** ونسأل الله أن يرفع درجاته في الجنة بما خاض فيه وطعن به أهل الأهواء.

---

(١) في كتابه المؤرخ في ١٤١٧/٢/٨هـ

(٢) سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ٢٨.

وأخيراً: فالرجل مات وهو يوصي العلماء بالحفاوة بها والاعتناء بها، وهذا دليل على صدقه إن شاء الله في إيمانه، ودليل على حسن خاتمته رحمه الله وتغمدنا وإياه برحمته ورضوانه"(١).

وقال أيضاً:"والله ما تعلمت العقيدة إلى من فِي هذا الرجل، ووالله إني جلست عند علماء أكبر منه سناً وعلماً، والله ما رأيت مثله في عرض العقيدة"(٢).

وقال فضيلة العلامة الفقيه الإمام صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله:"الشيخ محمد أمان كما عرفته: إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون، ولكن قليل منهم من يستفيد من علمه ويُستفاد منه، **والشيخ محمد أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سخروا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين وتوجيههم بالدعوة إلى الله على بصيرة من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي الشريف وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية وتجواله في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المناطق يدعو إلى التوحيد وينشر العقيدة الصحيحة ويوجه شباب الأمة إلى منهج السلف الصالح ويحذرهم من المبادئ الهدامة الدعوات المضللة.** ومن لم يعرفه شخصياً فليعرفه من خلال كتبه المفيدة وأشرطته العديدة التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير ونفع كثير.

قدم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى المملكة في سن مبكر ودرس على علمائها الكبار: من أمثال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم المفتي الأكبر، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، ثم لما فتح المعهد العلمي بالرياض صار من أوائل الملتحقين به للدراسة، وواصل دراسته إلى أن تخرج من كلية الشريعة، وانتظم بعد تخرجه في سلك التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وفي المسجد النبوي الشريف، **ولم يشغله ذلك عن المشاركة في الدعوة إلى الله وتأليف الكتب النافعة. وما زال مواصلاً عمله في الخير**

(١) راجع شريط: فقد العلماء –وفاة الشيخ محمد أمان–.

(٢) في الشبكة العنكبوتية http://www.sahab.net /.

حتى توفاه الله. وقد ترك من بعده علماً ينتفع به متمثلاً في تلاميذه و في كتبه، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة وغفر له وجزاه عما علم وعمل خير الجزاء. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه"[١].

وقال فضيلة الشيخ الفرضي عبد الصمد بن محمد ابن محي الدين الكاتب رَحِمَهُ اللَّهُ:"الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد طلب مني تلميذي مصطفى بن عبد القادر الهوساوي وفقه الله لصالح الأعمال أن أكتب ما أعلم عن الأخ الكريم الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له، فأقول سائلاً ربي التوفيق والسداد:

فإني أول ما تعرفت عليه –فيما أظن– العام ١٣٧٦هـ، وكنا وقتئذ طلبة في كلية الشريعة، أسبقه سنة، فكان يأتيني بالتدمرية للعلامة ابن تيمية يستوضح مني بعض العبارات فيها. فعلمت أنه من الحبشة جاء على الرياض بعد أن قضى مدة في مكة المكرمة –لا أدري مقدارها– **وعلمت أنه من الجادين في طلب العلم، ومن طلاب الحق في عقيدته وعباداته بعد أن كان شافعياً أشعرياً متعصباً فيهما، أو أنه رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان يعلم في بلاده الحبشة غيرهما مسلكاً وعقيدة. ثم اجتمعنا بعد الدراسة مدرسين في معهد صامطة العلمي التابع لجامعة الإمام. ثم اجتمعنا في الجامعة الإسلامية وفي مدينة رسول الله ﷺ ولا أعلمه إلا طالب حق داعياً إليه ومعلماً إياه،** ثم نحن كل بني آدم كما قال ﷺ :(كلكم خطاءون وخير الخطائين التوابون)[٢] غفر الله لنا وله وجمعنا جميعاً في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وصلى

---

(١) في كتابه المؤرخ ١٤١٨/٣/٣هـ.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٩) وحسنه الألباني انظر: صحيح الجامع (٤٥١٥).

الله وسلم وبارك على رسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين، والحمد لله رب العالمين"[١].

وقال فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله العبود - معالي مدير الجامعة الإسلامية سابقاً-: "الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد رغب مني الأخ الشيخ مصطفى بن عبد القادر أن أكتب عن الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله شيئاً مما أعرفه عنه من المحاسن لتكون من بعده في الآخرين فأجبته بهذه الأحرف اليسيرة على الرغم من أنني لم أكن من تلامذته ولا من أصحابه الملازمين له طويلي ملاقاته ومخالطته، ولكن صار بيني وبينه رحمه الله لقاءات استفدت منها، وتم من خلالها التعارف وانعقاد المحبة بيننا في الله تعالى وتوثيق التوافق على منهج السلف الصالح في العقيدة والرد على المخالفين. فمن ذلك أنه في عام خمسة وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ كانت بيننا وبين أناس من خارج هذه البلاد ممن ابتلينا بهم خلافات في العقيدة والمنهج، يريدون معارضتنا في عقيدتنا الإسلامية وسياسة حكومتنا الراشدة، فكتبت إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وغيره من علماء الدعوة في بلادنا أشكو من بعض هذه الأمور، فلقيت الشيخ محمد أمان في مكة بدار الحديث وأطلعته على ما كتبت أستشيره وأستطلع رأيه، **فشد من عزمي وشرح لي بكلمة موجزة معنى المرجعية الصحيحة وقال: إن هؤلاء العلماء في بلادنا من علماء الدعوة إلى الله هم المرجع الذين يؤخذ عنهم الاعتقاد، فينبغي ألا نتردد في الرفع لهم عن كل مخالفة تحدث، وينبغي أن نقول لهم أنتم مرجعنا في مثل هذه المسائل العقدية**، فإذا لم نجدكم أو لم تحتملونا فقدناكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) من كتابه المؤرخ بتاريخ ١٤١٧/٥/٤هـ.

وافترقنا وأنا أحمل هذه الروح فكان لها تأثير بأمر الله جيد ، وفهمت فهماً راسخاً كيف ينبغي أن نحافظ على سلسلة مرجعيتنا وألا نلتفت إلى أولئك الأجانب مهما تظاهروا به من التزيي بالعلم و لباس العلماء، وأقصد بالأجانب الأجانب عن عقيدة السلف الصالح ممن تلقوا ثقافتهم وتشبعت أفكارهم بمنطق اليونان وفلسفة الفلاسفة البعيدين عن الوحي الإلهي بقسميه الكتاب والسنَّة، المغرورين بآرائهم وعقولهم المختلطة وشبهاتهم المنحرفة والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...رحم الله الشيخ محمد أمان وأسكنه فسيح جناته وألحقنا وإياه بالصاحين من أمّة محمد سيد المرسلين ﷺ وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين"[(١)].

وقال فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور: محمد بن حمود الوائلي - المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية ووكيلها للدراسات العليا والبحث العلمي- رحمه الله:"ما أعرفه عن فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله: -لقد طلب مني أحد تلاميذي- وهو من أخص تلاميذ الشيخ محمد أمان الجامي المتأخرين - أن أكتب شيئاً مما أعرفه عن شيخه وشيخنا الشيخ محمد أمان رحمه الله؛ لأنه بصدد إخراج كتيب عن حياة فضيلته فأقول وبالله التوفيق:

بدأت معرفتي بالشيخ رحمه الله عام ١٣٨١هـ عندما قامت هذه الدولة السعودية الكريمة حفظها الله بإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في العام المذكور وكان رحمه الله من أوائل المدرسين بها وكنت أحد طلابها، **كان رحمه الله من بين عدد من المشايخ الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تقف عند علاقة المدرس بتلميذه في الفصل، وكان في عامة دروسه يعني عناية عظيمة بعقيدة السلف الصالح -رضي الله عنهم- لا يترك مناسبة تمر دون أن يبين فيها مكانة هذه العقيدة، لا فرق في ذلك بين دروس العقيدة وغيرها.**

وهو حين يتحدث عن عقيدة السلف الصالح ويسعى في غرسها في نفوس أبنائه الطلاب الذين جاء أكثرهم من كل فج عميق، إنما يتحدث بلسان خبير بتلك

(١) في كتابه المؤرخ في ١٤١٧/٤/١٥هـ

العقيدة؛ لأنه ذاق حلاوتها وسبر غورها حتى إن السامع المشاهد له وهو يتكلم عنها ليحس أن قلبه ينضح حباً و تعلقاً بها.

ولقد ازدادت معرفتي به عندما رتبت الجامعة الإسلامية –وفقها الله– في عام ١٣٨٣هـ رحلة إلى الحج، وكان من بين أساتذة تلك الرحلة. وكنت واحداً من الطلاب الذين رافقوا تلك الرحلة، **وقد أدركت تقديره لطلاب العلم، وبخاصة المجدين منهم، الذين اطمأنت قلوبهم بعقيدة السلف الصالح، وفاضت نفوسهم حباً وتعلقاً بها. وكان رحمه الله يقوم بجولات في داخل موسم ذلك الحج، يدعو حجاج بيت الله الحرام إلى العقيدة الصافية النقية الخالية من كل شائبة أو إشكال.**

ثم أصبحت بعد أربع سنوات من تلك الرحلة زميلاً له في التدريس بالجامعة الإسلامية، وظلت المحبة في الله قائمة بيننا والتعاون في مجال تحقيق أهداف الجامعة التي أنشئت من أجلها، مستمراً إلى أن أحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٩هـ.

لكن جهده **لم يفتر وعزمه لم يضعف، بل ازداد قوة إلى قوة**، ويلقي دروسه في المسجد النبوي، ويلقي محاضراته في كثير من مناطق المملكة. وكان يبذل في ذلك كله، يبذل ذوب قلبه في غرس العقيدة السلفية الخالدة في نفوس مستمعيه.

وكانت له رحلات في مجالي الدعوة و التعليم خارج المملكة، لا يدع مناسبة تجئ أو فرصة تمر دون أن يبيّن فيها سمو هذه العقيدة وصفاءها ورحابتها بياناً شافياً. وأن القارئ ليلمس صدق دعوته في كتبه ورسائله التي ألفها. وقد حضرت مناقشة رسالته في مرحلة الدكتوراه في دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة بمصر وكان يسعى في عامة مباحثها إلى بيان صفاء عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجها، وتجلت شخصيته العلمية في قدرته –أثناء المناقشة– على كشف زيف كل منهج خرج عن عقيدة السلف وبطلان كل دعوة صوبت نحو دعاتها المخلصين، الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها والوقوف عندها والدعوة إليها، ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بها من هذه العقيدة.

وخلاصة القول: **إن فضيلته** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **كان شديد الحب لعقيدة السلف الصالح، مخلصاً في الدعوة إليها، متفانياً في الدفاع عنها، لا يمنعه من أن يقول الحق في ذلك اعتراض معترض أو مقاطعة مخالف،** رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر لنا وله"[(١)].

وقال فضيلة الشيخ الدكتور عمر بن حسن بن عثمان فلاته المدرس بالمسجد النبوي وعميد كلية التربية الأسبق والمدرس فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن أول لقاء لي مع فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أمان بن علي الجامي كان في صيف ١٣٨٨هـ عندما كان يقضي إجازته في المدينة إبان عمله في معهد التضامن الإسلامي بمقديشو –الصومال– وكان لقاؤنا في مكتبة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري –العامرة– أمد الله في عمره وجعله ذخراً لطلبة العلم، **وقد عرفت من حديثه الشيق ومحاوراته العميقة عِظم المهمة التي كان يقوم بها من مجالات في التدريس، والدعوة والإدارة، وما كان يجابهه من مواجهات من قِبل من يختلف معه في المعتقد والعلم.** وبعد عودته إلى المدينة المنورة، واستئناف عمله في الجامعة الإسلامية من أعمال مختلفة علمية وإدارية ونشاطات علمية من محاضرات ولقاءات، كل هذه المدة وصلتي بالشيخ عادية، حتى وصل فضيلته على درجة الدكتوراه من القاهرة، وتأكدت المواصلة من خلال مؤلفاته وكتبه، وأهمها رسالته العلمية –**الصفات الإلهية– الذي أفدت منه كثيراً في تدريس توحيد الأسماء والصفات حيث تناول في هذا الكتاب دراسات تفصيلية أظهر فيها مذهب السلف، وقارن بينه وبين آراء الخلف، وانتصر لمذهب السلف وأظهر مميزاته وخصائصه بما لا يتوفر في كتاب مستقل، كل ذلك بأسلوب واضح وترتيب جيد ووضوح فكرة.**

كما أن عنايته واهتمامه بكتب شيخ الإسلام كالفتوى الحموية وشرح العقيدة الأصفهانية، والوصية الكبرى وتدريسها في المسجد وإعداد الأحاديث والندوات الإذاعية.

---

(١) كتابه الشيخ مؤرخ بتاريخ ١٤١٧/٥/٢٩هـ.

وقد تدرج رَحِمَهُ اللهُ في مناصب علمية في الجامعة الإسلامية مدرساً، وعميداً لكلية الحديث، ورئيساً لقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية. كما تشرف رَحِمَهُ اللهُ تعالى بالتدريس في المسجد النبوي الشريف، حيث اطلع بتدريس عقيدة السلف، بالإضافة إلى تدريس الحديث ككتاب سبل السلام ونيل الأوطار، ولم ينقطع عن التدريس إلا عندما اشتد عليه المرض، وفترة العلاج التي قضاها خارج المملكة.

وفي يوم الأربعاء ١٤١٦/٨/٢٦هـ أجاب داعي ربه، وسلمت روحه لبارئها، فرحمه الله تعالى رحمة الأبرار، وغفر له وأجزل له الثواب، ونسأله تعالى أن يبارك في أولاده وأحفاده، ويوفقهم لما يحب ويرضى، وفي تعيين عدد من الأساتذة الفضلاء للتدريس في المسجد النبوي، نأمل أن يوفق من يخلفه في مجلسه، ويغطي الجانب الذي كان يعنى به، ويشبع نهم طلبة العلم المتطلعين لدراسة عقيدة السلف التي كان يوليها اهتمامه. والحمد لله رب العالمين"(١).

وقال فضيلة الشيخ الدكتور سعد ندا حفظه الله:"وحين ننظر إلى واقع المسلمين اليوم.. نجدهم قد غزهم أفكار مسمومة من الداخل والخارج...وقد وفق الله عالماً جليلاً هو فضيلة الشيخ الدكتور محمد أمان بن علي الجامي عميد كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، ورئيس شعبة العقيدة بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً، والمدرس بالمسجد النبوي الشريف حالياً، **فبذل كل جهوده في بيان الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بلسانه تارة وبقلمه تارة أخرى؛ ليبصر الناكبين عن الصراط المستقيم، وليهدي المتخبطين إلى تصحيح عقيدهم؛ بالبعد عن خرافات وبدع مقلدي الفرق التي انتسبت زوراً إلى الإسلام، والتي مزقت الأمة الإسلامية، وشتت شمل أفرادها وهم جمع، وأججت نار الخصومة والعداوة والبغضاء بينهم.**

---

(١) سيرة فضيلة الشيخ صـ ٣٧-٣٨.

أقول: وفق الله تعالى بفضله ومنه هذا العالم الفاضل، فأخذ ينصح محاضراً ومؤلفاً..الخ"(١).

وقال الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس -المدرس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض-:"فإن فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله تعالى رحمة واسعة **كان فيما علمت من أشد المدافعين عن عقيدة السلف الصالح -رحمهم الله تعالى- جميعاً الداعين إليها، الذابين عنها في الكتب و المحاضرات والندوات.**
وكان شديداً في الإنكار على من خالف عقيدة السلف الصالح، وكأنما قد نذر حياته لهذه العقيدة تعلماً وتعليماً وتدريساً ودعوة، وكان يدرك أهمية هذه العقيدة في حياة الإنسان و صلاحها. كما كان يدرك خطورة البدع المخالفة لهذه العقيدة على حياة الفرد والمجتمع، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له ولجميع المسلمين، آمين يا رب العالمين"(٢).

لم تكن شهادات أهل العلم للشيخ محمد أمان بالمكانة العالية مجرد نثر، بل قيلت فيه رحمه الله أشعاراً كثيرة، ومنها ما قيل في حياته ومنها ما قيل بعد وفاته، ومما قيل في حياته: قصيدة فضيلة الدكتور محمد بن هادي المدخلي حفظه الله، المسماه بـ(شيخ الأكابر):

سلامٌ على أشياخ طيبة إنهم ... دعاةٌ هداةٌ هم نجوم الدياجر
دعاةٌ إلى الرحمن يهدون خلقه ... إلى الحق و التقوى و نور البصائر
فأكرم بهم من معشر بان صدقهم ... بنصرهمُ للحق بين العشائر
وأذكر بالتخصيص منهم محمداً ... أبا أحمد الجامي شيخ الأكابر

(١) تقديم الشيخ سعد ندا لكتاب العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ٤٠-٤١.
(٢) نقلاً عن سيرة فضية الشيخ محمد أمان صـ٣٨.

هو العالم العلامة الصادق الذي ... إذا ناب خطبٌ خلته خير ناصر
مجالسه معمورة لا تجد بها ... سوى كتُبِ التوحيدِ رأسَ المفاخر
وكُتبِ حديث المصطفى يدرسونها ... عليه و شيخي للهدى خيرُ ناشر
فهذا كتاب المنتقى خيرُ شاهدٍ ... على صدق ما قد قلت قل للمكابر
أبا أحمدٍ قد صرت والله شوكةً ... بعين الأعادي واللُهى والحناجر
أبا أحمدٍ صارت ردودك غصةً ... يُغص بها الأعداءُ من كل فاجر
فضَحتَ جماعاتِ الضلالِ بأسرها ... فبانَتْ مخازيها لبادٍ وحاضر
تحذِّرُنا التبليغَ في كل مجمعٍ ... بإظهار ما عندَ الأُولى من مَخاطر
ولم تبقِ للإخوان مِنْ مُتَعَلقٍ ... به يلْبِسون الحقَ عند المُناظر
وسويتَ بالتُّربِ الترابيَ بعدما ... أشيد به من فوق جُلِّ المنابر
وأما سرورُ القوم لا سُرَّ قَلْبُه ... فعريتَه حقاً لدى كلِّ ناظر
وهتَّكْتَ أستاراً له وكشفتَه فـ ... ـما اسطاع بعد اليوم يأتي بساتر
فمناهجُه للأنبياء فضحتَه ... و بيَّنت ما فيه من السم غائر
ومن بعد ما بينتَ قام شيوخُنا ... و أفتوا بحكم الشرع فيه لحائر
فهذا ابنُ بازٍ و ابنُ فوزانَ صرَّحوا ... بتحذيرِهم من كُتْبه للمُذاكر
فجُنَّ جُنونَ القومِ يا شيخُ بعدما ... أطحتَ بأصنامٍ لهم للمُناخر
و لم يستطيعوا الصبرَ بعد الذي جـ ... ـرى رؤوسَهمُ قطعتَها بالبواتر
بواترُ حقٍ من كتابٍ وسنّةٍ ... إذا أُرسلتْ جزَّتْ كبرقِ الأعاصر
ترى القومَ معذورين إذ هم تشنجوا ... و ماجوا وهاجوا مثلَ هيجِ الأباعر
و لكنهم لم يستطيعوا إجابةً ... بعلم فمالَوا للأذى والتشاجُر
يظنون أن الشيخَ لا أهل عنده ... يحوطونَه من كل باغٍ وغادرِ
فخابوا بما ظَنوا و طاحوا بعـ ... ـصبةٍ أسود وأخرى كالصقورِ الكواسر
يُعيُركَ الأنذالُ باللون ما درَوا ... بأن سوادَ المسكِ ليس بضائر
وأن سواد العودِ ما ضرَ طيبُه ... فريحتُه محبوبةً في المباخر

يزيدونه حرقاً ويزدادُ طيبــه انتـــــــشاراً على الأقوام مـــن كل حاضـــــر
فواعجباً من فعلـــــهم وجـــزائـــــهِ يزيـــــدون إحرقاً ويجزي بعـــاطـــــــر

وهناك عدة قصائد للشيخ حافظ الحمدي[1]، ومن ذلك قصيدة له بعنوان: (قمراً من أرض طيبة) في ثلاثة وعشرين بيتاً من الطويل، قالها بسبب الاعتداء الآثم على الشيخ في مسجد العبيكان، ومطلعها:

صروف الليالي رفعة في المراتب وذكر جميل في الدنا والعواقب

وله وفقه الله قصيدة بعنوان: (انتصاراً للعقيدة وأهلها) ذب فيها عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما رُمي به من البهتان، ومما عِيب عليه من الهذيان. وهي في خمسة وثلاثين بيتاً، مطلعها:

ألا ليت شعري هل رسى في القبائل مناد ينادي في الرجال البواسل

وله قصيدة بعنوان:(شتان بين أصيل الغرس والبادي) ذب فيها عن علماء المدينة، ويخص الشيخ محمد أمان بالثناء الجميل؛ ليقابل ولو بشيء يسير الأذى الذي ألحقه أهل الباطل بهؤلاء العلماء، وهي تقع في ثمانية عشر بيتاً، قال في مطلعها:

لا يصرفنك عن أشياخنا حادي يحدو الشباب كمثل العيس في الواد

وله قصيدة بعنوان: (إتحاف وتنبيه الأفاضل بتزييف تهم أهل الباطل)، رد فيها على من فسر بيان الشيخ ابن باز على علماء المدينة، الذابين عن السنة والعقيدة، وتقع في اثنين وتسعين بيتاً، قال في مطلعها:

هو التفرق فاعلم أنه قدر وما خلاف ذوي الأهواء يعتبر

وغيرها من الأشعار التي لم يتيسر الحصول عليها منه ومن غيره.

(١) ذكرها الشيخ مصطفى في أواخر كتابه سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـــ ١٤٦-١٥٥.

رثاؤه:

ولما توفي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رثاه جماعة من العلماء وطلبة العلم، وممن رثاه:

فضيلة الشيخ العلامة الفقيه زيد بن محمد بن هادي المدخلي حفظه الله، حيث قال[1]:

بكت عيني و حق لها البكاء ... وقال القلب للجامي الدعاء
فنصف القرن في الإصلاح دوما ... لتهنأ ذخره نعم العطاء
و نصر الحق تبذله احتساباً ... وعند الله في ذاك الجزاء
وكم واجهت من فكر خطير ... لنشر الشر يعقبه البلاء
فقمت بنسفه حقاً و قسطاً ... فبان الحق و ارتفع اللواء
و كم من شبهةٍ جالت فمالت ... بأهل الجهل يحملها النداء
فقمت بدحضها صدقاً و عدلاً ... فزال الجهل و انكشف الغطاء
بكتك منابر و بكتك كتب ... فقيدَ الفضلِ شيمتك الحياء
رماك المغرضون بكل سوءٍ ... ونصح الخلق يصحبه الرجاء
هزرت منابراً بالوعظ ذكرى ... وحاشا القرم بل ذاك ابتلاء
ملئت قلوبنا يا شيخ حزناً ... و عند الله يحتسب الجزاء
رزايا الموت تترى كل حين ... و كل الخلق في هذا سواء
فصبراً يا دعاة الحق صبراً ... و سدوا الثغر أنتم أولياء
و خصوا ذا الفقيد بطيب قول ... دعاء خالصاً معه الثناء
فأنتم بالعدالة قد ذكرتم ... سراة الجيل ليس بكم خفاء
ألظوا بالدعاء فقد سعدتم ... بحسن النهج يصحبه النقاء
ففضل الله مدرارٌ رحيب ... و حزب الله بينهم الولاء
و يا رباه ألهمنا اصطباراً ... على المقدور إذ نفذ القضاء

(١) انظر: الديوان المليح صـ٩١-٩٢.

وممن رثاه الأخ أبو سلمى سلطان بن محمد النبهان، بدالية سماها (ليل من الأحزان) في ثمانية وعشرين بيتاً قال في مطلعها:

ليل من الأحزان بات بمرقدي عالعين فيه سحابة في فدفد

وممن رثاه الأخ ثامر زيد المطيري، بقصيدة مطلعها[(١)]:

خلت الديار محلها برفيقها وبكى الأنام مودعين لشيخها

بكى المخلصون لشيخ طيبة إنه غمر القلوب بعيدها وقريبها

وأيضاً رثاه: عايش الزبالي الحربي، بقصيدة نبطية في ستة عشر بيتاً، قال فيها:

جاني خبر حرك دموعي تحراك وسالت دموع العين مثل النبوعي

قال الشيخ مصطفى:"في الحقيقة رثاه جمع من طلاب العلم والمحبين للعقيدة، والمنهج السلفي بقصائد جمة ضاع مني بعضها، و لم يصلني بعضها ممن نظمها"[(٢)].

وهذه بعض ما تيسر جمعه من شهادات أهل العلم –من العلماء وطلبة العلم– التي تدل على اتفاق كلمتهم على المكانة الرفيعة التي حظي بها الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ بينهم، وبالله التوفيق.

(١) راجع شريط بعنوان: (فقد العلماء –وفاة الشيخ الجامي–).

(٢) سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـــ ١٥٦.

المبحث الرابع
شيوخه وتلاميذه

المطلب الأول: شيوخه:

لاشك أن لتلك المكانة التي حظي بها الشيخ محمد أمان رحمه الله -على كثرة المصاعب التي واجهته- أسباباً، ومن تلك الأساب التي أوصلته إلى تلك المكانة الرفيعة تتبعه لعلماء عصره، وحرصه المحفوف بالجد والاجتهاد للاستفادة منهم، وقد سبق بيان كثرة رحلاته العلمية، ولاشك أن له في كل رحلة شيوخاً أخذ عنهم العلم، وكان لهم الأثر البالغ في تكوين شخصية الشيخ العلمية والعملية، ولم أتمكن من معرفة جميع مشايخه، وسأورد جملة من الذين استفاد منهم، فيما يلي:

الشيخ موسى الملقب بـــ(يكا) نسبة على بلدة اسمها يكا[(١)]:

درس عليه الشيخ رحمه الله نظم الزبد[(٢)] لابن رسلان[(٣)].

والشيخ أبادر[(٤)]:

درس عليه الشيخ رحمه الله متن المنهاج[(٥)].

---

(١) لم أجد للشيخ ترجمة ولعله الشيخ النحوي أبو محمد الشيخ موسي بن محمد الأديلي، انظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الهرري؛ حيث عُد من مشايخه.

(٢) هو نظم لكتاب الزبد في الفقه الشافعي لهبة الله البارزي. وقد اعتبره البعض نظم لمتن أبي شجاع مع زيادات. انظر: مقدمة الكتاب.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف بن علي، المعروف بابن أرسلان، له مصنفات منه: شرح سنن أبي داود، ونظم الزبد وغيرها، توفي سنة ٨٤٤هـــ. انظر: الضوء اللامع ٢٨٣/١.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) كتاب في الفقه الشافعي للإمام أبي القاسم الرافعي.

والشيخ محمد أمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن أبو ياسين الأرمي جنساً، العلوي قبيلة، الأثيوبي دولة الهرري منطقة الكري ناحية البويطي قرية، صاحب التفسير، له معرفة تامة بعلوم اللغة، مقيم حالياً بمكة(١).

وقد درس عليه الشيخ محمد أمان العربية في بلده(٢)؛ فهو من بلدة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وقد أحسن الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ له كثيراً وخصوصاً بعد قدومه.

وما سبق من الشيوخ هم الذين استفاد منهم الشيخ في بلده، أما العلماء الذين استفاد منهم بعد قدومه إلى المملكة العربية السعودية فهم كثر ومنهم:

فضيلة الشيخ العلامة المحدث محمد بن عبد الرزاق حمزة بن تقي الدين بن محمد عالم المصري، درس في الأزهر، ودرَّس بدار الدعوة والإرشاد التي أسسها محمد رشيد رضا، واستدعاه الملك عبد العزيز ليصلي بالناس في الحرم المدني ثم انتقل إلى الحرم المكي، وشارك في تأسيس دار الحديث، ودرس في المعهد العلمي بالرياض، له مؤلفات قيمة منها: ظلمات أبي رية وغيرها، توفي ١٣٩٢/٢/٢٢هـ(٣).

وقد درس عليه الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ بعد قدومه من بلده.

فضيلة الشيخ العلامة المحدث عبد الحق بن عبد الواحد بن محمد الهاشمي، تولى القضاء والخطابة بالجامع العباسي في الهند، وعُين مدرساً في المسجد الحرام في عام ١٣٦٨هـ. توفي ١٣٩٢/١٠/١٨هـ(٤).

وقد درس عليه الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ في حلقته في المسجد الحرام.

فضيلة الشيخ العلامة المحدث المعمر محمد عبد الله بن أحمد بن حسن الأغاديني الصومالي، عُين مدرساً في المسجد الحرام سنة ١٣٧٢هـ، كانت له عناية فائقة بكتب

---

(١) انظر ترجمته: في مقدمة تفسيره: حقائق الروح والريحان.

(٢) ذكر الشيخ مصطفى أن الشيخ قد أخبره بذلك، انظر: سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ ١٤.

(٣) انظر ترجمته: الأعلام للزركلي ٢٠٣/٦، وكتاب (الشيخ العلامة المحدث محمد عبد الرزاق حمزة حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة) لمحمد بن أحمد سيد.

(٤) انظر ترجمته: الأعلام للزركلي ٢٨١/٣.

الحديث وخصوصاً صحيح البخاري، وقد كتب عنه الشيخ فهد الكشي رسالة صغيرة بعنوان:(قواعد مفيدة في معرفة أسماء الرجال المذكورين في جامع الإمام البخاري) توفي ١٤٢٠/٩/٣هـ[١].

درس عليه الشيخ محمد أمان في دار الحديث وفي المسجد الحرام، وقد أخبرني الشيخ يحيى بن عثمان الهندي حفظه الله: أنه تزامل مع الشيخ محمد أمان عند الشيخ محمد بن عبد الله الصومالي والشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة رحمهم الله[٢].

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي الففوي مولداً، والمدني مهاجراً، والمحدث مسلكاً والفلاني نسباً. نفع الله به نفعاً كبيراً في تدريسه بالمسجد النبوي، وفي مدرسة دار الحديث المدنية، وفي الرياض عندما كان مدرساً بالمعهد العلمي، وفي مسجد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، وفي كلية الشريعة بالرياض، توفي ١٣٧٧/٣/٢٨هـ[٣].

وقد لازمه الشيخ محمد أمان منذ عام ١٣٧٢هـ، واستفاد منه كثيراً[٤].

سماحة المفتي العلاَّمة الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، آل إليه رئاسة المعاهد التعليمية والفتوى والقضاء، بعد الشيخ ابن عتيق، توفي ١٣٨٩/٩/٢٤هـ[٥].

وقد تأثر الشيخ به واستفاد منه عندما كان يدرس في الرياض.

فضيلة الشيخ العلامة الأصولي المفسر محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: عين للتدريس في المعهد العلمي بالرياض، وكان يدرس في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ودرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

---

(١) انظر ترجمته: مجلة الأصالة العدد (٢٧) صـ ٧٩-٨٢. للشيخ عمر السبيل.

(٢) وكان ذلك عند زيارتي له في بيته بحي الملاقية بمكة، بتاريخ ١٤٣١/٢/١٣هـ.

(٣) انظر: (ترجمة الشيخ عبد الرحمن الإفريقي) لفضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته.

(٤) نبه على ذلك فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته.

(٥) انظر ترجمته في مقدمة مجموع فتاواه ورسائله جمع عبد الرحمن ابن قاسم.

وفي الحرم النبوي، ولما شكلت هيئة كبار العلماء، كان رَحِمَهُ اللهُ عضوًا من أعضائها، وكان رئيســًا لإحدى دوراتها، توفي ١٣٩٣/١٢/١٧هـ(١).

درس عليه الشيخ في الرياض، كما درس عليه في بيته بالمدينة النبوية بعض (المنطق) وكان يحضر هذا الدرس سماحة الشيخ ابن باز والشيخ عطية محمد سالم(٢).

الشيخ العلاَّمة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، كان ذا معرفة بالفقه وأصوله، والتفسير وعلومه، وله عناية فائقة بكتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم، تولى إمامة الجامع الكبير والتدريس فيه، توفي سنة ١٣٧٦هـ(٣).

استفاد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وتأثر به، وكانت بينهما مراسلات، وذكر الشيخ مصطفى أنه سأل الشيخ هل درس على الشيخ السعدي؟ فذكر أنه لم يدرس عليه وإنما كانت بينهما مراسلات(٤).

فضيلة الداعية الشيخ المجدد المصلح عبد الله بن محمد بن حمد بن عثمان بن علي بن نجيد القرعاوي النجدي، جدد الله به الجنوب من بقايا الشرك والقبورية، ونفع بدعوته نفعاً عظيماً، وأحيى الله على يديه البلاد والعباد، توفي ١٣٨٩/٥/٨هـ(٥).

واستفاد منه الشيخ بعد أن أرسله الشيخ محمد بن إبراهيم ليحل النقص الذي حصل بوفاة الشيخ حافظ الحكمي، فدَرس ودرَّس، وأعجب بالتجديد الإصلاحي الذي بذله الشيخ رحمهم الله.

فضيلة الشيخ العلامة المحقق عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النوبي، كان مشغولا بالإفتاء لذا فقد كان قليل التصنيف مع تبحره في

---

(١) انظر ترجمة : مقدمة كتابه أضواء البيان لتلميذه عطية محمد سالم.

(٢) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ٢٠.

(٣) انظر ترجمته: في مقدمة مجموع مؤلفاته ورسائله.

(٤) سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ ١٩.

(٥) انظر ترجمته: (المسيرة لداعية جنوب الجزيرة الإمام عبد الله القرعاوي) لبندر بن فهد الإيداء.

العلوم، عين مدرساً بالمعاهد التابعة للأزهر، ندب للتدريس بوزارة المعارف في المملكة، ثم نقل للرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، وعين نائباً لرئيسها، توفي١٤١٥هـ[(١)].

وقد تأثر الشيخ به تأثراً ملحوظاً وخصوصاً في أسلوبه في التدريس.

سماحة شيخ الإسلام ومفتي الأنام الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، كان أمة عالماً عاملاً، تولى رئاسة الجامعة الإسلامية، وعين رئيساً لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورئيساً لهيئة كبار العلماء، ومفتي عام المملكة، توفي ١٤٢٠/١/٢٧هـ.

لازم الشيخ محمد أمان العلامة ابن باز ملازمة تامة طالباً ومدرساً وخصوصاً بعد وصية الشيخ السعدي له. وكان كثيراً ما يذكره بالفضل والإحسان في دروسه، ويدعو له ويحض الطلاب عليه، ويكثر من استشارته، وقد سبق نماذج من ذلك، بل لا يكاد ينقطع اتصاله به[(٢)]. وكان الإمام ابن باز يجل الشيخ محمد أمان، وهو محل ثقة تامة عنده، ويستعين به بعد الله في كثير من الأمور التي فيها نفع ودعوة للمسلمين، وقد سبق ذلك الخطاب الذي يهز المشاعر الذي أرسله سماحته لمدير الجامعة الإسلامية آنذاك، واستمر الشيخ بالدفاع عن تلميذه بعد وفاته عندما أكثر المرجفون من الطعن والتنقص منه.

فضيلة الشيخ العلاَّمة الدكتور محمد بن خليل حسن هراس، كان أشعرياً، ثم هداه الله بكتب شيخ الإسلام، فألف رسالته (ابن تيمية السلفي) طلبه سماحة العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز لكي يدرس العقيدة الإسلامية بمكة المكرمة، فشغل منصب رئيس قسم العقيدة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، ودرس قبلها في الرياض، توفي سنة ١٩٧٥م[(٣)].

---

(١) انظر ترجمته: مقدمة كتاب (الشيخ عبد الرزاق عفيفي فتاواه ورسائله).

(٢) أخبرني بذلك علي بن الشيخ محمد أمان.

(٣) انظر ترجمته: (الشيخ محمد خليل هراس و جهوده في تقرير عقيدة السلف) رسالة علمية بجامعة أم القرى لواصل السلمي.

وكان الشيخ محمد أمان متأثراً به، وكان كثيراً ما يذكر توبته، ويقول:"هو من مشايخي الذين درست عليهم العقيدة والتفسير في جامعة الإمام، عندما كانت تسمى في السبعينات (الإدارة العامة للمعاهد والكليات) وللشيخ ﷬ تعليقات نفيسة على شرح الهراس للواسطية"[(١)].

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا، وهومن أوائل مدرسي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وكان يدرس بالمسجد الحرام، وعضو هيئة التوعية للحج، ورئيس لهيئة التوجيه بجدة، توفي ١٤٣٠/١١/٢٤هـــ.

درس عليه الشيخ في الدراسة النظامية، وكان بينه وبين الشيخ محمد أمان إجلال كبير فمرة في إحدى الجلسات قدم الشيخ البنا لتلميذه الشيخ محمد أمان رحمهما الله، فقال:"هذا ومعنا الزميل الفاضل والأخ الكريم شيخنا الآن محمد أمان فيتفضل، سيسأله بعض الإخوان أسئلة إن شاء الله يكون لها الفائدة لنا جميعاً، والذي يكون له سؤال أو شيء يتفضل بكتابته؛ لأن الأسئلة والأجوبة فيها الخير العظيم إن شاء الله، فليتفضل شيخنا أمان أمّنه الله من النار، وجزاه عنا وعن الإسلام خير الجزاء فليتفضل مشكورا". فعقب الشيخ محمد أمان ﷬ على هذا التقديم بقوله:"فشيخي الذي قدمني فقال "أحد زملائنا" تواضع منه، وإلا فالشيخ محمد هو شيخي وأستاذي درست عليه دراسة نظامية، فأنا تلميذه هذا من باب بيان الواقع"[(٢)]. سقت هذا المقطع كاملاً؛ لبيان الاحترام المتبادل بين العلماء، وبيان أن الشيخ البنا درَّس الشيخ محمد أمان في الدراسة النظامية، ولعل ذلك في الرياض والله أعلم.

فضيلة الشيخ العلامة المحدث حماد الأنصاري الخزرجي، درس ودرَّس في الحرم المكي، وانتقل إلى المدينة ودرس في الجامعة الإسلامية، وقبل ذلك درس في الرياض، وله مكتبة حافلة، وانتفع به خلق كبير. توفي ١٤١٨/٦/٢١هـــ.

---

(١) راجع: الأشرطة المتضمنة لتعليق الشيخ على شرح الواسطية، شرح التدمرية الشريط (٤) و (ب).

(٢) توجيهات بعد صلاة العشاء بداية الشريط (٧).

عده الشيخ مصطفى من شيوخ الشيخ الجامي رَحِمَهُ اللهُ رحم الله الجميع(١).

المطلب الثاني: تلاميذه:

رجل هذه مكانته عند أهل العلم، وهذه جهوده في الدعوة إلى الله تعالى، رجل شعاره أينما حل قول المصطفى ﷺ: (ولكن بُعثت معلماً)(٢)، سواء في داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها، يصعب حصر طلبته وتلاميذه الذين استفادوا منه، خصوصاً أنه صار بسبب تلك المكانة محط أنظار طلبة العلم، وقد تخرجت على يديه أجيال، وتلقى عنه أفواج لا يحصون كثرة، سواء من درس عليه في جازان أو في المدينة النبوية، بل أو في باكستان أو في أفريقيا أو في الصومال أو في جيبوتي وغيرها، أو من خلال تدريسه في المسجد النبوي الشريف أو مساجد جدة أو في المنطقة الشرقية، أو من خلال مجمع طلاب أبناء المسلمين الجامعةَ الإسلامية، ذلك الصرح الشامخ، الذي بني؛ لنشر دين الله في بقاع الدنيا، فكم تخرجت على يدي الشيخ في هذه الجامعة من أفواج؟ وكم أشرف على رسائل طلابها؟ وكم ناقش؟.

و سأكتفي بذكر بعض الطلاب(٣):

فضيلة الشيخ المحدث الأستاذ الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي أستاذ ورئيس قسم السنة في الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة سابقاً.

فضيلة الشيخ العلامة الفقيه زيد بن هادي مدخلي آلت إليه الفتوى في منطقة الجنوب.

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور علي بن ناصر فقيهي المدرس بالمسجد النبوي.

فضيلة الشيخ هادي بن أحمد علي طالبي رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) انظر: ترجمة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ١٩.

(٢) أصله عند مسلم (٣٦٩٠).

(٣) الذين اكتفى بذكرهم الشيخ مصطفى الهوساوي في ترجمته للشيخ صـ ٤٠-٤١.

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد بن حمود الوائلي المدرس بالمسجد النبوي ووكيل الجامعة الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فضيلة الشيخ المحدث عبد القادر بن حبيب الله السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور صالح بن سعد السحيمي المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية سابقاً.

فضيلة الشيخ العلامة الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح محي الدين رئيس قسم فقه السنة بكلية الحديث في الجامعة الإسلامية سابقاً.

فضيلة الشيخ فالح بن نافع الحربي المدرس بالمعهد الثانوي في الجامعة الإسلامية سابقاً.

فضيلة الدكتور المقرئ علي جابر إمام وخطيب المسجد الحرام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فضية الأستاذ الدكتور الأصولي أحمد محمود عبد الوهاب الشنقيطي، الأستاذ بقسم أصول الفقه في الجامعة الأسلامية سابقاً.

فضيلة الدكتور صالح الرفاعي الباحث بمركز خدمة السنَّة والسيرة النبوية.

فضيلة الدكتور فلاح إسماعيل المدرس بجامعة الكويت -حفظه الله تعالى- سابقاً.

فضيلة الدكتور فلاح بن ثاني المدرس بجامعة الكويت، الأستاذ بجامعة الكويت سابقاً.

فضيلة الشيخ مصطفى بن عبد القادر الهوساوي.

فضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم البخاري، الأستاذ المساعد بكلية الحديث في الجامعة الإسلامية.

فضيلة الدكتور خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور السوداني.

فضيلة الدكتور محمد أحمد لوح السنغالي.

فضيلة الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، الأستاذ بقسم العقيدة بكلية الدعوة في الجامعة الإسلامية.

فضيلة الدكتور محمد بخيت الحجيلي، الأستاذ المساعد بقسم فقه السنة بكلية الحديث في الجامعة الإسلامية.

فضيلة الدكتور صالح بن عبد العزيز سندي، الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بكلية الدعوة في الجامعة الإسلامية.

فضيلة الشيخ خالد بن حمزة الهندي المدرس في وزارة المعارف وحلق التحفيظ بجدة.

فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحكيم بن محمد شاكر من جزر القمر.

فضيلة الشيخ عبد الله بن مرعي بن بريك القائم على دار الحديث بالشحر –حضرموت.

فضيلة الشيخ هاني بن علي بن سالم بن بريك القائم على مسجد الأنصار بمدينة عدن.

وآخرين يصعب حصرهم؛ إذ هم على طبقات مختلفة، وبلدان شتى، وفترات متفاوته، وما ذُكر إنما يعتبر نزر يسير بالنسبة لمن لم يذكر، والله أعلم.

المبحث الخامس
عقيدته

إن الحديث عن عقيدة أي شخص من الأهمية بمكان؛ لأن العقيدة أساس لكل أعماله وتصرفاته، وأصل لدعوته وطريقته، فكيف إذا كان الحديث عن عقيدة داعية انتشرت دعوته، فإن ذلك مما يزيد من أهمية معرفة عقيدته التي يدين الله بها، ومنهجه الذي يسير عليه.

والكلام في هذا المقام عن عقيدة الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله، والمتأمل في عنوان الرسالة يجد أن البحث كله في ذلك، وقد تعمدت تأخير هذا المبحث حتى أنتهي من جميع المسائل العقدية التي قررها، ونشرها ودعا إليها، ولا يسعني بعد تلك السياحة الطويلة التي دامت طيلة كتابتي للبحث، إلا أن أعترف بالفضل لأهله وأنه رحمه الله موافق لما قرره السلف الصالح في تلكم المسائل، ومقرر وداع إلى منهجهم والسير على منوالهم، ومتفانياً في الدفاع عن تلكم العقيدة التي نذر حياته من أجلها، بل ومحارب جميع الفرق والأحزاب التي خالفت تلكم العقيدة السلفية، فكان رحمه الله سيفاً مصلتاً على كل من خالف العقيدة الصحيحة؛ ناصراً بذلك دين الله، ومناصحاً عباده، مقتفياً في ذلك كله منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، ونحسبه من أولئك الرجال الذين سخرهم الله لحمل العقيدة الربانية والدفاع عنها والدعوة إليها، في هذا الزمن الذي غلبت فيه الأهواء والفتن.

ويكفي في بيان صحة ذلك معرفة منهجه السديد في الاستدلال(1)، وسلامته من التناقض والاضطراب، فقد جعل المصدر الأساس لكل جوانب الحياة كتاب الله، قال رحمه الله: "**هذا القرآن نؤمن بأنه من عند الله، ونتخذه دستوراً نحكم به ونتحاكم إليه، ونسير إلى الله في ضوئه؛ هو الحكم، وهو كتاب العقيدة، كتاب التوحيد، كتاب**

---

(1) وقد خصصت في هذه الرسالة مبحثاً في جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الاستدلال صـ611.

العبادة، كتاب الأحكام، كتاب الأخلاق، كتاب السياسة، كتاب الاقتصاد، كتاب كل شيء إذا فهم وعمل به"[1]، وجعل السنة صنو القرآن، وحياً مثله، وملازمة له ولا تكاد تفارقه، ولا يكاد القرآن يفهم كما يجب أن يفهم إلا بالرجوع إلى السنة في كثير من آياته، ولاسيما آيات الأحكام[2]، وقد كانت دعوته إلى توحيد الله تعالى والعمل وفق ما يرضيه عنا في هذه الدنيا، بتوحيد المصدر الذي يوصلنا إليه تبارك وتعالى، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**دعوتنا إلى وحدة المصدر للعقيدة الإسلامية حقيقة دل عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية، والعقل السليم لا يعارضها، على القاعدة التي تقول: (العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح)**"[3].

ومن منهجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ التحذير من مخالفة ما كان عليه السلف، فكثيراً ما يرشد للأخذ بإجماع السلف وفهمهم؛ لأن ذلك يعد سمة لمن كان يسير على منوالهم ويقتدي أثرهم علماً وعملاً، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليقاً على قوله ﷺ (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي): "**هذا واجبنا وكلما نكون أقرب إلى التمسك بسيرهم وفهم الإسلام في ضوء مفهومهم نكون اقرب إلى الإسلام، وكلما يبتعد الناس عن حياة الصحابة والتابعين أي: عن التأسي بالسلف الصالح؛ يبتعدون عن الحق ويقعون في الابتداع، وقد صدق القائل وإن كان خلفيا حيث قال:**

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف[4]"[5]

ومن منهجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إظهار وسطية منهج السلف بين الفرق والطوائف يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "**الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينهجون منهج السلف، ليس في هذا الباب فحسب،**

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صـــ٩٠.

(٢) انظر: منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ١٧٦.

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٤٥-٢٤٦.

(٤) البيت لابراهيم البيجوري انظر: جوهرة التوحيد، وما أكثر ما يتمثل الشيخ بهذا البيت ويشيد به، وكما قال: مع أن قائله خلفي.

(٥) من محاضرة بعنوان: (الحكم بغير ما أنزل الله).

بل في جميع الأبواب التي تتفرق فيها الفرق -وهم بين التفريط والإفراط- مثل نصوص الوعد والوعيد، وأفعال العباد وموقفهم من الصحابة ﷺ. ولهذا كله يعتبر منهج السلف الصالح سفينة نوح عليه السلام التي لا تُكْتَبُ النجاة والسلامة إلا لركابها، وأما من تخلف عنها فله الغَرَقُ والهلاك ولا محالة"(١).

والمقصود أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان على منهج وعقيدة السلف، وقد عرض عقيدة السلف عرضاً مجملاً بنوع من الاختصار في مقدمة كتابه (العقيدة الإسلامية وتاريخها) فقال:"فإن العقيدة الإسلامية هي: تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به..

ونعني بالمطالب الإلهية: الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، وغير ذلك مما يجب الإيمان به...

ويدخل في المطالب الإلهية الإيمان بقدر الله السابق وقضائه النافذ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وأن ما أصاب العبد في علم الله لا يخطئه، وما أخطأه في علمه لا يصيبه؛ إذ لا يقع شيء في ملكه دون قدره وقضائه وفعله...

ومما يدخل في المطالب الإلهية: الإيمان بملائكته جملة وتفصيلاً؛ تصديقاً لخبر الله تعالى، وهم جنود الله في سماواته وأرضه، موظفون في مختلف الوظائف: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

كما يدخل في المطالب الإلهية: الإيمان بكتبه المنزلة على رسله بالهدى ودين الحق، وأن تلك الكتب من كلام الله تعالى حقيقة، وأن كلام الله لا نفاد له. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ

(١) الصفات الإلهية صـ٤٧٦.

أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ وغير ذلك مما يجب الإيمان به من جزئيات هذا الباب العظيم...

والإيمان برسل الله تعالى جملة وتفصيلاً، والإيمان بنبينا محمد ﷺ بصفة خاصة، وأنه خاتم الأنبياء، وأن الأعمال لا تقبل من أحد إلا إذا جاءت موافقة لهديه ﷺ، وأنه هو إمام المرسلين وسيد الناس أجمعين، صاحب الرسالة العامة إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وأنه يجب تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، مع الانتهاء عما نهى عنه؛ إذ طاعته من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ ...

وقد بلغ رسالة ربه دون أن يكتم منها شيئاً في نصح تام دونه كل النصح، وقد شهد له أصحابه بذلك في أعظم اجتماع تاريخي في حجة الوداع، فكان جوابهم: (نشهد أنك بلغت ونصحت). ما أعظمه من جواب! ملؤه الإيمان الصادق، فرضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ.

ونحن نشهد كشهادتهم: أنه ﷺ بلغ رسالة ربه، ونصح لأمته، فما من شيء يقربهم إلى الله إلا بينه لهم ودعاهم إليه، ورغبهم فيه، وما من شيء يبعدهم عن الله إلا بينه لهم ونهاهم عنه وحذرهم منه -عليه الصلاة والسلام-...

وأما الإيمان بأمور المعاد؛ فنعني به: الإيمان بالبعث بعد الموت، وإعادة الحياة الحقيقية إلى الأجساد، وما يتبع ذلك مما يجري في عرصات القيامة وفي الحياة الآخرة، بدءاً من البعث بعد الموت، وانتهاءً إلى الجنة ونعيمها الدائم الذي لا يزول، أو إلى النار وعذابها الدائم الذي لا ينتهي(١).

وتعريف الإيمان المأخوذ من الكتاب والسنة، التعريف الجامع المانع هو أن تقول: الإيمان عمل بالقلب والجوارح وقول باللسان يزيد وينقص(٢). فإيمان القلب لا يستقيم إلا

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٤٤-٤٩ باختصار.

(٢) راجع: التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٧) و (أ).

بالقول؛ لأن القول هو الذي يصدق ذلك الإيمان الذي في القلب، ولا يعرف إلا به، وإيمان القلب والإقرار باللسان لا يستقيمان إلا بعمل الجوارح؛ لأن عمل الجوارح نتيجة لاستقامة إيمان القلب واللسان معاً؛ معناه حلت الهداية في القلب، فالعمل نتيجة لاستقامة القلب واللسان معاً [1].

وأهل السنة والجماعة لا يُكفِّرون مرتكب الكبيرة، ولا يعطونه الإيمان الكامل المطلق، بل يقولون مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ أي: مؤمن عاصٍ لا يخرج من دائرة الإسلام مهما تكون الكبيرة كبيرة، إن مات على ذلك يخشى عليه وأمره إلى الله، لا يقال: إنه من أهل النار؛ لكونه مات مرتكباً لكبيرة. ولكنه على خطر، هذا موقف أهل السنة قديماً وحديثاً [2].

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ حباً بريئاً من وصمة الغلو والجفاء، فهم قوم نطق بهم الكتاب وبه نطقوا، قوم قام بهم الكتاب وبه قاموا، وهم أكمل الناس إخلاصاً بعد الأنبياء [3].

ومنهج السلف يحث على وحدة الأمة واجتماعها، ويحذر أسباب الفرقة والتشتت؛ لذلك يمنع تعدد ولاة الأمور في وقت واحد، بل فرد واحد، يبايع فيطاع. بل يضرب الإسلام بيد من حديد من ينافس ولي الأمر القائم في بيعته، إذ يقول رسول الهدى ونبي الرحمة عليه الصلاة والسلام (إذا بويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما)[4]"[5].

وختم الشيخ مقدمته للعقيدة الإسلامية بقوله:"**ومسائل هذا الباب هي التي أرسلت الرسل من أجلها، ولها أنزلت الكتب عليهم، وهي خير ما اكتسبته القلوب وأفضله وأحبه وأنفعه.**

(١) راجع: المصدر السابق الشريط (٤٩) و (ب).

(٢) راجع: المصدر السابق الشريط (٤٧) و (ب).

(٣) راجع: التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (أ).

(٤) رواه مسلم (١٨٥٣).

(٥) حقيقة الشورى في الإسلام صـــ٣٥.

فعلى أولي الألباب أن يتسابقوا في معرفة مسائل العقيدة جملة وتفصيلاً؛ كل واحد في حدود استطاعته؛ إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وبعد: هذه هي العقيدة الإسلامية بنوع من الاختصار؛ فأرجو ألا يكون مخلاً، وبالله التوفيق"[١].

والمتأمل فيما سبق من العرض الإجمالي، وما سيأتي من تفاصيل الاعتقاد مما يجده القارئ في الرسالة، يجد أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يخالف أهل السنة والجماعة في أصل من الأصول، بل إن دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعتبر امتداداً لمسيرة دعوة شيخيه ابن إبراهيم وابن باز رحمهما الله كما هو ظاهر لمن تأمل أسلوبه. وقد لحقه في سبيل نشره لتلك الدعوة من الأذى ما الله به عليم في حياته وبعد موته، فرحمه الله رحمة واسعة، ورفع ذكره في الدارين.

افتراءات عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ والجواب عنها[٢]:

لقد منَّ الله على هذه البلاد بنعمة توحيد البلاد والعباد على كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فصارت بذلك جماعة واحدة، ولكن المتربصين بالدعوة كُثر، أرادوا تمزيق الكلمة وتشتيت الصف، ومن أولئك بعض الجماعات الدخيلة على منهج السلف وعلى هذه البلاد، حيث عجزوا عن تحقيق آمالهم في بلدانهم بالوصول إلى المآرب الدنيوية

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٥١.

(٢) أنبه إلى أنه قد كشف افتراءات المخالفين للشيخ ولدعوته كثير من العلماء وطلبة العلم، وذلك مبثوث في كتبهم وأشرطتهم، ومن المقالات الخاصة في ذلك ما يلي:
(ويسألونك عن الجامية) لمحمد بن ناصر العريني، (رد على صاحب السفود) د.صالح السندي، (هذه هي الجامية) د. علي حدادي، (رسالة للطاعنين في الشيخ محمد أمان) لعبد الله بن حميد الفلاسي، (الجامية والوهابية والحشوية)، (وإضاءات في مسألة السلفية الجامية والسرورية) لعبد العزيز الريس، (الرد على من طعن في السلفية وسماها جامية) لبدر بن علي بن طامي العتيبي (الرد القويم على الكاتب آل عبد الكريم في مقالته الجامية على السّفود) لجمال الحارثي. وغير هذه المقالات كثير..

والمناصب الحكومية، بحجة تحكيم الشريعة الربانية، وإقامة الدولة الإسلامية، فجاءوا إلى هذه البلاد التي عُرف أهلها بحب الإسلام والتمسك به، لعلهم أن يحققوا فيها ما عجزوا عن تحقيقه في غيرها. فانطلت الخدعة على كثير من شباب هذه الدعوة المباركة، الذين لم يعرفوا خطر ما تحمله تلك الدعوات من سموم، ولكن انبهروا ببهرج الغيرة على تحكيم الشريعة، وانطلت على كثير منهم تلك الدعوات وصاروا مجنَدين لأولئك الدخلاء.

أدرك المصلحون ذلك الخطر، ومنهم الشيخ محمد أمان رحمه الله بحكم أنه عاش في بيئات متعددة فهو يعرف خطر ذلك، فله سبر خاص بالدعوات الفاسدة التي لا تدعو إلى الكتاب والسنة، وإنما تدعو لحزبياهم ولعقد الولاء والبراء لجماعاهم. تلك الجماعات التي انتشرت بسببها مظاهر التهييج السياسي في هذه البلاد، من التطاول والنيل من ولاة الأمور من العلماء والأمراء، وتشييخ المتعالمين، وتكوين تكتلات حزبية تشتت الصف وتفرق الجماعة(١).

وإليك عرض تجربة عالم عايش تلك الأوضاع المؤلمة، قال فضيلة الشيخ الدكتور صالح السحيمي وفقه الله:"ومنذ الثمانينات كما مرت بنا تلك التجارب في المراحل الثانوية وأصحاب النحل الخارجية الثورية يبذلون قصارى جهدهم في إبعاد الناس عن علمائهم بدعاوى كثيرة منها: أهم لا يفقهون الواقع. ومنها: أهم لا يعرفون إلا أحكام الحيض والنفاس. ومنها: أهم عملاء للسلاطين...شِنشنة تُعرف من أخزم، كما جاء في المثل المعروف(٢). وأنا ممن مر بهذه المراحل حيث كان هنالك بعض الأساتذة الوافدين، يجتمعون بنا في الخلوات والفلوات ونحن صغار، وينفثون هذا الفكر في نفوسنا، **لولا أن قيض الله لنا علماءنا وفقهم الله فكانوا سبباً بعد فضل الله عز وجل في حمايتنا من هذا الفكر الدخيل.** وقد حصل لهم تأثير كبير، فربوا الشباب على منهج معين يتلخص في بداية الأمر بالتشكيك في العلماء، ثم انتقلوا إلى التنفير قبل التكفير؛ بدعوى التباكي على الإسلام، وبدعوى أن العلماء لم يتحركوا لإنقاذ الإسلام مما يتعرض له من هجمات

---

(١) انظر: جهود الشيخ تجاه مظاهر التهييج السياسي في العصر الحاضر فيما سيأتي صـــ٦٨٣.

(٢) انظر: مجمع الأمثال ١٩٢/٢.

شرسة، هذا التنفير نتج عن تجمعات خلوية، إما في بعض الكهوف أو تحت بعض الأشجار، أو في بعض البيوت، **ولكوننا مررنا بهذه المرحلة، حذرونا منذ أكثر من خمس وثلاثين عاماً**، وكان البعض عندما نحذر يستغرب! يقول: هؤلاء أناس أفاضل، وهؤلاء دعاة جاءوا من بعض السجون في بعض البلاد، نفع الله بهم في رفعة الإسلام!!...وكنا على قلب رجل واحد في التعاون مع علمائنا وولاة أمرنا على البر والتقوى، وفي التتلمذ عليهم، أي: العلماء الربانيين، على الدعوة السلفية المباركة...هذه لمحة تاريخية عن الأسباب التي أدت إلى انحراف بعض الشباب، حيث انتقلوا من مرحلة التشكيك إلى التنفير ثم التكفير، ولاسيما التركيز على الحكام وولاة الأمور"[(١)].

والمقصود من عرض هذه اللمحة التاريخية أن فضيلة الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ كان من أولئك العلماء الموجهين للشباب، الناصحين لهم، بل ومن العلماء الذين كان لهم الأثر الكبير في إنقاذ بعض طلبة العلم من الانغماس مع تلك الدعوات؛ ولذلك حاول أصحاب تلك الدعوات قلب ظهر المجن[(٢)]، بطرح الافتراءات والأكاذيب، وكيل التهم والتهاويل التي طالما تناقلها أقوام وهم لا يعقلون معناها، وكان الحاصل على النصيب الأوفر من دلوهم الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ، ولا يسعني حال وصف تلك التهم والشتائم والافتراءات إلا أن أبين أن أغلب تلك الشتائم هي من جنس قول الأستاذ مسعود الندوي رَحِمَهُ اللهُ وهو يصف شيئاً من افتراءات وشتائم ابن فيروز للإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله:"وفي بداية هذا التقريظ[(٣)] يبصر القارئ العبارة التالية، ولعله يذوب حياء لمجرد رؤيتها، ولكن نقل الكفر ليس بكفر، فاضغط على قلبك واقرأ: (..بل لعل الشيخ (يعني عبد الوهاب) غفل عن مواقعة أمه (يعني محمد بن عبد الوهاب) فسبقه

---

(١) من جواب لسؤال وجه للشيخ بعد درس فجر يوم الإثنين ١٤٢٧/٥/٢٣هـ، في دورة حفر الباطن، وقد تم تفريغه ونشره في شبكة سحاب http://www.sahab.net/.

(٢) انظر: مجمع الأمثال ٥٦٧/٢.

(٣) أي التقريظ الذي كتبه محمد بن فيروز لكتاب (الصواعق والرعود) لعبد الله بن داؤد الزبيري ت ١٢٢٥هـ.

الشيطان إليها، فكان أبا هذا المارد...الخ) إنا لله وإنا إليه راجعون، وهل يستطيع كبار المقذعين أن ينحطوا إلى هذا المستوى من الإقذاع"[١].

وما لاقاه الشيخ محمد أمان رحمه الله في حياته وبعد مماته من تشويه له ولدعوته من مفتريات مثل ذلك أو أكثر[٢]، ولا أعلم حسب اطلاعي القاصر أحداً أكثر تحصُّلاً على الأذى منه في هذا العصر. وهذا يقتضي من الدعاة إلى الحق توطين النفوس على مواجهة العواصف العاتية، المنبثقة من سفاهة السفهاء وجهالة الجاهلين وحسد الحاسدين، وليست العبرة مأخوذة من ذلك فحسب، فهي سنة أجراها الله على خير خلقه أنبيائه ورسله، وورثها الدعاة المصلحون إلى يوم يبعثون، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

لن أتعرض لتلك الافتراءات التي ينكرها العقلاء، فقد انكشف الغطاء عن كثير من تلك الدعوات السرية المستوردة، بما ابتلى الله سبحانه وتعالى هذه البلاد من فتن وأحداث، أدرك بها الكثير صحةَ ما دعا إليه الشيخ وغيره من العلماء من خطر تلك الدعوات.

---

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم صـ ١٩٩.

(٢) وقد آثرت عدم ذكر الشتائم؛ وخشية الاتهام بالمبالغة فلا بأس من عرض نماذج من ذلك: (قسيس) (عبد حبشي رأسه كأنه زبيبة) (جاسوس) (عميد ركن في المباحث) .. وغير ما ذكر كثير، وهذه الألقاب تنبئ عن منشأ تلك الأوصاف، ومبلغ الحقد الدفين، هدى الله الجميع لما اُختلف فيه من الحق بإذنه. وتراجع مقالات المفترين على الشيخ وعلى دعوته في الشبكات العنكبوتية المليئة بمثل هذه التهم وأفضع بل وأبشع، ومن غريب ما وقفت عليه مؤخراً مذكرة بعنوان: (تأملات في منهج السلفية الجديدة) وقد أخبرني أحد الفضلاء أنها كانت بعنوان: (تأملات في منهج الجامية)، وليس الغريب ما اشتملت عليه من الأكاذيب والافتراءات المعهودة، ولكن الغريب كما أُخبرت أنها تُدَرَّس في مدرسة نسائية، ومكتوب على طرتها الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمنطقة الرياض، الإدارة العامة للمدارس النسائية. فإلى الله المشتكى..

ولكن لابد من الوقوف مع لقب (الجامية) الذي أطلقه أولئك الخصوم، وتلقفه كثير من أبناء هذا البلد، بل ابتلعه بعض مَن ينتسب للعلم، ولولا ذلك لما تعرضت إليه؛ فإن مؤلفات الشيخ ومحاضراته وشروحه كفيلة بالإفصاح عن عقيدة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد قربتها في هذا البحث.

ولما كان الغرض من هذا اللقب وما لحقه من ألقاب الطعن في عقيدة الشيخ، وادعاء ضعف الولاء والبراء عنده، وأن ولاءه لجماعة أسسها(١)،كان لزاماً علي تبرئة ساحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من ذلك؛ بجمع أقوال علماء العصر في هذا المقام..

قال سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عندما سأله أحد الحضور أن ينصح الشباب من الجامية؛ فإنها فرقة خطيرة؟

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:"هل هناك فرقة تسمى جامية؟!! هل قصدهم بذلك القذف في الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ؟!! هذا السائل مخطئ خطأ عظيماً، وللأسف جانب الصواب.. الشيخ محمد أمان الجامي، والشيخ ربيع المدخلي، وكل مشايخ المدينة من المشايخ السلفيين المعروفين لدينا بالعلم والعقيدة السليمة، وأوصى الشباب بالاستفادة منهم وقراءة كتبهم، وطلب العلم عندهم.. **ومن قال عنهم جامية فقد سبقوه أسلافهم عندما قالوا: أننا وهابية، فنقول لهؤلاء: -على فهمهم- نحن وهابية جامية، كلنا جامية**؛ لأنها مصطلح جديد اخترعه جهال يريدون قذف دعوة الشيخ محمد عبدالوهاب فكلنا جامية وهابية؛ لأننا سلفيين إن شاء الله تعالى"(٢).

---

(١) ولاشك أن الغاية التي يريدون التوصل إليها بذلك هي: التنفير والتفريق بين المسلمين، والترويج لأفكارهم، والتهوين من خطر أفكارهم التي ضللوا بها الكثير.

(٢) من شريط بعنوان: (الأسئلة السويدية) و (ب). بواسطة مقال بعنوان: (الجامية وما أدراك ما الجامية) لرضوان الورد انظر: http://www.sahab.net.

وقال فضيلة العلامة المحدث عبد المحسن العباد حفظه الله في معرض رده على صحفي[(١)]، حيث قال:"ينبز بعض المناوئين لأهل السنة بعض أهل السنة بأنهم (جامية)، ومن النابزين بذلك أسامة بن لادن عندما كان في السودان قبل ذهابه منها إلى حركة طالبان بأفغانستان، **وهذا النبز بـــ(الجامية) لبعض أهل السنة نظير نبز المناوئين لأهل السنة دعوةَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بـــ(الوهابية) تنفيراً منها**، والذي عُرف بنسبة (الجامي) هو الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي توفي قبل خمسة عشر عاماً تقريباً، وكان له جهود طيبة في بيان عقيدة أهل السنة والدفاع عنها، وهذا الصحفي من النابزين بذلك، قال: (وحتى المديرون الأربعة الذين أعقبوه (البدر والزايد والعبيد والعبود) كانت لهم سياستهم التي دافعوا عنها في حينه، لكن الذي وثقته المصادر المهتمة برصد تاريخ الجامعة أنهم جميعاً كانوا يحاولون تحقيق توازن وفق رؤيتهم التي يحملونها، فحاولوا ـــ كما تردد ـــ (تحرير الجامعة من التيارات الحزبية) التي قيل: إنها كانت منجماً للتطرف، حتى اتُهموا من جانب مناوئيهم بأنهم (اتخذوا الجامعة محافظة جامية)!!"[(٢)]، ثم أورد وفقه الله المثل الذي ضربه الشيخ محمد أمان لتلك الجماعات التي همها، تجميع الناس دون تصفية أو تربية[(٣)].

وسئل فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول بعض الناس أن هناك فرقة قد خرجت اسمها (الجامية) حتى أطلقوها عليك، فما أدري من أين أتوا بهذا الاسم؟ ولماذا يطلقونها على بعض الناس؟

فأجاب بقوله:"هذا من باب، يعني من باب الحسد أو البغضاء فيما بين بعض الناس، **ما فيه فرقة جامية، ما فيه فرقة جامية، الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعرفه من أهل السنة والجماعة، ويدعوا إلى الله عز وجل، ما جاء ببدعة ولا جاء بشيء جديد،**

---

(١) هو مصطفى الأنصاري نشر مقاله في صحيفة الحياة بتاريخ ١٤٣٢/١/١١هـــ تحدَّث فيه هذا الصحفي عن ماضي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحاضرها.

(٢) مقال بعنوان: (الآثار السيئة لخلع باب الجامعة الإسلامية بالمدينة في عهدها الجديد).

(٣) انظر: جهود الشيخ في نقد الإخوان المسلمين من هذه الرسالة.

ولكن حملهم بغضهم لهذا الرجل أنهم وضعوا اسمه وقالوا فرقة جامية، مثل ما قالوا (الوهابية)، الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما دعا إلى التوحيد، إخلاص العبادة لله سموا دعوته بـــ(الوهابية)، هذه عادة أهل الشر، إذا أرادوا مثل ما قلنا لكم ينشرون عن أهل الخير الألقاب، وهي ألقاب ولله الحمد ما فيها سوء، ما فيها سوء ولله الحمد، ولا قالوا بدعاً من القول، **ما هو بس محمد أمان الجامي اللي ناله ما ناله، نال الدعاة من قبل، من هم أكبر منه شأن، وأجل منه علم، نالوهم بالأذى.** الحاصل إننا ما نعرف على هذا الرجل إلا الخير، والله ما عرفنا عنه إلا الخير، ولكن الحقد هو الذي يحمل بعض الناس، وكلٌ سيتحمل ما يقول يوم القيامة، والرجل أفضى إلى ربه، والواجب أن الإنسان يمسك لسانه ما يتكلم بالكلام البذيء، والكلام في حق الأموات وحق الدعاة إلى الله وحق العلماء؛ لأنه سيحاسب عما يقول يوم القيامة، ما يحمله الاندفاع والهوى إلى أنه تكلم في الناس، يجرح له العلماء إلا بخطأ بين واضح، أنا أقول الآن هؤلاء عليهم إنهم يجيبون لنا الأخطاء التي أخطأ فيها هذا الرجل، إذا جاءوا بها ناقشناها وقبلنا ما فيها من حق ورددنا ما فيها من باطل، أما مجرد اتهامات!!

وأقول: هذا ما هو من شأن أهل الحق"[(١)].

وقال فضيلة الشيخ د. صالح السحيمي حفظه الله:"ظهرت –الألقاب- بعد حرب الخليج، وكل ما في الأمر أن عالماً جليلاً من علماء المسلمين، تلميذ الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله وتلميذ الشيخ ابن باز رحمه الله، وهو شيخنا العالم العلامة محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله تعالى، وما نقم عليه الملقبون لمن يسير على الطريق الصحيح بـــ(الجامية) إلا أنه يدعو إلى منهج السلف الصالح، ويدعو إلى أن نلزم غرز العلماء، ويدعو إلى الثبات على البيعة لولي الأمر: الذي نَقض بيعته خيانة، (ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)[(٢)]. وأخذ هو وسائر علمائنا يدعون الشباب إلى الثبات على الحق، وإلى الجد والاجتهاد في طلب العلم الشرعي الذي يتحصنون به من هذه الأفكار الدخيلة.

---

(١) جواب على سؤال وجه للشيخ بعد شرحه لنونية ابن القيم.

(٢) من حديث رواه مسلم (٤٧٩٣).

وظهرت هذه الألقاب وأول من أظهرها أحد الموتورين في لندن، ممن أثرى مالياً من خيرات هذه البلاد ومن الكويت في فترة من الفترات، ثم قَبَع في لندن يسب العلماء، ويخرج على منهج السلف الصالح، وهو أول من تبنى كلمة (الجاميّة)، ثم وزعت أوراق من بعض الموتورين ممن يقبع في جبال أفغانستان وهو أيمن الظواهري، تصف من أسموهم بـــ(الجاميّة) بأوصاف لا تنطبق إلا على اليهود والنصارى.

وهذا المبدأ إذا فتح سيأتي من يلقب المسلمين بـــ(البازيّة) و(الألبانية) و(العثيمينية) و(الفوزانية) و(الغديانية) و(اللحيدانية) ونحو ذلك؛ لأن هؤلاء هم مشايخنا الذين يبصرون الشباب من العماية التي يعيشون فيها من جراء تلك الأفكار الدخيلة، وإلا فلا توجد فرقة بهذا المسمى، أو بهذا الاسم الذي يلقبوهم بـــ(الجاميّة)، ولكن هذه معروفة من قديم الزمان فالمعتزلة وأهل الكلام كانوا يلقبون أهل السنة والجماعة بألقاب شنيعة هم أولى بها وأهلها، أعني أن الملقبين هم الذين يستحقون أن يكونوا تحت هذه الألقاب. وقد يلقبون ببعض الأشخاص الذين لهم جهود في الدعوة إلى الله تعالى وفق منهج السلف الصالح"(١).

وقال فضيلة الشيخ صالح اللحيدان حفظه الله، عندما سئل عن (الجامية) فأجاب وفقه الله:"(الجامية): هذا يقال تبعاً للشيخ محمد امان الجامي رحمه الله **وأنا أعرفه رجلاً طيباً في نفسه، وسلفي العقيدة، وهو من زملائنا في الدراسة بعدنا في التخرج والدراسة، لكنه كان فيما أعرف على عقيدة أهل التوحيد، جاءت هذه العواصف التي مرت بالناس عصفت بكثير من الناس بعضهم حملته العواصف، وبعضهم منحه الله عقلاً فيه رزانة، فثقل على العواصف ولم تجرفه ولكن ينبغي للناس أن يكونوا مستبصرين...**

نصيحتي للشباب عموماً: أن يرجع كل منهم إلى كلام الله وكلام رسوله، ويحاول أن يحمل نفسه على التمسك بالكتاب والسنه فإنهما النجاة لمن اعتصم بهما"(٢).

---

(١) من جواب الشيخ صالح السحيمي لسؤال وجه إليه بعد درس فجر يوم الإثنين ١٤٢٧/٥/٢٣هـــ، في دورة حفر الباطن. وهو منشور في الشبكة العنكبوتية http://www.sahab.net.

(٢) راجع: (شرح الشيخ للأربعين النووية)الشريط (٢).

لاشك أن فيما سبق من أقوال علماء هذا العصر إجابة كافية، ودلالة شافية لكل من تعرض للشيخ ولدعوته بهذا النبز، ولمزيد توضيح فلا بأس من التعزيز بالوجوه التالية:

الوجه الأول: أن منشأ نبز دعوة الشيخ بـــ(الجامية) من طائفتين:

الأولى: من كان مخالفاً لمنهج السلف، وخصوصاً فيما يتعلق في باب الإمامة ومعاملة الحكام، كمحمد سرور وأيمن الظواهري وأسامة بن لادن، ومن سار على شاكلتهم.

الطائفة الثانية: قوم غلبهم الحسد وبغض الشيخ؛ لما تمتع به رَحِمَهُ اللهُ من قوة وشجاعة في إظهار الحق والرد على المخالفين فيه، وهذا الصنف نبه عليهم الشيخ الفوزان كما سبق.

وبذلك يتضح الغرض من التسمية والسبب، فلا غرابة ولا عجب، ولكن يجدر التنبيه إلى أمر وهو لماذا كان الضحية الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ دون أولئك العلماء الذين دافعوا عنه وأيدوه؟

وليس لمعرفة الإجابة كبير فائدة، ولكن ينبغي التفطن إلى أن التسمية لم تكن عشوائية، وإنما كانت بتخطيط مسبق(١)، كما هو الحال في لقب (الوهابية)؛ فلو كانت النسبة إلى داعي حركة الإصلاح والتجديد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، لكان ينبغي أن يقال لأصحابه:(محمديون) ولكن من البدهي أن الأعداء ما كانت تتحقق غاياقم من النبز والتنفير بـــ(المحمدي)(٢). ولذلك نسبوا هذه الجماعة لوالده عبد الوهاب (وهابي)؛ لتروج بضاعتهم؛ فإنه قد مر على المسلمين في القرن الثاني الهجري دولة لبعض الخوارج في شمال أفريقيا، اسمها (الوهابية)(٣). مع أنه في الحقيقة ليس في وقتنا الحالي شيء اسمه

---

(١) فلما كان الشيخ من أوائل من رد على رموزهم، وكان أكثر فهماً لهم من غيره سلطوا عليه سهامهم، وكان الاسم البارز من اسمه اسم جده (جامي) نسبوا إليه فرقة سموها الجامية تشهيراً.

(٢) انظر: محمد بن عبد لوهاب مصلح مظلوم صـــ١٩٤.

(٣) فرقة الوهابية أو الوهبية أو الرستمية: نسبة لمؤسسها عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من أصل فارسي المتوفى سنة ١٩٧هـــ، وكانت حركة سيئة للغاية، حاربت أهل السنة، وأبغضت أهل السنة والشيعة معاً، وعطلت الشرائع الإسلامية، كما عطلت فريضة الحج، فمقتها سائر المسلمين. انظر: الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا للفرنسي الفردبل، وترجمة عبد الرحمن بدوي.

الوهابية، بل هناك أناس لبوا دعوة إمام التوحيد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، اسمهم الحقيقي أهل السنة والجماعة، يصفون أنفسهم أحياناً بأنهم السائرون على نهج السلف الصالح. وهكذا النبز بالجامية، فلعله أُخِذ من طريقة صوفية يقال لها (جامية)[1]، فمن أجل تحقق الغرض من النبز لم يسموا الفرقة (محمدية) ولا (أمانية) ولا (بازية) ولا (فوزانية)..الخ، ولكن (جامية). فأخذوا ثوباً جاهزاً ألبسوه هذه الدعوة؛ تنفيراً وتفريقاً بين المسلمين، وترويجياً لأفكارهم، وتهويناً من خطر تلك الأفكار[2].

=

وقد هاجم هذه الحركة كثير من علماء الأندلس والمغرب، وألفوا في الرد عليها الكثير من الفتاوى والرسائل. انظر: المعيار المعرب في فتاوى أهل المغرب لأحمد الونشريسي ١١/١٦٨، وانظر: تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية صـ ١٤.

(١) جامية: طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أبو النصر أحمد بن علي أبو الحسن النامقي الجامي قال صاحب فهرس الفهارس ٢/٩٥٥:"وفي (عقد الجوهر الثمين في الذكر وطرق الإلباس والتلقين) للحافظ مرتضى لدى حرف الجيم أنه يروي الطريقة الجامية من طريق قطب الدين النهروالي عن أبيه عن أبي الفتوح الطاوسي، قال: "لبستها أي خرقتها من يد المعمر بابا يوسف الهروي، وهو من يد صاحب الطريقة يعني شيخ الإسلام قطب الدين أحمد النامقي الجامي" قال الحافظ المذكور: "وهو أعلى ما يوجد الآن.." اهـ. وقد ولد سنة ٤٤١هـ ، ولقب رحمه الله بألقاب كثيرة منها قطب الأبدال وقدوة الأوتاد وشيخ الإسلام، حتى قال فيه العلامة محمد بن إبراهيم الجويني الشافعي (شيخ المشايخ العظام أعني حضرة شيخ الإسلام أحمد الجامي)، وتوفي سنة ٥٣٦ هـ، كان الشيخ أحمد جامي شيخ صوفية جام. وجام: كلمة فارسية معناها الزجاج، أطلقت هذه الكلمة على مدينة (جام) أو (تربت جام) في إيران، وتبعد عن مشهد ١٦٢كم في اتجاه الشرق على الحدود الافغانية، والغالبية العظمى لسكانها من أهل السنة حتى يومنا هذا، وهذه المدينة تاريخية أثرية، المَعلم الرئيس فيها هو مزار شيخ الإسلام الإمام أحمد جامي شيخ الطريقة الجامية في عصره".وانظر: توضيح المشتبه ٢/١٣١. ومقالة بعنوان: (الدرة السنية في مآثر السادة الجامية) من موقع: http://alshazlia.net.

(٢) وهكذا كل ما يقال في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله المسماة تنفيراً (وهابية) يقال في دعوة الشيخ محمد أمان المسماه بـ(الجامية).

وقد سبق أن الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله فردٌ من أفراد الدعوة السلفية، وعالم من علمائها في هذا العصر، و لم يجئ بما ينفرد به عن غيره من الأئمة الأجلاّء كالشيخ عبد العزيز بن باز والفوزان والعباد وغيرهم من أئمة هذا العصر، ولا من سبقهم من أئمة الدين من المتقدمين، "ولو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرقاً في شيء ما وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد"[(١)]، فهم في العقيدة والمنهج سواء[(٢)]، ومن أثبت خلاف ذلك فعليه الدليل المثبت لهذا الاختلاف.

الوجه الثاني: أن مما قوى الحملة الشرسة على دعوة الشيخ محمد أمان رحمه الله ما وقع مِن بعض مَن يُحسبون على الدعوة من غلو وجرأة-ليست في الحق- في الحكم على بعض أهل العلم، ولا حجة في ذلك؛ فإن أول من حارب هذا الفكر هو الشيخ محمد أمان رحمه الله وطلابه[(٣)]، وهذا من جنس خروج جماعة من الأعراب في زمن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من أهل الجفاء والتشدد[(٤)]، ولاشك أن خطأ الأفراد ليس محسوباً على المنهج إذا أنكره أصحابه و لم يقروه، كما أن خطأ بعض المسلمين ليس محسوباً على الإسلام.

الوجه الثالث: يتضح من كلام العلماء السابق أن الغرض من ذلك النبز، هو استهداف كبار العلماء، والحيلولة بينهم وبين الشباب، حتى تسلم لهم فريستهم، ولكنهم أدركوا

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢٣٩/٢.

(٢) وبالمناسبة فالشيخ رحمه الله يرى أن التفريق بين المنهج والعقيدة خطأ، راجع: التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٩) و (ب).

(٣) انظر: جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الرد على المخالفين صـ٦٧٣.

(٤) انظر: إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة صـ ١٥٤، دعاوى المناوئين صـ٩٣.

عدم متابعة الناس لهم في الطعن في العلامة ابن باز وغيره من هيئة كبار العلماء؛ لِما جعل الله لهم من المهابة والإجلال في نفوس العامة قبل الخاصة، فلجئوا بقصر هذا النبز على الشيخ محمد أمان وإخوانه من علماء المدينة. وهذا يذكرنا بما رواه اللالكائي عن عبد الله بن أبي مريم قال: قيل لمحمد بن يوسف الفريابي: (ما تقول في أبي بكر وعمر؟

قال: قد فضلهما رسول الله ﷺ، وقد أخبرني رجل من قريش أن بعض الخلفاء أخذ رجلين من الرافضة فقال لهما: والله لئن لم تخبراني بالذي يحملكما على تنقص أبي بكر وعمر لأقتلنكما. فأبيا. فقدم أحدهما فضرب عنقه.

ثم قال للآخر: والله لئن لم تخبرني لألحقنك بصاحبك. قال: فتؤمِّني؟ قال له: نعم.

قال: **فإنا أردنا النبي ﷺ فقلنا: لا يتابعنا الناس عليه، فقصدنا قصد هذين الرجلين، فتابعنا الناس على ذلك)**[1].

ولذلك تغيرت فكرة النبز بـ(الجامية) عن بدايتها، فصار النبز خاصاً بعلماء المدينة، سُئل فضيلة الشيخ الفوزان حفظه الله:"أرجو أن تبين لنا القول في علماء المدينة، وأعني بهم من يُدعَون السلفيين؟ أهم على صواب فيما يفعلون؟ أوضح لنا يا شيخ الحق في هذه المسألة؟

فأجاب بقوله:"علماء المدينة أنا ما أعرف عنهم إلا الخير، وأنهم أرادوا أن يبِّينوا للناس الأخطاء التي وقع فيها بعض المؤلفين أو بعض الأشخاص من أجل النصيحة للناس، وما كذبوا على أحد، وإنما ينقلون الكلام بنصِّه: الصفحة والجزء والسطر، ارجعوا إلى ما نَقلوه، فإن كانوا كاذبين بيِّنوا لنا -جزاكم الله خيراً- ، نحن ما نرضى بالكذب، راجعوا كتبهم، انقدوها، هاتوا لي نقل واحد كذبوا فيه أو قصَّروا فيه، وأنا معكم على هذا. أمَّا أن نقول للناس أسكتوا اتركوا الباطل لا تردون عليه، ولا تبينون، هذا ما هو صحيح، هذا كتمان، الله جل وعلا يقول:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ ، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٥٤٤/٤ (٢٨١٢).

أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾، نحن نرى الأخطاء ونرى الدعايات ونسكت! ونترك الناس يهيمون!! لا، هذا ما يجوز أبداً، لازم أن نبـيِّن الحق من الباطل، رضي من رضي وسخط من سخط"(١).

وقد تبين لي فيما بعد أن تخصيص أهل المدينة بالنبز إنما حصل بسـبب أولئـك الدعاة الذين فسروا بيان –سماحة الوالد عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتضمن دعوة الجميع إلى النقد البناء دون تعرض لأهل العلم(٢)– بأن المقصود علماء المدينة، وقد أفصح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مقصوده، فقال:"الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه، أما بعد:

فالبيان الذي صدر منَّا المقصود منه دعوة الجميع، جميع الدعاة والعلماء إلى النقد البنَّاء وعدم التعرض للتجريح لإخوانهم الدعاة.

وليس المقصود إخواننا في المدينة من طلبة العلم والمدرّسين والدعاة، وليس المقصود غيرهم في مكة أو الرياض أو في جُدة، وإنما المقصود العموم، **وإخواننا المشايخ المعروفون في المدينة ليس عندنا فيهم شك، هم أهل العقيدة الطيبة ومن أهل السنّة والجماعة مثل الشيخ محمد أمان بن علي**، ومثل الشيخ ربيع بن هادي، ومثل الشيخ صالح بن سعد السحيمي، ومثل الشيخ فالح بن نافع، ومثل الشيخ محمد بن هادي، كلهم معروفون لدينا بالاستقامة والعلم والعقيدة الطيبة نسأل الله لهم المزيد من كل خير وفضل والتوفيق لما يرضيه.

ولكن دعاة الباطل وأهل الصيد في الماء العكر هم الذين يشوشون على الناس، ويتكلمون في هذه الأشياء ويقولون: المراد كذا والمراد كذا، وهذا ليس بجيد، الواجب حمل الكلام على أحسن المحامل، وأن المقصود التعاون على البر والتقوى،

(١) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة صـ ٢٣٩.

(٢) صدر هذا البيان بتاريخ ١٤١٢/٧/٢٨هـ.

وصفاء القلوب، والحذر من الغيبة التي تسبب الشحناء والعداوة، نسأل الله للجميع التوفيق والهداية"[١].

ويتضح بما سبق أن الله سبحانه قد عامل أولئك النابزين للجامية بنقيض قصدهم، فلما قصدوا بذلك النبز ذم بعض العلماء والتحريش فيما بينهم، صار ذلك سبباً في إشادة علماء العصر بهم، وحثهم عليهم، بل صار ذلك سمة للمتبعين لمنهج السلف الصالح ممن يحذر من الخروج على ولاة الأمور، وينهى عن شق عصا الطاعة. ويدعو إلى توقير العلماء، وعدم التقدم بين أيديهم، وينشر فتاواهم ومؤلفاتهم في الردود التي تكشف عن أخطاء الجماعات أو أخطاء الدعاة التي تمس العقيدة، أو تمس منهج الدعوة إلى الله تعالى. ويحذر من الفكر التكفيري ورموزه. وسمة لمن يحذر الشباب من الانخراط في الفتن التي لبست بلباس الجهاد، وليست من الجهاد في شيء. بل صارت سمة على من يحرص على التوحيد دعوة وبياناً، ويحرص على بيان الشرك تنبيهاً وتحذيراً، ويعتني بنشر العلم الشرعي وبيان البدع حسب استطاعته. وهذا ما أشار إليه إمام العصر ابن باز رحمه الله بقوله:"**ومن قال عنهم جامية فقد سبقوه أسلافهم عندما قالوا: أننا وهابية، فنقول لهؤلاء: -على فهمهم- نحن وهابية جامية، كلنا جامية**".

والمقصود أنك إذا سلكت الجادة في عقيدتك، ووصلت إلى درجة اليقين، فينبغي أن لا تتأثر بالأقاويل والتهم والألقاب، مهما كانت مستبشعة، بل اثبت على يقينك حتى يأتيك اليقين، وقد فتح لك الإمام الشافعي رحمه الله ذلك الباب، فقال:

إن كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقـــلان أني رافضي[٢]

ورحم الله شيخ الإسلام إذ قال:

(١) من شريط بعنوان: (توضيح البيان).

(٢) انظر ديوان الشافعي صـــ١١٧.

فإن كان نصباً ولاء الصحاب فإني كما زعموا ناصـــــبي
وإن كان رفضاً ولاء الجميع فلا برح الرفض من جانبي[(١)]

وتبعهما ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فقال:

فإن كان تجسيما ثبوت استوائه علـــى عرشه إني إذاً لمجسمُ
وإن كان تشبيهاً ثبوت صفاته فمن ذلك التشبيه لا أتكتم[(٢)]

وعلى هذا الدرب سلك من بعدهم، قال ملا عمران رَحِمَهُ اللهُ:

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابـــــي[(٣)]

وقال العلامة تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللهُ:

نسبوا إلى الوهاب خير عباده يا حبذا نسبي إلى الوهاب[(٤)]

ولك أن تقول:

فإن كان جامياً سلوك طريقهم فمن قولك الجامي لا أتنصل[(٥)]

وهذا كله مأخوذ من قول الأول:

وعيرني الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها[(٦)]

وقول الآخر:

فإن كان ذنبي حبكم وولاءكم فإني مصر ما بقيت على الذنب

(١) انظر: درء التعارض ١/٢٤٠، وقد نسبه ابن القيم لشيخه انظر: الصواعق المرسلة ٣/٩٤١

(٢) انظر: الصواعق المرسلة ٣/٩٤١، ومقدمة النونية شرح ابن عيسى ١/٢٩.

(٣) انظر: مجموعة الهدية السنة صـــ١١٠.

(٤) انظر: القصيدة البائية في موقع الشيخ تقي الدين الهلالي:http://www.alhilali.net

(٥) من الطويل وللأخ الفاضل أحمد الشرفي وفقه الله بيتين أحسن من هذا البيت حيث قال:

لما راى أهل الضلال وحزبهم مَن للعقيدة والشريعة حامي
نبزوه بالألقاب إما مرجئٌ أو حنبلي مدخلي جامي

(٦) انظر: شرح أشعار الهذليين ١/٧٠ من قول أبي ذؤيب الهذلي.

قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**وهذا يعبر عن مدى [ثبات] أئمتنا على عقيدهم وعدم الجبن، بل ليس موقفهم موقف المدافع الضعيف فقط، بل يدافعون ويهاجمون مَن يهاجم العقيدة، ومن يهاجم العقيدة يجب أن يُهاجَم؛ لا ينبغي أن يقف الإنسان موقف المدافع الضعيف عند بابه، بل يهاجم**"(١). وما لحق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأذى وهكذا علماء المسلمين، هو بسبب تلك الشجاعة التي كانت تهاجم المتهجمين على ثوابت العقيدة السلفية، وبسبب ما أراد الله لهم من الرفعة والأجر حتى بعد موهم، كما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: (قيل لعائشة: إن أناساً يتناولون أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر)(٢).

ويشهد لذلك قوله ﷺ: (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيَت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)(٣).

وبذلك يتم الكلام على هذا المبحث وبالله التوفيق.

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٦) و (ب). الشريط (١٦) و (ب).

(٢) أخرجه رزين كما في جامع الأصول لابن الأثير (٦٣٦٦) وانظر: تاريخ بغداد ٢٧٦/١١، وعزاه شيخ الإسلام في منهاج السنة ٢٢/٢ لمسلم و لم أجده.

(٣) رواه مسلم (٦٥٧٩).

المبحث السادس
آثاره العلمية وأعماله

المطلب الأول: آثاره العلمية:

لقد خلَّف الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللهُ تراثاً علمياً كبيراً، وهو متنوع ومتناثر بين: مؤلفات ومقالات مكتوبة، وشروح ومحاضرات مسموعة، وبيانات ومقالات منشورة، وكلها تدل دلالة واضحة على حرصه الشديد على نشر العقيدة السلفية، وغرسها في نفوس الناس، وتصفيتها من الشوائب والأكدار، وإليك بيانها وفق الترتيب الآتي:

أولاً: مؤلفات ورسائل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

لاشك أن التأليف من وسائل الدعوة إلى دين الله بالبنان، وهو أشد على أهل الباطل من السنان؛ لأنه يبقى إلى غابر الأزمان، وليست العبرة بكثرة التأليف، وإنما العبرة بما تضمنته من إحقاق الحق وإشهاره، وإبطال الباطل وإزهاقه. ومن تأمل في مؤلفات الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ يجد أنها قليلة بالنسبة للمكثرين من التأليف، إلا أنها مصونة عن وصمة التعقيد والتكليف، وتمتاز بخلوها من تنمق العبارات، وتزويق الكلمات، وصدورها عفوية من قلب مليئ بالشفقة والرحمة، ولذا غالباً ما تصل كلماته إلى القلب، وذلك ظاهر لمن قرأ مؤلفاته بتجرد، والمقصود التقديم بين يدي مؤلفاته ورسائله النافعة، التي جلها كانت محاضرات ألقاها ثم لما رأى أهمية عموم نشرها طبعها، وهي على النحو التالي:

١-كتاب (**الصفات الإلهية في الكتاب و السنة النبوية في ضوء الإثبات و التتزيه**). وهو من أنفع كتبه رَحِمَهُ اللهُ، و هو عبارة عن رسالته العلمية؛ لنيل شهادة العالمية الدكتوراة، وهي من مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ.

وقد لخص محتويات هذا الكتاب في مقدمته[1]، قال الدكتور محمد حمود الوائلي رَحِمَهُ اللهُ:"وإن القارئ ليلمس صدق دعوته في كتبه ورسائله التي ألفها. وقد حضرت مناقشة رسالته في مرحلة الدكتوراه في دار العلوم التابعة للقاهرة بمصر، وكان يسعى في عامة مباحثها إلى بيان صفاء عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجها، وتجلت شخصيته العلمية في قدرته -أثناء المناقشة- على كشف زيف كل منهج خرج عن عقيدة السلف، وبطلان كل دعوة صوبت نحو دعاتها المخلصين، الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها والوقوف عندها والدعوة إليها، ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بها من هذه العقيدة"[2].

٢- كتاب (**أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام**): طبع المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٩هـ. ثم طبعته الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض سنة ١٤٠٤هـ. وقد نبه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على أن تسمية هذا المجموع ليس منه[3]، ويحتوي هذا الكتاب على ست محاضرات وندوات في تقرير العقيدة السلفية، ورد بعض المخالفات، وهي مجموعة فيه على النحو التالي:

الرسالة الأولى: بعنوان: (**تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة**) وهي في الأصل عبارة عن محاضرتين أُلقيتا في الموسم الثقافي لمحاضرات الجامعة الإسلامية، سنة ١٣٩٥/١٣٩٤هـ، وسنة ١٣٩٨/١٣٩٧هـ. وقد طبعتا ضمن مجموع رسائل الجامي صـ ٨٧-١٤٨. وتشتمل على تصحيح الأخطاء العقدية -المنتشرة عند كثير من الناس- المتعلقة: بالعبادة، والتوسل، ومبحث الصفات، والقرآن الكريم، والأولياء والكرامات، والشفاعة، والسنة النبوية سواء الآحاد منها والمتواتر.

---

(١) انظر: الصفات الإلهية صـ ١٢-١٥ . وراجع الخاتمة ففيها مزيد تفصيل: صـ٥٠١-٥٣٠.

(٢) كتاب الشيخ المؤرخ بتاريخ ١٤١٧/٥/٢٩هـ.

(٣) ولعل التسمية من الناشر، راجع: شرح تجريد التوحيد الشريط (٦) و (ب).

الرسالة الثانية: بعنوان: (**المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية**) و هي في الأصل محاضرة ألقاها في السودان بمدينة عطبرة سنة ١٣٨٣هـ، وهي من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وطبعت أيضاً ضمن مجموع رسائل الجامي صـ١٤٩-١٦٥.

رد فيها الشيخ على الملحد محمود محمد طه، حيث سعى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في إبطال أدلته التي سعى بها لتوصيل فكرته الخبيثة (سقوط التكاليف) و (الإتيان بالرسالة الثانية) المتضمنة تعاليمه الخبيثة التي ورثها عن ابن عربي وأمثاله[1].

الرسالة الثالثة: بعنوان: (**العقل والنقل عند ابن رشد**) أصله بحث قدمه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عندما مثَّل الجامعة الإسلامية، التي هي بدورها ممثلة للمملكة العربية السعودية، في مهرجان ابن رشد المقام في تونس، بتاريخ ١٣٩٨/٧/٢٥هـ. وقد طبع ضمن مجموع رسائل الجامي صـ٢٣٩-٢٨١.

وقد بين الشيخ فيها أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ووضح فلسفة ابن رشد، ووجود الله ووحدانيته وعلمه وصفة الحياة والقدم والإرادة والكلام والمعاد والقدر عند ابن رشد. ومحاولة ابن رشد الحل الوسط في قضية قدم العالم، وناقش ابن رشد في رأيه، وبين الحق الذي اشتملت عليه مواقف ابن رشد. وقد خلص فيه إلى أن ابن رشد فيلسوف كبير وخطير، وباطني غامض، وأن من الصعوبة بمكان أن يحدد المرء معالم فلسفته ومذهبه. وقد حاول التوفيق بين الشريعة والحكمة، وناقش علماء الكلام في التأويل، إلا أنه لم يوفق أحياناً بسبب خوضه الشديد في الفلسفة ودعوته المستميتة لها.

الرسالة الرابعة: بعنوان: (**طريقة الإسلام في التربية**) أصله بحث قدمه الشيخ للمشاركة بندوة أقامتها جامعة بايرو بمدينة كانو بجمهورية نيجيريا عن التربية، وكان الشيخ ممثِلاً للجامعة الإسلامية في تلك الندوة. وقد طبعت الرسالة ضمن مجموع رسائل الجامي صـ٢٨٣-٣٠٠. وطبعة مستقلة في مكتبة دار المنهاج-مصر ١٤٢٥هـ.

---

(١) انظر مقدمة (المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية) صـ٣، وراجع: شرح التدمرية الشريط (٦) و (أ)، وانظر: صـ ٧٢٦، ٨٥٩ من هذه الرسالة.

بين فيها طريقة الإسلام في تربية الروح والجسم، والوسائل التي استعملها الإسلام في عقد الصلة بين الإنسان وربه، وختمها بجملة من الاقتراحات التي تساعد على التربية الإسلامية الصحيحة.

الرسالة الخامسة: بعنوان: (**مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث**) أصله بحث قدم للمؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، طبعته الجامعة الإسلامية ضمن بحوث ذلك المؤتمر، بحوث المجلد الثالث، وطبع ضمن مجموع رسائل الجامي صـــ ٢٠٥-٢٣٨.

قدم الشيخ رَحِمَهُ الله بمقدمة تبين سنة الله الكونية للدعاة والمصلحين وعلى رأسهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم تعرض لجملة من مشاكل الدعوة في الماضي والحاضر، ومثل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يبين فيه صموده لتلك المشاكل؛ وأن العاقبة للمتقين.

الرسالة السادسة: بعنوان: (**الإسلام في أفريقيا عبر التاريخ**) أصله محاضرة للشيخ رَحِمَهُ الله ألقاها في جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـــ، وطبع ضمن رسائل الجامي صـــ ٣٠١-٣٥٠.

قام بجولة خاطفة؛ لتوضيح الأدوار التي مرت بها الدعوة الإسلامية في تلك القارة، مبيناً خطأ تلك الدعوى: أن انتشار الإسلام على يد الصوفية، وبين أهداف مشايخ التصوف، بخبرته للقوم. والدور الأخير الذي قام به المصلحون، بدعم من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالتعاون مع دار الإفتاء.

٣- كتاب (**مجموع رسائل الجامي في العقيدة و السنة**) الناشر دار ابن رجب الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـــ.

اشتمل هذا الكتاب على عشر رسائل، وهي: ما سبق من الرسائل المذكورة في المجموع السابق، إضافة إلى أربع رسائل وهي:

الرسالة الأولى: بعنوان: (**العقيدة الإسلامية و تاريخها**) أصلها محاضرة ألقيت في الجامعة الإسلامية، وفي مدينة الخبر. طبع دار ابن رجب سنة ١٤١٤هـــ. وطبع ضمن مجموع رسائل الجامي صـــ٥-٨٥. وكان الفراغ من تأليفها ١٤٠٩/٧/٧هـــ.

وأكتفي بما قال الدكتور سعد ندا وفقه الله مبيناً محتوى هذه الرسالة في تقريظه لها:"ولو قُرأ هذا المؤلَف (العقيدة الإسلامية وتاريخها) الذي ألفه فضيلة الشيخ الدكتور محمد أمان بن علي الجامي، في أناة وترو، لما ملَّ من قراءته، ولعلم منه حقيقة التوحيد، وأفكار الفرق التي نسبت نفسها إلى الإسلام زوراً، وخطورتها وأثرها في بلبلة العقول وإمراض القلوب"(١).

الرسالة الثانية: بعنوان: (**منزلة السنة في التشريع الإسلامي**) أصلها محاضرة ألقيت في الموسم الثقافي لمحاضرات الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٨/١٣٩٩هـ بتاريخ ١٣٩٩/٦/٦هـ، وطبع ضمن مجموع رسائل الجامي صـ١٦٧-٢٠٤.

بين فيها معنى السنة وحاجة الإنسان إليها، وأنها وحي مثل القرآن، من خلال الآيات والأحاديث ومواقف الصحابة، ثم أورد جملة من الأمثلة لتفصيل وتبيين السنة لما في القرآن سواء في العبادات أو غير ذلك من شؤون الناس، وأسباب الإعراض عن السنة وعلاجها.

الرسالة الثالثة: بعنوان: (**نظام الأسرة في الإسلام**) أصله بحث قدمه الشيخ رحمه الله في الندوة الدينية التي نظمها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لمسلمي كينيا، في مدينة كوسومو، بدولة كينيا، وكان ذلك بعد أن تلقت الجامعة الإسلامية دعوة كريمة من ذلكم المجلس، فبادرت بإجابة الدعوة وأرسلت الشيخ ممثلاً لها في تلك الندوة. وقد طبع في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (٤١) صـ ١١٧، سنة١٣٩٨هـ. وطبع أيضاً ضمن مجموع رسائل الجامي صـ ٣٣٣-٣٥٠.

بين فيها حض الشرع الحنيف على بناء مؤسسة أسرية، كل عضو فيها يعلم مسؤليته تجاهها، ثم رد على دعاة تحرر المرأة، مبيناً الحقوق الدينية للمرأة، وخطر تلك الدعوات وأسرارها.

الرسالة الرابعة: بعنوان: (**الحكم على الشيء فرع عن تصوره**) أصل هذه الرسالة محاضرة رد فيها الشيخ على مزاعم ألقاها إسماعيل الشطي رئيس تحرير مجلة المجتمع في أحد

(١) في خاتمة كتاب العقيدة الإسلامية صـ ١٤٨.

مساجد الكويت، قدم فيه الشيخ نصائح عامة؛ لئلا يُخدع البعض بجعجعة المخالفين. وأهم تلك المخالفات تدخل تحت: التقليد، وتعطيل الصفات، وإسلام الخميني.

٤- رسالة بعنوان: (**التصوف من صور الجاهلية**): وأصله محاضرة ألقاها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعنوان: من صور الجاهلية، تعرض فيها الشيخ لجاهلية التصوف والكلام، ثم أفرد جاهلية التصوف في هذا البحث المنشور بمجلة البحوث العلمية، العدد (١٢) سنة ١٤٠٥هـ صـ ٢٦٧-٢٩١.

بين فيه الجاهليات إجمالاً ثم بين مفهوم الدين وتعاليمه عند الصوفية وواضعه، ووسائل الصوفية في نشر دعوتهم، وألقابهم المزعومة وكشفها وإبطالها.

٥- مجموعة (**رسائل في السياسة الإسلامية**): للشيخ رَحِمَهُ اللهُ عناية ببعض المسائل المتعلقة بالسياسة الشرعية، التي توضح وجوب تحكيم الشرع الرباني ونبذ كل القوانين والنظم الوضعية، وتشتمل على ثلاث رسائل في السياسة الشرعية طبعت مفردة، على النحو التالي:

الرسالة الأولى: بعنوان (**حقيقة الشورى في الإسلام**) طبع دار ابن رجب سنة ١٤١٣هـ. وهي في الأصل محاضرة بعنوان: (المستقبل لهذا الدين) مسجلة في شريطين مع أسئلة نافعة.

بين فيها أهمية الأنظمة الربانية ونبذ الأنظمة الوضعية، والتحذير من بعض المفاهيم الخاطئة المنتشرة بين المثقفين، وبين حقيقة الشورى التي دعا إليها الإسلام وأنها غير ملزمة.

الرسالة الثانية: بعنوان (**توزيع الثروات في الإسلام**) طبع المكتبة الأثرية ودار التقوى الطبعة الأولى ١٤١٣هـ. وهي في الأصل محاضرة نفيسة في الطائف[1].

رد فيه الشيخ على دعاة الاشتراكية في الاقتصاد، وبين الموقف الشرعي تجاه الأموال العامة والخاصة، وختم بنصيحة للشباب والدعاة بعدم الاغترار بالدعوات المضللة، التي تحمل شعارات براقة.

---

(١) وبالمناسبة فقد أخذت من مكتبة الشيخ، هذه الرسالة وعليها تقديم الشيخ صالح الفوزان بتاريخ ١٤٢٥/٨/٥هـ. يسر الله إخراجها.

الرسالة الثالثة: بعنوان: (**حقيقة الديموقراطية و أنها ليست من الإسلام**) طبع دار ابن رجب ط١ سنة ١٤١٣هـ و قد طبعت قبل سنة ١٤١٣هـ بعنوان: (للجزيرة العربية خصوصية فلا تنبت الديموقراطية). و هي في الأصل محاضرة ألقاها سنة ١٤١٢هـ، مسجلة في شريطين، وأعاد طبعها مكتبة دار المنهاج-مصر الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

علق فيها الشيخ على إجابات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله لجريدة السياسة الكويتية، المتعلقة بنبذ الديمقراطية، وعدم صلاحيتها للحكم في بلاد المسلمين، ونبذ الانتخاب الحر؛ لأنه وسيلة إليها. والدعوة إلى الثبات على تحكيم شرع الله والحذر من مخالفة ذلك.

٦- كتاب (**منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه**) يعتبر هذا الكتاب مخطوطاً لم يــر النور بعدُ، وقد أخبرني أحد طلاب الشيخ أن الكتاب أتمه الشيخ، وعندما أعده للطبــع، فقدت النسخة المُعَدة، فأصبح الشيخ يجمعه مرة أخرى، فحصل بالجمع الثاني جملة كبيرة من الاستطرادات، وقد جمعت رسالة (العقيدة وتاريخها) سابقة الذكر ضمنه، ولعل ذلك خطأ؛ فإن الشيخ رحمه الله ذكر في مقدمة الكتاب(١): الباعث على تأليفه، والمنــهج الــذي سلكه في هذا الكتاب. وقد حصلت على نسخة منه(٢)، والله المستعان.

٧- مقالة في (التوسل) نشرت في مجلة التوحيد التابعة لجماعة أنصار السنة المحمدية(٣).

---

(١) صـ ٦٠، حسب النسخة الموجودة عندي.

(٢) وأُخبرت أن أحد الفضلاء يقوم بالعناية به لإخراجه.

(٣) أشار إلى ذلك الشيخ مصطفى الهوساوي في ترجمته للشيخ صـ ١٢٨، وقد بحثت عنها في مجلة التوحيد الموجودة في عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية و لم أظفر بالحصول عليها. ولعلها تقارب تلك المقالة المنشورة ضمن رسالة تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة.

ثانياً: آثاره في مجلة الجامعة الإسلامية :

لقد كانت مجلة الجامعة الإسلامية من أهم الوسائل التي ينشر فيها أهداف الجامعة التي أنشئت من أجلها، كما جاء في مقدمة بعض أعدادها:"وقد رأت الجامعة منذ عشر سنوات مضت أن تصدر لها مجلة كإحدى وسائل نشر الدعوة، تعبر عن رسالتها، وتترجم أهدافها، وتبلغ بقدر ما يمكن قلب كل مسلم في أرجاء المعمورة، فتكون بمثابة داعية يجوب أقطار الأرض، يدعو الناس جميعاً إلى الرسالة التي نزلت إلى الناس جميعاً على ما قال جل شأنه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ "[1]، وذلك الفضل والخير يعود بعد توفيق الله تعالى، للقائمين عليها منذ تلك الفترة، وممن أسهم في ذلك الخير الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد تولى رَحِمَهُ ٱللَّهُ رئاسة التحرير فيها لمدة ثلاث سنوات، منذ عام ١٣٩٨-١٤٠٠هـ، وصدر في تلك الفترة ستة أعداد، من العدد ٤١-٤٦، وكانت تلك الأعداد مميزةً عن سابقتها بما ذُكِر في مقدمتها:"وقد أفرغ الذين حملوا عبء إصدار المجلة في السنوات العشر الماضية جهوداً نسأل الله أن يجزيهم عنها خير الجزاء. وها هي المجلة تبدأ عامها الحادي عشر، ولكن في ثوب جديد – بعد أن رأت الجامعة تطويرها- فأُحدِثَتْ أبواب ثابتة بالمجلة تستوعب موضوعات متنوعة في نظام متسق. كما أحدثت اللجنة جانباً منها يصدر باللغة الانجليزية يحمل بالترجمة معاني بعض آيات من القرآن الكريم، وباباً آخر لترجمة معاني بعض الأحاديث النبوية، وباباً ثالثاً للتعريف بالإسلام"[2]، فقد كانت موضوعاتها تشتمل على جميع النواحي التي يحتاج إليها المسلم، فكانت المجلة بحد ذاتها داعية إلى الله ومرشدة لسبيله إلى ربوع العالم كله. ولم يقف دور الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجلة عند هذا بل كانت له مساهمات ومقالات متنوعة، مبثوثة في أعداد المجلة، وهي على النحو التالي:

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية افتتاحية العدد (٤١).

(٢) المصدر السابق.

١- العيد في الإسلام معناه وحقيقته العدد ٢١
٢- الإسلام في أفريقيا عبر التاريخ العدد ٣٣.
٣- مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث العدد ٣٦.
٤- تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة (القسم الأول) العدد ٣٩.
٥- العقل والنقل عند ابن رشد العدد ٤١.
٦- نظام الأسرة في الإسلام العدد ٤١.
٧- الحج عرفة العدد ٤٢.
٨- تصحيح المفاهيم (القسم الثاني) العدد ٤٢.
٩- كلمة العدد (بمناسبة إعلان رئيسها تطبيق الشريعة باكستان) العدد ٤٣.
١٠- ما هكذا يا سعد تورد الإبل[١] العدد ٤٣.
١١- منزلة السنة في التشريع الإسلامي العدد ٤٤.
١٢- كلمة التحرير بمناسبة (حادثة الحرم ١٤٠٠هـ) العدد ٤٥.
١٣- ماذا تعرف عن أورومو (الحلقة الأولى) العدد ٤٥.
١٤- ماذا تعرف عن أورومو (الحلقة الثانية) العدد ٤٦.
١٥- من أعماق الكتب(من أقوال شيخ الإسلام) العدد ٤٦.
١٦- لاجئون في السودان والغزو الصليبي(مختارات من الصحف) العدد ٤٧-٤٨.
١٧- الحكم على الشيء فرع عن تصوره العدد ٥٥-٥٦.

(١) رد فيه الشيخ على الدكتور أحمد شلبي، حيث سُئل عن حكم الحلف بغير الله؟ فلم يوفق في الإجابة على السؤال.

ثالثاً: شروحاته:

لقد نذر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حياته لتعليم الناس، فتجده حيثما حل لا ينقطع عن التعليم، ومن الصعوبة جمع تلك الشروح والمحاضرات؛ فإن المسجَل يعتبر يسيراً بالنسبة للبذل الذي قدمه؛ فالتسجيل كان متعسراً وقليل الانتشار، ثم لما انتشر التسجيل كان ضعيفاً فتعتريه بعض العوائق التي تقلل من الاستفادة منه؛ لعدم وضوحه، ومع ذلك فقد تيسر لي الاطلاع على أكثر من أربعمائة وخمسين شريطاً بفضل الله تعالى، ومن أهم ما حُفِظ لنا من تلك الشروح ما يلي:

١- شرح (**الأصول الثلاثة وأدلتها**) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المتن مرات عديدة، والموجود في الأشرطة الصوتية أربعة شروح، أكملها في سبعة أشرطة صوتية (كاست) وتوجد هذه السبعة أيضاً ضمن الأشرطة العشرة المضموم إليها شرح القواعد الأربع، وشرح الأصول الستة، والثاني: في ستة أشرطة سنة١٤١٤هـ، والثالث: في خمسة أشرطة، والرابع: في شريطين وهذا الشرح كان في الدمام.

وقد تم تفريغ هذا الشرح اعتماداً على الشرح الأول ومواطن يسيرة من بقية الشروح، وطبع بعناية محمود بن إبراهيم الطرابلسي، قامت بطبعه مكتبة النصيحة ودار المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٢-شرح (**الأصول الستة**) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المتن بتاريخ ١/٣/ ١٤١٤هـ، بشريطين، وهو أيضاً ضمن الأشرطة العشرة المشار إليها آنفاً، وهو شرح نفيس أتى بالمقصود مع قلة الاستطرادات، مسجل في شريطين (كاسيت).

وقد فُرغ، وطبع مؤخراً بعناية أبي جعفر المدني، طبع دار النصيحة الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٣-شرح (**القواعد الأربع**) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هذا المتن في شريط واحد، وهو أيضاً ضمن الأشرطة العشرة المشار إليها آنفاً، وهو مفرغ عندي و لم يطبع.

٤- شرح (**الواجبات المتحتمات**) كذا مسجل على الأشرطة الصوتية التي تقع في أربعة أشرطة، والحقيقة أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ شرح فيها (**شروط لا إله إلا الله**) في ثلاثة أشرطة. وشرح (**نواقض الإسلام**) في شريط واحد، وكلها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ. وهو شرح مفيد ومبسط، وهو مفرغ عندي.

٥- شرح (**كتاب التوحيد**) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.

اهتم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بشرح الكتاب كثيراً، والمتوفر في الأشرطة لم يتمه، فقد وصل إلى باب: إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياؤه. ويقع في (٢٤) شريطاً كاست، وكثيراً ما يعلق فيه الشيخ على فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن. وهو مفرغ عندي.

٦- شرح (**قرة عيون الموحدين**) للعلامة عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ.

علق الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بتعليقات حسان على الكتاب، في (١٨) شريطاً كاست، و لم يتمه وإنما وصل إلى باب: من الشرك النذر لغير الله، وللشيخ تعليق آخر على هذا الكتاب يقع في (٣٠) شريطاً.

٧- شرح (**تجريد التوحيد المفيد**) للعلامة أحمد بن علي المقريزي رَحِمَهُ اللهُ.

شرح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ متن هذا الكتاب الذي يعتبر خلاصة من كتب ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، ويعتبر أول مؤلف مفرد في بابه، وشرحه الشيخ في (١٥) شريطاً كاسيت، وهو مفيد كأصله، لا أعلم لهذا الكتاب شرحاً قبله، ويمتاز بقلة الاستطرادات نوعاً ما، وهو مفرغ عندي، ويشتمل على نقص يسير بعد بداياته وفي منتصفه.

٨- شرح (**الواسطية**) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

شرح الشيخ فيه المتن، وعلق على شرح شيخه الشيخ محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ. وكان هذا عبارة عن درس أقيم في جدة، ويقع في (٣٤) شريطاً، وهناك شرح آخر أُقيم في الحرم يقع في (٢٠) شريطاً، وهناك نقص يسير في التعليق، وهو ممتع وشيق، والأول مفرغ عندي.

٩- شرح (**الحموية**) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ هذا المتن بتعليقات نفيسة على أقوال أهل العلم، بـــ(٢٩) شريطاً كاسيت، وقد سبق الإشارة إلى تلخيص الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمقدمة المتن، وقد أُخبِرت أنه فُرغ، فقصرت الهمة عن تفريغه. وقد حصلت مؤخراً عليه مفرغاً، وعلى تلخيص أملاه الشيخ على طلابه، بعنوان: (**ملخص لمقدمة كتاب الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية**) وهو بخط بعض تلاميذ الشيخ، دون تاريخ، ومجموع بست ورقات، ولم أهتد إلى المادة الصوتية لهذا التلخيص.

١٠- شرح (**التدمرية**) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يعتبر شرح الشيخ لهذا الكتاب من أفضل الشروح وأقواها[(١)]، ويقع في (٣٠) شريطاً، وهو مفرغ عندي، وفيه نقص يسير في مواطن متفرقة منه.

١١-شرح (**القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**) للعلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وهو شرح نفيس قال عنه بعض المشايخ: شرحه أحسن من شرح مؤلفه[(١)]، والموجود منه (١٦) شريطاً، وللأسف فقد فُقِد منه جزء ليس باليسير، فناقص من الشرح قواعد الأسماء، عدا القاعدة الأولى، والرابعة وهي موجودة في الشريط (٨) و (أ). وكذا من أواخر القاعدة الرابعة من قواعد الاستدلال. وبالنسبة للأشرطة السمعية[(٢)] فهي غير مرتبة؛ فالشريط رقم (٩) حقه أن يكون (١٣)، والشريط (١٦) حقه أن يكون (١٥).

١٢- شرح (**العقيدة الطحاوية**) لأبي جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ متن الطحاوي، وعلق تعليقات دقيقة واستدراكات نفيسة على شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والموجود منه (٧٥) شريطاً، ولم يبق للشيخ

---

(١) وكذا قال تلميذه الدكتور عبد الله البخاري وفقه الله.

(٢) الموجودة في تسجيلات ابن رجب، حيث لم أقف على غيرها، إلا ما وجد في الشبكة العنكبوتية.

منه إلا جزء يسير لم يتمكن من إكماله لمرضه، وهو مفرغ عندي، وهناك نقص كبير في الأشرطة؛ فقد أخبرني أحد طلاب الشيخ[1] أن الأشرطة أكثر من الموجود بكثير.

وقد كان للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ شروح على متون شتى في مختلف الفنون، وإكثاره من دروس العقيدة، هو الذي جعله لا يُعرف إلا بها، وكفى بذلك شرفاً، ومن تلك المتون التي شرحها:

١٣- شرح (**الأربعين النووية**) لأبي زكريا النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ هذه الأحاديث الجامعة لأمور الدين، ولكن لم يوجد من شرحه إلا أربعة أشرطة، ولعل الشيخ أتمه و لم يصل التسجيل، والشريط الأول والثاني مفرغ.

١٤-شرح (**عمدة الأحكام**) للحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد شرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبواباً منها، ويظهر منها نقص كبير، والموجود من التسجيل (١٢) شريطاً.

١٥-شرح (**نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار**) للعلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأحاديث صاحب المنتقى، ثم يعلق على شرح النيل، وكان لكتاب الطهارة والصلاة والصيام والمناسك، ويقع في (٢٦) شريطاً، ولم يتم الشيخ الكتاب.

١٦-شرح فصولاً من (**زاد المعاد في هدي خير العباد**) للإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (فصل في أسباب انشراح الصدر) وذلك في شريطين، وشرح فصولاً في الصيام، هذا الموجود في الأشرطة، ولعل هناك نقص والله أعلم.

إلى غير ذلك من الشروح التي لم يتيسر الحصول عليها ومعرفتها[1]، وقد درس الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموعة من الكتب العلمية في الدراسة النظامية أو الدروس الخاصة، ومن

---

(١) الدكتور خالد بن عبد اللطيف وهو الذي كان يقرأ على الشيخ منها في بادئ الأمر.

ذلك غير ما ذُكر: زاد المستقنع، وكتاب الصوم من صحيح البخاري، كما درس متن الآجرومية، وقطر الندى في النحو، وفي آخر حياته تفرغ للتحضير لدرس في التفسير(٢)، ولكن وافته المنية قبل ذلك، فرحمه الله رحمة واسعة.

رابعاً: محاضراته وتوجيهاته:

كان للشيخ رحمه الله جهود كبيرة في الدعوة إلى الله داخل هذه البلاد وخارجها، وقد سبق بيان جملة من ذلك في ميدانه التعليمي، ولم يقف ذلك الجهد عند هذا الحد بل كانت له محاضرات وندوات، ونصائح وتوجيهات، وإجابة على كثير من التساؤلات، سواء العقدية أو الدعوية أو المنهجية أو الفقهية، ومما حُفظ لنا في المواد السمعية غير ما ذُكر، ما يلي:

١- العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.
٢- العقيدة أولاً(٣).
٣- هذه عقيدتنا(٤).
٤- الشفاعة وأنواعها يوم القيامة.
٥- تحقيق مسألة المعية ومسائل أخرى.
٦- أفعال العباد.

=

(١) إما لعدم التسجيل آنذاك، أو غير ذلك من الأسباب.

(٢) انظر: سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ ١٠٦- ١١٢، وقد أطلعني أحد تلاميذ الشيخ على أوراق (كشكول) فيها تدوين بعض الفوائد المتعلقة بسورة الفاتحة.

(٣) مادة هذه صوتية جعلت في أواخر شريط بعنوان: (فقد العلماء) حيث بقي متسع منه، بين فيها الشيخ أهمية العقيدة وحذر من كثير من المخالفات فيها. وقد فرغت هذه المادة.

(٤) هذه المادة عبارة عن الشريط الأول من شرح العقيدة الواسطية الآنف الذكر.

٧- المدخل للتدمرية.

٨- الحكم بغير ما أنزل الله[١].

٩- الرد على الأشاعرة والمعتزلة[٢].

١٠- من الولي[٣]. وكثير مما سبق من هذه المحاضرات أصله درس علمي أو مأخوذ من ذلك.

وللشيخ جملة من النصائح والردود، وهذه بعض نصائحه:

١- الدين النصيحة.

٢- فقه النصيحة.

٣- منزلة النصيحة في الإسلام

٤- ليس من النصيحة في شيء[٤].

٥- ليس من الإسلام في شيء.

٦- النصح بترك التفرق.

٧- شكران لا كفران.

٨- حقوق الإنسان في الإسلام.

٩- صور من الجاهليات المعاصرة.

---

(١) محاضرة نفيسة وقد تم تفريغها.

(٢) تكلم فيها الشيخ على الأصلين الواردين في التدمرية. وقد فرغت هذه المادة.

(٣) بين فيها المفهوم الصحيح للولاية وكيف تكتسب والمفاهيم الخاطئة في ذلك. والمادة مفرغة.

(٤) رد فيها الشيخ على محمد سرور زين العابدين؛ بسبب تهجمه على العقيدة وأهلها، قال الشيخ صالح الفوزان:"وأذكر لكم أن الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله قد أملى شريطاً كاملاً حول هذه الكلمة: على كلمة (نصوص العقيدة نصوص وأحكام جافة أو جامدة) كما يقول، رد عليه رداً بليغاً فعليكم أن تبحثوا عن هذا الشريط، وأن تنشروه بين المسلمين حتى يحذروا من هذا الخبث ومن هذا الشر الوافد إلى بلاد المسلمين. نعم. هذا شريط قيم جداً، جزى الله شيخنا الشيخ محمد أمان الجامي، ونصر به الإسلام والمسلمين"ا.هـ الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة صـ٨٤.

١٠- كيف ندعو إلى الله.
١١- كيف نربي شبابنا على الدعوة إلى الله بالطريقة المثلى.
١٢- منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله[١].
١٣- التجديد بمفهوميه (ما هكذا يا سعد تورد الإبل)[٢].
١٤- ويأتيك بالأخبار ما لم تزود.
١٥- الرد على من أفتى بوجوب قتل الكفار المستعان بهم في الحرب.
١٦- الرد على زاهد الكوثري.
١٧- القول المستجاد في الرد على مجازفات الحداد.
١٨- نصيحة إلى سفر الحوالي[٣].
١٩- تصحيح المفاهيم ومناقشة الآراء مع الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله [٤].

(١) للشيخ أكثر من محاضرة بهذا العنوان، فهذه محاضرة بالجبيل، وكذا في الخرج وغيرها وقد نبه الشيخ أنه يحسن أن يكون هذا العنوان لكل محاضرة يلقيها. وهذه المادة مفرغة.

(٢) رد على حسن الترابي، وقد بين فيها الشيخ نوعي التجديد، ورد على ضلالات وقع فيها الدكتور حسن الترابي.

(٣) وجه الشيخ فيه نصيحة للدكتور سفر حول ما صدر منه في كتابه (وعد كسنجر) وهذه المادة مفرغة.

(٤) ناقش فيه الشيخ الألباني في مسألة الاستعانة بالمشرك في الحرب مناقشة في غاية الأدب والنصح. ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن بعض المغرضين استغل هذا الرد استقلالاً سيئاً؛ فنشروا أن الشيخ يطعن في الألباني ويقول:(أنه صاحب هوى) وذلك في جريدة المحايد وغيرها من المواطن!!
والعجيب أن الشيخ خيب ظنهم في نفس الرد فقال:"إن أكثركم لا يعرفون الشيخ الألباني كمعرفتي، لست أدري هل تحبونه كمحبتي، وتقدرونه كتقديري" وقال:"أنتم لستم بأعلم من الشيخ ناصر بأكثر مني، وقد تزاملنا في العمل في المدينة المنورة، وفيما أعتقد لا تحبونه أكثر مني، وكلامي في الشيخ ناصر ومناقشتي له بهذا الأسلوب لا ينقص ما عندي من محبتي وتقديري للشيخ ناصر، ولكني أحبه فاقدره فأناقشه". ومن أقواله:"العلماء يحبون الألباني ويقدرونه، بعكس أهل الأهواء والبدع".. وقال:"ذكرت عدة مرات أني أحب الشيخ ناصر الألباني وأقدره، وفعلاً أشهد الله ثم أشهدكم، بأني

وغير هذه المحاضرات والردود كثير، وقد كانت توجه للشيخ رحمه الله جملة من الأسئلة والاستفسارات، فصدرت منه العديد من الإجابات وجملة من التوجيهات، منها:

١- إجابات على تساؤلات.

٢- أسئلة عن العمرة والزيارة وكلمة توجيهية للشباب.

٣- أسئلة وأجوبة عن الحج.

=

أحب فضيلة الشيخ ناصر الألباني وأقدره؛ لأنه من أهل العلم، ومن كبار علماء الحديث، فيجب أن نحب أهل الحديث وأهل العلم وأهل الفضل نحبهم ونحترمهم".

وقال:" وقد سمعتم مناقشتي للشيخ ناصر الألباني المحدث المحبوب الذي أحبه في الله لم تمنعني محبتي له وتقديري إياه من مناقشته في ما ظهر لي أنه أخطأ فيه"نصيحة إلى سفر الحوالي.

وقال رداً على ما عرض في جريدة المحايد:"هذا القائل قد ظلمه –ظلم الشيخ ناصر- ظلماً ومسئول عن هذه المقالة، الشيخ ناصر ليس صاحب هوى، وإن أخطأ الخطأ وارد، كلنا مخطئ، وما منا إلا ويخطئ، ليس منا معصوم، فرق بين من يخطئ وبين من يتبع الهوى، متبع الهوى متعمد، متعمد اتباع الهوى، والمخطئ يخطئ وهو يريد أن يقول الحق، ويدعو إلى الخير فيخطئ وهذا حاصل، الخطأ يحصل من الجميع، لكن اتهام الشيخ ناصر بأنه صاحب هوى، هذا ظلم من القائل، ومن يظن أن هذه عبارتي فليعلم أني بريء من هذه العبارة، ولا أعتقد في الشيخ ناصر، ولا من دون الشيخ ناصر من صغار طلبة العلم، لا أتهمهم بأنهم أصحاب هوى، حتى أولئك الذين حصل بيننا وبينهم نقاش، وأخذ ورد، إنا نعتقد منهم الخطأ والقصور هذا حاصل، وقد يقول غيرنا فينا الخطأ والقصور وهذا حاصل، لكن اتهام طالب علم بأنه صاحب هوى بعد أن عُرف بأنه من أهل السنة، ومن الذين يخدمون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ظلم من القائل، وأنا بريئ من ذلك".من جواب على سؤال بعد شرح تجريد التوحيد الشريط (١٥) و (أ).

ومما يدل أيضاً على العلاقة الوطيدة بين الشيخين الإهداءات المتبادلة؛ الدالة على التواد والحب في الله، انظر: إهداء الشيخ محمد أمان للألباني في حصول التهاني ٣٢٦/٢. وقد أخبرني الأخ محمد أبو سيف الكمالي أنه وقف على كتاب من كتب الشيخ الألباني مكتوب عليه إهداء من المؤلف للأخ الشيخ محمد أمان. والمقصود من هذا كله تقدير الشيخ الجامي وإجلاله الإجلال الكبير للإمام الألباني رحمهم الله، وعدم محاباة أحد في دين الله تبارك وتعالى.

٤- الإجابة العلمية على رسالة من تاب من الحزبية.

٥- (٢٧) سؤال عن الدعوة السلفية[١].

٦- الأجوبة الذهبة على الأسئلة المنهجية[٢].

٧- قرة عيون السلفية بالإجابة على الأسئلة الكويتية[٣].

٨- أسئلة مهمة في الشورى.

٩- توجيهات عامة.

١٠- توجيهات بعد صلاة العشاء[٤].

وختاماً لهذا المبحث يجدر التنبيه على أهم ما تميز به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محاضراته وشروحه، ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

١- يراعي الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تدريسه الإفهام لا إبراز العضلات، فيعتني بحل الإشكالات، وفتح المغلقات، والتعريف بالمصطلحات، بل والتمييز بين المتشابه منها، باستخدامه المناسب من العبارات، ولا يهمه كثرة الاستطرادات؛ حيث همه إبراز وتوضيح فكرة تلك الكلمات -المراد شرحها-.

٢- يستخدم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه أحياناً بعض الأساليب العاطفية، والمشتملة على الأدلة الوعظية، التي ترغب الطالب في الدرس وتنفعه في حياته العملية.

٣- يعتني الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنقل كلام أهل العلم المتقدمين، ويستأنس بكلام مَن بعدهم، ويعول على شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

---

(١) فُرِّغَت هذه المادة.

(٢) فُرِغت هذه المادة.

(٣) فُرِّغت هذه المادة.

(٤) تشتمل هذه التوجيهات على ثمانية أشرطة وكلها مفرغة.

٤- يهتم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بإبراز القواعد الكلية المتعلقة بالمسائل العقدية، وتقريبها وتوضيحها بأسهل الأساليب، مع الحرص على أن تكون مأخوذة من كلام السلف لفظاً ومعنى.

٥- كثيراً ما يسلك الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ منهج الشمولية في الاستدلال، فتجده يدعم معتقد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، ويشير أحياناً إلى طرق أخرى كالتتبع والاستقراء وغيرها من الطرق.

٦- يهتم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بتوضيح أصول المسائل وأسرارها، ويشير إلى الدخيل منها من العلوم المنحرفة كعلم الكلام والفلسفة، وينبه على الآثار السلبية المترتبة عن تلك المسائل.

٧- ومما يلفت الناظر لشروح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يجد كثرة التكرار للمسائل، ولبعض الوقائع التي تقرب الفهم، وتسهم في تثبيت المعلومات؛ فالشيء إذا تكرر تقرر، وكثيراً ما كان يقول: (والمكرر أحلى)(١).

٨- يعتني الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ باختيار المواضيع المناسبة لما يعايشه الناس، مما يناسب حالهم ومقامهم، ويعود عليهم بالنفع في العاجل والآجل.

٩- كان رَحِمَهُ اللَّهُ يدرك أهمية العقيدة السلفية في حياة الإنسان و صلاحها له، كما كان يدرك خطورة البدع المخالفة لهذه العقيدة على حياة الفرد و المجتمع، فلذلك كان يضمنها كثيراً من محاضراته، بل وجملة من دروسه، وإن كان درسه في الفقه أو غيره(٢).

---

(١) وهذا في مواطن كثيرة، والتكرار هو طريقة القرآن الكريم، وقد اشتهر بهذه الطريقة البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ يتمثل بقول القائل في المفاضلة بين صحيح البخاري وبين صحيح مسلم:

قالوا المكرر فيه ... قلت المكرر أحلى

(٢) يراجع دروسه نيل الأوطار (كتاب الطهارة والصلاة)، زاد المعاد فصل: في انشراح الصدر.

١٠- النشاط الدعوي الكبير المشتمل على النصح للأمة والتحذير من البدع و الخرافات، المتضمن للتعاليم النبوية في كيفية الدعوة إلى الله، والمشتمل على الحرص على عباده، بل إنه يحرص جاهداً على ترسيخ مبدأ الدعوة في نفوس الطلاب، فكان يقول ينبغي أن يكون (منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله) هو عنوان لجميع محاضراتنا[١].

١١- ومما تميز به رَحِمَهُ ٱللَّهُ إتاحة الفرصة للدارسين بالسؤال عما أشكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم، بل كان أحياناً يجعل الدرس (الإجابة على الأسئلة)، وكثيراً ما كان يجمع تلك الأسئلة معه، ويجيب عنها في الأوقات المناسبة[٢]، ويرشد إلى السؤال عما ينتفع منه السائل؛ ويكره الأسئلة التي تنبئ عن الاستهزاء بالله ودينه؛ فإنه سُئل مرة عن شبهة من يقول في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ في الآية إثبات بقاء صفة الوجه فقط؟!! فأجاب بلهجة تأديبية، ومن ضمن جوابه قوله:"**مثل هذا السؤال -لو سمع- لا يمكن أن يسمعوا سلفنا مثل هذا السؤال...فما بالكم لو سمع الإمام مالك هذا الملحد الذي يقول: لا يبقى إلا وجه الرب سبحانه وتعالى!! لا يبقى من الله إلا وجهه!! ماذا يكون جوابه؟ وكيف يكون موقفه؟ ولكننا تعودنا مثل هذه الأسئلة الملحدة، تكررت لدينا حتى أصبحنا نسمع سماعاً عادياً، مثل هذا السؤال الملحد الكافر؛ لذلك على شبابنا أن يدرسوا باهتمام باب العقيدة، ويطلعوا على أقوال الفرق فرق الكلام؛ ليعرفوا طريق المؤمنين وطريق المجرمين على حد سواء**"[٣].

---

(١) راجع مقدمة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله).

(٢) وقد وقفت على جملة من الأسئلة التي كانت تطرح عليه في بعض كتبه التي كان يدرِّسها؛ في مكتبته الخاصة.

(٣) شرح التدمرية الشريط (١٧) و (ب).

ومما تميز به الشيخ رحمه الله في ردوده ما يلي:

١- معرفتة التامة بدواعي الرد والشروط التي ينبغي انطباقها عليه، والالتزام بآداب الرد ومقاصده، فمن أقواله رحمه الله "**ننتقد لنصحح**"(١). مع الخبرة بأقوال المردود عليهم، تلك الخبرة المشعرة بمدى خطر انتشار تلك الأفكار في أوساط المسلمين(٢).

٢- وكان لا يرتضي الرد على المخالف -سواء كان المخالف من أهل السنة أو من غيرهم- إلا من خلال كتاب كتبوه أو شريط نشروه(٣)، فإن اشتهر الكلام المخالف للحق، فلا يشترط الرد سراً على صاحب المقالة، بل كان يقول: ينبغي أن ينتشر الحق كما انتشر خلافه، فإن رجع المردود عن قوله فهو المؤمل والمرجو، وفي الرد حصانة من الاغترار بباطله.

٣- التأصيل العلمي في الرد وذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة في ذلك؛ ولذلك يُستشعر من خلال رده الشفقة الصادقة على المردود عليه، المنبثقة من النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. مع قوة في الطرح خالية من العبارات البذيئة التي لا تثمر؛ فقد تميز بكونه "صادق اللهجة عظيم الانتماء لمذهب أهل السنة، قوي الإرادة داعياً إلى الله بقوله و عمله و لسانه، عفَّ اللسان قوي البيان سريع الغضب عند انتهاك حرمات الله"(٤).

٤- يظهر من ردوده أنه لا يجامل ولا يداهن، بل يصدع برد الباطل، ولا يخشى في الله لومة لائم، وكذلك لا يماري و لا يجادل؛ انتصاراً لقوله، إن كان معه الدليل شهره، و إن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به و رجع إليه. ويحث في غالب ردوده على الرد على كلامه إن كان مخالفاً للحق.

---

(١) محاضرة بعنوان: (العقيدة الإسلامية) الشريط (١) و (ب).

(٢) وقد سبق تسميته لبعض تلك الانحرافات بالجاهليات المعاصرة. انظر: صـــ٥٧. من الترجمة.

(٣) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـــ٤٨.

(٤) كما أخبر بذلك فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته المدرس بالمسجد النبوي و مدير شعبة دار الحديث رحمه الله في كتابه المؤرخ في ١٤١٧/٢/٨هـــ.

٥- حرصه الشديد على الشباب خصوصاً أثناء ردوده، حتى إنه كان كثيراً ما يرد على أي مقالة تهيجهم وتشغلهم عن طلب العلم، خشية أن يفتنوا بها، وفي نفس الوقت لا يرتضي لهم لحداثة سنهم الانشغال بالرد على تلك المخالفات، وقد كان كثيراً ما يكرر قوله "**فننصح طلابنا بعدم التدخل فيما بين المشايخ وليشتغلوا بالعلم**"(١).

والمقصود من عرض ما سبق، تدوين ما سمح به البال، من عرض بعض الخلال التي لمستها من خلال سماعي لأشرطة الشيخ المشتملة على شروحه النافعه، ومحاضراته المفيدة، ونصائحه السديدة، وتوجيهاته الرشيدة، وفتاواه الموفقه. والله أعلم.

المطلب الثاني: أعماله:

لقد كانت أعمال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كلها جهاد، فتارة بالعلم الذي هو أعظم أنواع الجهاد، وتارة بغيره، فأعماله ومناصبه التي تولاها لا تخرج عن ذلك، فقد أُوكلت إليه أعمال كثيرة فقام بها خير قيام، وكثير من تلك الأعمال من أجل خدمة الإسلام والمسلمين، وقد سبق في ثنايا الترجمة وخصوصاً في مبحث: رحلاته جملة من تلك الأعمال؛ وخشية التكرار فسأكتفي هنا بالإشارة وذكر ما لم يسبق ذكره، والله المستعان:

أولاً: أعماله في الجامعة الإسلامية:

لقد كان للشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ جهود كبيرة في الجامعة الإسلامية، بل ذكر الشيخ مصطفى أن أحد مشايخه قال:"كان الشيخ أحد أعمدة الجامعة التي تستند

---

(١) راجع: توجيهات بعد صلاة العشاء.

إليها"[1]، وليس ذلك بغريب؛ فهو من أوائل المرَشحين للتدريس فيها، وهو الذي مثلها في كثير من الندوات والمؤتمرات، إضافة إلى الأعمال الإدارية التي كُلِف بها، بل هو ممن رُشح لإدارة الجامعة بعد فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله.

ومن تلك الأعمال التي تولاها في الجامعة: أنه عُين عضواً لمجلس الجامعة سنة ١٣٩٤هـ. وهو أول عميد لكلية الحديث الشريف، حيث عُين سنة ١٣٩٧هـ وجدد له أيضاً سنة ١٤٠٤هـ.

وعُين رئيساً لشعبة العقيدة في الدراسات العليا سنة ١٤٠٤هـ. وجدد له سنة ١٤٠٦هـ.

وعين رئيساً لتحرير مجلة الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٨هـ. ومع تلك المسؤليات فلم ينقطع عن التدريس فيها، إلى أن أحيل على التقاعد.

وقد سبق التفصيل بالرحلات التي كُلِّف بها من قبل الجامعة إلى خارج المملكة، فلا حاجة لإعادته[2].

ومن الأعمال التي كلف بها: عمله مفتشاً لمعاهد الجامعة الإسلامية. وفي سنة ١٤٠٥هـ أعير إلى الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ ليعمل بالملحق الديني التابع لسفارة خادم الحرمين بجيبوتي. .

وقد اطلعت على التدرج الوظيفي للشيخ رحمه الله [3]، ويمكن عرضه على النحو التالي:

عمل رحمه الله مدرساً للرئاسة العامة والكليات والمعاهد بالتعاقد معه في المعهد العلمي بصامطة اعتباراً من ١٣٧٨/٣/١هـ. إلى ١٣٨٠/٣/١هـ.

وحين افتتاح الجامعة الإسلامية عُين رحمه الله مدرساً بالمعهد الثانوي اعتباراً من ١٣٨١/٥/١٦هـ. ومدرس جامعة (أ) اعتباراً من ١٣٨٣/٧/١هـ. ومدرس جامعة

---

(١) ترجمة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ١٣٤.

(٢) انظر: مبحث رحلاته.

(٣) من خلال ملف الشيخ الشخصي في الجامعة. صباح يوم الإثنين بتاريخ ١/١١٤٣٠هـ.

(ج) اعتباراً من ١٣٨٥/٥/١٦هـ. وأستاذ كلية اعتباراً من ١٣٩٢/٦/٢هـ. وأستاذاً مساعداً اعتباراً من ١٣٩٥/٧/١هـ. وأستاذاً مشاركاً اعتباراً من ١٤٠٠/١/٤هـ. وأحيل رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التقاعد اعتباراً من ١٤٠٩/٧/١هـ.

ولما أحيل الشيخ للتقاعد وقد كان لا يمل ولا يكل من البذل والعطاء، بل يجد في نفسه النشاط والرغبة؛ ولذا تقدم لسماحة شيخه ابن باز؛ لكي يشفع له بتمديد الخدمة، فشفع الشيخ ابن باز له لدى خادم الحرمين قائلاً:"من عبد العزيز بن عبد الله بن باز

إلى حضرة خادم الحرمين الشريفين الملك الكريم فهد بن عبد العزيز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أما بعد: فأرفع إلى مقامكم الكريم رسالة موجهة إليَّ من صاحب الفضيلة الدكتور محمد أمان بن علي الجامي المدرس في الجامعة الإسلامية قسم الدراسات العليا شعبة العقيدة وفي المسجد النبوي مضمونها أنه: تبلغ بإحالته على المعاش اعتبارا من ١٤٠٩/٧/١هـ وطلب مني الشفاعة لدى مقامكم الكريم رجاء التكرم بالأمر الكريم بتمديد الخدمة له في الجامعة الإسلامية **حيث إنه يجد نشاطا ورغبة في العمل**.

أرجو من مقامكم التكرم بالأمر بتحقيق رغبته؛ لكونه من خواص المشائخ المعروفين لدي بالعلم والفضل وحسن العقيدة والسيرة؛ ولمسيس حاجة الجامعة الإسلامية إلى وجود مثله فيها؛ لأنه بحمد الله لم يزل قوياً على العمل. شكر الله سعيكم وأمدكم بعونه وتوفيقه، إنه خير مسؤل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[1].

وحتى بعد إحالته للتقاعد، فإنه استمر في التدريس متعاوناً بكلية التربية فرع المدينة المنورة بقسم الثقافة الإسلامية. ومتطوعاً وفق ما سيأتي.

(١) في كتابه الموسوم برقم ١١٠٩/خ بتارخ ١٤٠٩/٨/٦هـ.

ثانياً: التدريس في المسجد النبوي:

لاشك أن المسجد النبوي مؤسسة تعليمية، ومدرسة تربوية، عبر الأزمنة والعصور، وكان محطة طلاب العلم، فمنه يتزودون، وإليه يترددون، وقد درَّس فيه علماء كثر، وألف في ذلك مؤلفات، وكان التعليم فيه في العهد السعودي امتداداً لما سبقه[١]، حتى حصلت (فتنة الجرأة على حرم الله)[٢] مُنع الجميع من التدريس إلا بتصريح من الجهات المختصة.

وقد درس الشيخ محمد أمان رحمه الله في المسجد النبوي، قبل الالتزام بالتصاريح، على كرسي يسمى (كرسي الجامعة) وكان يتناوب عليه كل من سماحة العلامة ابن باز رحمه الله، والعلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، وفضيلة الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله، وفضيلة الشيخ محمد أمان رحمه الله ثم انقطع عن التدريس في هذا الكرسي؛ لكثرة أسفاره إلى خارج المملكة.

ثم عُين الشيخ رحمه الله مدرساً بالمسجد النبوي مرة أخرى، بعد ترشيح معالي الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فصدر أمر خادم الحرمين الشريفين بتعيينه، وفي هذه الفترة انقطع الشيخ رحمه الله للتدريس بالمسجد النبوي بعد العصر والمغرب والعشاء، بل حتى بعد الفجر، فكانت حلقته غاصة بطلبة العلم والزوار والمسترشدين.

وقد درس جملة كبيرة من تلك الشروح آنفة الذكر في هذه الفترة.

ثالثاً: التدريس في غير ما سبق:

يمكن القول أن الشيخ رحمه الله لم ينقطع لا في المسجد النبوي ولا في غيره عن التدريس والدعوة، إلا لمرض أو سفر، قال ﷺ: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً)[٣]، وحتى في أسفاره جلها؛ من أجل نشر الدعوة والعقيدة،

---

(١) انظر: (التعليم في المسجد النبوي في العهد السعودي) رسالة ماجستير لمحمد جزاء الحربي.

(٢) المراد ما حصل من إحداث من جهيمان وأتباعه سنة ١٤٠٠هـ.

(٣) رواه البخاري (٢٩٩٦).

والمقصود أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لم يقتصر تدريسه في صرح معين كالجامعة والمسجد النبوي، لا، بل كانت له دروس في مساجد أخرى.

فقد عين سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ الشيخ محمد أمان مدرساً في مسجد قباء؛ وذلك لأنه كان في تلك الفترة مدرساً يدرس فيه –ولكنه على غير العقيدة السلفية– فكان الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ ينشر العقيدة السلفية ويدحض الشبه التي ترد عليه، فينسخ بذلك أثر ذلك المبتدع، بالدعوة إلى الله بالتي هي أحسن.

كما أنه درس في مسجدين بباب التمار بالقرب من مترله، بعد صلاة العشاء، فدرس فيه تجريد التوحيد، وبدأ درس القواعد المثلى هناك ثم أتمه في المسجد النبوي.

كذلك درس في مسجد الصانع بالمصانع، بعد صلاة العشاء، متن الآجرومية في النحو.

واستمر بالدروس التي كان يقيمها في جدة. وفي غيرها من مناطق المملكة.

وعمل أستاذاً متعاوناً –بعد تقاعده– في كلية التربية التابعة لجامعة الملك عبد العزيز، درس فيها العقيدة. وقد سبق الإشارة إلى تدريسه في الدول التي رحل إليها. وهكذا فحياته رَحِمَهُ اللهُ عامرة بالدعوة إلى الله ونشر العقيدة.

رابعاً: مساهمته في الجهاد في بلاده الحبشة:

لقد كان للشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ مساهمة ومشاركة في دعم وتأييد الجهاد الذي كان قائماً في بلد الشيخ (الحبشة)، منذ أكثر من أربعين عاماً، حيث كانا يجمعان التبرعات لمساندة الجهاد عن طريق: (الجبهة الإسلامية لتحرير أوروميا –الحبشة). فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان الجهاد في سبيل الله ديدنه، فقد جاهد بلسانه وماله وجاهه، ولم يتمكن من الجهاد بنفسه؛ لظروف قاهرة منعته من دخول بلده منذ خروجه منها سنة ١٣٦٩هـ. ولشدة اهتمام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بحال المسلمين في تلك المنطقة فقد ألف مقالين بعنوان: (ماذا تعرف عن أوروموا؟) بين فيه الحال التي مر بها المسلمون هناك، وانتشار الدعم النصراني من قِبل"أوربا وأمريكا سياسياً واقتصادياً

وفكرياً، فأنشأوا في قلب أراضي أوروميا إمبراطورية حبشية متوارثة في (أديس أبابا)، فأخذت الإمبراطورية تسوم المسلمين سوء العذاب، و لم تترك أي نو ع من أنوا ع التعذيب والاضطهاد إلا عرض على المسلمين؛ انتقاماً منهم على تمسكهم بدينهم واعتزازهم بإسلامهم، محاولين ردهم عن دينهم، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل الذي لا يتوقعونه، ولا يتوقعه أسيادهم الأوربيون، ولله الحمد والمنة"[1].

وقد كان لـــ(جبهة تحرير أورومو الإسلامية) دور بارز في ذلك، ظهر علناً بعد أن عملت سراً فترة غير قصيرة نحواً من خمسٍ وعشرين سنة. ومؤسس هذه الجبهة هو الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم حامد[2]، وبإشراف من الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع نخبة من شباب أوروميا.

ومقر قيادة الجبهة في الأراضي الأورومية الواسعة، والجبهة ولدت في إقليم هرر، ولما قوي ساقها وقامت على رجلها تدرجت إلى الأقاليم، فتقيم في كل منطقة تستولي عليها الجمعة والجماعة، ولهذا أحبها جميع أبناء الأورومو المخلصين، فيعتبرون أنفسهم جنوداً لهذه الجبهة[3]، والمقصود أن الجبهة الإسلامية كانت تعتبر حكومة إسلامية داخل دولة كافرة، تطبق أحكام الإسلام في المناطق الخاضعة لها.

---

(١) ماذا تعرف عن أورومو؟ مجلة الجامعة العدد (٤٥) صـــ٣٧٦.

(٢) قال الشيخ محمد أمان: "ولقبه الثوري: (جارا أبا ثمدا) وهو من أبناء الأورومو المخلصين من إقليم هرر، وهو معروف ببطولته وشجاعته لدى الخاصة والعامة، بل معروف لدى جيرانه الصوماليين حكومة وشعبا؛ لأنه قد عاش في الصومال عندما كان يسعى لتفجير ثورة مسلحة في أثيوبيا. وبجانب بطولته وشجاعته وإخلاصه لوطنه، معروف لدى الجميع بالتمسك بتعاليم دينه ظاهرا وباطنا، وكان يلزم جيشه بالتمسك بتعاليم الإسلام، وألا يحصل منهم تعد على الأموال والأعراض في أثناء الحرب مع العدو، وألا يأخذوا شيئا من أموال الشعب بدون إذن أو رضى منهم. وبهذا الموقف الإسلامي ملكَ قلوب الناس، فأصبح كل فرد منهم يعتبر نفسه جنديا من جنود عبد الكريم ولو لم ينضم إليه رسميا في المعارك. هذا هو رئيس الجبهة"ا.هـــ ماذا تعرف عن أورومو؟ ضمن مجلة الجامعة العدد (٤٥) صـــ٣٧٦.

(٣) انظر: ماذا تعرف عن أورومو؟ ضمن مجلة الجامعة العدد (٤٥) صـــ٣٧٦.

وقامت هذه الجبهة لما كانت برئاسة الشيخ عبد الكريم وبإشراف من فضيلة الشيخ محمد أمان بمشاريع عديدة؛ لنفع المسلمين، ومن ذلك[1]:

أولاً: مشاريع المدارس الإسلامية في أقاليم أوروميا في المدن الرئيسة منها، ابتدائية ومتوسطة؛ لتعليم الناس أمور دينهم وللمحافظة عليه، وذلك بإيجاد المدرسين للمدارس، وصرف رواتبهم، وبناء المساجد، وإنشاء ودعم خلاوي القرآن الكريم –أي مدارس تحفيظ القرآن– بإيجاد المدرسين لكل خلوة، وصرف رواتبهم.

ثانياً: مصاريف الجهاد والمجاهدين، فقد كانت تحتاج الجبهة إلى الأسلحة؛ للدفاع عن أعراض المسلمين وحرماتهم ضد النصارى الصليبيين.

ثالثاً: إغاثة اللاجئين المتواجدين بمراكز اللاجئين ومعسكراتهم في الأقاليم بالغذاء والكساء والأدوية، وإعادة التوطين، وبناء المساكن، وإيجاد المدارس وخلاوي القرآن الكريم، وإنشاء المشاريع الإنمائية.

رابعاً: المشاريع الصحية في أقاليم أورميا بإنشاء عيادات في المدن الرئيسية بالأقاليم، وتوفير الأدوية، وإيجاد الأطباء ومساعديهم، وسيارات الإسعاف.

خامساً: تمويل المشاريع الزراعية؛ لتوفير المواد الغذائية للاجئين والأرامل والأيتام، في المناطق التي حررتها الجبهة، تحتوي على جميع الفواكه والخضار وأنواع الحبوب، وتوفير المعدات الزراعية من مكائن للحراثة، أو مواطير للمياه.

هذا بالإضافة إلى جهودهم التوعوية للشعب إلى التزام تعاليم دينهم، بالمحافظة على الجُمَع والجماعات، وعدم تطبيق تعاليم الماركسية في جميع مجالاتهم، وترك التعليم الإجباري تحت مظلة الماركسية، وغير ذلك من الإرشادات.

قال الشيخ محمد أمان رحمه الله بعد أن أشار إلى كثير من هذه الجهود:"**ومما يجدر بالتنويه به أن هذا العمل الإسلامي الجليل الذي يقوم به شعب أورمو تحت إشراف جبهة تحرير أورمو وبتوجيه منها، وتوعية دقيقة تتم سراً ودون جعجعة. تلك الجبهة**

(١) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ١٢١-١٢٢.

التي تعمل في صمت ولا تحمل معها بوقاً حين تعمل، وحين توجه، وحين تجاهد، وما النصر إلا من عند الله وحده"(١).

واستمر عمل هذه الجبهة سرياً حتى خرج الرئيس (منجستو) من الحبشة، وعند ذلك ظهرت الجبهة الإسلامية لتحرير أوروميا، كما ظهرت الاتجاهات الأخرى المعادية للإسلام.

ولما أعلنت الحكومة المؤقتة الديمقراطية، أفاد هذا الإعلان الجبهة من جهة الاعتراف الرسمي لها باسم (الجبهة الإسلامية لتحرير أوروميا) ولها مكاتب في (أديس أبابا) وأمهات المدن الأثيوبية: كـ(دردوا، هرر، بالي، جمه، الوابابوا، عروسي، جرو، اسبوت) وغيرها من المدن. ولكن مع ذلك فقد تكالبت على الجبهة جميع الاتجاهات المعادية للإسلام، وحاولت شراء ذمم وضمائر كثير من الأروميين بذلك الدعم المتدفق من الكنائس العالمية والدول الغربية، ولم يقف أعداء الإسلام عند هذا الحد بل قاموا بتجنيد الأروميين من المثقفين والمندسين من ضعاف الدين ممن ينتسب للإسلام، فحرضوهم على إنشاء مجلس إسلامي –زعموا– يضار بتلك الجبهة، سموه (مجلس شؤون مسلمي أوروميا) فكانوا يحاربون الإسلام باسم الإسلام. ولاشك أن كل تلك المواقف تعتبر امتحاناً للمسلمين في المنطقة، وعلى رأسهم الجبهة الإسلامية(٢).

والمقصود أن حياة الشيخ رحمه الله كانت مليئة بالعمل الدءوب، والكفاح المستمر؛ لإعلاء كلمة الله ولنشر دينه، علماً وعملاً ودعوة، وختاماً أكرر ما قاله فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته رحمه الله: "**وأشهد الله تعالى أنه رحمه الله قد أدى كثيراً مما عليه من خدمة الدين، ونشر لسنّة سيّد المرسلين. ولقد صادف كثيراً من الأذى، وكثيراً من الكيد والمكر فلم ينثن ولم يفزع حتى لقي الله، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله**. فرحمه الله رحمة واسعة، ونور له في قبره، وجزاه عما قدم لهذه الملة

---

(١) ماذا تعرف عن أورمو؟ ضمن مجلة الجامعة العدد (٤٦) صـ٤١٤.

(٢) انظر: سيرة فضيلة الشيخ محمد أمان صـ ١١٩-١٢٠ بتصرف يسير.

خيراً كثيراً، وثواباً جزيلاً، وأصلح له عقبه وبارك فيهم، وجمعنا الله به في دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا"[1].

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) في كتابه المؤرخ في ١٤١٧/٢/٨هـ.

الباب الأول

جهود الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توضيح الإيمان بالله

ويشتمل على تمهيد وفصلين:

تمهيد في تعريف التوحيد وأقسامه.

الفصل الأول: جهوده في توضيح توحيد الربوبية والألوهية.

الفصل الثاني: جهوده في توضيح توحيد الأسماء والصفات.

تمهيد

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يقوم عليه الدين وتصح معه الأعمال؛ ولذلك كانت محل اهتمام الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، ومفتاح دعوتهم، وقد احتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان حذو الأنبياء والمرسلين؛ فكانوا يبدءون بالدعوة إلى التوحيد وإصلاح العقيدة، والتحذير من الانحراف فيها.

فأساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى هو إفراده بما يختص به، فالعباد لم يخلقوا إلا لذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ومعنى (يعبدون): يوحدون.

والتوحيد أصل مادته في اللغة (وَحَّدَ)، وتدور هذه المادة على الانفراد والاختصاص[1]. قال ابن فارس:"الواو والحاء والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد"[2].

وأما في الشرع فقد وضحه الشيخ محمد أمان رحمه الله في شرحه لكلام شيخ الإسلام في التدمرية، بقوله:" **تفسير حقيقة التوحيد أن لا يُشرَك الله شيءٌ من الأشياء فيما هو من خصائصه**"[3].

وعلى ذلك فالتوحيد إفراد الله بما يختص به؛ من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات[4].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة ٣٨٤٤/٤-٣٨٤٨ ، لسان العرب ٤٤٦/٣-٤٥٣ ، القاموس المحيط ٣٠٦-٣٠٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٩٠/٦.

(٣) شرح التدمرية الشريط (١٦) و (أ).

(٤) انظر: الصواعق المرسلة ٩٢٩/٣ ، لوامع الأنوار البهية ٥٦/١، تيسير العزيز الحميد صـ١٧.

أقسام التوحيد:

قال الشيخ رحمه الله:"**والتوحيد ينقسم إلى قسمين:**

الأول: توحيد في المعرفة والإثبات: وهو النوع المطلوب من العباد معرفته وإثباته، ويشمل هذا توحيد الربوبية والأسماء والصفات؛ لأن المطلوب معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، ومعرفة أنه وحده الخالق الرازق والإيمان بذلك...ـ وهو التوحيد العلمي الخبري.

والثاني: توحيد في القصد والطلب: ...وهو توحيد الإلهية والعبادة وهو نوع واحد"[1]. ويسمى التوحيد العملي.

وما قرره الشيخ في ذلك موافق لكلام الأئمة قبله، قال العلامة ابن القيم رحمه الله:"وأما التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد"[2]. وهذا التقسيم بالنظر إلى تعلقه بالعبد نفسه.

وقسم الشيخ رحمه الله التوحيد باعتبار آخر: وهو من جهة تعلقه بالله تبارك وتعالى حيث قال:"**والتوحيد عندنا يخالف التوحيد عند غيرنا؛ لأننا ننهج منهج السلف وهو منهج الأنبياء؛ لذلك نحن نقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:**

توحيد الله بأفعال نفسه بأن نعتقد أن الله وحده هو الخالق الرازق المعطي المانع الضار النافع مدبر الأمور من السماء إلى الأرض، فهذا يسمى توحيد الربوبية.

وأما إفراد الله بأفعال عباده بالدعاء وبالاستغاثة وبالذبح والنذر والخضوع والتذلل والصلاة والصيام وغير ذلك، فهذا يسمى توحيد العبادة.

---

(١) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (٣) و (ب) ، وشرح التدمرية الشريط(١) و(أ)

(٢) المدارج٥٣٢/٣ ، وانظر: التدمرية صـــ٥.

وإفراد الله بأسمائه وصفاته بأن نثبت له جميع صفات الرب سبحانه وتعالى التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ، فهذا يسمى توحيد الأسماء والصفات"[1].

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن بين أقسام التوحيد، وضح في كثير من المواطن حقيقة زيف المتحذلقين الذين تنكروا لحقيقة التوحيد وأقسامه - التي يعتقدها أهل السنة والجماعة ووافقهم عليها الشيخ- وزعموا أنه تقسيم مبتدع لم تدل عليه النصوص. قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**"كثير من الدارسين المثقفين يغلطون في مفهوم التوحيد، ربما سمعتم وقرأتم من ينكر تقسيم التوحيد إلى توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ ويشنع ذلك فيسميه تثليثاً**[2]**؛ ليكشف بذلك عن جهله الجهل المركب...غريب أمر هذا المنتقد لتقسيم التوحيد"**[3] وقال أيضاً:**"الذين يتنكرون لهذا التقسيم يعلنون عن جهلهم بفقه الكتاب والسنة، يصفون أهل التوحيد الذين يقسمون هذا التقسيم (مثلثون)، (أهل التثليث)، وهذا التشنيع لا ينبغي أن يلتفت إليه، ودعاة الحق دائماً وأبداً يشنع عليهم، دعاة الباطل إذا لم يجدوا حجة؛ ليغلبوا أهل الحق -وأهل الحق لا يُغلبون؛ لأن الحق أبلج والباطل لجلج، الحق واضح- وإذا عجزوا عنهم شنعوا يشتموهم ويسيئون إليهم، ويلقبوهم بألقاب هذه سنة قديمة من عهد الأنبياء إلى وقتنا هذا، هكذا فعلوا مع الأنبياء؛ لذلك لا ينبغي لصغار طلبة العلم إذا قرأوا في هذه الأيام -من يشنعون هذا التوحيد وهذا التقسيم- أن يلتفتوا إليهم. عليهم أن يرجعوا إلى هذه النصوص؛ ليستنبطوا منها التوحيد، كما استنبط من كان قبلهم، بل عليهم أن يتبعوا علماءهم وهم أهل الحق"**[4].

---

(١) التعليق على شرح الواسطية للهراس الشريط (١) و(أ)

(٢) ومن أولئك الضلال حسن السقاف انظر كتابه: (التنديد بمن عدد التوحيد وإبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية) وقد تولى الرد على هذا الكتاب أ.د عبد الرزاق البدر في كتابه: (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد).

(٣) شرح التدمرية الشريط (٢٣) و (أ).

(٤) المصدر السابق الشريط (٢٦) و(ب)

فالنصوص الشرعية دلت على هذه الأقسام الثلاثة من أقسام التوحيد، وأيضاً فهذا حال الناس في توحيدهم لله تبارك وتعالى لا تخلو من ذلك.

دليل هذا التقسيم :

قال الشيخ رحمه الله:**"دليل هذا التقسيم يسمى الاستقراء، ومعنى الاستقراء**[1]: **تتبعنا نصوص الكتاب والسنة فوجدناها بالنسبة للمطالب الإلهية تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة : نصوصٌ تدعو العباد بأن يوحدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، والنصوص التي تأتي في هذا المعنى يُؤخذ منها توحيدٌ يسمى توحيد العبادة.**

ونصوصٌ تُخبر بأن الله وحده خالق كل شيء، ومدبر الأمور، وهو المعطي المانع، والنافع الضار، ما كان من هذا القبيل يسمى توحيد الربوبية.

وهناك نصوصٌ تصف الله بأنه (سميع عليم) وأنه (سميع بصير) وأنه (عزيز حكيم) وغير ذلك من الأسماء والصفات، هذا النوع يسمى توحيد الأسماء والصفات.

إذن لم نخرج عن الكتاب والسنة في تقسيمنا التوحيد إلى ثلاثة أقسام؛ لذلك لا يرد قول المعترض بأن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام تقسيمٌ جديدٌ لا أصل له، فالجواب ما سمعتَ إنّ هذا التقسيم تقسيمٌ استقرائي، والدليل الاستقرائي مُسلَمٌ به عند أهل العلم والمعرفة، وأكثر من يبحث في هذا النوع من الدليل علماء الأصول. هكذا يتضح سرُ تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام"[2].

---

(١) الاستقراء هو:(الحكم على كليٍّ بوجوده في أكثر جزئياته). التعريفات للجرجاني صــ٣٧-٣٨.

(٢) التعليق على شرح الواسطية للهراس الشريط(١) و(أ)، وراجع: رسالة (الحكم على الشيء فرع فرع عن تصوره) ضمن المجموع صــ٣٦٦-٣٦٧ ، شرح التدمرية الشريط(٢٤) و(أ) ، شرح القواعد المثلى الشريط (١) و(أ)

ثم إن هذا التقسيم من جنس تقسيمات العلماء الأخرى المتعلقة بالأمور الشرعية، وقد ثبت هذا التقسيم عن السلف كأبي حنيفة[١] وابن جرير[٢] وابن أبي زيد القيرواني[٣] وابن بطة العكبري[٤]وابن مندة[٥][٦].

---

(١) هو النعمان بن ثابت بن التميمي الكوفي، أبو حنيفة الفقه المشهور أحد الأئمة الأربعة، توفي سنة ١٥٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٩٠/٦.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، الإمام المفسر، أحد أعلام السلف، له مصنفات منها: جامع البيان آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وصريح السنة، وغيرها، توفي سنة ٣١٠هـ. أنظر: السير ٢٦٧/١٤، شذرات الذهب ٢٦٠/٢.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، إمام مالكي، من مؤلفاته: الرسالة، الجامع وغيرهما، توفي سنة: ٣٨٦هـ . انظر: السير ١٠/١٧ ، شذرات الذهب ١٣١/٣.

(٤) هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، فقيه حنبلي شيخ العراق، له مصنفات منها: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية. انظر: السير ٥٢٩/١٦، شذرات الذهب ١٢٢/٣.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن منده الأصبهاني، الحافظ المحدث، له مصنفات كثيرة منها: كتاب التوحيد، الرد على الجهمية وغيرها. انظر: السير ٢٨/١٧، شذرات الذهب ١٤٦/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري ٥٣/٢٦-٥٤، الرد على الجهمية ١٧٢/٢-١٧٣، وللاستزادة من الشبه والرد عليها راجع كتاب: (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد) د.عبد الرزاق البدر.

الفصل الأول

جهوده في توضيح توحيد الربوبية والألوهية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في توضيح توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: جهوده في توضيح توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: جهوده في توضيح العبادة وبيان أنواعها.

المبحث الرابع: جهوده في توضيح ما ينافي توحيد العبادة.

المبحث الأول
جهود الشيخ في توضيح توحيد الربوبية

المطلب الأول: جهوده في تعريف الرب والربوبية:

قال ابن فارس:"الراء والباء يدلُّ على أُصولٍ: فالأول إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه.. والأصل الآخرُ لُزوم الشيءِ والإقامةُ عليه... والأصل الثالث: ضَمُّ الشيء للشَّيء... ومتى أُنْعِمَ النَّظرُ كان الباب كلُّه قياساً واحداً"[1].

والرب يطلق في اللغة على المربي، والسيد، والمدبر، والمالك، والقيم، والمنعم، والله هو الرب بهذه الاعتبارات كلها[2].

والرب يطلق في الشرع ويراد به تلك المعاني اللغوية، وقد بين الشيخ محمد أمان رحمه الله بعض تلك المعاني بقوله:"**الرب لفظ: رَبَّ يربي رباً من الناحية اللغوية فهو راب اسم فاعل، فمعنى قوله تعالى: (ربُ العالمين) راب للعالمين مرب للعالمين، بعد أن أوجدهم وخلقهم يربيهم وينعم عليهم بالنعم الحسية والمعنوية، فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد ...لعباده القائم بتربيتهم؛ لأنه حي قيوم القائم بنفسه الغني عن غيره المقيم لغيره والمقيم على غيره، ولا يقوم شيء إلا بإقامته إياه سبحانه من ذلك يربيهم ويصلحهم، المتكفل بصلاحهم في الدنيا والآخرة من ...إيجاد ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا، الأمر كله لله سبحانه**"[3].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/٣٨١-٣٨٢.

(٢) انظر: لسان العرب ١/٣٩٩-٤٠١، القاموس المحيط ٩٤، بدائع الفوائد ٤/١٥٤٣.

(٣) شرح تجريد التوحيد الشريط (١) و (أ).

وما أشار إليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من معاني الربوبية ترجع إلى ثلاثة معانٍ: المالك والسيد والمصلح، قال ابن الأنباري[1]: الرَّبُّ يَنْقَسِم على ثلاثة أَقسام يكون الرَّبُّ المالِكَ ويكون الرَّبُّ السّيدَ المطاع ... ويكون الرَّبُّ المُصْلِحَ رَبَّ الشيءَ إِذا أَصْلَحَه"[2].

إذا تبينت معاني كلمة الرب في اللغة، فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله تعالى بما يليق به من تلك المعاني، وهذا معنى قول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:" **إفراد الله تعالى بأفعاله بعباده خلقهم ورزقهم والعطاء والمنع أفعال الرب، إفراد الله تعالى بأفعاله؛ بحيث تعتقد بأنه وحده الخالق الرزاق النافع الضار المعطي المانع، هذا يسمى توحيد الربوبية**"[3].

وهذا الاعتقاد من الأهمية بمكان، وإن لم يكثر الكلام حوله؛ لأنه مركوز في الفطر، وقد أقر به المشركون، وبه ألزموا بتوحيده سبحانه بألوهيته، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**فإيمان العباد بهذه المعاني من معاني الربوبية، أي : إفراده سبحانه في ربوبيته؛ كما فطر العباد على ذلك، يلزمهم هذا الإيمان أن يفردوه بأفعالهم كما انفرد هو بأفعاله**"[4].

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة وبالله التوفيق.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري، الشيخ المعمَّر مسند العراق، توفي سنة ٣٦٠هـ. انظر: السير ١٦/٦٣، شذرات الذهب ٣/٣١.

(٢) لسان العرب ١/٤٠٠-٤٠١

(٣) شرح تجريد التوحيد الشريط (١) و (أ) ، وراجع مقدمة تعليقه على شرح الواسطية الشريط (١) و (أ).

(٤) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ٤٥.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح أدلة وجود الرب سبحانه وتعالى:

لاشك أن وجود الرب تبارك وتعالى محل اتفاق، بل محل إجماع إلا من عاند، وما ذلك إلا لكونه مركوز في الفطر السليمة والعقول المستقيمة، حيث إنه لم يخالف في ذلك أحد إلا عناداً ومكابرة، قال الشيخ رحمه الله: "**وأما الصراخ المنكر والقول الهجين الذي سمعته الدنيا لأول مرة في الآونة الأخيرة، والذي ينادي بكل وقاحة، بإنكار وجود الله تعالى مكابرة، وأنه ليس هو الذي خلق هذا الكون، وأن الدين إنما يقصد به تخدير الشعوب إلى آخر تلك المغالطة، فإنها تهدف إلى تضليل متعمد إذ لا مستند له من العقل والفطرة السلمية بله الشرع، ولا أرى مناقشته هنا.**

وهل يناقش من ينكر وجود الشمس وهي طالعة؟!! وكيف ينكر وجود الخالق من هو مخلوق له وآية من آياته؟!!

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[1]" [2]

ومن باب إقامة الحجة على الخلائق، ولما كان الإيمان بوجود الله من الإيمان بالغيب وضح أهل العلم الأدلة على ذلك، وفي ذلك يقول الشيخ رحمه الله: "**الإيمان بالله تعالى من الإيمان بالغيب؛ لأنه غائب عن نظرك ورؤيتك، وإن كان شاهداً معك لا يغيب عنك بعلمه وسمعه وبصره فهو معك، وهذه معية خاصة، أو معية معنوية غير حسية، لكن حساً فهو غائب عنك؛ لذلك الإيمان بالله من الإيمان بالغيب يحتاج إلى علامة وأدلة تدل على وجود الله تعالى. ما هي؟**" [3].

والجواب يمكن إجماله بما يلي:

---

(١) البيت لأبي العتاهية شاعر الزهد والحكمة. انظر: ديوانه صـ١٢٢.

(٢) الصفات الإلهية صـ ١٠١-١٠٢.

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـ٤٥.

أولاً: الأدلة النقلية:

والأدلة النقلية هي في الحقيقة أدلة عقلية، وبراهين ساطعة قوية، قال الشيخ رحمه الله: "**وهكذا بالدليل العقلي المنطقي التي يشهد له الكتاب والسنة، نثبت وجود الله**"[(١)]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ ، قال رحمه الله تعليقاً على هذه الآية:"**كون المخلوق يخلق من غير خالق ممتنع عقلاً ... كذلك ممتنع أن يخلق المخلوق نفسه، إذن تعين أن لهم خالقاً خلقهم، أضف على ذلك أن الخالق الذي خلقهم مخالف لهم في كل شيء؛ لأنه لو كان مثلهم ما كان خالقاً لهم** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ "[(٢)].

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي لا تكاد تحصى، وهي تدعو الإنسان إلى أن ينظر ببصيرته وعقله، وأن يفكر في المخلوقات العظيمة من أوجدها من العدم؟ أشار الشيخ إلى ذلك بقوله:"**ويقول القرآن الكريم عقب ذكر كل آية من الآيات التي في صفحات الكون، يقول منبهاً مثيراً** ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ **إلى آخر تلكم التنبيهات والتذكيرات، فتتفق هذه الآيات الكونية مع الآيات المنزلة المتلوة في إثبات وجود الله، وقدرته القادرة القاهرة لقوم يعقلون ويدرسون ويفهمون، فيعمِّق ذلك إيمانهم ويوثِّق صلتهم بربهم وخالقهم**"[(٣)]. بل إن القرآن الكريم من أعظم البراهين وأقواها على وجود الله عز وجل؛ لأنه كلامه المنزل، والكلام يدل على وجود المتكلم.

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٤) و (ب).

(٢) شرح التدمرية الشريط (٣) و (أ).

(٣) طريقة الإسلام في التربية ضمن المجموع صـــ٢٩٤ .

ثانياً: دليل الفطرة:

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

فالعباد مفطورون على معرفة الله تعالى، وعبادته، وكونه المتصف بصفات الجلال والكمال، فلا ينبغي لهم أن يبدلوا هذه الفطرة التي خلقوا عليها. وقد يقال لو كان التوجه إلى الله أمراً فطرياً لما عبد الناس في مختلف العصور آلهةً شتى؟!!

ويجيب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن هذا بقوله: "**الله عز وجل فطر العباد على التوحيد..، فالإنسان مفطور على التوحيد بمعنى لو أن مولوداً ما، وُلِدَ وتُرِكَ بعيداً عن المؤثرات الخارجية، سينشأ على التوحيد لا يعرف شركاً، ولا كفراً، ولا انحرافاً ولا إلحاداً، (كل مولود يولد على الفطرة، إلا أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..)**[1] **الأصل التوحيد، كل مولود مفطور على التوحيد، ومجبول على توحيد الله ما لم يطرأ بالمؤثرات الخارجية شيء جديد، (إلحاد وانحراف وكفر وشرك) ...هذه الملة التي ينادي بها بعض المنحرفين: ملة الإلحاد وإنكار وجود الله، وإنكار دين الله (ملة الانحراف)، قوم أثرت فيهم البيئة التي نشأوا فيها، والمؤثرات الخارجية فخرجوا على الطبيعة، وإلا لو وجهت سؤالاً إلى بدوي في أعماق البادية، لم يتصل بأحد قط إلا بمواشيه، ولم تؤثر عليه مؤثرات خارجية، لو سألته عن ربه لن يتردد سيقول: الله، ولو ضاعت ناقته لن يتردد ويقول يا رب، من أين تعلَّم؟! من الفطرة**".[2]

وقد سئل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ كيف يعرف العبد ربه بالفطرة، وهل تقوم عليه الحجة بتلك المعرفة؟ فأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله: "**معرفة الله تعالى ليست متوقفة على الوحي، معرفة الله تعالى بالفطرة (كل مولود يولد على الفطرة) قبل أن يهوّده أبوه أو أمه أو ينصّرانه، بمعنى يعرف الرب تعالى بالعقل السليم غير المشوش وبالفطرة، لكن لا تقوم**

(١) رواه البخاري (١٣٨٥) ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و (ب).

الحجة على العباد بدليل الفطرة وبدليل العقل، حتى يأتي الوحي فيُكمِّل تلك المعرفة فيُغذى.

بذلك تقوم الحجة على العباد، لو كانت تقوم الحجة على العباد بالدليل العقلي وبالفطرة= لما بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ولكن هذه الأدلة تتعاون حتى تقوم الحجة على عباد الله"[(١)].

ويؤكد الشيخ رحمه الله هذه الحقيقة ويوضحها بقوله: "**دليل الفطرة، ودليل العقل، والحس، وأخذ الميثاق على العباد وهم في صلب آدم، كل ذلك مجتمعاً يشهد بأن الله موجود، وأنه في العلو، وأنه وحده هو المعبود سبحانه وتعالى. ولكن هنا سؤال: لو كان دليل العقل ودليل الفطرة وأخذ العهد والميثاق على العباد، لو كانت هذه المعاني، والأدلة كافيه في أخذ الحجة على العباد= لما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؟!**

إذن هذه الأدلة عبارة عن تمهيد للفهم الصحيح العام، وللمعرفة الصحيحة، ولتحقيق التوحيد بعد أن يُرسِل الله الرسل وأنزل الكتب؛ لذلك يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [(٢)].

ثالثاً: دليل الآيات والمخلوقات:

والمراد هنا بالآيات: الكونية المخلوقة، وقد تشمل الآيات المخلوقة والآيات المتلوة،[(٣)]وقد سبق الكلام على الآيات المتلوة، قال الشيخ في توضيح دليل الآيات والمخلوقات وكيف يعرف العبد بها ربه: "**فمن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، هذه آيات مخلوقة، أي علامات ..على وجود الرب سبحانه وتعالى، وعلى قدرته وإرادته وعلمه وعزته وسمعه وبصره، ومن مخلوقاته السماوات السبع، هذه مخلوقات**

(١) أسئلة بعد صلاة العشاء الشريط (٤) و(أ) .

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و (ب)

(٣) انظر: شرح الأصول الثلاثة صـــ ٤٥.

وفي الوقت نفسه آيات...والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ "[(١)].

وقال أيضاً:"**نعرف الله سبحانه وتعالى بآياته التي تكاد أن تنطق، بآياته الكونية، الكون برمته آية على وجود الرب سبحانه وتعالى:**

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد"[(٢)]

واستمر الشيخ في تقرير دليل الخلق والقدرة والتدبير، وأن هذا الكون من أصغر ذرة فيه إلى أكبر مخلوق يُلاحظ ويُشاهد فيه الإبداع والتناسق والترابط، إلى أن قال:"**وهذا الإبداع دالٌ أول ما يدل على وجود الرب سبحانه وتعالى، وثانياً يدل على قدرته الباهرة، إذن الخالق ليس كالمخلوق، مخالفٌ للمخلوق في حقيقة ذاته وكُنه ذاته، ولكن لا يعلم كيفية ذاته إلا هو، ويخالف المخلوق في قدرته؛ لأن قدرة المخلوق قدرته حادثة، وُجِدت بعد أن لم تكن. الله الذي منحك هذه القدرة يجب أن تعلم أنه يتصف بقدرة أقوى من قدرتك؛ لأنه هو الذي منحك هذه القدرة.**

إذن هذا الإبداع، وهذا الإيجاد، وكونه فاطر السماوات والأرض؛ دل على وجود الرب سبحانه وتعالى وجوداً حقيقياً؛ بحيث لا يجوز عقلاً وشرعاً وفطرةً أن يُشَك في وجود الرب إلا إذا كان يشكُ في وجود نفسه. فالله موجود؛ لأنك موجود وآية و علامة دالة على وجود الرب سبحانه وتعالى، ثم إنه قادر على كل شيء وخالق كل شيء، دل ذلك على قدرته الباهرة"[(٣)].

وكون هذا الدليل من أدلة وجود الخالق، لا يعني ذلك أن معرفة الرب ﷻ متوقفة على التفكر في تلك المخلوقات، قال الشيخ رحمه الله: "**معنى أننا نعرف الله سبحانه**

---

(١) الأصول الثلاثة صـــ٤٥-٤٦.

(٢) مقدمة التعليق على شرح الواسطية الشريط (١) و (ب).

(٣) المصدر السابق.

وتعالى بآياته المخلوقة، بالسماوات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر، ليس معنى ذلك أنك تحتاج إلى أن تفكر في هذه المخلوقات.. الاستدلال بهذه الأشياء على معرفة الله تعالى دليل عقلي.

يسبق الدليل العقلي الدليل الفطري، تعرف الله بفطرتك إذا سلمت من المؤثرات الخارجية، وتأتي الأدلة العقلية إذا عقلت وفهمت، تزداد معرفة وإيماناً على إيمان، وليس معنى ذلك أنك كنت تجهل الله إلى أن فكرت في هذه الآيات ثم عرفت، لا، ليس هذا هو المراد، وأنت تعرف من نفسك هذا أيها السائل"[(١)].

وأنبه في ختام هذا الدليل أن المتكلمين يسمون هذا الدليل دليل العناية، وقد وضحه الشيخ رحمه الله لما بين طريقة ابن رشد[(٢)]في إثبات وجود الله، فقال:" **يقوم دليل العناية على أن يفكر الإنسان جيداً وينظر فيما يحيط به من حماية وعناية ربانية، ونِعَم لا تعد ولا تحصى، وقد خلق الله من أجله أكثر الموجودات، بل جميع ما في السموات وما في الأرض، وذلك في قوله تعالى:** ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ "[(٣)].

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٤) و(أ) .

(٢) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، فيلسوف يلقب (الحفيد)، له مصنفات منها: كشف مناهج الأدلة، تهافت التهافت وغيرها، توفي ٥٢٠ هـ. انظر: شذرات الذهب ٦/١٠٢.

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٥٣.

رابعاً: دليل الإجماع:

ومن الدلالات على إثبات وجود الرب تعالى دلالة إجماع الأمم على ذلك، وليس الإجماع خاصاً في إثبات وجوده تبارك وتعالى بل في إثبات ربوبيته، قال الشيخ مقرراً ذلك:"**إن توحيد الربوبية محل إجماع البشر، ولا فرق بين مؤمنهم وكافرهم، بل كلهم يؤمنون بربوبيته، وإن أشرك من أشرك في عبادته**"(1).وقال مؤكداً هذه الحقيقة: "**توحيد الربوبية في الأصل محل اتفاق بين الكفار والمؤمنين؛ لأنه توحيد فطري، ولكن قد يطرأ أحياناً على بعض من ساءت تربيته**"(2).

وقال أيضاً:"**ولما كان توحيد الربوبية محل اتفاق بل محل إجماع إلا من عاند، استدل بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة**" إلى أن قال:"**وإنما لم يكن مطلوباً ؛ لأنه لم يكن محل خلاف، لم يكن محل نزاع قط بين الرسل والذين أرسلوا إليهم وبين المصلحين وأقوامهم**"(3).

فتوحيد الربوبية اتفق عليه أهل الدنيا كلهم حتى الكفار، وأشد الناس كفراً الذين عارضوا رسالة محمد ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم وحاربهم وحاربوه كفار قريش يؤمنون بأن الله وحده هو الخالق الرازق مدبر الأمور، يشهدون بهذا ...لكن استغربوا واستبعدوا أن يكون المعبود واحداً. أما كون الخالق واحدًا لم يستبعدوا، ولم يستغربوا، آمنوا بأن خالق السماوات والأرض هو الخالق وحده، وهو الرازق وحده، وهو الذي يُرجى في المُلِمات، ولكن الآلهة الصغار لابد منها – وسائط – هذا هو دين قريش، فهم بذلك لا ينكرون وجود الخالق العظيم، وإنما ينكرون انفراده في استحقاق العبادة(4) .

---

(١) الصفات الإلهية صـــ١٠١.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

(٣) شرح التدمرية الشريط ش (٢٣) و (ب).

(٤) راجع: التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و (ب).

خامساً: الأدلة العقلية:

دليل الإمكان:

وهذا الدليل من الأدلة العقلية، وقد عرفه الشيخ رحمه الله بقوله:"**إن الوجود لا بد له من موجِد، أو أن الموجود لا بد له من موجِد، وأن المحدَث لا بد له من محدِث، وأن المخلوق لا بد له من خالق، هذا علم ضروري، لو أراد الإنسان أن يتصور ضده ما استطاع. وهذا الموجِد الذي يوجِد الموجود وهو الممكن**[1]**، يقال له: ممكن، ويقال له: حادث، ويقال له: مخلوق، الذي يوجِد هذا الموجود المخلوق المحدَث الممكن، الذي لا يجوز عليه الوجود والعدم يجب أن يكون واجباً؛ أي...إن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود، معنى واجب الوجود: بأن وجوده وجود ذاتي**[2]**، لم يوجد بعد أن لم يكن، ولو كان كذلك صار مماثلا لخلقه، ولكنه** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ "[3]. وما قرره الشيخ موافق لما سبقه من أهل العلم قال شيخ الإسلام رحمه الله: الوجود المعلوم: إما ممكن، وإما واجب، والممكن لا يوجَد إلا بواجب، فثبت وجود الواجب على التقديرين"[4].

دليل الاختراع:

وهذا الدليل تابع لما قبله، ويزيد عليه دلالته على قدرة المبدع، وعظمته ووحدانيته، قال الشيخ رحمه الله: "**ويقوم دليل الاختراع على النظر الدقيق في الموجودات**

---

(١) ذكر شيخ الإسلام أن الممكن الذي اتفق عليه العقلاء هو: "ما علم أنه وجد بعد عدمه، أو عُدم بعد وجوده" انظر: درء التعارض ٣/٢٦٨.

(٢) وهذا من اصطلاحات الفلاسفة، قال ابن سيناء:"وهو الضروري الوجود". انظر: النجاة صـ٣٦٦.

(٣) شرح التدمرية الشريط ش (٢) و (ب).

(٤) مجموع الفتاوى ٢/٧٥.

والمصنوعات: التي تدل لا على وجود الخالق فحسب، بل على قدرته وعظمته ووحدانيته، كأثر يدل على المؤثر، وصفة تدل على الصانع الحكيم...قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ **؛ ليستدلوا على وجود الله وقدرته وحكمته، بالنظر في أسرار هذه المخلوقات"**(١).

دليل النظام الكوني:

وهو في الحقيقة ما يسميه المتكلمون بدليل التمانع، وقد عرفه الشيخ ووضح كيف يستدلون به على توحيد الربوبية بقوله:**"دليل التمانع عندهم: قالوا: لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما لابد من أمور ثلاثة: إما أن يحصل ويتحقق مرادهما معاً، بأن أراد أحدهما أن يحرك جسماً وآخر يريد تسكينه، وأحدهما يريد أن يحيي والآخر يريد الإماتة. ما الذي يحصل؟ الاحتمالات العقلية ثلاثة: إما أن يحصل مرادهما، أي: الجمع بين الحركة والسكون والموت والحياة، أي الجمع بين المتناقضين، وهذا مستحيل. وإما أن لا يحصل مراد كل واحد منهما، لا حركة ولا سكون –رفع النقيضين– ونسبة الاثنين إلى العجز؛ مستحيل، رفع النقيضين مستحيل كما أن جمع النقيضين مستحيل. بقي احتمال ثالث وهو: أن يتحقق مراد أحدهما دون الآخر، الذي تحقق مراده وقهر الآخر هو الرب. هكذا يثبتون بدليل التمانع توحيد الربوبية"**(٢).

والمتكلمون يستدلون على هذا الدليل بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٥٣.

(٢) شرح التدمرية الشريط الشريط (٢٣) و (ب)، وراجع التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٢) و (ب). وانظر منهاج السنة ٣٠٤/٣ .

كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

والمتأمل لهذا الاستدلال يجده غير صحيح، فليس الأمر كما قالوا؛ والصواب أن الآية تقرر توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية[1]. قال الشيخ رحمه الله: "**دليل التمانع الذي نحن بصدده تمانع في الإيجاد، والآية تقول: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ إذن هذا تمانع في العبادة، ليس تمانع في الربوبية. ومعنى الآية هكذا: لو كان فيهما آلهة متعددة، أي تُعبد فيهما، ليس معنى ذلك أن هذه الآلهة تسكن السماوات والأرض؛ لأن الإله بمعنى المعبود (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) لو كانت هناك آلهة كثيرة تعبد في السماوات والأرض؛ لأن المعبود يجب أن يكون خالقاً، ويجب أن يكون قادراً على كل شيء، وإنما صلح نظام الكون بالتوحيد، وهذا يؤدي إلى تعدد المعبودين، وتعدد المعبودين يؤدي إلى الفساد والاصطدام، وهذا تمانع في العبادة، ليس تمانع في الربوبية، هذا هو وجه فساد الاستدلال**"[2].

والشيخ رحمه الله لم يبطل دليل المتكلمين، وإنما كلامه يشير إلى أنها ليست طريقة القرآن في الاستدلال، وأن أهل السنة ليسوا بحاجة لهذا الدليل؛ وعلل ذلك بقوله:"**لسنا بحاجة إلى ذكر دليل التمانع؛ لأن الناس لم تشرك بالله في هذا التوحيد، لماذا نضطر إلى...تكلف لا طائل تحته، وقبل هذا التكلف كله، أعلن المشركون بأن خالق السماوات والأرض ومدبر الأمر من السماء إلى الأرض هو الله وحده؛ إذن لا حاجة بنا إلى دليل التمانع**"[3].

وخلاصة الكلام حول ما سبق: أن الشيخ محمد أمان رحمه الله سلك مسلك السلف في تقرير هذه المسألة وحذر من الخروج عن مذهب السلف، خصوصاً أن هذه المسألة

(١) لشيخ الإسلام بحث نفيس حول هذا الموضوع، انظر منهاج السنة ٣/٣٠٤-٣٣٦.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٢) و (ب).

(٣) شرح التدمرية الشريط ش (٢٣) و (ب).

فطرية لا تحتاج إلى نصب الأدلة والحجج، فمن فسدت فطرهم واحتجنا معهم لإقامة الأدلة، فإن في كتاب الله الغنية عن كلام أهل البدع. والله أعلم .

المطلب الثالث: إقرار المشركين بتوحيد الربوبية:

صرحت الآيات في كتاب الله تعالى، بأن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد، قال الشيخ في توضيح بعض تلك الآيات:"**يقول الله تعالى لنبيه – وقد عانده قومه فأبو إلا الإشراك بالله –:** ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ **هكذا نجد الجاهلية الأولى توحد الله رب العالمين في ربوبيته، ولكن القوم كانوا يتناقضون فيشركون في عبادته، غير ملتزمين بما يلزمهم توحيدهم في ربوبيته وكيفية الالتزام، إذا كان الله قد تفرد بخلق السموات والأرض وما بينهما، وتفرد بتدبير خلقه وأرزاقهم وآجالهم، فيجب أن يفرد بالعبادة، هذا ما يقتضيه المنطق السليم، ويدعو إليه العقل الصريح، ويوجبه الشرع الحكيم** ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ "(1).

وأكد الشيخ هذه المسألة بتوضيح آية أخرى فقال:"**وقد قال تعالى:** ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ **الكفار جميعاً يؤمنون بالله تعالى في**

---

(1) التصوف من صور الجاهلية مجلة البحوث العلمية العدد (١٢) صـ٢٨٩-٢٩٠.

ربوبيته، ولكن يشركون بالله في عبادته؛ وهذا المعنى حاصل وقائم اليوم، أدرك من أدرك وجهل من جهل"[١]. وقال أيضاً:"**كفار قريش شهد الله لهم بأنهم يؤمنون بتوحيد الربوبية** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ **كفار قريش يؤمنون بأن الله خالق كل شيء خالق السماوات والأرض، مدبر الأمر من السماء إلى الأرض، يؤمنون هذا الإيمان، لكن إنما كفروا واستحل النبي ﷺ دماءهم وأموالهم، وأُطلق عليهم أنهم كفار؛ لأنهم لم يوحدوا الله تعالى في عبادته، عبدوا مع الله أصنامهم وأوثانهم؛ أي أشركوا بالله في العبادة وإلا هم يعرفون الله، يعرفون الله تعالى أكثر مما يعرف ابن عربي**[٢]**وأتباعه**"[٣].

وعلى ما سبق فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤكد حقيقة لابد من معرفتها، وهي أن: "**الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل في الإسلام. لماذا؟ لأن الكفار الذين استحل النبي ﷺ دماءهم وأموالهم وقاتلهم، كانوا يقرون لله تعالى بالربوبية؛ يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ويؤمنون به، أي يفردون الله بأفعاله سبحانه، لا يعتقدون أن آلهتهم كاللات والعزى ومناة وهبل، أنها شاركت الله في الخلق والرزق والعطاء والمنع، لا يعتقدون ذلك. وربما يوجد اليوم من يشرك بالله تعالى في هذا التوحيد... المشركون الأولون** ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ **لا يشركون بالله أبدا في الربوبية؛ لذلك يقول الشيخ**[٤] **مستدلا على هذه القاعدة التي استنتجها من القرآن:** ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٣) و (أ) وراجع كتاب التوحيد الشريط (٦) و (ب).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بابن عربي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر ومحيي الدين، من مؤلفاته: فصوص الحكم، الفتوحات المكية وغيرها. توفي سنة ٦٣٨ هـ. انظر: السير ٢٣/٤٨ ، شذرات الذهب ٥/٤١٢.

(٣) شرح التدمرية الشريط (٦) و (أ).

(٤) أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله صاحب متن القواعد الأربع .

ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ **والجواب في هذه الأسئلة كلها الله** ﴿ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ **إذا كان الأمر كذلك، ما تتقون الله أن تشركوا به في عبادته على ما آمنتم هذا الإيمان، وتعلمون أنه هو المتصرف في كل ذلك، يلزمكم أن تفردوا الله تعالى بعبادته؛ لذلك توحيد الربوبية توحيد يُلزَم به المشركون إلزاما**"[(١)].

وتوحيد الربوبية لا خصومة فيه اللهم بالنسبة لبعض المعاندين من المارقين والشيوعيين الذين ينكرون وجود الله تعالى عناداً وضمائرهم تكذبهم، ولكن الخصومة الحقيقية إنما وقعت قديماً وحديثاً في توحيد العبادة[(٢)]. قال الشيخ رحمه الله:"**من هنا تعلم وجه خطأ أولئك الذين يفسرون كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) بــ(لا خالق إلا الله) أو رازق أو شبه ذلك من معاني الربوبية: التي لم يختلف فيها أحد من بني آدم عبر التاريخ الطويل**"[(٣)].

ولا ريب أن ما قرره الشيخ في ذلك حق، ومستقى من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ومن استنباط أهل العلم السابقين، وسيأتي مزيد من الكلام حول هذه النقطة، عند مناقشة من ضل في مفهوم كلمة التوحيد، وزعم أن توحيد الربوبية هو التوحيد المطلوب[(٤)]. والله أعلم وأحكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

---

(١) شرح القواعد الأربع الشريط (١) و (أ)، وراجع شرح تجريد التوحيد الشريط (١) و (ب).

(٢) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (أ).

(٣) الصفات الإلهية صــ٩٩.

(٤) انظر: صـــ ١٨٣من هذه الرسالة

المبحث الثاني
جهود الشيخ في توضيح توحيد الألوهية

المطلب الأول: جهوده في تعريف الإله والإلهية:

قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ مختصراً التعريف اللغوي لكلمة (إله) من تاج العروس بقوله:"**قال أهل اللغة: إن (إله) فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى مكتوب، وإمام بمعنى مؤتم به، فيكون معناه: معبود، ويقال: (أَلَه) يألَهُ بالفتح فيهما (إلهةً) أي: عبادة وفيه قراءة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما {ويذرك وإلاهتك} بكسر الهمزة أي عبادتك. وكان يقول: إن فرعون كان (يُعبَد). ومنه قولهم (الله) أصله (إلاه) على فعال بمعنى مفعول؛ لأنه مألوه أي معبود، فلما دخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام و(إلاَهَةُ) اسم للشمس غير مصروف بلا ألف ولام، وربما صرفوه وأدخلوا عليه الألف واللام، فقالوا: (الإلاَهَةُ) كأنهم سموها (الإلاَهَةَ) لتعظيمهم لها وعبادتهم إياها، ومنه بيت لِمَّية بنت عتبة بن الحارث:**

تروحنا من اللعباء قسرا   فأعجلنا الإلاَهَةَ أن تؤوبا
على مثل ابن أمية فانْعَياه   تشقُّ نواعِمُ البشر الجُيوبا[(١)]"[(٢)]

ثم قال بعد ذلك ملخصاً ما سبق من المعاني: "**وهذه المعاني اللغوية تلتقي كلها عند الآتي: إن لفظة (إله) مأخوذة من التأله، وهو التعبد وجمعه آلهة (وإله، والآلهة) يطلقان**[(٣)] **على كل ما عُبد بأي نوع من أنواع العبادات، ولو كان المعبود جماداً.**

---

(١) قال صاحب القاموس ٣٢٣/٣٦:"من أبيات لمية بنت أم عتبة بن الحارث، وقيل: لبنت عبد الحارث اليربوعي، ويقال: لنائحة عتيبة بن الحارث، وقال أبو عبيدة: لأم البنين بنت عتبة ترثيه".

(٢) الصفات الإلهية صـ٩٧ وانظر تاج العروس ٣٢٠/٣٦-٣٢٥.

(٣) في الأصل (ينطلقان) ولعل الصواب ما أثبت.

وأما لفظ الجلالة (الله) فلا يطلق[1] **إلا على المعبود بالحق، وهو خالق السماوات والأرض، ومدبر الأمر فيهما سبحانه. وهذا ما يعنيه الاستثناء في قولنا نحن المؤمنين: (لا إله إلا الله)؛ لأن المعنى نفي استحقاق العبادة عن جميع الآلهة، وإثباتها لله وحده، أي لا معبود بحق إلا الله؛ لأنه الخالق الرازق:** ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ "[2]. وما قرره الشيخ هو الذي دل عليه القرآن والسنة وأقوال أئمة اللغة[3].

والألوهية مصدر: أَلَه يأله ألوهةً وألوهية. وقد بين الشيخ رَحِمَهُ الله معناها الشرعي بقوله:"**معنى الإلهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً، محبوباً يحبونه حباً أكثر مما يحبون أنفسهم وأهاليهم وأولادهم، ومعبوداً يعبدونه ويخضعون له**"[4].

إذا تقرر ما سبق، فتوحيد الألوهية كما قرره الشيخ وغيره من أهل العلم: "**إفراد الله بأفعال عباده بالدعاء وبالاستغاثة وبالذبح والنذر والخضوع والتذلل والصلاة والصيام وغير ذلك**"[5] فهذا يسمى توحيد العبادة ويسمى التوحيد العملي ويسمى توحيد القصد والطلب، كما سبق بيانه. والله أعلم.

---

(١) في الأصل (ينطلق) ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) الصفات الإلهية صـــ٩٨.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ١/١٢٧، لسان العرب ١٣/٤٦٧-٤٦٩ ، القاموس المحيط ١١٤٤.

(٤) شرح تجريد التوحيد الشريط (١) و (أ).

(٥) شرح تجريد التوحيد الشريط (١) و (أ) ، وراجع مقدمة تعليقه على شرح الواسطية الشريط (١) و (أ).

المطلب الثاني: جهوده في بيان أهمية توحيد الإلهية:

الحقيقة التي لا تخفى على كل من عرف الشيخ رحمه الله أنه كان شديد الحرص على تصفية عقائد الناس من البدع والخرافات، كما أنه يولي التوحيد عناية خاصة فلا يكاد يترك مناسبة إلا ويدعو فيها إلى هذا الأمر العظيم، ويحذرهم من الشرك الذي هو الجرم الجسيم.

وقد بين الشيخ أن أول ما ينبغي الإرشاد والتناصح إليه هو أمر العقيدة والتوحيد، وأن هذا موقفه وموقف السلفيين جميعاً، قال في رده على الشطي[(١)]: "**ثم إن الشطي يعلم أن السلفيين حريصون على تصحيح مفاهيم كثيرة للعوام وأشباه العوام في باب العقيدة والعبادة وغيرهما، ولا يدخرون وسعاً في ذلك، نصحاً منهم لعباد اللّه والنصح واجب؛ لأن من عرف الله حق المعرفة، وسلمت عقيدته من التعلق بغير الله، وآمن بأسمائه الحسنى وصفاته العليا دون إلحاد أو تحريف، فحقق العبودية لله تعالى، سهل عليه القيام بالواجبات والفرائض الأخرى في الإسلام؛ لأنه قد وضع حجر الأساس لسيره إلى اللّه ومن لا فلا**"[(٢)]وما أكثر محاضرات الشيخ في الحث على النصح والحذر من ترك النصيحة خصوصاً فيما يتعلق بهذا الباب العظيم[(٣)].

وقد تقدم الكلام في جهود الشيخ في بيان أهمية التوحيد والعقيدة عموماً، وأنه أول العلوم وأولاها بالاهتمام، كما أنه أهم مبدإ، وأساس نزلت به الكتب، وأرسلت من أجله الرسل، وهو أجل الأعمال وأعلاها مكانة، وفقدانه ضلال وحسرة وندامة. ويحسن

---

(١) هو إسماعيل الشطي، صحفي رئيس تحرير مجلة المجتمع؛ حيث ألقى محاضرة في الكويت، اشتملت على أفكار ضالة ومزاعم منحرفة، تولى الشيخ محمد أمان رحمه الله الرد عليه في محاضرة ألقيت في الجامعة الإسلامية، وقد طبعت بعنوان: (الحكم على الشيء فرع عن تصوره).

(٢) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٦٠-٣٦١

(٣) راجع: محاضراته التي بعنوان: الدين النصيحة ، فقه النصيحة، مترلة النصيحة في الإسلام، ليس من النصيحة في شيء، وغير هذه المحاضرات كثير وأنبه إلى أن هناك محاضرات مختلفة في أماكن مختلفة حول هذا الباب للشيخ وتحمل مثل هذه العناوين.

في هذا المقام أن تظهر جهوده رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أهمية توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية:

١- أن كلمة (التوحيد) إذا أطلقت فالمتبادر منها هو هذا التوحيد؛ وما ذلك إلا لكونه أعظمها وأشرفها قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ :"**فإذا أطلق (التوحيد) المراد به توحيد العبادة وجميع ما يحبه الله ويرضاه؛ لأن الطاعات بريد التوحيد وتثبت التوحيد وتصدق التوحيد**"(١). وقال في شرحه لكتاب التوحيد في باب (فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب): "**هذه المقدمة عقدها الشيخ ليبين فضل التوحيد ومكانة التوحيد، والمراد بالتوحيد توحيد العبادة، كما تقدم؛ لأنه هو الذي فيه الخصومة وهو الذي بمعنى لا إله إلا الله**"(٢).

٢- أن هذا التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وسيأتي ذكر فضائلها. قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لكتاب التوحيد عند قول المصنف باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:"**عطف شهادة أن لا إله إلا الله على التوحيد؛ من باب عطف الدال على المدلول: شهادة أن لا إله إلا الله تدل على التوحيد، أي معناها التوحيد...والمراد بالتوحيد هنا: توحيد العبادة، وتوحيد العبادة: هو موضوع هذا الكتاب**"(٣).

٣- أن التوحيد الذي سبق بيان كونه مفتاح دعوة الرسل جميعاً من أولهم إلى آخرهم هو هذا التوحيد، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**حقيقة التوحيد الذي طبقت عليه دعوة الرسل جميعاً، والذي اصطدموا من أجله مع أقوامهم، وهو توحيد العبادة أي إفراد الله بالعبادة كما انفرد بالربوبية سبحانه**"(٤).

٤- أن هذا التوحيد أعظم وأجل ما دلت عليه الرسل عليهم السلام أقوامهم، قال

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ١٢٦.

(٢) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

(٣) المصدر السابق الشريط (٦) و (ب).

(٤) الصفات الإلهية صـ٩٩.

الشيخ رحمه الله: "**والخير الذي دل أمته عليه**[١] **في مقدمة ذلك التوحيد، أي إفراد الله تعالى بالعبادة،... والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، المعاصي: بريد الشرك وتدعوا إلى الشرك وتزين الشرك للناس**"[٢] .

٥- ومما يدل على أهميته أن الله وعد أهله بالأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، وهذا كما قال جل في علاه: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ ، قال الشيخ في توضيح هذه الآية:"(**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**) **وحدوا الله تعالى ولم يخلطوا إيمانهم وعقيدتهم بظلم** (**أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**) **هكذا يبين الله سبحانه وتعالى فضل التوحيد... والآية فصل وحكم وجواب للتساؤل الذي بين إبراهيم وبين قومه حين أرادوا أن يخوفوه، فقال لهم:** ﴿ **وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ **...فجاءت الآية هذه جواباً للاستفهام أو التساؤل** ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ **هؤلاء هم الأولى بالأمن، أما الذين يشركون بالله ولم يعتصموا بحبل الله أولى بالخوف، فإبراهيم ومن تبعه، ومن تبعهم أولى بالأمن**"[٣].

٦- كثرة الآيات الآمرة بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وسيأتي شيء من ذلك في بيان أهمية العبادة، وقد سبق بيان كون القرآن كله في تقرير التوحيد.

٧- أن هذا التوحيد هو أعظم حق فرضه الله على عباده، ومن فرط فيه فقد أتى بأبشع الظلم وأفضحه قال الشيخ رحمه الله بعد ذكر حديث معاذ المشتمل على حق الله على

---

(١) في الأصل غير موجود والزيادة من الأشرطة.

(٢) الأصول الثلاثة صـــ١٢٦.

(٣) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

العباد وحق العباد على الله)[1] :"**فرق بين الحقين، الأول حق الله واجب لازم، من لم يؤد هذا الحق فهو من الظالمين أكبر الظلم** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ "[2]. وقال أيضاً:"**الله له حق ومن حقق هذا الحق وأداه جعل الله سبحانه وتعالى على نفسه له حقاً، حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، هذا حق واجب لازم عدم أدائه يعتبر ظلماً أعظم، الظلم**"[3].

٨- أن مصير أهل التوحيد إلى الجنة، ونعم المصير، قال الشيخ رحمه الله: "**مصير أهل التوحيد، مصير من سبقوا بالتوحيد ولو دخلوا النار بذنوبهم ولم يسعفهم الله سبحانه وتعالى بشفاعة الشافعين وارتكبوا ما يدخل النار فدخلوا، ولكن مآلهم إلى الجنة، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، لا يبقى في النار ممن دخل النار من عصاة الموحدين، لا يبقى في النار من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، لابد أن يخرج، هذه عقيدةُ ثابتة**"[4].

٩- أن تحقيق هذا التوحيد من أعظم أسباب انشراح الصدر، قال الشيخ رحمه الله: "**والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر...وإذا تَمّ للمرء هذا التوحيد ثم حصل له الهدى باتباع هدي رسول الله ﷺ، بذلك يحصل له انشراح صدره أعظم انشراح**"[5].

وأكتفي بما تيسر ذكره وإلا فالمقام يطول خصوصاً في هذا الموطن ، ويكفي في أن هذا النوع من التوحيد أعظم أنواعه؛ فهو متضمن لها وهي مستلزمة له، وهو مقصود جميع الأنبياء والرسل وجميع من سار على نهجهم، رزقنا الله وإياكم تحقيقه، وأعاذنا مما يخالفه ويضاده.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦،٧٣٧٣) ومسلم (٣٠).

(٢) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

(٣) شرح التدمرية الشريط (٢٧) و (أ).

(٤) شرح شروط لا إله إلا الله الشريط (١) و (أ).

(٥) شرح فصل انشراح الصدر من زاد المعاد الشريط (١) و (أ).

المطلب الثالث: جهوده في توضيح كلمة التوحيد وما يتعلق بها من مسائل:

اعتنى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بتوضيح كلمة التوحيد، وتوضيح ما يتعلق بها من مسائل، في مواطن كثيرة من شروحه ومحاضراته؛ وذلك لكثرة من يخطئ في فهم هذه الكلمة، وما دلت عليه، قال رَحِمَهُ اللهُ: "**يعتقد كثير من عوام المسلمين: يكفي للإيمان أن يقول المرءُ:(لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)، أو أن يزعم أنه مصدق بكل ما جاء به رسول الله ﷺ ولا يضره بعد ذلك أن يترك الصلاة والصيام وجميع الواجبات، وأن يرتكب جميع الموبقات والمعاصي، لا يضره ذلك؛ لأن الإيمان في القلب؛ لأن المؤمن من يقول:(لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) وكفى.. وهذا التصور خطأ**"(١). والواجب معرفة معنى هذه الكلمة، والعمل بمقتضاها، واجتناب كل ما يناقضها. وسأوجز كلام الشيخ حول هذه الكلمة بالنقاط التالية:

أولاً: معناها:

قرر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ معنى هذه الكلمة في غير موطن، وحذر من الفهم الخاطئ السقيم في معناها، قال رَحِمَهُ اللهُ: "**(لا إله إلا الله) معناها: لا معبود بحق إلا الله. ولو قيل:(لا معبود إلا الله) ما صح؛ والمعبودات كثيرة، ولكن المعنى الصحيح: (لا معبود بحق إلا الله)**"(٢).وقال أيضاً: "**ومن يقول: لا معبود إلا الله، دون تقدير إما: بحق، أو حق، يخطئ لا يفهم معنى: لا إله إلا الله؛ لأن معنى ذلك ينفي وجود المعبودات مطلقاً، وهذا خلاف الواقع**"(٣)

---

(١) راجع محاضرة بعنوان: (العقيدة أولاً).

(٢) شرح شروط لا إله إلا الله الشريط (١) و (أ).

(٣) شرح الأصول الثلاثة صــ٧١ وراجع: شرح شروط الصلاة.

ويؤكد الشيخ معنى هذه الكلمة بتفسيرها بما ورد من الآيات الكريمة فيقول: "**أما من حيث التفسير فخير تفسير لهذه الكلمة في سورة البقرة** ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ ، **أي لابد أن تجمع بين الكفر والإيمان، إذا أردتَ تحقيق هذه الكلمة فسرها بالقرآن ...، وخير آية فسرت، وأوضح آية وضحت هذه الكلمة: هذه الآية، لابد من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، هذا معنى لا إله إلا الله حتى في الترتيب، أي تقديم الكفر على الإيمان، وتقديم السلب على الإيجاب، وتقديم النفي أو النهي على الإثبات، لابد من الجمع بين الأمرين**"(1).

فكلمة التوحيد "**تشتمل على الكفر والإيمان: الكفر بما يعبد وبمن يعبد من دون الله، والإيمان بعبادة الله وحده، لا معبود بحق إلا الله وحده**"(2).

ومما يفسر هذه الكلمة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ قال الشيخ رحمه الله: "**هذه الآية هي معنى لا إله إلا الله حتى في الترتيب** ﴿إنني برآء مما تعبدون﴾ **تقابل**(3) **لا إله،** ﴿إلا الذي فطرني﴾ **تقابل**(1)**إلا الله فقدم البراءة قبل الإثبات والإيمان**"(4).

ومن الآيات التي تفسر لا إله إلا الله، قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و(ب).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـ٧١ وراجع: شرح شروط الصلاة الشريط (١).

(٣) في الأشرطة (مقابل) بدل تقابل.

(٤) شرح الأصول الثلاثة صـ٧٢.

قال الشيخ رحمه الله: "**(أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ) بمعنى لا إله إلا الله، (وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا) أي وحده وهي كلمة لا إله إلا الله تماماً**"(١).

وعلى ما سبق، يمكن القول بأن كلمة التوحيد اشتملت على ركنين أساسيين وهما: النفي والإثبات، وأشار الشيخ رحمه الله إلى ذلك بقوله:"**(لا إله) نافياً: أي لا إله حال كونك نافياً، تقول أيها الموحد: (لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله .... (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته**"(٢).

ثانياً: فضلها:

لا إله إلا الله لها فضائل كثيرة، وسأوجز الكلام حول تلك الفضائل –وفق ما قرره الشيخ– بالنقاط التالية:

١- أنها مفتاح دعوة الرسل جميعهم عليهم الصلاة والسلام، قال الشيخ رحمه الله: "**الرسل عليهم السلام افتتحوا دعوتهم لأقوامهم إلى الله بالدعوة إلى العقيدة وإصلاحها، وإلى معنى كلمة الإيمان، وكلمة الإسلام، وأصل العقيدة، (لا إله إلا الله) بدءاً من نوح عليه السلام وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك في قومه**"(٣).

٢- أن هذه الكلمة هي مفتاح الدخول في دين الله، وأساسه، قال الشيخ رحمه الله: "**ولهذا كانت كلمه الإسلام:(لا إله إلا الله) الكلمة التي يدخل بها الإنسان في الإسلام (لا إله إلا الله) لا يدخل بغيرها؛ لأن (لا إله إلا الله) بتوحيد العبادة**"(٤). وقال أيضاً:"**كلمة التوحيد وكلمة الإسلام وكلمة الإيمان، أصل الدين وأصل**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـ٧١.

(٣) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ٥٢.

(٤) شرح تجريد التوحيد الشريط (٢) و (أ).

الإسلام وأصل الإيمان"[1].

٣- أن مآل قائل هذه الكلمة إلى الجنة، إن قالها معتقداً معناها، وكان عاملا بمقتضاها. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعد ذكر حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله ،والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)[2] قال الشيخ تعليقاً على هذا الحديث: "**إن من لديه هذه الوثيقة وهذه الشهادة العظيمة إن مآله إلى الجنة، وهذا بيان لفضل التوحيد، والحديث مخرج في الصحيحين**"[3].

٤- حري بصاحب هذه الكلمة إن خالطت بشاشة قلبه أن ينجيه الله من عذابه وأليم عقابه. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: "**إن تمكن التوحيد من القلب: حرق جميع الشهوات، والشبهات والمعاصي ويموت الموحد المخلص طاهراً نقياً لا يقرب من النار؛ لأن توحيده الخالص لم يترك شيئاً من الشهوات والشبهات والمعاصي، قضى عليها وقتلها وخرج من الدنيا طاهراً بهذا التوحيد؛ لذلك ليس كل من يقولها يستحق هذه المنقبة وهذه الكرامة، ولكن من يبتغي بذلك وجه الله، وعلم الله منه الصدق والإخلاص، إن وصل إلى هذه الدرجة حل الله له الجنة، وحرم عليه النار**"[4].

٥- أن هذه الكلمة أعظم سلاح، وأخطره على أعداء الإسلام والمسلمين، إذا فهمت كما فهمها الأولون. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: "**فالكلمة لها سر عجيب إذا فهمت حقاً، وهي السلاح الماضي، بل هي أخطر على الجاهلية والوثنية ورواسبها من كل سلاح...وقد سجل التاريخ ما فعلته هذه الكلمة في قلوب المشركين في صدر الإسلام في مكة**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و(ب).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨).

(٣) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

(٤) المصدر السابق.

...أيها الأخوة: هذه كلمة التوحيد وتلكم آثارها إذا فهمت ، وقد فهمها قوم فسعدوا بها وسادوا بها العالم، ودانت لهم الدنيا، ولهم أجرهم عند ربهم في الآخرة ؛ لأنه لايضيع أجر من أحسن عملا"[١].

لا غرابة أن يكون لهذه الكلمة هذه الفضائل فهي:"كلمة قامت بها الأرض السماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون"[٢].

وأختم بما نبه عليه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وهو: أنه لابد من التلفظ بهذه الكلمة باللغة العربية، وفهم معناها، والعمل بمقتضاها، حتى يكون صاحبها محققاً لتلك الفضائل، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ :"**(شهادة أن لا إله إلا الله) أولاً من حيث النطق والتلفظ باللفظ العربي، ولا بد من التلفظ بهذه الكلمة: كلمة الإسلام كلمة الإيمان مفتاح الجنة، لا بد من التلفظ بها باللغة العربية، ولو كان المسلم غير عربي، ولو كان لا يفهم معناها يجب أن تترجم له، هذه الجملة أو هذه الكلمة، ولا يكفي التلفظ بغير اللغة العربية، وبعد التلفظ لا بد من معرفة معناها: معناها الحقيقي الذي فهمه المسلمون الأولون"**[٣].

---

(١) تصحيح المفاهيم صـــ١٢-١٣.

(٢) مقدمة زاد المعاد صـــ٥.

(٣) شرح التدمرية الشريط (٢١) و (أ).

ثالثاً : شروطها:

لاشك أن كلمة التوحيد كلمة عظيمة، ولا تنفع قائلها إلا إذا حقق شروطها، قال الشيخ رحمه الله: "**لا تكفي الكلمة الجوفاء، [لابد من]العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والقبول، والانقياد، ولا يكفي المعرفة الجوفاء بدون شروط، بدون علم وبدون أن تكون على يقين بأنه لا معبود بحق إلا الله، وقبل أن تكون صادقاً مع الله عز وجل، ودون أن تخلص لله العبادة، وتقبل ما دلت عليه هذه الكلمة، وتنقاد لمقتضاها، و(لا إله إلا الله) كلمة عظيمة يجب أن تُفهَم كما فهمها من قبلنا واعتزوا بها**"[(١)]، وهذا مصداق ما قاله وهب بن منبه[(٢)] لمن سأله: (أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح)[(٣)]. يشير بالأسنان إلى شروط لا إله إلا الله.

ولقد أجاد الشيخ رحمه الله وأفاد في توضيح شروط لا إله إلا الله، وسأكتفي بنقل كلامه الوارد في شرحه لهذه الشروط: من شرحه لكتاب الواجبات المتحتمات[(٤)] ملخصاً؛ لكون الكلام فيه كاف ووافٍ وشاف.

وقبل الكلام حول شروط لا إله إلا الله، أنبه على مسألة ذكرها الشيخ رحمه الله وهي أن هذه الشروط مبناها على تتبع نصوص الكتاب والسنة قال الشيخ رحمه الله:"**هذه الشروط**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و(ب) وراجع شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

(٢) هو وهب بن منبه بن كامل بن سِيج أبو عبد الله الصنعاني اليماني، عالم أهل اليمن، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم، توفي سنة ١١٤ هـ. انظر: السير ٤/٥٤٤ ، شذرات الذهب ١/١٥٠.

(٣) كلمة الإخلاص مجموع رسائل ابن رجب ٢/٣٦٤.

(٤) أنبه إلى أن شرح الشيخ لهذا الكتاب لم يجتمع لدي منه إلا شرحه لشروط لا إله إلا الله، وشرحه لنواقض الإسلام.

لها أدلة، ولابد من ذكر الأدلة؛ لأن اشتراط هذه الشروط لدى كثير من الناس العاميين أمر غريب. وربما يقول قائل: ما أكثر ما تُحدِثون!! تأتون كل يوم بجديد!!

نأتي بجديد وعليه دليل، الجدة نسبية بالنسبة لمن لم يعرف جديد، ولذلك لما جدّدت هذه الدعوة المباركة، قيل إنهم أتوا بدين جديد، والدين ليس بجديد ولكنه جدد،...وهذه الشروط ليست بجديدة كما ستسمعون أدلة من الكتاب و السنة، ولكن قد يفتح الله على من شاء من عباده، ويفقهه في الدين، ويفهم من نصوص الكتاب والسنة ما لم يفهمه[غيره]".

الشرط الأول: العلم: المنافي للجهل، فيجب على من تلفظ بـــ(لا إله إلا الله) أن يعلم معناها، ويعرف مقتضاها، ويعمل به، معناها كما قلنا: لا معبود بحق إلا الله، ومقتضاها: إخلاص العبادة لله، وعدم الالتفات بقلبك إلى غير الله، والذي يدعي أنه يشهد بهذه الكلمة، ولا يعلم ما يشهد به، شهادته مردودة ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾الحق هو ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، الحق لا إله إلا الله، الحق هديه عليه الصلاة والسلام، كل ذلك حق، ويعلمون به، كما قال تعالى ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح عند مسلم[(١)] عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة).** نجمع بين هذا الحديث والأحاديث الأخرى. (من قال لا إله إلا الله)[(٢)] نستفيد من قوله ﷺ: (من قال لا إله إلا الله) اشتراط التلفظ ومن هذا الحديث اشتراط العلم؛ التلفظ مع العلم (من مات وهو يعلم) جملة حالية، والحال أنه يعلم أنه لا إله إلا الله. وقوله (دخل الجنة) يحتمل دخول الجنة من أول وهلة. و يحتمل مصيرهُ الجنة. والله أعلم .

الشرط الثاني: اليقين: المنافي للشك في ذلك، واليقين أعلى مراتب العلم؛ لأن المعرفة قد يتطرق إليها الشك والتردد والاضطراب، فإذا تجاوز العلم هذه المرتبة، فوصل إلى درجة

---

(١) رواه مسلم (٢٦).

(٢) يشير الشيخ إلى حديث أبي ذر ﷺ الذي رواه البخاري (٥٤٨٩) ومسلم (١٥٤).

الثبوت والرسوخ أصبح يقيناً. يدل له قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ (إِنَّمَا) أداة حصر (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ) المؤمنون حقا (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ)على التفصيل المعروف. (ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ) لم يشكوا. الإيمان الحقيقي النافع عند الله الذي يستحق النفع والثناء أصحابه هو الإيمان الذي يصل إلى درجة اليقين، بحيث لو قطع إرباً لن يرجع عن الدين، كونه يلقى في النار أهون عليه من أن يرجع عن الدين بعد أن تمكنت بشاشة الإيمان من قلبه، هذا هو اليقين. ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**اشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**)(١)، على التفصيل الذي ذكرنا (**إلا دخل الجنة**) إما من أول وهلة إن كان من أصحابها من الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عقاب، أو (إلا دخل الجنة) بعد التطهير أو بشفاعة الشافعين قبل دخول النار، أو إن دخل بعد التطهير. وفي رواية (١) (**لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة**) لا يحجب عن الجنة عاجلاً أو آجلاً، وعن أبي هريرة ﷺ من حديث طويل: (**من لقيت خلف هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه**)(٢) هذا محل الشاهد (فبشره بالجنة) لو لم يكن مستيقناً لا يستحق هذا الوعد العظيم، إنما يستحق الوعد من الله ومن رسوله ﷺ الذي يخبر عن الله المستيقن، الصادق الذي لم يكن شاكاً أو مرتاباً.

الشرط الثالث: الإخلاص :المنافي للشرك. والإخلاص عزيز، قد يقول الإنسان (لا إله إلا الله) يريد أن يكون محل ثقة بين الناس، وهو يعلم وليس في شك، لكن لم يرد بعلمه اليقين، لم يرد وجه الله، هذه خسارة ليس بعدها خسارة، خسارة إذا وصل الرياء من الإنسان هذه الدرجة، وبلغ هذا المبلغ، نسأل الله الثبات. والله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك، فلا يقبل عملا دخلته الشركة أبداً، بل يجب أن يكون العمل خالصاً

(١) سبق عزوه صـــ ١٧٥.

(٢) رواه مسلم (٣١).

لله وحده؛ قال تعالى﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ حال كونهم (مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ) المحبة والإخلاص كل ذلك روح الإيمان، لا إيمان إلا بإخلاص وإلا بمحبة.

ومن السنة الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**)(١) هذا الحديث له قصة: أبو هريرة ﷺ سأل رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: (**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو من نفسه**)(٢) هذا الحديث وما في معناه ينبه المسلم أن لا يطلب الشفاعة من رسول الله ﷺ؛ لأن هذا يتنافى مع الإخلاص، ويوقعك في الشرك وأنت لا تدري .

وفي الصحيح عن عتبان ابن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**فإن الله حرم على النار من قال لا إله الله يبتغي بذلك وجه الله**)(٣) هذا محل الشاهد يبتغي بذلك وجه الله ﷻ فهو مخلص صادق، لم يقل رياءً و لم يقل عادة وتقليداً، ولكن قالها يبتغي بذلك وجه الله مخلصاً صادقاً في ذلك. وللنسائي في اليوم والليلة(٤)من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: (**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها روحه مصدق بها لسانه**) هذا هو محل الشاهد (**إلا فتق الله لها السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله أو سؤله**).

الشرط الرابع: الصدق: المنافي للنفاق. والصدق أعلى درجات الإخلاص، يخلص ويصدق مع الله في هذا الإخلاص، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله. عدم الصدق وعدم الإخلاص مرض نفسي لا يطلع عليه غير عالم السر والنجوى. والعلاج في الإكثار من

---

(١) رواه البخاري (٩٩).

(٢) سبق عزوه صـــ١٧٦.

(٣) رواه البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣).

(٤) رواه النسائي في الكبرى (٩٧٧٢) وفي عمل اليوم والليلة (٢٨) وابن رجب في كلمة الإخلاص (٦٠) وقال الألباني في تحقيقه لكلمة الإخلاص: إسناده صحيح.

تلاوة كتاب الله وتدبره، والرجوع إلى كتب أهل العلم التي عالجت هذه النواحي، قال تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾

استفهام استنكاري أي لا يترك الناس بمجرد دعوى الإيمان ، وأن يقولوا إنهم آمنوا بدون اختبار، يختبر المرء في هذه الدنيا في إيمانه بالفتن ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ) أي علم ظهور، الله سبحانه وتعالى عالم به، لكن ليعلم منه علم ظهور (وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ) يظهر للعباد الصادق من الكاذب، بلا امتحان ، الامتحان يظهر صدق المؤمن وكذا الكاذب المنافق ، هكذا يعلم الله علم ظهور أي يظهره للعباد ، فالله سبحانه وتعالى عالم دائما وأبدا ما في نفوس عباده من الصدق والكذب.

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ: **(ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه)** هذا محل الشاهد (**إلا حرمه الله على النار**)[1] حرمه الله على النار لا يدخلها من أول وهلة، على ما تقدم، أو (حرمه على النار) على نار الكفار، ونار التأبيد، لا يؤبد بل لابد أن يخرج: إما يحرم على النار من أول مرة لا تمسه النار، لا يدخل النار أو يحرم على نار التأبيد نار الكفار؛ لأن دار عصاة الموحدين تنتهي، الدار التي لا تنتهي عذاب الكفار .

الشرط الخامس: المحبة : وهي ضد البغض. محبة الله تعالى هي روح الإيمان. الذي فقد محبة الله إيمانه إيمان شكلي. فإذا اتحد مراد العبد مع مراد الله بحيث يخالف هواه ومألوفاته وشهواته، ويرغم نفسه على اتباع مرضاة الله تعالى يصل بذلك إلى المحبة، قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ أندادا جمع ند، من يحبه ويعبده ويخضع له ويتذلل له (يُحِبُّونَهُمۡ) الأنداد (كَحُبِّ ٱللَّهِ) أشركوا بالله في الحب، يحبون أندادهم كما يحبون الله هذا معنى. أي محبتهم موزعة بين الله وبين الأنداد؛ رفعوا الأنداد إلى درجة رب

---

(١) رواه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢).

العالمين؛ يحبون الأنداد، يخضعون لها، ويتذللون بين يديها، ويحبونها كما يحبون الله (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ)؛لأن محبتهم غير موزعة خالصة لله سبحانه وتعالى هذا معنى. المعنى الثاني: يحبونهم كحب الله كحب الموحدين اللهَ، أي: كمحبة الموحدين الله رب العالمين﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾؛ لأن محبتهم لله محبة صادقة وتلك المحبة مزيفة، محبة الموحدين لله تعالى أشد وأصدق. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ (فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ) الله سبحانه وتعالى يحب أولياءه وأولياؤه يحبون الله تعالى .

وأما من السنة ما ثبت عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**)[1] الإيمان له حلاوة، الإيمان له حلاوة لكن حلاوة الإيمان لا يذوقها كل إنسان، ولا يتلذذ ويتمتع بها كل إنسان، انتبه! متى تجد حلاوة الإيمان؟ متى تحس لإيمانك حلاوة (**ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان**) اختبر نفسك؟ أولاً (**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**) بحيث لا يقدم على مرضات الله أي شيء ولا يقدم على هدي رسول الله عليه الصلاة والسلام أي كلام أي مذهب وأي رأي، وعليه فالمحبة الصادقة محبه مع الإيمان والانقياد والطاعة؛ لأن ذلك هو دليل المحبة كما قال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

.

الشرط السادس: القبول: قبول التوحيد وقبول لا إله إلا الله معناها: أن تقبل أوامر الله وأوامر رسوله عليه الصلاة والسلام بدون إنكار ولا تردد ،فتمتثل وتنتهي عن نواهي الله ونواهي رسوله عليه الصلاة والسلام تقبل كل ذلك بصدر رحب دون توقف. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (١٧٤).

عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡ ﴾ يعني لا تتركون آباءكم وتقاليدهم ولو جئتكم بأهدى من ذلك ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ هكذا صارحوا الرسل، وهكذا يصارحون المصلحين. وقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ الله المستعان. يصف أهل الترف والمتكبرون رسل الله بالجنون والافتراء وأنهم شعراء ويصبرون على ذلك. الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة فهو القادر أن يهدي الجميع وينقادوا من أول وهلة، ولكن الله يبتلي رسله ويبتلي المصلحين التابعين للرسل بالناس هذا يكذب، وهذا يقول أنت مجنون، وأخيراً كبعض أنبياء بني إسرائيل انتهى أمرهم إلى القتل فقتلوهم.

الشرط السابع: الانقياد لها المنافي للترك ، فيقوم بمقتضى لا إله إلا الله بالقبول والرضى والانقياد . أن لا يأتي بما يناقض لا إله إلا الله فيستسلم وينقاد .

قال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾ الرجوع إلى الله والمبادرة إلى التوبة والاستسلام لله ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أسلم وجهه لله وهو محسن هذا هو الانقياد قال ﷻ ﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ وقال تعالى﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ أقسم الرب سبحانه وتعالى بنفسه تأكيداً، وأضاف المقسم به إلى نبيه ورسوله عليه الصلاة والسلام الذي يخاطبه؛ تعظيماً لهذا الخبر (حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ) حتى يتركوا التحاكم إلى الطواغيت وإلى غيرك يتركون التحاكم إلى اليهود، وإلى الأحبار، وإلى الرهبان، وإلى آراء الرجال وآراء العلماء. ويتحاكمون إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى ما جاء به، هذه أول

خطوة. الخطوة الثانية (ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ) بعد التحاكم إليك وصدر حكمك للشخص أو عليه، لا يجد في نفسه حرجاً وحزازةً وانقباضاً وتوقفاً، بل يقبله بانشراح صدر، وأكد ذلك بقوله (وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا) المصدر المؤكد للفعل يؤكد الحقيقة وينفي المجاز (وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا) كاملاً لا نقص فيه، ولا تردد، هكذا يتم الإيمان برسول الله عليه الصلاة والسلام، وبذلك يتم الإيمان بالله سبحانه وتعالى بهذا الانقياد.

ومن السنة قوله ﷺ: (**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**)[1] هذا الحديث وإن تكلم فيه بعض أهل العلم لكن كلام لا يضر؛ لأن معناه صحيح ..فليعلم قد يكون الحديث من الناحية الصناعية فيه مقال، فيه ضعف، لكن معناه صحيح إما؛ لوجود حديث صحيح يشهد له، أو لوجود آية تشهد له، أو لوجود القاعدة العامة المأخوذة من الكتاب والسنة تشهد لذلك المعنى، ويصح معناه والإسناد غير صحيح[2].

إذا تقررت معرفة العبد لشروط (لا إله إلا الله) ولما دلت عليه، وعمل بمقتضاها، فإنه يجب عليه أن يعرف نواقضها؛ خشية الوقوع في تلك النواقض، يقول الشيخ رحمه الله:"**بعد هذا لا بد من التحفظ من الوقوع في نواقض (لا إله إلا الله)، (لا إله إلا الله) كما قلنا كلمة الإسلام. للإسلام نواقض كنواقض الوضوء، فإذا كان المسلم يجب عليه أن يعرف نواقض الوضوء؛ لئلا ينتقض وضوؤه فيصلي بغير وضوء، كذلك يجب عليه أن يعرف نواقض الإسلام**"[3] وسوف أتعرض لبسط هذه القضية في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى[4].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٥)، والبغوي في شرح السنة (١٠٤)، والتيمي في الحجة (١٠٣)، وضعفه الألباني كما في ظلال الجنة.

(٢) انتهى كلام الشيخ حول شروط لا إله إلا الله ملخصاً من الشريط الأول والثاني من الواجبات المتحتمات بتصرف واختصار ..

(٣) شرح التدمرية الشريط (٢١) و (أ).

(٤) راجع مبحث: ما ينافي توحيد العبادة صـــ٢٢١.

رابعاً: لا تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله:

إن من المتقرر عند أهل العلم أن شهادة (أن محمدًا رسول الله) تدخل ضمناً في شهادة (أن لا إله إلا الله)، فهما أصلان عظيمان، كأصل واحد لا يمكن أن يتجزأ، وفي ذلك يقول الشيخ رَحِمَهُ الله: "**الله سبحانه وتعالى رفع اسم نبيه؛ قرن اسمه مع اسمه هذا معنى رفع اسمه، لا يذكر اسم الله إلا ويذكر معه اسم رسوله عليه الصلاة والسلام، إن شهدت لا بد أن تشهد للرسول بالشهادة، المؤذن لا يصح أذانه إلا بذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام مع اسم الله، صلاتك لا تصح حتى تصلي عليه، هكذا رفع الله ذكره عليه الصلاة والسلام ...ما تقدم من تحقيق معنى لا إله إلا الله، وتحقيق معنى محمد رسول الله: أي ما تقدم من الأصلين العظيمين اللذين هما كأصل واحد، معرفة معنى (لا إله إلا الله) وأنه: لا معبود بحق إلا الله. ومعرفة (أن محمداً رسول الله) الذي يجب تصديقه في خبره، وطاعته، واتباعه، هذا هو...أصل الإسلام**"(1).

وقال أيضاً مبيناً تلازم هذين الأصلين، وأهميتهما في الدين:"**ومما لا يختلف فيه اثنان دارسان للإسلام، أن ديننا مبني على أصلين اثنين:**

الأصل الأول: أن يعبد الله وحده دون أن يشرك به غيره، بجميع أنواع العبادات، وقبل أن يصرف شيء منها لغير الله؛ وذلك معنى قول المؤمن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

الأصل الثاني: أن يعبد الله بما شرعه على لسان رسوله وخليله محمد عليه الصلاة والسلام، وهو معنى قول المؤمن: وأشهد أن محمداً رسول الله، وصحة الأصل الأول تتوقف على تحقيق الأصل الثاني، ومعنى تحقيقه نوجزه في صدق متابعة رسول الله عليه الصلاة والسلام"(2).

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٧) و (ب).

(٢) منزلة السنة في التشريع المجموع صـ١٧٨-١٧٩ ، تصحيح المفاهيم صـ٧٧.

خامساً:بيان من ضل في مفهومها ومناقشة من زعم أن توحيد الربوبية هو المطلوب:

من الغريب أن كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام ضل في فهم كلمة التوحيد، ويزداد الأمر غرابة عندما يكون أبو جهل وأضرابه أعلم منهم بمعنى هذه الكلمة(1)، قال الشيخ رحمه الله: "**وقد فهم المشركون من أهل مكة ما تعني هذه الكلمة، وأدركوا خطورتها على آلهتهم، فرفضوا التلفظ بها، بل قاوموها وعادوا لأجلها رسول الهدى محمداً ﷺ بعد أن كانوا يقدرونه جيداً...إنهم أدركوا أن الكلمة تعني: ألا تخضع القلوب، ولا تعنوا الوجوه، إلا للحي القيوم، أما آلهتهم فالكلمة حرب عليها، وتحاول أن تصرف الناس عنها؛ لتوجههم وجهة أخرى جديدة وسليمة ومأمونة العاقبة، هذا ما أدركته الجاهلية الأولى من الكلمة**"(2).

ومما يؤسف له أن تجد من يفسر كلمة التوحيد بتوحيد الربوبية، وهذا جهل لم يجهله أبو جهل. قال الشيخ رحمه الله:"**الذين دخل عليهم الشرك في عبادتهم والانحراف في أحكامهم، والذين جهلوا معنى لا إله إلا الله ، الذين يفسروها بـــ(لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله) وهذا ليس معنى لا إله إلا الله، وهذا هو توحيد الربوبية الذي لم يجهله أبو جهل؛ فكل الكفار يعلمون بأن الله هو مدبر الأمر من السماء إلى الأرض وهذه شهادة كل كافر كما قال تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ فمعنى لا إله إلا الله : لا معبود بحق إلا الله**"(3).

وقد بين الشيخ غلط علماء الكلام ومن نحا نحوهم من الذين فسروا (لا إله إلا الله) بتوحيد الربوبية، وأن مشركي قريش أعلم منهم بمدلول هذه الكلمة، فقال: "**فأولئك-أي مشركي قريش- صاروا أفقه وأعلم بمعنى (لا إله إلا الله)؛ لأنهم أدركوا أنهم لو قالوا (لا إله إلا الله) هذه الكلمة هدمت آلهتهم، وقضت عليها؛ لذلك أصروا**

(١) راجع المسألة الرابعة من كتاب التوحيد في باب قوله تعالى ((إنك لا تهدي من أحببت)).
(٢) تصحيح المفاهيم صـــ١٢.
(٣) شرح الأصول الثلاثة صـــ٢٤.

على محاربتها، وعدم التلفظ بها، مع اعترافهم أن تلك الآلهة لا تخلق ولا ترزق، ولكن في زعمهم تقربهم إلى الله زلفى. فهؤلاء -أي علماء الكلام ومن نحى نحوهم- لم يفهموا معنى (لا إله إلا الله) الذي فهمه مشركو العرب، لم يفهموه؛ لذلك أئمتهم في كتبهم إذا أرادوا أن يفسروا (لا إله إلا الله) أو يعربوها، قالوا: لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا قادر على الاختراع إلا الله، هذا غلط ... هذا الذي أنكره القوم المشركون الأولون، وهو الذي يقع فيه كثير من المنتسبين إلى الإسلام؛ جهلاً منهم بمعنى لا إله إلا الله؛ وتقليدا منهم لهؤلاء الأئمة أئمة علماء الكلام"[١].

ونبه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن مِمن ضل في هذا الباب القائلون بقول أصحاب وحدة الوجود، شعروا ذلك أم لم يشعروا، قال رَحِمَهُ اللهُ: **"طائفة وحدة الوجود لها وجود، وقد لا يعلم بعض الناس أنه من وحدة الوجود، وهو واقع في وحدة الوجود، من يقول (لا إله إلا الله) أي: لا موجود إلا الله، من فسر هذه الكلمة لا موجود إلا الله، وأن الوجود هو وجود الله، وقع في عقيدة وحدة الوجود من حيث لا يشعر أو من حيث يشعر ويخفي ...فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق؛ أي نفوا الإثنينية والانفصال بين الخالق وبين المخلوق"**[٢] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والأصل الذي دلت عليه النصوص الشرعية، أن توحيد الربوبية ليس محل نزاع، فمن الضلال تفسير كلمة التوحيد الذي من أجلها حصل النزاع، بهذا النوع من التوحيد. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **"والأصل الذي تقرره الأدلة النقلية والعقلية والفطرة السليمة، أن هذا التوحيد_أي توحيد الربوبية_ ليس محل نزاع، وهو ليس معنى (لا إله إلا الله)؛ ولكن القوم جعلوا معنى الإلهية: القدرة على الاختراع؛ وهذا غلط شرعا ولغة"**[٣].وقد وضح ذلك في موطن آخر بقوله:**"الأول: تفسير إله بالرب هذا خطأ لغة؛ لأن (إله) في**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٥) و (أ).

(٢)المصدر السابق الشريط (١٣) و (ب).

(٣) المصدر السابق الشريط (٢٣) و (ب).

اللغة بمعنى: مألوه معبود، إذن حرفوا اللغة، ومن حيث المعنى الشرعي: التوحيد الذي جاء به رسول الله ﷺ، ومن قبله من الرسل عليهم السلام توحيد العبادة، وتوحيد الربوبية معلوم، والعباد مفطورون عليه، ويكون معنى الكلمة على هذا لا معبود بحق إلا الله، ومن يؤمن بأنه لا خالق إلا الله وحده، ولكنه يعبد مع الخالق غير الخالق مخلوقاً ...فهو كافر مشرك لا ينفعه إيمانه بأنه لا خالق إلا الله، كيف ينفعه ولم ينفع من قبله؟! الكفار المتفَق على كفرهم"(١).

وضلال من فسر كلمة التوحيد بتوحيد الربوبية ظاهر"**ولو كان من يقرر توحيد الربوبية وحده مسلماً لا يوجد مشرك، أولئك المشركون بالإجماع، الذين بعث فيهم النبي عليه الصلاة والسلام أول ما بعث يقررون توحيد الربوبية ويشركون بالله تعالى في عبادته"**(٢).

وختاماً أسأل الله جل وعلا في ختام هذا المطلب أن أكون قد وفقت في طرح جهود الشيخ حول كلمة التوحيد على الوجه المرضي والحمد لله على كل حال.

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و(ب).

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٥) و (ب).

المطلب الرابع: جهود الشيخ في توضيح دلائل توحيد الألوهية:

الأدلة على استحقاق الله سبحانه وتعالى للعبادة، وتحريم الشرك به كثيرة جداً، وتلك الأدلة هي أيضاً دلائل على ربوبيته وأسمائه وصفاته؛ لأن توحيد الألوهية كما سبق متضمن لتوحيد الربوبية، ومشتمل على توحيد الأسماء والصفات، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية خير شاهد على ذلك، بل إن توحيد الربوبية والأسماء والصفات من دلائل توحيد العبادة، كما سيأتي من تقرير الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد اهتم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتوضيح دلائل توحيد العبادة وبراهينه، ومن ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**قد علَّم الله سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية وأنه تعالى حقيق بإفراده ولياً وحكماً ورباً، وإذا أفردوه في الربوبية لزم من ذلك إفراده بالولاية والحكم والإلهية**"[1].

ومن أوضح الآيات في هذا الباب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**هذا هو وجه الاستدلال (اعبدوا) لأنه هو الذي خلقكم ، أما الذي لا يخلق ولا يرزق فلا يستحق العبادة**"[2] ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال الشيخ :"**إذا كان الأمر كذلك (لا تجعلوا لله أنداداً)، إذا كان هو الذي فعل ذلك، وانفرد بهذه الأفعال، بأفعاله هكذا، الذي تقدم ذكرها، إذاً لا تجعلوا له**

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (١) و (ب).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٤٨.

أنداداً تحبونهم كحب الله، وتعبدونهم كما تعبدون الرب الخالق، تعبدون مخلوقاً مثلكم وهو لم يخلق ولم يرزق بل هو نفسه خُلق وبحاجةٍ إلى من يرزقه إلى ربه سبحانه"(٢).

قال ابن كثير(١): "الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم من الطيبات، فبهذا استحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره"(٢). قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ:"**يقرر ما قلنا، هذا أسلوب القران وهو: الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة"**(٣).

وهذا الذي ينكره المشركون ولكن الله سبحانه وتعالى يلزمهم ويحتج عليهم بتوحيد ربوبيته على توحيد ألوهيته، وقد وضح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك بقوله:" **أي يقال لهم: إذا وحدتموه بأفعاله، يلزمكم أن توحدوه بأفعالكم، أمران متلازمان عقلاً، كما قال تعالى:** ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ **وهم قطعاً يؤمنون بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده، وأن الآلهة لم تشترك الآلهة في خلق السماوات والأرض** ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ **لم تشترك الآلهة في خلق هذا أيضاً** ﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ **[تأمل] الاحتجاج القوي بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة، من هنا تعلمون إن توحيد الربوبية ليس مقصوداً بالذات لوروده في الكتاب والسنة وإنما يأتي ليحتج به و ليستدل به على ما هو المقصود وهو توحيد العبادة؛ لذلك من يقضي عمره كله في دراسة توحيد الربوبية، الله موجود قادر على**

---

(١) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، الإمام الحافظ المؤرخ، له مصنفات منها: تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية وغيرها، توفي سنة ٧٧٤ هـ . انظر: الدرر الكامنة ١/٤٠٠، شذرات الذهب ٦/٢٣٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٢٠٩.

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـ٤٨-٤٩.

كل شيء خالق رازق يقضي عمره أو جل عمره في هذا وهو لم يلتفت إلى ما هو المقصود توحيد العبادة، إنما ضيع عمره في ما لا فائدة فيه"(١).

وعلى ما سبق "**فإذا كان الله قد تفرد بخلق السموات والأرض وما بينهما، وتفرد بتدبير خلقه وأرزاقهم وآجالهم، فيجب أن يفرد بالعبادة، هذا ما يقتضيه المنطق السليم، ويدعو إليه العقل الصريح، ويوجب الشرع الحكيم** ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ "(٢).

وتوحيد الربوبية إنما جاء ذكره في الكتب المترلة؛ ليستدل به على توحيد العبادة، ولإلزام العباد؛ لأن العباد جميعا فطروا على اعتقاد أن الله وحده هو الخالق الرازق المدبر كما سبق تفصيل ذلك، وليس معنى ذلك أنه غير مطلوب بل مطلوب لغيره ؛ ليكون دليلاً على التوحيد المطلوب وفي ذلك يقول الشيخ رحمه الله :"**وهذا التوحيد ليس معنى ذلك أنه غير مطلوب أصلاً، لا، بل هو مطلوب، لكن مطلوب؛ ليكون دليلاً؛ وللاستدلال به على التوحيد المطلوب الأساس: الذي هو محل التراع، وإنما لم يكن مطلوباً؛ لأنه لم يكن محل خلاف، لم يكن محل نزاع قط بين الرسل والذين أرسلوا إليهم، وبين المصلحين وأقوامهم**"(٣).

ويؤكد الشيخ هذه الحقيقة بقوله :"**والتفريق بين توحيد العبادة الذي دلت عليه كلمة التوحيد، وبين توحيد الربوبية الذي لم يقع فيه نزاع كما تقدم أمر ضروري، وتوحيد الربوبية إنما يبحث؛ ليستدل به على توحيد العبادة؛ الذي عجز عن تحقيقه كثير من الناس في هذا العصر، واختلط عليهم الأمر، والله المستعان**"(٤).

---

(١) شرح تجريد التوحيد الشريط (١) و (ب).

(٢) التصوف من صور الجاهلية مجلة البحوث العلمية العدد (١٢) صـــ ٢٩٠ .

(٣) شرح التدمرية الشريط (٢٣) و (ب).

(٤) الصفات الإلهية صـــ٩٩.

فالحاصل والخلاصة أنه"**إنما يدرس توحيد الربوبية؛ ليستدل به على توحيد العبادة كما صنع مؤلفنا في أول الرسالة، يُدرَس ويعلم ويتقن توحيد الربوبية للاستدلال به على توحيد العبادة، توحيد فطري يعرفه حتى الكفار. وكما قلت غير مرة أبو جهل لم يجهل هذا التوحيد ولم يعاد ولم يحارب [من أجله]، وإنما عادى توحيد العبادة هو وأمثاله**"[١].

وقد أزال الشيخ إشكالاً قد يتبادر إلى بعض الأفهام في شرحه لكلام الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:"(**والرب هو المعبود**)[٢] **ليس معنى هذا تفسير الربوبية بالعبودية ، بل يريد أن يقول الشيخ: والرب الخالق المربي هو المستحق للعبادة؛ لكونه رباً خالقاً، أي يريد أن يستدل بالربوبية على الألوهية**[٣]"[٤].

الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات:

لاشك أن المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى؛ لكونه المتصف بصفات الجلال والكمال، إذ أن المتصف بصفات النقص لا يستحق أن يعبد من دون الله الكامل في صفاته، وعليه فالكمال في الصفات دليل على استحقاق العبودية قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ قال الشيخ رحمه الله معلقاً على هذه الآية:"**هذه كلها صفات نقص يستدل بها على بطلان عبادة من عبد، وما عبد من دون الله تعالى كائناً من كان**"[٥].

(١) شرح شروط لا إله إلا الله الشريط (١) و (أ).

(٢) في الأشرطة قال الشيخ (انتبهوا لهذا التفسير).

(٣) في الأشرطة قال الشيخ (الإلهية) بدل الألوهية وليس هناك كبير فرق.

(٤) شرح الأصول الثلاثة صـــ٤٧.

(٥) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (أ).

ومن تأمل في أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي) يجد أنها اشتملت على أسماء الربِّ وصفاته بما لم تشتمل عليه آية أخرى؛ فقد أخبر الله فيها عن نفسه بأنه المتوحِّد في إلهيَّتِه، الذي لا تنبغي العبادة بجميع أنواعها وسائر صورها إلا له، ثم أردف قضية التوحيد بما يشهد لها من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة، فذكر أنه الحي الذي لـــه كمال الحياة؛ لأن حياته من لوازم ذاته، فهي أزليَّة أبديَّة[1].

وبهذا القدر كفاية، وسيأتي مزيد بسط لهذا النوع من التوحيد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) انظر: شرح الواسطية للهراس صـــ٦٦.

المبحث الثالث
جهود الشيخ في توضيح العبادة وبيان أنواعها

المطلب الأول: جهوده في توضيح معنى العبادة وبيان حقيقتها:

عرف الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ العبادة بقوله:"**العبادة في اللغة: هي الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً مسلوكاً**"[1] ويؤيد ذلك ما نقله صاحب اللسان عن الزجاج[2] قال: في قوله تعالى: (إِياك نعبد): أَي نُطِيعُ الطاعةَ التي يُخْضَعُ معها، وقيل إِياك نُوَحِّد، قال: ومعنى العبادةِ في اللغة الطاعةُ مع الخُضُوعِ، ومنه طريقٌ مُعَبَّدٌ إِذا كان مذللاً بكثرة الوطءِ[3].

إذا تقرر ما سبق، فالعبادة يدور معناها اللغوي على الطاعة مع الخضوع والذل، وأنبه إلى أن المعنى الشرعي مأخوذ من ذلك.

وقد نقل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ التعريف الشرعي للعبادة عن شيخ الإسلام ابن تيميةرَحِمَهُ اللَّهُ: فقال:"**وأما في الشرع: فقد عرفها الإمام ابن تيمية بتعريف موجز وجامع مانع؛ إذ يقول: العبادة غاية الذل، مع غاية الحب**"[4]. وقد أثنى الشيخ على هذا التعريف في موطن آخر فقال: "**وهذا تعريف دقيق جداً للعبادة، حقيقة العبادة: كمال الذل، وكمال الحب مع التعظيم، كمال الذل للخالق سبحانه وحده، وكمال الحب له، الذل**

---

(١) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ٩. وانظر القاموس المحيط صـ٢٨٢.

(٢) هو أبو إسحاق بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، إمام نحوي، له مصنفات منها: معاني القرآن، والنوادر وغيرها، توفي سنة ٣١١ هـ وقيل ٣١٦ هـ. انظر: السير ١٤/٣٦٠ ، تاريخ بغداد ٦/٨٧ .

(٣) لسان العرب ٣/٢٧٣.

(٤) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ٩، وشرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب)، وراجع: الشريط (٢٦) و (ب). وانظر: التدمرية صـ ١٦٦.

بدون حب لا يكون عباده، والعكس كذلك. وأضف إلى ذلك التعظيم، هذه حقيقة العبادة: أن يكون في نفس العبد التذلل لربه سبحانه وتعالى، وعدم التكبر عن عبادته، يستسلم له وعند الاستسلام مع الحب والتقدير والتعظيم، هذه حقيقة العبادة"[(١)].

وهذا التعريف باعتبار العابد.

وشيخ الإسلام رحمه الله: له تعريف آخر للعبادة، وهو باعتبار المتعبد به وهو أنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[(٢)].

ومما سبق من تعريف الإلهية والعبادة، يظهر لنا جلياً العلاقة الوطيدة بينهما، وقد وضحها الشيخ رحمه الله بقوله:"**العبادة مقتضى**[(٣)] **الإلهية؛ ومن عرف معنى الإلهية وآمن بالإلهية آمن بالعبادة، وعرف أنها إنما شُرعتْ العبادة، لتحقيق معنى العبودية"**[(٤)]، ثم قال بعد ذلك مبيناً حال المتصوفة الذين ضلوا في مفهوم العبادة:"**هؤلاء لم يعرفوا الإله، ولم يعرفوا ما حقيقة الإلهية؛ لذلك قالوا: العبادة ليست للتألُّه ولا لها غاية، ولكن لمطلق الرياضة النفسية"**[(٥)].

حقيقة العبودية:

وضح الشيخ محمد أمان رحمه الله حقيقة العبودية بقوله:"**وحقيقتها ألا يفقد الرب عبده حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه، وإن هفا أحياناً وخالف أمر ربه بادر بالتوبة والرجوع إلى الصواب؛ ليمحو أثر مخالفته وعصيانه بالتوبة والإنابة؛ لأن التوبة تجب ما قبلها﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾**"[(٦)].

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب)، وانظر: التدمرية صـ ١٦٦.

(٢) العبودية صـ١٧.

(٣) الحقيقة أن العبودية مقتضى الربوبية؛ لأن العبودية هي الإلـهية وليست مجرد مقتضاها.

(٤) شرح تجريد التوحيد الشريط (١٤) و (أ).

(٥) المصدر السابق.

(٦) نظام الأسرة في الإسلام صـ١٠.

وشرح الشيخ رحمه الله كلام المقريزي[1] المبين لحقيقة العبادة، فقال:"(**وحقيقة العبادة امتثالهما) أي: امتثال الأمر والنهي...بهذا المعنى تتفّق مع التقوى. التقوى: امتثال الأمر والنهي؛ امتثال الأمر والنهي يؤدِّي إلى حقيقة العبادة التي هي غاية الحب مع غاية الذل؛ لا منافاة بين هذه التعريفات**"[2].

وقال رحمه الله في بيان طريقة الإسلام في تربية الروح على العبودية الحقيقية لله تعالى:"**منهج الإسلام في تربية الروح أن تكون صلة الروح بالله في كل لحظة ودقيقة – كما سبق أن قلنا– بحيث يراقب الله وهو في خلوته، حيث لا يراه أحد سواه، وهو: بين أصحابه، وهو يقرأ، وهو يكتب، ولا يكتب ما لا يرضاه الله، وما يضر عباده وأولياءه، وهو في مصنعه، في متجره، في مزرعته، في حبه، في رضائه، وسخطه، في جميع أحواله وظروفه، بل لا تقوى الظروف الطارئة والأحوال المتجددة أن تحول بينه وبين الله، ومراقبته، بل هو في جميع حالاته مع الله، وعلى اتصال وثيق دائم... أما حقيقة العبادة أو ثمرتها على الأصل فهي: تلك الصلة الدائمة بالله في جميع الأحوال، وتحت أي الظروف، دون انقطاع أو فتور، ويخطئ الذين يحسبون أن حقيقة العبادة في الإسلام ذلك التنسك والتزهد فترة من الزمن، وأن يظهر الخشوع** –إلى أن قال– **وليس الغرض من العبادة هذه الشكليات الجوفاء**"[3].

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، الحنفي ثم الشافعي، له مصنفات منها: تجريد التوحيد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، توفي سنة ٨٤٥ هـ. انظر: الضوء اللامع ٢/٢١، شذرات الذهب ٧/٢٥٤ .

(٢) شرح تجريد التوحيد الشريط (١٤) و (أ).

(٣) طريقة الإسلام في التربية ضمن المجموع صـ٢٩٣.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح أهمية العبادة:

سبق بيان أن مما تميز به الشيخ محمد أمان رحمه الله الحرص الشديد على تصحيح العقيدة -وإبراز أهميتها عموما- وتوحيد العبادة على وجه الخصوص[1] أنبه في هذا المقام على بعض ما قرره في بيان أهمية العبادة في النقاط التالية:

١- إن مما يدل على أهمية العبادة، أنها أول موضوع يتطرق إليه الأنبياء والرسل، فمن أجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، قال الشيخ رحمه الله: "**عبادة الله تعالى هي أول نداء نادى به كل رسول في قومه:** ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ **وهي أول موضوع وأهم موضوع لكل كتاب أنزل:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ "[2].

٢- أن العبادة هي حق الله عز وجل على عباده، قال الشيخ رحمه الله:"**حق الله على عباده:هو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا في عبادته، وذلك بعد تصور مفهوم العبادة بأوسع نطاقها، وقد وجه النبي ﷺ سؤلاً إلى معاذ ذات مرة هكذا :(يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟) ولم يسع معاذاً إلا أن يقول: الله ورسوله أعلم، فقال النبي ﷺ -بعد أن أثار انتباهه- ولعلها المقصودة من السؤال- قال:(حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) الحديث[3] وهو معنى قولنا: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**"[4].

---

(١) وقد طبع للشيخ رسالة بعنوان: (تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة) حول هذا الموضوع، وأصلها محاضرتان للشيخ ألقاهما في موسم المحاضرات لعام ١٣٩٥/٩٤ هـ ، وعام ١٣٩٨/٩٧ هـ، وله محاضرات عدة في هذا الباب.

(٢) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ٩.

(٣) سبق عزوه صـ١٦٧.

(٤) تصحيح المفاهيم في جوانب صـ٦٩ ، وراجع شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

٣- أن العبادة هي المهمة التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، قال الشيخ رحمه الله:"**وهي مهمة الفرد والجماعة في هذه الحياة، ومن أجلها خلقوا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]واللام في (ليعبدون) لام الحكمة، وهي التي يسميها النحاة لام العلة، العلة من خلق الجن والإنس أن يعبدوا الله وحده؛ ليعرفوه وليوحدوه وليخلصوا له العبادة ليكونوا عبيدا له وحده لا شركة فيه؛ لهذا خلقهم**"[2]. ويؤكد الله تعالى هذه الحقيقة بذكره قول أصحاب العقول المستقيمة الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض قائلين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾[3].

٤- وكما أن العبادة من أجلها خلق الله الخلائق، فكذلك من أجلها خلق الله الجنة والنار، قال الشيخ رحمه الله:"**خلقت الجنة؛ لتكون دارًا لإكرام العُبّاد: الذين عبدوا الله على بصيرة، فوحّدوه فعبدوه بإخلاص ومتابعة؛ دارٌ لكرامة هؤلاء، وجزاء وثواب؛ لكن مع ذلك فضل -فضلٌ من الله-، وليستْ ثمنــًا وليستْ عِوَضــًا -كما تقدّم. والنار جُعلت سجنــًا للذين عصوا رب العالمين وتمرّدوا، على اختلاف في ذلك، منهم: من تكون لهم سجنــًا غير مؤبَّد، ويقيمون في هذا السجن على حسب تفاوهم في العصيان والتمرُّد، ما لم يصل التمرُّد إلى خراب القلب، وخراب القلب هو الكفر، ومن وصل إلى هذه الدرجة فسجنه مؤبَّد، ولا نهاية له ــ فنسأل الله لنا ولكم السلامة ــ**[4]

٥- ومما يدل على أهمية العبادة، أنها الصلة بين العبد وربه، قال الشيخ رحمه الله :"**والعبادة**

(١) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صــ٩.

(٢) شرح القواعد الأربع الشريط (١) و (أ).

(٣) راجع: شرح تجريد التوحيد الشريط (١٤) و (ب).

(٤) شرح كتاب تجريد التوحيد الشريط (١٤) و (أ).

المثمرة هي أهم الوسائل في تربية الروح، وعقد الصلة بين الإنسان وبين ربه"[1].

المطلب الثالث: جهوده في توضيح شروط العبادة وأركانها:

شروطها:

يتوقف قبول العبادة على توفر شرطين أساسين هما:

الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، وهذان الشرطان وردا في الكتاب والسنة كثيرًا، وركز عليهما أهل العلم؛ لتوقف قبول العبادة عليهما؛ ولكونه لا بد منهما لكل عابد.

الأول:" **أن يكون الدين خالصاً لله تعالى، لا شركة فيه، لا يريد بعمله إلا وجه الله، لا يصرف شيئاً من العبادة لغير الله، ولا يدخل في عمله الرياء، والعجب، وحب الظهور، وحب الثناء.**

والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله، أمره الذي بعث به رسله هو: هدي رسول الله ﷺ، ويعبر عن هذا أحيانا بـــ(المتابعة).

الإخلاص والمتابعة؛ لنعرف بذلك مكانة نبينا محمدا ﷺ، إن عملك ولو كان خالصًا لله لا يقبل إلا إذا جاء موافقًا لما جاء به هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام"[2].

وأدلة الشرطين كثيرة جدًا من الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، وأكتفي بقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ قال الفضيل بن

---

(١) طريقة الإسلام في التربية ضمن المجموع صـــ٢٩٤.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٣٠) و (أ).

عياض[1] في تفسير هذه الآية:"(أخلصه وأصوبه) قيل يا أبا علي: ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: (إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة)[2]، قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً كلام الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"أراد أن من لم يخلص في العمل لوجه الله تعالى ولو كان صوابا، لم يقبل. ولو أخلص لم يدخل عمله شيء من الرياء، ولكن عمله كله مبتدع يصوم الصوم المبتدع، وعبادته مبتدعة، أو فيها شيء من البدع، كل ذلك مردود (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[3] أيما عمل، العبرة ليس بالكم، ولكن بالكيفية، العمل القليل الصواب الخالص، والعمل المقبول ولو لم يكن كثيرًا، لكن لو عمل كثيرًا إما أن فيه بدع، أو ليس فيه إخلاص، لا يجديه أبدًا"[4].

ولأهمية هذين الأصلين فارتباطهما بلفظة الشهادة وثيق، يوضح الشيخ ذلك بقوله:"**ومما لا يختلف فيه اثنان دارسان للإسلام: أن ديننا مبني على أصلين اثنين:**

الأصل الأول: أن يعبد الله وحده دون أن يشرك به غيره، بجميع أنواع العبادات، وأن لا يصرف منها شيء لغير الله؛ وذلك معنى قول المؤمن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له"[5] وهذا الأصل متضمن لشرط العبادة الأول، وهو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وأمره الذي أمر به في قوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ وقوله: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ والإخلاص كما قال الإمام المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"هو العمل الذي لا يتقبل الله من عامل عملاً صواباً عارياً

(١) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخرساني، أحد الأئمة العباد الزهاد، توفي سنة ١٨٧ هـ . انظر: السير ٤٢١/٨ ، شذرات الذهب ٣١٦/١.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية ٩٥/٨، وابن أبي الدنيا في الإخلاص (١٩)، وأورده بعض المفسرين للآية كالبغوي في تفسيره.

(٣) رواه مسلم (١٧١٨) (١٧).

(٤) راجع: شرح التدمرية الشريط (٣٠) و (أ).

(٥) منزلة السنة في التشريع، ضمن المجموع صـ١٧٨-١٧٩، تصحيح المفاهيم صـ٧٧.

منه، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت"[1]. ويؤكد الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ أهمية الإخلاص بقوله :"**فالإخلاص هو السبب في نجاة العبد ونجاحه في الأولى والآخرة**"[2].

"**الأصل الثاني: أن يعبد الله بما شرعه على لسان رسوله وخليله محمد عليه الصلاة والسلام، وهو معنى قول المؤمن: وأشهد أن محمداً رسول الله**"[3] وهذا الأصل متضمن لشرط العبادة الثاني وهو: متابعة النبي ﷺ، وهذا هو حق المصطفى ﷺ علينا، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**حق الرسول ﷺ على أتباعه: الذي يؤخذ من قولهم (أشهد أن محمداً رسول الله) وحقيقة ذلك محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام المحبة الصادقة التي تثمر الطاعة والاتباع، وعبادة الله بما جاء به فقط. وهو المعنى الذي يشير إليه الحديث الشريف: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين)**[4]"[5]، "**الذي محبته والأنس به ومراقبته غاية سعي العبد وكده، وهي أيضاً جالبة لمحبة الرب عبده ومغفرته له، إذ يقول الرب تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ذلك؛ لأنه رسوله المختار ليبلغ عنه دينه الذي شرعه لعباده**"[6].

وقال أيضاً:"**فالخُلاصة: إنه يستحيل ثُبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله ﷺ؛ وذلك : يتنافى والإيمان**"[7].

---

(١) انظر: تجريد التوحيد صـ٧٨.

(٢) تصحيح المفاهيم صـ٢٦.

(٣) منزلة السنة في التشريع، ضمن المجموع صـ١٧٨-١٧٩ ، تصحيح المفاهيم صـ٧٧.

(٤) رواه البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

(٥) تصحيح المفاهيم صـ٦٩.

(٦) المصدر السابق صـ٧٧.

(٧) شرح التجريد الشريط (١٤) و (ب).

أركانها:

كما أن للعبادة شروطاً ينبغي العناية بها، فكذلك لها أركان تقوم عليها وهي: المحبة، والخوف، والرجاء، وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ قال ابن القيم[١] رحمه الله:"فجمع بين المقامات الثلاثة؛ فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه، ثم يقول: ((ويرجون رحمته ويخافون عذابه)) فذكر الحب والخوف والرجاء، والمعنى: إن الذين تدعونهم من دون الله، من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه؟ وأنتم وهم عبيد له؟!"[٢].

قال الشيخ محمد أمان رحمه الله مبيناً أهمية اجتماع هذه المقامات الثلاث في العبد، وأنه لا يمكن تغليب أحدها على الآخر:"**من عبد الله بالخوف فقط هذا بالتجربة حروري؛ أي فيه نزعة الخوارج، ومن عبد الله بالرجاء فقط، هذا فيه نزعة الإرجاء، ومن عبد الله بالمحبة فقط هذا فيه نزعة الزندقة**[٣]**. المؤمن يجمع بين الخوف من الله، ورجاء ما عند الله، ومحبة الله ... يجمعوا بين الخوف الذي يبعثهم على الفرار إليه، وبين الرجاء الذي يحملهم على طاعته، وبين المحبة التي تسبب لهم الأنس به سبحانه وتعالى، هؤلاء هم أولياء الله**"[٤].

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، من أئمة السلف، له مؤلفات منها: الصواعق المرسلة، هداية الحيارى، وغيرها، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة ٣٨٧/٢، شذرات الذهب ١٦٨/٦.

(٢) طريق الهجرتين ٦١٣/٢ ، وانظر: المدارج ٤٣/٢.

(٣) نسب ابن تيمية وابن القيم مثل هذا القول عن بعض السلف انظر: الفتاوى ٨١/١٠، ٢٠٧، بدائع الفوائد ٨٥١/٣.

(٤) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٥) و (أ).

الركن الأول: المحبة:

اعتنى الشيخ رحمه الله بإبراز أهمية هذه العبادة، وقد سبق شيء من ذلك[1]. ويمكن إيجاز ما يدل على أهمية هذه العبادة العظيمة بما يلي:

١- أن محبة العبد ربه هي: حقيقة كلمة التوحيد. قال الشيخ رحمه الله:"**ومحبة العبد لربه – كما يراها بعض المحققين[2]، وكما هو الواقع– هي حقيقة (لا إله إلا الله)، وهي تتفاوت فيما بين العباد، فكلما يزداد العبد في تحقيق (لا إله إلا الله) يزداد محبة لله، ورغبة في لقائه، فأكثر العباد محبة لله الأنبياء، ثم الصالحون من أتباعهم؛ لأن محبتهم لله حق المحبة، هي التي حملتهم على تحمل المشاق والمصاعب، وعلى تحمل كل ما لاقوه في سبيل الدعوة إلى الله إلى محبته، والإيمان به سبحانه وإصلاح شئون عباده**"[3].

٢- أن محبة الله تعالى روح الإيمان، كما أكد على ذلك الشيخ رحمه الله[4] والمقصود من ذلك أن المحبة هي الطاقة المحركة للعبد، لفعل كل خير واجتناب كل شر، كما أن الروح هي المحركة للجسد، وأكد الشيخ رحمه الله ذلك بقوله:"**ومحبة العبد لربه – إذا صحت، وتحققت فهي فوق كل محبة تقدر، ولا نسبة لجميع المحاب لها، إذ هي الطاقة المحركة للعبد إلى فعل كل خير واجتناب كل شر، بل كل تصرفات العبد في تعامله مع الله، وتعامله مع عباده، نابعة من تلك الطاقة.** (المحبة): **يتحرك العبد ويعمل ويعطي بتلك الطاقة؛ لأن مقرها** (القلب)، **الذي إذا صلح، صلح كل شيء، وإذا فسد، فسد كل شيء، فسد دينه، وفسدت عقيدته، وفقد محبة ربه ومولاه، وإذا ما تعطلت تلك الطاقة وغيض نبعها،**

(١) انظر: ما سبق من توضيح جهود الشيخ لشروط لا إله إلا الله صـ ١٧٦-١٧٧.

(٢) انظر: كلام ابن القيم في المدارج ٣/٣٢.

(٣) الصفات الإلهية صـ ٣٦٠.

(٤) شرح التجريد الشريط (١) و (ب).

هناك الهلاك، والعبد في هذه الحالة قد مات قلبه كلياً"(١).

٣- أن أنواع العبادات تعتبر ثمرة من ثمار المحبة الصادقة لله تعالى، قال الشيخ رحمه الله:**"فالخوف والخشية والتفاني في طاعة الله، وحسن عبادته، وتحمل الأذى في سبيل إظهار دينه، وإعلاء كلمته ونصح عباده، وتقديم الخير لهم كل أولئك ثمرات من ثمار محبة الله الصادقة التي لا تتم إلا إذا وصلت به تلك المحبة إلى درجة أنه من شدة محبته لربه ومن صحة محبته له، يحب كل من يحبه، والعمل الذي يحبه، وكل خصلة أو صفة يعلم أن الله يحبها ومن الأدعية المأثورة: (اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يقربنا إلى حبك)**(٢)... **وبالاختصار لم يعبد الله عبد، ولم يركع ولم يسجد إلا بدافع المحبة، ولم يتكاسل ولم يعجز إلا لفقدان محبته لربه، وتقديره لربه حق قدره، أو نقصانها"**(٣). وعلى ذلك فعلى العبد أن "**يختبر نفسه أمام أمر الله ونهي الله: إنْ كان صادقـــاً في محبّة الله تعالى، سهُل عليه امتثال أمره واجتناب نهيه، وإلاّ يكون دعيـــاً في دعوى المحبة"**(٤).

وقد بين الشيخ رحمه الله المعيار الحقيقي للمحبة فقال:**"مهما ادعى الإنسان أنه وحد الله في ربوبيته وفي إلوهيته وفي أسمائه وصفاته إذا كان خالي القلب من محبه الله تعالى فإيمانه ضعيف، ضعيف جداً. لكن كيف تعرف محبه الله؟؟ عندما تعتريك أمور تهواها وتحبها وتميل إليها، وهي على خلاف محبة الله تعالى، إن قدمت محبة الله على محبتك وعلى هواك وعلى هوى جوفك ومألوفاتك، وآثرت الله ولو كان في ذلك عليك مضرة، هنا [تعرف] المحبة!!"**(٥).

---

(١) الصفات الإلهية صـــ٣٦١.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٩٠) وقال : هذا حديث حسن غريب، وضعفه الألباني.

(٣) الصفات الإلهية صـــ٣٦٠-٣٦١.

(٤) شرح التجريد الشريط (١٤) و (ب).

(٥) شرح التجريد الشريط (١) و (ب).

وما قرره الشيخ رحمه الله موافق لما ذكره كثير من أهل العلم، قال المقريزي رحمه الله: "ولهذا جعل سبحانه وتعالى إتباع رسوله علماً عليها وشاهداً لها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ، فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم الله تعالى، وشرطاً لمحبة الله لهم، ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع"(١).

وأنبه إلى أنه لا يكفي مجرد الاتباع؛ لإثبات محبة العبد لربه حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ قال الشيخ رحمه الله: "**حتى من الناحية العقلية والفِطْرية [غير]معقولة!! كيف يقدِّم الإنسان رضا غيره رضا مخلوق ما، على رضى رب العالمين ويدّعي مع ذلك الإيمان بالله؟! وكيف يقدِّم طاعة إنسان غير معصوم بشر مثله غير معصوم على طاعة معصوم طاعته من طاعة الله ومحبّته من محبة الله وهو رسول الله ﷺ ؟! إذًا الموقف مستنكَر شرعـًا وعقلاً وفطرة**"(٢).

وقد قسم الشيخ رحمه الله المحبة فقال:"**والمحبة في الأصل قسمان: محبة مشتركة ومحبة خاصة، وإن شئت: محبة عامة ومحبة خاصة، والمحبة العامة ثلاثة أنواع:**

١- **محبة طبيعية: جبل الله الإنسان عليها، أن يحب ذلك الشيء كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء ، هذا النوع ليس فيه تعظيم ولا خضوع ولا تذلل...**

٢- **محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لطفله رحمة وشفقة عليه...**

٣- **محبة أنس وألف؛ كأن يحب الإنسان زميله ويحب شيخه ويحب رفيقه في السفر، ويحب شريكه في الشركة والتجارة، ويحب إخوانه هذا النوع للأنس والإلف.**

---

(١) تجريد التوحيد صـــ١٠١.

(٢) شرح التجريد الشريط (١٤) و (ب)

هذه الأنواع الثلاثة لا تدخل في باب العبادة. ولكن المحبة الخاصة التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى هي المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم والطاعة المطلقة، هذه المحبة هي شعبة من شعب الإيمان وهي عبادة، من أحب غير الله في هذا المعنى قد اتخذ ذلك نداً وشريكاً لله تعالى"[1].

الركن الثاني: الخوف:

ومن أنواع العبادة الخوف، وهو ينقسم كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:" **إلى قسمين** :

١- خوف طبيعي: مثل خوفك من الأسد وخوفك من العدو وهرب منه خوف طبيعي، وقد تخرج من بلدك خوفاً من جبار أو عدو هذا الخوف خوف طبيعي، وليس خوف عبادة، فهذا لا يؤثر.

٢- خوف العبادة"[2].

ودليل هذه العبادة كما نوه على ذلك الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:"**قوله تعالى:** ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ شرطٌ وجواب ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ **هذا شرط، والجواب إما متقدم أو محذوف، يدل عليه المتقدم.** ﴿وَخَافُونِ﴾ **هو الجواب للشرط عند من يجيزون تقديم الجواب على الشرط وهم البصريون وبعض الكوفيين، وعند غيرهم الجواب محذوف يدل عليه ما قبله (إن كنتم مؤمنين فخافون)، والمعنى واحد لابد من أخذ الآية بمنطوقها ومفهومها. المنطوق: إن كنتم مؤمنين خافونِ، والمفهوم: من لم يخف الله ويفرده بالخوف منه ليس بمؤمن"**[3].

وقد بين الشيخ الخوف الممدوح الذي يعد من أعظم العبادات فقال:"**الخوف الممدوح.. الذي يحول بينه وبين الخوف من الناس ويحمله على طاعة الله، الخوف من**

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢١) و (ب).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٥١.

(٣) المصدر السابق صـــ٥٩.

الله يجتمع مع الحب، وهذه من خصائص الخوف من الله، ومن خصائص محبة الله تعالى"[1].

الركن الثالث: الرجاء:

والرجاء من أنواع العبادات التي يجب أن تكون خالصة لله، وهو بمعنى توقع وصول الخير في المستقبل[2] قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ قال الشيخ رحمه الله :"﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ **بعد الموت، بعد البعث، من يرجو لقاء ربه، ويؤمن بلقاء ربه** ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ **العمل الصالح: العمل الموافق للسنة، إذا كان صالحاً، وكان خالصاً نفعك. الصالح: العمل المقيد بالسنة، الخالص، ما أردت به وجه الله؛ لذلك قال:** ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ **بما في ذلك الرجاء** ﴿ لا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ **لأن الله هو الذي بيده كل شئ فليخلص الرجاء لله سبحانه وتعالى"**[3].

وقد جمع الله تعالى بين الخوف والرجاء في قوله: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾

وفي قوله جل في علاه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ فيشرع الجمع بينهما دون أن يَغلب جانب على آخر، قال الشيخ رحمه الله :"**لابد أن يجمع العبد بين الخوف وبين الرجاء، لا يغلب عليه الخوف حتى يصل إلى درجة القنوط واليأس، ولا يغلب عليه الرجاء حتى يركبه الغرور؛ لكنه يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، يلازم هذه الخطّة وهذا الطريق بهذا يستعدّ للموت"**[4]

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢٤) و (أ).

(٢) انظر: لسان العرب ٣٠٩/١٤.

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـــ٦٠ .

(٤) شرح فصل في انشراح الصدر من زاد المعاد الشريط (١) و (أ).

المطلب الرابع: جهوده في توضيح بعض أنواع العبادة:

إذا تقرر ما سبق من مفهوم العبادة فـــ"**يتضح أن للعبادة أفقاً رحبا ودائرة واسعة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج والإنابة والخشية وحفظ الأمانة وصدق الحديث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم وحب الله ورسوله، والتقرب إلى الله بأنواع القربات كالذبح والنذر والتوكل عليه والاكتفاء به وكيلاً وولياً والتحاكم إليه والرجوع والرد إليه عند التنازع ، كل أولئك عبادة**"(1). ولاشك أن أنواع العبادة يصعب حصرها، وتتعسر الإحاطة بها؛ ولهذا سأقتصر على جملة من أنواع العبادة، وكلام العلامة محمد أمان الجامي رحمه الله عليها، وقبل الشروع في المقصود أنبه إلى أن ما سبق من أركان العبادة هي من هذا الباب، كما أنه ينبغي التفريق بين ما هو شرك من أنواع العبادات وما ليس كذلك، فما كان فيه معنى التأله لغير الله، وطُلِب ما لا يقدر عليه إلا الله من غير الله، فهذا هو الشرك والعياذ بالله، أما ما دون ذلك فلا(2)، والله أسأل السداد والرشاد .

الدعاء:

لاشك أن هذه العبادة من أهم العبادات وأعظمها، وقد تنوعت طرق إيرادها في القرآن والسنة:

فتارة يأمر الله عباده به كما في قوله: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ

(1) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـــ١٠.

(2) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (١١) و (أ).

﴿ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ قال الشيخ رحمه الله:

"الدعاء الذي أمرنا به أن ندعو الله بأسمائه يشمل:

١-دعاء المسألة وهو: أن تقدِّم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبا لطلبك؛ وأنت لك طلباتٌ كثيرة، ولله أسماءٌ كثيرة تختار من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبا لطلبك، فتتوسّل بهذه الأسماء إلى الله تعالى.

٢-ودعاء العبادة: أن تتعبّد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء فتقوم بالتوبة إليه؛ لأنه التواب، تعلم وتؤمن بأن الله توّاب، وتريد أن تتوب من هفواتك فتوبتك إلى الله؛ لأنك تؤمن بأنه التوّاب، إذا تبت ورجعت إليه واستغفرته"(١).

وتارة يسمي الدعاء عبادة كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

قال الشيخ رحمه الله:"**سمى الدعاء عبادة أي: إن الذين يستكبرون عن الدعاء إما تكبراً أو إعراضاً ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ صاغرين كما تكبروا ولم يخضعوا لله تعالى وحده وأشركوا معه غيره**"(٢). بل إن الدعاء لب العبادة ومخها، كما جاء في الحديث (الدعاء مخ العبادة)(٣) قال الشيخ رحمه الله:"**ذكر أهل العلم أنه ضعيف الإسناد، ولكنه صحيح من حيث المعنى؛ لأن الحديث الثاني يشهد له والمعنى سليم، ...(الدعاء هو العبادة)**(٤) **ولفظة (هو العبادة) قد تكون أقوى؛ لأنه تعريف جزئي الإسناد، وتعريف جزئي الإسناد عند أهل البلاغة يفيد الحصر والقصر، أي: الدعاء وحده هو**

(١) راجع: شرح القواعد المثلى الشريط (١) و (أ).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٥٨.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧١) وقال حديث غريب وضعفه الألباني المشكاة (٢٢٣١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه أبوداود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وقال حسن صحيح، وصححه الألباني من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

العبادة؛ لأن الدعاء يدخل فيه دعاء (الطلب، ودعاء المسألة)، كل العبادات الصلاة دعاء والزكاة دعاء والحج دعاء والصيام دعاء، هذا دعاء عبادة، وهنا دعاء طلب مثل: اللهم أغفر لي وارحمني، كل ذلك داخل في قوله دعاء"(١). "فالعبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة؛ لدلالتها على الإقبال على الله، والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه، قائما بوجوب العبودية، معترفا بحق الربوبية، عالماً بنعمة الإيجاد، طالباً لمدد الإمداد على وفق المراد، وتوفيق الإسعاد"(٢).

وتارة بالنهي عن دعاء غيره سبحانه، وكفر من صرف هذه العبادة لغير الله، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وقوله ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾
وفي هذا "**دليل على أن من عبد غير الله مع الله فهو كافر سواءً كان الكفر كفراً أكبر أو أصغر، وربما كان الكفر كفراً أكبر أو كفراً أصغر إن كان معذوراً كما مر في التفصيل السابق يكون كفره كفرٌ دون كفر، وإن كان غير معذور وقامت عليه الحجة، وتبين له الحق، والهدى، فخالف فكفره كفر بواح ناقل من الملة**"(٣).

التوكل:

ومن أنواع العبادات التي أمر الله بها عباده التوكل؛ لأن بها ثقتهم به، وأنه كافيهم وحسبهم ونعم الوكيل: والتوكل هو كما قرر الشيخ رحمه الله:"**الاعتماد القلبي على الله اعتماداً كلياً مع الأخذ بالأسباب**"(٤). ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وقوله: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ٥٠-٥١.

(٢) انظر عون المعبود ٣/٢٢٢.

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـ٥٧.

(٤) المصدر السابق صـ٥٢.

قال الشيخ رحمه الله:"**[جواب الشرط إما متقدم أو محذوف﴿ فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ لك أن تقول: (إن كنتم مؤمنين فتوكلوا) على أن جواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم، أو (فتوكلوا) المتقدم هذا هو جواب الشرط، والمعنى واحد، التوكل على الله هو الاعتماد القلبي، التوكل عمل قلبي لا يكون التوكل إلا على الله]**[1] **لا يجوز الاعتماد في هدايتك في صلاحك وصلاح ذريتك وصلاح شؤونك ، لا يجوز الاعتماد إلا على الله مطلقاً، والاعتماد على بعض الأسباب بالقلب نوع من الشرك، مزاولة الأعمال ومباشرها مشروع، ولكن الاعتماد على تلك الأسباب من الشرك، الاعتماد على الله وحده**"[2].

ويؤكد الشيخ رحمه الله مسألة عدم الاتكال على الأسباب، والتوكل على مسببها بقوله:"**التوكُّل على الأسباب من باب التوكُّل على غير الله؛ لا يجوز الاتّكال على الأسباب، حتى الأسباب المباحة، الإنسان يستعملها ولا يتوكّل عليها. والتوكُّل لا يكون إلا على الله؛ لذلك: لا ينبغي الغلو والإسراف في تقديس الآراء وفي تقديس الأسباب**"، ثم نبه الشيخ رحمه الله على بعض العبارات القبيحة توضح المقصود فقال:"سُمعت بعض العبارات السفيهة من بعض السفهاء في هذه الآونة الأخيرة، **عندما جاءت القوات الأجنبية في الخليج، سمعت عبارة من بعض السفهاء أن قالوا:(إذا جاء بوش فنم في الحوش) هذه عبارة سيئة، وهم يحسبون أنها هينة، لكنها صعبة، ليست بالأمر الهين، معنى ذلك: اعتمدوا عليه وعلى قوته ولا تبالوا، هو يحفظكم، ويقيكم شر أعدائكم، ناموا حيث شئتم في الحوش وفي السطوح وحيث شئتم؛ هذا الكلام سيء جداً، ينبغي التنبيه، وقد نبهنا على هذه العبارة غير مرة حتى في جدة – وهي سمعت في جدة-. وعلى كل: ينبغي على طلاب العلم أن ينبهوا الناس في مثل هذه الظروف الحرجة، والناس قد تعتمد على هذه القوات الهائلة، التي اجتمعت في**

(١) شرح الأصول الثلاثة الشريط (٢) و (ب).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٦١.

الخليج، ربما بعض ضعفاء الإيمان ينسون رب العالمين، ...لذلك: مسألة التوكل قد تدخل حتى على أُناس ليسوا من المشركين ولا من الذين عندهم غلوٌّ في الصالحين، لكن يحصل منهم الغلو في تقديس الأسباب"[1].

وما قرره الشيخ رحمه الله موافق لما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ ومن ذلك ما حكاه الله عن رسله عليهم السلام: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وقوله عز وجل ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: (لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً)[2].

ولا يفهم مما سبق أن الشيخ يمنع الأخذ بالأسباب، كيف وقد قال بعد ذلك:"**ولكن التوكل لا يمنع استعمال الأسباب، مزاولة الأسباب المباحة، بل العبد مأمور بمزاولة الأسباب المشروعة: كالتغرب لطلب العلم، والزواج لطلب الولد، وأن يعمل في التجارة والزراعة لطلب الرزق، ولكن لا يعتمد على هذه الأسباب، يعتمد على الله سبحانه وتعالى في نجاح هذه الأسباب، وأما ترك الأسباب والتمني على الله أن الله يرزقه ولداً صالحاً وهو لا يتزوج أو يتمنى العلم ثم يجلس في بيته ليل نهار فيخرج على الناس أعلم أهل بلده!! هذه أمنية كاذبة، مخالفة لسنة الله في خلقه، لابد أن يعمل الأسباب، ويتوكل على الله سبحانه وتعالى بنجاح تلك الأسباب ولا يجوز الاعتماد على تلك الأسباب**"[3].

---

(١) شرح تجريد التوحيد الشريط (٧) و (أ).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤) وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤١٦٤) وصححه الألباني الصحيحة (٣١٠).

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـ٥٢.

ويتقرر مما سبق أن صرف هذه العبادة لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة، قال الشيخ :"**وقولُ الإنسان لإنسان مثله –الله المستعان–: (أنا متوكِّلٌ على الله وعليك) هذا كفرٌ**"[(١)].

وأختم الكلام على هذه العبادة بتنبيه أشار له الشيخ رحمه الله وهو: أن التوكل لا يمكن أن نقسمه كما قسمنا الخوف، بل لا يجوز التوكل على غير الله إطلاقاً، التوكل والحسب خاص بالله تعالى[(٢)].

الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة:

إن من أنواع العبادات التي يجب صرفها لله تعالى الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة.

قال الشيخ رحمه الله في بيان المعنى اللغوي:"**استغاث واستعان واستعاذ واستنصر، السين والتاء في هذه الأفعال للطلب**"[(٣)].

والاستعانة: كما سبق تنقسم إلى قسمين: قال الشيخ رحمه الله: "**تنقسم الاستعانة إلى جائز وغير جائز. كطلب الاستعانة بغيرك فيما يقدر عليه؛ كأن تطلب من غيرك رفع المتاع على سيارتك، جائز؛ لأنك طلبت فيما يقدر عليه.**

ولكن إذا طلبت منه مالا يقدر عليه إلا الله، فهذا هو الشرك، والاستعاذة كذلك"[(٤)].

والاستعانة طلب العون من الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الشيخ رحمه الله: "**فرق بين إياك نستعين ونستعين إياك، تقديم المعمول الذي هو إياك في الفعلين يفيد الحصر، إياك وحدك نعبد لا نعبد غيرك، ولا نعبد أحداً سواك، وإياك وحدك نستعين لا نستعين إلا بك، وتقدم التفصيل في الاستعانة: يجوز للإنسان أن يستعين بغير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير؛ كأن يطلب**

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (٥) و (ب).

(٢) راجع: شرح الأصول الثلاثة صـ٥٢.

(٣) شرح كتاب التوحيد الشريط (١١) و (أ).

(٤) شرح الأصول الثلاثة صـ٥٣.

منه أن يعينه على رفع متاعه على دابته، أو على سيارته، أو رفع سوط له سقط على الأرض كل هذا جائز، ومثل أن يرفع له القلم، وغير ذلك من الأمور المعروفة. وفي الحديث (إذا استعنت فاستعن بالله)[1] فيما لا يقدر عليه إلا الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"[2].

الاستعاذة: في اللغة: طلب اللجوء والالتجاء والهروب[3]. وقد وضحها الشيخ رحمه الله بقوله:"**الله سبحانه وتعالى إذا خفت منه إنما تهرب منه إليه، وتفر منه إليه هذه الاستعاذة**" وقال أيضاً:"**كل أحد إذا خفت منه تفر منه إلى غيره، أما الرب سبحانه إذا خفت منه، من صحة العبودية أن تفر منه إليه﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ تخشاه وتفر منه إلى من؟ إليه سبحانه، هذه من خصائص رب العالمين**"[4]. وهذا كما قال ابن كثير رحمه الله: "والاستعاذة: الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر"[5]. قال تعالى:﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ .

والاستعاذة إذا لم تكن مصحوبة معنى التأله فيجوز صرفها لغير الله:"**قد يلتجأ الإنسان إلى غير الله فيما يقدر عليه في ذلك كأن يلتجأ إلى عظيم من العظماء ليحميه من عدوه ويدخل بلده أو يمر في بلده ، ومثل هذا جائز**"[6]. وقد يكون الأولى الصبر والاكتفاء باللجوء إلى الله وحده.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الألباني (٢٦٤٨).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـ٦٢-٦٣.

(٣) راجع: شرح الأصول الثلاثة صـ٦٣، وشرح كتاب التوحيد الشريط (١١) و (أ).

(٤) شرح التدمرية الشريط (١) و (أ).

(٥) تفسيره ١/١١٤ .

(٦) شرح الأصول الثلاثة صـ٦٣.

والاستغاثة: طلب الغوث. قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ موضحاً هذه العبادة:"**الاستغاثة والدعاء متقاربان، الدعاء أعم، والاستغاثة أخص؛ فالاستغاثة دعاء المكروب، والدعاء يشمل دعاء المكروب وغير المكروب**"[1]. وقد دل على ذلك قول المولى جل في علاه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ وقد بين الشيخ في توضيحه لهذه الآية أنها من أدلة الاستغاثة؛ لأن الاستغاثة دعاء المضطر، حيث فقدت الأسباب المادية إلا الإلتجاء إلى الله، فدعوة العبد غير الله في هذه الحالة التي لا يقدر كشفها إلا الله، فهذا أبشع الشرك وأفضع الكفر[2].

وقد بين الشيخ قسمي الاستغاثة مبيناً الجائز منها بقوله: "**أما لو طلب الغوث من إنسان فيما يقدر عليه، أو طلب منه أن يعينه في بعض شؤونه بما يقدر، أو استنصر بإنسان أي: طلب منه أن ينصره على مكروه بما يستطيع، هذه المعاني كلها لا تدخل في باب الشرك، إنما إذا صرفت المعاني التي لا يقدر عليها غير الله، فطلب الإنسان من غير الله تعالى أن يغيثه بسره، لا ببدنه، ولا بسلاحه، ولكن استغاثة سرية: كطلب عباد القبور من المقبورين من الصالحين وغير الصالحين، ومن المجهولين أن يغيثوهم ...هذا هو الشرك الأكبر**"[3].

وأنبه على إشارة لطيفة نبه عليها الشيخ وهي أن لفظة الاستغاثة لا ينبغي استعمالها إلا في حق الله تعالى؛ حماية لجناب التوحيد، لكن يجوز ذلك في الأمور المقدور عليها عند الحاجة، وينبغي للدعاة أن يتفطنوا لمثل هذا التفصيل؛ حتى لا يفتح الباب على مصراعيه، ولا يجعل كل شيء شركا والله أعلم[4].

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (١١) و (أ).

(٢) راجع: المصدر السابق.

(٣) شرح كتاب التوحيد الشريط (١١) و (أ).

(٤) راجع: المصدر السابق.

الذبح:

ومن أنواع العبادة الذبح نسكاً لله تعالى، من هدي وأضحية وعقيقة وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**محل الشاهد من الآية (ونسكي) أن النسك لا يكون إلا لله، كما أن الصلاة لا تكون إلا لله، وكما أن من صرف الصلاة لغير الله أو سجد لغير الله أو ركع لغير الله يعتبر مشركاً؛ كذلك من ذبح ذبيحة يتقرب بها إلى غير الله يعتبر مشرك الشرك الأكبر**"[1].

وقسم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الذبح إلى نوعين فقال:"**الذبح نوعان:**

١- **ذبح عادة: كذبحك شاةً؛ لتأكل لحماً أو تكرم ضيفك، ليس هذا هو المراد.**

٢- **ذبح عبادة: الذبح الذي تذبحه؛ تقرباً كالأضحية والهدايا والعقيقة**"[2].

والذبيحة المقصود منها التقرب إن ذبحت لغير الله، أو ذكر عليها غير اسمه، دخلت في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾[3] قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**إنْ ذُكر على الذبيحة اسم غير الله تعالى لا تحل، وإنْ جعلت الذبيحة لغير الله تعالى قصْدًا ونيّة، وذبح بنية غير الله لا تحل -ذكر اسم الله أو ذكر اسم غير الله، أو لم يذكر اسم شيء- هذا الجعل، وهذه النية، وهذا الاعتقاد يكفي**"[4] أي يكفي في كونها مصروفة لغير الله، حيث لم تتحل بالإخلاص لله الواحد الديان. والله أعلم.

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (٩) و (ب).

(٢) انظر: شرح الأصول الثلاثة صـــ٥٣.

(٣) راجع: تفسير الطبري لهذه الآية.

(٤) شرح تجريد التوحيد الشريط (٧) و (أ).

التوسل:

لقد أكثر الشيخ رحمه الله الحديث عن هذه العبادة في مواطن كثيرة، بل إن هذه المسألة من المسائل التي كان الشيخ رحمه الله يوليها عناية كبيرة خصوصاً في مواسم قدوم الحجاج والمعتمرين(1)، وسأكتفي في هذا الموطن بتوضيح الشيخ رحمه الله للتوسل المشروع(2)، وسأقتصر في هذه المسألة على ما دونه الشيخ في تصحيحه بعض المفاهيم في جوانب من العقيدة؛ لكونه وافٍ وكاف في توضيح الغرض والله المستعان.

قال الشيخ في توضيح المعنى الوارد لكلمة التوسل: "**وقد ثبت بالاستقراء أن التوسل يطلق ويستعمل في المعاني التالية:**

أولاً: طلب الدعاء من الحي الصالح.

ثانياً: التقرب إلى الله بالإيمان والعمل الصالح والتقوى.

ثالثاً: دعاء العبد ربه بالأعمال الصالحة الخالصة لله ودعائه بأسمائه الحسنى"(3).

أما الإطلاق الأول: فيستدل له بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة، وهو العام الذي أصيب فيه المسلمون بالقحط والجفاف في عهد عمر، فجمع عمر الناس للاستسقاء، ثم قال:(اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، فالآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا، ثم طلب من العباس أن يدعو الله، فقام العباس فدعا الله تعالى، فسقاهم الله)(4) قال الشيخ رحمه الله :"التوسل الذي عناه عمر رضي الله عنه هو الذي وضحه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله عليه السلام والحديث في الصحيحين ولفظه هكذا: (إن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله قائم يخطب فاستقبل رسول الله عليه السلام قائماً، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت

---

(1) أخبرني ذلك أكثر من واحد من تلاميذ الشيخ، وللشيخ مقالة بعنوان التوسل في مجلة التوحيد التابعة لجمعية أنصار السنة.

(2) وسيأتي بيان التوسل الممنوع في المبحث الآتي إن شاء الله صـــ ٢٥٠.

(3) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـــ٢٤.

(4) رواه البخاري (١٠١٠).

السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله يديه ثم قال: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا – ثلاثاً– قال أنس: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. قال أنس رضي الله عنه: والله ما رأينا الشمس سبتاً–أي أسبوعاً–قال أنس: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله قائم فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال أنس: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر. فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس)[1]، قال شريك[2] راوي الحديث: فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري. هذا مثال من أمثلة توسلهم برسول الرحمة في حياته –عليه الصلاة والسلام– وهناك مثال آخر: ما تضمنته قصة الأعمى المشهورة، وملخصها هكذا (وجاء رجل أعمى إلى رسول الله، فطلب منه أن يدعو الله له؛ ليرد الله عليه بصره، فخيره النبي ﷺ بين أن يصبر على عماه، وهو خير له، وبين أن يدعو الله له. فقال الأعمى: بل ادع الله فأمره النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يتوضأ فيصلي ركعتين، ثم يدعو بالألفاظ التالية: (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا رسول الله، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم شفعه فيَّ)[3] هذه قصة الأعمى: فأجاب الله دعوة نبيه، كما أجاب دعوة الصحابي المسكين، وحقق أمنيته فرد عليه بصره العزيز... وقد عرفنا كيف كانوا يتوسلون به عليه السلام يطلبون منه الدعاء، يطلبون منه أن يدعو الله لهم ليغيثهم، يطلبون منه فيدعو الله

---

(١) رواه البخاري (١٠١٤) ومسلم (٨٩٧).

(٢) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن سنان بن مالك النخعي، كان ورعاً زاهداً تولى قضاء الكوفة، توفي سنة ١٧٧هـ. انظر: السير ٨/٢٠٠.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجه (١٣٨٥) من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٧٩).

لهم ليرد الله بصر من فقد بصره ، والله على كل شيء قدير وحده لا شريك له ، ولكن النبي يدعو ويشفع وكذلك ورثته من العلماء والصالحين".

وأما الإطلاق الثاني فهو بمعنى ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال الشيخ رحمه الله :**"أي اطلبوا القرب منه، وإنما يكون ذلك بالإيمان بالله، وعدم الالتجاء إلى غيره فيما لا يقدر عليه غير المليك المقتدر، كرد البصر وإعطاء الولد وإنزال المطر. ويقول الحق جل وعلا في وصف عباده الصالحين الذين قد يعبدهم بعض الناس من دون الله:** ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ **فالآية الكريمة تقول لأولئك الغلاة الذين يصرفون خالص حق الله لعباد لله، تقول لهم الآية: إن هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله عباد أمثالكم، لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا يدفعون عن أنفسهم ضراً، فضلاً عن أن يفعلوا ذلك لغيرهم، بل هم يتقربون إلى الله ويرجون رحمته، ويخافون عذابه؛ لأن عذابه لا يأمنه إلا الخاسرون، وكان المفروض أن تتقربوا إلى الله الذي يتقرب إليه هؤلاء الصالحون؛ لأنكم عبيد مثلهم لله الواحد القهار"**[1].

وأما الإطلاق الثالث فاستدل له الشيخ رحمه الله بقصة أصحاب الغار[2] وهي معروفة وعظيمة والشاهد منها: ما ورد من توسل الرجل الأول ببره لوالديه، والثاني: توسل إلى الله بالعفة والخوف من الله وبصلة الرحم، والثالث: توسل إلى الله بحفظ الأمانة[3]، ثم قال الشيخ رحمه الله:**"فالقصة تحمل معنيين عظيمين:**

١- مشروعية التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة..

---

(١) تصحيح المفاهيم صـ٢٣.

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٢) ومسلم (٢٧٤٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) راجع: تصحيح المفاهيم صـ٢٤-٢٦.

٢- **فضل إخلاص العمل لله وحده؛ لأن الأعمال الثلاثة أو الأربعة التي شملتها القصة لو لم تكن خالصة لله لما تقبلها الله، ولما أجاب دعوة أصحابها عند الشدة"**(١) .

وبعد أن ختم الشيخ رحمه الله كلامه عن التوسل قال:" **هكذا يثبت بالاستقراء أن التوسل في الإسلام لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة، وأما دعاء الله بأسمائه الحسنى فيدخل في النوع الثالث، أو يعتبر نوعاً رابعاً والعلم عند الله**" ثم نصح جمهور المسلمين أن يتأملوا في المراد من هذه العبادة التي ضلت فيها أفهام وزلت فيها أقدام فقال: "**فعلى جمهور المسلمين أن يعيدوا النظر في ذلكم المفهوم الخاطئ الشائع بينهم في معنى التوسل، وليس هو من التوسل في شيء ، بل إن ذلك عبادة محضة وعليهم أن يدرسوا ما كان عليه سلفهم من الصحابة والتابعين في هذا الباب ونحوه ليفهموا فهمهم، ويتأسوا بهم في عملهم**"(٢).

الولاء والبراء:

الولاء والبراء نوعان من أنواع العبادة، وهما بمعنى الحب والبغض، قال الشيخ رحمه الله: "**وهذه المسألة هي مسألة الولاء والبراء، وهو أصل مهم جداً، وهو أن تحب في الله وتبغض في الله، وأن تحب لله وتحب من يحبه الله، وتحب ما يحب الله**"(٣)، ولا يتم إيمان العبد إلا بالولاء والبراء، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ فموالاة أهل الشرك وموادتهم تتنافى والإيمان، وليست من

---

(١) المصدر السابق صـ٢٦.

(٢) المصدر السابق صـ٢٦-٢٧.

(٣) الأصول الثلاثة صـ٣٧.

صفات المؤمنين[1]، قال عز وجل﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ولهذا تجد المؤمنين **بالنسبة للكفار هم غلاظ شداد يشتدون عليهم، لا يجاملونهم ولا يوالونهم ولا يحبونهم. كل ذلك؛ لأنهم أعداء الله، ومن أحب محبوباً يجب أن يكره من يكرهه، ويحب من يحبه. فالله سبحانه وتعالى يحب الإيمان وأهل الإيمان، ويحب الطاعة وأهل الطاعة؛ يجب عليك أن تحب الإيمان وأهل الإيمان والطاعة وأهلها، بهذا تكون وافقت مراد الله؛ (تحقيق التوحيد) أن يتحد مراد المحب مع مراد المحبوب، وإذا خالفت ذلك لم يتحقق التوحيد"**[2].

وأنبه في هذا المقام على مسألة التفريق بين التعامل والموالاة فقد سئل الشيخ عن ذلك فقال: "**التعامل والتعاون شيء، والولاء والمودة والحب شيء آخر فوق ذلك. يجب أن تفرق بين الأمْرَيْن أيها السائل؛ لئلا تقع في سوء ظن بأن ما وقع من باب الولاء والمودة"**[3]. وقال أيضاً: "**فرق بين الولاء والمعاملة فلك أن تعامل الكافر معاملة دنيوية تقرضه وتستقرض منه، لكن مع التحفظ الشديد –تحفظا قلبيا– فلا تحل محبته في قلبك؛ لأنه عدو الله، فكيف تحب الله وتحب عدو الله؟! لايجتمعان!! ولكن إن احتجت إلى معاملته في شؤون الدنيا فلك أن تعامل. نأخذ ذلك من واقع النبي ﷺ إذ يوجد في ذلك المجتمع المثالي يهود ومنافقون، والصحابة كانوا يعاملون المنافقين واليهود في دنياهم؛ يبيعون معهم ويشترون بدون ولاء، وكان في الغالب الكثير**

---

(١) راجع: شرح الأصول الثلاثة الشريط (١) و (ب) (الدمام).

(٢) شرح شروط لا إله إلا الله الشريط (٢) و (أ).

(٣) جواب على سؤال في محاضرة بعنوان: (تصحيح المفاهيم ومناقشة الآراء).

الصاغة والحدادون من اليهود والمنافقين، أو من غير العرب -كما تعلمون- كانوا يترفعون عن بعض المهن"(١).

وكما أنه ينبغي التفريق بين التعامل والموادة بشكل عام، فكذلك ينبغي التفريق بين معاملة الكفار أنفسهم، حيث إن الله لم يسو بين الكافر الحربي وغير الحربي، قال الشيخ رحمه الله :"**ولكن الذي يجب أن يفهمه الطلاب؛ الفرق بين المعاملة وبين الموالاة، فالمولاة هي المحبة القلبية، لا يجوز لك أن تحب الكافر وتوده، كائناً من كان؛ لأنه تحرم مودتهم ومحبتهم ونصرتهم، ولكن إذا كان غير حربي لا تحرم معاملتهم ومداراتهم ومجاملاتهم**"(٢). والأصل في هذه المسألة قول الله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

ثم أكد الشيخ رحمه الله ذلك فقال:"**يجب أن نفرق بين موقفنا، بين الكافر الحربي وبين الذمي، والذمي غير موجود اليوم، وبين المستأمن والمعاهد وصاحب الهدنة، هؤلاء كلهم يعاملون معاملة خاصة، ولكن كلهم على حدٍ سواء لا تجوز موادة ومحبة وموالاة الكفار، ولو كان أحد الوالدين أو كليهما لذلك علمنّا ربنا سبحانه وتعالى كيف نعامل الوالدين الكافرين قال تعالى:** ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ **إذا كان الوالدن لايطاعان إذا دعا الولد إلى الشرك وإلى الكفر وإلى معصية الله ورسوله، ولكن لا يمنع ذلك مصاحبتهما بالمعروف، ومصانعتهما والإحسان إليهما، ومن برهما لعل ذلك يكون سبباً لدخولهما الإسلام"**(٣).

---

(١) راجع: شرح قرة عيون الموحدين الشريط (٤) و (أ)، وراجع: إجابة الشيخ على سؤال حول هذا في الأسئلة التي وجهت إليه بعد محاضرة بعنوان (المستقبل لهذا الدين).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٣٩.

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـــ٤٠.

من صرف من العبادة شيئاً لغير الله فقد أشرك:

إن من المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن كل ما صح إطلاق مسمى العبادة عليه من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال، يجب صرفه لله تعالى وحده، ويحرم صرفه لغيره، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ وفي الحديث القدسي :(أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)[1] وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد أن ذكر جملة من أنواع العبادة:(فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر)[2] قال الشيخ محمد أمان موضحاً الكلام السابق:" **على التفصيل الذي تقدم بعد أن نفصل ما فيه التفصيل وبعد أن نتأكد بأن الحجة قامت عليهم وبأنهم شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الحق وقبل ذلك لابد من التريث في مسألة التكفير**"[3].

ويؤكد الشيخ حرمة التقرب إلى غير الله، بأي نوع من أنواع العبادة، وأن تبديل المفاهيم لا يغير من الحقائق شيئاً، قال رحمه الله: "**وقصد غير الله بهذه الأنواع وأمثالها وتوجيهها إلى غير الله، وعدم الاكتفاء به وبشرعه، يعني عبادة غير الله، وتسميتها بعد ذلك بأسماء غير العبادة: كمحبة الصالحين مثلاً بالنسبة لبعض الخصال لا يغير من جوهر الحقيقة شيئاً**"[4] .

وختام القول في هذا المقام أنبه إلى أن المقصود توضيح ما تيسر من جهود الشيخ رحمه الله في توضيح العبادة وتصحيحها والحرص على صفائها ونقائها، بل وغرسها في نفوس طلابه الذين أتوه من كل مكان، وقد بذل وسعه في كل ذلك؛ فقد كان شديد

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) انظر: الأصول الثلاثة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ١/١٨٨.

(٣) شرح الأصول الثلاثة الشريط (٢) و (أ) وأنبه أن هذا النقل غير موجود في المطبوع.

(٤) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـــ١٠.

الحرص على التمسك بالعقيدة الصحيحة، مخلصاً في الدعوة إليها، متفانياً في الدفاع عنها، لا يدع مناسبة تمر دون أن يبين مكانتها وأهميتها والتحذير من مخالفتها، حتى ختم الله له بتوصيتة العلماءَ وطلاب العلم والناس جميعاً بها(١)، فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عنا خير الجزاء.

هذا ونسأل الله التوفيق والسداد لما يحب ويرضى.

---

(١) سبق في ترجمته وصيته رحمه الله العلماء بالعقيدة.

المبحث الرابع

جهود الشيخ في توضيح ما ينافي توحيد العبادة

تمهيد

سبق توضيح جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله لنوعي التوحيد وما يتعلق به من مسائل، ويجدر هنا توضيح ما قرره الشيخ رحمه الله في ما يناقض ذلكم التوحيد، سواء ما يناقض أصله أو كماله، فقد قضى الشيخ غالب حياته في الدعوة للتوحيد والتحذير مما يشوبه أو يكدر صفوه، فالشيخ رحمه الله تبع في ذلك أهل العلم الناصحين الذين دعوا إلى حماية حمى التوحيد وجنابه، ومن تأمل دروس الشيخ ومحاضراته ورسائله، وجد الشيخ يدور حول هذا المقصد النبيل.

ولا غرابة في ذلك فهذا مسلك الأنبياء والرسل، فقد عظمت همتهم في تخليص الناس مما يفسد عقيدتهم، أو يكدر صفو توحيدهم، أو يكون سبباً أو ذريعة لذلك، فهذا الخليل عليه السلام يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ قال الشيخ رحمه الله: "**إذا لم يأمن الأنبياء وأصحاب الأنبياء من البلاء، فكيف نأمن نحن!!** [1] **ونحن من باب أولى، ولا يأمن الشرك ويترك الخوف من الشرك إلا من يجهل الشرك، وكثير جداً الذين يجهلون الشرك ويقعون في الشرك من حيث لا يعلمون، ويقولون: لا يوجد شرك اليوم**"[2].

ولهذا السبب وغيره اعتنى الشيخ رحمه الله عناية فائقة بتوضيح الشرك ومسائله، وتوضيح ما يكون ذريعة إليه، وبذلك تظهر جهود الشيخ في حمايته لجناب التوحيد وحماه؛ فإن الدعوة إلى التوحيد وبيان أهميته، والتحذير من الشرك وبيان سوء عاقبته ومآله، وتوضيح ما يكون ذريعة إلى نقض التوحيد أو نقص كماله، كل ذلك مؤكد على سلوك الشيخ مسلك الأنبياء في حفظ جناب التوحيد وحماه ووجوب العناية به.

---

(١) ورد مثل ذلك عن إبراهيم التيمي رحمه الله، انظر: تفسير ابن جرير ١٣/٦٨٧.

(٢) شرح كتاب التوحيد الشريط (٥) و (أ).

ولذلك فقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: جهوده فيما يتعلق بالشرك:

إن أعظم طاعة وعبادة عُبد الله تعالى بها وتُقرب بها إليه هي التوحيد، كذلك فإن أعظم ذنب عصي الله به على الإطلاق هو الشرك.

والشرك عند أهل اللغة له مدلولات عدة تدور حول: المخالطة، والمصاحبة، والنصيب، والتسوية، والكفر، وحبائل الشيطان، والشبكة، وغيرها[1].

وأما حقيقة الكلمة الشرعية فقد وضحها الشيخ محمد أمان رحمه الله بقوله :"**حقيقة الشرك منعه ــ سبحانه وتعالى ــ حقه، هذا المنع إما: بأنْ يصرف العبادة كلها لغير الله، أو يعبد مع الله غيره...فمنع الله حقّه يَتصوّر بصورتين:**

الصورة الأولى: أن يصرف العبادة لغير الله تعالى، ويترك الله ويُعرض عنه...

أو: يعبد مع الله غيرَ الله؛ فالله سبحانه وتعالى سوف يتركه وشركه . فمنع الرب سبحانه وتعالى حقه؛ هذا أظلم الظلم"[2] .

وبذلك يظهر الترابط الوثيق بين المعنيين اللغوي والشرعي؛ فالشرك يجعل غير الله مشاركاً له في حقه، فله نصيب مما هو مستحق لله تعالى، فهو سوى بين الله وبين من أشركه في حق الله، بمعنى أنه جعل من تأله من دون الله مقصوداً بشيء من العبادة، ولا يلزم أنه يساوي بين الرب جل جلاله ومن أشركه معه في القصد والتعبد، وهو حبائل الشيطان به يصيد أهله، وهو شبكة إبليس اللعين أدخل أهله فيها، ومن وجد منه هذا الشرك فليس بمسلم [3].

---

(١) انظر: معجم المقاييس ٢٦٥/٣ ، لسان العرب ٤٤٨/١٠-٤٥١، تاج العروس ٢٢٣/٢٧-٢٢٨، القاموس المحيط ٨٧٠.

(٢) شرح تجريد التوحيد الشريط (٧) و (ب).

(٣) انظر: الشرك وأنواعه صـــ٥٨ .

قال المقريزي:اعلم أنّ حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق[1]. قال الشيخ محمد أمان رحمه الله مقرراً كلام المقريزي:"**لو تتبّع أنواع الشرك وأنواع العبادات التي تُصرف لغير الله تعالى لا تخرج عن هاتين النقطتين: إما تشبيه الخالق بالمخلوق، أو تشبيه المخلوق بالخالق**"[2].

وقال أيضاً موضحاً هاتين النقطتين:"**تشبيه المخلوق بالخالق يقع فيه من يبالغون في المخلوق، ويعبدونهم كما يعبدون الله، ويعتقدون فيهم النفع والضر، وأن هذا المخلوق له سمعٌ كسمع الله، وقدرةٌ كقدرة الله، إلى آخره؛ هذا تشبيه المخلوق بالخالق يقع فيه كثيرٌ من العُبّاد الجهلة الذين يبالغون في الصالحين.**

النوع الثاني من التشبيه: تشبيه الخالق بالمخلوق؛ وهذا الذي يقع بعضُ علماء الكلام من المشبِّهة الذين يشبِّهون الخالق في ذاته، أو في صفاته، أو في أسمائه، أو في أفعاله بالمخلوق؛ إذا شبّهوا بالمخلوق قد عطّلوه عمّا يليق به من الكمالات"[3].

ويتضح لنا بذلك أن الشرك يقع في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

ومسك الختام في هذه المسألة هو أن أصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو: التعطيل وهو ثلاثة أقسام:

أحدُها: تعطيل المخلوق عن خالقه، أي: نفيُ الخالق، وإسناد المخلوق إلى غيره، أن غيره هو الذي خلق.

الثاني: تعطيل الخالق عن كماله الثابت له وذلك كنفي الصفات كلها عند المعتزلة[1]، ونفي الأسماء والصفات معـــًا عند الجهمية[2]، وتأويل كثيرٍ من الصفات تأويلاً يؤدِّي إلى التعطيل عند الأشاعرة[3] والماتريدية[4].

---

(١) تجريد التوحيد صـــ٦٢-٦٣ وانظر: الجواب الكافي صـــ٣١٣ .

(٢) شرح تجريد التوحيد الشريط (٦) و (ب).

(٣) المصدر السابق الشريط (٧) و (أ).

الثالث: تعطيل معاملته عمّا يجب على العبد من حقيقة التوحيد؛ بأن يشرك به غيره، فيصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ (٥).

أقسام الشرك:

تابع الشيخ محمد أمان رحمه الله كثيراً من أهل العلم في تقسيم الشرك إلى قسمين: فقال في رده على أحمد شلبي:"**فليعلم الدكتور أن الشرك ينقسم إلى قسمين: إذا أطلق في لسان الشارع؛ يعرف ذلك بدراسة السُنة دراسة فاحصة، والفقه في الدين...**

=

(١) المعتزلة: هي فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، سلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد، ورأسها واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد ، وجملة أصولهم التي استقروا عليها بعد تطور مذهبهم خمسة، وسيأتي بيان أكثر لهذه الفرقة في مبحث: (جهود الشيخ في الرد على المتكلمين). انظر: مقالات الإسلاميين صـ١٥٥-٢٧٨، الملل والنحل للشهرستاني صـ٢١.

(٢) الجهمية: طائفة من أهل البدع ينتسبون إلى الجهم بن صفوان، من بدعهم، القول بنفي الأسماء والصفات، وأن العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار، وأن الإيمان إنما هو المعرفة، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وغيرها وسيأتي بيان أكثر لهذه الفرقة في مبحث: (جهود الشيخ في الرد على المتكلمين).. انظر: مقالات الإسلاميين صـ٢٧٩، الفرق بين الفرق صـ٢١١، الملل والنحل للشهرستاني صـ٣٦.

(٣) الأشاعرة: طائفة من طوائف المتكلمين تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري في فترة انتسابه لابن كلاب؛ ولذا قد يطلق عليهم (الأشاعرة الكلابية)، وافقوا المعتزلة في بعض الأصول الكلامية، وتعطيل معظم الصفات، وسيأتي بيان أكثر لهذه الفرقة في مبحث: (جهود الشيخ في الرد على المتكلمين). انظر: الملل والنحل صـ ، مجموع الفتاوى ٧٢/٤.

(٤) الماتريدية: طائفة من طوائف أهل الكلام، ينتسبون إلى أبي منصور الماتريدي، وتعتبر ربيبة الكلابية، ويوافقون الأشاعرة في كثير من أصولهم. وسيأتي بيان أكثر لهذه الفرقة في مبحث: (جهود الشيخ في الرد على المتكلمين). انظر: الماتريدية دراسة وتقويماً للحربي.

(٥) انظر: الجواب الكافي صـ٢٩٩، وتجريد التوحيد صـ٦١ وراجع تعليق الشيخ على ذلك الشريط(٧) و (أ).

القسم الأول: شرك أكبر يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، وهو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله واتخاذ غيره نداً ومعبوداً معه؛ لأن ذلك يتنافى وكلمة التوحيد التي تحصر جميع العبادة لله وحده، وتحرم عبادة من سواه وما سواه؛ إذ معناها لا معبود بحق إلا الله؛ فمن عبد غير الله بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل – وما في هذه الأشياء من أنواع العبادة كالركوع والسجود والطواف – فقد أشرك مع الله شركا لا يغفر إلا بالتوبة التي هي الإقلاع والندم والعزم على عدم العودة؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

القسم الثاني: الشرك الأصغر، ويسمى في اصطلاح السلف شركا دون شرك، كما يقال: كفرٌ دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق... ومن أنواع الشرك الأصغر القَسم بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، ولولاك حصل كذا، وهذا النوع لا يخرج مرتكبه من الإسلام إلا أنه إثم كبير، يؤدي إلى الشرك الأكبر"[(١)].

ثم بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن الشرك الأصغر بريد الشرك الأكبر، خصوصاً إذا لحقته أمور خارجة عنه من التعظيم والإجلال، الذي لا يكون إلا لله، حيث قال:" **وقد ينتقل بعض أفراد هذه النوع من الشرك الأصغر إلى دائرة الشرك الأكبر؛ بأمور خارجة تطرأ أحياناً وتصاحب القول، كأن يصل تعظيم المحلوف به في قلب الحالف والخوف إلى حد تعظيم الموحد ربه وخالقه، أو أعظم من ذلك، وفي هذه الحالة ينتقل القسم بغير الله من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر؛ لأن من بلغ إلى هذه الحالة فقد خرب قلبه، وحقيقة الكفر هو خراب القلب، ويفقد تقدير الله حق قدره وتعظيمه والخوف منه، ويحل محل تعظيم الله تعظيم مخلوق؛ فنسأله تعالى العفو والعافية"[(١)].**

وقال أيضاً مقرراً حكم مرتكب نوعي الشرك:"**الشرك العظيم الفظيع الذي لا يُغفر هو الشرك الأكبر؛ والشرك الأصغر لا يدخُل في هذا العموم، لأننا نعلم أنّ من**

---

(١) ما هكذا يا سعد تورد الإبل، ضمن مجلة الجامعة الإسلامية السنة العدد (٣) صـــ١٧٧.

مات مرتكبـــاً للكبيرة أيـــًّا كان دون الشرك الأكبر ودون الكفر الصريح ولو دخل النار (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال أدنى أدنى أدنى ذرّة من إيمان)[١]. **الشرك الأصغر طالما أجمع أهل العلم أنه لا ينقل من الملّة إذًا لا يدخل في هذا الوعيد؛ لأنّ صاحب الشرك الأكبر الجنة عليه حرام، صاحب الشرك الأصغر الذي مات قبل أن يتوب من الشرك الأصغر لا يدخل في هذا العموم**"[٢]. وما قرره الشيخ رحمه الله من أن الشرك الأصغر لا يدخل في عموم الشرك الذي لا يغفر، كما في الآية هو أحد أقوال أهل العلم. والقول الثاني: أن الآية عامة في أن الله لا يغفر لمن أشرك به، ومات على ذلك، ولم تفرق بين الشرك الأكبر أو الأصغر، وأصحاب هذا القول لا يرون بتخليد صاحب الشرك الأصغر كحال الخوارج[٣] والمعتزلة، وإنما يقولون يعذب على قدر شركه الأصغر، ثم مآله إلى الجنة بإذن الله.

وحجة ما اختاره الشيخ قوية حيث إن الإجماع منعقد على عدم خروج صاحب الشرك الأصغر من الملة، وأنه غير داخل في قول المولى جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ ولا في قوله: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وعليه فكذلك أيضاً فلا يدخل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، وعلى كل فالخلاف في هذه المسألة يدل على خطر الشرك، سواء كان أكبر أو أصغر.

---

(١) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح (٢٥٩٨)، عن أبي سعيد رضي الله عنه وأصله في الصحيحين.

(٢) شرح تجريد التوحيد الشريط (٧) و (ب)

(٣) الخوارج: هي طائفة من أهل البدع تعد من أوائل الفرق ظهوراً، حذر منهم النبي ﷺ ومن فتنتهم، خرجوا على علي بن أبي طالب فقاتلهم، وهم فرق شتى يجمعهم القول بالتكفير لمن خالفهم، والخروج على أئمة الجور. انظر: مقالات الإسلاميين صـــ٨٦-..، والفرق بين الفرق صـــ٢٤، وسياتي (جهود الشيخ في الرد على الخوارج) في الباب الثالث.

ويبين الشيخ رحمه الله أهمية إدراك هذا التقسيم لما يترتب عليه من أحكام، فيقول:"**ومن لم يدرك هذه الأقسام فليس بفقيه ويكثر تخبطه ويلبس عليه الأمر دائماً، وقد يخرج من الإسلام من هو صحيح الإسلام، وقد يدخل في الإسلام من هو بعيد عن الإسلام، فتأمل المقام فإنه مهم جداً**"(١). وأما الشرك الخفي الذي ورد به النص فهو داخل في القسم الثاني.

وهناك تقسيم للشيخ رحمه الله للشرك باعتبار آخر، ذكره بعد أن ذكر تعريف ابن القيم رحمه الله للطاغوت وأنه: (كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله)(٢). قال الشيخ رحمه الله:"**ما أحسنه من تعريف شامل لأنواع الشرك؛ لأن حقيقة الشرك الذي هو محور الصراع بين الأمم والرسل هو عبادة غير الله مع الله، أو من دون الله، في أمرين متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر:**

الأمر الأول: شرك الإرادة والقصد.

الأمر الثاني: شرك الطاعة والاتباع. وهما داخلان في التعريف السابق للعلامة ابن القيم.

أما شرك الإرادة والقصد: فهو التوجه إلى غير الله، والالتجاء إليه، والتقرب إليه، في أية شعيرة من شعائر التعبد؛ من الصلاة والسجود وتقديم القرابين...وأشباه ذلك. وهذا الطاغوت الذي يتقرب إليه قد يكون وثناً، أو ضريحاً أو شجراً.

وأما شرك الطاعة والاتباع: فهو التمرد على رب العالمين، والخروج على شريعته، وعدم قبول حكمه وتحكيمه في الشؤون كلها أو بعضها؛ كأن يؤمن ببعض شرع الله وأحكامه مع الإعراض عن البعض الآخر ورفضه، كأن يأخذ من الإسلام الشعائر

(١) ما هكذا يا سعد تورد الإبل صـ١٧٧.

(٢) إعلام الموقعين ٩٢/٢.

المعروفة كالصلاة والزكاة والصيام مثلاً، ولكنه يرفض من الناحية الدستورية الأحكام الإسلامية ويقدم عليها أحكام الطاغوت"[١].

وعلاج هذين النوعين من الشرك يكون: بتحقيق ركني العبادة: بإخلاص الدين لله رب العالمين، وتجريد المتابعة لسيد الأولين والآخرين ﷺ. والحمد لله رب العالمين.

جهود الشيخ في التحذير من الشرك:

تكلم الشيخ رحمه الله كثيراً في بيان خطورة الشرك والتحذير منه، وبيان أضراره ومفاسده، ويجدر تلخيص شيء من ذلك في النقاط التالية:

١- أن الشرك أعظم الذنوب والمعاصي وأخطرها، قال الشيخ رحمه الله :"**الشرك أخطر شيء يعصى به العبد ربه؛ لأن وضع العبادة في غير موضعها تعدٍ على حقوق الله، حق الله العظيم الذي اعتنى به رسول الله ﷺ عندما أراد أن يعلم معاذاً قال له: أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله، أصدر تعليمه بهذا السؤال؛ لأهمية هذا الحق، ومن صرف هذا الحق ووضعه في غير موضعه قد ارتكب ظلماً ليس بعده ظلم**"[٢]. فأعظم الذنوب والمعاصي ظلماً وأبشعها جرماً، وأشدها انحرافاً، الشرك بالله كما أكد على ذلك الشيخ رحمه الله بقوله:"**لا يوجد، لا قتل النفس، ولا أيُّ كبيرة، أو أي موبقة من الموبقات والكبائر، لو تتبّعت لا يوجد ذنب يشبه هذا الذنب، وهو أعظم الظلم**"[٣]. وقال أيضاً:"**من تورط في الظلم المطلق التام، أي في الظلم الأكبر فقد الأمن المطلق التام، لم يبق لديه أي شيء من الأمن حيث يكون خالداً مخلداً في النار**"[٤] ؛ لذلك عده النبي ﷺ أول السبع المهلكات[٥].

---

(١)حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام صـــ ٣٧.

(٢) شرح كتاب التوحيد الشريط (٣) و (أ).

(٣) المصدر السابق الشريط (٦) و (ب).

(٤)المصدر السابق الشريط (٢) و (ب).

(٥) إشارة إلى حديث أبي هريرة (اجتنبوا السبع الموبقات) وسيأتي تاماً.

٢- ومما يدل على خطر الشرك وضرره: أن صاحبه عمله محبوط، فلا ينفع معه عمل ولا تقبل معه طاعة لمن مات عليه، قال الشيخ رحمه الله:**"والحق الذي خلقوا من أجله؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...فالله سبحانه وتعالى غني عن الشريك، ولا يقبل العمل الذي فيه الشركة"**(١) وهذا مصداق قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ وقوله جل جلاله في الحديث القدسي :(أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)(٢).

٣- أن الشرك بالله تعالى هو الديوان الذي لا يغفره الله أبداً لمن مات عليه، قال الشيخ رحمه الله:**"الله سبحانه وتعالى جعل على نفسه حقاً تفضلاً منه وإحساناً لعباده إذا أخلصوا له العبادة؛ جعل على نفسه حقا؛ أن لا يعذبهم بعذاب المشركين ولو وقعوا في بعض أنواع الظلم: كأن ظلموا أنفسهم، أو ظلموا بعض عباده ...هذا معنى قوله: (أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)(٣)..ولا ينفي هذا أن يكون عرضة للعذاب من ظلم نفسه، أو ظلم بعض عباده؛ لأن الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله أبداً، لمن مات عليه؛ وهو ديوان الشرك. وديوان لا يبالي به، وهو ظلم العبد نفسه بالمعاصي دون الشرك. وديوان لا يتركه أبدا، وهو ما يتعلق بحقوق العباد"**(٤).

٤- ومما يدل على خطر الشرك أن أهله أشد الناس خوفا، وأنكدهم عيشاً، وأضيقهم صدراً، وأحزنهم قلباً، قال الشيخ رحمه الله:**"والشرك كما مثّلنا، والضلال كما أشرنا من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحرافه، من علَّق قلبه بغير الله تعالى يخاف من هذا ويحذر من ذاك ويرجو زيدا ويخاف عمرا ويحلف بخالد، وهكذا ...من أُبتلي بهذا الداء أُصيب بأعظم أسباب ضيق الصدر والانحراف فإنه في حرج في ضيق؛ لأن محبته موزعة**

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

(٢) سبق عزوه صـــ٢١٩.

(٣) سبق عزوه صـــ١٦٦.

(٤) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢) و (ب).

وخوفه موزع واتباعه موزع، لم يوحّد اتجاهه في سيره إلى الله؛ لذلك فهو دائما في ضيق وفي حرج، نسأل الله لنا ولكم السلامة"[١].

٥- أن اتخاذ الند مع الله جل في علاه سوء ظن به، بل أسوأ الظن وأبشعه وأقبحه قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فيا شقوة من تحلى بهذا الظن السيء، قال تعالى: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[٢].

إذا تقرر ما سبق من بيان الشيخ رحمه الله عظم ضرر الشرك وخطره، فسأبين لمحة من توضيحه رحمه الله لما يسد طرق الوصول إليه؛ حمايةً لجناب التوحيد وحماه.

ومن أعظم الطرق الموصلة إلى الشرك الغلو، فهو من أعظم الأسباب خطراً وانتشاراً، وكثير من الأسباب الأخرى لها تعلق وثيق به، فمن تأمل أثر ابن عباس[٣] وجد دلالة الجهل وتزيين الشيطان والتصوير على ذلك ظاهرة جداً، وكل ذلك من أسباب الشرك وأثر من آثاره.

وحقيقة الغلو-كما قال الشيخ محمد أمان رحمه الله وغيره من أهل العلم-:"**الافراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد**"[٤]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله[٥] موضحاً ضابط الغلو:"وضابطه: بتعدي ما أمر الله به؛ وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿ وَلَا

(١) شرح فصل في انشراح الصدر من زاد المعاد الشريط (١) و (أ).

(٢) راجع: شرح تجريد التوحيد الشريط (٧) و (ب).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٤) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٤) و (ب).

(٥) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، أحد أئمة الدعوة، محدث فقيه، من مصنفاته: تيسير العزيز الحميد، الدلائل في عدم موالاة أهل الإشراك، توفي سنة ١٢٣٣هـ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون للبسام ٢/٢٤١.

﴿ تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي ﴾"[1]. وقد نهى الله جل في علاه عن الغلو بجميع أشكاله وصوره، سواء في الاعتقادات أو في الأعمال، فقال في محكم التتريل: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾

قال الشيخ رحمه الله:"**وإن كان الخطاب موجه لأهل الكتاب، ولكن الحكم عام فيهم وفينا يتناول جميع الأمة**". وقال ﷺ: (هلك المتنطعون قالها ثلاثاً)[2] قال النووي رحمه الله: أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[3]. قال الشيخ رحمه الله:"**ومن التنطع المبالغة في المخلوق ورفعه من مرتبته إلى مرتبة الله تعالى**"[4].

فتبين بذلك أن الغلو كله مذموم، سواء كان في الصالحين، أو الطالحين، في الأحياء أو في الأموات، كيف لا وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو فيه، فقال: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله)[5] والمراد من الحديث كما ذكر الشيخ رحمه الله: لا تبالغوا في مدحي؛ ليبعد الناس عن التعلق بالعبيد، والتعلق بخالقهم، فحمايته حمى التوحيد ظاهر لا يخفى[6].

ومما ورد في حماية المصطفى حمى التوحيد ما ذكره عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: (انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا أنت سيدنا. فقال: (السيد الله تبارك وتعالى). قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فقال: (قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا

---

(١) تيسير العزيز الحميد صـ ٣٠٥.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) المنهاج ١٦/٢٢٠.

(٤) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٤) و (ب).

(٥) رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٦) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (١٤) و (ب).

يستجرينكم الشيطان)[1]، ومع أنه ﷺ سيد ولد آدم ولا فخر، فقد منع هذه الألفاظ التي كانت من باب الإطراء؛ خشية المبالغة فيه. "**فكان رسول الله ﷺ كل حرصه أن يصرف الناس إلى الله، وأن لا ينصرفوا عن الله، وأن لا يلتفتوا إلى غير الله في باب العبادة بالتذلل والخضوع، وإن كانت محبة الصالحين من الإيمان، لكن هناك فرق بين الحب في الله وبين الحب مع الله**"[2]. وبهذا يتم الكلام عن مبحث الشرك وما يتعلق به من مسائل، والله أعلم وبالله التوفيق.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٨) وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٢) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (١٥) و (أ).

المطلب الثاني: جهوده في بيان ما ينافي حقيقة التوحيد من الأفعال:

أولاً: السحر:

السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه، لذا علماء اللغة يقولون السين والراء تدل على الخفاء والسرية؛ لذا يقال: السر والجهر، ويقال: للوقت الذي في آخر الليل وقت السحر، ويقال: للطعام الذي يتناول في ذلك الوقت سحور، هذه المعاني كلها فيها معنى الخفاء، وعمل الساحر يقع في خفية ويؤثر بإذن الله تعالى في المسحور، وحقيقته وواقعه أنه نوع من الأمراض[(١)].

أما السحر في الشرع: فهو عزائم ورقى وعقد، تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه[(٢)].

قال الشيخ رحمه الله:"**يؤثر السحر بإذن الله تعالى في الأبدان، وربما يسبب الموت...ويسبب له المرض، ويسبب التفريق بين المرأة وزوجها، كل ذلك يقع، وهذا التأثير إنما يقع بإذن الله تعالى، كما يؤثر الصداع في الإنسان ...لكل مرض سبب وسبب هذا المرض فعل هذا الساحر، كما أن العين تؤثر بإذن الله تعالى ولها تأثير؛ لذلك هذه من الأمور البدهية التي إنكارها يُكذِّب المنكِر لو كان ينصف**"[(٣)].

حكم تعلم السحر والعمل به:

لقد دل الكتاب العزيز والسنة المطهرة على تحريم تعلم السحر والعمل به، وأن صاحبه على شفا هلكة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

---

(١) راجع: المصدر السابق الشريط (١٧) و (أ).

(٢) تعريف ابن قدامة وهو من أجود التعاريف. انظر: الكافي ٤/٦٤.

(٣) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٧) و (أ).

مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾

ويقول ﷺ (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ) . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ قَالَ: (الشرك بِاللَّهِ، والسحْرِ، وقَتل النَّفْسِ التي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وَأَكْل الربا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، والتولي يومَ الزحف، وقَذف المحصَنات المؤمِنات الغافلات)[1].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**السحر عند كثير من أهل العلم لا يتعلم إلا بالكفر؛ لذلك الساحر يعتبر كافراً بتعلمه ثم بفعله، فالآية تدل على تحريم السحر فهو محرم في جميع الأديان، جميع أديان الرسل ليس في الملة المحمدية فقط** ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾"[2].

وعليه فقول جمهور أهل العلم من أصحاب المذاهب بتكفير الساحر مطلقاً، وأنه خارج من الملة[3] .أما الشافعية فيقولون لابد من التفصيل فإن من السحر ما هو كفر، ومنه ما هو كبيرة وفاعله عاصٍ[4] .

وبالتأمل في القولين فليس بينهما كبير فرق، فالقولان متفقان على تكفير من استباح السحر، واستعمله تقرباً للشياطين[5] ، فالمانعون مطلقاً نظروا إلى السحر بمعناه الشرعي، والذين فصلوا نظروا إلى المعنى اللغوي، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: "وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف؛ فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفراً، في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾... وأما سحر الأدوية والتدخين

(١) رواه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩).

(٢) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٧) و (أ) وانظر فتح المجيد صـــ٢٩٥.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ٣٠٢/١٢ حاشية ابن عابدين ٢٤٠/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٧٤/٢.

(٥) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (١٧) و (أ).

ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحراً؛ فعلى سبيل المجاز، كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً، ولكنه يكون حراماً؛ لمضرته يعزر من يفعله تعزيراً بليغاً"[(١)].

حقيقة سحر النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحِر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان[(٢)]: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا. فقال: (يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم، رجل من بني زريق حليف ليهود، كان منافقاً. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة. قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر، تحت رعوفة، في بئر ذروان). قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال: (هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رءوس الشياطين). قال فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ -أي تنشرت- فقال: (أما والله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً)[(٣)]. قال الشيخ رحمه الله في بيان حقيقة السحر الذي حصل لرسول الله ﷺ :"**يخيل إليه أنه يفعل شيئاً أي قادر على أن يفعل شيئاً، وإذا أراد أن يفعل يعجز من فعل ذلك؛ لأن السحر أثر في بدنه وفي قواه هذه هي الحقيقة التي وقعت لرسول الله ﷺ**"[(٤)].

وتأثر النبي ﷺ بالسحر لا يؤثر في مكانة الرسالة، ولا يحول بينه وبين تبليغها؛ لأنه إنما أثر بجسمه وجوارحه، فهو من جنس ما كان يعتريه ﷺ من الأمراض والأوجاع، كالحمى والصداع والسم، لا فرق بينهما؛ ويدل لذلك قوله ﷺ في الحديث السابق: (أما

---

(١) تيسير العزيز الحميد صـ ٣٨٤.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون، إمام كبير حافظ عصره، انتهى إليه علو الإسناد، توفي سنة ١٩٨هـ. انظر: السير ٤٥٤/٨، شذرات الذهب ٣٥٤/١.

(٣) رواه البخاري (٥٧٦٥) ومسلم (٢١٨٩).

(٤) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٧) و (أ).

والله فقد شفاني) وفي لفظ (عافاني) فهو مرض شافاه الله وعافاه منه[١]. قال القاضي عياض رحمه الله:"وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل، يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان"[٢].

وقد رد الشيخ رحمه الله على المنكرين للسحر الذي أصيب به النبي ﷺ حيث زعموا أن ذلك نقص وعيب في حقه عليه السلام، وينافي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وكذلك هو مما يصدق قول المشركين ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ ، ثم إن الحديث الوارد في ذلك آحاد، فلا يؤخذ به في باب العقائد.

ويحسن إجمال رد الشيخ رحمه الله على هذه الشبه بالنقاط التالية[٣]:

١- ينبغي أن يفهم جيداً حقيقة السحر الذي سحر به النبي ﷺ، حيث إنه لما سحر أحس بألم وعجز عن فعل أشياء وشعور بأنه يفعل الشيء ولا يفعله، فدعا الله عز وجل كثيراً، ثم أخبر عائشة رضي الله عنها أنه استفتى الله فأفتاه الله له، وقد سبق تفصيل ذلك.

٢- أن النصوص إذا ثبتت يجب الأخذ بها، حيث لا يمكن تعارضها؛ لأنها كلها من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ وعلى ذلك فلا يجوز

---

(١) راجع: شرح تجريد التوحيد الشريط (٢) و (ب).

(٢) الشفا ٢/١٨١ .

(٣) راجع: شرح الشيخ لكتاب التوحيد الشريط (١٧) و (أ)، شرح تجريد التوحيد الشريط (٢) و (ب).

التفريق بين ما ثبت في الكتاب أو السنة، أو التفريق بين الآحاد والمتواتر من حيث العمل(١)، وعليه فما ورد من إثبات عصمته لا ينافي تأثره ﷺ بالسحر يوضحه.

٣- أنه قد قام دليل النقل وبرهان المعجزة على صدقه وعصمة الله له من الغلط فيما يبلغه بقوله وفعله، فلا منافاة بين قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وبين حديث عائشة ﵂؛ لأن سياق الآية يدل على معنى هذه العصمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي يمنعك من الناس حتى لا يحولوا بينك وبين التبليغ، ومهما فعلوا ما فعلوا لن يستطيعوا أن يمنعوك من التبليغ. وليس في ذلك إشارة إلى أن النبي ﷺ لا يعتريه شيء من الأمراض والأسقام، وقد سبق أن السحر مرض، ولكل مرض سبب وسبب هذا المرض فعل هذا الساحر، وإصابته ﷺ بالسحر كإصابته بالسم وسائر الأعراض البشرية التي لا تحول بينه وبين التبليغ ولا تنفر الناس منه، فكان السحر في ظاهر جسده وجوارحه لا في قلبه وعقله.

٤- إذا تقرر ما سبق من كيفية السحر الذي حصل للنبي ﷺ، وأنه في جسده وجوارحه لا في قلبه وعقله، وأنه في أمور دنياه لا في أمور الدين، فقول من احتج بأن ذلك مصدق لقول المشركين الظالمين ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا﴾ باطل غاية البطلان؛ وذلك أن المشركين لا يريدون بقولهم إثبات ما ورد في الحديث من أن النبي ﷺ سحر وقتاً ما، وناله بعض التغير في بعض شؤون دنياه وشافاه الله، وحفظ وحيه ودينه من أن يصل إليه شيء من ذلك التغير، وإنما يريدون شيئاً آخر؛ وهو أن الرسول ﷺ قد اختلط عليه عقله، والتبس عليه أمره فيما يدعيه من أمر النبوة، والوحي كله ناشئ عن السحر والجنون، وكل ذلك من أجل تنفير الناس عنه وصدهم عن اتباعه ، وحصل ذلك

---

(١) وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة في مبحث قواعد الأسماء والصفات صـــ ٣٤٢ إن شاء الله تعالى.

منهم في بداية الدعوة فالآية مكية، فليس مراد الآية ما جاء في الحديث، حيث حصل له ذلك بالمدينة والله أعلم[١].

ثانياً: التمائم

التمائم: هي العوذ التي تعلق لدفع ضر أو لجلب منفعة، سواء كانت عظاما أو عيدانا أو قراطيس تكتب فيها بعض الألفاظ العجمية مثل كركدن، جلجلوت، وتكتب طلاسم على شكل النجم وتربط بخيط وتلف، وتعلق على الصبيان غالباً[٢].

حكم تعليقها:

جاءت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن تعليق التمائم عن أبي بشير الأنصاري ﷺ: أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره -قال عبد الله حسبت أنه قال:- والناس في مبيتهم- فأرسل رسول الله ﷺ رسولاً: (أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة، إلا قطعت)[٣]. وقال ﷺ: (من تعلق تميمة فقد أشرك)[٤]، والكلام على حكم تعليق التمائم ينبغي أن ينظر إليه باعتبارين:

الاعتبار الأول: بالنظر إلى حال التميمة المعلقة وما تضمنته، فهي إن كانت مشتملة على الاستغاثة بالشياطين، أو أمور أخرى محرمة، فلا شك في تحريمها، وأما إن كان المعلق شيئاً من القرآن فالاختلاف واقع بين السلف، فبعضهم أجازه والبعض منعه، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**التمائم ليس فيها تفصيل، إلا ما كان من القرآن فيه خلاف بين**

(١) انظر: بدائع الفوائد ٧٤٣/٢ ، أضواء البيان ٥٨٦/٤.

(٢) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (٧) و (ب).

(٣) رواه البخاري (٣٠٠٥) ومسلم (٢١١٥).

(٤) رواه أحمد (١٧٤٢٢) وصححه الألباني الصحيحة (٤٩٢).

السلف[١] **وما لم يكن من القرآن ليس فيه تفصيل، جميع التمائم سواء**"[٢]. أي في منعها كلها.

الاعتبار الثاني: بالنظر إلى حال معلقها، فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يرى: أن المعلِق إن اعتقد أن ما يعلق له تأثير بذاته، فهذا من قبيل الشرك الأكبر، وإن اعتقد أنه سبب من الأسباب، فيعتبر ذريعة من ذرائع الشرك الأكبر، وهو من قبيل الشرك الأصغر. وأكد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القضية بقوله:"**وهكذا يقال في جميع الأسباب غير المشروعة التي يعملها بعض الناس، إن اعتمدوا على ذلك السبب، واعتبروا إن السبب نفسه له تأثير ...(بنفسه)يكون من الشرك الأكبر، وإن اعتقد أنها سبب يكون من الشرك الأصغر**"[٢].

وقرر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن تعليق هذه الأشياء، مما ينافي التوكل قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**وهذه الأشياء حيث إنها تتنافى مع التوكل، هي من وسائل الشرك، إن وقفت إلى الحد الذي وصفنا، أو هي نفسها من الشرك الأكبر، إن حصل فيها ذلك الاعتقاد**"[٣]. وهذا ما دل عليه قول المولى جل وعز: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ

---

(١) وهذا الخلاف حصل من بعض التابعين ونسب إلى عائشة وعبد الله بن عمرو، وفي النسبة إليهما نظر، والراجح في المسألة والله أعلم عدم جواز تعليق التمائم من القرآن؛ وذلك لأمور:

١- عموم النهي في ذلك ولا مخصص لهذا العموم .

٢- أن المنع من باب سد الذرائع فإن تعليقها يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك.

٣- أن تعليقها عرضة لامتهانها خصوصاً إذا كان من الأطفال.

٤- أنه لم يحصل خلاف بين الصحابة في ذلك، وما ورد عنهم إما صحيح غير صريح أو صريح غير صحيح.والله أعلم. انظر: معارج القبول ٣٨٢/١، المفيد في مهمات التوحيد لعبد القادر عطا صـ ١٤٣.

(٢) شرح كتاب التوحيد الشريط (٧) و(ب).

(٣) راجع: المصدر السابق.

رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ فيتضح بذلك أن الالتفات إلى هذه الأشياء من الشرك، ويتنافى مع التوكل؛ لأن الآية فيها حصر التوكل على الله وحده، حيث قدم المعمول على عامله، ومن ترك هذا المعنى فقد التوكل، وفقد التوكل شرك(١).

ثالثاً: الرقى:

الرقى جمع رقية وهي العوذ المنفوث عليها(٢).

حكمها: قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**الرقية من حيث هي جائزة ما لم تكن شركاً، ولكن أنفعها وأشفاها وأولاها ما كان من عين أو حمة**"(٣). ويدل لذلك قوله ﷺ: (لا رقية إلا من عين أو حمة)(٤)، قال الشيخ رحمه الله:"**ولا يفهم من الحديث أنه لا يجوز استعمال الرقى في غير العين والحمة ، فإنه ﷺ قد رَقَى ورُقِي، رقاه جبريل عليه السلام من السحر، ورقى ﷺ؛ لذلك اعتقاد ما سبق خطأ، بل يجوز في جميع الأمراض، ولكنها أفضل وأشفى وأنفع بإذن الله، من عين أو حمة**"(٥). إذا تقرر ما سبق فلا منافاة بين ذلك، وما ورد من قوله ﷺ (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)(٦)؛ لأن النهى محمول على الرقى الشركية، ويؤكد هذه الحقيقة ما ثبت عند مسلم من قوله ﷺ: (أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)(٧).

---

(١) راجع: المصدر السابق.

(٢) انظر: لسان العرب ١٤/٣٣٢ ، القاموس المحيط صـــ١١٨٥.

(٣) شرح كتاب التوحيد الشريط (٣) و (أ)، وكذلك الشريط (٨) و (ب).

(٤) انظر: حديث السبعين ألف الذي رواه البخاري (٥٧٠٤) ومسلم (٢٢٠).

(٥) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (٨) و (ب).

(٦) رواه أبو داود (٣٨٨٣) وابن ماجه (٣٥٣٠) وصححه الألباني الصحيحة (٣٣١).

(٧) رواه مسلم (٢٢٠٠).

ولما كانت الرقى سبباً مشروعاً، ولكن فيه نوع اعتماد على الغير، حض الشارع على تركه والاعتماد على الله وحده، قرر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك في تعليقه على حديث السبعين ألف بقوله:"**هؤلاء كمل المؤمنين الذين وصلوا إلى درجة كمال التوكل، من كمال توكلهم واعتمادهم على الله (لا يسترقون) إذا احتاجوا للرقية؛ لمرض لا يطلبون من يرقيهم، ولا يكتوون ولو احتاجوا للاستشفاء بالكي لا يطلبون من يكويهم، هذان السببان جائزان لكن من كمال التوكل تركهما...طلب الرقية وطلب الكي لا ينفي التوكل من الأساس، ولكن ينفي كمال التوكل؛ لأن فيه معنى الطلب والاستعطاف والالتفات إلى غير الله؛ لذلك يفرق بين الراقي والمسترقي**"[(١)].

رابعاً: اتخاذ القبور مساجد:

لاشك أن اتخاذ القبور مساجد مما جاءت الأحاديث الصحيحة بالنهي عنه، والتحذير منه، وهو مما ينافي التوحيد ويقدح فيه، وقد وضح الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ المراد بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد بقوله :"**يصلي فيها، يصلي عندها، يعتقد أن الصلاة عندها، وأن العبادة عندها، وأن الدعاء عندها مستجاب، هذا معتقد جمهور المسلمين اليوم، إلا من شاء الله: يعتقدون أن المساجد التي فيها قبور الصالحين الصلاة فيها أفضل، وأنها مقبولة والدعاء عندهم مستجاب، وقراءة القرآن – وخصوصـــاً قراءة سورة (يس)– هكذا زيّن لهم الشيطان**" وقال أيضاً :"**اتخاذ القبر مسجداً ليس بلازم، أن يبنى عليه مسجد، أو بناء، بل إذا اتخذ موقعاً للصلاة يقصد للصلاة عنده، اُتخذ مسجداً، كما يفعل من عجز عن البناء على صالحيهم ، في زعمهم..أضعف الإيمان!!**"[(٢)].

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (٣) و (أ).

(٢) المصدر السابق الشريط (١٥) و (أ).

ولاشك في حرمة جميع تلك الأفعال التي اتخذها الناس عند قبور صالحيهم؛ لقول المصطفى ﷺ: (لعن الله اليهود والنصارى، اتّخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، يحذِّر ما صنعوا)[1]. قال الشيخ رحمه الله في معلقاً على هذا الحديث:"**لاحظوا لعنهم، لكونهم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد محل للصلاة، المسجد محلٌّ للصلاة، لم يعبدوها، ولكن اتّخذوها مساجد، يقصدون الصلاة فيها، وعندها تبرُّكـاً ورجاء أنْ تُقبل صلاتهم**"[2] ومع ذلك لُعِنوا، فكيف بمن صرف لتلك القبور نوعاً من أنواع العبادة!!.

ومما ورد في ذلك حديث جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)[3]. قال الشيخ رحمه الله معلقاً على هذا الحديث:"**(فلا تتخذوا القبور) جميع القبور (مساجد) أي: لا تقصدوا أي قبر من القبور بالصلاة عنده. (فإني أنهاكم عن ذلك) وهل هناك شيء أصرح من هذا في النهي وفي التشديد والوعيد الشديد؟! فقد نهى عنه في آخر حياته عليه الصلاة والسلام بذلك أقام الحجة على العباد لله تعالى وبلغ ونصح**"[4].

وكذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: (إنّ من شرار الناس: من تُدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتّخذون القبور مساجد)[5]. قال الشيخ رحمه الله معلقاً: "**محل الشاهد من الحديث، الذين يتّخذون القبور مساجد من شِرار الخلق، كما أنّ الذين تُدركهم الساعة وهم أحياء من شرار الخلق، انظروا إلى هذا التشبيه، أمرٌ خطير:**

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٣١).

(٢) شرح تجريد التوحيد الشريط (٤) و (ب).

(٣) رواه مسلم (٥٣٢).

(٤) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٥) و (أ).

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٨٤٧) وصححه الألباني، انظر تحذير الساجد (١٢).

اتّخاذ القبور مساجد، وهُجران البيوت، وعدم الصلاة فيها، وهُجران المساجد التي لا قُبور فيها"[١].

وأنبه إلى أنه يدخل في النهي جميع الوسائل التي تؤول إلى الغلو في القبور وأهلها، كشد الرحال لزيارة قبر من القبور، أو اعتياد زيارتها؛ كمن يتخذ قبر النبي ﷺ عيداً[٢]،

---

(١) شرح تجريد التوحيد الشريط (٤) و (ب).

(٢) وقد سئل الشيخ رحمه الله عن حكم التردد إلى قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد كل صلاة؟ فقال:"**هذه بدعة جديدة تجددت في الآونة الأخيرة لا يعرفها المسلمون الأولون في هذا المسجد ، عاش قبلنا في هذا المسجد أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام والتابعون وتابعو التابعين وأئمة المسلمين ما كان يعرف أبدا في تاريخهم أن الإنسان كلما يصلي يذهب إلى القبر ليسلم، إنما من عادقم يسلم المصلي عند دخوله المسجد يقول " بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله " على خلاف بين أهل العلم في ثبوت الصلاة إن شاء الله أنها زيادة ثابتة، وفي صلاته يصلي على النبي عليه الصلاة والسلام وعند خروجه من المسجد يصلي على النبي عليه الصلاة والسلام وفي الدروس يصلون على النبي عليه الصلاة والسلام أما كونك تتخذ عادة بعد كل صلاة لا بد أن تذهب إلى الواجهة لتسلم عادة جديدة وبدعة منكرة وخصوصا عندما يسبب هذا الوضع تجمع الناس أمام القبر ورفع الصوت والزحام وسوء الأدب لأن الذين يتجمعون في الواجهة ويرفعون أصواتهم وربما استأجروا من يدعو لهم بأعلى صوته هذا يدعو لطائفة وذاك يدعو لطائفة ، يكون الموقف كأنهم نسوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكيف لو تصور المسلِّم أنه يسلِّم على نبي كريم عليه الصلاة والسلام إذا سلم عليه المسلِّم رد الله عليه روحه ليرد السلام على من سلم عليه ، والمسلِّم لا يسمع ، ينبغي أن يشعر هذا الشعور من يذهب ليسلم على النبي عليه الصلاة والسلام ليبتعد عن الزحام وعن أخذ من يدعو له أو يأخذ نسخة يقرؤها هناك، ما الداعي لقراءة النسخة، هل يجهل مسلم ما ولو كان أعجميا يجهل أن يقول الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ؟ لا أحد يجهل ، هذا هو السلام الشرعي أن تقف أمام القبر متجها إلى القبر وتقف وقفة عادية لا وقفة المصلي تقف وقفة عادية لكن بأدب واحترام تسلم على النبي عليه الصلاة والسلام لك أن تكرر ما شئت أن تكرر بدون أن ترفع الصوت ودون أن تؤذي أحد ثم تسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وانتهى السلام،**

فإن ذلك من الوسائل التي تؤول إلى الغلو بالقبور واتخاذها مساجد، وكذا الغلو بأصحابها، وكل ذلك ممنوع في شريعتنا الغراء. وهذا التنبيه يجرنا للكلام عن بيان أنواع الزيارة عند الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حيث يقول مبينا أقسام الناس في زيارة القبور: وأن "**الزيارات انقسمتْ إلى ثلاثة:**

١- زيارة الموتى فالدعاء لهم؛ هذه الزيارة الشرعية .

٢- زيارة الموتى والدعاء بهم؛ هذه زيارة شركية في المحبة و الألوهية.

٣- فزيارة الموتى ودعوتهم مباشرةً هذا أكفر من الذي قبله، أشدُّ كفرًا.

وهل نتصوّر زيارة بدعية لا تصل إلى حدِّ الشرك؟ نعم: كالذين يزورون الموتى فيقرءون القرآن هناك، وربما تمسّحوا بالحجر أو بالحديد، ولكن لم يدعوا الموتى ولم يدعوا بالموتى، لم يدعوهم ولم يدعوا بهم، إلا أنهم عملوا أعمالاً غير مشروعة هناك، كالصلاة هناك لا إلى القبر لكن بجوار القبر يصلون بدعوى بأن الصلاة هناك مقبولة، أو: يقيمون هناك إقامة طويلة كالذين يقيمون ساعة أو ساعتين عند الأضرحة؛ بقصد التبرُّك، أو يقرءون القرآن هناك؛ هذه زيارة بِدعية، لأنهم عملوا فيها أعمالاً بِدعية"(١). وهذه الأعمال وسائل محرمة تؤول إلى الشرك والعياذ بالله.

=

الوقوف هناك للدعاء بدعة ، واعتقاد أن هناك مكانا معينا تجاب فيه الدعوة .. ممنوع ، بل الذي يحترم رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا سلم عليه وعلى صاحبيه ينصرف حالا إلى أي مكان شاء، وإذا كان لا بد من التعبد في هذا المسجد أدخل الروضة واختر المسجد القديم ، إن ضاق بك المسجد القديم اختر أي مكان في هذا المسجد الوسيع لأنه على الصحيح إن شاء الله كلما زيد في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو من مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، هذا هو الذي ننصح به"ا.هـ راجع جواب الشيخ على أسئلة بعد شرح التدمرية الشريط (١٥) و (ب).

(١) شرح تجريد التوحيد الشريط (٥) و (أ).

وأختم الكلام بالتأكيد على أن جميع الوسائل التي تؤول إلى الغلو في القبور وأهلها، وإسراجها، والبناء فوقها، والكتابة عليها، والقراءة عندها محرمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"ويحرم الإسراج على القبور، واتخاذ المساجد عليها وبينها، ويتعين إزالتها، ولا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين"[١].

المطلب الثالث : جهوده في بيان ما ينافي حقيقة التوحيد من الأقوال:

أولاً: الحلف بغير الله:

الحلف بالله تعالى تعظيم له سبحانه وتعالى، وكما قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الحالف إنما حلف بالمحلوف به؛ لتعظيمه إيّاه، يعظِّمه، ويخافه، ويرجوه، وفي ذلك تشبيه؛ لذلك سبق أن قلنا –غير مرّة–: إن الحلف بغير الله وإن كان في الأصل من الشرك الأصغر، لكنه قد يرتفع إلى درجة الشرك الأكبر، بما يقوم بقلب الحالف من تعظيم المحلوف به، والغلو في تعظيمه ومحبته والخوف منه، حتى يخاف أنه لو حنث ربما يضره ضررًا سريـــًّا، إذا وصل إلى هذه الدرجة خرج من كون الشرك الأصغر، وانتقل إلى درجة الشرك الأكبر"**[٢].

وقد تظافرت النصوص على تحريم الحلف بغير الله، ومن الأحاديث التي استدل بها الشيخ على نهى رسول ﷺ عن الحلف بغير اللّه منها:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:(إن اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)[٣].

---

(١) الفتاوى الكبرى ٣٥٩/٥ .

(٢) شرح تجريد التوحيد الشريط (٧) و (أ).

(٣) رواه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال ابن عمر، لا تحلف بغير الله فإني سمعت رسول اللّه عليه الصلاة والسلام يقول: (من حلف بغير اللّه فقد كفر أو أشرك)[1].

وعن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه قال:(لأن أحلف باللّه كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغير اللّه صادقا)[2].

وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:(من حلف بالأمانة فليس منا)[3]، ثم قال الشيخ بعد أن سرد هذه الأحاديث :"**وهذه الأحاديث كما ترى صريحة الدلالة في عدم جواز القسم بغير الله، وأما حديث ابن عمر فصريح الدلالة على أن القسم بغير اللّه شرك**"[4].

وعلى ذلك فمن حلف بغير الله فهو بين أمرين قبيحين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ وبيانه ما سبق ويوضح الشيخ ذلك فيقول :"**الحلف بغير الله في الأصل من الشرك الأصغر، ولكن قد تصحب هذا الحلف بعض المعاني التي تجعل الحلف بغير الله تعالى من الشرك الأكبر**"[5]. وقال أيضاً:" **الحلف بغير الله من أنواع الشرك الأصغر الذي لا يخرج مرتكبه عن الملة إلا بضميمة معان أخرى، ويطلق عليه أهل العلم**

(١) رواه أبو داود (٣٢٥١) الترمذي (٣٥١٥) وحسنه وصححه الألباني،انظر: الصحيحة (٢٠٤٢).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨٨١٠) موقوفاً، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٥٣) رواته رواة الصحيح. وقال الألباني: صحيح موقوف. قال شيخ الإسلام رحمه الله تعليقا على هذا الأثر: "وذلك لأن الحلف بغير الله شرك والشرك أعظم من الكذب" الفتاوى ١/٢٠٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٩٨٠) وأبو داود (٣٢٥٣) وصحح إسناده محققوا المسند.

(٤) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٧٠.

(٥) شرح تجريد التوحيد الشريط (٥) و (ب).

والفقه في الدين شرك دون شرك، كما يقال كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.."(١) .

ثانياً: قول (ما شاء الله وشئت) ونحوها من الأقوال التي تفيد التشريك:

لقد حمى المصطفى ﷺ حمى التوحيد، حتى من الألفاظ التي قد تفيد نوعاً من تشريك المخلوق مع الخالق، فنُهي عن ذلك؛ خشية أن تتعلق النفوس بغير الله تعالى فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال له النبي ﷺ: (أجعلتني والله عدلاً، بل ما شاء الله وحده)(٢) قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**وجه الإنكار: العطف بالواو: (ما شاء الله وشئتَ)؛ لأن (الواو) لمطلَق الجمع تقتضي أن تكون مشيئة النبي عليه الصلاة والسلام كمشيئة الله، لكن لو عطف بـــ(ثم): (ما شاء الله ثم شئتَ) لا بأس؛ لأنه أخّر مشيئة العبد، وجعلها تابعةً لمشيئة الله تعالى:** ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ "(٣).

وقد نبه الشيخ رحمه الله على أن هناك ألفاظاً من هذا القبيل، أو أشد، ينبغي الحذر منها، حيث توقع الناس في الشرك القولي، وهم لا يشعرون قال الشيخ رحمه الله:"**وهناك ألفاظ من هذا القبيل إذا لم تكن أشد ومنها (أنا حسب الله وحسبك)، و (ومالي إلا الله وأنت)، و (هذا من الله ومنك)، و (هذا من بركات الله وبركاتك)، و (الله لي في السماء وأنت لي في الأرض)**"(٤)وكل هذه الألفاظ أو ما يشابهها ينبغي الحذر منها، حتى لا يشوب توحيد العبد شيء من التشريك، مع مولاه جل في علاه.

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـــ٣٧٠.
(٢) رواه أحمد (١٨٣٩) وصححه محققوا المسند.
(٣) شرح تجريد التوحيد الشريط (٥) و (ب).
(٤) راجع: المصدر السابق.

ثالثاً: الاستسقاء بالأنواء

نبه الشيخ محمد أمان رحمه الله أن الاستسقاء بالأنواء: نسبة السقيا إلى الأنواء، والأنواء إما النجوم أو منازل القمر(١).

وقول القائل (مطرنا بنوء كذا) ينقسم إلى قسمين(٢):

١- أن يعتقد أن النجم الفلاني والنوء الفلاني له تأثير في نزول المطر، وهذا من الكفر البواح والشرك الأكبر؛ فقائل ذلك أشرك بالله تعالى في ربوبيته؛ بإثبات التصرف لغير الله تعالى في هذا الكون، وليس هذا المراد بالحديث؛ لأنه متقرر أن الذي يترل المطر هو الله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ .

٢- لا يعتقد التأثير بالنجوم، ولكن اعتقد أن الله تعالى رتب نزول المطر على طلوع النجم الفلاني، أي اعتقد ما ليس سبباً سبباً، وهذا ذريعة إلى الشرك وهو محرم، وقد نهى النبي ﷺ عنه؛ حمايةً لحمى التوحيد، كما نهى عن قول (ما شاء الله وشئت)، وعليه فلا يجوز هذا الإطلاق، ولو لم يعتقد بأن للنجم تأثيراً.

قال صاحب التيسير:"والصحيح أنه محرم؛ لأنه من الشرك الخفي وهو الذي أراده النبي ﷺ وأخبر أنه من أمر الجاهلية ونفاه وأبطله، وهو الذي كان يزعم المشركون، ولم يزل موجودًا في هذه الأمة إلى اليوم، وأيضاً فإن هذا من النبي ﷺ حماية لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك"(٣).

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (٢١) و (أ).

(٢) ملخصاً من المصدر السابق.

(٣) تيسير العزيز الحميد صـ٤٥٤-٤٥٥.

رابعاً: التسمي بملك الأملاك وما في معناه:

لما كان الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزعه عمن يشاء، فلا ملك أعظم ولا أكبر منه =كان إطلاق هذا الاسم على غير الله لا يجوز؛ حماية لحمى التوحيد ودَفعاً لوسائل الشرك، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال:(إنّ أَخْنَعَ الأسماء) **أهون الأسماء، وأخس الأسماء** (عند الله: رجلٌ تسمى بـــ(شاهٍ شاه) **(شاهٍ شاه) عبارةٌ فارسية معناها: ملك الملوك،** (ملك الملوك، لا مالك إلا الله)[1]، وفي لفظ:(أغيظُ رجلٍ عند الله: رجلٌ تسمّى (ملك الأملاك)[2]، **كلٌّ هذا يتنافى مع التوحيد الخالص، ويؤدِّي إلى تشبُّه المخلوق بالخالق : يتكبّر ويتشبّه بخالقه"**[3].

وأكد الشيخ محمد أمان رحمه الله هذه القضية بقوله :"**وملك الملوك هو الله؛ الملوك كثيرون، الله يعطي الملك من يشاء، لكن ملكهم الذي خلقهم وأعطاهم الملك هو الله وحده؛ إذا سمّى إنسانٌ نفسه بملك الملوك تشبّه بالله؛ (وحاكم الحُكام) الحكم الحقيقي لله، هو الذي يمكّن من يشاء بأنْ يحكم، (وقاضي القضاة) أما هذا اللقب الأخير منتشر في بعض الأقطار لجهلهم هذه السنة؛ ولو قالوا: (رئيس القُضاة) بدل (قاضي القضاة) يكون أنسب"**[4].

فكراهة أهل العلم لهذه الألفاظ وما شاكلها؛ لكونها من الألفاظ التي يمكن القول أنها مختصة به نوعاً ما، فالتسمي بها مشعر بمشاركة الله بشيء اختص به. والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٦) ومسلم (٢١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢١٤٣).

(٣) راجع: شرح تجريد التوحيد الشريط (٧) و (أ) وبداية و (ب).

خامساً: التوسل الممنوع:

سبق بيان التوسل المشروع، وأما التوسل الممنوع فهو التقرب إلى الله تعالى بما يخالف شرعه مما هو دون الشرك، وهذا هو التوسل البدعي، وأما التوسل الشركي فمن الخطأ تسميته توسلاً عند بعض أهل العلم[(١)]؛ لأنه من قبيل الشرك.

والتوسل حقيقة شرعية ضل في مفهومها خلق كثير، فصرفوا بعض عباداتهم لغير الله باسم التوسل، والأسماء لا تغير من الحقائق شيئاً، قال الشيخ رحمه الله:"**جمهور المسلمين جهلوا لغة الصحابة في معنى التوسل واستعمالهم، فغيروا الحقائق، فغلو في الصالحين فدعوهم من دون الله واستغاثوا بهم، ثم قالوا: إنما نتوسل بهم، بل هذه من محبتهم جهلاً منهم، أو تجاهلاً، ولعلنا لا نختلف في وجهة خطأ هذا الاتجاه بعد أن عرفنا معنى التوسل... ومن المعلوم ضرورة أن الأسماء لا تغير الحقائق؛ فالخمر خمر طالما تسكر، ولو سميت ماء عذباً أو لبناً خالصاً سائغاً للشاربين أو عسلاً مصفى، فالدعاء والاستغاثة والذبيحة والنذر عبادة ولو سماها أهلها توسلاً أو تبركاً أو محبة للصالحين**"[(٢)].

التوسل بالنبي ﷺ:

(التوسل بالنبي ﷺ أو بأي شخص آخر): لفظ مجمل مشترك، ترد عليه أحكام التوسل المشروع والممنوع؛ فإن أريد به التوسل بالإيمان به ومحبته، أو طلب الدعاء منه حال حياته فهو توسل مشروع، وقد سبق الحديث عنه[(٣)].

وإن أريد به التوسل بجاهه وحقه[(١)] فهو توسل ممنوع[(٢)]، وقد بين الشيخ محمد أمان رحمه الله موقفه من هذا النوع من التوسل، حيث قال:"**ولكن الله لم يجعل جاه أحد من**

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢٨٨/٥ (فتاوى العقيدة).

(٢) تصحيح المفاهيم صـ١٧-١٨ وراجع محاضرة من صور الجاهلية و (أ).

(٣) سبق صـ ٢١٢-٢١٦.

خلقه سبباً لقضاء الحاجات، وكشف الكربات، وإجابة الدعاء، ولا يكون سبباً لهذه المعاني وغيرها إلا ما جعله الشارع ودل عليه العباد. هذا هو السر الذي جهله كثير من الناس، وتجاهله الآخرون تحت تأثير الهوى والتقليد"[٣].

وقد أبطل الشيخ رحمه الله هذا النوع من التوسل بوجوه عدة يمكن إجمالها بالتالي[٤]:

١- أنه"**لا معنى لقول القائل (اللهم أجب دعوتي؛ لأن فلاناً رجل ذو جاه عندك وذو منزلة وكرامة)؛ لأنه لا علاقة بين جاهه وإجابة دعاء هذا القائل؛ لأن جاهه ليس من عمله، وإنما يتوسل الإنسان بعمل نفسه أو بدعاء غيره"**.

٢- ومما يقطع دابر هذه الأوهام حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ذات مرة وهي مريضة:(وارأساه) فقال رسول الله ﷺ : (ذاك لو كان وأنا حي؛ فأستغفر لك وأدعو لك)[٥]، ثم ذكر الرواية الأخرى التي تفسر الحديث أكثر وتوضحه (أما يرضيك لومت قبلي؛ حتى أكفنك وأصلي عليك وأدفنك وأدعوا لك)[٦]. قال الشيخ رحمه الله:"**ومفهوم الحديث: أما لو مت أنا قبلك فليس في إمكاني أن أفعل كل ذلك، وهذا معنى لا يختلف فيه اثنان من طلاب الحق، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه"**.

=

(١) لا حاجة هنا لذكر التوسل بسؤاله ودعائه، أو طلب الدعاء منه بعد وفاته؛ لأن هذا النوع من التوسل من قبيل الشرك، كما سبق بيانه.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم صـ٥٢٤.

(٣) تصحيح المفاهيم صـ١٩.

(٤) راجع: المصدر السابق صـ١٥-٢٢.

(٥) رواه البخاري (٥٦٦٦).

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات ٢/٢٢٥ بسنده إلى عروة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، والقاسم بن محمد، كلهم يحدّث عن عائشة رضي الله عنها - دخل حديثهم بعضه في حديث بعض.

٣- أن الصحابة ﷺ هم أكمل الناس إيماناً، وأعظمهم حباً، وأشدهم اتباعاً للرسول الله ﷺ ولدينه، ولو كان هذا النوع من التوسل مشروعاً لسبقونا إليه، ولتعبدوا الله به، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، لا في حياته ولا بعد وفاته ﷺ، قال الشيخ رحمه الله"**ولو كان الصحابة يعلمون، أو يعتقدون أن التوسل إنما هو بجاهه ومنزلته وكرامته على الله، لما عدلوا عنه؛ لأن جاهه ومنزلته وكرامته على الله لم ينقص من ذلك شيء بوفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى. بل هو أعظم جاهاً من كليم الله موسى عليه السلام الذي قال الله في حقه** ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ **ومن عيسى روح الله وكلمته المذكور في قوله تعالى** ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ **وغيرهما من أنبياء الله ورسله؛ لأنه عليه الصلاة والسلام سيدهم وأفضلهم على الإطلاق وإمامهم، وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:** (أنا سيد الناس يوم القيامة)(١) وقال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)(٢) ".

وفي ختام هذه المسألة أختم بوصية الشيخ رحمه الله لجمهور المسلمين حين قال:"**فعلى جمهور المسلمين أن يعيدوا النظر في ذلكم المفهوم الخاطئ الشائع بينهم في معنى التوسل، وليس هو من التوسل في شيء، بل إن ذلك عبادة محضة، وعليهم أن يدرسوا ما كان عليه سلفهم من الصحابة والتابعين في هذا الباب ونحوه؛ ليفهموا فهمهم، ويتأسوا بهم في عملهم؛ لأنهم خير هذه الأمة بشهادة النبي –عليه الصلاة والسلام– لهم، إذ يقول –عليه الصلاة والسلام–:(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)(٣)..وقد صدق من قال(٤):**

وكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

(١) رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٥١) وابن ماجه (٤٣٠٨) وصححه الألباني صحيح الجامع (١٤٦٨).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) القائل هم إبراهيم اللقان، انظر: جوهرة التوحيد.

هكذا ننتهي من هذه النقطة"[1]والحمد لله على كل حال .

سادساً: الحكم بغير ما أنزل الله:

إن هذه القضية من أخطر القضايا المثارة في الساحة التي رُوجت فيها أقوال السفهاء؛ وتُنقِص فيها من العلماء؛ ضلت بسبب الجهل بها أفهام، وزلت بسببها أقدام، فسالت لتوضيحها الأقلام. وسأكتفي في بيان موقف الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التحاكم إلى غير شرع الله، وحكم من حكم بغير ما أنزل الله؛ فقد أولى رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الموضوع اهتماماً بالغاً، وبين أهمية ومنزلة تحكيم شرع الله في الإسلام، وحذر من النظم الوضعية، وقد كان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة محاضرات طبعت على هيئة سلسلة بعنوان (رسائل في السياسة الشرعية).

والمقصود أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كغيره من العلماء السلفيين الذين لهم جهود مباركة في دعوة الحكام والمحكومين، وكما قال في رده على الشطي:"**هذه دعوة السلفيين موجهة إلى جميع الناس حكاماً ومحكومين، دون تفريق بين طائفة وأخرى، وهم يدعون الجميع إلى الإيمان الصحيح، وإلى نقض ما علق بالإيمان والعقيدة من أتربة الجاهلية وغبارها؛ لتقوى علاقتهم بربهم وخالقهم إلى التقيد بالإسلام، بالإسلام وحده في جميع مجالات الحياة، يرون أن التحاكم إلى غير ما أنزل الله هو نوع من عبادة غير الله، وأن أولئك الذين سموا أنفسهم رجال التشريع الذين يحللون ويحرمون دون الرجوع إلى تحليل الشرع وتحريمه، إنما هم طواغيت نصبوا أنفسهم أرباباً ومعبودين من دون الله، كما قال تعالى في علماء أهل الكتاب وعبادهم مع أتباعهم:**﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ **علماً بأنهم لم يركعوا لهم ولم يسجدوا، ولكنهم اتبعوهم في التحليل والتحريم، كما جاء ذلك في السنة الصحيحة، ومن سموهم رجال التشريع يقومون بالوظيفة نفسها،**

---

(١) تصحيح المفاهيم صـــ٢٧.

إذاً فالكل أرباب من دون الله، كما لا يخفى، فكيف يتهم دعاة هذه دعوهم بعدم الاهتمام بشؤون المجاهدين، وأهم ينكرون الحكم بغير ما أنزل الله؟!! سامح الله الشطي"[1].

ولاشك أن قضية الحكم بما أنزل الله من مقتضى العبودية لله، والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، قال الشيخ رحمه الله:"**إن الحاكمية في الإسلام لله وحده، وهذا ما يؤمن به كل مسلم واعٍ لم تتغير فطرته بالأفكار الغربية أو الشرقية؛ لأن توحيد الحاكمية هو توحيد التشريع نفسه، وهو نوع من توحيد العبادة؛ فلا عبادة إلا لله؛ إذن فلا حاكمية إلا لله وحده؛ لا لفرد أو حزب أو شعب**"[2] وقال أيضاً رحمه الله مبيناً أن توحيد التشريع نوع من توحيد العبادة يجب صرفه لله وحده، كما انفرد سبحانه بالربوبية:"**هذا هو المنهج الإسلامي، يحتم إفراد الله تعالى بالحاكمية والعبادة، كما انفرد سبحانه بالربوبية، فتنحصر العدالة في شرع الله وحده دون ما سواه من النظم التشريعية البشرية، فيكون الإسلام منهجاً متميزاً في خصائصه، فلا شيء ينافسه البتة؛ لأنه منهج رباني مترل غير وضعي، فلا يتهم بمحاباة أو تمييز أو تحكم أو سطوة أو نقص أو عيب، وجميع عباد الله أمام شرعه العادل سواء**"[3]. وقد أكد الشيخ رحمه الله أن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه ليس خاصاً بأئمة المسلمين وقاداهم، بل يستوي فيه الفرد والجماعة، فتطبق الدولة أحكام الله على رعيتها، والجماعة على أفرادها، وكل فرد مسلم على نفسه وأهله.

إذا تقرر ما سبق من وجوب التحاكم لشرع الله، فيحسن بيان موقف الشيخ من الحاكم بغير حكم الله، قال الشيخ رحمه الله :"**ينقسم الحكم بغير ما أنزل الله باعتبار حال الحاكم:**

---

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ضمن المجموع صـــ٣٦١.

(٢) حقيقة الشورى في الإسلام صـــ١١.

(٣) المصدر السابق صـــ ١٥.

١- إن حكم الحاكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن هذا الذي لم ينزله الله مثل حكم الله مساوٍ له مثله، وأنه مخير إن حكم بغير ما أنزل الله وإن شاء حكم بما أنزل الله، هذا كافر كفراً ناقلاً عن الملة؛ لأن معنى ذلك عدم الإيمان بما أنزل الله، وعدم تعظيم الله وعدم محبة الله، محبة الله وتعظيم الله في تعظيم شرع الله، ومحبة شرع الله إذا جُعِلت حكم الله كحكم الفرنسيين والأمريكيين على حد سواء، ليس حكم الله أحسن وأعدل هذا كفر بواح ناقل عن الملة.

٢- حكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن حكم الله أحسن وأمثل وأعدل، ولكن اتبع هواه واتبع الجو الذي يعيش فيه، وجامل وحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أنه عاصٍ مقصر ومذنب، هذا كفر عملي كفر دون كفر.

٣- إنسان يجهل ما أنزل الله لكنه للأسف تولى القضاء؛ ليحكم بين الناس اجتهد ليحكم بما أنزل الله، تخبط فوقع في الحكم بغير ما أنزل الله، هو مجتهد بذل كل ما في وسعه؛ ليحكم بما أنزل الله، ومؤمن بما أنزل الله لكنه أخطأ فحكم بغير ما أنزل الله بعد الإجتهاد، يقول الشارح هذا مخطئ فخطأه مغفور له ويثاب إن شاء الله على بذل مجهوده وعلى اجتهاده، هذا التفصيل لا تجد أحسن منه، والناس تختلف في الحكم بغير ما أنزل الله هل هو كفر عملي دائماً أو كفر اعتقادي أو لابد من هذا التفصيل"[(١)].

والشيخ رَحِمَهُ اللهُ متابع في هذا التفصيل أئمة السلف قبله[(٢)]، وقد نقل جملة من كلام أهل العلم في التحذير من التحاكم إلى غير شرع الله، ومن ذلك كلام ابن كثير في تفسيره، ولخص كلام محمد بن إبراهيم في رسالته تحكيم القوانين، وكلام شيخ الإسلام

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٧) و (أ)، وراجع: إجابة على سؤال في شرحه للأربعين النووية الشريط (٤)، وإجابة على سؤال وجه إليه بعد محاضرة بعنوان (المستقبل لهذا الدين).

(٢) انظر: مدارج السالكين١/٤٤٧ ، شرح الطحاوية صـــ٣٦٣-٣٦٤، تحكيم القوانين للشيخ محمد بن ابراهيم صـــ٥-٧، مجموع فتاوى ابن باز ١/٨٤.

ابن تيمية، وابن عبد الوهاب في أبواب من كتاب التوحيد وتعليق عبد الرحمن بن حسن عليها، وكلام للعلامة ابن باز وغيرهم رحم الله الجميع[1]؛ ونقل الشيخ رحمه الله هذه النقول؛ ليبين اهتمام العلماء السابقين واللاحقين بتوحيد الطاعة والمتابعة، مع بيان خطورة الشرك في ذلك؛ ليسير من بعدهم على أثرهم، لاسيما وقد عصفت عواصف الدعوة إلى الحياة البرلمانية؛ لتغير مجرى الحياة الإسلامية في توحيد الحاكمية.

ويجدر في هذا المقام التنبيه على أن الشيخ رحمه الله يرى أن التحاكم الكلي إلى غير شرع الله من القوانين المبدلة يعد ناقضاً من نواقض الإيمان؛ لكون فعله دالاً على إعراضه عن دين الله، وقد وضح ذلك حينما وجه إليه سؤال فقال:"**هنا سؤال طويل ملخصه: أن بعض الحكام أو الحكام المعاصرون؛ منهم من نبذ الدين كله، لا يرجع إلى الإسلام في أي حكم، بل يتحاكمون إلى القوانين الوضعية، سواء كانت محلية أو مستوردة هذا قسم، الحكم في هذا القسم أنه ليس لهم من الإسلام في شيء، ليس من الإسلام، من أعرض عن شرع الله، واستغنى عن شرع الله، واستورد القوانين الوضعية، أو وضع لنفسه قانوناً يتحاكم إليه، تاركا حكم الله ومعرضاً عن حكم الله ليس بمسلم؛ لأن وضعه للقوانين أو استيراده للقوانين إعراض عن دين الله، الإعراض عن دين الله رِدَّة، أما من آمن بدين الله وبشريعة الله لكنه عند التطبيق لا يطبق تطبيقاً كاملاً؛ يطبق في بعض النواحي – أنا ألخص السؤال، السؤال طويل– يطبق في بعض النواحي ويقصر في البعض الآخر هذا النوع وهذا القسم: إنْ عُرف عنه أنه آمن بهذه الشريعة، ولم يستورد أي قانون، ولم يضع له أي قانون، ولكنه قصر عند التطبيق، لا يحكم عليه بأنه**

---

(١) انظر: حقيقة الديمقراطية صـــ ٤٥-٥٨

طاغوت، ولا يحكم بكفره بل هو مقصر ينصح ويوجه، هذا ملخص السؤال، والسؤال طويل اكتفي بهذا المقدار من الإجابة واسأل الله لي ولكم الثبات"[1].

وبهذا يتم هذا المبحث نسأل الله التوفيق لما فيه رضاه والحمد لله رب العالمين.

(١) إجابة على آخر سؤال من محاضرة بعنوان: (التجديد بمفهوميه) رد على الترابي.

الفصل الثاني

جهوده في توضيح توحيد الأسماء والصفات

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالأسماء والصفات.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح قواعد أهل السنة في باب الأسماء والصفات.

تمهيد

إن أسماء الله وصفاته الثابتة له في الكتاب والسنة من أعظم الوسائل التي تعرف الخلق بخالقهم، وتعلق القلوب بمألوهها، وتحرك الوجدان لمعبودها؛ لذلك ما مات ﷺ حتى عرَّف العباد بربهم وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، فسلك الصحابة ﷺ هذا المسلك النبيل، وأعرضوا عن التكييف والتشبيه والتمثيل، واجتنبوا التحريف والتعطيل، وسار على هذا النهج أهل سواء السبيل.

ولما انقرض عصر أكابر التابعين، وعربت كتب الأعاجم، سعى أهل الضلال إلى قطع الطرق الموصلة إلى الله -وخصوصاً في هذا الباب- فأفسدوا عقائد الناس، وعطلوا الله عما يستحقه من الجمال والكمال، "وأصلوا أصولاً تناقض الحق، فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا، و لم يدلوا على الحق حتى أصلوا أصولا تناقض الحق، ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول ﷺ فقدموها على ما جاء به الرسول"[1]، ونشروا باطلهم بشتى الطرق والأساليب، حتى أصبح المعروف عندهم في حق الله منكرا، والمنكر في حقه معروفا، والله المستعان.

ولما استفحل شرهم وعظم على الناس بلاؤهم، قام حماة الدين وحملة الشريعة -منذ ظهور علم الكلام إلى يومنا هذا- ببيان الحق الذي يجب اعتقاده في حق الله تعالى وإظهاره، وكشف زيغ وضلال أهل الباطل وإشهاره، انتصاراً لدين الله وإعلاءً لكلمته، فظهر الحق وبطل ما كانوا يفترون. وقد كان الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله من أولئك الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن هذه العقيدة السلفية، وصونها من الآراء الدخيلة، خصوصاً فيما يتعلق بباب الأسماء والصفات، فقد كانت له جهود عظيمة في هذا الباب يشهد له بها كل من عرفه.

وقد حاولت إجمال جهود الشيخ رحمه الله في هذا الباب في المباحث الآتية:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦/٤٤٠

المبحث الأول
جهود الشيخ في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات

إن من مهمات الأمور التي ينبغي معرفتها لطالب الحق، -قبل أن يشرع في دراسة تفاصيل معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب- أن يكون لديه معرفة بأهمية هذا التوحيد، وما له من مكانة علية ومترلة عظيمة؛ فإن ذلك معين على التزود في مسائله ومباحثه وتفريعاته.

لذلك فقد أحببت أن يكون عرضي لجهود الشيخ محمد أمان رحمه الله حول هذا المبحث على النحو التالي:

المطلب الأول: جهوده في بيان أهمية العلم بأسماء الله وصفاته:

لاشك أن العلم بهذا النوع من التوحيد، وما له من مكانة رفيعة في جانب الاعتقاد على وجه الخصوص، وفي سائر جوانب الدين على وجه العموم، من الأهمية بمكان، قال الشيخ رحمه الله:"**من عرف الله حق المعرفة وسلمت عقيدته من التعلق بغير الله، وآمن بأسمائه الحسنى وصفاته العليا دون إلحاد أو تحريف، فحقق العبودية لله تعالى، سهل عليه القيام بالواجبات والفرائض الأخرى في الإسلام؛ لأنه قد وضع حجر الأساس لسيره إلى اللّه، ومن لا فلا**"[1] ويمكن إيجاز ما ذكره الشيخ رحمه الله في ذلك في النقاط التالية:

١- أن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو الطريق الموصل إلى معرفة الله، كما أنه أحد ركائز دعوة الأنبياء والمرسلين، قال الشيخ رحمه الله:"**إن معرفة الله التي لا تتم إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، هي زبدة دعوة الرسل، وخلاصتها، وعندها تلتقي جميعها مع اختلاف**

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٦٠-٣٦١.

مناهجها وشرائعها؛ لأن جميع الرسل إنما أرسلوا ليعرفوا الناس ربهم وخالقهم؛ فيعبدوه في ضوء تلك المعرفة"[1].

٢- أنه من أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق، وأعلاها مكانة وأجلها شأناً، كيف لا وهو متعلق بأشرف معلوم وأعظم موصوف، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في التعليق على حديث أُبيّ بن كعب أن النبيَّ ﷺ سأله:(أي آية في كتاب الله أعظم؟). قال: الله ورسولــه أعلم. فردَّدها مرارًا، ثم قال أُبيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: آية الكرسي. فوضع النبي يده على كتفه، وقال:(ليهنك هذا العلم أبا المنذر)[2] قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ **يدل هذا على فضل العلم وعلى مكانة العلم، من رزقه الله العلم بالكتاب والسنة، وخصوصاً العلم المتعلق بالمطالب الإلهية، والنبوات، وشؤون المعاد، أي أصول الدين، من رزق هذا العلم يستحق أن يهنأ، والعلم كله خير ونافع، لكن شرف العلم بشرف المعلوم؛ لذلك العلم المتعلق بالذات العلية أشرف العلوم، والعلوم كلها دون ذلك"**[3]. "ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها، فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين، ومفتقر إليه في تحقق ذاته وأينيته[4]، وكل علم فهو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم، كما انه سبحانه رب كل شيء ومليكه وموجده"[5].

٣- أن معرفة الله وشرعه ودينه تكسو العبد النور التام ظاهراً وباطناً في الدنيا والآخرة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **"أنتم في نور، لو أنكم تصورتم هذه الظلمة التي عاش فيها**

---

(١) الصفات الإلهية صــ٧.

(٣) رواه مسلم (١٣٤٣).

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٦) و (أ).

(٤) من الأين، وهي حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان. انظر: التعريفات للجرجاني صــ٣٨.

(٥) مفتاح دار السعادة ٣١١/١ .

كبار علماء الأشاعرة، الذين ندموا وبكوا في آخر حياهم ، هؤلاء كلهم نقل شيخ الإسلام، وأنا نقلتُ عن شيخ الإسلام في رسالتي الصفات الإلهية(١) كيف ندموا: الرازي(٢)والشهرستاني(٣) والغزالي(٤) وإمام الحرمين الجويني الابن(٥) والجويني الأب(٦) بعد أن رجع إمامهم الأول أبو الحسن الأشعري(٧) كلهم ندموا في آخر حياهم وبكوا بكاء الثكلى... فنسأل الله الثبات ونحمده على ما نحن فيه من نعمة سلامة العقيدة،

---

(١) صـ (١٩٥– ٢١٤)وانظر: الحموية صـ ١٩١-١٩٥.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن علي، المشهور بالفخر الرازي، من كبار الأشاعرة، له مؤلفات منها: الأربعين في أصول الدين، والتفسير، وغيرها، توفي سنة ٦٠٦ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٢٤٨/٤، السير ٥٠٠/٢١.

(٣) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أشعري متكلم، له مؤلفات منها: نهاية الإقدام في علم الكلام، الملل والنحل، وغيرها، توفي سنة ٥٤٨ هـ. انظر: السير ٢٨٦/٢٠ ، شذرات الذهب ١٤٩/٤.

(٤) هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي الشافعي، يلقب بحجة الإسلام، وهو من رؤوس علماء الكلام المتأثرين بالفلسفة له عناية بالتصوف، له مؤلفات منها: إحياء علوم الدين، وغيرها، توفي سنة ٥٠٥ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٢١٦/٤، السير ٣٣٢/١٩.

(٥) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي، المعروف بإمام الحرمين، من كبار الأشاعرة وأعلامهم، من مؤلفاته: الإرشاد في أصول الاعتقاد، الشامل في أصول الدين، وغيرها، توفي سنة ٤٦٨هـ. انظر: السير ٤٦٨/١٨، شذرات الذهب ٣٥٨/٣.

(٦) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله الطائي الجويني، والد إمام الحرمين كان فقيهاً شافعياً ونحوياً مفسراً، له مؤلفات منها: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية، توفي سنة ٤٣٨ هـ. انظر: السير ٦١٧/١٧، وفيات الأعيان ٤٧/٣.

(٧) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سالم بن إسماعيل الأشعري، شيخ الأشاعرة وإمامهم، وقد مر بأطوار: حتى انتهى بطور نهج فيه منهج السلف مع بقاء بقايا من لوثة المتكلمين، له مؤلفات منها: مقالات الإسلاميين، الإبانة، وغيرها، توفي سنة ٢٣٤ هـ. انظر: السير ٨٥/١٥، شذرات الذهب٣٠٣/٢.

والفهم الصحيح لكتاب ربنا وسنة نبينا"(١) وما ذكر الشيخ هو مصداق قول المولى جل في علاه: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ قال ابن القيم رحمه الله:"فالأول: هو المؤمن استنار بالإيمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره. والآخر: هو الغافل عن الله تعالى، المعرض عن ذكره ومحبته، والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته"(٢).

٤- أن لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى أثراً عظيماً على النفس البشرية؛ إذ تورث كمال المعرفة بربها وبارئها فتحملها على العبودية ودوام المراقبة، التي تستوجب الذل والخضوع، قال الشيخ رحمه الله :"**فالواجب إثبات صفة الرؤية، والإيمان بأن الله يرى عباده من فوقهم، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، سَمِعَ أصواتهم ويرى أشخاصهم وأعمالهم، ومن يستحضر ويؤمن يقيناً أن الله يراه، ويرى أعماله ويسمع كلامه، هذا يجعله يراقب الله بحيث لا يفعل إلا ما يحبه ويرضاه، ولا يقول قولاً إلا قولاً يحبه الله ويرضاه، أي يعينه ذلك على المراقبة ، وهذا معنى من معاني الإيمان ، أي شعبة من شعب الإيمان**"(٣)، فالعلم بذلك حياة القلوب؛ فإن في القلب ثلمة لا تسد إلا بمعرفتها ربها عز وجل، والجهل بذلك يورث الضيق والنكد، كما قال الشيخ رحمه الله:" **الجاهل الذي لا يعرف ربه حقيقة المعرفة، ولا يعرف نبيه حق المعرفة، وما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام المعرفة الواجبة، في ضيق ليس بعده ضيق، وفي حرج، وفي حبس؛ لذلك ننصح إخواننا المسلمين أن يتعلّموا العلم الضروري**"(٤)الذي لا يسع مسلماً جهله.

٥- أن معرفة هذا الباب من أسباب تقوية الإيمان عند العبد وازدياده، قال الشيخ

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٠) و (ب)..

(٢) الوابل الصيب صـ ١١٤

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٣) و (أ)

(٤) شرح فصل في انشراح الصدر الشريط (١) و (أ).

رحمه الله:"**لذلك دراسة الأسماء والصفات، والتدبر في هذه الأسماء والصفات مما يقوي إيمان العبد؛ لأنه يستحضر عظمته سبحانه، وأنه يراه وأنه يسمعه وليس بغافل عنه**"(١)، وقال أيضاً:"**ذكر اسم الله ودعاء الله باسم من أسمائه، والعمل بما تدل عليه أسماء الله، كل ذلك فيه الخير والبركة والنماء في إيمان المؤمنين وعبادتهم، وفي حياتهم العامة إذا أخلصوا لله سبحانه العبادة وذكروا الله بأسمائه**"(٢).

٦- أن معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه التام توجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى؛ وأكمل الناس عبودية المتعبدُ بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر(٣) قال الشيخ رحمه الله :"**منزلة الإيمان بالله تعالى في الدين عالية، وأهمّيته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علمٍ بأسماء الله تعالى وصفاته، وكلُّ من يعبد الله وهو لا يعلم شيئاً من أسماء الله وصفاته فعبادته ناقصة؛ لا يكون الإنسان متمكِّنا من محبة الله تعالى وتعظيمه والتلذُّذ بطاعته وبكلامه، إلا إذا كان عالما بأسماء الله تعالى وصفاته**"(٤)، وقد تحدث ابن القيم رحمه الله عن الآثار التي يورثها الإيمان بأسماء الله وصفاته، وذكر أن لكل صفة من صفات الله عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياته(٥).

٧- إن من أجل ما تظفر به القلوب -حال دراستها للتوحيد وخصوصاً توحيد الأسماء والصفات- الرقة الناشئة من إيمانها بأسماء الله وصفاته جل جلاله وفقهها لمعناها؛ ولهذا قال الشيخ محمد أمان رحمه الله في شرحه لاسم الله (الرحمن) :"**يا شباب هذه المذاكرة في مثل هذا التوحيد تقسي القلوب أو ترقّق القلوب وتحيي القلوب؟ أنتم في هذه الأيام**

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٣) و (أ).

(٢) المصدر السابق الشريط (١٣) و (ب).

(٣) انظر: المدارج ١/ ٥٤١-٥٤٤.

(٤) شرح القواعد المثلى الشريط (١) و (أ).

(٥) راجع: جهود ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات ٣٥٦/١.

ما أنتم في الحرم؟ في الأسئلة التي تجيني في الحرم أن دراسة العقيدة تقسي القلوب، وينفِّروا الناس من العقيدة بمثل هذه الأسئلة؛ دارسة العقيدة تسبِّب قسوة القلوب؟!! هذا ذكر الله، هذا مجلس الذكر، كيف ذكر الله تعالى يقسي القلب؟ إنما يحيي القلب؛ لكن: هؤلاء علينا أن ندعو الله لهم بأن يمنّ الله عليهم، لأني علمت موجودين الآن في المدينة من أمثال هؤلاء الذين لَمّا رأوا هذه الصحوة الشبابية، وإقبال الناس على العقيدة ضايقهم هذا المعنى، فجعلوا يحاولوا أن ينفِّروا الناس من العقيدة، نسأل الله لنا ولهم الهداية: الله يهديهم ويشرح صدورهم للإسلام"(١) وقد وضح الشيخ في موطن آخر من الشرح نفسه أن العقيدة التي تعقد القلب وتقسيه هي عقيدة أهل الكلام، فقال:"**وقول القائلين بأن العقيدة لا ينبغي التبحُّر فيها. لعلّ القائل يعني عقيدة غير هذه العقيدة، العقيدة التي عرفها هناك عندهم، العقيدة الأشعرية التي هي آراء الرجال، التي هي: (لو كان كذا كان كذا، لو حصل كذا كان كذا، ليس الله كذا وليس الله كذا) سُلوب، كلها سُلوب، هذه تقسي القلب ولا يجوز دراستها. إن قال القائل بأن التبحُّر في العقيدة يقسي القلب ويميت القلب: إن كان يعني عقيدة أهل الكلام التي يقول فيها قائلهم: ليس الله فوق العرش، ولا تحت العرش، ولا على يمينه، ولا على شماله. وينفي العلو، ويحرِّم الإشارة إلى العلو، إنْ كان يعني هذه العقيدة فصدق، هذه عقيدة تُقسي القلب، وتُبعد القلب عن الله، وتوقعه في جهل يجهل حقيقة الله...العقيدة التي تعرِّفك ربك بصفاته وأسمائه إيمان جزء من الإيمان ومن أهمِّ شعب الإيمان؛ فيجب على كلِّ مسلم أن يعرفها يعرف هذه العقيدة؛ وإن كان يعني تلك فكلامه صحيح"**(٢).

٨- أن تعلم هذا الباب وفق منهج السلف يعصم بإذن الله من الزلل، ويقيل من العثرة، ويفتح باب الأمل، ويغلق باب الخمول والكسل؛ فباب الأسماء والصفات يعتبر من

---

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (١) و (أ).

(٢) المصدر السابق الشريط (٢) و (ب).

أكثر الأبواب خطورة ومزلة، من جهة كونه محل خلافات شديدة ومعقدة، وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى ذلك بقوله: "**أكثرت الناس من الكلام في أسماء الله تعالى وصفاته، منهم: من يتكلّم بالحق بأن يُثبت لله تعالى الأسماء والصفات كما ورد في الكتاب والسنة، ومنهم: من يتكلّم بالباطل، هذا الباطل منشؤه إما: عن الباطل، أو التعصّب الذي تعوّده**"[1]، وقال أيضاً مبيناً سبب الخلط والخبط في هذا الباب: "**غياب التصور الصحيح عنه في باب عظيم من أبواب العلم والمعرفة والإيمان، وهو باب الأسماء والصفات، الذي لا اجتهاد فيه ولا استحسان، بل لا يتجاوز فيه الكتاب والسنة**"[2]، فالواجب على المسلم أن يدرس هذا الباب ويتعمق في فهمه وفق ما ورد في الكتاب والسنة، وأن يحذر من التيارات الفلسفية التي أضرت أصحابها وأدخلتهم في دوامة الانحراف والضياع، فحالت بين قلوبهم وبين معرفة ربهم، فأصبحت قلوبهم مظلمة جاهلة بحقائق الإيمان[3].

وأنبه إلى أن البعض[4] قد يأتي بفوائد ومنافع لأسماء الله تعالى لم يدل عليها نقل ولا عقل، ومن ذلك قولهم: أن من أهمية العلم بأسماء الله وصفاته التشبه بها؛ مستدلين بحديث (تخلقوا بأخلاق الله)[1]؟!!

---

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (١) و (أ).

(٢) الحكم على الشيء فرع عن تصوره المجموع صـــ٣٦١.

(٣) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للتميمي صـــ٢٥.

(٤) كابن عربي والغزالي والعز بن عبد السلام وغيرهم، قال شيخ الإسلام:"وعلى هذا بنى أبو حامد كتابه في (شرح الأسماء الحسنى)، وتخلق العبد بأخلاق الله، وأنكر ذلك عليه المازري وغيره، وقالوا: ليس لله خلق يتخلق به العبد. وعدل أبو الحكم بن برجان عن لفظ التخلق إلى لفظ التعبد. وعلى هذا الأصل الفلسفي بنى ابن عربي معنى ولي الله، وأنه المتشبه به المتخلق بأخلاقه، كما يفسر أبو حامد التقرب من الله بالتشبه به، وابن عربي ونحوه يجعلون الولي أفضل من النبي بناء على أصولهم الفلسفية الاتحادية"جامع الرسائل ١٨٨/٢. وقد عقد العز بن عبد السلام باباً بعنوان: في كيفية التخلق بأخلاق الله، انظر: شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال صـــ ٣١.

والحقيقة التي وضحها الشيخ رحمه الله في رده على محمود محمد طه[٢]: "**أن هذه عبارة لا يعرف لها إسناد، ومعناها غير صحيح؛ بيان ذلك: المراد بالأخلاق الصفات قطعاً فالله موصوف بالعظمة والكبرياء، وأنه يحيي ويميت. وهل يجوز أن يتصف بهذه الصفات؟ الجواب السليم (لا) بالخط العريض**"[٣]. وقد كشف الشيخ فلسفة المدعو، وعليه فالعبارة مأخوذة من قول الفلاسفة[٤] التشبه بالله على قدر الطاقة. ونقدها بالوجوه التالية:

١- أن صفات الله لا يجوز أن يقال فيها أخلاق، بل الأخلاق للإنسان[٥].

٢- أن الفلاسفة ومن سار على شاكلتهم من المتكلمين متناقضون، فحقيقة مذهبهم نفي الصفات، فكيف يدعون التشبه بصفات الباري وهم ينفونها عن الله. ثم مع كونهم أظهر الناس تبرُّءاً من التشبيه، فكيف يزعمون أن كمال الفلسفة عندهم أن يفعل الإنسان ما يصير به مشابهاً لله في الجملة[٦].

٣- وعلى فرض أن من قال هذه المقالة يثبت صفات الباري، فإن من صفاته ما جاءت النصوص مانعة من إطلاقه على العباد، كما نبه على ذلك الشيخ رحمه الله، وعليه

=

(١) قال ابن تيمية: "وهذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من كتب الحديث، ولا هو معروف عن أحد من أهل العلم، بل هو من باب الموضوعات عندهم" بيان تلبيس الجهمية ٥١٨/٦، وقال الألباني في الضعيفة (٢٨٢٢): "لا أصل له، أورده السيوطي في (تأييد الحقائق العلية ٨٩/١) دون عزو".

(٢) ستأتي ترجمته انظر: صـ ٧٢٥ من هذه الرسالة.

(٣) المحاضرة الدفاعية صـ١٢.

(٤) الفلاسفة: هم طائفة ينسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلا) أي: محب، و(سوفيا) أي: الحكمة، فمعناها: محب الحكمة، ومن آرائهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني، وغيرها. انظر: الملل والنحل للشهرستاني صـ١٥١.

(٥) انظر: بدائع الفوائد ٢٨٩/١.

(٦) انظر: بيان تلبيس الجهمية ٥٢٠/٦.

فيصح اتصاف العبد بما يناسبه من صفات الله تعالى؛ كالعلم والرحمة والحكمة ونظائرها، على ما يليق به؛ كما في حديث:(إن الله طيب لايقبل إلا طيباً)[1] وحديث:(إن الله جميل يحب الجمال)[2] وتقييد الصفات بما يناسب العبد، يخرج الصفات التي لا يجوز للعبد الاتصاف بها؛ كالألوهية والكبر والجبروت! فإن هذه خاصة بالرب لا يجوز أن يشاركه فيها أحد ادعاءً، كما أنه لا شريك له فيها حقيقة، قال شيخ الإسلام رحمه الله :"وبالجملة فالاتصاف والتخلُّق والتعبُّد بما أحبَّ الله من العبادِ الاتصافَ به وهو من صفاته: كالعلم والرحمة والإحسان والجمال الشرعي ونحو ذلك، هو حق كما دلَّ عليه الكتاب والسنة، بخلاف الكبرياء ونحوه؛ فإنه قد ثبت في الصحيح أن الله يقول: (العَظَمَةُ إزاري والكِبْرِياءُ رِدَائي فمنْ نازعني واحدةً مِنْها عَذَّبْتُه)[3]. وصفات الله نوعان:

نوعٌ يختص به: كالإلهية فليس لأحدٍ أن يتصف بذلك؛ فإنه لا إله إلا الله.

ونوعٌ يتصف عباده منه بما وهبه لهم كالعلم والرحمة والحكمة، فهذا وإن اتصف به العبد فالله تعالى لا كفوًا له سبحانه فهو منزَّهٌ عن النقائص مطلقًا، ومنزَّه عن أن يكون له مِثْلٌ في شيء من صفات كماله، بل هو موصوف بصفات الكمال على وجه التفصيل، وهو منزَّه فيها عن التمثيل"[4].

إذا تقرر ذلك فينبغي علينا أن نتخلق بالأخلاق التي أمرنا الله ورسوله بالتخلق بها، ونبتعد عن الأخلاق التي نهينا عن التخلق بها[5].

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥،٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥).

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٥٠٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٨٠) وصححه محقق الكتاب.

(٤) الرد على الشاذلي صـــ ٩٦-٩٧.

(٥) انظر: أسماء الله وصفاته لعمر الأشقر صـــ٤١-٤٢

المطلب الثاني: جهوده في تعريف توحيد الأسماء والصفات:

إن مما يجدر بيانه -قبل توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات- تعريف هذا النوع من التوحيد، وقد أولى الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله هذا الباب عناية قصوى، مقتفياً في ذلك منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وتوحيد الأسماء والصفات كما قرر الشيخ رحمه الله وغيره من أهل العلم هو: **إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها**[1].

وشرح التعريف كما سيأتي:

قوله (**إفراد الله بأسمائه وصفاته**) وإفراد الله يكون بتوحيده، قال الشيخ رحمه الله:"**ومعنى التوحيد هنا: بأنه لا يشارك الله أحدٌ من خلقه في حقائق صفاته، وحقائق أسمائه وأفعاله، وإن كان قد يحصل الاشتراك اللفظي بين الخالق وبين المخلوق في بعض الصفات والأسماء: كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم وغير ذلك، ولكن الحقائق تختلف**"[2].

وقوله (**بأسمائه الحسنى وصفاته العلى**) وضح الشيخ رحمه الله ذلك بقوله **إثبات ما أثبت لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، على ما يليق بالله تعالى، صفات لا تُشبه صفات المخلوقين، وهكذا أسمائه وأفعاله**"[3]وسيأتي إن شاء الله ضابط الاسم والصفة والفرق بينهما في موضعه .

وقوله (**الواردة في القرآن والسنة**) أي لا طريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا من طريق واحد، هو طريق الخبر -أي الكتاب والسنة- قال الشيخ رحمه الله :"**ومن الإيمان بالله ﷻ أن تصدق الله إذا وصف نفسه بصفات، تؤمن بهذه الصفات، لا تنفيها لا**

(١) راجع: التعليق على شرح الواسطية الشريط (١) و (أ)، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات صـ٢٩، التيسير صـ٣٤ ، القول المفيد ١٢/١.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١) و (أ).

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (١) و (أ).

تقل لا يجوز أن يوصف الرب بكذا، طالما أنه وصف نفسه بصفات في كتابه، سواء كانت من الصفات الذاتية: كالإرادة والقدرة والعلم والحياة، أو من الصفات الفعلية: كالاستواء على العرش والمجيء يوم القيامة لفصل القضاء والفرح والغضب، وبما وصفه به رسوله ﷺ، أي لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله. فمصدر عقيدتنا الوحي وحده لا شئ غيره، وهذا الوحي ينقسم إلى قسمين: وحي متلو وهو القرآن، ووحي مسموع غير متلو وهو السنة، لا يخرج مصدر العقيدة من هذا أبداً، لا توجد صفات تثبت لله ﷻ لم يرد ذكرها في الكتاب أو السنة"(١).

فيجب علينا الاتباع المطلق لهذين المصدرين في هذا المبحث وغيره من المباحث؛ لأنه مبحث "**توقيفي محض بمعنى أنه، لا يخضع للاجتهاد ولا للقياس أو الاستحسان العقلي، أو النفي والإثبات بالذوق والوجدان. بل السبيل إليه الأدلة السمعية الخبرية، وبعبارة أخرى (لا يتجاوز الكتاب والسنة في هذا الباب)...هذه الأدلة هي السبيل الوحيد في معرفة الأسماء والصفات، والعقل السليم سوف لا يخالف النقل الصحيح"**(٢).

قوله **(والإيمان بمعانيها وأحكامها)** يوضح ذلك قول الشيخ رحمه الله:"**أسماء الله تعالى ليستْ أسماء جامدة لا تدلُّ على المعاني، بل تدلُّ على المعاني؛ فصفات الله تعالى من معاني أسمائه.**

أسماء غيره (الأعلام) يقال: أعلام جامدة ما تدلُّ على شيء، زيد يدلُّ على الذات فقط، الأسماء الجامدة (الأعلام) تدلُّ على المسمّى فقط بدون دلالةٍ على معاني الثناء، إلا ما ندر، كأن كان ذلك مقصودًا مثل: (محمد) و (أحمد) من الحَمْد، وإلا الأصل في الأسماء الجامدة والأعلام الجامدة: الدلالة على المسمّى فقط. ولكن أسماء الله تعالى

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣) و (أ).

(٢) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٦٤، وانظر: الصفات الإلهية صـ٨٥.

يُقال فيها: هي أعلامٌ وصفات؛ أسماء الله قال غيرُ واحدٍ من أهل العلم: أسماء الله تعالى أعلامٌ وصفات[1] أعلامٌ من حيث دلالتها على الذات، وصفاتٌ من حيث دلالتها على المعاني"[2].

(١) سيأتي مزيد توضيح لهذه القاعدة في مبحث القواعد إن شاء الله.

(٢) شرح القواعد المثلى الشريط (١) و (أ).

المطلب الثالث: جهوده في توضيح معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات:

تقدم تعريف توحيد الأسماء والصفات؛ وأنه إثبات ما جاء في النصوص الشرعية، ونفي ما جاء نفيه فيها، من غير إلحاد، وتوضيح ذلك عملياً وفق منهج السلف من الصحابة ومن سار على نهجهم، كما قرر ذلك الشيخ وغيره من أهل العلم هو أنهم: **يصفون الله بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ محمد ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيل**[1].

وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكييف، ومَنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتتريه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتبعوا قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ "[2].

والشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله لم يدخر جهداً في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وبيان المراد من قولهم: (من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل). ويحسن توضيح ذلك بما يلي:

[من غير تحريف]

(التحريف): مصدر حرَّف يُحرِف تحريفاً، وتحريفاً الفعل الثلاثي من حَرَفَ كضَرَبَ يَضرِب، أي مال أو أمال، وهذا التضعيف للمبالغة. والتحريف في اللغة كما قال الشيخ رحمه الله:"**هو الميل ومنه الانحراف، يقال للإنسان إذا لم يلتزم الدين، ولم يتمسك يقال له: منحرف، أي مال منحرف أي مائل عن الحق، إذن التحريف هو الميل**"[3].

وعلى ذلك فتحريف الكلام كما قال الشيخ رحمه الله:"**هو الخروج بالكلام عن المعنى المتبادر المفهوم من اللفظ بالوضع، إلى معنًى آخر مرجوح لا يدل عليه اللفظ، إلا باحتمال مرجوح أو بتكلف. أو المراد تحريف الألفاظ: بالزيادة فيها أوالنقصان**

---

(١) انظر: الواسطية مع شرح الفوزان صـــ١٣.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث صـــ١٦٣-١٦٤.

(٣) شرح التدمرية ٢الشريط (١) و (ب).

منها"[1]. ويتضح مما سبق أن التعريف الاصطلاحي للتحريف عند الشيخ رحمه الله ينقسم إلى قسمين: تحريف يرجع إلى اللفظ، وتحريف يرجع إلى المعنى، وقد وضح ذلك بالأمثلة:

١- تحريف اللفظ: وهو الميل باللفظ عن جهته إلى غيرها، بزيادة أو نقص ونحوه. ومَثَّل الشيخ رحمه الله لذلك بقوله: "**تحريف اللفظ ..كقراءة بعض علماء الكلام لما تضايقوا من قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ أرادوا أن يكون موسى هو المتكلم فحرفوا، فقالوا ((وكلم اللـــهَ موسى تكليما)).. فإذا حرفوا هنا فماذا يقولون في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ هكذا حاوره بعض أهل العلم**[2] **حتى أسكته، ذلك الذي اقترح أن تُقرأ الآية هكذا في (كلم اللّهُ) (اللـــهَ) بالنصب، وهذا يعتبر التحريف في اللفظ**"[3].

٢- تحريف المعنى: الميل باللفظ عن المعنى المتبادر المفهوم إلى معنًى آخر مرجوح لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح أو بتكلف، ومثل له بقوله:"**أما التحريف في المعنى كقولهم ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ بمعنى استولى، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ أي جاء الملك أو جاء أمره (يترل ربنا) أي يترل أمره أو يترل الملك، هذا تحريف في المعنى**"[4].

وقد نبه الشيخ رحمه الله على أن التأويل المذموم تحريف فقال:"**التأويل المذموم تحريف؛ تحريف الكلمة وأن تحمل الكلمة ما لا تتحمل لا لغة ولا شرعاً، أما التفسير**

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣) و (أ).

(٢) هو المقرئ المعروف أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي البصري، شيخ القراء والعربية والشعر وأيام العرب، وثقه ابن معين وغيره، توفى سنة ١٥٤هـــ. انظر: السير ٦/٤٠٧. وقد ذكر هذه القصة المشهورة شارح الطحاوية انظر: صـــ ١٧٧.

(٣) شرح التدمرية ٢ الشريط (١) و (ب).

(٤) المصدر السابق.

اللغوي: تفسير المفردات باللغة ليس بتأويل، ولكنه تفسير وبيان، والتأويل في لغة المفسرين: بمعنى التفسير والبيان، إنما التأويل عند المتأخرين بمعنى التحريف"[1].

[ولا تعطيل]

التعطيل: في اللغة كما قال الشيخ رحمه الله:"**مأخوذ من العَطَل، الذي هو الخلو والفراغ، بئر معطلة، المدرسة معطلة أي: لا أحد فيها، ولا أحد يذهب إليها**"[3]. ثم ذكر المعنى الاصطلاحي فقال: هو"**نفي صفات الله عز وجل اللائقة به ثم وصفه بغيرها، أو مجرد التعطيل وإن لم يُعَين معنى**[2] وقال أيضاً: "**وأما التعطيل فهو أن يجحد الإنسان صفات الله تعالى، وينفيها إما كلها أو بعضها**[3] وعلى ذلك فالتعطيل إما كلي أو جزئي، وقد يكون للمعاني، وإذا حُرِفت الألفاظ أدى ذلك للتعطيل.

وقد بين الشيخ رحمه الله العلاقة بين التحريف والتعطيل فقال:"**النسبة بين التحريف وبين التعطيل العموم والخصوص المطلق، بمعنى: كل تحريف يستلزم التعطيل، من حرّف الكلام حرّف النصوص، تحريف النصوص يؤدي إلى التعطيل أو من حرّف الكلام عن معناه الصحيح، وخرج به عن المعنى الصحيح إلى المعنى المرجوح الذي لا يؤدي إليه إلا بتكلف، يؤدي ذلك إلى تعطيل المعنى الصحيح، ثم من حرّف فقد عطل، ولا يلزم العكس، قد يعطل الإنسان معنًى صحيحاً من غير تحريف، كأن يدعي الوَرع والتفويض فيدعي أن نصوص الصفات لا معنى لها، ولا تُفَسر فتراه لم يُحرِف، لم يقل مثلاً في استوى استولى، ولم يقل في جاء ربك جاء أمره أو جاء الملَك، فهذا تحريف وتعطيل في وقت واحد، لكن من زعم أن نصوص الصفات لا تُفَسر –فقد لبَّس– فتُفوَض ويُسمَون الوقفيين أو المفوضة**[4]**، هؤلاء عطلوا؛ لأنهم لم يثبتوا لله ما أثبت**

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ ١١٠.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣) و (أ).

(٣) شرح التدمرية ٢ الشريط (١) و (ب).

(٤) التفويض: فكرة لجأ إليها أهل التأويل والتحريف؛ ليخففوا من درجة التعارض بين مذهب الإثبات ومذهب التحريف؛ وليضيقوا رقعة الخلاف، ويقصروها على مسألة تعيين المراد أو عدم

لنفسه، ولا ما أثبته له رسوله ﷺ، وقعوا في التعطيل قبل أن يُحرِفوا، إذن المفوضة مُعطِله غير محرفة، والمؤولة من الأشاعرة والماتريدية وأمثالهم محرفون ومعطلون، وأهل التفويض معطلون بدون تحريف"[1].

[ومن غير تكييف]

ذكر الشيخ رحمه الله تفسيرين للتكييف:

"١- **أن تسأل عن صفات الله وأسمائه (بكيف؟) وهذا لا يجوز..؛ لأن هذا تعرض لما لا علم لك [به]، ولا تستطيع أن تدرك، هذا علم استأثر الله به، الكيفية لا يسأل عنها.**

٢- **أن تقول: صفات الله على كيفية كذا وكذا"**[2].

إذن التكييف إما أن تجعل للصفة كيفية وصفة مقيدة، أو غير تقييد بمماثل، وعلى هذا فالتكييف أعم من التمثيل. أو أن تسأل عن كيفية وحقيقة الصفات بكيف، وكل هذا لا يجوز.

[ولا تمثيل]

والتمثيل قسمه الشيخ رحمه الله إلى قسمين:

١- أن يزعم الإنسان أن صفة من صفات الله تعالى مثل صفات خلقه.

٢- أو الله سبحانه وتعالى في ذاتِه كذوات خلقه.

ثم نبه على أن "**التمثيل يستلزم المساواة من كل وجه**"[3]ويرى الشيخ رحمه الله أن هناك فرقاً دقيقاً بين التشبيه والتمثيل، فيقول:(**والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرَّق بينهما بأن)**

=

تعيينه؛ وليحفظوا بالتالي في نفوسهم ونفوس أتباعهم مصداقية انتسابهم للسلف. انظر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات صـــ ١٧٤.

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣) و (أ).

(٢) شرح التدمرية الشريط (١) و (ب).

(٣) شرح التدمرية الشريط ٢ (١) و (ب).

يقال:(التمثيل التسوية)؛ بأن يقال: هذا مثلُ هذا تماماً،في كلِّ الصفات، والتشبيه: التسويه في أكثر الصفات؛ لذلك يقال: ليس بلازم أن يكون المشبَّه كالمشبَّه به، إذا قلت زيدٌ كالأسد هل صار كالأسد في كلِّ شيء؟ فقط في الشجاعة، إنما يُراد بالتشبيه هنا زيد كالأسد في شجاعته، ولكن لم يَصِرْ حيوانا مثله بشعره الكثير، وغير ذلك من مواصفات الأسد، لا؛ لذلك التشبيه لا يلزم أن يكون المشبِّه كالمشبّه له أو كالمشبّه به. ولكن يقال: في التمثيل إذا قيل مِثل، وإن كان هذا التفريق تفريق دقيق لا يكون محلّ اتّفاق"(١).

وقد وضح الشيخ رحمه الله العلاقة بين التمثيل والتعطيل فقال:"**كل مشبه معطل، وكل معطل مشبه، لأن المشبهة قد عطلوا البارئ عما يليق به بتشبيههم إياه بالمخلوق. كما أن المعطلة قد شبهوه بتعطيله عن صفات الكمال –وصفاته كلها كمال– بجمادات لا توصف بأي صفة لا بالعلم، ولا بالبصر مثلاً"**(٢).

وقال أيضاً:" **أما تعطيل المعطل فظاهر؛ نفيه للصفات، وأما تمثيله؛ فلأنه عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه أي وقع في التشبيه أولا بمعنى فهم من نصوص الصفات التشبيه فوقع في التشبيه فأراد أن يفر من هذا التشبيه ولكن لو فر إلى التنزيه لسلم، ولكنه فر إلى التعطيل، فر من البلاء إلى بلاء"**(٣). أما تمثيل الممثل فظاهر وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه:

أولاً: عطل النص عندما زعم أنه دال على التشبيه.

ثانيا: عطل النصوص التي تدل على نفي المماثلة.

---

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (٤) و (أ).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢٣٠.

(٣) نهاية الشريط الذي يلي الشريط (٨) من شرح القواعد المثلى، وقد سقط هذا الشريط من أشرطة مكتبة وتسجيلات ابن رجب (١٦) شريطاً. واستدركته من التسجيل الموجود على شبك النت انظر: موقع الشيخ.

ثالثاً: عطل رب العالمين عن الكمال الواجب الذي يليق به[1].

إذا تقرر ما سبق من أن معتقد السلف الصالح أهل السنة والجماعة في هذا الباب **أهم يصفون الله بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ محمد ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ** فالخلاصة مما سبق أن مذهبهم مبني على أصلين حث عليهما الشيخ محمد أمان رحمه الله بقوله :"

١- فعلينا أن نثبت هذه الصفات وغيرها من الصفات الواردة في كتاب ربنا إثباتاً لا يصل إلى حد التشبيه والتمثيل،

٢- مع تتريه الرب تعالى عن مشابهة مخلوقاته فيما أثبتناه له من الصفات تتريها لا يصل بنا إلى حد التعطيل، ويكون موقفنا إثباتاً بلا تشبيه وتتريها بلا تعطيل[2]

وبسبب الضلال بهذين الأصلين، ضل أهل الأهواء من الفلاسفة والمتكلمين ومن نحا نحوهم، بدعوى أن الإثبات يستلزم التجسيم، وما ادعوه كما قال الشيخ رحمه الله:"**زعم فاسد لا يعتمد على قاعدة علمية ونظر سليم، وإنما هو زعم يتوارثه أهل الكلام بعضهم من بعض؛ مبعثه إما الجهل، أو هوى في النفس، وإلا فإن التشبيه أو التجسيم أمر زائد على الإثبات، فلا يلزم من إثبات العلم لله مثلاً تشبيه الله بخلقه في علمه، ضرورة أن علم الخالق ليس كعلم المخلوق؛ لأن علم المخلوق يناسب حال المخلوق محدث مثله، محدود لا يحيط بالمعلومات، ومعرض للنسيان والغفلة والذهول، ثم إنه غير باق، ضرورة زوال الصفة بزوال الموصوف، وهذه الأعراض التي ذكرناها لعلم المخلوق يتره عنها علم الخالق؛ لأنه علم يليق به تعالى قديم قدم ذاته، محيط بكل شيء لا يلحقه نسيان أو ذهول، أو غفلة وهو باق بقاء الذات العلية، فإثبات صفات الله تعالى عند المثبتة على غرار قوله تعالى:** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ﴿ وَلَا

---

(١) راجع: شرح الشيخ للقواعد المثلى الشريط (٩) و (أ).

(٢) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـــ٣٦٥.

يحيطون به علما ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ **وما قيل في صفة العلم يقال في سائر الصفات الذاتية والفعلية، هكذا يثبت لدى المنصف أن الإثبات شيء والتشبيه شيء آخر والله ولي التوفيق"**[1].

ويحسن التذكير بنصيحة الشيخ رحمه الله لكل مسلم حين قال: "**ابتعد عن التشبيه وعن التعطيل معاً، وأَثبِت لله سبحانه ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله أمينه على وحيه ﷺ، وانف بعد ذلك التشبيه والتعطيل. لا تُحرِف فتُعطِل ولا تُشبِه فتُمثِل**"[2].

واعلم أن "**التنزيه الصحيح: أن تُثبت لله ما أثبت لنفسه، أو أثبته له رسوله الأمين ﷺ، ثم تنفي المماثَلة بين ما أثبتّ وبين صفات المخلوقين. وليس من التنزيه نفيُ الصفات، كما فعل بعضُ علماء الكلام**"[3]. وبالله التوفيق

وإن مما يرسخ ما سبق من معتقد أهل السنة والجماعة، بيان الأسس التي تميزوا بها في هذا الباب، وقد نبه عليها الشيخ رحمه الله بقوله:"**وهنا ثلاث نقاط ينبغي أن نعتبرها أسساً في هذا الباب:**

١- إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿ قل ءأنتم أعلم أم الله ﴾ **كما لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله** ﷺ **الذي قال الله تعالى فيه:** ﴿ وما ينطق عن الهوى ۝٣ إن هو إلا وحى يوحى ﴾ .

---

(١)العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٦٥-٢٦٦

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣) و (أ)

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (٣) و (ب)

٢- تنـــزيه الله عز وجل من مشابهة الحوادث في صفاته في ضوء قوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ والآية تشتمل على التنـــزيه لله والإثبات معاً كما ترى.

٣- عدم محاولة إدراك حقيقة صفاته كما لم تدرك حقيقة ذاته سبحانه إيماناً بقوله تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ "[١].

ومعرفة هذه الأسس وأدلتها من الأهمية بمكان، وقد ذكرها جماعة من أهل العلم[٢]

وقد اهتم الشيخ محمد أمان رحمه الله بتوضيح هذه الأسس، ويمكن إيجاز ذلك بما يلي:

الأساس الأول: إثبات ما أثبته الله ورسوله ﷺ من الصفات إثباتاً حقيقياً بلا تمثيل، على وجه الكمال.

هذا الأساس مبني على ثلاثة أركان: الإتباع، وإثبات الكمال، وإثبات الحقيقة.

وقد وضح الشيخ رحمه الله هذا الأساس في بيان القاعدة العامة عند السلف في هذا الباب فقال:"**أما السلف فلدقة فقههم في هذا الباب خاصة، وفي الأبواب الأخرى عامة، في الأصول والفروع، فقد سَلّموا لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام، فيرون بأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، كما لا يصفه من خلقه أعلم به سبحانه من رسوله، فَوقَفُوا مع نصوص الكتاب والسنة دون محاولة لتجاوزها، فلم يخوضوا فيها بالتحريف بدعوى أن ظاهرها غير مراد، بل أمرُّوا النصوص كما جاءت، مكتفين بفهم المعنى العام الذي يدل عليه اللفظ بالوضع دون تعمق أو تفلسف، أثبتوا لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله الأمين، عليه الصلاة والسلام، دون أن يصل بهم هذا الإثبات إلى حد**

(١) الصفات الإلهية صـــ٨٦.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة ٩٤/١-٩٧ ، إبطال التأويلات ٤٣/١ ، منهج ودراسات لآيات الصفات صـــ٢٥.

التشبيه والتجسيم، بل سلكوا طريقاً وسطاً بين التعطيل والتشبيه والتجسيم، وهو طريق السلامة كما ترى"[(١)]. ويتضح بذلك وجوب الالتزام بما ورد في الكتاب والسنة في هذا الباب خصوصاً، وغيره من أبواب الدين عموماً؛ فإنه لا يخبر عن الله أعلم ولا أصدق من الله، ولا يخبر عن الله من خلق الله أصدق من رسول الله، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهذه حجة شرعية عقلية، كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**وهذا هو الموقف السليم شرعاً وعقلاً؛ لأن التسليم للمتكلم في معرفة مراده أمر ضروري عقلاً؛ إذ دلالة اللفظ على المعنى إنما هي بواسطة دلالته على ما عناه المتكلم وأراده، وإرادته وما عناه في نفسه لا تعرف إلا بدلالة اللفظ بالوضع ابتداء، إلا إذا أخبر أنه أراد خلاف ذلك المعنى الذي دل عليه اللفظ، أو دل عليه بقرينة واضحة. ومن زعم أنه قد يفهم من كلام المتكلم خلاف ما دل عليه اللفظ دون إخبار منه، أو دلالةٍ عليه بقرينة تبين أنه أراد خلاف ظاهر اللفظ، فخرج باللفظ عن ظاهره بتأويل وتكلف – كما تفعل المعتزلة– فقد أبعد النجعة، وأخطأ الطريق، وقال على الله بغير علم، وارتكب كبيرة من كبائر الذنوب"**[(٢)].

"فالواجب هو مقتضى الإيمان بالله وبكتابه ورسوله، ألا يخوض في صفاته بغير علم، ولا يتحدث عن الله إلا بإذن الله، وعلى ضوء بيان رسول الله؛ لأنه لا يصف الله أعلم من الله، ولا يصف الله من خلقه أعلم من رسوله الذي اختاره واصطفاه وأذن له ليتحدث عنه وعن صفاته، بل كلفه ببيان كتابه الذي هو مصدر صفاته بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾"[(٣)] وما قرره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو ما دلت النصوص الشرعية عليه، قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾

(١) الصفات الإلهية صـ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) المصدر السابق صـ١٨٢-١٨٣.

(٣) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ٢٩.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فالله عز وجل هو الذي سمى ووصف نفسه بما جاء في نص كلامه الذي هو القرآن. ولا يسمي ويصف الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ، قال الله سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ، وكذلك الصحابة ﷺ ومن سار على نهجهم كانوا على هذا النهج القويم، قال الشيخ موضحاً طريقتهم:"**ومن سبيلهم في باب الاعتقاد، الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، لا يزيدون ولا ينقصون، ولا يفسرونها فيما يخالف ظاهرها الذي يظهر من وضع اللفظ العربي، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين، بل يمرونها كما جاءت، ويردون علم حقيقتها إلى قائلها، مع اعتقاد أنها على الحقيقة، وكثير ما يحيل التابعون ومن بعدهم من سألهم أو أراد أن يفهم ما أشكل عليهم يحيلونهم على علم الصحابة**"[(١)] فـ"**إذا تأكدت من ثبوت النصوص، لم يبق أمامك إلا أَن تقول (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد اللّه، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ وكفى**"[(٢)].

فيتضح بذلك أن إيماننا باللّه سبحانه "**إيمان إثبات وتسليم، وكذلك يجب أن يكون إيماننا بصفات الله إيمان إثبات للصفات قبل الخوض فيها بالتحريف أَو بالتأويل، أو بالتشبيه، بل نسلم للّه فيما أَثبته لنفسه ولا ننازعه، ونسلم لرسوله الأمين فيما أثبته لربه سبحانه، ولا ننازعه ولا نزيد عليه، إذ سبق أن قررنا أنه لا يصف اللّه أعلم باللّه من اللّه، ولا يصفه من خلقه أعلم باللّه من رسول اللّه عليه الصلاة والسلام**"[(٣)].

---

(١) الصفات الإلهية صـــ٨٢ .

(٢) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـــ٣٦٥-٣٦٦.

(٣) المصدر السابق صـــ٣٦٦.

الأساس الثاني: تتريه الله عن مشابهة خلقه:

وهذا أساسٌ ومعلمٌ واضح عند السلف وأتباعهم، فإن من أعظم مقاصدهم تقديسهم لربهم تبارك وتعالى عن كل نقص وعيب.قال الشيخ في بيان حقيقة هذا الأساس:"**حقيقة التنـــزيه أن ينفي عن الله ما لا يليق بالله شرعاً وعقلاً، كالولد والوالد والشريك، والند والتشبيه والتجسيم، وغير ذلك مما نزه عنه نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام. والله منـــزه عن كل ذلك؛ لكماله في ذاته وصفاته، في وحدانيته وقيوميته؛ ولغناه المطلق عن كل ما سواه في الوقت الذي يحتاج إليه كل ما عداه، وهذا التنـــزيه في ضوء قوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وهل يوجد تنـــزيه أبلغ من هذا؟ وهو مشتمل على إثبات صفات الكمال، مع نفي ما لا يليق به سبحانه من معاني النقص والحاجة التي تتنافى والكمال المطلق لله سبحانه، هذا هو التنـــزيه الحقيقي عند أتباع القرآن والسنة**"[1].

ومما يعين على توضيح هذا الأساس أمران نبه عليهما الشيخ رحمه الله مراراً:

الأمر الأول: أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه تماثل المسمى:

قال الشيخ رحمه الله :"**الاتفاق في مسمى الشيء وفي مسمى الوجود، لا يقتضي التماثل بين المسميات، حتى في المخلوقات دع عنك الخالق، العرش مخلوق ليس وجوده كوجود البعوض، الفيل مخلوق ليس وجوده كوجود النملة مثلا، وقس على ذلك، إذا كان في الإمكان الاختلاف بين وجود مخلوق ووجود مخلوق آخر، كيف يتبادر إلى ذهن**

(١) الصفات الإلهية صـــ١٨٠-١٨١.

عاقل أن يكون وجود الخالق كوجود المخلوق، إلا إذا مرض العقل بأن شوش عليه بالشبهات"[1].

فيجب إثبات هذه الصفات كما جاءت، والإيمان بأن الله هو المتصف بها وحده ولا شاركه غيره في حقائقها، وأنها بمجرد الإضافة إليه تختص به كما تختص صفات المخلوقين بالإضافة إليهم، وأن المشاركة اللفظية بين صفات الخالق وصفات المخلوقين لا يلزم منها المشاركة في حقائق الصفات، و أن أسماء الله تعالى تدل على صفاته تعالى، وليست أسماؤه جامدة كالأعلام الجامدة التي لا تدل على المعاني في الغالب، إلى غير ذلك من مباحث هذا الباب العظيم الذي قد يسبب عدم تحقيقه اضطراباً قي عقيدة المرء[2].

الأمر الثاني : كل موجودين بينهما قدر مشترك:

أن كل موصوفين بصفة بينهما قدر مشترك من الصفة، فمثلاً الإنسان موصوف بالبصر والنملة والفيل موصوف بالبصر، فبينهما قدر مشترك من أجله وصف كل منهما بالبصر. ولله المثل الأعلى فالله تبارك وتعالى موصوف بالبصر، فالبصر وصف مطلق يوصف به كل من اتصف بالبصر، كلٌ حسب ما يلائمه ويليق به، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:**"هكذا ترد الصفات، إذا عرفنا هذه الحالات الثلاث زال الإشكال، وورود الصفات مختصة مضافة إلى الله، وورود الصفات مختصة ومضافة إلى المخلوق، وورود الصفات مطلقة، هذه الحالات الثلاث توضح المقام تماماً**[3]**، وأن هذا الاشتراك في الاسم العام لا يضر بل لا بد منه، والاشتراك الممتنع الاشتراك بعد تخصيص صفات الله بالله، وأسماء الله بالله، وبعد تخصيص صفة المخلوق بالمخلوق، هذا الذي لا يقع فيه الاشتراك"**[4].

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٣) و (أ).

(٢) انظر: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ضمن المجموع صـــ٣٦٦.

(٣) شرح التدمرية الشريط (٣) و (أ).

(٤) المصدر السابق الشريط (٣) و (ب).

وأختم الكلام على هذا الأساس بعتاب الشيخ رحمه الله للمعطلة حيث قال:"**إذا كان الله هو الذي وصف نفسه بذلك، أنت تنزه الله عما وصف به نفسه؟!! التنزيه عن النقائص!! الله لا يصف نفسه بالنقص، وإنما إذا أردت التنزيه الصحيح اقرأ قوله تعالى وقف عنده:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **لا تنزه الله بأبلغ من هذه الآية، فاعلم ذلك**"[1].

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك الكيفية:

مما يؤمن به السلف في باب الصفات: أنهم يثبتونها ويؤمنون بها، وهم في نفس الوقت يجهلون كيفية اتصاف الباري بها. فالعقل قاصر عن معرفة كنه ذات الباري سبحانه، وعدم علمه بذلك لا ينفي حقيقة تلك الصفات، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**ولكن الرب ﷻ إنما نعلمه بآياته الكونية التي نحن منها، وبآلائه وبأخباره، إيماننا بالله إيمان تسليم لا إيمان تكييف، فإذا كنا نعجز ونعترف بالعجز عن إدراك حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى، يجب أن نعترف بعجزنا عن إدراك حقيقة أسمائه وصفاته، فقد نعلم المعاني كما جاء في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ، أما الكُنه والكيفية فلا نعلم. عند الإيمان لك أن تجول في مخلوقات الله تعالى بعقلك وفكرك؛ لتدرك عظمة الله وتؤمن بعظمة الله وقدرته، وتزداد محبته وتعظيمه وتقديره، احذر أن تفكر في ذاته، من أراد أن يفكر في ذات الرب كيف هو؟ يهلك. احذر الهلاك بالتفكير في ذات الله ﷻ، عليك أن تفكر في مخلوقاته في آياته المسموعة والمرئية، لكن احذر كل الحذر أن يخطر ببالك محاولة إدراك حقيقة ذات الله تعالى، هذا سر كتمه الله عن عبادة وصرفهم عنه**"[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣) و (أ).

وأنبه على أن من زعم أن السلف فوضوا علم المعنى فقد أخطأ عليهم، فهم إنما فوضوا الكيفية، كما قرر تلكم القاعدة الإمام مالك[(١)] وغيره من أهل العلم، حيث أصبحت قاعدة في رد تلكم الدعاوى، قال الشيخ رحمه الله :"**يجب أن يحفظ طلاب العلم هذه القاعدة؛ ليردوا الشبه في كل شبهة تَرِد. جواب من يسأل عن كيفية رضا الله وكيفية محبته وكيفية نزوله وكيفية مجيئه، الجواب أن يقال كما قال الإمام مالك: الرضا معلوم والنزول معلوم والمجيء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن الكيفية بدعة والإيمان بهذه الصفات واجب (الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحذو حذوه) هكذا قعّد أتباع السلف**[(٢)] **بعد أن نشأ علم الكلام في المئة الثانية قعدوا هذه القواعد وبذلك دافعوا عن العقيدة**"[(٣)].

وبمعرفة هذه الأسس الثلاثة يزداد المسلم معرفة بمعتقد أهل السنة والجماعة، وتكون تلك المعرفة –بإذن الله– عاصمة له من الزلل والخلل قال الشيخ رحمه الله:"**ومن التزم بهذه الأسس الثلاثة لا يكاد يتورط فيما تورط فيه المعطلون لصفات الله بدعوى التنـــزيه، ولا يقع في التشبيه بالمبالغة في الإثبات بل هو دائماً على الحق الذي هو وسط بين الطرفين. وهو الذي عليه أئمة المسلمين بل كل إمام من الأئمة المشهود لهم بالإمامة يدعو إلى هذا المنهج**"[(٤)].

إذا تقرر ما سبق من معرفة الأسس الثلاثة، فيحسن في هذا الموطن –توضيحاً للمعتقد السليم في هذا الباب وغيره من الأبواب– ذكر القواعد الثلاث التي عدها الشيخ

---

(١) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، إمام دار الهجرة المحدث الفقيه أحد الأئمة الأربعة، له مؤلفات منها: الموطأ، توفي سنة ١٧٩ هـــ. انظر: السير ٤٨/٨، شذرات الذهب ٢٨٨/١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٤/٤، مدارج السالكين ٨٦/٢.

(٣) شرح التدمرية الشريط (٣) و (ب).

(٤) الصفات الإلهية صـــ٨٧.

رحمه الله أسساً وقواعد واضحةَ المعالم وثابتة للاتجاه السلفي في هذا الباب وغيره من الأبواب، حيث قال: "**فخلاصة قواعدهم:**

١- تقديم النقل على العقل.

٢- عدم التأويل.

٣- عدم التفريق بين الكتاب والسنة"(١).

وتوضيح هذه القواعد يكون على النحو التالي:

القاعدة الأولى: تقديم النقل على العقل:

قال الشيخ رحمه الله موضحاً هذه القاعدة:"**وبالاختصار: إن السلف إنما يقدمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية؛ إيماناً منهم بأن الله أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب من عنده، وكلفهم ببيان ما يحتاج إلى البيان؛ لأمر له شأنه، وهو: أن ما جاء في هذه الكتب، وبلَّغته الرسل يغني عن كل شيء. وأما غيره فلا يغني عنه. هذه النقطة هي (سر المسألة) فلا يسع الخلف إلا إتباع السلف على أساس أنهم أعلم وطريقتهم أحكم وأسلم.**

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ما أصدق مضمون هذا البيت علماً أن قائله خلفي، وكأنّ الناظم يشير بهذا البيت إلى الحديث الشريف الذي يقول فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام:(كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)(٢)"(٣) فينبغي الأخذ بالنصوص النقلية، وعدم ردها، قال الشيخ رحمه الله: "**كل من رد النقل الصحيح بدعوى أنه دليل لفظي لا يفيد اليقين، فقد رد العقل الصريح -وهو لا يشعر- ولم يبق لديه دليل يستدل به أو يحاجج به، إذ مما اتفق عليه العقلاء أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، علماً بأن النقل هو**

(١) الصفات الإلهية صـ٨١ ، وانظر: اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٧٦-٧٨.

(٢) انظر: تخريج خطبة الحاجة للألباني صـ٢٥.

(٣) الصفات الإلهية صـ٧٨.

الأصل؛ لأنه من المتفق عليه أن العقل لا سبيل له لإثبات المطالب الإلهية، على سبيل الاستقلال"[1].

القاعدة الثانية: عدم التأويل:

قال الشيخ رحمه الله:"**إن منهج السلف ومذهبهم أن الصحابة نقلوا إلينا القرآن وأخبار الرسول ﷺ، نقل مصدق غير مرتاب في صدق قائله، وصدق ما يقوله وينقله، ثم لم يؤولوا ما يتعلق منه بالصفات من الآيات والأحاديث، بل كانوا ينكرون بعنف على من يتتبع الغوامض من نصوص هذا الباب، وربما ضربوه**[2]،**لئلا يفتن الناس بالتأويل، فدل ذلك على أن منهجهم هو اتباع النقل فقط، مع عدم تأويله**"[3].

وقد نقل الشيخ محمد أمان رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعدد الاصطلاحات في معنى التأويل، فقال: "قد صار مستعملاً في ثلاثة معان، على ما ذكره: أحدها: وهو اصطلاح كثير من المتأخرين –من المتكلمين– أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترن به، وهذا هو الذي عناه أكثر من تكلم من المتأخرين في تأويل النصوص، وهو الذي يرفضه أتباع السلف الصالح قديماً وحديثاً؛ لأنه يؤدي إلى القول على الله بغير علم.

النوع الثاني: التأويل الذي هو بمعنى التفسير والبيان، وهو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير وغيره.

النوع الثالث: التأويل الذي بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام"[4].

ومن تأمل هذه القاعدة وجد الترابط الشديد بينها وبين سابقتها، وقد وضح الشيخ رحمه الله ذلك بقوله:" **فالتأويل في اصطلاح المتكلمين إنما يعني اتخاذ العقل أصلاً، حتى يكون النقل تابعاً له، فإذا ما ظهر تعارض بينهما –في زعمهم– فينبغي تأويل النص**

---

(١) المصدر السابق صـ١٨٨.

(٢) كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ.وقصته مشهورة رواها الدارمي في سننه ١/٢٥٤.

(٣) الصفات الإلهية صـ٨٠.

(٤) المصدر السابق صـ٨٣، وانظر: التدمرية صـ ٩١-٩٢.

حتى يوافق العقل. ولم يعلموا –أو هم يتجاهلون– أن الحجة العقلية الصريحة لا تعارض الحجة الشرعية الصحيحة. بل يمتنع تعارضهما إلا إذا كان هناك فساد في أحدهما أو فيهما جميعاً" .

وعلى هذا فإياك"**ثم إياك وإياك أَن تخوض في صفات اللّه بالتأويل والتحريف أو بالتشبيه والتجسيم، بل تثبتها على ضوء الآية السابقة:** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ **وقوله تعالى**﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ **وقوله** ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ **لأن الصفات كلها من باب واحد ولا يجوز التصرف في صفات اللّه بالعقل المحض على خلاف النصوص بإثبات بعضها وتأويل البعض الآخر كما فعلت الأشاعرة الكلابية[٢]"[٣]**.

القاعدة الثالثة: عدم التفريق بين الكتاب والسنة:

سبق تقرير أنه يجب الإيمان بما ورد في النصوص الشرعية من الأسماء والصفات، وتأكيداً لذلك يقرر الشيخ أن قضية التفريق بين ما ورد في الكتاب وما ورد في السنة وبين الآحاد والمتواتر، إنما ذلكم تدرج لعزل النصوص الشرعية، وتحكيم القوانين العقلية، قال الشيخ رحمه الله موضحاً هذه القاعدة:"**ومن تلكم الاصطلاحات الغربية والدخيلة تقسيم الأحاديث النبوية إلى ظنية وقطعية كخطوة أولى في سحب ثقة المسلمين من أحاديث نبيهم.**

(١) المصدر السابق صـ٨٤.

(٢) الكلابية: هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، يزعمون أن صفات الله تعالى لا هي هو ولا غيره، وأن الصفات لا تتغاير، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل. انظر: مقالات الإسلاميين صـ ٥٤٦،٢٩٨. آراء الكلابية العقائدية وأثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة.

(٣) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٦٦.

فزعموا أن الآحاد من الأحاديث لا تفيد العلم، ولا يجوز الاستدلال بها في باب العقيدة، وإنما يستدل في هذا الباب بالأدلة القطعية، وهي الأحاديث المتواترة أو الآيات القرآنية، وقد انطلى- وللأسف الشديد- على علماء الكلام هذا القول المزخرف؛ لضعف بضاعتهم في علوم السنة، وانشغالهم بالاصطلاحات الكلامية عن الكتاب والسنة، ... وظن الناس أن هذا هو معتقد المسلمين سلفاً وخلفاً.

وخشية أن يفطن بعض الحذاق لهذا الخداع المقنع، خطوا خطوة أخرى كذر للرماد في العيون. فقالوا قولة حق أرادوا بها الباطل وهي قولتهم المشهورة (أن طريقة السلف أسلم) وأوهموا الناس أن طريقة السلف مجرد سرد النصوص دون فهم لمعانيها، حتى أطلق عليها بعضهم (أنها طريقة العوام) وأما الطريقة المثلى التي فيها التحقيق والتدقيق هي طريقة الخلف.

ولما هدَّئوا الجمهور بعباراتهم تلك مضوا في طريقهم في إفساد عقيدة المسلمين وإبعادهم عن سنة نبيهم، ولم يقف القوم عند هذا الحد بل خطوا خطوة أخرى أخطر من التي قبلها، إذ قالوا: إن باب العقيدة باب خطير ومبحث هذا الباب أساس في الإسلام، فلا ينبغي أن يستدل فيه إلا بدليل قطعي لا يتطرق إليه النسخ، ولا يخضع للتخصيص أو التقييد. ألا وهو الدليل العقلي هذه هي الغاية في تدرجهم.

وأنت ترى أن مفهوم الدليل القطعي قد تغير، فبينما كان المراد به في الخطوة الأولى الأحاديث المتواترة، أو الآيات القرآنية فإذا يراد به هنا الدليل العقلي فقط. وأما الأدلة اللفظية أو النقلية قرآناً، وسنة فلا تنهض للاستدلال بها استقلالاً في هذا الباب. وإنما يستأنس بها إن وافقت الأدلة العقلية القطعية. هكذا تدرج القوم في أسلوبهم، إلى أن عزلوا نصوص الكتاب والسنة عن وظيفتها وهي هداية الناس﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ والسنة مثل القرآن في الهداية (تركت

فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما. كتاب الله وسنتي)[1]"[2]. "وإذا ما عزلت النصوص كما رأينا، ولم تعد تصلح للاستدلال بها على سبيل الاستقلال، فلم يبق إلا أن يرجع الناس إلى ما كانوا عليه قبل الوحي، وهو التحاكم إلى العقول؛ فنتيجة لذلك خاضوا بعقولهم في المطالب الإلهية فتكلموا في صفات الله فاختلفت العقول وتنازعت- ولا بد أن تتنازع- فافترقوا فرقاً مختلفة، يضلل بعضهم بعضاً، بل ربما كفر بعضهم بعضاً، وكلهم على غير هدى، طبعاً على تفاوت في ضلالهم"[3].

وبذلك يتم الكلام حول توضيح جهود الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحرصه على بيان المعتقد السليم، وتقريبه وتبسيطه لأبنائه طلبة العلم، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢٦١٨) والحاكم في المستدرك (٣١٩) وحسنه الألباني كما في تخريج المشكاة (١٨٦).

(٢) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صــ٨٠-٨١.

(٣) المصدر السابق صــ٨٢.

المبحث الثاني

جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالأسماء والصفات

تمهيد

إن العلم بأسماء الله وصفاته أساس الإيمان بكل الواجبات، فإذا علم الناس ربهم عبدوه، قال قوام السنة الأصبهاني[1] رحمه الله :"قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق تعظيمه. قال ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها"[2].

والعلم بأسماء الله الحسنى "أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى أو أمرا، إما علم بما كونه، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد، والرأفة والرحمة بهم والإحسان إليهم؛ بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه، فأمره كله مصلحة، وحكمة ولطف وإحسان، إذ مصدره أسماؤه الحسنى، وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ

---

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي الأصبهاني، المعروف بقوام السنة، له مؤلفات منها: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، دلائل النبوة، وغيرها، توفي سنة ٥٣٥ هـ. انظر: السير ٨/٢ ، شذرات الذهب ١٠٥/٤.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٣٣/١-١٣٤.

مصدره أسماؤه الحسنى فلا تفاوت في خلقه ولا عبث، ولم يخلق خلقه باطلا ولا سدى ولا عبثا"(١).

إذا تقرر ما سبق فينبغي للمؤمن الحرص على تعلم جميع مسائل هذا الباب، وفيما يلي عرض لما تيسر من جهود الشيخ في ذلك والله المستعان.

المطلب الأول: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالأسماء الحسنى:

أصل اشتقاق (الاسم) من (السمو) وهو العلو والارتفاع، ويحتمل أنه مشتق من (السمة) وهي العلامة(٢)."فأما أهل اللغة فيقولون الاسم حروف منظومة دالة على معنى مفرد، ومنهم من يقول: إنه قول يدل على مذكور يضاف اليه"(٣)، وقيل"الاسم هو القول الدال على المسمى"(٤).

ولعل أنسب ضابط للأسماء الحسنى ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال:"الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها"(٥)، وكما هو ملاحظ فالضابط مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، فقوله (هي التي يدعى بها) مأخوذ من قوله تعالى:(فَٱدْعُوهُ بِهَا) ، وقوله (هي التي وردت في الكتاب والسنة) مأخوذ من قوله (ٱلْأَسْمَآءُ) "فالألف والام هنا للعهد، فالأسماء بذلك تكون معهودة ولا معروف في ذلك

(١) بدائع الفوائد ٢٨٦/١-٢٨٧.

(٢) كتاب العين ٣١٨/٧ ، تهذيب اللغة ١١٧/١٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٨٩/٦.

(٤) المصدر السابق ١٩٢/٦.

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية صـــ٩.

إلا ما نص عليه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ"(١) . وقوله (وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) مأخوذ من قوله تعالى(ٱلْحُسْنَىٰ) فالحسنى تأنيث أحسن، والمعنى أن أسماء الله أحسن الأسماء وأكملها فما كان مسماه منقسماً لم يدخل في الأسماء الحسنى(٢). قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه تعالى**"(٣).

إذا تقرر ما سبق فإلى عرض جهود الشيخ في المسائل المتعلقة بهذا المطلب.

المسألة الأولى: الاسم والمسمى:

إن هذه المسألة من المسائل التي لم يتعرض لها علماء أهل السنة والجماعة ابتداءً، ولكنهم اضطروا للخوض فيها لما رأوا آراء أهل الباطل الفاسدة، ونظرياتهم الكاسدة، فوضح علماء السنة الحق، وأشهروه ودحضوا الباطل وأزهقوه، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، وكان الشيخ محمد أمان رحمه الله ممن أسهم في توضيح هذه المسألة حيث قال:"**مسألة: (هل الاسم غير المسمى، أو عين المسمى) إذ قد يراد بالاسم المسمى نفسه، كأن يقال: الله مجيب الدعوات، الله لطيف بعباده، وقد يطلق الاسم مراداً به اللفظ المنطوق ذاته، كأن يقال: (الله أكبر) من ألفاظ الأذان، أو (الله أكبر) كلمة يدخل بها في الصلاة مثلاً... وعلى كل حال، إن هذا النوع من الخوض قد يضطر إليه الإنسان المعاصر وهو كاره، على حد قولهم: (مكره أخاك لا بطل)**(٤)"(٥).

(١) المحلى ١/٢٩.

(٢) وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي صـ٣٨.

(٣) الصفات الإلهية صـ٢١٧.

(٤) من كلام أبي حنش الملقب بنعامة، جرى مجرى المثل؛ يُضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه. انظر: الأمثال صـ٢٧١، مجمع الأمثال ٣/٤٠١.

(٥) الصفات الإلهية صـ٢٧٢.

ومضمون هذه المسألة (هل الاسم هو المسمى أو غيره، أو لا يقال: الاسم هو المسمى ولا يقال: هو غيره، أو الاسم للمسمى، أو يفصل في ذلك؟) يمكن معرفة ذلك بمعرفة الأقوال في هذه المسألة:

وقد بين الأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله:"فإن الناس بعد الأئمة بعد أحمد وغيره قد تنازعوا في ذلك، واشتد نكير أهل السنة على الجهمية الذين يقولون أسماء الله مخلوقة، فيقولون الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به، وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء. والذين وافقوا السلف على أن كلامه غير مخلوق، وأسماءه غير مخلوقة يقولون الكلام والأسماء من صفات ذاته، لكن هل يتكلم بمشيئته وقدرته، ويسمى نفسه بمشيئته وقدرته هذا فيه قولان: النفي هو قول ابن كلاب[1] ومن وافقه. والإثبات قول أئمة أهل الحديث والسنة وكثير من طوائف أهل الكلام. ثم منهم من أمسك عن القول في هذه المسألة نفياً وإثباتاً إذ كان كل من الإطلاقين بدعة"[2].

والحق الذي تدل عليه النصوص الشرعية، هو أن الاسم للمسمى: فقد يراد به اللفظ؛ مثل الله لفظ عربي، وقد يراد به المسمى، قال أبو جعفر الطبري رحمه الله:" وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين، وحسب امرء من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الله عز و جل ثناؤه الصادق وهو قوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، رأس المتكلمين في البصرة في عصره، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم. توفي سنة٢٤١هـ. انظر: السير ١١/١٧٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٥-١٨٧ بتصرف واختصار.

وقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ "[1].

إذا تقرر ذلك فأهل العلم إذا سئلوا: هل الاسم غير المسمى؟ فصَّلوا فقالوا: إذا أريد أن الأسماء –التي هي أقوال– ليست هي المسميات نفسها، فهذا حق لا ينازع فيه أحد، "وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم – فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى"[2]، وعلى هذا الترجيح العلامة محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ[3].

المسألة الثانية: أسماء الله تعالى ليس لها حصر:

لاشك أن أسماء الله كلها حسنى وهي غير محصورة في عدد معين، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة)[4]، لا يفيد حصرها بهذا العدد، وإنما يدل على شأن وعظم ثواب من أحصى هذا العدد من أسماء الله عز وجل. قال الشيخ محمد أمان رحمه الله :"**لم يرد حديث صحيح يعتمد عليه في تعداد الأسماء الحسنى التسعة والتسعين وحصرها، وهي التي من حفظها دخل الجنة، أو في غيرها من أسمائه الكثيرة التي سمى الله بها نفسه فأنزلها في كتابه أو علمها أحداً من خلقه، ولكن اعتماد أهل العلم في ذلك على الكتاب العزيز مع بعض الآثار التي يشهد لها الكتاب، فأسماؤه من كمالاته، وكمالاته لا تدخل تحت الحصر، وقد**

---

(١) صريح السنة صـ٢٦-٢٧.

(٢) شرح الطحاوية صـ١٣١، وراجع: تعليق الشيخ على هذا الموضع، وانظر: مجموع الفتاوى ٦/٢٠٣.

(٣) انظر: العقل والنقل عند ابن رشد، ضمن المجموع صـ٢٥٥.

(٤) رواه البخاري (٧٣٩٢) ومسلم (٦٨١٠) .

أطال الكلام بعض أهل العلم في الأسماء الحسنى حتى ذكر ابن العربي[(١)] في شرح الترمذي عن بعضهم أنه جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله تعالى ألف اسم[(٢)]"[(٣)].

وقد روي حديث أبي هريرة المتقدم بسرد الأسماء من ثلاث روايات، وجميعها لا تثبت[(٤)]، قال الشيخ رحمه الله:"**حديث أبي هريرة في تعداد الأسماء الحسنى الذي اعتمد عليه كثير من الناس في تعداد الأسماء الحسنى مثل: القشيري[(٥)] والرازي والقرطبي[(٦)] والغزالي، ضعيف، وعلته (الوليد بن مسلم[(٧)]) والحديث الثاني الذي صححه (الترمذي) أضعف**

---

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي الإشبيلي، مالكي متبحر في العلم، له مؤلفات منها: عارضة الأحوذي في شرح جامع الترمذي، العواصم من القواصم، وغيرها، توفي سنة ٥٤٣ هـ. انظر: السير ١٩٧/٢٠، شذرات الذهب ١٤١/٤.

(٢) انظر: عارضة الأحوذي ٢٨١/١٠، ١٣/ ٣٤.

(٣) الصفات الإلهية صـ٢١٨.

(٤) فالرواية الأولى: أخرجها الحاكم في مستدركه ١٧/١ وفيها عبد العزيز بن الحصين قال ابن حجر في اللسان٢٨/٤ : متفق على ضعفه. والرواية الثانية: أخرجها الترمذي (٣٥٠٧) وابن حبان (٨٠٨) والحاكم ١٦/١ وفيها الوليد بن مسلم قال ابن حجر الفتح ٢١٩/١١:" وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب ، وتدليسه، واحتمال الإدراج".إ.هـ والرواية الثالثة: أخرجها ابن ماجه (٣٨٦١) من طريق عبد الملك الصنعاني ليس بحجة وشيخه زهير رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة انظر: الفتح ٢١٩/١١..

(٥) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري النيسابوري، جمع بين الأشعرية والتصوف، له مؤلفات منها: الرسالة القشيرية، شرح أسماء الله الحسنى، وغيرها، توفي سنة ٤٦٥ هـ. انظر: السير٢٢٧/١٨، شذرات الذهب ٣١٩/٣.

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي، إمام مفسر، له مؤلفات منها: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكرة، وغيرها، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: شذرات الذهب ٣٣٥/٥.

(٧) هو أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقي مولى بني أمية، إمام عالم أهل الشام، ثقة حافظ ولكنه يدلس، توفي سنة ١٩٥هـ. السير ٢١١/٩، شذرات الذهب ٣٤٤/١.

وعلته (عبد العزيز بن حصين). قال الحافظ[١]**: متفق على ضعفه، ووهّاه البخاري ومسلم"**[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:"وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ وإنما كل منهما من كلام بعض السلف فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرا في بعض طرق حديثه، ولهذا اختلفت أعيانهما عنه فروى عنه...ولهذا جمعها قوم آخرون على غير هذا الجمع واستخرجوها من القرآن، منهم سفيان بن عيينة والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم"[٣].

المسألة الثالثة: الإلحاد في أسماء الله تعالى وأنواعه:

وضح الشيخ محمد أمان رحمه الله المراد بالإلحاد لغة واصطلاحاً فقال:"**والإلحاد في اللغة: الميل، ومادته تدل على ذلك (ل ح د) ومن ذلك اللحد، وهو الشق في جانب القبر؛ لأنه قد مال عن الوسط. ومنه الملحد في الدين، وهو المائل عن الحق إلى الباطل**[٤]**، فالإلحاد في أسماء الله تعالى هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها، عن الحق الثابت لها"**[٥].

(١) هو أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني، المشهور بالحافظ، له مؤلفات منها: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تهذيب التهذيب، وغيرها، توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر للسخاوي.

(٢) الصفات الإلهية صـ٢١٩، وانظر: الفتح ٢١٥/١١، لسان الميزان ٣٢/٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٧٩/٦-٣٨٠.

(٤) انظر: لسان العرب ٣٨٩/٣ ، القاموس المحيط صـ٣٠٠.

(٥) الصفات الإلهية صـ٤٧٣.

وقد نبه الشيخ رحمه الله على أن"**كلمة الإلحاد لا تعني دائماً الكفر، بل قد يكون الإلحاد كفراً، وقد يكون معصية ومخالفة، ولا يصل إلى درحة الكفر، ومثله الفسق؛ لأنه قد يكون معصية فقط؛ لأنها خروج في الجملة، وقد يكون كفراً، والله أعلم**"(١).

إذا عرف هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى، كما نقل الشيخ رحمه الله عن ابن القيم رحمه الله أنواع:"

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة؛ فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص؛ كقول أخبث اليهود (إنه فقير) وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه وقولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ ﴾ وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم: الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من جحد شيئاً عما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

---

(١) المصدر السابق حاشية (٢) صـــ٤٧٥.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة؛ فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه"(١).

إذا تقرر ذلك "**فلا تتم السلامة من الإلحاد إلا لمن نهج منهج السلف وعلماء الحديث؛ بأن يصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به نبيه ﷺ، لا يعطل ولا يشبه بل هو وسط بين الفريقين، فهذه الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينهجون منهج السلف ليس في هذا الباب فحسب، بل في جميع الأبواب التي تتفرق فيها الفرق -وهم بين التفريط والإفراط- مثل نصوص الوعد والوعيد، وأفعال العباد وموقفهم من الصحابة ﷺ. ولهذا كله يعتبر منهج السلف الصالح سفينة نوح عليه السلام التي لا تُكْتَبُ النجاة والسلامة إلا لركابها، وأما من تخلف عنها فله الغَرَقُ والهلاك ولا محالة**"(٢).

المسألة الرابعة: العلاقة بين الأبواب الثلاثة (الأسماء-الصفات- الإخبار):

إن مما ينبغي أن يعلم أن توحيد الأسماء والصفات يشتمل على ثلاثة أبواب: باب الأسماء ، وباب الصفات ، وباب الإخبار.

أما باب الأسماء وباب الصفات فهما بابان توقيفيان لا سبيل إلى إثبات اسم أو صفة إلا عن طريق النص. ومع ذلك فباب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ وذلك لأمور ذكرها الشيخ محمد أمان رحمه الله أوجزها بما يلي:

أولاً: أن كل اسم يشتق منه صفة ولا عكس؛ لأن الصفات من معاني الأسماء قال الشيخ رحمه الله:"**الصفات من معاني الأسماء، عليم يدل على العلم سميع يدل على السمع،**

(١) بدائع الفوائد ١/٢٩٨-٢٩٩. وانظر: الصفات الإلهية صـــ ٤٧٥.

(٢) الصفات الإلهية صـــ٤٧٦.

بصير يدل على البصر، التفريق بين الأسماء وبين الصفات تفريق بين الدال والمدلول؛ لأن الأسماء تدل على هذه المعاني التي هي الصفات"(١).

ثانياً: أن صفات الكمال لله تعالى لا منتهى لها، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**لأن صفات الله تعالى إما: صفات فعلية أو صفات ذاتية...وأفعال الله تعالى لا نهاية لها؛ لأن الفعل كمال، والكمال يجب أن يكون دائمــًا، فالله موصوف بالكمال دائمــًا وأبدًا، إذًا موصوف بالفعل (فعّالٌ لِمَا يريد)"**(٢).

ثالثاً:أن أسماء الله بالغة في الحسن أكمله، فليس في إطلاقها نقص بوجه من الوجوه، وأما الصفات فإن منها منقسمة إلى كمال ونقص، فيطلق على الله منها ما كان على الوجه الأكمل، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه تعالى، بل يطلق عليه منها كمال فقط، وهذا كالمريد والفاعل والصانع عند الإطلاق، بل هو فعال لما يريد. فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، فيقال لفاعل الخير فاعل كما يقال لفاعل الشر فاعل، وكذلك المريد والصانع، ولهذا إنما أطلق الله على نفسه من ذلك أكمله"**(٣).

وأما باب الإخبار فكما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: "والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع، وإن لم يرد بإطلاقه نص ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق نص أو إجماع؟ على قولين مشهورين. وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع، كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها، وبين ما يخبر به عنه للحاجة، فهو سبحانه إنما يدعى بالأسماء الحسنى كما قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم، لا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك، فقيل في

(١) شرح التدمرية الشريط (١٦) و (أ).

(٢) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (ب).

(٣) الصفات الإلهية صـــ٢١٧.

تحقيق الإثبات هو سبحانه قديم موجود، وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل ليس بشيء، فقيل بل هو شيء، فهذا سائغ وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح"[(١)]. وهذه الحقيقة يؤكدها الشيخ محمد أمان ﷺ بقوله:"**إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود، والقائم بالنفس والمخالف للحوادث، فإن هذه الألفاظ يخبر بها عن الله تعالى، ولا تدخل في باب أسمائه الحسنى، ولفظ (القديم) من هذا الباب؛ لعدم ورود النص به، وباب الأسماء والصفات توقيفي، كما لا يخفى**"[(٢)].

ويحسن ختم هذه المسألة بتنبيه الشيخ ﷺحيث قال:"**لا يلزم من الإخبار عنه تعالى بالفعل مقيداً أن يشتق له منه اسم مطلق كما غلط بعض المتأخرين، فجعل من أسمائه الحسنى، المضل والفاتن والماكر، والمستهزئ والساخر مثلاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة. والله أعلم**"[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/٣٠٠-٣٠١ رسالة العقل والروح.

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢١٧.

(٣) المصدر السابق صـــ٢١٨.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالصفات:

اهتم الشيخ محمد أمان رحمه الله بتوضيح المعنى اللغوي للصفة، فقال ملخصاً ما ورد عن بعض أهل اللغة:"**يقال: وصف الشيء يصفه وصفاً أي نعته، وهذا صريح في أن الوصف والنعت مترادفان، وقد أكثر الناس القول في الفرق بينهما ولا سيما علماء الكلام، وهو مشهور ولا داعي للإطالة فيه. وفي اللسان: وصف الشيء له وعليه إذا حلاه، وقيل: الوصف مصدر، والصفة الحلية. وقال الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته، والوصّاف العارف بالوصف**"(١).

وقد ورد لفظ الصفة في النصوص الشرعية كما جاء في حديث الرجل الذي كان يكرر تلاوة سورة الإخلاص في الصلاة، قال الشيخ رحمه الله:" **شكي إلى رسول الله ﷺ في ذلك فأحضره النبي ﷺ وسأله لماذا تفعل هذا قال إني أحبها؛ لأنها صفة الرحمن، استدل أهل العلم على إطلاق الصفة في حق الله تعالى بهذه الصفة**"(٢).

وما قرره الشيخ رحمه الله موافق لما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله بقوله:"والصفة والوصف تارة يراد به الكلام الذي يوصف به الموصوف، كقول الصحابي في (قل هو الله أحد) أحبها؛ لأنها صفة الرحمن)(٣)، وتارة يراد به المعاني التي دل عليها الكلام: كالعلم والقدرة والجهمية والمعتزلة وغيرهم تنكر هذه، وتقول: إنما الصفات مجرد العبارة التي يعبر بها عن الموصوف، والكلابية: ومن اتبعهم من الصفاتية قد يفرقون بين الصفة والوصف، فيجعلون الوصف هو القول، والصفة المعنى القائم بالموصوف، وأما جماهير الناس فيعلمون أن كل واحد من لفظ الصفة والوصف مصدر في الأصل، كالوعد والعدة، والوزن والزنة، وأنه يراد به تارة هذا وتارة هذا"(٤).

---

(١) الصفات الإلهية صـ١٠٣، وانظر: اللسان ٣٥٦/٩، تاج العروس ٢٤/ ٤٦٠، مختار الصحاح صـ٣٠٢ .

(٢) توجيهات بعد العشاء الشريط (٣).

(٣) رواه البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣).

(٤) مجموع الفتاوى ٣٣٥/٣.

وبين الشيخ رحمه الله المعنى الاصطلاحي للصفة فقال:"**ما قام بالذات من المعاني والنعوت، وهي في حق الله تعالى نعوت الجلال والجمال والعظمة والكمال، كالقدرة والإرادة والعلم والحكمة... هذا وإن صفات الله تعالى توقيفية، فلا مجال فيها للاجتهاد والاستحسان**"[(١)].

ينبغي التنبيه على أن هذا التعريف إنما هو تعريف للصفات المثبتة؛ لأنها هي الأصل، وأما الصفات المنفية فإنما يوصف بها لتضمنها الإثبات. وتعريف الشيخ رحمه الله اشتمل على أمور يحسن التفصيل في بيانها من خلال ما قرره رحمه الله:

أولاً: **أن الصفة تقوم بالذات** حيث قال (ما قام بالذات)، فالإضافة فيها من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وقد أخرج ما لو كانت الإضافة للملك والتشريف.

ثانياً: **أن صفات الله كلها كمال،** فليس فيها نقص بوجه من الوجوه، قال الشيخ رحمه الله:"**صفات الله تعالى صفات كمال، ولا يجوز أن يعتقد أنه كان متصفاً بضدها أو يعتقد أنه حصل له الكمال بعد أن لم يكن**"[(٢)].

ثالثاً: **أن صفات الله توقيفية،** وقد سبق تقرير ذلك عن الشيخ رحمه الله[(٣)] ويحسن في هذا المقام التنبيه على أن لدلالة نصوص الكتاب والسنة على ثبوت الصفة أوجهاً:

الأول: التصريح بالصفة كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوها .

الثاني: تضمُّنُ الاسم لها مثل : الغفور متضمِّنٌ للمغفرة، والسميع متضمِّنٌ للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعلٍ أو وصْفٍ دالٍّ عليها كالاستواء على العرش، والنـــزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين الدال عليها ــ

(١) الصفات الإلهية صـــ١٠٤.

(٢) المصدر السابق صـــ٥٢١.

(٣) سبق شيء من ذلك في المبحث السابق (جهوده في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات) صـــ ٢٦٦.

على الترتيب ــ قولُه تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وقول النبي ﷺ: (ينـــزل ربنا إلى السماء الدنيا ...)[1]الحديث، وقول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ وقوله ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ "[2].

رابعاً: **أن صفات الله صفات حقيقية** تليق بعظمة الموصوف وجلاله، قال الشيخ رحمه الله:"**ولا يقال في صفاته: هي مجاز**[3] **بل صفاته كلها حقيقة على ما يليق بالله سبحانه، كما أن صفات خلقه حقيقة، حقيقة تناسب حالهم وضعفهم وحدوثهم. فليست الحقيقة كالحقيقة كما هو الشأن في الذات، لأن ذات الله حقيقة، حقيقة تليق به سبحانه، وذوات المخلوقات حقيقة أيضاً، والحقائق مختلفة هنا وهناك**"[4].

إذا تقرر ما سبق فإلى ذكر بعض المسائل المتعلقة بهذا المطلب:

المسألة الأولى: صفات الله كلها كمال، والتشابه في الأسماء لا يقتضي تشابه الحقائق:

لقد دل الكتاب والسنة والعقل والفطرة على أن لله تعالى الكمال المطلق؛ قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**دلّ الكتاب والسنة على أن الله سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال التي منها هذه الصفات، وليس في هذا حصْرٌ لصفات الله تعالى في عدد معيَّن، كمالات الله تعالى لا حصر لها ولا انتهاء، ولكن بعض الصفات الواردة في الكتاب والسنة نؤمن بها، وما لم يرد في الكتاب والسنة نقول: موصوف بجميع الكمالات دون**

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٣٥٨).

(٢) القواعد المثلى صـــ ٣٨، وراجع تعليق الشيخ الشريط (٤) و (ب).

(٣) هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة بينه وبين الحقيقة التي يستعمل فيها اللفظ فيما وضع له. اتخذه أهل التعطيل مطية لتحريف نصوص صفات الله تعالى. وقد سماه ابن القيم طاغوتاً. انظر: مختصر الصواعق ٢/٢٨٤، جناية التأويل الفاسد على العقيدة صـــ٧٥.

(٤) انظر: الصفات الإلهية صـــ١٠٤.

تحديد؛ لأن صفات الله تعالى توقيفيّة، ليس لنا أن نصف الله من عند أنفسنا، كما أنه ليس أن نسمّيَ الله من عند أنفسنا، كلٌّ ذلك بابٌ توقيفي.

وكذلك دلّ العقل السليم الذي سَلِم من شبهات علماء الكلام، بقيَ على سلامته وصراحته، يدلُّ على أن الله سبحانه وتعالى موصوف بجميع الكمالات، وإن كان العبد ليس له أن يحدِّد ويعيِّن الصفات، لكن إذا عُرض على العقل السليم ما جاء في الكتاب والسنة من صفات الكمال يسلِّم فيُثبت فيوافِق، ولا يخالف. وإلا فإن العقل لا يكون دليلاً أصليـًّا مستقلاًّ: نثبت به صفات الله تعالى، بل صفات الله تعالى إنما تُثْبَت بالكتاب والسنة، ولا يُتجاوَزُ الكتاب والسنة، والعقل يوافق فقط.

وكذلك الفطرة: فالله فطر العباد وجَبلهم على اعتقاد أن الله كاملٌ في ذاته وصفاته لا نقص فيه، وأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وإن كان دليل الفطرة أيضـًا ليس له أن يعيِّن الصفات، ولكن يؤمن بكمال الله ــ تعالى ــ في ذاته وصفاته"[1]. وعلى ذلك فـ**"أهل السنة والجماعة عندما وصفوا الله بهذه الصفات لم يصفوه من عند أنفسهم، إنما إثبات لما وصف به نفسه، وتصديق لخبره وخبر رسوله الأمين ﷺ، وهي في الوقت نفسه صفات كمال ليس فيما وصف الله به نفسه صفات نقص وليس فيما وصف اللهَ به رسولُه صفات نقص أيضا"**[2].

ويحسن في هذا المقام التنبيه على مسألة قد ضلت فيها أفهام وزلت فيها أقدام، وهي أن المشاركة في الاسم لا يعني ذلك المشاركة في الحقيقة والكنه، فصفات الله كما سبق تقرير ذلك، كلها كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وقد يشترك المخلوق بوصفه ببعض تلك الصفات إلا أن حقيقتها تليق بكنهه وضعفه كما قال الشيخ رحمه الله:**"وكثير من صفات الله قد تشترك مع صفات خلقه في اللفظ وفي المعنى العام المطلق، قبل أن تضاف صفات الله إلى الله، وتضاف صفات المخلوق إلى**

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (أ) بتصرف يسير.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب)

المخلوق، وبمجرد الإضافة تختص صفات الخالق بالخالق، وصفات المخلوق بالمخلوق، فصفات الله كما يليق بعظمته وجلاله، وصفات المخلوق كما يليق بحدوثه وضعفه ومخلوقيته"[1].

وأكد الشيخ رحمه الله هذه المسألة موضحاً ذلك بالمثال حيث قال: "**هذه الصفات قد يتّصف بها مخلوق؛ المخلوق حي موصوف بصفة الحياة، وموصوفٌ بالعلم، وموصوف بالقدرة وبالسمع والبصر إلى آخر الصفات المعدودة، هذه الصفات موجودة في المخلوق، ولكن صفات الله تعالى وحدها هي الكاملة، وهذه الصفات في المخلوق ناقصة.... فالله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق في جميع صفاته؛ والاشتراك اللفظي بين صفات الله وصفات المخلوق إنما هو قبل أن تُضاف صفة الله إلى الله، وقبل أن تُضاف صفة المخلوق إلى المخلوق، وهذا يسمّى عند أهل الكلام :(المطلق الكُلِّي[2])، ومثل هذه الصفة لا وُجود لها في الخارج، وإنما يتصوّر الإنسان في ذهنه؛ العلم بدون أن يكون علمَ زيد أو علم مخلوق أو علم خالق، أما بعد إضافة علم الله إلى الله، لا أحد يشارك الله تعالى في علمه بالمواصفات التي ذكرناها، أي: لا يتّصف بعلمٍ محيط بجميع المعلومات، لا تخفى عليه خافية، لا يوجد، ولا يوجد أحدٌ يتّصف بعلم قديم لم يُسبَق بجهل؛ ما عندنا يسمّى معرفة، المعرفة مسبوقة بجهل؛ فالرب سبحانه وتعالى لا يوصف بالمعرفة، ولكن يوصف بالعلم؛ علم الله غيرُ مسبوق بجهل وغير منتهٍ، أي: لا يطرأ عليه جهل أو نسيان كما قلنا ومحيطٌ بكلِّ شيء.**

قِسْ على (العلم) سائر الصفات، صفات الله تعالى، كلها بهذه المثابة من الكمال المطلق"[3].

---

(١) الصفات الإلهية صـــ٢٥٦.

(٢) هو ما يعبر عنه بعض المناطقة بالمتواطئ: وهو الكلي المشترك لفظاً ومعنى، ولكنه يختلف باختلاف السياق والإضافة. انظر: مجموع الفتاوى ٣/١٢٣، ٢٠/٢٣٤، التعريفات صـــ١٦٧.

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (أ)، وقد بسط الأدلة شيخ الإسلام رحمه الله على ذلك في التدمرية من صـــ٢٢-٣٠، وراجع تعليق الشيخ عليها الشريط (٣) والوجه (أ) من الشريط(٤).

وعلى ذلك فـــ"**لا أحد يشارك الله في صفات الكمال، وتقدم البحث في المشاركة اللفظية والمشاركة في المعنى العام والمشاركة في المطلق الكلي ، وهذه المشاركة إنما تقع قبل أن تخصص صفات الله بالله، فإذا خُصِصت صفات الله بالله، انفرد الرب سبحانه بصفات كماله، فلا يشارك الله أحد في كماله أبداً**"(١).

المسألة الثانية: العلاقة بين الصفات والذات.

لاشك أن هناك علاقة بين الذات والصفات، وقد وضحها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، ويمكن إبراز ذلك في أمرين:

أحدها: توضيح العلاقة من جهة الإيمان بكل من الذات والصفات، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**الإيمان بالله تعالى إنما يعني الإيمان بالذات العلية الواجبة الوجود، وجوداً حقيقياً. والإيمان بصفاته العلى وأسمائه الحسنى معاً. وعندما يقول المؤمن: آمنت بالله، إنما يعني هذا الإيمان الشامل، أي: الإيمان بذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه صفات خلقه، بل لصفاته حقائق ولصفات خلقه حقائق... فإن العلاقة بين الصفات والذات علاقة التلازم، ضرورة أن الإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس على ما أشرنا في هذه المقدمة؛ لأنه لا يتصور وجود (ذات) مجردة في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات. بيد أنه ليس بمستحيل بل من الممكن تصور (ذات) على حدة، وتصور (صفة) على حدة، إلا أنه تصور ذهني فقط، كما تقدم في غير موضوع. وهذا ما عنيناه بالتلازم**"(٢).

ثانيها: من جهة توضيح مسألة (هل الصفة غير الذات أم لا؟) قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**والصفة غير الذات وزائدة عليها من حيث مفهومها وتصورها، بيد أنها لا تنفك عن الذات،**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٩) و (أ).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٤٥١.

إذ لا نتصور في الخارج ذاتاً مجردة عن الصفات"(١). وينبغي أن يعلم قبل ذلك أن "**مسألة: هل الصفة زائدة على الذات، أو هل هي غير الذات أم لا؟ وهذا أيضاً: من الأساليب التي أحدثها علماء الكلام، ولا عهد لعلماء السلف بهذا الأسلوب، بل السلف يكرهون مثل هذه الألفاظ المجملة، رغبة منهم في الوقوف مع النصوص، وعدم الخروج منها في هذه المطالب الإلهية العظيمة**"(٢)، فهذه المسألة عند أهل الحق"**بدعة محدثة غير معروفة عند السلف، إذ لا يكادون يزيدون على ما دل عليه الكتاب والسنة، بل يؤمنون بأن الله موصوف بصفات الكمال، كالعلم والقدرة والرحمة والاستواء، وغير ذلك من الصفات ذاتية أو فعلية، ولا يسألون هل هي عين الذات أو غير الذات.**

وهي الطريقة السليمة، وتدل على عمق علم السلف ودقتهم وبعدهم عن التكلف والقول على الله بغير علم، والمعروف عنهم أنهم لا يتجاوزون الكتاب العزيز والسنة المطهرة في المطالب الإلهية خشية القول على الله بغير علم، والخوض في حقائق ذاته وصفاته وأسمائه وتسليط الوهم والخيال عليها فأمر جد خطير؛ إذ لا يصف الله أعلم من الله، ولا يصفه من خلقه أعلم من رسوله عليه الصلاة والسلام، الذي أذن له أن يصفه، وأمره أن يبلغ عنه ما نزل عليه"(٣)

بل إن الشيخ رحمه الله أكد الموقف الذي كان عليه سلف هذه الأمة في هذه المسألة وغيرها، فقال:"**وقد كان السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم يتلون كتاب الله ويستمعون إلى آيات الكتاب وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، فما وقفوا موقف تساؤل أو حيرة أمام صفة من صفات الله، ولا وقع في تفكيرهم أن (الذات) شيء وأن الصفات شيء، أو أنهما وجهان لحقيقة واحدة، أو غير هذا مما دار حوله**

---

(٣) المصدر السابق صـ١٠٤ .

(٢) الصفات الإلهية صـ٢٧١.

(٣) العقل والنقل عن ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٥٦.

الجدل واشتد فيه الخصام بين جماعات المسلمين، بعد أن مضى عهد الراشدين ودخلت في الإسلام مذاهب وآراء وفلسفات، مع الذين دخلوا في دين الله من فرس وروم وبربر وهنود وغيرهم"[١].

وقد سار من بعدهم على نهجهم إلا أنهم اضطروا لتحقيق الحق في هذه المسألة التي أحدثها المحدَثون، وقد بين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ موقفهم بقوله:"**أما المتأخرون من أتباع السلف الذين اضطروا إلى الخوض مع أهل الكلام للذود عن العقيدة، وللحفاظ عليها فإنهم قالوا: إن أريد بقولهم بأن الصفة غير الذات أو زائدة على الذات: أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها، منفصلة عن الصفات[٢]، فهذا غير صحيح.**

وإن أريد أن الصفات زائدة عن الذات بمعنى أن للذات معنى غير معنى الصفة ومفهوم الصفات زائد على مفهوم الذات، بيد أنها لا تنفك عن الذات، فهذا صحيح. ولكن لا ينبغي استخدامه إلا عند الحاجة، ومع التفصيل والبيان وبدون ذلك يعتبر خوضاً لا طائل تحته، والله أعلم"[٣]. وعلى هذا فـ"**الصواب في مثل هذه النقطة عدم إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين: صحيح وباطل، ولا ينفصل النزاع ويتضح وجه الصواب إلا بالتفصيل، فالله تعالى واحد بأسمائه وصفاته، فأسماؤه وصفاته داخلة في مسمى اسمه (الله)، وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله أو خالق أو رزاق. وليست صفاته وأسماؤه غيره، وليست هي نفس الإله بمعنى أن للذات مفهوماً وللصفات مفهوماً. هنا فقط تثبت المغايرة أي في إثبات معنى ومفهومٍ للصفات غير مفهوم الذات**"[٤].

---

(١) الصفات الإلهية صـ١٠١-١٠٢.

(٢) في الأصل (الذات) ولعله خطأ مطبعي.

(٣) الصفات الإلهية صـ٢٧٢، وراجع شرح التدمرية الشريط (١٥) و (أ)

(٤) الصفات الإلهية صـ٤٥١-٤٥٢. ووضح الشيخ هذه المسألة بأسلوب آخر فقال:"**وتحقيق هذا المقام يتطلب نوعاً من التفصيل حتى يتضح الحق بإذن الله. فنقول: يمكن أن يقال: الصفة عين الذات ويصح هذا الحكم، بمعنى أن الصفات لا تنفك عن الذات إذ لا نستطيع أن نتصور علماً بغير عالم، وقدرة قائمة وحدها بغير قادر، أو إرادة قائمة بنفسها دون مريد، وهكذا وبهذا**

وعلى ذلك فــ"**لا يطلق فيقال (الصفة غير الموصوف) ولا يطلق فيقال (الصفة عين الموصوف)، بل يختلف ذلك باعتبار :**
– باعتبار أن للصفة معنى غير الموصوف وللصفة كيان غير كيان الموصوف، بهذا الاعتبار الصفة غير الموصوف.
– وباعتبار عدم الانفكاك أن الصفة لا تنفك عن الموصوف، بهذا الاعتبار هما شيء واحد"(1).

إذا تقرر ما سبق من تحقيق الحق في المسألة وإبطال الباطل، فليس ممنوعاً ولا مناقضاً للتوحيد الإيمان بذات الله المتصفة بالصفات العلى والأسماء الحسنى"**بل الممنوع الذي لا يساير التوحيد الصحيح هو إثبات ذوات قديمة لا إثبات ذات موصوفة بصفات الكمال. قال صاحب المواقف(2):"إن الكفر إثبات ذوات قديمة لا إثبات ذات وصفات"(3)، وشبهة المعتزلة –كما ترى– شبهة واهية وغير معقولة، إذ لا يتصور عقلاً، موجود في الخارج وهو مجرد عن الصفات، وعلى هذا يكون وجود واجب الوجود عندهم وجوداً ذهنياً لا خارجياً. تعالى الله عما زعموا علواً كبيراً**"(4).

=

الاعتبار نقول: الصفات عين الذات. كما أنه من الممكن أن نقول: الصفة غير الذات فيصح الحكم أيضاً باعتبار آخر، وهو أن للصفة معنى وللذات معنى مغاير لمعنى الصفة، وبهذا الاعتبار أن الصفة غير الذات قطعاً" العقل والنقل عند ابن رشد، ضمن المجموع صـــ٢٥٥

(١) شرح التدمرية الشريط (١) و (ب) ش٢.

(٢) هو عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي، إمام الأشاعرة المتأخرين، له مصنفات منها: المواقف في علم الكلام، وغيره، توفي سنة ٧٥٦هـــ. انظر: الدرر الكامنة ٣٢٢/٢، طبقات الشافعية للسبكي ١٠٨/٦.

(٣) المواقف للإيجي صـــ٢٨٠.

(٤) الصفات الإلهية صـــ٩٢.

المسألة الثالثة: حكم إنكار صفة من صفات الباري تبارك وتعالى:

بين الشيخ محمد أمان رحمه الله هذه المسألة بياناً لا مزيد عليه، وخلاصة القول في ذلك ما قاله:"**إن من نفى صفة ثابتة بالكتاب والسنة لا يخلو حاله من أحد أمرين:**

أ- أن يكون النافي عالماً بالنص الذي ثبتت به الصفة المنفية كتاباً كان أو سنة، ولا توجد لديه شبهات قد [تُغير] مفهومه في النص، كأن يفهم أو يظن -متأثراً بالشبهة- أن النص الذي ثبتت به الصفة لم يكن باقياً على ظاهره مثلاً، أو غير ذلك من الشبهات الكثيرة التي قد تضلل الإنسان الساذج، أو قليل الاطلاع. والتي من أخطرها تأثره بآراء أهل الكلام المذموم التي تفسد القلوب، وتغير المفاهيم في الغالب ولو نفى -وحاله ما وصفنا من العلم وعدم وجود الشبهات- معانداً وجاحداً؛ لخراب قلبه ومرضه، فهو كافر في هذه الحالة كفراً ينقله من الملة الإسلامية، لتكذيبه كلام الله أو كلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وهو غير معذور لما علمت، وحقيقة الكفر هي ذلك الخراب الذي سبّبه له العناد والجحود.

ب- أن ينفي في غير هذه الحالة المذكورة آنفاً، كجهله للنص أو عدم علمه المفهوم الصحيح على ما تقدم تفصيله، فأرجو أن يكون معذوراً في هذه الحالة"(١).

وقال الشيخ رحمه الله:"**إن المرء قد ينكر صفة ثابتة بالكتاب والسنة، وهو يجهل النص الذي ثبتت به هذه الصفة؛ قد يعرف أدلة أخرى، لكن صفة معينة لا يعرف دليلها فأنكرها، أو هناك شبهة حالت بينه وبين المفهوم الصحيح، في هذه الحالة يعذر الإنسان ولو نفى صفة ثابتة بالكتاب والسنة؛ لكن بعد أن يعرف وليست هناك شبهة لا عذر له"**(٢).

"وعلى كل حال فإن أهل العلم يفرقون بين التكفير العام، وبين تكفير شخص معين، والتكفير العام يطلق فيقال: كل من ارتكب شيئاً من المكفرات كإنكار الصفات مثلاً، فهو كافر ويعتبر هذا قاعدة للتكفير. أما التكفير المعين فيختلف باختلاف أحوال

---

(١) الصفات الإلهية صـــ٤٦٣-٤٦٤.

(٢) شرح القواعد المثلى الشريط (١٦) و (ب).

الأشخاص، وما يقوم بنفوسهم مما يستدل عليه بالقرائن والسياق، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا ضال كافراً عند أهل السنة، فانطلاقاً من هذه القاعدة نقول: من أنكر صفة ثابتة بالقرآن أو بالسنة فهو كافر، وهذه القاعدة يدخل في عمومها أكثر المنكرين، ولا يدخل فيها بعضهم لأحوال خاصة قد تشفع لهم، ولا يكون كافراً مع أنه أنكر ما أنكره غيره على ما تقدم من التفصيل. هذا حكم من نفى نفياً. وأما حكم من أول آية من آيات الصفات أو حديثاً من أحاديث الصفات، فمثله لا يكفر؛ لسببين:

السبب الأول: أنه لم ينف الصفة نفياً، وإنما أثبتها ثم أولها تأويلاً، فهو مخطئ في التأويل ولكنه لا يكفر، لأنه يؤمن بالصفة في الجملة.

السبب الثاني: أنه أول؛ لقصد التنزيه ظناً منه أنه لا يتم التنزيه إلا بالتأويل، وهو يظن أن هذه هي الطريقة المثلى، أو الوحيدة في التنزيه. وهذه شبهة تحول دون تكفيره؛ لأنه معذور بالجهل المصحوب بالشبهة، والله أعلم"[1].

(١) الصفات الإلهية صـ٤٧١-٤٧٢

المطلب الثالث: جهوده في توضيح أقسام الصفات:

إن مما ينبغي أن يعلم أن"**السلف لم يتوسعوا في تقسيم الصفات وتنويعها، إذ ليس من عاداتهم الإسراف في الكلام في المطالب الإلهية، بل لا يكادون يتجاوزون الكتاب والسنة في مبحث الصفات، إلا أن أولئك الذين حضروا زمن الفتنة –بعد نشأة علم الكلام في عهد العباسيين– وابتلوا بمناقشة علماء الكلام وجدالهم بأسلوبهم، اضطروا للخوض في تقسيم الصفات بِقَدَر الحاجه...وأما الخلف فقد أولعوا بتقسيم الصفات وتنويعها، ومن ذلك تنويعهم الصفات إلى**: نفسية، وسلبية، وصفات معان، ومعنوية، وصفات فعلية، وصفات جامعة، والصفة الإضافية، وهي تتداخل مع الفعلية كما سيأتي بيان ذلك"[1].

ولا يعني ذلك أن السلف لم يكن عندهم علم بهذا الباب، ولكن كما قال الشيخ رحمه الله لم يكن من "**عاداتهم الإسراف في الكلام في المطالب الإلهية، بل لا يكادون يتجاوزون الكتاب والسنة**"، والتقسيمات التي ذكرها أهل السنة –مقرين لها– لما ردوا على أهل الأهواء، وأحقوا الحق وأبطلوا الباطل، ترجع إلى اعتبارات متعددة يمكن عرضها كالتالي:

أقسام الصفات باعتبار إثباتها ونفيها:

وهو أن الصفات تنقسم إلى ثبوتية ومنفية، أو صفات ثبوتية وسلبية، وهذا التقسيم معتبر عند أهل العلم، قال شيخ الإسلام رحمه الله:"فإن الله يوصف بالإثبات وهو إثبات محامده بالثناء عليه وتمجيده، ويوصف بالنفي وهو نفي العيوب والنقائص عنه سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا"[2]. ودليل هذا التقسيم كما نبه على ذلك أهل العلم الاستقراء[3]. قال الشيخ محمد أمان رحمه الله :"**تقسيم الصفات إلى الصفات الثبوتية**

(١) الصفات الإلهية صـــ٢٥١

(٢) التسعينية ١/١٥٧.

(٣) سبق تعريفه صـــ ١٤٣

والصفات السلبية مصدره الاستقراء، أي: تتبُّع نصوص الكتاب والسنة والاستنباط والاستنتاج، منها: الصفات الثُّبوتية، والصفات السلبية"(١).

الصفات السلبية:

من أهل العلم من عرفها بقوله:"ما نفاها الله سبحانه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ"(٢). وقد عرف الشيخ رحمه الله الصفات السلبية بقوله:"**ونعني بالسلبيات هنا الصفات التي تدخل عليها (أداة) النفي مثل (لا)، و (ما) و(ليس)"**(٣)، وقال في موطن آخر:"**الصفات السلبية عندنا..ما وقع في حيِّز النفي، أي: ما دخل عليه حرفُ نفيٍ"**(٤).

والذي يجب أن يعلم أن ما من نفي ورد في القرآن والسنة، فإنه لم يرد إلا لإثبات كمال ضد الأمر المنفي، كما قرر ذلك الشيخ رحمه الله بقوله:"**وهذا النوع من السلوب والنفي كثير في القرآن، وإنما يقع النفي في القرآن؛ لتضمنه كمال ضد الصفة المنفية، بل لقد ثبت (بالاستقراء) أن كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة إنما هو لثبوت كمال ضده"**(٥).

وبذلك يعلم :"**أن الصفات السلبية هي التي لا تدل بدلالة المطابقة على معنى وجودي، وإنما تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله، كالقِدّم الذي ينفي عن الله عدم الأولية، والبقاء الذي ينفي عن الله لحوق العدم، أي عدم الآخرية، أو التي تقع في**

---

(١) شرح القواعد المثلى (٣) و (أ).

(٢) القواعد المثلى صـــ٣١، وراجع: تعليق الشيخ الشريط (٣) و (أ).

(٣) الصفات الإلهية صـــ٢٥٣.

(٤) شرح القواعد المثلى (٣) و (أ).

(٥) الصفات الإلهية صـــ٢٥٣.

سياق النفي، أي بعد أداة النفي مثل (لا) و (ما) و (ليس)، كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وقوله تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ "[١].

الصفات الثبوتية :

بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعريف الصفات الثبوتية بقوله:"**الصفات الثبوتية هي التي تدل على معنى ثبوتي ووجودي**"[٢].

وقد وضح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ذلك بالمثال فقال:"**كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة والكلام، وهذه الصفات وأمثالها تدل بدلالة المطابقة على معنى وجودي، مع تضمنها سلب أضدادها، فالقدرة مثلاً تدل على معنى وجودي لأنها صفة بها إيجاد الممكنات وإعدامها على وفق الإرادة وفي الوقت نفسه تدل على سلب العجز عن الله تعالى ضرورة استحالة اجتماع الضدين عقلاً، وهكذا بقية الصفات الثبوتية، وهذه الصفات محل إجماع بين الصفاتية من أتباع السلف الصالح والأشاعرة وغيرهم من مثبتة الصفات؛ لذلك لسنا بحاجة إلى سوق الأدلة لإثباتها، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع بين أهل الإثبات**"[٣].

فضابط الصفة الثبوتية كل"ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه"[٤].

وهذا النوع من الصفات الثبوتية ينقسم بدوره إلى أقسام متعددة بحسب الاعتبارات التي يرجع إليها كل تقسيم.

---

(١) المصدر السابق صـــ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الصفات الإلهية صـــ٢٥٧.

(٤) القواعد المثلى صـــ٣١، وراجع: تعليق الشيخ الشريط (٣) و (أ).

أقسام الصفات (الثبوتية) باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله:

تنقسم الصفات الثبوتية باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله إلى قسمين: صفات ذاتية، وصفات فعلية. قال الشيخ محمد أمان رحمه الله :"**إذا استقرأنا تلك الآيات التي ساقها المؤلف**[1] **من حيث الدلالة: منها ما يدل على الصفات الذاتية الملازمة للذات التي لا تنفك عن الذات، ومنها صفات فعلية تتجدد**"[2].

الصفات الذاتية :

قال الشيخ محمد أمان رحمه الله: "**يقال للصفات الثبوتية: صفات الذات إضافة إلى الذات العلية لملازمتها للذات؛ لأنها لا تتجدد تجدد صفات الأفعال، فهي بهذا الاعتبار ذاتية، ومن حيث دلالتها على معنى ثبوتي ووجودي يقال: (ثبوتية، كالعلم والسمع والبصر والعزة والحكمة) وغيرها. وهي بهذا الاعتبار تقابل السلبية وقد تقدم الكلام عليها**"[3].

وعليه فضابط الصفات الذاتية وضحه الشيخ بقوله: "**ضابط الصفات الذاتية هي: الصفة التي لا تتعلّق بالمشيئة، بل صفةٌ قديمة قائمة بذاته تعالى قديمة**[4] **قِدَم الذات ولا تنفكّ عن الذات العليّة؛ هذه هي الصفات الذاتية**"[5].

وعلى ذلك فالصفات الذاتية: "**لا تُقيَّد بالمشيئة، وهي باعتبار عين الذات بمعنى لا تنفك عن الذات، وباعتبار غير الذات أي أن لها مفهوما غير الذات**"[1].

---

(١) يقصد الشيخ الآيات التي سردها شيخ الإسلام رحمه الله في الواسطية؛ لإثبات صفات الباري جل جلاله.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٩) و (أ).

(٣) الصفات الإلهية صـ٢٥٧.

(٤) التعبير بالقدم من باب الإخبار والمراد أن صفات الله أزلية، وقد ورد التعبير بالقدم عند جماعة من أهل العلم. انظر: الحجة ٩٣/١، الواسطية صـ٢٠.

(٥) شرح القواعد المثلى الشريط (٣) و (ب).

الصفات الفعلية:

نبه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على ضابط الصفات الفعلية فقال:"**صفات الأفعال أو الصفات الاختيارية تختلف عن الصفات الذاتية الثبوتية التي تتعلق بها مشيئة الله تعالى لا بأعيانها ولا بأنواعها، كالقدرة والإرادة والعلم والسمع، والبصر والحكمة والعزة والوجه واليد وغيرها، بل هي صفات تتعلق بها مشيئة الله، وتتجدد حسب المشيئة، كالمجيء والاستواء والغضب والفرح والضحك**"(٢).

ونبه الشيخ على أن هناك صفات يمكن أن تسمى صفات ذاتية فعلية فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:"**وهذه الأفعال هي التي أشكلت على كثير من الناس وبصفة خاصة في صفة الكلام، صفة الكلام كما تقدم تشترك في النوعين باعتبار أصل الصفة فهي ذاتية لم يزل الله موصوفاً بصفة الكلام، وفعلية؛ لأن الله تكلم في أزمنة مختلفة وخاطب أشخاصاً مختلفين يعيشون في أزمنة مختلفة، وسيتكلم يوم القيامة، ويتكلم آخر كل ليلة، آحاد هذا الكلام صفات فعلية تتجدد، وهذا التجدد هو الذي يُسمى بالحدوث أي يحصل في وقت دون وقت**"(٣).

أقسام الصفات باعتبار أدلة ثبوتها:

تنقسم الصفات باعتبار أدلة ثبوتها إلى قسمين: صفات شرعية عقلية، وصفات خبرية قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مقرراً ذلك:"**ومن الصفات الذاتية صفات شرعية وعقلية مثل الصفات السلبية الخمس المعروفة عند الأشاعرة، وصفات المعاني التي تقدم الكلام فيها، ومنها صفات خبرية محضة وهي: الصفات التي الأصل في إثباتها الخبر عن الله عز**

=

(١) كما سبق توضيحه في مسألة هل الصفة عين الذات أو غير الذات؟ انظر: التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٩) و (أ).

(٢) الصفات الإلهية صـــ ٢٦٠.

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٩) و (أ)، وانظر: الصفات الإلهية صـــ٢٦١.

وجل أو عن رسوله المعصوم، مثل: الوجه واليد والقدم والساق والأصابع، هذه صفات ذاتية ملازمة للذات العلية وثابتة ثبوت الذات، فإذاً هي ثبوتية وذاتية وهي معروفة بالصفات الخبرية"[1].

الصفات الشرعية العقلية:

عرف الشيخ رحمه الله الصفات الشرعية العقلية بقوله:"**الصفات الشرعية العقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي، والفطرة السليمة وهي أكثر صفات الرب تعالى، بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي"**[2].

الصفات الخبرية:

وأما الصفات الخبرية فعرفها الشيخ رحمه الله بقوله:"**الصفات الخبرية وتسمى النقلية والسمعية، وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع، والخبر عن الله، أو عن رسوله الأمين عليه الصلاة والتسليم، أي لا سبيل للعقل على انفراده إلى إثباتها، لولا الأخبار المنقولة عن الله، وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي خبرية محضة، بيد أن العقل السليم لا يعارض فيها الخبر الصحيح كما هو معروف"**[3].

وعلى ذلك فـ"**الصفات الخبرية قد تكون صفات ذاتية كالوجه واليدين، وقد تكون صفات فعلية كالنزول والمجيء، كلها خبرية؛ أي لا طريق لإثباتها إلا الخبر وكما تقدم تسمى الصفات النقلية والصفات الخبرية والصفات السمعية المعنى واحد، أي: لا**

---

(١) الصفات الإلهية صـ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق صـ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق.

تثبت هذه الصفات إلا بخبر مسموع منقول عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام"(١).

وقد أكد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على هذا التقسيم بقوله:"**وهي تنقسم إلى قسمين: أ- صفات فعلية تتجدد حسب مشيئة الله وهي: ١- النـــزول، ٢- الاستواء على العرش، ٣- المجيء لفصل القضاء بين عباده سبحانه يوم القيامة كما يليق به، ٤- الغضب، ٥- الفرح، ٦- الضحك كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه، نثبتها كلها ونؤمن بها لورود الخبر، وصحته، ولولا ذلك لأمسكنا عن الكلام في هذه الصفات وغيرها من الصفات والأسماء؛ لأنها توقيفية، هذا ما نعنيه بالخبرية ولا يمنع ذلك إثبات الصفات الخبرية بالأدلة العقلية مع الأدلة النقلية التي هي الأصل.. ب- صفات ذاتية قائمة بذاته العلية، وهي قديمة قِدَم الذات مثل الوجه واليد والعين والقَدَم. وهذه الصفات وإن كانت تعد في حق المخلوق جوارح وأعضاء وأبعاضاً وأجزاء، ولكنها في حق الله تعالى صفات أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام، لا نخوض فيها بأهوائنا وآرائنا، بل نفوض كنهها وحقيقتها إلى الله تعالى لعدم معرفتنا لحقيقة الذات"**(٢).

وبعد أن تم عرض ما تيسر من جهود الشيخ في تقسيم الصفات وبيان الموقف تجاهها، يحسن أن أذكر بعض النماذج التطبيقية لذلكم الموقف تجاه بعض تلك الصفات، في المطلب الآتي فالله المستعان.

---

(١) شرح التدمرية الشريط (١٨) و (أ).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢٦٤.

المطلب الرابع: نماذج من جهوده في تقرير بعض الصفات:

سبق بيان جهود الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ في تقرير معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وهو في ذلك بين موضح ومُقعِّد، وبين مقرر ومدلل، خصوصاً فيما يتعلق بصفات المولى تبارك وتعالى، ولا أدل على ذلك من كتابه الماتع (الصفات الإلهية) الذي يعتبر بحق مرجعاً لمبتغيه في هذا الباب.

وأنبه إلى أن أهمية هذا المطلب تظهر بإدراك مدى تقيد الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ بمنهج السلف الذي دعا إليه وأشار، بل وكافح من أجله حتى توفاه الله تبارك وتعالى. والمتأمل لجهود الشيخ رَحِمَهُ اللهُ المتعلقة بإظهار صفات الله تعالى يجده قد تناول معظم صفات الرب تبارك وتعالى، وإبرازاً للجانب التطبيقي المفصل تجاه الصفات سوف أبين موقف الشيخ باختصار من بعض الصفات.

وقبل الشروع في المقصود نلاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قد يتوسع في الكلام على بعض الصفات؛ وهي التي حصل فيها الخلاف الحاد، والتراع المزمن بين السلف والخلف، فهو يفصل القول فيها ويرد على الخصوم، وقد يوجز الشيخ الكلام عن بعض الصفات التي لم ينتشر فيها التراع، مكتفياً ببيان المنهج الذي تشترك فيه كل الصفات.

ويحسن التنبيه تمهيداً لهذا المطلب، على أنني سوف أكتفي بذكر موقف الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من بعض الصفات؛ لأن في بيان البعض إيضاحاً للمقصود، إذ هي تعتبر النموذج التطبيقي لإثبات الصفات، وبابها واحد من حيث إثباتها على الوجه اللائق بالله تعالى. وأكتفي بما ورد من كلام الشيخ حولها في كتابه (الصفات الإلهية) بتصرف –إن احتيج لذلك– واختصار دون إحالة؛ وذلك؛ لكون كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حولها مجموعاً في (الباب الثاني:أنواع الصفات عند السلف، الفصل الرابع منه:معاني تلك الصفات بالتفصيل). وإن كانت هناك زيادات من موطن آخر فسوف أنبه عليها في الحاشية والله المستعان.

الصفة الأولى: صفة العلو:

صفة العلو أو الفوقية صفة كمال ثابتة بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، ودرج على إثباها على ظاهرها جميع الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وهي صفة ذاتية لازمة للذات، بمعنى أنه تعالى لم يزل في علوه، وهي في الوقت نفسه عقلية وسمعية أي فهي ثابتة بالعقل والفطرة، والسمع، بل السمع جاء مؤكداً بما آمن به العباد بفطرهم، وبعقولهم من أن الله يدعى من فوق، وترفع إليه أكف الضراعة، وقلوب العباد مشدودة إلى فوق، ولو في حال وضعهم جباههم على الأرض ساجدين لربهم الأعلى الذي يراهم من فوقهم، ويجيب دعواهم، وهم ساجدون له سبحانه. وهذا الاعتقاد ضروري لا يستطيع أي إنسان دفعه عن نفسه، ومن الحِكَم اللطيفة أن شرع الله لعباده أن يقولوا في سجودهم:(سبحان ربي الأعلى)[1] شرع لهم ذلك على لسان نبيه، وفي هدي رسوله إشارة إلى علوه الدائم، حتى لا يفهم من سجود العبد على الأرض أن معبوده في أسفل منه — حاشاه – بل كلما يزداد العبد خضوعاً وتذللاً، لمعبوده العلي العظيم ازداد منه قرباً معنوياً ومعية خاصة، تخص خواص عباده المؤمنين[2].

وليس في إثبات صفة العلو نقص ولا تستلزم نقصاً، ولا توجب محذوراً، ولا تخالف كتاباً ولا سنة، وقد عقد عليها إجماع المسلمين، وهم القوم الذين يحتج بإجماعهم، وقد أطنب الشيخ رحمه الله في سرد الأدلة من الكتاب والسنة والآثار السلفية على إثبات صفة العلو والاستواء والفوقية، وبين الشيخ سبب تدعيمه النصوص بالآثار بقوله:"**ذكر الآثار بعد النصوص يفيد أمرين مهمين:**

الأمر الأول: يفيد أن النصوص المذكورة لم تنسخ، بل هي محكمة باقية كما جاءت إذ تعتبر هذه الآثار تفسيراً وبياناً للنصوص.

---

(١) رواه أبو داود (٨٨٦) وصححه الألباني انظر: صفة الصلاة صـــ ١٤٥.

(٢) وراجع: شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (أ)، شرح التدمرية الشريط (١١) و (أ) والشريط (١٥) و (ب).

الأمر الثاني: تحديد مفهوم السلف، وأنهم كانوا يفهمون من هذه النصوص كتاباً وسنة ما تدل عليه بوضعها وبظاهرها باقية على حقيقتها، ولم يؤولوها ويخرجوا بها عن ظاهرها كما يزعم الخلف، والله أعلم"(١).

وأما المعطلة الذين عطلوا هذه الصفة فشبهتهم انهم تصوروا – خطأً– أن النصوص التي نطقت بأن الله في السماء تدل بظاهرها على أنه تعالى مظروف في جوف السماء، فشبهوه بمخلوق داخل مخلوق آخر، كما فهموا – خطأ – أيضاً من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ وما في معناه من النصوص أنه تعالى جالس على العرش، وأنه محتاج إليه، فشبهوه بإنسان جالس على سريره، محتاجاً إليه، فأرادوا أن يفروا من هذا التشبيه الذي وقعوا فيه لسوء فهمهم، فوقعوا في التعطيل. وأما النصوص فلا تدل على ما لا يليق بالله دائماً – وحاشاها – فأمرهم يتردد إذاً بين التشبيه والتعطيل.

ثم إنهم اختلفوا بعد ما نفوا صفة العلو والاستواء اختلافاً خطيراً، حيث زعم بعضهم بأنه سبحانه وتعالى في كل مكان بذاته، بينما يزعم الآخرون بأنه تعالى: ليس فوق العرش، ولا تحت العرش، ولا يمينه، ولا يساره. ونص كلام بعضهم هكذا: "فليس الله عن يمين العرش، ولا عن شماله، ولا أمامه، ولا خلفه، ولا فوقه، ولا تحته، فليحذر كل الحذر مما يعتقده العامة من أن الله تعالى فوق العالم، ثم استدرك قائلاً: لكن الصحيح أن معتقد الجهة لا يكفر"(٢).

وتلك الشبهة التي أدّت إلى هذا المصير، وهو الاضطراب والتردد – كما رأيت – شبهة واهية على خطورتها، لا تثبت أمام تلك الأدلة المتنوعة من الكتاب والسنة والآثار السلفية على إثبات صفة العلو والاستواء والفوقية(٣).

---

(١) الصفات الإلهية صـــ٣٠٠.

(٢) حاشية البيجوري صـــ٢٦، وحاشية النضالي على كفاية العوام صـــ٦٢.

(٣) يرجع لذلك في موطنه وقد صنف أهل العلم في ذلك مصنفات، ومن أهم ما كتب في هذا الموضوع: العرش لابن أبي شيبة، وإثبات صفة العلو لابن قدامة، والرسالة العرشية لابن تيمية، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، والعلو والعرش للذهبي.

الصفة الثانية: صفة المعية:

ومن الصفات التي أكثر الشيخ الكلام عليها صفة المعية، ولاشك أن من تدبر نصوص الكتاب والسنة الدالة على صفة المعية وجدها تنقسم إلى قسمين:

١- معية عامة تثبت أحكامها لجميع الخلق، بمعنى أن الله مع جميع ما خلق يعلم ما هم عليه، ولا تخفى عليه منهم خافية في الأرض، ولا في السماء، بل قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً. ومن نصوص المعية العامة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ .

٢- معية خاصة: وهذا القسم لخواص عباده تعالى الذين خصهم بالتوفيق فتحلوا بالتقوى، والإحسان والصبر وجميع الشمائل الكريمة، ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ومن أوضح أمثلة هذا القسم تلك المعية العظيمة التي كان يخبر بها رسول الله ﷺ صاحبه في الغار أبا بكر الصديق رضي الله عنه، ويطمئنه بها إذ يقول له:﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ما أعظمها من معية وأعظم به من قرب، حيث يكون الله وحده صاحبهما في ذلك السفر، وخليفتهما في الأهل، وهو معهما بنصره وتأييده وحفظه والدفاع عنهما، وهما في غاية العجز والضعف في تلك اللحظة الحاسمة، وهو مع من خلّفاهم في مكة بالحفظ والكلأ، وبالربط على قلوبهم حتى يأتي الله بالفرج، مهما طال الليل إذ لابد من الصبح، هذه أحكام المعية الخاصة بالاختصار.

والمعية بنوعيها لا تفيد المخالطة، والممازجة الذاتية لا شرعاً، ولا لغة بل تمنع ذلك باعتبار إضافتها إلى الله تعالى. أما لغة فإن لفظة (مع) لا تدل إلا على مطلق المصاحبة والمقارنة، وهذه المقارنة أو المصاحبة أعم من أن تكون بالذات، أو بمعان أخر، وإن السياق والقرائن التي تحيط بالمقام هي التي تعين نوع تلك المصاحبة، فإذا وصف الله نفسه بالمعية في عديد من الآيات القرآنية، وجاء ذكرها فيما صح عن رسوله عليه الصلاة

والسلام، فعلينا أن نؤمن بأن معيته سبحانه إنما هي معية علم واطلاع وإحاطة، إن كانت عامة على ما تقدم من التفصيل، وتزيد عليها معنى الحفظ والنصر والتأييد إن كانت خاصة. ولا ينبغي أن نفهم منها أيّ معنى من المعاني التي لا تليق بالله تعالى[١].

الصفة الثالثة: صفة النزول:

هذه الصفة من صفات الأفعال التي كثر فيها النـــزاع بين السلف والخلف، كاختلافهم في جميع الأفعال عامة، والأفعال اللازمة خاصة. مثل الاستواء والمجيء والإتيان. والقول الحق المؤيد بالأدلة هو الذي عليه سلف الأمة من أن الله تعالى تقوم به هذه الأفعال فيكون النـــزول فعلاً فَعَلَه سبحانه، وكذلك مجيئه وسائر أفعاله.

قال الشافعي رحمه الله :"القول في السنة التي أنا عليها وأهل الحديث الذين رأيتهم، وأخذت عنهم مثل: سفيان[٢] ومالك وغيرهما...أن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء"[٣]. وعقد الإمام ابن خزيمة[٤] رحمه الله باباً أوضح فيه اتفاق علماء الحجاز والعراق على رواية أحاديث النزول عن رسول الله ﷺ، فقال: باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا، كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه،

---

(١) وراجع: شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب)، وقد أطال الشيخ توضيح هذه الصفة في شرحه للقواعد المثلى من الشريط (٩) و (ب) إلى الشريط (١١) و (ب).

(٢) هو سفيان بن عيينة وقد سبقت ترجمته.

(٣) العلو للذهبي ١٠٥٥/٢.

(٤) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن إسحاق السلمي النيسابوري، المشهور بابن خزيمة، من كبار أئمة السلف، له مؤلفات منها: التوحيد، الصحيح، وغيرها، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: السير ٣٦٥/١٤، شذرات الذهب ٣٢١/١.

مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية"[1].

روي عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: "إذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء"[2]، وروي مثل ذلك عن الأوزاعي[3] وغيره من السلف أنهم قالوا في حديث الترول[4]: يفعل الله ما يشاء.

وهذه الأحاديث التي يحتج بها السلف جاءت موافقة للقرآن، وهذا ما احتج به الإمام إسحاق بن إبراهيم بن راهويه[5] رحمه الله على بعض الجهمية بحضرة الأمير عبد الله بن طاهر[6] أمير خراسان، وذلك حين سئل إسحاق، سأله رجل في مجلس الأمير عن حديث الترول أصحيح هو؟ قال إسحاق: نعم، قال السائل: كيف يترل؟!! قال إسحاق أثبته فوق، حتى أصف لك النـــزول، فقال له الرجل: أثبته فوق، فقال إسحاق: قال الله تعالى﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ فقال الأمير عبد الله: يا أبا يعقوب! هذا يوم القيامة، قال إسحاق: أعز الله الأمير ومن يأتي يوم القيامة فمن يمنعه اليوم؟!)[7].

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ٢٨٩/١.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٥٢/٣.

(٣) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي، إمام أهل الشام، من كبار تابعي التابعين، روى عنه خلق كثير، توفي سنة ١٥٧هـــ. انظر: وفيات الأعيان ١٠٦/٣، شذرات الذهب ٢٤١/١.

(٤) رواه البخاري (٧٠٥٦) ومسلم (٧٥٨).

(٥) هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر التميمي الحنظلي المروزي، من أئمة السلف وعلمائهم، من مؤلفاته: المسند، والتفسير، وغيرها، توفي سنة ٢٣٨هـــ. انظر: السير ٣٥٨/١١، شذرات الذهب ٨٩/٢.

(٦) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، كان والياً على الشام ومصر وخرسان وما والاها من قبل المأمون، توفي سنة ٢٣٠هـــ. انظر البداية والنهاية ٣٠٢/١٠.

(٧) رواه الصابوني في عقيدة السلف صـــ١٩٧.

فنستطيع أن نقول: إن النـــزول ثابت بالكتاب والسنة، ولولا هذه النقول لكففنا عن إثباتها. هذا هو الذي نعني بأنها خبرية محضة، إلا أن العقل الصريح والفطرة السليمة لا يرفضان ما ثبت بالنقل الصحيح، ولا يعدانه مستحيلاً، كما يزعم بعض الزاعمين؛ لأن العقل يشهد أن الذي يفعل ما يشاء أن يفعل مثل النزول والاستواء والمجيء مثلاً، والقادر على كل شيء، أكمل من الذي لا يفعل كل ما يريد فعله لأنه﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

هكذا بصيغة (فعَّال) وهي تدل على كثرة الفعل، وقد يفهم من الكثرة التنوع، والله أعلم. هكذا يجتمع العقل والنقل على الدلالة على صفات الأفعال، بما في ذلك نزول الرب سبحانه إلى السماء الدنيا كيف يشاء، ولله الحمد والمنة.

وأما الخلف فموقفهم مضطرب جداً في هذه الصفة، كغيرها من صفات الأفعال، بل إنها تعد من أبغض الصفات لديهم، فمنهم من ينكر النـــزول إنكاراً فيقول: ما ثم نزول أصلاً. ومنهم من يقول: إنه ينـــزل نزولاً بحيث يخلو منه العرش[1]، وهذا يعني أن القوم يحاولون إدراك الكيفية، وإلا فالإنكار السافر أو التشبيه، وهو موقف خطير على إيمان المرء. وهذا التأويل الذي يتوارثه النفاة فيما بينهم في معنى النـــزول قد ناقشه الإمام ابن تيمية في كتابه الفريد في بابه (شرح حديث النزول).

---

(١) وإن كان هذا القول قد نسب إلى بعض المنتسبين لأهل السنة، ومع ذلك فليس منشأ قولهم هو منشأ قول أهل الأهواء، والله أعلم.

الصفة الرابعة: صفة الكلام:

وصفة الكلام صفة ذاتية قديمة قائمة بذاته تعالى باعتبار نوع الكلام، وهي صفة فعل تتعلق بها مشيئة الله تعالى باعتبار أفراد الكلام؛ لأن الكلام الذي خاطب الله به نوحاً عليه السلام في شأن ابنه﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ غير الكلام الذي خاطب به موسى عليه السلام﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وهو غير الكلام الذي خاطب به عيسى عليه السلام﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا الكلام كله غير الكلام الذي خاطب الله به خاتم رسله ﷺ، وإمامهم محمداً عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج في شأن الصلاة (لقد خففت عن عبادي، وأمضيت فريضتي)[1]. وهذا كله غير القرآن الذي أنزله عليه وختم به كتبه، هذا المعنى، وهذا الفهم هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة، وهم الفرقة الناجية التي تمسكت بما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام فيما نعتقد، وهذا يعني أنهم يثبتون لله كلاماً حقيقياً يسمعه المخاطب، وأن هذا القرآن الذي نقرأه بألسنتنا، ونحفظه في صدورنا ونكتبه في ألواحنا وكتبنا أنه كلام الله حقيقة لفظه ومعناه، ولا يبحثون عن كيفية تكلمه تعالى به، لأننا نؤمن به، ولا نحيط به علماً، هذا هو موقف السلف من صفة الكلام بإيجاز، لعلمهم بأن الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، ولا يختلف العقلاء في ذلك، وكلنا نعلم أن معبود قوم موسى الذي اتخذوه من حليهم مما عيب عليه عدم الكلام، بل يستدل بذلك على أنه ليس بإله، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ﴾ . ومن أقوى الأدلة على أن الله يتكلم حقيقة، قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ حيث أكد الكلام بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمعنى المجازي، وهو أسلوب معروف

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٣٢٠٧).

عند أهل اللغة، فمن قال: قتلت العدو قتلاً لا يفهم من كلامه إلا القتل الحقيقي الذي هو إزهاق الروح، بخلاف ما لو قال: قتلت العدو فسكت، فإنه يحتمل القتل الحقيقي، ويحتمل الضرب الشديد المؤلم جداً، ولعله واضح.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ ﴾ فأنت ترى أن الله عاقبهم وأهانهم بترك تكليمهم تكليم إكرام وإنعام، ولكنه سبحانه يكلمهم ويوبخهم بقوله ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ وهذه الآية من أقوى الأدلة على أن هذا القرآن المقروء والمسموع كلام الله حقيقة، وهي رد مفحم على أولئك الذين يزعمون أن هذا القرآن ليس بكلام الله حقيقة، وإنما هو دال على كلام الله الحقيقي النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت(١)، أو هو عبارة عنه، يا ليت شعري من الذي عبر عما في نفس الله؟!! هذه عبارات تقليدية وموروثة يرددها المقلدون، وهم لا يفقهون ماذا تعني هذه العبارة؟!! وهي تعني – فيما تعني– الاستخفاف بالقرآن الكريم، وعدم احترامه الاحترام الذاتي، وإنما يحترم بواسطة غيره.

أما موقف الخلف فقد اختلفت آراؤهم، وتباينت مذاهبهم في هذه الصفة ولكنهم – على اختلافهم الشديد– متفقون على عدم إيمانهم بكلام الله الحقيقي اللفظي الذي يسمعه المخاطب، والذي من جملته القرآن الكريم.

هل الكلام من صفات النقص أو من صفات الكمال؟!! أليس المخلوق الذي يتصف بالكلام خير وأجمل من الذي لا يتكلم؟ الجواب (بلى) بإجماع العقلاء. فهل تُسوّغ عقول الجهمية أن يكون المخلوق أكمل من الخالق؛ لأن كثيراً من المخلوقات تتصف بالكلام –

(١) انظر: رسالة السجزي في الرد على من أنكر الحرف والصوت صـ٢٦١.

وهو صفة كمال- والخالق يمتنع عليه الكلام؟!! أفليس الذي يعطي الكمال أولى بأن يتصف بالكمال، على أكمل وجه بحيث لا يشاركه أحد في خصائص ذلك الكمال؟!! الجواب (بلى) لدى جميع العقلاء. هذا المعنى هو الذي يدور حوله حوار الإمام أحمد، والزاماته للجهمية لو كانوا منصفين وطلاب حق.

الصفة الخامسة: صفة المحبة:

هذه الصفة تتحقق بين العبد الذي يحب ربه وسيده ومولاه، وبين ربه الكريم عز وجل الذي أخبر أنه يحب عباده المتقين المحسنين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾، فأما محبة العبد لربه فقد سبق الكلام عليها[1]، وأما محبة الرب سبحانه لعباده من أنبيائه وأوليائه أهل طاعته، فهي صفة عظيمة وحبيبة إلى قلوب عباده المحبين، وهي صفة مستقلة قائمة بالله تعالى، وهي صفة من صفات الرب تعالى يؤهِل لهذه المحبة من شاء من عباده ويخذل من شاء، فرحمته وإحسانه وعطاؤه وإكرامه لمن شاء من عباده ثمرة من ثمرات محبته، وثواب لها ومن موجباتها؛ لأن الله تعالى لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وعطائه أوفر نصيب وأتمه.

أما الجهمية النفاة فإنهم يزعمون أن الله لا يُحِب ولا يُحَب، هذا هو المبدأ عندهم، وماذا يصنعون بالنصوص المصرحة بالمحبة من جانب الرب سبحانه، ومن جانب العبد؟ هل يكذبون النصوص؟ وهل يجرؤون على ذلك أمام جمهور المسلمين؟!! (لا) إذاً فيتأولون النصوص، نصوص محبة العباد لربهم بمحبة طاعته وعبادته والازدياد من الأعمال الصالحة؛ لينالوا الأجر والثواب وهكذا. ومحبة الطاعة وهذه الأعمال الصالحة وتلك العبادة هي آثار أو ثمرات لتلك المحبة التي أنكروها، لو كانوا يفقهون!! وأما محبة الله لعباده فأولوها بالإحسان إليهم والتفضل بإعطاء الثواب على أعمالهم الصالحة، أو بالثناء

(١) انظر: مبحث العبادة وأنواعها صـ١٩٩-٢٠٣.

عليهم ونحو ذلك، وقد أولها بعضهم بإرادة الإنعام والإحسان. وتتلخص تأويلاتهم للمحبة فيما يلي:

يؤولونها بالمفعول المنفصل كالعطاء والإحسان مثلاً، وأما الإرادة نفسها فيزعمون: أن الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال العالية، والمقامات المرضية سميت (محبة)، وإن تعلقت بالعقوبة والانتقام سميت (غضباً)، وهكذا إلى آخر تلك الأسماء التي سموا بها من عند أنفسهم. وقد ترجع أكثر صفات الأفعال إلى صفة واحدة وهي الإرادة كصفة الرحمة والمحبة والعجب والغضب والفرح. وربما أدى تفسير المحبة أحياناً إلى ردها إلى صفة الكلام؛ وذلك حين يقولون: إن المحبة هي ثناء الله على عباده الصالحين. وليس لدى القوم مستند فيما ذهبوا إليه لا من الأدلة العقلية، ولا من الأدلة النقلية، بل لا تؤيدهم حتى الفطرة السلمية، بل جميع طرق الأدلة عقلاً ونقلاً وفطرة، حتى الذوق السليم، وكلها تدل على إثبات محبة الرب لعبده ومحبة العبد لربه. وقد يحاولون إيجاد مسوغ لهذا التصرف حيث يزعمون: إن المحبة ملائمة ومناسبة بين المحب والمحبوب، وتوجب للمحب بدرك محبوبه فرحاً ولذة وسروراً إلى آخر ما هنالك من الثرثرة العقيمة التي نعرفها لأهل الكلام. والجواب عن هذه الشبهة الواهية مثل أجوبتنا السابقة على مثلها من تلك الشبهات التي كلها من نسيج واحد، حيث لا يلزم عقلاً إثبات لوازم صفة المخلوق لصفة الخالق إذ لا مناسبة بينهما. فخلاصة الجواب أن ما ذكروه من لوازم محبة المخلوق التي نعرف حقيقتها وحقيقة صاحبها لا تلزم محبة الله الذي ليس كمثله شيء الذي لا نحيط به علماً ذاتاً وصفة.

وختماً لهذه الصفة أنبه على أن من المفاهيم المخالفة لأهل السنة مما يتعلق بهذه الصفة، ما يراه بعض المتصوفة[1] من المبالغة في إثبات العلاقة بين الخالق والمخلوق، حيث

(١) الصوفية: هم طائفة من أهل البدع تنتحل الزهد والتعبد، ينسبون إلى الصوف -على الصحيح- وهم طوائف شتى، يجمعهم الزهد البدعي، والتعبد بما لم يشرعه الله من كثير من المخالفات، وسيأتي بيان مزيد لحالهم في (جهود الشيخ في الرد على الصوفية). انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، هذه هي الصوفية للوكيل.

لم يكتفوا بقوله: ((يحبهم ويحبونه))، وإنما تعدوا إلى ذكر بعض العبارات الغير لائقة: كالعشق واللذة، وقد نبه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ضلال ذلك المسلك فقال:"**ذكر العشق في جناب الرب سبحانه وتعالى لا يتلفظ به إلا من فقد الحياء مع الله؛...إثبات صفة العشق غير جائز؛ العشق حب خاص في معنى خاص، ليس العشق كالشوق، وليس العشق كالمحبة، بل المحبة لابد أن يكون فيها معنى معين، وهو معنى الشهوة، هذا لا يذكر في جانب الرب سبحانه وتعالى ولولا الحكاية لبيان الحق ما نطق بهذا لسان مسلم**"[(١)].

الصفة السادسة: صفة الضحك:

صفة الضحك قريبة من الفرح والرضا والمحبة، من حيث المعنى العام، وهي صفة من صفات الأفعال تقوم بالله تعالى كما يليق به، وهي من الصفات التي انفردت بها السنة، إذ لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وهذا الانفراد لا يؤثر عند أهل السنة والجماعة؛ لأن ما ثبت بالسنة الصحيحة كالذي ثبت بالقرآن دون فرق، ومما ورد في إثبات صفة الضحك ما يلي: حديث أبي هريرة:(يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة. يقاتل هذا فيُقتَلُ فيتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد)[(٢)]. وحديث أبي رزين العقيلي: (قال: يا رسول الله أيضحك الله سبحانه وتعالى؟ فقال: "نعم". فقال: "لن نعدم من رب يضحك خيراً)[(٣)]. وهكذا تجده سبحانه يوفق من شاء من عباده ليأتي بمرضاته فيتقبل منه ثم يفرح به حتى يضحك إليه رضاً ومحبة. سبحانك ما أعظم شأنك!!

وليس في إثبات صفة الضحك لله تعالى أي محذور؛ لأنه ضحك ليس كمثله شيء كما قلنا فيما مضى من الصفات الخبرية، لأن الباب واحد، وتساق الصفات كلها سوقاً

---

(١) راجع: شرح التدمرية الشريط (٦) و (أ).

(٢) رواه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠).

(٣) رواه ابن ماجه (١٨١) وصححه الألباني الصحيحة (٢٨١٠).

واحداً، وأما قولهم: إن المراد بالضحك الرضى والثواب الجزيل فهي شنشنة نعرفها للفلاسفة، وأولادهم من علماء الكلام. فليست غريبة علينا ولا هي جديدة عليهم. وهذا هو التخبط الذي أشرنا إليه وهم في غنى عنه لو حالفهم التوفيق. والعجيب من أمرهم أنهم إذا مرت عليهم صفة الرضى أولوها بالثواب، أو بإرادة الثواب، وإذا مرت بهم صفة التعجب أو الفرح أولوها كلها إما بالثواب وما في معناه أو بالإرادة، وكذلك صفة الرضى. وهاهم هنا يؤولون الضحك بالرضى ؟!!

وأراد بعضهم أن يتفلسف أكثر فقال: الضحك خفة الروح، فيكون عند تجدد ما يسُر واندفاع ما يضُر. فيقال له: أدركت شيئاً وفاتتك أشياء، إن الضحك الذي تحدثت عنه هو ضحكك وضحك أمثالك من مخلوقات الله، أما ضحك الخالق العظيم سبحانه فلا تُدرك حقيقته؛ لأنك لم تدرك الخالق فكيف تُدرك حقيقة ضحك الخالق، إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

الصفة السابعة: صفة الوجه:

وهي من الصفات الخبرية التي أشكلت على الخلف على الرغم من ثبوتها بصريح القرآن وصحيح السنة، والعقل تابع ومصدق وغير رافض.

ولذا أطبق السلف وأتباعهم على الإيمان بهذه الصفة كغيرها من صفات الرب تعالى وإثباتها على ما يليق بالله، لا يفسرونها بالذات، ولا يطلقون عليها شيئاً من الألقاب التي يرددها النفاة، مثل: العضو أو الجزء، وغير ذلك من الألقاب التي يطلقونها ليتذرعوا بها إلى نفيها، بدعوى أن إثبات هذه الصفة يعني التركيب[1] المستلزم للحاجة والافتقار. وهي صناعة معروفة لا تروج في سوقنا ولله الحمد والمنة.

---

(١) التركيب: هو ما ركبه غيره، أو كان مفرقاً فركبه غيره، أو ما كان له أبعاض قابلة للانقسام والتفرق، أو ما يقبل الانفصال ولو كان بسيطاً، وكل هذه المعاني لا يصح إطلاقها على الله تعالى. انظر: درء التعارض ١٤٥/٥-١٤٦.

الصفة الثامنة: صفة القَدم لله تعالى:

هذه الصفة كالتي قبلها من الصفات الخبرية والفعلية محل صراع حادّ بين السلف والخلف، ومما ورد في هذه الصفة قوله ﷺ:(لا يزال يلقى فيها -يعني النار- وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينـــزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط قط بعزتك وكرمك)[1]. وفي رواية مسلم:(حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول: قط قط قط ثلاثاً).

وموقف السلف من معنى الحديث هو: أن الحديث من أحاديث الصفات، وأن القدم صفة من الصفات الخبرية التي تمر كما جاءت، دون تأويل أو تحريف في النص، ودون تشبيه أو تمثيل لصفات الله بصفات خلقه، فلا تقاس قدمه بأقدام خلقه، ولا رجله بأرجل مخلوقاته، بل يكتفى بالمعنى الوضعي للكلمة دون محاولة لإدراك حقيقة قدمه، وقد عجزنا عن إدراك حقيقة ذاته سبحانه فآمنا وسلمنا لله ولرسوله، هذا موقف لا يتغير ولا يتبدل بالنسبة لأتباع السلف، بل موقف ثابت وهو اتباع النصوص في جميع الصفات خبرية أو غيرها.

وأما الخلف فقد تكلفوا في تأويل هذا الحديث أكثر من تكلفهم في تأويل أي نص آخر فقال بعضهم: المراد بالقدم هنا المتقدم، ومعناه حتى يضع الله تعالى فيها ما قدمه لها من أهل العذاب!! وأنت تلاحظ أن هذا التأويل التقليدي لم يمكنهم من الانتباه للضمير (قدمه) أو (رجله) وأن الذي لا يختلف فيه أهل العلم أن الإضافة تخصص الصفة للموصوف، بمعنى إذا قلنا: علم الله وقدرة الله مثلاً، فلا يشترك علم المخلوق أو قدرته في علم الله المختص بالإضافة بأي نوع من أنواع المشاركة، وكذلك قدرته، لأن الاشتراك لا يقع إلا في المطلق الكلي غير المختص، لا بالمخلوق ولا بالخالق. وكذلك يقال هنا.

وأما الرواية التي فيها: (حتى يضع الله فيها رجله) فقد حاولوا فيها أولاً تضعيف الحديث ليريحوا أنفسهم من ذلك التأويل المستكره والمستنكر ولكنهم لم يفلحوا؛ لأن

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦).

الحديث صحيح رواه مسلم في صحيحه. قال الإمام النووي[١] رحمه الله:"فقد زعم ابن فورك[٢] أن هذه الرواية غير ثابتة عند أهل النقل، ولكن قد رواها مسلم وغيره في صحيحه"[٣].

فلجأوا أخيراً إلى نوع غريب من التأويل، حيث قالوا: يجوز أن يراد بالرّجل الجماعة من الناس، كما يقال: رجل من (جراد) أي قطعة منه. وهو تكلف غني عن الإعلان عنه، بل هو يعلن عن نفسه، والاستشهاد برجْل الجراد أشد غرابة كما ترى، وهو استشهاد يضحك (الحزين). وقال بعضهم:"المراد بالقدم قوم استحقوها وخُلِقُوا لها، وقالوا: لا بد من صرف لفظة (القَدَمِ) عن ظاهرها لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على الله تعالى"[٤].

فمن ذا الذي قال: إن قَدَمَ الله جارحة من الجوارح حتى تضطروا إلى مثل هذه المناقشة واستعمال هذا الأسلوب، بل الذي عليه سلف هذه الأمة - وهم أعلم وأدق وأقدم- أن قَدَمَ الله ووجه الله ويده وعينه وأصابعه، وما في معناها من هذه الصفات الخبرية صفات لله على ما يليق به سبحانه، وليست بجوارح له، ولا نعلم عن كُنهها شيئاً، بل آمنا بها على مراد الله ومراد رسوله من حيث الحقيقة والكُنه. ومعنى الكلمة معلوم من الوضع والكيف مجهول والبحث عن الكيفية بدعة، أحدثها علماء الكلام، والإيمان بها على أنها صفات ذاتية لله واجب من واجبات الدين الإسلامي.

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُري بن حسن بن حسين الحزامي النووي، أحد أعلام الشافعية، له مؤلفات منها: المجموع شرح المهذب، شرح صحيح مسلم، وغيرها، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥/٥.

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، المتكلم الأصولي، له مؤلفات منها: مشكل الحديث وبيانه، توفي سنة ٤٠٦هـ. انظر: السير ٢١٤/١٧، شذرات الذهب ١٨١/٣.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٨١/١٧.

(٤) المصدر السابق.

المسألة التاسعة: الرؤية؟

نود أن يكون مسك الختام للحديث عن نماذج من الصفات التي يكون الإيمان بها والتسليم لله ولرسوله فيها سبباً للوصول إلى هذه النعمة التي تعتبر – بحق – أعظم نعمة أعدها الله؛ ليكرم بها خواص عباده في دار كرامته. وهم المؤمنون الذين آمنوا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ، قبل أن ينكروا من ذلك شيئاً بأهوائهم وآرائهم، كما فعلت الجهمية والباطنية وجميع الطوائف المنحرفة في الأصول والفروع، تلكم المسألة هي مسألة رؤية الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة.

والأدلة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في الدار الآخرة كثيرة ومن ذلك:

قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وهذه الآية لو تدّبرها مؤمن سليم الفطرة وجدها تنادي نداء صريحاً؛ بأن الله تعالى يُرى عياناً بالأبصار – يوم القيامة – وبيان ذلك كالآتي: إن الفعل (نظر) له عدة استعمالات في اللغة على حسب تعديه بنفسه، أو بواسطة حرف جر، فإن عدي بنفسه يكون معناه التوقف والانتظار، وذلك كقوله تعالى:﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ أي: انتظرونا وتوقفوا لنا حتى نقتبس من نوركم، وإن عدي بـــ(في) فمعناه التفكر والاعتبار. كقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، وإن عدي بـــ (إلى) فمعناه المعاينة بالأبصار، وذلك كقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ . وآية الباب من النوع الأخير بل هي أبلغ في الدلالة على المراد، حيث أضيف النظر إلى الوجه الذي هو محل البصر، وقد فهم هذا المعنى من الآية علماء السلف قاطبة دون أن يشذ منهم أحد.

ومن الآيات على إثبات الرؤية قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ والملاحظ أن هذه الآية من أدلة نفاة الرؤية، إلا أن بعض المحققين يرى – ورأيه هو الصواب– أن الآية دلالتها على جواز الرؤية أوضح، بل لا تدل على

امتناع الرؤية إلا بنوع من التكلف والتحريف؛ لأن الله تعالى ذكر هذا الخبر في سياق التمدح. ومن المعلوم بالضرورة وبالنظر السليم: أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية. وقد ذكر جماعة من أهل العلم: أن العدم المحض ليس فيه مدح؛ لأنه ليس بكمال. وإنما يكون العدم مدحاً إذا تضمن أمراً وجودياً، مثل: تمدحه سبحانه بنفي السِّنَة والنوم؛ لأنه يتضمن كمال القَيّوميّة ونفي الموت؛ لأنه يتضمن كمال الحياة، وهكذا جميع الصفات السلبية التي تَمَدّح الله بها تتضمن أمراً وجودياً على ما شرحنا. ففي هذه المسألة إنما تمدح الله بعدم إدراك أبصار العباد وإحاطتهم به لا بعدم الرؤية، لأنه لو كان لا يُرى لشارك سبحانه العدم وهو الذي لا يُرى، ومشاركة العدم ليست بكمال وليس فيها مدح، بل في ذلك من الانتقاص ما لا يدركه النفاة لجهلهم أو تجاهلهم، وإذا كان من الواجب تنزيه الله عن مشاركة أي مخلوق موجود ومشابهته فيما يختص به ذلك المخلوق فكيف يستسيغ النفاة مشاركة الله للعدم الصرف في خصائصه وهو عدم الرؤية؟ والله المستعان. وقوله تعالى:(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ) إنما يدل على غاية عظمته، وهي أنه تعالى أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك ولا يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية. ويشهد لما ذكرنا قوله تعالى حكاية للحوار الذي جرى بين موسى وقومه المؤمنين عندما رأوا فرعون وجنوده من مكان بعيد﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ﴾، ومعلوم من السياق أنه لم ينف الرؤية – وهي واقعة بالفعل- كما أنهم لم يريدوا بقولهم:(إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ)، إما إنا لمرئيُّون، ولكنهم كانوا قد خافوا أن هذا الجبار صار بمقربة منهم حتى رأوه سيدركهم ويلحق بهم ويؤذيهم، وهذا المعنى هو الذي نفاه موسى بقوله (كَلاَّ)، وقد وعده ربه سبحانه أنه لا يخاف دركاً ولا يخشى، إذ يقول سبحانه﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقًا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾. ومما يذكره

بعض أهل العلم بهذا الصدد أن الرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك. كما أنه يُعلَم ولا يحاط به علماً[(١)].

ومن الآيات التي استدل بها أهل السنة على إثبات الرؤية قوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ ، والآية من الآيات التي يتعلق بها النفاة ظناً منهم بأنها تنفي الرؤية، إلا أن أهل السنة قلبوا عليهم الحجة، فأثبتوا أن الآية من أدلتهم على إثبات الرؤية عكس ما زعموا. ومن أوجه دلالة الآية على الرؤية ما يلي:

١- لا يظن بكليم الله موسى عليه السلام أن يسأل الله مالا يليق بالله، بل ما هو من أبطل الباطل في زعمهم. وهو من أعرف الناس بما يليق بالله وما لا يليق به سبحانه.

٢- أن الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله، علماً بأنه تعالى قد أنكر على نبيه نوح عليه السلام سؤاله حين سأله نجاة ابنه فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ ، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ ، ولو كان سؤال رؤية الله من قبيل سؤال نوح نجاة ابنه، لأنكر عليه سبحانه كما أنكر على نوح عليه السلام. وعدم الإنكار دل على أنه إنما سأله ممكناً لا مستحيلاً.

٣- أن الله سبحانه أجابه بقوله (لَن تَرَانِي)، ولم يقل: إني لا أرى أو لست بمرئي أو لا تجوز رؤيتي. أو عبارة قريبة من هذه العبارات التي تدل أن الرؤية غير ممكنة. والفرق بين الأسلوبين واضح لمن تأمل بإنصاف. وبهذا عرفنا بأنه تعالى يُرى في الوقت الذي حدده سبحانه لرؤيته، وأن نبيه موسى عليه السلام إنما سأله ما هو ممكن، إلا أنه نبهه على أنه لا يقوى على الثبوت أمام التجلي في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر في الدنيا، إلا أن الله سوف يمنحهم القوة التي تمكنهم من الثبوت أمام تجلي الرب تعالى، فيرونه عياناً ولكن

(١) راجع: شرح التدمرية الشريط (٨) و (أ).

دون إحاطة -كما تقدم- وهذا المفهوم هو الذي اتفق عليه الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون.

٤- وفي قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾، إشارة لطيفة وتنبيه إلى أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت أمام التجلي، فكيف بك وبأمثالك؛ لأنك أضعف من الجبل يا موسى! هذا... وأما دعوى المعتزلة وشيعتهم بأن (لن) تدل على التأبيد فدعوى باطلة تأباها اللغة، فإن (لن) إنما وضعت؛ لنفي المستقبل، فأما التأبيد فإنما يستفاد من قرائن خارجية، وهي لا تفيد التأبيد بنفسها.

ومن أقوى أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾، ومن العقوبة التي يعاقب الله تعالى بها الكفار يوم القيامة أنه يحجبهم عن رؤيته، ووجه استدلالنا بالآية أن الله سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤية الله، وعن سماع كلامه، فإذاً إن من أعظم نعم الله على المؤمنين أنهم يرونه عياناً، ويسمعون كلامه سماعاً، إذ لو لم يره المؤمنون، ولم يسمعوا كلامه، كانوا أيضاً محجوبين عنه تعالى. وبهذا الأسلوب احتج الإمام الشافعي بالآية وغيره من الأئمة، وفي هذا الصدد يحدثنا الإمام المُزَني[1] -وهو من كبار أصحاب الإمام الشافعي- إذ يقول المزني: سمعت الشافعي رحمه الله يقول في قوله تعالى:(كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ):"فيها دليل على أن أولياءه يرون ربهم يوم القيامة". ثم يأتي زميله الربيع بن سليمان[2]؛ ليؤكد ما حكاه المزني، حيث يقول: حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل:(كَلاَّ إِنَّهُمْ

---

(١) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري صاحب الإمام الشافعي، له مؤلفات منها: الجامع الكبير والصغير، وغيرها، توفي سنة ٢٦٤هـ. وفيات الأعيان ٢٢٠/١، شذرات الذهب ١٤٨/٢.

(٢) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم البصري، صاحب الشافعي وناقل علمه، توفي سنة ٢٧٠هـ. انظر: السير ٥٨٧/١٢، شذرات الذهب ١٥٩/٢.

عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ)؟ فقال الشافعي رحمه الله: لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى، قال الربيع: فقلت للشافعي: يا أبا عبد الله! وبه تقول؟ قال: "نعم، وبه أدين الله". ثم قال الشافعي - وهو يؤكد هذا المعنى-: "ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله، لما عبد الله عز وجل"(1).

وهناك آيات أخرى تدل على إثبات لقاء الله ورؤيته تعالى، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ ، وقوله سبحانه: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ ، وهناك آيات أخرى كثيرة تنص على هذا المعنى. واللقاء عند أهل اللغة يقتضي المعاينة ما لم يكن هناك مانع كالعمى مثلاً.

وأما الأحاديث المرفوعة إلى النبي ﷺ فقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله أنها وصلت إلى حد التواتر(2)، فسرد منها ثلاثين حديثاً مرفوعاً بين صحيح وحسن، بل بعضها مخرجة في الصحيحين أو في أحدهما. وهناك أحاديث موقوفة وآثار عن الصحابة تُعطى حكم الرفع في اصطلاح المحدثين. ومن الأحاديث المرفوعة حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما في الصحيحين ونصه: "إن أناساً قالوا: يا رسول! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر"؟! قالوا: لا يا رسول الله، قال: "هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب"؟ قالوا: لا، قال: (فإنكم ترونه كذلك)(3). ومثله حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ولفظه: كنا جلوساً عند النبي عليه الصلاة والسلام إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال:(إنكم

(١) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي ٤١٩/١.

(٢) راجع: بحث ابن القيم المتعلق برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الباب الخامس والستين من حادي الأرواح ٦٠٥/٢-٧١٤.

(٣) رواه البخاري (٤٥٨١) ومسلم (١٨٣).

سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته. فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا)[١].

ولو ذهبنا نسوق كل ما ورد من الآيات والآثار وأقوال أهل العلم سلفاً وخلفاً في مسألة إثبات الرؤية مع مناقشتها، لو فعلنا ذلك لطال بنا المقام، لذا نكتفي بالنصوص التي أوردناها، فثبوت رؤية الله في الآخرة للمؤمنين أصبح في غاية من الوضوح، ولم يبقَ في المقام خلاف يُعتدّ به.

فليس كل خلاف جاء معتبرا إلا خلاف له حظ من النظر[٢]

وبهذا القدر كفاية لتوضيح النموذج التطبيقي الذي كان عليه العلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات ما أثبته الله ورسوله ﷺ، من الأسماء والصفات. وبالله التوفيق.

(١) رواه البخاري (٥٧٣).

(٢) القائل هو: أبو الحسن ابن الحصار، نقله عنه السيوطي في الإتقان (٢٩/١).

المبحث الثالث

جهود الشيخ في توضيح قواعد أهل السنة في باب الأسماء والصفات

تمهيد

إن مما يعين على ضبط العلم وحفظه وفهمه القواعد والأصول الكلية، فهي تجمع"منثور المسائل في سلك واحد، وتقيد له الشوارد؛ وتقرب عليه كل متباعد"(١)، فبها يقوى العلم وينمو نماءً مطردا، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيراً، وكما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :"**ضبط هذه القواعد يريح طالب العلم، و يريح كل مسلم**"(٢)؛ لأجل هذا عني أهل العلم كثيراً بوضع القواعد وجمعها في الفنون المختلفة، فلا تكاد تجد فناً إلا وله قواعد وضوابط؛ تجمع متفرقه وتوضح معالمه، وتزيل مشتبهه.

ومن أهم العلوم وأولاها بالتقعيد العلم الذي يعرف بأشرف معلوم، وهو الله جل جلاله، ولهذا من فضل الله ومنته علينا أن السلف رحمهم الله وضعوا أسساً وقواعد يرتكز عليها معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ بغية تسهيل فهم هذا العلم، وتمييز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل البدع من المعطلة والممثلة. ومن العلماء الأجلاء الذين كان لهم نصيب وافر من العناية والاهتمام بهذا الجانب فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد شرح وبين جملة من القواعد، وليست بقليلة ولكني سأبرز ما يمكن بحثه؛ حيث إن المقصود إبراز عناية الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الجانب العظيم، وتوضيح جل المسائل التي تعرض لها الشيخ بالشرح والتبيين، والله الموفق والمعين. وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين:

---

(١) تقرير القواعد وتحرير الفوائد لابن رجب ١/٤

(٢) شرح التدمرية الشريط (٦) و(أ)

المطلب الأول: جهوده في توضيح قواعد الاستدلال في باب الأسماء والصفات:

قاعدة: أسماء الله وصفاته لا يتجاوز فيها القرآن والحديث:

"**مما يجب الاتفاق عليه بين المسلمين (وحدة المصدر في معرفة العقيدة الإسلامية) واعتماد ذلك المصدر في بحث أي معنى من معاني العقيدة الإسلامية، وعدم إغفاله، وبذلك تسلم عقيدة المسلم من الزيف والإلحاد والضلال** [1] إذا تقرر ذلك فاعلم أن"**القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان لكل بحث في العقيدة؛ لأنهما وحيان من الله، ويمثلان الرسالة التي كلف الله بها رسله المختارين من البشر؛ لتكون رابطة بين السماء والأرض، وتحمل إلى سكانها أخبار السماء، أحكاماً ربانية وتعليمات وتوجيهات إلهية**"[2]. وعليه فما ثبت لله من الأسماء والصفات في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة يجب إثباته، وما نفاه يجب نفيه؛ لأن هذا مبحث توقيفي لا مجال للعقل فيه، وقد أكد الشيخ هذه المسألة بقوله:"**نؤكد أن مبحث هذا الباب توقيفي محض بمعنى أنه، لا يخضع للاجتهاد ولا للقياس، أو الاستحسان العقلي، أو النفي والإثبات بالذوق والوجدان. بل السبيل إليه الأدلة السمعية الخبرية، وبعبارة أخرى (لا يتجاوز الكتاب والسنة في هذا الباب) وهذه العبارة التي تجدها بن قوسين منقولة عن إمام أهل السنة والجماعة، الإمام أحمد بن حنبل**[3] **وأدلة الكتاب والسنة يقال: لها سمعية، ويقال لها: خبرية، ويقال لها نقلية، أي: الأدلة المسموعة عن اللّه أو عن رسوله، والتي أخبر اللّه بها عن نفسه أو أذن لرسوله فأخبر بها أو التي نقلت إلينا عن كتاب**

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٤٥.

(٢) الصفات الإلهية صـ٣٢.

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة ٣/٣٢٦، وأورده ابن قدامة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام صـ٣٩.

ربنا أو عن سنة نبيه عليه الصلاة والسلام. هذه الأدلة هي السبيل الوحيد في معرفة الأسماء والصفات، والعقل السليم سوف لا يخالف النقل الصحيح"[١]، وما قرره الشيخ رحمه الله هو ما عليه أصحاب الحديث والأثر كما نقل عنهم الإمام الصابوني[٢] رحمه الله حيث قال:"أصحاب الحديث –حفظ الله تعالى أحياءهم ورحم أمواتهم- يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ؛ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ؛ ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه"[٣].

وهذا هو سبيل المؤمنين الذين آمنوا بالله وما أنزل على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة، فالتمسوا الهدى فيهما واعرضوا عن كل ما خالفهما، قال الشيخ رحمه الله في ذلك:"**المؤمنون الذين يؤمنون هذا الإيمان، فلا يجوز لهم أن يعرضوا عما جاءهم من ربهم من الكتاب والحكمة، وعن بيان رسولهم ليلتمسوا الهدى في غيره، ويعتمدوا في إثبات الصفات على عقول الفلاسفة، أو عقول تلامذتهم المتأثرين بهم. ولو وصفوها أنها أدلة عقلية قطعية وبراهين يقينية، وهي في حقيقتها بضاعة غير إسلامية، وهم يعلمون من أين جاءت؟ ومتى جاءت؟ ومن جاء بها؟ كما أشرنا آنفاً، ثم إنهم نصبوا العداء بينها وبين الوحي، فقد أغنى الله المؤمنين بكتابه المبين وسنة نبيه الأمين عن تكلف المتكلفين، ومن الوقوع في العنت معهم. وبالاختصار: إن السلف إنما يقدمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية إيماناً منهم بأن الله أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب من عنده، وكلفهم ببيان ما يحتاج إلى البيان، لأمر له شأنه، وهو أن ما جاء في**

---

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٦٤.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني الشافعي، من أئمة السلف وأعلامهم، له مؤلفات منها: عقيدة السلف أصحاب الحديث، الانتصار، وغيرها، توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: السير ١٨/٤٠، شذرات الذهب ٣/٢٨٢.

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث صـ١٦١.

هذه الكتب، وبلغته الرسل يغني عن كل شيء. وأما غيره فلا يغني عنه. هذه النقطة هي (سر المسألة) فلا يسع الخلف إلا اتباع السلف على أساس أنهم أعلم وطريقتهم أحكم وأسلم"[1].

وأنبه إلى أن هناك شبهات واهية وحججاً داحضة لأهل الأهواء، استخدموها؛ لتكون سلما يتكئون عليه للإعراض عن الكتاب والسنة، وأشار الشيخ رحمه الله إلى شيء من ذلك بقوله:"**وأما دعوى المعارض (علماء الكلام) أنها أدلة لفظية عرضة للنسخ والتخصيص والتقييد، فلا يتم الاستدلال بها في هذا الباب، فهي ثرثرة نحفظها لعلماء الكلام الذين شغلهم الكلام عن العلم، فلا ينبغي أن يلقى لها بال؛ لأن جانب العقيدة لا يمكن أن يقع فيه نسخ وتغيير، وهذا التصرف لا يعرف قبل العصر العباسي، ولا يكاد يدور في رأس أحد من المسلمين قبل ذلك، إذ ليس من الدين ولا من مقتضى العقل الصريح، والفطرة السليمة ألاّ يستدل في المطالب الإلهية بكلام الله وكلام رسوله ﷺ، ليستدل عليها بقول العلاّف[2]، والنظّام[3]، وابن أبي دُؤاد[4] وأمثالهم، وما ذلك إلا لتزهيد الناس في نصوص الكتاب والسنة، بينما الواجب الذي يقتضيه الإيمان دعوة الناس إلى الاعتصام بهما فقط دون التفات إلى غيرهما، ولا سيما في باب العقيدة، وهو باب يجب ألا يتجاوز فيه الكتاب والسنة، كما قال الإمام أحمد رحمه الله في**

---

(١) الصفات الإلهية صـ٧٧-٧٨.

(٢) هو أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري، من كبار معتزلة البصرة، عرف بفرط ذكائه وكثرة تصنيفاته، توفي سنة ٢٢٦هـ وقيل ٢٣٥هـ. انظر: تاريخ بغداد ٣/٣٦٦، السير ١١/١٧٣.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام البصري، شيخ المعتزلة، صاحب القول بالطفرة، توفي سنة ٢٣١هـ على إثر سقوطة من غرفته وهو سكران. انظر: تاريخ بغداد ٦/٩٧، السير ١٠/٥٤١.

(٤) هو أحمد بن فرج بن حريز الإيادي، القاضي الجهمي المعروف بابن أبي دؤاد، حامل لواء القول بخلق القرآن في دولة المأمون، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: تاريخ بغداد ٤/١٤١، السير ١١/١٦٩.

أثناء المناقشة أيام المحنة"[١]. وليس المقصود بسط شبهاتهم وإنما المراد تقرير أن النجاة والسلامة في باب الأسماء والصفات وغيرها من أبواب الدين تكون بالتمسك والاستسلام للقرآن والسنة وعدم التفريق بينهما، والإعرض عن كل من عارضهما؛ فإن الذين أعرضوا "عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ؛ عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم، هذه الأمور، وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير، فلم يروها منكرا"[٢]ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قاعدة: أسماء الله تعالى وصفاته تثبت بخبر الآحاد:

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**على الرغم مما ذكر، ومما لم يذكر من الأدلة القطعية من الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، وآثار الصحابة، ومن بعدهم من أهل العلم. على الرغم من تلك الأدلة التي تصرخ بأعلى صوتها، بأن السنة صنو الكتاب، وأن السنة هي الحكمة المذكورة في القرآن في غير ما آية، وأنها من وحي الله، وأن ديننا يؤخذ من الكتاب والسنة معاً لا من الكتاب وحده، على الرغم من كل ذلك، لم تسلم السنة من هجم"**[٣]، ومن تلكم التهكمات القواعد التي وضعها أهل الأهواء؛ ليدفعوا بها السنن؛ وليدنسوا بل، وليهدموا عقيدة الإسلام من أساسها، ومن تلكم القواعد قولهم:(إن أخبار الآحاد لا يحتج بها في باب العقيدة؛ لأنها لا تفيد اليقين وإنما تفيد الظن) وما ذلك إلا لأنهم قسموا الأخبار كما قال شارح الطحاوية:"قسمان: متواتر

(١) الصفات الإلهية صــ٤٤-٤٥.

(٢) الفوائد لابن القيم صــ٦٥.

(٣) منزلة السنة في التشريع، ضمن المجموع صــ١٩٣.

وآحاد، فالمتواتر -وإن كان قطعي السند- لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين؛ ولهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات!! قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها!"فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية، سموها قواطع عقلية، وبراهين يقينية!! وهي في التحقيق ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ "(1).

قال الشيخ محمد أمان رحمه الله: "**أما تصنيف الأحاديث إلى متواتر يستدل بها في الأصول والفروع معاً، وآحاد لا يستدل بها إلا في الفروع هذا التقسيم ليس تقسيم أهل الحديث، هذا تقسيم علماء الكلام، ولكن تأثر بهذا بعض علماء المصطلح وعلماء أصول الفقه(2) انطلت عليهم هذه القاعدة من حيث لا يشعرون، ويقررون ذلك الآن في كتبهم هذا غلط، اشتراط التواتر في الأحاديث التي يستدل بها في باب الأسماء والصفات وفي الأصول جميعا لا أصل لهذا، وأبو الأصول المعروف بأنه أبو الأصول الإمام الشافعي رحمه الله يقرر هذا أن الآحاد يستدل بها في باب الأسماء والصفات، كما يستدل بها في جميع الأحكام(3)، ينبغي أن يفطن لهذه القاعدة خصوصا طلاب العلم**

(1) شرح الطحاوية صــ398.

(2) انظر: الإحكام للآمدي 2/15، المختصر لابن الحاجب 2/51، نخبة الفكر مع النزهة صــ58.

(3) انظر: الرسالة صــ369 وما بعدها.

الجامعيون الذين يدرسون المصطلح وأصول الفقه ينبغي أن لا ينخدعوا إذا مرت عليهم مثل هذه القاعدة(١) في أصول الفقه وهي لعلماء الكلام"(٢).

ويحسن التنبيه إلى أن المستنكر ليس تقسيم الأخبار في حد ذاته، وإنما المستنكر ما فَرَّع عليه أهل الأهواء من القبول والرد، فتقسيم الدين إلى ما يثبت بخبر الواحد وما لا يثبت به، تقسيم باطل وليس عليه دليل، فالواجب على كل مسلم أن يتمسك بما عليه أهل السنة من الاعتماد على النصوص الشرعية إذا ثبتت صحتها للمعصوم ﷺ، قال الشيخ رحمه الله:" **بالنسبة لنا أهل السنة والجماعة لا فرق بين ما ثبت في السنة وما ثبت بالقرآن، الفرح من الصفات التي ثبتت بالسنة، السنة الصحيحة يعمل بها كما يُعمَل بالقرآن تماماً، هذا الذي درج عليه سلف هذه الأمة، ما كانوا يفرقون بين الكتاب والسنة بل من قواعدهم عدم التفريق بين الكتاب والسنة، بل من قواعدهم أيضا عدم اشتراط التواتر في الأحاديث التي يستدل بها في باب الأسماء والصفات لا فرق بين الأدلة التي يستدل بها في الفروع، وبين الأدلة التي يستدل بها في الأصول، المدار على الثبوت إذا ثبتت السنة جاز الاستدلال بها في الأصول، في صفات الله تعالى، في النبوات، وفي المعاد، كما يجوز الاستدلال بها في الفروع**"(٣).

وهذا الذي قرره الشيخ رحمه الله هو الذي عليه عمل الأمة من أول صدرها إلى يومنا هذا قال رحمه الله:"**فالذي عليه عمل المسلمين في الصدر الأول، وما يليه من عصور التابعين، الاحتجاج بهما إذا صحت، وتلقتها الأمة بالقبول، مستدلين بها في كل باب في الأمور الخبرية وغيرها، وقد كان مدار الاحتجاج بالأخبار عندهم الصحة فقط،**

---

(١) وقد اعتبر العلامة ابن القيم رحمه الله هذه القاعدة طاغوتاً من طواغيت المتكلمين حيث تصدى للكشف عن زيفها راجع مختصر الصواعق ٤/ ١٤٤١ إلى آخر الكتاب. والطواغيت التي تصدى لها أربعة أجملها في الصواعق ٢/.٦٣٢.

(٢) شرح التدمرية الشريط (١٨) و (ب).

(٣) المصدر السابق.

ولا شيء غير الصحة. ولو رجعنا إلى الماضي، إلى ما كان عليه العمل في عصر النبوة، والعصور التي تلت ذلك العصر لرأينا الشيء الكثير مما يشهد لما ذكرنا"[١].

وأخذ الشيخ رحمه الله يسرد الأدلة على قبول أخبار الآحاد، وأكتفي بحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[٢].

قال الإمام الشافعي معلقاً على هذا الحديث:"فلما ندب رسول الله إلى استماع مقالته، وحفظها وأدائها أمرأً يؤديها، و الإِمرُءُ واحد[٣]-: دل على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلال وحرام يجتنب، وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا"[٤]. قال الشيخ رحمه الله معلقاً على ذلك:"**واستدلال الإمام الشافعي بهذا الحديث على قبول أخبار الآحاد في غاية الوضوح؛ حيث لم يشترط الرسول ﷺ لسماع حديثه عدداً قليلاً أو كثيراً، بل ندب شخصاً واحداً؛ ليسمع حديثه ويؤدي ما سمع، ويشمل ذلك الأحكام والعقائد بما في ذلك إثبات صفات الله تعالى**"[٥]. وبعد سرد الشيخ رحمه الله الأدلة قال: "**ومن كل ما ذكرنا يتضح دون شك أن أخبار الآحاد تقوم بها الحجة في إثبات الصفات، وهو ما عليه المحققون من الأئمة الأربعة، وغيرهم كثير كما تقدم، ولا عبرة لفلسفة المتفلسفين وثرثرة أتباعهم من المعتزلة الذين شغلهم الكلام عن النظر في نصوص الكتاب والسنة والاهتداء بهما، بل أخذوا يلتمسون الهدى في غيرهما حتى استولت عليهم الحيرة،**

---

(١) الصفات الإلهية صــ٥٢.

(٢) أخرجه أحمد ١٨٣/٥ (٤١٥٧) وأبو داود في سننه (٣٦٦٠) وصححه الألباني الصحيحة (٤٠٤).

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه للكتاب:"يعني فلما أمر عبداً أن يؤدي ما سمع، والخطاب للفرد وهو الواحد".

(٤) الرسالة صــ٤٠٢-٤٠٣.

(٥) الصفات الإلهية صــ٥٣.

وانتهت حياة كبارهم إلى الحسرة والندم، وتحذير الناس عن الخوض في علم الكلام، والتوصية بالرجوع إلى الفطرة، حتى قال قائلهم: (من جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي)[1]"[2].

وأختم الكلام على هذه القاعدة بوصية الشيخ رحمه الله حيث قال:"**لا يقولن لك قائل: إن السنة في الغالب تروى بالمعنى، وأكثر الأحاديث التي وردت في باب الأسماء والصفات آحاد، والآحاد لا يستدل به في باب العقيدة؛ إذا سلمت هذه القاعدة لهم تدرجوا معك فقالوا: الأحاديث حتى لو كانت متواترة وإن كانت قطعية الثبوت، لكنها ظنية الدلالة، لا تصلح**[3]**؛ أخرجوا الوحي المروي عن رسول الله ﷺ من الباب؛ ثم قد يتدرجوا معك فيقولوا: الأدلة اللفظية كلها ظنية ويقدحون في دلالة القرآن ، ما لم توافق دلالة القرآن العقل؛ لذلك نحن نرفض التفريق بين الكتاب والسنة، ونرجع إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة لنرى إنهم إنما يشترطون في السنة الثبوت فقط حتى التواتر لا يشترطون**"[4].

---

(١) من كلام الرازي، انظر: الحموية صـــ١٩٣.

(٢) الصفات الإلهية صـــ٥٩.

(٣) وهؤلاء القوم المنكرون لحجية خبر الآحاد بدأ ظهورهم في عهد مبكر، وكلما كاد الزمان يطويهم عادت نابتتهم والله المستعان. وقد قيض الله من ينتصر لدينه ويرد على هؤلاء ، وأكثر من أفاض الكلام حول هذه المسألة الإمام الشافعي رحمه الله ، وكذا البخاري رحمه الله، وابن حزم في كتابه (الإحكام)، وابن عبد البر في التمهيد وأفرد له مصنفاً سماه (الشواهد في إثبات خبر الواحد) ذكره في التمهيد ٢/١، ١١٦/٥ ، والخطيب ألف مصنفا سماه (الدلائل والشواهد على صحة خبر الواحد) ذكره في الكفاية صـــ٦٦ ، وابن القيم في الصواعق وتتابع أهل العلم في تقرير الحق في هذه المسألة فمن الكتب المعاصرة (وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على المخالفين) للألباني، (حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام) للشيخ ربيع وغيرهما كثير جداً.

(٤) شرح القواعد المثلى الشريط (٧) و (أ).

قاعدة: الإجماع حجة في باب الأسماء والصفات:

اعتنى أئمة الإسلام -خلفاً عن سلف- بنقل الإجماع وحفظه وكتابته وروايته خصوصاً في مسائل الاعتقاد التي أُحدث فيها ما ليس منها.

وقد أولى الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك عناية كبيرة -خصوصاً ما أحدث فيما يتعلق بأسماء الرب تعالى وصفاته، وذاته وأفعاله- فقد أحدث أهل الأهواء في ذلك أقوالاً ما أنزل الله بها من سلطان، فتصدى لهم أئمة الإسلام في وقت مبكر؛ منبهين أن ما أحدثوه لم يكن فيه عند من سبقهم خلاف. ومن أولئك الأئمة الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: (كنا - والتابعون متوافرون- نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات)[1]، قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ **"وهو تصريح يدل على إجماع التابعين المبني على إجماع الصحابة، المستند إلى صريح الكتاب وصحيح السنة في صفة الاستواء وغيرها من الصفات الواردة في الكتاب والسنة"**[2]. وقال أيضاً:**"وذكر الأوزاعي هذا الإجماع عندما ظهر جهم بن صفوان[3] منكراً كون الله تعالى فوق عرشه، بل نافياً جميع صفات الله تعالى ذكره؛ ليعرف الناس أن ما نادى به جهم مخالف لما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومصطدم من منهجهم لئلا ينطلي على عامة الناس دعواه؛ بأن ما انتهى إليه مؤيد بالبراهين العقلية التي هي في واقعها وهميات وخيالات لا حقيقة لها"**[4]. فالإجماع عند السلف دليل سمعي نقلي يضاف إلى النص ليعضده ويقويه، ويدفع عنه احتمال الخطأ الذي قد يتطرق للظنيات[5].

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٣٠٤/٢ (٨٦٥).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٨٧.

(٣) هو أبو محرز الجهم بن صفوان الراسبي مولاهم السمرقندي، المتكلم الضال، رأس الجهمية وأساس بدعتهم، قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـــ. انظر السير ٢٦/٦.

(٤) الصفات الإلهية صـــ٨٨ وانظر: صـــ١٤٥.

(٥) انظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع صـــ ٥٢.

وممن صرح بنقل الاتفاق على ذلك الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة[1] حيث قال: (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف وتشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم، فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لاشيء)[2]. قال الشيخ رحمه الله :"**وما حكاه الإمام الأوزاعي من إجماع التابعين المبني على إجماع الصحابة المستند إلى الكتاب والسنة، ثم ما حكاه محمد بن الحسن من إجماع علماء المشرق والمغرب على موقفهم من نصوص الصفات، كل ذلك يغنينا عن نقل أقوال الأئمة قولاً قولاً**"[3].

وبعد أن بين الشيخ محمد أمان رحمه الله منهج السلف الصالح في باب الأسماء والصفات، ونقل أقوال أئمتهم في ذلك وفي الإعراض عن علم الكلام، وأن كلامهم واحد خرج من مشكاة واحدة، قال الشيخ رحمه الله:"**فلو أن مسألة من المسائل الفقهية الفرعية نالت مثل هذا الاتفاق من هؤلاء الأئمة الأعلام، دون أن يشذ عنهم أو يخالف أحد تضر مخالفته، اعتبرت مسألة إجماعية. وعيب على كل من يخالف هذا الإجماع وأنكر عليه العامي قبل العالم، فلا غرو إذا أنكر أتباع السلف على من يخرج على هذا المنهج الذي أجمع عليه الصحابة وعلماء التابعين، كما علمنا من كلام الإمام الأوزاعي رحمه الله**"[4].

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي، فقيه العراق صاحب أبي حنيفة، له من مؤلفاته: السير الكبير، توفي سنة ١٨٩هـ. انظر: السير ١٣٤/٩، شذرات الذهب ٣٢١/١.

(٢) رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد ٤٣٢/٣ (٧٤٠) وابن قدامة في ذم التأويل صـ١٣.

(٣) الصفات الإلهية صـ١٤٥.

(٤) المصدر السابق صـ٨٨.

وأختم بقول عمر بن عبد العزيز[١] رحمه الله: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال الطاعة لله، وقوة على دين الله، وليس لأحد من خلق الله تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها. من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً"[٢]. قال الشيخ رحمه الله معلقاً على ذلك:" **وهو كلام يلقي ضوءاً واضحاً على ما أشرنا إليه آنفاً أن اللاحق منهم يقتدي بالسابق. ثم إنهم كانوا متفقين غير مختلفين في أصول الدين، ولم تظهر فيهم البدع والأهواء، وهم أهل الحديث وحفاظه ورواته وعلماؤه المتبعون للآثار، لا الآراء وذلك سبيل المؤمنين، واقفين عند قوله تعالى:** ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ **ومن سبيلهم في باب الاعتقاد، الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ لا يزيدون ولا ينقصون ولا يفسرونها فيما يخالف ظاهرها الذي يظهر من وضع اللفظ العربي، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين، بل يمرونها كما جاءت، ويردون علم حقيقتها إلى قائلها، مع اعتقاد أنها على الحقيقة، وكثير ما يحيل التابعون ومن بعدهم من سألهم أو أراد أن يفهم ما أشكل عليهم يحيلونهم على علم الصحابة**"[٣].

---

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي، الخليفة الزاهد الراشد، أقام الله به السنة ونشر العدل، توفي سنة ١٠١هـ. انظر: السير ٥/١١٤، شذرات الذهب ١/١١٩.

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة صـ٩٣، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٠٥ (١٣٤).

(٣) الصفات الإلهية صـ٨٢.

قاعدة: المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح:

يحسن قبل تقرير القاعدة توضيح المراد بالعقل والأدلة العقلية، والنقل والأدلة النقلية، قال الشيخ رحمه الله موضحاً ذلك:"**تعريف العقـــل: يقال: عقل الشيء فهمه معقول أي مفهوم، العقل نور روحانيٌ تدرك به النفس الأمور الضرورية، والفطرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد في الرحم، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ**[1]. **ويقال للأدلة النظرية: الأدلة العقلية؛ لأنها تدرك بالعقل، حيث إن الإنسان يستعمل العقل في ترتيبه وتكوينه وتنظيمه، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه، لئلا يقع فيما لا ينبغي من اعتقاد فاسد أو فعل قبيح، ومن ذلك (اعقلها وتوكل على الله)**[2] **أي احبسها.**

تعريف النقـــل: يقال: نقل الشيء أي أخذه من مكان إلى مكان، ونَقَلَةُ الحديث هم الذي يدونون الأحاديث، وينقلونها ويسندونها إلى مصادرها.ويقال لأدلة الكتاب والسنة: الأدلة النقلية، ويقال لها السمعية ويقال لها: الخبرية، والأدلة المأثورة، وكلها بمعنى واحد، وهي الأدلة المسموعة المنقولة عن كتاب الله العزيز، والسنة المطهرة، أو الأدلة التي نقلها إلينا نقلة الحديث والرواة"[3].

إن مصدر عقيدتنا في باب الأسماء والصفات وغيره من الأبواب الكتاب والسنة بفهم وإجماع سلف الأمة،-كما سبق تقريره- ولاشك أن العقل السليم موافق لذلك، غير مخالف، قال الشيخ رحمه الله :"**دعوتنا إلى وحدة المصدر للعقيدة الإسلامية حقيقة دل عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية، والعقل السليم لا يعارضها، على القاعدة**

(١) انظر: تاج العروس ١٨/٣٠ مادة (عقل).

(٢) قطعة من حديث أنس رضي الله عنه رواه الترمذي (٢٥١٧) وقال: حديث غريب وحسنه الألباني.

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٤٥-٢٢٤٦.

التي تقول: (العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح)"[1]. ويمكن تقرير هذه القاعدة بالوجوه التالية:

١- أن الذي خلق العقل هو الذي أنزل الشرع، فكيف يمكن أن يكون بينهما تعارض وقد خلق العقل؛ ليدرك ما أنزل من الشرع، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: "**العقل نور جعله الله في قلبك؛ ليكشف لك عن الأشياء الموجودة، والحقائق الواقعة؛ ولتفهم به عن الله ورسوله، هذه وظيفة العقل، فلو أردت منه أن يريك كل ما تحبه، وتتخيله من المعدومات، فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، اللهم إلا إذا كان على سبيل الوهم والخيال، وسبق أن قلنا: إن الوهم والخيال لا يصلحان للمعرفة الصحيحة والعقيدة السليمة**"[2].

٢- استحالة معارضة كلام الخالق العظيم لكلام المخلوق الضعيف، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**لا يجوز شرعاً، ولا يستساغ عقلاً أن يعارض كلام الخالق العليم بالمصطلحات التي وضعها المخلوق الجاهل الضعيف. وخاصة إذا تصورنا أن واضعي هذه المصطلحات من غير المسلمين في الغالب** الكثير"[3].

٣- "**إذا كان العقل هو الذي دلنا على معرفة الله عز وجل، وعلى أن محمداً رسول الله حقاً، فأي معارضة تفرض بين العقل وبين ما جاء به الكتاب والسنة؟! أو رَدَّ خبر الله وخبر رسوله بحجة مخالفتهما للعقل، يعتبر كل ذلك مناقضة صريحة لما دل عليه العقل نفسه**"[4]. وهذا مثل ما لو أن إنساناً كان في الصحراء فتاه عن الطريق الموصلة إلى بلدة معينة، فوجد رجلاً عرف من حاله الخبرة في الطرق، فطلب منه أن يرشده الطريق. فهل يليق بعد ذلك أن يعترض عليه ويأبى أن ينقاد له؟ فإن فعل ذلك فهذا دليل على طعنه بخبرة الرجل بالطرق، فكذلك من لم يسلم لله ورسوله بعد أن

---

(١) المصدر السابق صـ٢٤٥.

(٢)المصدر السابق.

(٣) الصفات الإلهية صـ٧٩.

(٤) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٤٥.

استدل على صحة وصدق الشارع، فإن ذلك قدح في دلالة العقل، وقدح في إيمانه ويقينه بأن الشارع صادق ناصح[1].

٤- ثم حتى ولو أثبتنا أن هناك عقلاً يخالف النقل، فأي عقل يوزن به الكتاب والسنة؟! قال الشيخ رحمه الله:"**الدلالة العقلية تختلف باختلاف العقلاء؛ إذا كان عقل الأشعري قد أثبت القدرة والإرادة والبصر مثلاً، ولم يجعل ذلك مستحيلاً عقلاً، الاستحالة لم تمنع من إثبات هذه الصفات، فإذن هي كونها تمنع الاستواء والنزول الحقيقيين، والوجه واليد على الحقيقة هذا تناقض، عقولهم اختلفت: أثبتت بعض الصفات ونفت بعض الصفات. وقبلهم الاستحالة العقلية عند المعتزلة: نفت جميع الصفات. وقبلهم الاستحالة العقلية عند الجهمية: نفت الأسماء والصفات معاً. إذا كانت الناس اختلفت هذا الاختلاف في الدليل العقلي ما هو المرجع؟ وهل هناك عقل أكبر من هذه العقول كلها وأعقل، حتى يرجع إليه؟! العقول لا تتفق**"[2].

وعلى هذا فالمرجع الصحيح عند السلف في هذا الباب هو الكتاب والسنة، و **لا ينبغي أن يفهم منه أن السلف ينكرون العقل والتوصل به إلى المعارف، والتفكير به في خلق السموات والأرض، وفي الآيات الكونية الكثيرة لا، ولكنهم لا يسلكون في استعمال العقل الطريقة التي سلكها علماء الكلام في الاستدلال بالعقل وحده في المطالب الإلهية، من محاولة الاكتفاء به أحياناً، لو استطاعوا، أو تقديسه بحيث يقدمونه على كلام الله خالق العقل والعقلاء، وعلى سنة رسوله التي هي وحي الله. بل إن السلف من منهجهم لا يدعون التعارض بين الدليلين، بل ينفون هذا التعارض الذي يصطنعه علماء الكلام المتأثرون بفلسفة اليونان، علماً بأن المسلك الذي سلكه علماء الكلام، هو في الواقع مسلك الفلاسفة غير الإسلاميين في الأصل، الذين لا يثبتون**

---

(١) ضرب شيخ الإسلام مَثلاً قريباً من هذا، انظر: درء التعارض ١٣٨/١-١٣٩، شرح الطحاوية صـ ١٦٩.

(٢) شرح التدمرية الشريط (١٢) و (أ).

النبوات، ولا يرون أن إرسال الرسل، وما جاءوا به من نصوص الصفات، ونصوص المعاد أنها حقائق ثابتة. فكان أقوى شيء عندهم في الاستدلال على إثبات الأمور (العقل) ما أثبته العقل فهو الثابت، وما نفاه العقل فهو المنفي، فورثوا التركة لعلماء الكلام"[1].

وما قرره الشيخ رحمه الله في ذلك هو الحق الذي عليه سلف الأمة، قال شيخ الإسلام رحمه الله:"واعلم أن أهل الحق لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية ولا فيما علم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدعي المعارض أنه يخالف الكتاب والسنة، وليس في ذلك ـــ ولله الحمد ـــ دليل صحيح في نفس الأمر، ولا دليل مقبول عند عامة العقلاء، ولا دليل لم يقدح فيه بالعقل"[2] وقد ذكر قوام السنة في كتاب الحجة:"فصل: ولا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقول؛ لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد، والرضا يوجبه العقل؛ لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة، فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل"[3].

وأختم بذكر الشيخ للموقف الحق الذي ينبغي سلوكه عند توهم التعارض بين العقل والنقل. قال رحمه الله: "**وعندما يحصل الاختلاف بين العقل والنقل لا بد من أحد أمرين:**

أحدهما: أن النقل غير صحيح في نفسه، أو أسيء فهمه وفسر تفسيراً غيرصحيح.

ثانيهما: المعقول الذي ادعى أن النقل يخالفه غير صريح وغير سليم، بل إنه أصيب بأدران الشبهة، أو الهوى الذي غيّره حتى فقد العقل سلامته، بل هو إما مريض أو ملوث ولا محالة، ولو كان العقل يتمتع بعافيته وسلامته، والنقل يتمتع بصحته وقوته لا يكاد أن يختلفان. وهذه قاعدة عظيمة ونافعة بإذن الله، ومقبولة لدى العقلاء

(١) الصفات الإلهية صـــ٧٦-٧٧.

(٢) درء التعارض ١/١٩٤.

(٣) الحجة ٢/٥٤٩.

المنصفين، بل لا يكاد يتردد فيها كل من نظر في العقليات، وله اطلاع على النقليات، ورزق التجرد عن التعصب والهوى والتحيز"(١).

قاعدة الكمـــــــــــــال:

وهذه القاعدة تسمى بقاعدة الكمال وهي من قواعد المنهج السلفي الشرعية العقلية، شرعية: لكونها مستنبطة من الوحي. عقلية: لكون العقل يشهد بصحتها ويتفق مع النقل على إثبات الكمال لله بالاستدلال بها.

وضح الشيخ هذه القاعدة(٢) فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**هذه قاعدة:(كل كمال اتصف به المخلوق، وليس فيه نقص بوجه من الوجوه فالخالق أولى به)؛ لأن معطي الكمال أولى بالكمال، الذي أعطى المخلوق هذا الكمال: العلم والحياة والسمع والبصر، من هو؟ الله، فالله أولى بهذا الكمال، وإنما قلنا (وليس فيه نقص بوجه من الوجوه)، قد يوجد ما يعتبر كمالاً في المخلوق، وهو في حق الخالق نقص لا يليق بالله، وجود الصاحبة والولد والمعين والوزير بالنسبة للمخلوق كمال، لأن المخلوق ناقص لا بد له من صاحبة، لا بد له من ولد، لا بد له من شريك؛ ليكمل بذلك، أما الغني، أما الكامل كمالا ذاتياً، الذي الكمال وصف ذاتي له، والغنى وصف ذاتي له، لا يحتاج إلى هذه الأشياء، وتعتبر في حقه سبحانه وتعالى نقصاً**"(٣).

وطريقة تطبيق (قاعدة الكمال) عند السلف هي: الاستدلال بقياس الأولى على تقرير منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :"**وإنما يستعمل في حقه تعالى القياس الأولى وحقيقته: أن كل كمال ثبت وليس فيه نقص بوجه من الوجوه فالله**

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد المجموع صـــ٢٤٩.

(٢) لمزيد توضيح لهذه القاعدة انظر: الرسالة الأكملية لشيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى ٦/٦٨-١٤٠.

(٣) شرح التدمرية الشريط (١٦) و (أ)، وانظر: التعليق على شرح الواسطية الشريط (٥) و (أ).

أولى به، لأن معطي الكمال أولى به مع التفاوت بين تلك الكمالات"[1]. وعلى هذا فيشترط في الكمال الثابت بطريق الأولى:

١- أن يكون كمالاً وجودياً خارج الذهن.

٢- أن يكون لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فالنوم والأكل كمال في المخلوق، مستحيل في حق الرب تبارك وتعالى؛ لما يستلزمه من العدم والنقص والعيب من عدم كمال الحياة وغير ذلك[2].

واستدلال أهل العلم بقياس الأولى في مسائل الأسماء والصفات؛ لوروده في القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ . وقد وضح الشيخ محمد أمان رحمه الله المقصود بالمثال، فقال:"**المخلوق حي موصوف بصفة الحياة، وموصوفٌ بالعلم، وموصوف بالقدرة وبالسمع والبصر إلى آخر الصفات المعدودة، هذه الصفات موجودة في المخلوق، ولكن صفات الله تعالى وحدها هي الكاملة، وهذه الصفات في المخلوق ناقصة، فصفات الله تعالى هي الكاملة: حياةُ الله تعالى صفة كمال لا نقص فيها بوجهٍ من الوُجوه، العلم علم الله تعالى صفةُ كمال لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه، علمٌ محيطٌ بجميع المعلومات، علمٌ لم يُسْبَق بجهل، علمٌ قديم قِدَم الذات، لم يُسبق بجهل، ولا يطرأ عليه نسيان أو غفلة أو ذُهول، علمٌ باقٍ بقاء الذات العليّة، قديمٌ قِدَم الذات العليّة، وباقٍ بقاء الذات العليّة ومُحِيطٌ بكل شيء؛ لا أحد يتّصف بعلم كهذا العلم؛ هذا هو وجهُ الكمال، هذا هو المثل الأعلى**"[3]. "فالمثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده، ولهذا كان على صيغة أفعل التفضيل، أي: أعلى من غيره، وأما مثل السوء فهو لعادم صفات الكمال، ولهذا جعله مثلا للجاحدين لتوحيده وكلامه

---

(١) الصفات الإلهية صـ١٤٢.

(٢) انظر: القواعد الكلية للبريكان صـ٢٩٣- ٢٩٤، ومنهج ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد له ٧٥٧/٢ له.

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (أ).

وحكمته؛ لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملاً، وهي: الإيمان والعلم والمعرفة واليقين والعبادة لله والتوكل عليه والإنابة إليه، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، والصبر والرضا والشكر وغير ذلك من الصفات التي اتصف بها من آمن بالآخرة. فلما سلبت تلك الصفات عنهم، وهي صفات كمال صار لهم مثل السوء فمن سلب صفات الكمال عن الله وعلوه على خلقه وكلامه وعلمه وقدرته ومشيئته وحياته وسائر ما وصف به نفسه، فقد جعل له مثل السوء ونزهه عن المثل الأعلى، فإن المثل الأعلى هو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى ووجهه الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده يستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال، على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة"[(١)].

وأنبه إلى أنه لا يسلك في حق المولى جل وعلا قياس الشمول، وهو: الذي تستوي أفراده، ولا قياس التمثيل وهو: الذي يستوي فيه حكم الأصل والفرع؛ فإن الله ليس كمثله شيء. قال الشيخ رحمه الله : "**فتكون النتيجة أن الأقيسة كلها تشتمل على فرع يلحق بالأصل، وعلى المشابهة بين الملحق وبين الملحق به، وهي العلة التي لا يتم القياس المنطقي إلا بها. فكل هذه الإجراءات غير جائزة في حق الله تعالى؛ لأنه تعالى ينـــزه أن يكون أصلاً في حكم حتى يلحق به غيره، كما ينـــزه أن يكون فرعاً لغيره يشترك معه في العلة إذ** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ **وإنما يستعمل في حقه تعالى القياس الأولى**"[(٢)].

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم ٣/١٠٣٠-١٠٣٢.

(٢) الصفات الإلهية صـ١٤١- ١٤٢.

إذا تقرر أن قاعدة الكمال يستدل بها عن طريق قياس الأولى، فهناك طرق أخرى على قاعدة الكمال-وقد يرجع بعضها إلى قياس الأولى- وتوضيحها كما يلي:

أن فاقد الكمال لا يعطيه فإن العقول السليمة والفطر المستقيمة، بل والحس والمشاهدة، كل ذلك يرفض الكمال ممن لا كمال له، قال الشيخ رحمه الله :"**(ثم إنه قد ثبت بالحِسِّ والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى) أي: الله هو الذي منح صفات الكمال لبعض المخلوقات (فمُعْطي الكمال أولى به) أولى بالكمال؛ الذي أعطى صفات الكمال لخلقه: مَنَحَنَا شيئا من العلم وإن كان قليلاً، ومنحنا الحياة والسمع والبصر، هذه صفات كمال، الإنسان الذي يعلم أكمل من الذي لا يعلم من الجاهل، الذي يسمع ويُبصر أكمل من الذي لا يسمع ولا يُبصر وهكذا؛ أعطى خلقه هذه الصفات، وهي صفات كمال إذن فهو أعلى، مُعْطي الكمال أولى بالكمال؛ فكماله: الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه أحد**"(1).

كل ما ينافي الكمال فالله منزه عنه، قال الشيخ رحمه الله: "**هذا ضابط كل ما يتنافى مع صفات الكمال، أو ينفي صفات الكمال الثابتة لله، فهو منزه عنه فالرب سبحانه وتعالى منزه عن ذلك**"(2). وقال أيضاً موضحاً ذلك بالمثال:"**والعمى والعور وعدم السمع نقص كذلك، قال النبي ﷺ في قصة المسيح الدجال عندما أخبر (أنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية)(3)، (إن ربكم ليس بأعور)(4)؛ لأن العور نقص حتى في المخلوق ، فالله ﷻ منزه عن كل عيب وعن كل نقص**"(5).

ومن طرق الاستدلال على إثبات صفات الكمال أن يقال: إنه لو لم يكن الله تعالى موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين؛ لكان المخلوق أكمل منه؛ لكونه عرى عن

---

(1) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (أ).

(2) شرح التدمرية الشريط (١٨) و (أ).

(3) رواه البخاري (٧١٢٣) ومسلم (٢٩٣٢).

(4) رواه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣).

(5) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٥) و (أ).

الكمال الذي وهبه. قال الشيخ رحمه الله :" **لو لم يتصف الرب سبحانه وتعالى بالسمع والبصر والكلام والحياة والعلم وغير ذلك، مع اتصاف المخلوق بهذه الصفات، صار المخلوق المتصف بهذه الصفات أكمل من رب العالمين، وحاشا أن يكون كذلك؛ لأن هذه المخلوقات كما قلنا، إنما أعطاها هذه الكمالات صاحب الكمال الذي يملك الكمال الذي يعطي الكمال فهو أولى بالكمال**"(١).

قاعدة: الواجب في نصوص الأسماء والصفات إجراؤها على ظاهرها:

إن الواجب في أسماء الله تعالى وصفاته التي نطقت بها الأدلة الشرعية أن تجرى على ظاهرها اللائق بجمال الله تعالى وجلاله وكماله؛ لأن صرفها عن ظاهرها إلى معنى يخالف الظاهر –إما معنى باطن أو مجاز باطل- مخالف لما كان عليه السلف الصالح كما وصفهم الشيخ رحمه الله بقوله :"**السلف الصالح لا يتوقفون في مثل هذا، ولا يحتمل أي احتمال، بل عندهم ظاهر النصوص مراد لله تعالى، ولا يفهمون من الظاهر إلا ما يليق بالله، ولا يعتقدون أنه يوجد في كتاب الله أو في سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام الصحيحة ما يدل على الباطل، حتى يُحتاج إلى التأويل، كأن ذلك التأويل، هو التصحيح لله تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام**"(٢).

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة مثبتة لأسماء الله وصفاته، متضمنة رفع ما يوهم خلاف ظاهرها اللائق بها، ومن ذلك:

قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ قال الشيخ محمد أمان تعليقاً على الآية:" **نفياً للمجاز، المصدر المؤكد يؤكد الحقيقة وينفي المجاز**"(٣).

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب).

(٢) شرح التدمرية الشريط (٩) و (أ).

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (ب).

وكذلك ما جاء في الأحاديث التي أشار فيها النبي ﷺ، كل ذلك؛ لدفع توهم غير الحقيقة، ومن ذلك ما جاء (أنه ﷺ لما قرأ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه)[1]. وكذلك قولهﷺ :(وإن ربكم ليس بأعور)[2]، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله :"**وأشار إلى عينيه؛ ((وإن ربكم ليس بأعور)) إثباتٌ للعينين لله ــ سبحانه وتعالى ــ؛ وليس في هذه الإشارة تشبيه عين الرب سبحانه وتعالى بعين المخلوق؛ إذْ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ولكنْ إثباتـــًا للحقيقة؛ الإشارة إلى العينين دليل على إثبات عينين حقيقيّتين، كما أشار النبي ﷺ إشارة حسيّة إلى العلو في خطبة حجّة الوداع، لَمّا سأل الصحابة في آخر الخطبة فقال لهم:(أنتم مسؤولون عني ماذا أنتم قائلون ؟) أي: أمام الله يوم القيامة، قالوا:(نشهد بأنك أدّيت ونصحت)، قال النبي ﷺ: هكذا بإصبعه[3]: (اللهم اشهد، اللهم اشهد)[1]، يُشير إلى الله الذي فوقه**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/٧٥-٧٦ (٦٣) وقال الذهبي: على شرط مسلم.

(٢) سبق عزوه صـــ٣٦٠.

(٣) يحسن التنبيه على أن الشيخ رحمه الله ممن عرف عنه الإشارة في الدرس ولا يرى في ذلك غضاضة، بل فيه إغاضة للجهمية والأشعرية. كما هو ظاهر في شروحه، قال في شرحه للتدمرية:"**فرسول الله عليه الصلاة والسلام فيما أخبر عندما يقرأ هذه الآية هكذا يقول ((مطويات بيمينه)) يقبض ويبسط، بعض صغار الطلبة يستنكرون الإشارة، ويستنكرون مثل هذا القبض وهذه الإشارة وهذا البسط، هذا شيء ثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا يراد بذلك التشبيه، يراد التوكيد، فالنبي عليه الصلاة والسلام أشار هكذا ((وكان الله سميعا بصيرا)) أشار هذه الإشارة، وأشار إلى السماء إلى الله سبحانه وتعالى في خطبة يوم عرفة؛ لذلك استنكار بعض الناس الإشارات عند ذكر هذه النصوص إنكار يدل على الجهل، لا ينبغي أن ينكَر ما فعله رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأما مبالغة علماء الكلام على الحكم بقطع الإصبع التي تشير!! فلينتبهوا لإصبع رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو أول من أشار، لا يتورطوا في الحكم بالقطع على إصبع رسول الله عليه الصلاة والسلام، هذا كلام جريء جداً يدل على الجهل، الشاهد الإشارة إلى العين إلى الأذن بالقبض والبسط هكذا إشارة إلى تأكيد هذه المعاني،**

وفوق السموات وفوق كلِّ شيء، يشير إليه ويُشهده عليهم على هذه الشهادة بأنهم شهِدوا له بأنه رسول الله ﷺ بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح لأمّته"[٢].

وهذه أمثلة يسيره، المقصود منها أن المتأمل –الذي لم يتأثر بآراء المتكلمين– لنصوص الشريعة يجدها واضحة في دلالتها على الظاهر الذي يليق بالله تعالى، ودفعها لما يخالف ذلك الظاهر.

وبما سبق يتضح أن أهل السنة والجماعة فهموا من ظواهر النصوص ما تبادر إلى أذهانهم السليمة من معاني اللغة المستقيمة، بخلاف أهل البدع فقد اختلطت أفهامهم بآراء أهل الكلام، ففهموا من النصوص ما تبادر إلى أذهانهم السقيمة من الظواهر الوخيمة، التي منشأها التخيلات التي توهموا فيها التشبيه بالمخلوق والعياذ بالله.

ولذا نبه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على من سأل عن لفظ الظاهر من نصوص الصفات أنه يستفصل في المراد فقال:"**لو سئل الإنسان، هل ظاهر نصوص الصفات مراد لله سبحانه وتعالى أو غير مراد؟ وهل هي على ظاهرها، أو ليست على ظاهرها؟ بعد أن دخل مبحث علم الكلام في باب العقيدة، لا يجاب على هذا السؤال لا بنفي ولا بإثبات بل يستفسر، وهذا المبحث تجدد ،أي كون الظاهر لفظ محتمل إنما تجدد بعد أن دخل علم الكلام في مبحث العقيدة**"[٣]، فإن أريد بالظاهر ما أراده السلف فمراد عقلاً وشرعاً وفطرةً، وإن أريد بالظاهر ما عناه المتكلمون فممتنع عقلاً وشرعاً وفطرةً.

وينبغي أن يعلم أن ظاهر نصوص الصفات ما يتبادر إلى الأذهان السليمة من المعاني، بحسب ما يناسبها من سياق، فالظاهر عندهم هو ما سبق إلى العقل السليم منه لمن

=

ليس فيها أدنى تشبيه لا يتهم رسول الله ﷺ بأنه يشبه ولا يتهم من اتبعه بأنه يشبه، فليُنتبه لذلك".الشريط (٩) و (أ).

(١) قطعة من حديث جابر المشهور في حجة النبي ﷺ رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) شرح القواعد المثلى الشريط (٢) و (أ).

(٣) شرح التدمرية الشريط (٩) و (أ).

يفهم بتلك اللغة. ولا عبرة في ذلك بأذهان أهل الأهواء، كما قال الشيخ رحمه الله:"**(ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن) وهي النقطة التي اختلف فيها السلف والخلف، وتباينت آراؤهم، ما هو ظاهر النصوص؟ ظاهر النصوص: ما يتبادر إلى الذهن من المعاني التي يدل عليها الوضع العربي للكلمة، وقد يختلف المعنى بحسب السياق: كلمة تقع في سياق يكون لها معنى، والكلمة نفسها تقع في سياق آخر لها معنى، تركيب يكون له معنى، وتركيب من نفس الألفاظ تركيب آخر يكون له معنى، وما يضاف إليه الكلام: الإضافة تغير المعاني، وتغير الحقائق؛ لأن الإضافة تخصص؛ فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق آخر**"(١).

ويتضح من كلام الشيخ أن الظاهر عند السلف يختلف بحسب عدة أمور : السياق، والإضافة، والتركيب.

وقد وضح الشيخ العثيمين رحمه الله ذلك بالمثال فقال:" فمن الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ . ومن الثاني: قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ وتقول: صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد، في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ؛ لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل، يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس وتقول : ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني"(٢).

---

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (٦) و (ب).

(٢) القواعد المثلى صـــ٤٥، وراجع: شرح الشيخ الشريط (٦) و (أ).

أما الظاهر عند الخلف فالمراد منه التشبيه بالمخلوق، فقالوا ظواهر نصوص الصفات غير مراد؛"**لأن ظاهرها يدل على ما لا يليق بالله. بل يزعمون أن ذلك الظاهر غير مراد لله تعالى، وهي النصوص الواردة بالصفات الخبرية وصفات الأفعال**"(١). قال الشيخ مبيناً فساد ما ذهبوا إليه:"**كأن المؤوِّلة الذين نشأوا مع نشأة علم الكلام هم الذين يصححون كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وقعوا في هذه الجريمة من حيث لا يشعرون؛ لأن اعتقاد أنه يوجد في كتاب الله أو في سنة رسول الله الصحيحة ما يدل على الباطل حتى يؤوَّل، معنى ذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يبين ذلك الباطل، وإن الصحابة لم يفهموا ذلك الباطل فضلاً من أن يصححوا، ولكن جاء فيما بعد من فهم هذا الباطل وصحح، صحح بأحد أمرين : إما بالتأويل أو بالتفويض**"(٢).

إذا تقرر المراد بالظاهر من النصوص عند السلف ومخالفيهم فـ"**لا يجوز تأويل نصوص الكتاب بدعوى أن ظاهرها غير مراد، و يُترَك خبر الله وخبر رسوله ﷺ إلى قول من يفترون الكذب ، ويقولون على الله ﷻ بما لا يعلمون من عند أنفسهم ، وربما وصفوه بصفات لم يرد ذكرها في الكتاب ولا في السنة**"(٣).

وقد أكد الشيخ هذه المسألة، وأن صرف النصوص عن ظاهرها جناية على النصوص وعلى منزلها سبحانه وعلى الرسول ﷺ، وعلى الصحابة ﷺ، فقال:"[الواجب أن]**تبقى على ظاهرها، الظاهر الذي يليق بالله تعالى، ولا يفهم من النصوص إلا ذلك الظاهر اللائق، بل لا يجوز أن يعتقد أن النصوص قد تدل بظاهرها على ما لا يليق بالله، لما في ذلك من إساءة أدب، بل إساءة ظن بالله الذي أنزل تلك النصوص، وأوحى بها إلى رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام. وهل يجوز أن يعتقد أن الله ينــزل**

(١) الصفات الإلهية صـــ١٩١.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٩) و (أ).

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٥) و (أ).

آيات، ويوحي إلى نبيه بأحاديث ظاهرها ضلال أو كفر؟ ثم إن الرسول نفسه عليه الصلاة والسلام لا يبين المعاني الصحيحة الحقة لأصحابه؟! فلازم ذلك أن الصحابة لم يفهموا هذه النصوص على حقيقتها، فكيف يفهمون؛ لأن الرسول لم يبين لهم تلك الحقيقة التي فهمها الخلف فيما بعد، وليت شعري من أين فهموها؟!!"(١).

وما قرره الشيخ موافق لما أوضحه أهل العلم فإن صرف النصوص"عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافي الحقيقة، لابد فيه من أربعة أشياء :

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي؛ لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها، وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له، وإن لم يكن له أصل في اللغة.

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة، وفي معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجاز بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء.

الثالث: أنه لابد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة امتنع تركها.

الرابع: أن الرسول إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره، وضد حقيقته فلابد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته، وأنه أراد مجازه: وإلا كان هذا تدليساً وتلبيساً وكان نقيض البيان وضد الهدى"(٢).

فدلت هذه الأمور الأربعة: على أن الواجب في أدلة الأسماء والصفات الواردة في القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها اللائق بالله عز وجل، واجتناب التأويل أو المجاز وغيرهما.

---

(١) الصفات الإلهية صـــ ٢٧٦-٢٧٧ .

(٢) باختصار من مجموع الفتاوى ٦/٣٦٠-٣٦٢ (رسالة في الحقيقة والمجاز).

المطلب الثاني: جهوده في توضيح بقية القواعد المتعلقة بالأسماء والصفات:

قاعدة: دلالة أسماء الله تعالى الحسنى:

تنقسم دلالة الأسماء الحسنى إلى قسمين:

القسم الأول: دلالة عامة وهي ((الدلالة على العلمية والوصفية)) وهذا القسم لا علاقة له بدلالة الأفراد المعينة من أسماء الله، بل هي دلالة مطلقة من حيث هي أسماء الله الحسنى.

القسم الثاني: دلالة خاصة وهي ما دلت باعتبار ((الدلالات اللفظية)). وتستفاد من كل اسم من أسماء الله الحسنى بعينه[1].

ونشرع ببيان جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله في ذلك:

القسم الأول: ((**الدلالة على العلمية والوصفية**))

لما كانت أسماء الله تعالى كلها حسنى"**وليس في أسماء الله إلا وهو بالغ في الحسن غايته التي ليس بعدها غاية**"[2]، فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ؛ بل لدلالتها على أوصاف الكمال فلم تكن"**أسماء جامدة لا تدل على المعاني، بل تدل على المعاني، فصفات الله تعالى من معاني أسمائه**"[3]ولذلك العلاقة بينهما وطيدة كما قال الشيخ رحمه الله: "**فالعلاقة بين الأسماء والصفات، أن الصفات من معاني الأسماء ومأخوذة منها غالباً، ثم إن أسماء الله تعالى كلها أوصاف كمال، وصفاته كلها أسماء حسنى، وهي أعلام وأوصاف في وقت واحد**"[4].

ويتبين بذلك أن قاعدة (أسماء الله أعلام وأوصاف) قاعدة عظيمة يمكن من خلالها تقرير مسألتين:

---

(١) انظر: القواعد الكلية صـــ٢٣٨.

(٢) شرح القواعد المثلى الشريط (١) و(أ).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الصفات الإلهية صـــ٤٥٧.

الأولى: أن هناك فرقاً عظيماً بين أسماء الله جل وعلا وبين أسماء المخلوقين من جهة الدلالة على الصفات؛ فالوصف بها لا ينافي العلمية مطلقاً، بخلاف أسماء المخلوقين فإنها وضعت لتعيين المسمى وللتمييز بينه وبين غيره؛ فلم يلزم منها الدلالة على الوصفية قال الشيخ رحمه الله:"**والوصف بها لا ينافي العلمية بخلاف أوصاف العباد تنافي العلمية في الغالب، إلا أسماء رسول الله ﷺ فإنها تتضمن الأوصاف كالحاشر والعاقب والماحي، ومحمد ﷺ.**

فمن أسمائه تعالى: العليم الحكيم، السميع البصير، مثلاً فهذه أعلام دالة على الذات العلية المتصفة بالعلم والحكمة والسمع والبصر، وهكذا سائر صفات الله تعالى"(١).

الثانية: بيان دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته وأنها كما قال الشيخ:"**تدل دلالتين:**

- تدل على الذات، وباعتبار دلالتها على الذات فهي أعلام .

- وتدل على الصفات، وباعتبار دلالتها على الصفات فهي أوصاف؛ أي: أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف"(٢).

وتقرير الشيخ رحمه الله موافق لما قرره المحققون من أهل العلم، قال ابن القيم رحمه الله:"أسماءه الحسنى لها اعتباران اعتبار من حيث الذات، واعتبار من حيث الصفات، فهي بالاعتبار الأول مترادفة وبالاعتبار الثاني متباينة"(٣). قال الشيخ محمد أمان رحمه الله موضحاً ذلك:"**أي من حيث المعنى، لكل اسم معنى، بهذا الاعتبار فيما بينها النسبة مباينة وليست متحدة، ليس معنى السميع هو معنى البصير، وليس معنى العليم هو معنى الحليم مثلاً. ولكن باعتبار الذات فهي مترادفة؛ لأنها كلها لمسمى واحد، أسماء**

---

(١) المصدر السابق صـ٤٥٧-٤٥٨.

(٢) شرح التدمرية الشريط (١) و (ب).

(٣) بدائع الفوائد ٢٨٥/١.

لمسمى واحد، تعتبر أسماء مترادفة باعتبار الذات، وكلها ثناء ومدح لله سبحانه وتعالى، تدل على الكمال؛ لأنها من الأسماء الحسنى"(١).

فمعتقد أهل السنة والجماعة في هذه القاعدة -المتضمنة لدلالة أسماء الله الحسنى على العلمية والوصفية-مناقض ومباين من كل وجه لمعتقد المعتزلة، الذين زعموا أن أسماء الله أعلام لا أوصاف لها، ولا معاني تقوم بها، قال الشيخ رحمه الله:**"من هنا يتضح جلياً بطلان مذهب المعتزلة وتناقضهم، حيث ينفون الصفات مع إثباتهم لأحكامها؛ لأنه من المعلوم ضرورة إذا عدم الوصف الذي منه الاشتقاق، فالاشتقاق منه مستحيل، فإذا لم يقم العلم والقدرة بذات مثلاً، استحال أن نقول: هي عالمة وقادرة، ولست أدري كيف استساغت عقول المعتزلة وهضمت هذا التناقض، حيث يقولون: إن الله تعالى قادر وعالم، لكن لا بقدرة ولا بعلم!! وأنا أعتقد جازماً أن البدوي الجالس أمام خيمته وعند غنمه لو سمع هذا التناقض الذي استساغه العقل المعتزلي، لأنكره ذلك البدوي وسخر منه؛ لأنه خلاف المنطق، وخلاف العقل السليم الذي يتبلبل بعد بعلم الكلام الاعتزالي وتناقضاته، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من عباده"**(٢).

القسم الثاني: ((باعتبار الدلالات اللفظية))

إن الدلالات اللفظية الوضعية تنحصر في ثلاث دلالات:

١- دلالة المطابقة.

٢- دلالة التضمن.

٣- دلالة الالتزام.

وقد وضح الشيخ محمد أمان رحمه الله المراد من تلك الدلالات، موضحاً بالمثال علاقة أسماء الله تعالى بهذه الدلائل اللفظية حيث قال:"فالدلالة المطابقية: هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له، وذلك مثل لفظ (البيت) على الجدار والسقف

---

(١) شرح التدمرية الشريط (١) و (أ).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢٢٤.

معاً، ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم الله (العليم) مثلاً على ذات الله وعلمه، أي دلالة الاسم على المسمى، والصفة المشتقة من الاسم نفسه. وسميت مطابقية؛ لتطابق اللفظ والمعنى، وتوافقهما في الدلالة.

أما الدلالة التضمنية: فهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى، مثل دلالة لفظ البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده، وسميت تضمنية[(١)]؛ لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل، فالجزء داخل ضمن الكل أي في داخله، ومن هذا النوع مثلاً دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال (الجزء والكل) بل يقال على الصفة والموصوف.

ويقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق، فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.

وأما الدلالة الالتزامية: فهي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له، مثل دلالة لفظ (الأربعة) على الزوجية، ودلالة لفظ (إنسان) على قبول التعليم مثلاً وعلى التعجب والحركة والسكون، ودلالة اسم الله (القدير) على صفة (الحياة) وعلى العلم وغيرهما من صفات الله تعالى.

يقول المناطقة: يشترط لهذه الدلالة اللزوم الذهني البين مثل لزوم الحياة من العلم والحلم والقدرة مثلاً إذ الميت لا يوصف بهذه الصفات، ويعللون ذلك، لأنها تدل على الخارج عن المعنى الذي وضع اللفظ له، والخارج عن المعنى غير محدود، فلا بد من اللزوم الذهني البين، وقد مثلنا لذلك آنفاً"[(٢)].

---

(١) في الأصل (وضعية) ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) هذه التقدمة لهذا القسم مستقاة من حاشية الصفات الإلهية صـ٢٢٢-٢٢٣ للشيخ الجامي وانظر: كتاب: المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم د. عوض الله جاد حجازي. والتعريفات للجرجاني صـ١٤٠ ، شرح الكوكب المنير ١/١٢٦-١٢٧.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة، فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم"[(١)].

وقال الشيخ : مؤكداً ما سبق :"**فإن الصفات إنما هي من معاني أسمائه الحسنى، والأسماء دالة عليها كما تدل على الذات، إما بالمطابقة أو بالالتزام على ما تقدم بيانه في كلام ابن القيم قريباً. وهذا معنى قول الإمام البيهقي**[(٢)]: "**وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه**"[(٣)].

(١) مدارج السالكين ٧٥/١.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، من أكابر الشافعية ومقدميهم، له مؤلفات منها: الأسماء والصفات، شعب الإيمان، وغيرها، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: السير ١٦٣/١٨، شذرات الذهب ٣٠٤/٣.

(٣) الصفات الإلهية صـ٢٢٤.

قاعدة: طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته الإثبات المفصل والنفي المجمل:

قبل الشروع بتقرير القاعدة يحسن التمهيد لها بذكر الأحوال التي يأتي عليها النفي والإثبات في النصوص الشرعية، ولاتخلو من أربعة أحوال وهي:

١- الإجمال في النفي ومراد أهل السنة بالإجمال في النفي هو "**أن يُنفَى عن الله عز وجل كلٌّ ما يضادُّ كمالـــه من أنواع العيوب والنقائص**"(١).

٢- التفصيل في النفي. والنفي لا يكون مفصلاً إلا لسبب وهذه الأسباب يمكن إجمالها في التالي:

بيان عموم كماله .

نفى ما ادعاه في حقه الكاذبون.

دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين(٢).

ذكرها في سياق تهديد الكافرين، قال تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُم ﴾ "(٣).

٣- الإجمال في الإثبات، قال الشيخ رحمه الله:"**والإجمال في الإثبات مثل إثبات الكمال المطلق من كل وجه ، معنى الكمال المطلق : الكمال الذي لا يُشارك الله عز وجل فيه أحد**"(٤)

٤- التفصيل في الإثبات وهذا هو الأصل كما قال شيخ الاسلام رحمه الله: "فمعرفة الله ليست بمعرفة صفات السلب، بل الأصل فيها صفات الإثبات و السلب تابع و مقصوده

---

(١) شرح الواسطية للهراس صـــ٧٧.

(٢) انظر: القواعد المثلى صـــ٣٣، وتعليق الشيخ على ذلك في الشريط (٣) و (أ).

(٣) شرح الواسطية للعثيمين ٢٠٧/١.

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٥) و (أ).

تكميل الإثبات"[١].

وقد جمع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأحوال الأربعة بقوله :"**أما الإجمال في النفي أن تنفي عن الله عَزَّوَجَلَّ كل ما يُضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مثل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، جميع النقائص من الولد والوالد والنظير والشريك والصاحبة والمعين والوزير والمثل والند، الغالب في النفي الإجمال.**

أما التفصيل في النفي أن يُنزه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل واحد من العيوب والنقائص بخصوصه فرداً فرداً، فيتره عن الولد والوالد والجهل والعبث ..الخ ، فهذا يسمى التفصيل في النفي...

والإجمال في الإثبات مثل إثبات الكمال المطلق من كل وجه، معنى الكمال المطلق : الكمال الذي لا يُشارك الله عَزَّوَجَلَّ فيه أحد"[٢]. والتفصيل في الإثبات مثل إثبات كمالات الله على وجه التفصيل، وفق ما ورد في النصوص الشرعية.

إذا تقرر ذلك فإن من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات أن النصوص الشرعية تأتي بنفي مجمل للنقائص والعيوب عن الله تبارك وتعالى، وإثبات مفصل لصفات الكمال ونعوت الجلال وهذه هي طريقة الرسل جميعاً[٣]، كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**(والله سبحانه بعث رسله بإثبات مفصل) بعث رسله جميعا ليس خاتم النبيين فقط (بإثبات مفصل ونفي مجمل) أي غالباً... وإنما فُصِّل الإثبات؛ لأنه ثناء على الله؛ ولأنه الأصل، الأصل الإثبات، إثبات كمالات الله تعالى**"[٤]. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ مقرراً هذه المسألة:"فالله سبحانه بعث الرسل بما يقتضى الكمال من إثبات

(١) مجموع الفتاوى ١١٢/١٧ (تفسير سورة الإخلاص).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٥) و (أ).

(٣) انظر: التدمرية صـ٨-١٦، منهاج السنة ١٥٦/٢-١٥٧، الصواعق المرسلة ١٠٠٩/٣، شرح نونية ابن القيم لابن عيسى ١٤٨/١.

(٤) شرح التدمرية الشريط (١) و (ب).

أسمائه وصفاته على وجه التفصيل، والنفي على طريق الإجمال للنقص والتمثيل فالرب تعالى موصوف بصفات الكمال التي لا غاية فوقها، متره عن النقص بكل وجه ممتنع، وأن يكون له مثيل في شيء من صفات الكمال، فأما صفات النقص فهو متره عنها مطلقاً، وأما صفات الكمال فلا يماثله بل ولا يقاربه فيها شيء من الأشياء"[١].

ولاشك أن هذه الطريقة هي التي دل عليها القرآن الكريم والسنة الصحيحة، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن ولا حديثاً أحاديث كثيرة من أحاديث المصطفى ﷺ إلا وتشتمل على أنواع من الكمالات لله على وجه التفصيل، وإذا قورنت مع نصوص النفي وجدت نصوص النفي قليلة، وعلى قلتها فإنها تأتي في الغالب على سبيل الإجمال، وأكتفي في هذا المقام بنقل كلام شيخ الإسلام حيث يبين بعض الأمثلة على طريقة النصوص في هذا الباب. قال رحمه الله:"والله سبحانه: بعث رسله بإثبات مفصل ونفي مجمل، فأثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ قال أهل اللغة :(هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا) أي: نظيرا يستحق مثل اسمه. ويقال: مسامياً يساميه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس{هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا } مثيلا أو شبيها. وقال تعالى:﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ

(١) منهاج السنة ١٥٦/٢-١٥٧.

ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ إلى قوله﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون، وسلم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من الإفك والشرك، وحمد نفسه؛ إذ هو سبحانه المستحق للحمد بما له من الأسماء والصفات وبديع المخلوقات.

وأما الإثبات المفصل: فإنه ذكر من أسمائه وصفاته ما أنزله في محكم آياته كقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ الآية بكمالها وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ السورة وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .... إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في أسماء الرب تعالى وصفاته؛ فإن في ذلك من إثبات ذاته وصفاته على وجه التفصيل، وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل، ما هدى الله به عباده إلى سواء السبيل، فهذه طريقة الرسل صلى الله عليهم أجمعين"[1].

---

(١) التدمرية صـ٨-١٢، وراجع: تعليق الشيخ على هذا الموضع في نهاية الشريط (١) وبداية الشريط (٢).

قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**إشارة إلى أن ما سرده من الآيات الكثيرة في النفي المجمل، وفي الإثبات المفصل، وبالعكس، إنما هي من باب الأمثلة لا من باب الحصر والإحصاء**"(١).

إذا تقررت طريقة أهل السنة والجماعة في هذا الباب، فيحسن بيان كلام الشيخ رحمه الله حول طريقة المخالفين قال رحمه الله:"**ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً، عكس طريقة أهل الكلام المذموم؛ فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة لحم، ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض إلى آخر تلك السلوب الكثيرة التي تمجها الأسماع، وتأنف من ذكرها النفوس، والتي تتنافى مع تقدير الله تعالى حق قدره، وهذه السلوب نقلها أبو الحسن الأشعري رحمه الله عن المعتزلة، وهي لا تخلو من الحق، ولكن فيها من الباطل الشيء الكثير، ويظهر ذلك لمن يعرف أسلوب الكتاب والسنة في هذا الباب. وهو التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي كما تقدم**"(٢).

قاعدة: الصفات معلومة باعتبار المعنى مجهولة باعتبار الكيفية:

إن الواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعلم أن الذات المقدسة لله عز وجل، وما اشتملت عليه من صفات معلومة من حيث الجملة؛ فلذا يجب الإيمان والتسليم على مراد الله ومراد رسوله ﷺ، فلا ينبغي التسرع بالإنكار؛ لعدم فهم المراد، فهي معلومة المعنى، وإن لم يدرك المنكِر ذلك المعنى، كما قرر الشيخ محمد أمان رحمه الله بقوله:"**وإن مر على إنسان ما، لم يفهم معناه من خبر الله وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام، عليه أن يؤمن أولاً بالجملة، ثم يبحث عن المعنى، ويستحضر قول الإمام الشافعي رحمه الله:(آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله عليه الصلاة والسلام وبما جاء عن**

(١) شرح التدمرية ٢_الشريط (١) و (أ).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢٥٥.

رسول الله على مراد رسول الله)[١]، **(من الله الإرسال وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم)**[٢]، **هكذا يقول الزهري**[٣] **من كبار التابعين، هذا هو منهج السلف أي التسليم لله ولرسوله ﷺ حتى ما أشكل عليك معناه، وبعد معرفة المعنى تزداد إيماناً، الشيء الذي لم يفهمه الإنسان يسأل، ولا يجوز أن يرده"**[٤].

إذا تقرر ذلك فالقاعدة التي قررها الشيخ وغيره من أهل العلم تقول [ما أخبرنا الله به وما أخبرنا به رسوله عليه الصلاة والسلام نعلمه من جهة المعنى ونجهله من جهة الكيفية] قال الشيخ رحمه الله:"**هذه تعتبر قاعدة: كل ما أخبرنا الله به مما يتعلق بصفات الله وأسمائه وأفعاله وقضائه وقدره، وما أخبرنا به رسوله عليه الصلاة والسلام عن الله، وعن أسماء الله تعالى وصفاته، نعلم من جهة المعنى، لا نتجاهل المعاني، معاني النصوص معلومة، والقول بأنها غير معلومة تجاهل وليس بجهل، ولكننا نجهل من جهة الكيفية؛ كيفية صفات الرب سبحانه وتعالى نجهلها تماماً؛ لأننا نجهل كيفية الذات"**[٥].

وقد اعتنى الشيخ رحمه الله بتقرير هذه القاعدة، تبع في ذلك من سبقه من أهل العلم[٦]، مبيناً أن الآيات الكريمة التي تضمنت إثبات صفات الله تعالى محكمة باعتبار المعنى العام المدلول عليه باللغة؛ فهي محكمة بهذا الاعتبار، كما أنها مجهولة المعنى الخاص وهو الكيفية؛ فهي متشابهة بهذا الاعتبار، على أن التشابه بمعناه الخاص الذي لا يعلمه إلا الله، وأما التشابه بمعناه العام؛ فإن القرآن كله يشبه بعضه بعضاً في الإحكام والإتقان والصدق والإعجاز. يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ**

---

(١) ذكره ابن قدامة في لمعة الاعتقاد صـــ٣٦ مع تعليقات العثيمين.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك..).

(٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه، توفي سنة ١٢٥هـــ. انظر: السير ٣٢٦/٥، شذرات الذهب ١٦٢/١.

(٤) شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب).

(٥) شرح التدمرية الشريط (١٢) و (أ).

(٦) كابن القيم في الصواعق ٢١٢/١-٢١٤.

ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ موضحاً الإحكام الخاص والتشابه الخاص:"((مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ)) **أي واضحات جليات؛ وهو من النوع الذي لا يعذر أحد بجهله، ومن النوع الذي يعلمه الراسخون في العلم: كالتوحيد والحلال والحرام،** ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ **لا يعذر أحد بجهل هذا؛ هذا جلي محكم** ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ ﴾ **الحلال والحرام، والوعد والوعيد، والتوحيد هذه كلها محكمات.[هذا بالنسبة للإحكام الخاص، وأما التشابه الخاص] فهناك متشابه نسبي ومتشابه مطلق:**

المتشابه المطلق: الذي لا يعلمه إلا الله؛ مثل حقائق الصفات، ومثل ما أخبر الرب سبحانه وتعالى في شئون المعاد، مما يكون بعد البعث من حساب وميزان وجنة وما فيها، ونار وما فيها، هذه المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله.

والمتشابه المطلق: نفسه متفاوت:

متشابه يزول التشابه فيه: إذا دخل أهل الجنة واطلعوا على نعيم الجنة وشربوا من عسل الجنة ولبنها وخمرها ومائها، صار معلوماً لديهم، زال التشابه؛ الآن من المتشابهات؛ إذ ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، وحقيقة ذلك العسل، وذلك الماء، وتلك الخمر،وذلك اللبن لا يعلم الآن، لا يعلمه إلا الله؛ ولكن سوف لا يستمر هذا التشابه سيزول.

ولكن هناك تشابه مطلق دائم لا يعلمه إلا الله: حقيقة ذاته سبحانه، وحقيقة أسمائه وصفاته؛ وهذا متشابه مطلق لا يعلمه أحد.

والمتشابه النسبي المعاني التي يعلمها الراسخون في العلم، لا يعلمها من دونهم، بالنسبة لهم يعتبر متشابه نسبي، أي بالنسبة لغيرهم، وإن كان بالنسبة لهم معلوماً"(١).

إذا تقرر ما سبق من التشابه والإحكام، فينبغي أن يعلم أن مذهب السلف يقوم على أساسين(٢):

١- العلم بمعاني أسماء الله وصفاته في باب المعاني الوضعية. قال الشيخ رحمه الله:"**نصوص الصفات مفهومة المعنى ولكن مجهولة الكيفية، كيفيات الصفات مجهولة بمعنى: نعلم معنى السمع ومعنى البصر ومعنى العلم ومعنى النزول ومعنى المجيء ومعنى الاستواء المعاني معروفة لكن لا نعلم كيفية هذه الصفات، هذه قاعدة لا يختلف فيها اثنان سلكا مسلك السلف، ولكن الكلام هنا كلام عام ، قد تمر عليك ألفاظ في الكتاب والسنة لم تفهم معناها يجب أن تستفسر، ويجب أن تفهم، فإذا فهمت وجب عليك التصديق ولا يجوز رد ما لم تفهم معناه"**(٣).

٢- التفويض في باب الكيفية. قال الشيخ رحمه الله:"**من ادعى أنه يعلم حقيقة الاستواء، وحقيقة النزول، ... من ادعى معرفة حقيقة الصفات فقد كذب. ومن حاول معرفة ذلك يخرج بإحدى نتيجتين: إما التشبيه: فتشبيه الخالق بالمخلوق كفر. وإما التعطيل: والتعطيل فنفي صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة كفر"**(٤).

---

(١) شرح التدمرية الشريط (١٢) و (أ).

(٢) انظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات صـ٢١.

(٣) شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب).

(٤) المصدر السابق الشريط (١٢) و (أ).

قاعدة: التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها:

إن مما هو مقرر شرعاً فيما استعمل من الألفاظ في النصوص الشرعية كون مرجعها إلى تعيين الشارع لمعانيها واستعمالها فيما يناسبه من لغة الشرع، وعلى هذا فالألفاظ المدلول بها على المعاني الشرعية كما قرر الشيخ محمد أمان رحمه الله تنقسم إلى قسمين:"

- ألفاظ ورد ذكرها واستعمالها في حق الله تعالى وتعتبر ألفاظا شرعية، وهذه الألفاظ الشرعية الحكم: التصديق والتسليم لله ولرسوله ﷺ .

- وهناك ألفاظ غير ورادة. والألفاظ غير الواردة تنقسم إلى قسمين :

- ألفاظ لها معان صحيحة، أو جميع معانيها صحيحة، أي ألفاظ غير محتملة وإن لم يَرِد ذكرها في الكتاب والسنة في حق الله تعالى لا اسما ولا صفة[1] ولكن من حيث المعنى صحيح، هذه الألفاظ تستعمل من باب الإخبار لا من باب أنها من أسماء الله تعالى أو من صفاته كـ (القديم) و (المريد) و (المتكلم) و (الصانع) تستعمل هذه الألفاظ من باب الإخبار يجوز أن يقال (الله صانع كل مصنوع) (وصانع هذا الكون) معناه

---

(١) وينبغي التنبيه على أن هذه الألفاظ وإن كانت غير محتملة للمعاني الباطلة فإنه يخبر بها عن الله ولا يجوز تسمية الله بها؛ لأن هذه الألفاظ غير بالغة في الوصف أكمله. كما وضح الشيخ رحمه الله ذلك بقوله:" **لفظة (الصانع) من الألفاظ المستحدثة، إطلاق (صانع) على الله يقبل من حيث المعنى؛ لأن معناه خالق ، وإطلاق لفظ (قديم) وإن لم يكن اسما من أسماء الله تعالى مقبول؛ لأنهم يريدون بذلك (الأول) الأول الذي ليس قبله شيء ، وإن كان اسمه (الأول) اسم الله (الأول) أبلغ من (القديم) لكن لا نعيب ولا نرد لفظة قديم ، (الأول) فسره النبي عليه الصلاة والسلام بالذي ليس قبله شيء ، ولفظة (قديم) لا يدل على هذا المعنى كاملا بل قد يطلق هذا المعنى على القِدم النسبي ((كالعرجون القديم)) إذا تجدد العرجون هذا العام قيل للعرجون الذي في العام الماضي العرجون القديم إذن قدم نسبي أي تقدم نسبي، ولكن المعنى صحيح يقبل . هذا معنى قولهم (إن أراد حقا قبل وإن أراد باطلا رد) وسيأتي ما يدل على الباطل في لفظة (الجهة والتحيز)**" راجع: شرح التدمرية الشريط (٨) و(أ) .

الخالق، و (مريد) و (متكلم) و (قديم) هذه الألفاظ لا تشتمل على الباطل، المعاني صحيحة وإن كانت الألفاظ غير واردة.

- ولكن هناك ألفاظ غير واردة وهي مجملة تشتمل على الحق والباطل"[١]، فهذه هي الألفاظ المجملة التي نحن في صدد الحديث عنها.

والألفاظ المجملة هي: التي "**اختلف فيها المتأخرون -وهم الذين يكثر اختلافهم -؛ لأنهم أحدثوا ألفاظاً كثيرة**"[٢] لم ترد في النصوص الشرعية، فليس لأحد أن يوافق على إثبات تلك الألفاظ أو نفيها، وسلط الحكم على اللفظ؛ لأن المعنى يتغير بتغير الاصطلاحات، ويتنوع بتنوع الاستعمالات، ولذا فالحكم على تلك الألفاظ نفياً أو إثباتاً قول على الله بغير علم، وقد حرم الله ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾

وقد أكد الشيخ رحمه الله على ذلك المسلك فقال: "**موقف أهل السنة من هذه الألفاظ: لا تُثبت ولا تُنفى، ولا تُستعمل في حق الله تعالى لا نفيـًا ولا إثباتـًا؛ لعدم الوُرود، لم يَرِدْ إثباتها ولا نفيها؛ وقد التزمنا أننا لا نتجاوز الكتاب والسنة، إذا راجعنا آيات الكتاب والسنة الصحيحة لا نجد إثباتـًا لهذه الألفاظ ولا للنفي**"[٣].

وبذلك يتضح أن منهج أهل السنة والجماعة في هذه الألفاظ المجملة يجمعه أمران:

الأول: عدم استعمالها في حق الله لا اسماً ولا صفة ولا خبراً، وهذا حكمها قبل الاصطلاح في إطلاقها على مراد المتكلم بها. قال الشيخ رحمه الله :"**الألفاظ المجملة المحتملة التي لم ترد في الشرع لا تستعمل في حق الله تعالى، إلا في مقام المناظرة مع الخصم...فهي محتملة للحق والباطل عند التفصيل؛ لذلك لا تستعمل في حق الله تعالى، وإنما تستعمل في حق الله تعالى الألفاظ الشرعية**"[٤].

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب).

(٢) راجع: المصدر السابق.

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (٤) و (ب).

(٤) مقتطف من إجابة سؤال عن الجسم راجع: شرح التدمرية الشريط (٥) و (أ).

الثاني: طلب التفصيل والبيان للمراد منها، وهذا بعد الاصطلاح عليها. قال الشيخ رحمه الله: "**بمعنى : نحن لا نستعمل لا (الجهة) ولا (التحيز) ولكن لو استعمل إنسان ما، قال (الله في جهة) أو قال (ليس الله في جهة) أو قال (الله متحيز) أو (غير متحيز) لا نرد ردا ولكن نستفسر ماذا يريد؟ إن كان طالب علم ومطلع على هذه الاصطلاحات وفسر تفسيرا صحيحا قبل، وإن فسر تفسيرا باطلا رد، ولكن نحن لا نستعمل باختيارنا هذه الألفاظ بل نستعمل الألفاظ الشرعية، أما كلمة (التحيز)و (الجهة) و (العرض) و (الجسم) لا نستعمل شيئا من ذلك في حق الله تعالى لعدم الورود ولاشتمال هذه الألفاظ على الحق والباطل**"(١)، "**ولذلك لا ينبغي استعمال هذه الألفاظ المجملة لا نفياً ولا إثباتاً، إلا بعد بيان المعنى المراد**"(٢).

وما قرره الشيخ موافق لما عليه المحققون من أهل العلم قال شيخ الإسلام رحمه الله: "السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات، بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول ﷺ"(٣)، "فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويراعون أيضاً الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه، ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضاً، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة، وردَّ باطلاً بباطل"(٤).

---

(١) راجع: شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢٧٠.

(٣) شرح حديث النزول صـــ٢٥٦.

(٤) درء التعارض ٢٥٤/١.

قاعدة: النفي في الكتاب والسنة لا يأتي إلا لإثبات كمال الضد:

إن"معرفة الله ليست بمعرفة صفات السلب، بل الأصل فيها صفات الإثبات، و السلب تابع، ومقصوده تكميل الإثبات، كما أشرنا إليه من أن كل تتريه مدح به الرب ففيه إثبات، و لهذا كان قول (سبحان الله) متضمناً تتريه الرب و تعظيمه، ففيها تتريهه من العيوب و النقائص، و فيها تعظيمه سبحانه و تعالى"[1].

والنفي ينقسم إلى قسمين:

١- نفي محض لا يتضمن ثبوتاً، وليس في الكتاب والسنة من ذلك شيء قال الشيخ: **"وليس في الكتاب والسنة نفي محض لا يتضمن كمال ضده (هذه تُعتبر قاعدة)، فإن النفي الصِرف لا مدح فيه"**[2].

٢- نفي غير محض وهو ما تضمن ثبوتاً،**"وهذا النوع من السلوب والنفي كثير في القرآن، وإنما يقع النفي في القرآن لتضمنه كمال ضد الصفة المنفية"**[3].

وعقيدة السلف الصالح في هذا الباب تعتمد على أصلين:

الأصل الأول: اشتمال النفي على صفة ثبوتية تدل عل الكمال اللائق بالله عز وجل، قال الشيخ رحمه الله :**"إذن النفي الذي يوصف به الرب سبحانه وتعالى هو النفي الذي يتضمن إثباتاً، وليس مجرد نفي... إذن لا يوصف الرب سبحانه وتعالى بما ليس بشيء، وإنما يوصف بالكمال، النفي إذا تضمن إثباتاً يدل على الكمال وإن لم يتضمن إثباتا فهو لا شيء"**[4].

ولهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه متضمناً لإثبات مدح وكمال، قال الشيخ رحمه الله: **"النفي في حق الله تعالى يتضمن إثبات الكمالات، وليس مجرد النفي مدحا؛**

---

(١) مجموع الفتاوى ١١٢/١٧ (تفسير سورة الإخلاص).

(٢) انظر: شرح الواسطية للهراس صـــ٧٧، وتعليق الشيخ الجامي الشريط (٥) و (أ).

(٣) الصفات الإلهية صـــ٢٥٣.

(٤) شرح التدمرية الشريط (٧) و (ب).

لذلك كل نفي وسلب ورد في الكتاب والسنة هو إنما يتضمن الكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ **كل ذلك يتضمن كمال ضد هذا المنفي، النفي المحض لا يكون مدحا"**[1]. وقال أيضاً:"**بل لقد ثبت (بالاستقراء) أن كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة، إنما هو لثبوت كمال ضده، كقوله تعالى:** ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ **لكمال عدله، وقوله تعالى:**﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **لكمال علمه، وقوله:**﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ **لكمال قوته، وقوله تعالى:**﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ **لكمال حياته وقيوميته، وقوله تعالى:**﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ **لكمال جلاله وعظمته وكبريائه"**[2].

وهذا هو الذي قرره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ حين قال: "فالأمور العدمية لا تكون كمالاً إلا إذا تضمنت أموراً وجودية؛ إذ العدم المحض ليس بشيء فضلا عن أن يكون كمالاً، فإن الله سبحانه إذا ذكر ما يذكره من تتريهه ونفى النقائص عنه ذكر ذلك في سياق إثبات صفات الكمال له كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيومية وهذه من صفات الكمال.

وكذلك قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإن نفى عزوب ذلك عنه، يتضمن علمه به وعلمه به، من صفات الكمال.

---

(١) المصدر السابق الشريط (١٨) و (أ).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢٥٣.

وكذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ فتنزيهه لنفسه عن مس اللغوب يقتضي كمال قدرته، والقدرة من صفات الكمال، فتنزيهه يتضمن كمال حياته وقيامه وعلمه وقدرته"[(١)]،"**وهكذا سائر الصفات السلبية في الكتاب والسنة تتضمن كمال ضدها بخلاف السلوب التي عند علماء الكلام**"[(٢)].

الأصل الثاني: عدم اشتمال أسماء الله تعالى وصفاته على النفي المحض؛ والسبب في ذلك يعود للأمور التالية:

١- لأن النفي المحض عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً.

٢- لأن النفي إما لعدم القابلية أو للعجز.

٣- لأن النفي المحض فيه إساءة أدب مع الله تبارك وتعالى.

وقد جمعها الشيخ رحمه الله بقوله :"**مجرّد النفي لا يكون مدحاً ولا يكون كمال؛ لأن النفي ليس بكمال في حدِّ ذاته، النفي وحده في حدِّ ذاته لو لم يتضمّن كمال ضدّه لا يكون كمالاً. إلا أن يتضمّن ما يدلّ على الكمال؛ وذلك لأن النفي معناه العدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، هذه علة. والعلة الثانية: ولأن النفي قد يكون لعدم قابليّة المحل له، المحل لا يقبل هذا النفي الذي هو العدم؛ لكون المحل جمادًا، فلا يكون كمالاً..نفي العمل ونفيُ الظلم عن الجمادات كالجُدران والجبال لا يكون كمالاً؛ كما لو قلت: الجدار لا يظلم والجبل لا يظلم، لماذا لا يظلم؟ لأنّ ليس لديه قابليّة، ليس لديه قابليّة الظلم، إذًا: ليس بمدح. وقد يكون النفي للعجز عن القيام به فيكون نقصاً**"[(٣)].

---

(١) منهاج السنة ٢/١٨٣.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٥) و (أ).

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (٣) و (أ).

"ألا ترى أن قول الشاعر[١]:

قُبَيِّلَة لا يَغْدِرَون بذمِّة   ولا يظلمون الناس حبة خردل

لما اقترن بنفي الغدر والظلم عنهم ما ذكره قبل هذا البيت وبعده، وتصغيرهم بقوله: (قُبَيِّلَة) عُلِمَ أن المراد عجزهم وضعفهم لا كمال قدرهم، وقول آخر[٢]:

لكنَّ قومي وإن كانوا ذوي عدد   ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

لما اقترن بنفي الشر عنهم ما دل على ذمهم، علم أنّ المراد عجزهم وضعفهم أيضاً"[٣]. وقوله:**"ثم إن هذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب مع الله سبحانه. فإنك لو قلت لسلطان: أنت لست بزبَّال ولا كسّاح ولا حجام ولا حائك، لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت فقلت: أنت لست مثل أحدٍ من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإن أجملت في النفي أجملت في الأدب. والتعبير على الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة"**[٤].

فيظهر مما سبق أن النفي المستعمل عند السلف الصالح هو ما تضمن معناه الدلالة على معاني كمالية تليق بجلال الله وعظمته،كما هو ظاهر في كتاب الله. وأما الخلف فهم وإن كانوا يزعمون نفي النقائص والعيوب، إلا أنهم خالفوا في طريقة النفي، فكان نفيهم محضاً لا يتضمن مدحاً، ولا يدل على الكمال، قال الشيخ رحمه الله:**"لا يوجد في الكتاب**

(١) القائل هو النجاشي واسمه: قيس بن عمرو بن مالك، وكانت أمه من الحبشة فنسب إليها، وهو من قصيدة يهجو فيها بني جعلان. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة صـ٣٢٩.

(٢) القائل هو الشاعر الحماسي ذو الأصبع العدواني، واسمه: حرثان بن الحارث، شعر جاهلي. انظر الأبيات: شرح ديوان الحماسة لأبي زكريا التبريزي ١٧/١.

(٣) الصفات الإلهية صـ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) المصدر السابق صـ٢٥٥.

والسنة نَفْيٌ مَحْض لا يتضمّن كمال ضدّه، بخلاف النفي عند علماء الكلام؛ وهذا ما سبق أن عبّر عنه المؤلِّف بالسلوب ـــ الصفات السلبية ـــ، الصفات السلبية في الكتاب والسنة تتضمّن كمال ضدّها كنفي الظلم لكمال عدله سبحانه، ونفي الموت، والنوم، والسِّنَة لكمال حياته وقيُّوميّته .

أما السلوب عند علماء الكلام: نفيٌ مَحْض لا يتضمّن كمالاً ولا يدلُّ على المدح؛ وهذا لا يُتَّبع بل مذموم كقولهم :(ليس بجوهر ولا عَرض، ولا بذي طول أو قِصَر، ولا بذي دم أو حرراة أو برودة) هذا الكلام لا يدل على المدح ولا يتضمّن كمال ضدّه، بل فيه إساءة أدب؛ من أجمل في الوصف أجمل في الأدب، ومن فصّل في النفي أساء الأدب؛ وهذا الأسلوب غيرُ متّبَعٍ في الكتاب والسنة، السُّلوب التي في الكتاب والسنة تتضمّن كمال ضدّه"[1].

وقال أيضاً موضحاً ضلال المخالفين:"ما وقعت فيه كثير من فرق علماء الكلام الذين وصفوا الله تعالى بالسلوب المحض، كأن قالوا: ليس في داخل العالم ولا خارج العالم ولا متصل ولا منفصل ولا بذي طول أو قصر ولا بذي دم إلى غير ذلك من السلوب التي يقشعر جلد الموحد عندما يعددها، راجع مقالات الإسلاميين تجد الغرائب هناك، نفي محض ليس فيه صفة واحدة للإثبات ومثل هذا حتى المخلوق لا يتحمله"[2]. وقال أيضاً:"لذلك كلام أهل الكلام المذموم الذين أسرفوا في السلوب، ليس بذي طول ولا بذي قصر ولا بذي دم ولا بذي عرض، فتقشعر القلوب عندما تقرأ مثل هذا الكلام، وذكر الأشعري في مقالات الإسلاميين[3] عنهم مثل هذا الأسلوب، يقول بعض أهل العلم: لو أنك وقفت أمام رجل عظيم وقلتَ له ، لستَ بنجار ولا سباك ولا حداد ....، يقول إن في عقلك شيء إما يأمر لك بالطبيب أو

---

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (٤) و (ب).

(٢) شرح التدمرية الشريط (١٨) و (أ).

(٣) مقالات الإسلاميين صـــ ١٥٥.

يضعك في السجن، فهم كذلك وصفوا الله ﷻ تعالى عن قولهم، فهذه تسمى السلوب المحضة، النفي المحض الذي لا يتضمن كمالاً"[1]. فالمخالفون لطريقة الرسل عكسوا هذه الطريقة ووصفوا الله بالنفي المحض، وإذا أرادوا الإثبات أثبتوا شيئاً مجملاً يجمعون فيه بين النقيضين، ويصفونه بالوجود الذهني الذي لا حقيقة له إلا في الأذهان. وإن **"ما وقع فيه كثير من علماء الكلام إنما هو إساءة وليس بمدح، وصف الله تعالى بأشياء لا تخطر ببال الموحدين :ليس بذي دم ولا لحم، ما معنى هذا ؟ هل مدحه ؟ إذن النفي المحض كهذا لا مدح فيه والنفي الذي ورد في كتاب الله تعالى ليس من هذا القبيل"**[2]. وما قرره الشيخ موافق لما كان يقرره علماء السلف، فهذا الكناني[3] رحمه الله لما ناظر المريسي[4]، فلما ألزمه بالإقرار لله بالعلم، قال بشر: (هو لا يجهل) فقال له الكناني:(إن نفي السوء لا تثبت به المدحة، قال بشر: كيف ذلك؟ قلت: إن قولي هذه الاسطوانة لا تجهل: ليس هو إثبات العلم لها. قال عبد العزيز: ثم أقبلت على المأمون فقلت: يا أمير المؤمنين إنه لم يمدح الله تعالى في كتابه ملكاً ولا نبياً ولا مؤمناً بنفي الجهل؛ ليدل على إثبات العلم، وإنما مدحهم بالعلم)[5].

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٥) و (أ).

(٢) شرح التدمرية الشريط (١٨) و (أ) .

(٣) هو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي الشافعي، صاحب كتاب الحيدة والاعتذار، حكى فيه مناظرته لبشر المريسي، توفي سنة ٢٤٠هـ. انظر: تاريخ بغداد ٤٤٩/١٠، طبقات الشافعية للسبكي ١٤٤/٢.

(٤) بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، اشتغل بالكلام وله أقوال شنيعة ومنكرة، بسط الرد عليه الإمام الدارمي، توفي سنة ٢١٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٥٦/٧، السير ١٩٩/١٠.

(٥) الحيدة والاعتذار صـ٤٦.

قاعدة : القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر:

هذه القاعدة تعتبر أصلاً عند أهل السنة في هذا الباب، وهي من الأهمية بمكان خصوصاً في باب الرد والمناظرة، والجواب والاعتراض، والإثبات والنفي؛ ولهذا قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**هذا الأصل ممكن نسميه قاعدة في مخاطبة من يفرق بين الصفات**"[1] فهو يعد من القواعد الشرعية العقلية، فإن الشرع لا يفرق بين المتماثلات ولا يجمع بين المتفرقات، والعقل يقضي بما قضى به الشرع؛ فالنظير يأخذ حكم نظيره، قال الشيخ رحمه الله: :"(**بل القول في أحدهما كالقول في الآخر) عقلاً وشرعاً؛ عقلاً: لأن ما ثبت لأحدهما ثبت للآخر. وشرعاً: لأن الله جمع بين هذه الصفات فأثبتها كلها لنفسه، أو أثبتها له رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام، وليس لأحد الافتيات على الله أو على رسوله عليه الصلاة والسلام بأن هذه الصفة تليق بالله، وهذه لا تليق، هذا تدخل وحكم على الله وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام وتصحيح لله ولرسوله[2].. يقال له هذا التصرف خطأ (بل القول في أحدهما كالقول في البعض الآخر**"[3].

وعلى هذا فإن لزم في بعض الصفات تمثيل لزم في البعض الآخر، وإن وجب إثباتها لزم ذلك في البعض الآخر، وإن لزم تكييف لزم في البعض الآخر، وإن لزم عدم

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٤) و (أ).

(٢) قال الشيخ موضحاً ذلك:" **كأن يقول : ما أثبته لنفسك من هذه الصفات لا تليق بك يا رب، وما أثبتها رسول الله ﷺ لا يليق!! اللائق كذا ! النزول الذي أثبته الرسول عليه الصلاة والسلام لا يليق بالله! الذي يليق بالله أن يكون النزول نزول الأمر أو نزول الملك! الاستواء الذي أثبت الله لنفسه لا يليق بالله اللائق تفسير الاستواء بالمُلك أو بالسلطان أو بالهيمنة!! والمحبة التي أثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه وأثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام لا تليق بالله بل المراد بالمحبة إرادة الإنعام أو الإنعام نفسه!! أليس هذا تصحيحا وتعقيبا على الله وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام؟!!**" شرح التدمرية الشريط(٤) و (ب).

(٣) شرح التدمرية الشريط (٤) و(ب).

تكييف لزم في البعض الآخر، وهذا الأصل ملزم لمثبت بعض الصفات أو الأسماء أن يثبت البعض المنفي أو ينفي المثبت وإلا تناقض(1).

وأول من يوجه إليه هذا الخطاب من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة الأشاعرة قال الشيخ رحمه الله:"**نوجه هذا الكلام إلى الأشاعرة؛ لأنهم اثبتوا الذات، اثبتوا وجود الله وآمنوا بذات الله الْعَلية كما يليق بها، بدون بحث عن الكيفية والكنه والحقيقة، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ثم إنهم لما وصلوا عند الصفة تصرفوا تصرفاً عجيباً، حيث قسموا الصفات إلى قسمين: قسم يجب الإيمان به وإثباته على ما يليق بالله دون تشبيه في الإثبات، ودون تعطيل في التنزيه، هذا الكلام كلام صحيح وموقف سليم وافقوا بهذا أهل السنة والجماعة(2)، إلا أنهم خالفوا أهل السنة والجماعة بالنسبة للبعض الآخر من الصفات**"(3).

والصفات التي أثبتتها الأشاعرة صفات المعاني السبع وزعموا أنها تليق بالله، فلنقف معهم مع صفة من تلكم الصفات وهي صفة الإرادة فنقول لمن يثبت لله تعالى حقيقة الإرادة، وينفي حقيقة الغضب ويفسره: إما بإرادة الانتقام، وإما بالانتقام نفسه.

---

(1) انظر: منهج شيخ الإسلام في تقرير عقيدة التوحيد ٢/٧٧٣.

(2) هذا الموقف صحيح من حيث الظاهر فقط –وهو موقف المتأخرين من الأشاعرة– قال الشيخ موضحاً موقفهم الحقيقي:"**في الظاهر وافقوا أهل السنة في إثبات هذه الصفات لكن خالفوهم في طريقة الإثبات، أهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات بالأدلة النقلية، مع العلم أن الأدلة العقلية لا تخالف الأدلة النقلية، والقاعدة التي قعدها أتباع السلف (أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح) وفي هذا ألف شيخ الإسلام كتابا مستقلا، والأشاعرة اعتبروا الأدلة النقلية أدلة يستأنس بها ومؤيدة للأدلة الأصلية عندهم، وهي الأدلة العقلية، هذا وجه من وجوه مخالفة الأشاعرة أهل السنة والجماعة**" شرح التدمرية الشريط (٤) و(أ)، وهناك وجوه أخرى تفصيلية في كل صفة أثبتوها ستتأتي إن شاء الله في الكلام على فرقة الأشاعرة.

(3) محاضرة للشيخ بعنوان: (الرد على الأشاعرة والمعتزلة).

١- فيقال له: لا فرق بين ما أثبته من حقيقة الإرادة وما نفيته من حقيقة الغضب، فإن كان إثبات حقيقة الغضب يستلزم التمثيل، فإثبات حقيقة الإرادة يستلزمه أيضاً.

وإن كان إثبات حقيقة الإرادة لا يستلزمه، فإثبات الغضب لا يستلزمه أيضاً، لأن القول في أحدهما كالقول في الآخر، وعلى هذا يلزمك إثبات الجميع، أو نفي الجميع.

٢- فإن قال: الإرادة التي أثبتها لا تستلزم التمثيل، لأنني أعني بها إرادة تليق بالله عز وجل لا تماثل إرادة المخلوق.

قيل له: فأثبت لله غضباً يليق به ولا يماثل غضب المخلوق.

٣- فإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا لا يليق بالله تعالى.

قيل له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة وهذا لا يليق بالله سبحانه وتعالى.

٤- فإن قال: هذه إرادة المخلوق، وأما إرادة الله فتليق به.

قيل له: والغضب بالمعنى الذي قلت غضب المخلوق، وأما غضب الله فيليق به، وهكذا القول في جميع الصفات التي نفاها يقال له فيها ما يقوله هو فيما أثبته.

٥- فإن قال: أثبت ما أثبته من الصفات بدلالة العقل عليه.

قيل أولاً: الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم.

ثانياً: الرجوع للعقل في هذا الباب مخالف للعقل؛ لأن هذا الباب من الأمور الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال.

ثالثاً: الرجوع إلى العقل في ذلك مستلزم للاختلاف التناقض؛ فإن لكل واحد عقلاً، فأي عقل يوزن به ما ثبت في الكتاب والسنة.

٦-أن نقول: على فرض أن العقل لا يدل على ما نفيتموه فإن عدم دلالته عليه لا يستلزم انتفاء في نفس الأمر، لأن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول، إذ قد يثبت بدليل آخر، فإذا قدرنا أن الدليل العقلي لا يثبته فإن الدليل السمعي قد أثبته، وحينئذ يجب إثباته بالدليل القائم السالم عن المعارض المقاوم.

فإن قالوا: بل العقل يدل على انتفاء ذلك لأن إثباته يستلزم التشبيه، والعقل يدل على انتفاء التشبيه.

قلنا: إن كان إثباته يستلزم التشبيه فإن إثبات ما أثبتموه يستلزم التشبيه أيضاً، فإن منعتم ذلك لزمكم منعه فيما نفيتموه إذ لا فرق، وحينئذ إما أن تقولوا بالإثبات في الجميع فتوافقوا السلف، وإما أن تقولوا بالنفي في الجميع فتوافقوا المعتزلة ومن ضاهاهم، وأما التفريق فتناقض ظاهر.

٧- أنه يمكن إثبات ما نفيتموه بدليل عقلي يكون في بعض المواضع أوضح من أدلتكم فيما أثبتموه. مثال ذلك: الرحمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه في قوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ . وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .فإنه يمكن إثباتها بالعقل كما دل عليها السمع.

فيقال: الإحسان إلى الخلق بما ينفعهم ويدفع عنهم الضرر يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على الإرادة، بل هو أبين وأوضح لظهوره لكل أحد.

٨- أن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات كما تقرر سابقاً، ثم إنه منقوض بما أثبتوه من صفات الله، فإنهم يثبتون لله تعالى الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، مع أن المخلوق متصف بذلك، فإثباتهم هذه الصفات لله تعالى مع اتصاف المخلوق بها مستلزم للتشبيه على قاعدتهم.

فإن قالوا: إننا نثبت هذه الصفات لله تعالى على وجه يختص به ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منها.

قلنا: هذا جواب حسن سديد، فلماذا لا تقولون به فيما نفيتموه فتثبتوه لله على وجه يختص به، ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منه؟![1]

ولاشك أن ما وقع فيه الأشاعرة ومن نحى نحوهم نوع من التناقض البين، قال الشيخ رحمه الله:"**وهذا كما ترون نوع من التناقض؛ لأنه تفريق بين ما جمع الله، هذه**

(١) انظر: تقريب التدمرية صـــ٢٥،٢٧،٢٨ وراجع شرح التدمرية للشيخ الشريط (٤) و (ب).

الصفات التي أثبتوها على الحقيقة مع الاختلاف في طريقة الإثبات كما أشرنا والصفات التي أوجبوا تأويلها كلها واردة في الكتاب والسنة، ما الدليل على هذا التفريق وما هو المبرر؟!! وما هي شبهتهم ؟
شبهتهم التتريه، فإذا نزهتم في هذه الصفات وأولتم، أو أوجبتم تأويلها بدعوى التتريه، لماذا لم توجبوا تأويل الصفات الأخرى بدعوى التتريه أيضا؟!! تناقض لا يجدون معه جواباً مقنعاً. إذا فعلوا ذلك قيل لهم (لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته)"[1].

وهذا الأسلوب في إثبات تناقض الخصم، يمكن أن يُثبت على المعتزلة، الذين يفرقون بين الأسماء والصفات[2]؛ فإنه تفريق بين متماثلات من جهة الإثبات.

وللمعتزلة أن يثبتوا هذا التناقض على إخوانهم من أهل الأهواء، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:
"**وللمعتزلة أن يحاجوا الأشاعرة بالأسلوب نفسه في تفريقهم بين الصفات بإمرار صفات الذات التي يثبتونها على ظاهرها على ما يليق بالله، وهي الصفات السبع التي يطلقون عليها صفات المعاني، مع دعوى وجوب تأويل صفات الأفعال كالاستواء والنـــزول والمجيء مثلاً، للمعتزلة أن يلزموا الأشاعرة بأحد موقفين للخروج من هذا التناقض. ١- تأويل جميع الصفات دون تفريق بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية طرداً للباب، وهي الطريقة العملية مع بطلانها. ٢- أن يغلقوا باب التأويل ويمروا نصوص الصفات على ظاهرها على ما يليق بالله، فيلحقوا بالمثبتة من سلف هذه الأمة الذين عافاهم الله مما ابتلي به غيرهم من التناقض؛ لتسليمهم لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام هذا المنهج السليم الموافق للعقل السليم والنقل الصحيح، ولسلامة هذا**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٤) و (ب).

(٢) التدمرية صـــ٣٥.

المنهج وبعده من التناقض، ومن التكلف رجع إليه كثير من علماء الكلام في آخر حياتهم"[١].

"وهذا باب مطرد فإن كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول من الصفات: لا ينفى شيئا فرارا مما هو محذور إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه، فلا بد في آخر الأمر من أن يثبت موجوداً واجباً قديماً متصفاً بصفات تميزه عن غيره، ولا يكون فيها مماثلا لخلقه"[٢] وهكذا كل من أعرض عن الكتاب والسنة لابد أن يتناقض، وصدق الشيخ محمد أمان رحمه الله لما قال:" **القاعدة أن كل من أعرض عن الوحي لابد أن يتناقض هذه قاعدة أساسية مُسَلَّمٌ بها ، (وَمَنْ جَرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)**[٣]"[٤].

قاعدة : القول في الصفات كالقول في الذات:

إذا تقررت القاعدة السابقة؛ بأن "من أثبت شيئا ونفى شيئا بالعقل، إذاً ألزم فيما نفاه من الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبته، ولو طولب بالفرق بين المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا"[٥]، فكذلك هذه القاعدة؛ فهي رد على من يفرق بين الذات والصفات.

وقد علم بالاضطرار فيما سبق أنه لا يمكن أن توجد ذات مجردة عن الصفات إلا في الذهن، وأن ذات الرب جامعة لجميع صفات الكمال والجلال، قال الشيخ رحمه الله :"**الذات لا بد لها من صفات، لا يتحقق وجود الذات إلا بالصفات صفات الكمال**

---

(١) الصفات الإلهية صـــ١٨٤-١٨٥.

(٢) التدمرية صـــ٤٢.

(٣) هذه العبارة مقتبسة من كلام الرازي لما ندم، واقتباس الشيخ لها في هذا الموطن جميل؛ فالشيخ قد خبر حال كثير من فرق أهل الأهواء، وعاين تناقضهم.كما في ترجمته انظر: صـــ ٦٢.

(٤) من محاضرة بعنوان: (الرد على الأشاعرة والمعتزلة) ضمن محاضرات الشيخ رحمه الله.

(٥) التدمرية صـــ٤٥.

التي تتصف بها تلك الذات ، إثباتك للذات المجردة عن الأسماء والصفات إثبات [بلا] إثبات"[1] .

ونص هذه القاعدة: "أن يقال : (القول في الصفات كالقول في الذات) فان الله ليس كمثله شيء: لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الذوات"[2]

ومما يعين على فقه هذه القاعدة العظيمة ما يلي:

إذا كان لله ذات حقيقية لا تشبه الذوات، فكذلك يقال: في الصفات. قال الشيخ رحمه الله:"**ولا يقال في صفاته: هي مجاز بل صفاته كلها حقيقة على ما يليق بالله سبحانه، كما أن صفات خلقه حقيقة، حقيقة تناسب حالهم وضعفهم وحدوثهم. فليست الحقيقة كالحقيقة كما هو الشأن في الذات؛ لأن ذات الله حقيقة، حقيقة تليق به سبحانه، وذوات المخلوقات حقيقة أيضاً، والحقائق مختلفة هنا وهناك.**

فليعلم ذلك؛ لأنه مقام مهم، ومزلة أقدام زلّت فيها أقدام كثير من علماء الكلام، والله المستعان. فإيماننا بصفات الله تعالى على وفق إيماننا بذاته تعالى"[3].

أن العلم بكيفية الصفة تابع للعلم الموصوف، قال الشيخ رحمه الله:"**إذا كنت تعلم كيفية الموصوف تعلم كيفية صفاته إنما نعلم كيفية صفات المخلوق؛ لأننا نعلم كيفية ذاته الذي هو الموصوف"**[4]. وقال أيضاً:"**وسر المسألة أن معرفة حقيقة الصفة وكيفيتها تابعة لمعرفة حقيقة الموصوف وكيفيته، فإذا كان إيمان العباد بالله إيمان إثبات وتسليم، دون محاولة لمعرفة حقيقة ذاته سبحانه، فيلزم أن يكون إيمانهم بصفاته كذلك، إيمان إثبات وتسليم لله، ولرسوله ﷺ، ولا يسلم إيمان المرء إلا بهذا التسليم**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٦) و (أ).

(٢) التدمرية صـــ ٤٣.

(٣) الصفات الإلهية صـــ١٠٤-١٠٥.

(٤) شرح التدمرية الشريط (٦) و (أ).

وحده، ذلك لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحذو حذوه"[1].

إذا كنا لا نعرف كيفية ذاته فكيف نطمع في معرفة كيفية صفاته، قال الشيخ رحمه الله :" **إذا كنت لا تعلم كيفية ذاته، كيف تطالبني بمعرفة كيفية نزوله ومجيئه وغضبه ورضاه وتكليمه إلى آخره"**[2].

إذا كان عدم معرفتنا بكيفية الذات لا يعد قدحاً في الإيمان، فكذلك كيفية صفاته كيفية صفات الرب نجهلها تماماً؛ لأننا نجهل كيفية الذات قال الشيخ رحمه الله:"**الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات؛ إذا كان إيماننا بالله تعالى إيمان تسليم وإثبات وليس إيمان تكييف، بل نجهل حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى ويجب أن نجهل؛ لأن المخلوق لا يحيط بالخالق؛ فالخالق وحده هو المحيط بخلقه. إذاً فنحن نجهل كيفية الصفات"**[3].

وتظهر أهمية معرفة هذه القاعدة وفقهها في الرد على من عطل صفات الله تعالى بأي نوع من أنواع التعطيل، سواء كان ذلك التعطيل بالتمثيل أو بالتأويل أو بالسؤال عن الكيفية، كما قال الشيخ رحمه الله:"**هنا القاعدة (الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحذو حذوه) يجب أن يحفظ طلاب العلم هذه القاعدة؛ ليردوا الشبه في كل شبهة تَرِد جواب من يسأل عن كيفية رضا الله، وكيفية محبته وكيفية نزوله وكيفية مجيئه، الجواب أن يقال: كما قال الإمام مالك: (الرضا معلوم والنزول معلوم والمجيء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عن الكيفية بدعة، والإيمان بهذه الصفات واجب)، (الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحذو حذوه) هكذا قعّد أتباع السلف بعد أن نشأ علم الكلام في المئة الثانية قعدوا هذه القواعد وبذلك دافعوا عن العقيدة"**[4].

---

(١) الصفات الإلهية صـــ٢٧٦

(٢) شرح التدمرية الشريط (٦) و(أ).

(٣) المصدر السابق الشريط (١٢) و (أ).

(٤) المصدر السابق الشريط (٣) و (ب).

ومن الأدلة المثبتة لهذه القاعدة أن القول في الصفات كالقول في الذات، ما يلي:

١- صحة الاستعاذة والاستغاثة بصفات الله، قال الشيخ رحمه الله: "**فمن استعاذ بصفة من صفات الله أو حلف لها فإنما استعاذ بالله، وحلف به تعالى. يشهد لهذا، الاستعاذة التي علمها النبي عليه الصلاة والسلام أمته وهي (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[١] ومنه قوله عليه الصلاة والسلام (أعوذ برضاك من سخطك)[٢]**"[٣] وقوله ﷺ: (برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله..)[٤]

٢- جواز الحلف بالصفة، وقد سبق أن من حلف بغير الله فقد أشرك، قال الشيخ رحمه الله:"**وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه حلف بعزة الله؛ ليدلنا أن ذلك ليس حلفاً بغير الله، وإنما حلف بصفة من صفاته، وصفاته بهذا الاعتبار ليست غيره**"[٥].

والشيخ رحمه الله يشير إلى ما أورده البخاري رحمه الله تحت باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته[٦]. ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال ﷺ: (لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض)[٧]،

---

(١) من حديث رواه مسلم (٢٢٠٢).

(٢) من حديث رواه مسلم (٧٥١).

(٣) الصفات الإلهية صـــ٤٥٣.

(٤) من حديث رواه الترمذي (٣٥٢٤) وحسنه الألباني انظر: صحيح الجامع (١٠٧٥٩).

(٥) الصفات الإلهية صـــ٤٥٤.

(٦) نبه الحافظ ابن حجر على فقه الإمام البخاري في هذه الترجمة وأن ذلك لإظهار ضعف الحديث الذي فيه النهي عن الحلف بعزة الله فقال:"لمح المصنف بهذه الترجمة إلى رد ما جاء عن ابن مسعود من الزجر عن الحلف بعزة الله، ففي ترجمة عون بن عبد الله بن عتبة من " الحلية لأبي نعيم " من طريق عبد الله بن رجاء عن المسعودي عن عون قال: قال عبد الله : لا تحلفوا بحلف الشيطان أن يقول أحدكم وعزة الله ولكن قولوا كما قال الله تعالى رب العزة" انتهى . وفي المسعودي ضعف، وعون عن عبد الله منقطع". انظر: فتح الباري ١١/٦٦٥.

(٧) رواه البخاري (٦٦٦١).

وقال الإمام البغوي[1] رحمه الله:"واليمين لا تنعقد إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، ولا تنعقد بشيء من المخلوقات، فاليمين بالله كقوله والذي نفسي بيده، والذي أعبده ونحو ذلك. واليمين بأسمائه؛ كقوله: والله، والرحمن والخالق ونحو ذلك. واليمين بصفاته كقوله: وعزة الله، وجلال الله، وكلام الله، وعلم الله، ونحو ذلك"[2].

٣- أن من أنكر صفة من صفاته كان كمن أنكر ذاته؛ إذ لا يعقل قيام ذات بلا صفات. قال الشيخ رحمه الله :" **هكذا يتضح أنه لا ينبغي إطلاق المغايرة بين الصفات والذات، وأن صفات الله تعالى ملازمة لذاته تعالى ولا تنفك عنها، فمن آمن بالله فإنما آمن بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته. ومن كفر بصفة واحدة من صفات الله فقد كفر بالله تعالى وبسائر صفاته، ولهذا أجمع أهل العلم من علماء أهل السنة، دون خلاف نعلمه أن من قال: إن كلامه مخلوق أو قال: القرآن مخلوق أو أنكر رؤية الله يوم القيامة مثلاً فهو كافر**"[3].

وخلاصة القول أن صفات الله مجهولة الكيفية، كما أن ذات الله مجهولة الكيفية بالنسبة لنا.

وبهذا القدر من القواعد أكتفي، وأوصي نفسي وطلاب العلم بالعناية بهذه القواعد كما قال الشيخ رحمه الله لطلابه:"**هذه القواعد يجب حفظها على طلاب العلم؛ بهذا ترد جميع الشبه: شبه المشبهة وشبه المعطلة، وتكون هذه القاعدة: إثبات ما أثبت الله لنفسه، وأثبت له رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن ينفى عنه بالتفصيل ما نفى عن نفسه أو نفى عنه رسوله عليه الصلاة والسلام، وما لم نعلم سكتنا، مع اعتقادنا أن كمالات الله لا حصر لها**"[4].

---

(١) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، سلفي شافعي، له مؤلفات منها: معالم التنزيل، شرح السنة، وغيرها، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: السير ٤٣٩/١٩، شذرات الذهب ٤٨/٤.

(٢) السنة للبغوي ١٨٧/١.

(٣) الصفات الإلهية صـ٤٥٤.

(٤) شرح التدمرية الشريط (٨) و (ب).

والله أعلم وأحكم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الثاني

جهود الشيخ في توضيح بقية أركان الإيمان، ومسائل الاعتقاد الأخرى

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: جهوده في توضيح بقية أركان الإيمان.

الفصل الثاني: جهوده في توضيح بقية مسائل الاعتقاد.

الفصل الأول

جهوده في توضيح بقية أركان الإيمان

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في توضيح الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الخامس: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالقضاء والقدر.

تمهيد

إن موضوع العقيدة شامل لجميع المطالب الإلهية، وبفضل الله تبارك وتعالى تم توضيح جهود الشيخ محمد أمان في تقرير أهم تلك المطالب وأرفعها، وهو الإيمان بالله جل وعلا، وفي هذا الباب نواصل إبراز جهوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقرير بقية المسائل المتعلقة بأركان الإيمان: من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر، وما يتعلق من مسائل الأسماء والأحكام، والصحابة والإمامة.

ويجدر التنبيه على أن أغلب هذا الباب مبناه على ما قرره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شروحاته ومحاضراته، وهناك بعض المسائل مبثوثة في كتبه ورسائله، وتقريرات الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل ذلك مبناها على اتباع النصوص الشرعية، والإيمان والتسليم لما ورد في تلك النصوص من أمور غيبية. فإلى عرض المقصود والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الأول

جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد، فهو أحد أركان الإيمان وأحد مبانيه العظام، وأحد المطالب الإلهية، ولا يصح إيمان العبد دون الإيمان بهم، فهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والإيمان بهم يعد من الإيمان بالغيبيات، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله: **"الإيمان بالملائكة بالجملة من الإيمان بالغيب، وهو من صفات المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب، إيماننا بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته وإيماننا باليوم الآخر وإيماننا بالملائكة، كل ذلك من الإيمان بالغيب، ليس من صفات المؤمنين أن يحاولوا أن لا يؤمنوا إلا بالمحسوسات، بل من صفاتهم الإيمان بالغيب، من ذلك: الإيمان بالملائكة بصفة عامة"**(١).

وقد تعبدنا الله سبحانه وتعالى في عدة آيات من كتابه بالإيمان بهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ وقال جل في علاه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾

فكرر سبحانه وتعالى الإيمان بالملائكة ضمن الكلام على أركان الإيمان، والآيات في ذلك كثيرة. وأما الأحاديث فأكتفي بذكر حديث جبريل المشهور حين جاء إلى النبي

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٩) و (ب).

ﷺ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال ﷺ: (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1].

والملائكة من عجيب مخلوقات الله العظيمة التي تدل على عظم الخالق جلت قدرته، فهم خلق لا يحصيهم كثرةً إلا الله عز وجل، خلقهم من نور وطبعهم على طاعته وعبادته، ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وقد وكلهم الله بوظائف وأعمال مختلفة، وقد كان للشيخ محمد أمان رحمه الله جهود في توضيح هذا الركن يمكن عرضها كما يلي:

المطلب الأول: من هم الملائكة:

الملائكة: جمع مَلَك، وأصله مألك؛ من الألوكة، وهي الرسالة، وهم نوعٌ من خلق الله عز وجل، أسكنهم سماواته، ووكلهم بشؤون خلقه، ووصفهم في كتابه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبِّحون له بالليل والنهار لا يفترون[2].

وهم خلق عظيم خلقهم الله من نور، لهم من الصفات ما يليق بهم؛ فهم عباد مكرمون، ولهم قدرة عجيبة على التشكل كما يشاء رب العالمين، قال الشيخ رحمه الله:"**الملائكة أجسام روحانية لا يراهم البشر على الصورة التي خلقوا عليها فرسول الله ﷺ رأى جبريل مرتين فقط على صورته الحقيقة، وإلا كان يأتيه بصورة أعرابي وقد يأتيه بصورة رجل معروف: دحية الكلبي، ولكن على صورته الحقيقية لم يره إلا مرتين.**

والله سبحانه وتعالى أعطاهم قوة على التشكل، يتشكلون بشكل آدمي، قد يحضرون المجالس والناس لا يعلمون، وهؤلاء الملائكة من جنود الله الذين لا يحصيهم

---

(١) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٥).

(٢) انظر: شرح الواسطية للهراس صـــ٦٢.

إلا الله، وكل حركة في هذا الكون من وظائفهم، الله وظفهم ووكلهم على جميع هذه الحركات ..."[1].

وقد بين الشيخ موقف الفلاسفة من الملائكة وأنهم يقولون:"**لا يوجد جنود من جنود الله يصعدون وينزلون ويذهبون ويجيئون ويراهم من يأتون إليه بالوحي، وهو يُرى ويُخاطَب ويخاطِب الرسول كل ذلك غير واقع، غير موجود إلا أنهم هم القوى العقلية، ولكن الأنبياء بقوتهم التخييلية يخيلوهم ويصوروهم بهذه الصورة، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان**"[2] قال ابن أبي العز الحنفي[3] رحمه الله: "فهذا اعتقاد هذه الطائفة الذليلة الحقيرة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، الذين أطلقوا على كبرائهم حكماء". قال الشيخ معلقا على كلامه رحمه الله :"**أين الحكمة وأين الفهم إنما هم محجوبون عن الله وعما جاء به رسول الله ومع ذلك يُعظَمون جداً عند كثير من علماء الكلام ومن تأثر بهم، وخصوصاً الفلاسفة الإسلاميون**"[4].

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٣) و (ب).

(٢) المصدر السابق الشريط (٤٣) و (أ).

(٣) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي، المعروف بابن أبي العز الحنفي، من مؤلفاته شرح العقيدة الطحاوية، التنبيه على مشكلات الهداية، توفي سنة ٧٩٢هـــ. انظر: شذرات الذهب ٣٢٦/٦.

(٤) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٣) و (ب).

المطلب الثاني: كيفية الإيمان بهم:

إذا علم أن الملائكة عالم غيبي، مخلوقون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ وأن الله منحهم الانقياد التام لأوامره، وأنهم لا يحصون كثرة فالإيمان بهم يتضمن:

أولاً: الإيمان بوجودهم، وبكل من علمنا اسمه منهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ومنكر ونكير وهاروت وماروت، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله :"**وتؤمن بالملائكة بأنهم موجودون، جند من جنود الله تعالى، من سمعت وعلمت أسماءهم آمنت بهم بالتفصيل، ومن لا فبالجملة**"(١).

ثانياً: الإيمان بما تضمنته النصوص من بيان صفاتهم وأعمالهم جملة وتفصيلاً، قال الشيخ رحمه الله :"**ومما يدخل في المطالب الإلهية: الإيمان بملائكته جملة وتفصيلاً؛ تصديقاً لخبر الله تعالى، وهم جنود الله في سماواته وأرضه، موظفون في مختلف الوظائف ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**"(٢).

ووظائف الملائكة كثيرة منها المتعلقة بعبادة الله، ومنها المتعلقة بالمكلفين –سواء أولياء الله أو أعدائه– امتثالاً لأمر الله وطاعة له جل جلاله. وكما قال الشيخ رحمه الله:"**الملائكة كما يدل لفظ الملك، وهو يشعر بأنه رسول مكلف منفذ لأمر من أرسله، فليس لهم من الأمر شيء، إذا قيل إنهم يدبرون أمر الرحم، وأمر الناس، والجنة والنار، والجبال والأمطار، ليس معنى ذلك أنهم يتصرفون من عند أنفسهم،**

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ٨٩.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٤٧.

ولكن يفعلون ذلك بأمر الله ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ **"[1].**

ومن وظائف الملائكة إنزال الوحي من السماء على أنبياء الله ورسله، وقد وكل الله هذا الأمر لأفضل الملائكة جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ؛ وما ذلك إلا لمكانة المرسَل والرسالة عند البارئ تبارك وتعالى، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**إعلام الله لنبي من أنبيائه ما يريد تبليغه بواسطة الملك (جبريل)، وهذا النوع هو الغالب والأكثر وقوعاً، وقد كان جبريل يأتي النبي عليه الصلاة والسلام بأشكال وصور مختلفة، إذ كان يأتيه أحياناً، متمثلاً بصورة الصحابي الجليل (دحية الكلبي)، وربما جاء بصورة أعرابي، وقد رآه مرتين على صورته الحقيقية: مرة عند غار حراء، حيث كان يتحنّث قبل الوحي، ومرة عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج؛ وقد لا يرى النبي عليه الصلاة والسلام الملك أحياناً، وإنما يسمع عند قدومه دوياً كدوي النحل، وصلصلة شديدة، فتعتريه حالة روحية غير عادية. تؤخذ هذه المعاني كلها أو بعضها، من حديث عروة[2] عن عائشة رضي الله عنها، ذكره البخاري في صحيحه[3] (أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال؛ وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي ما يقول)، قالت عائشة رضي الله عنها: (ولقد رأيته يترل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم**

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٣) و (ب).

(٢) هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، ثقة فقيه مشهور، ولد في أوائل خلافة عثمان رضي الله عنه وتوفي سنة ٩٤هـ. انظر: السير ٤٨٩/٣، الشذرات ٤٠/١.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي (٢).

عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا)"[1]. وينبغي التنبيه على أن مهمة جبريل لا تقتصر على تبليغ الوحي فحسب، بل كانت له أعمال أخرى فقد صاحب النبيَ ﷺ ليلة الإسراء وحارب معه في بدر والخندق، وكان يدارس النبي ﷺ القرآن وغيرها من الأعمال الجليلة. ومن وظائف الملائكة ما يقومون به مع عباد الله وخصوصاً بني آدم، فإن علاقة الملائكة ببني آدم وثيقة فهم يأتونهم بالوحي من الله، ويحفظونهم بعد خروجهم إلى الحياة، ويراقبون أعمالهم وتصرفاتهم؛ فقد وكل الله بكل إنسان ملكين حاضرين، لا يفارقانه يحصيان عليه جميع أعماله، ويقبضون روحه إذا جاء أجله.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**الإيمان بالكرام الكاتبين الذين جاء وصفهم بالكتاب والسنة قَالَ تعالى:﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾**

يعلمون ما تفعلون بجوارحكم، وما تقولون بألسنتكم وما تفعلون بقلوبكم؛ لأن الله يطلعهم على ذلك، فيكتبون كل ذلك بأمر الله تعالى وَقَالَ تعالى:﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ وصف لاثنين﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

أحدهما على اليمين والآخر على الشمال الذي على اليمين يكتب الخير والذي على الشمال يكتب الشر، له سبحانه وتعالى﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي يحفظونه بأمر الله. الله سبحانه وتعالى هو الذي يأمر الملائكة ليحفظوا هذا العبد بأمره من كل سوء، ومن كل ما يكره، حتى إذا جاء القدر المحتوم أو المحتم تخلو عنه، وقبل ذلك هم حفظة، وَقَالَ تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ بلى نسمع ورسلنا الواو للحال، والحال أن رسلنا لديهم يكتبون. الله مطلع على السر والنجوى، ومع ذلك وكّل كتّاباً يكتبون (الرسل) رسلا من الملائكة وهم الحفظة. وَقَالَ تعالى:﴿ هَذَا

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـ١٧٧-١٧٨.

(٢) انتهى و (أ) الشريط (٥٩) من شرح الطحاوية.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي من الأصل الذي تثبته الحفظة الاستنساخ من الأصل، ما يكتبه الحفظة يعتبر الأصل، يستنسخ من هذا فيثبت على العباد ما يفعلون بجوارحهم وبقولهم وبألسنتهم. وَقَالَ تعالى :﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾ قد يكون المكر فعلا بالجوارح وقد يكون فعل القلب، المكر أن يحاول أن يوصل الإنسان إلى غيره ما يكرهه بطريقة سرية وخفية، كل ذلك لا يخفى على الله سبحانه وتعالى بل الحفظة يكتبون حتى ذلك"[1].

إذا تقرر ما سبق فينبغي التأكيد على وارد قد يورده البعض، وقد نبه عليه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله:"**الملائكة تكتب الأقوال والأفعال والنيات، من أين نأخذ كتابة النية؟ وهل يعلم النية إلا الله؟ إذا أطلع الله من شاء من عباده من الحفظة ومكنهم من معرفة نيات العباد؛ ليكتبوا ما ينوون، ليس في ذلك مشاركة لله في علم الغيب[2] بل إنه من إطلاع الله الرسل على بعض المغيبات، الغيب المطلق لله ولكن قد يطلع على غيبه من شاء من الرسل؛ لأنها فعل القلب"[3].**

وللملائكة دور مختلف مع المؤمنين دون الكفار، فهم يحبون المؤمنين ويسددونهم ويستغفرون لهم، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم منهم رضاً بما يصنع، وهكذا ينبغي التصديق بكل ما ورد في النصوص الشرعية من صفات الملائكة وأعمالهم؛ فإن ذلك يثمر عظمة الخالق في النفوس، كما أنه يثمر شكره على عنايته ببني آدم؛ حيث وكَّل لهم هؤلاء الملائكة، إلى غير ذلك من الثمار العظيمة التي يجنيها العبد بإيمانه بالغيبيات.

هذا والله أعلم وأحكم والحمد لله رب العالمين.

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٩) و (ب).

(٢) لدلالة النصوص الشرعية على ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ﴾ وقوله ﷺ: (من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة...).

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٩) و (ب).

المبحث الثاني
جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالكتب المنزلة

تمهيد

الإيمان بكتب الله عز وجل المترلة على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصوله التي ينبني عليها، فلا يصح إيمان عبد ولا يثبت إسلامه؛ حتى يؤمن الإيمان الجازم؛ أن هذه الكتب نزلت من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن ما تضمنته من وحي الله لأنبيائه حق لا مرية فيه. قال سبحانه وتعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾

ويجب الإيمان بالوحي المترل كله قال جل في علاه: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ وقال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾

ومن أدلة السنة حديث جبريل الآنف الذكر وغيرها كثير مما يوجب الإيمان بكتب الله عز وجل التي أنزلها على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووجوب التصديق بها، والعمل بمقتضاها.

والشيخ محمد أمان رحمه الله قد كانت له جهود في توضيح هذا المبحث، وعرضها كما يلي:

المطلب الأول: جهوده في بيان كيفية الإيمان بالكتب السماوية:

إن من أصول الإيمان التصديق الجازم بالمطالب الإلهية التي منها: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على عباده بواسطة رسله وأنبيائه، والتصديق بأنهم بلغوها للناس، وأنها كلام الله حقيقة، قال الشيخ رحمه الله :"**كما يدخل في المطالب الإلهية الإيمان بكتبه المنزلة على رسله بالهدى ودين الحق، وأن تلك الكتب من كلام الله تعالى حقيقة، وأن كلام الله لا نفاد له** ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ **وغير ذلك مما يجب الإيمان به من جزئيات هذا الباب العظيم**"(١).

والإيمان بالكتب يكون بالإيمان بها جملة وتفصيلاً:

فنؤمن بما ذكر الله لنا على وجه التفصيل، قال الشيخ رحمه الله:" **أن نؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وما عدا ذلك نؤمن بالجملة؛ بأن جميع الأنبياء والرسل لابد أن تكون لديهم كتب سواء سميت كتباً أو صحفاً؛ لأنهم أصحاب شرائع، وهذه الشرائع تحملها كتب أو صحف، نؤمن بها بالجملة وإن كنا لا نعلمها**"(٢).

وعلى ذلك فما أعلمنا الله به تفصيلاً كالكتب التي ذكرها وهي: صحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى والقرآن المنزل على محمد ﷺ ، وكتكليم الله لموسى، وإيحاء الله إلى صالح وهود وشعيب، ووحي الله إلى رسوله ﷺ في غير القرآن، نؤمن بها على ما وصف لنا.

وأما الإيمان المجمل: أن تؤمن بأن لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا هو، فيها الشرائع والأحكام والتوجيه إلى الخير، والتحذير من الشر.

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٤٧.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٤) و (ب).

والكتب السماوية مصدرها واحد، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ وكلها أنزلت لغاية واحدة وهدف واحد؛ لتكون منهج حياة البشر، ولتقودهم بما فيها من تعاليم وتوجيهات وهداية، ولتكشف عنهم ظلمات الدنيا والآخرة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ :"**الرسالات السماوية التي كلف اللّه بها رسله المختارين من البشر، هي الرابطة بين السماء والأرض؛ ولقد كانت تلك الرسالات متحدة في أصولها، إذ كانت كلها تنادي أول ما تنادي** ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ **ولكنها كانت متنوعة أو مختلفة في الشرائع والمناهج، إذ كان كل رسول يُبعث إلى قومه، وبلسان قومه، على ضوء منهج معين، وتشريع خاص محدود، واستمر الوضع هكذا؛ لحكمة يعلمها ربنا سبحانه، فترة طويلة من الزمن. ولما أراد الله أن يختم رسالته إلى أهل الأرض، اختار من بين عباده نبيه المصطفى، ورسوله المرتضى، محمد بن عبد الله، النبيّ العربي الهاشمي، ليرسله إلى الناس كافة، وقد خلقه الله لهذا الغرض**"[(١)]. وقال أيضاً:"**إذ كانت كلها تخرج من مشكاة واحدة أي: من عند الله، ولو كانت من مصادر متعددة لاختلفت وتضاربت، ولكنها كانت متنوعة ومختلفة في الشريعة والمناهج. حيث جعل الله لكل نبي ورسول شرعةً ومنهاجاً؛ يناسب أحوال وظروف أمته رحمة منه سبحانه ولطفاً، إنه لطيف بعباده**"[(٢)].

ودون الرسالات السماوية سيبقى الناس مختلفين لا يتفقون على سبيل، قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ .

---

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـ ١٧١.

(٢) الصفات الإلهية صـ ٣٣.

ونؤمن بما جاء في الكتب السماوية السابقة، ونؤمن بأن الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا، وأن الانقياد لها، والحكم بها كان واجباً على الأمم التي نزلت إليها الكتب، وقد كان هلاك الأمم بسبب التكذيب برسالات الله، ومن أنكر شيئاً مما أنزله الله فهو كافر قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بل إن من كفر بكتاب واحد صار كافراً بجميع الكتب، قال الشيخ رحمه الله:"**من آمن بكتاب، من آمن بالقرآن ولم يؤمن بكتاب من الكتب السماوية الأخرى ليس بمؤمن بالقرآن، لا يفيده الإيمان بالقرآن، الكتب السماوية المعروفة من التوراة والإنجيل والزبور يجب الإيمان بها، وأنها من كلام الله تعالى ومنزلة من عند الله، وإذا كانت هناك صحف غير معروفة يؤمن بها في الجملة، أما كل ما عرف أنه منزل من عند الله تعالى يجب الإيمان به**"[1]، وهذا مصداق قول المولى جل في علاه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

ومما ينبغي اعتقاده تجاه ما أنزله الله على رسله أنه وحي منزل منه تبارك وتعالى غير مخلوق[2]يؤكد الشيخ ذلك بقوله:"**والكتب المنزلة بما في ذلك القرآن، وتؤمن أن الكتب المنزلة كلها كلام الله وليست مخلوقة كما يقول علماء الكلام بما فيهم الأشاعرة ، القرآن والتوراة والإنجيل والزبور هذه الكتب من كلام الله؛ لأن كلام الله لا نفاد له** ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

(١) شرح التدمرية (٢١) و (أ).

(٢) كما سبق بيانه في بيان صفة الكلام صـــ٣٢٧.

بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ **كلام الله لانهاية له، الله خاطب نوحاً وكلم موسى وكلم محمداً في أماكن وفي أزمنة مختلفة"**(١).

وقد ببين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ موقف المخالفين بقوله:"**وأما كتبه عندهم (أي الفلاسفة) فإنهم لا يصفونه بالكلام فلا يتكلم ولا قال ولا يقول، هذه النقطة يتفق معها أي مع الفلاسفة فيها كل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الكلابية؛ لأن الأشاعرة الكلابية الذين هم أقرب الناس إلى أهل السنة**(٢) **لا يثبتون الكلام اللفظي، وإنما يطلق على كلام الله اللفظي أنه كلامه مجازاً؛ لكونه دالاً على كلام الله اللفظي، وإلا هو لا يقول ولا يتكلم بكلام لفظي ولا يكلم أحدا بالكلام اللفظي، إلا أنه كلامه في نفسه بهذا امتازت الأشاعرة، بينما كل من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة لم يثبتوا لا الكلام اللفظي ولا الكلام النفسي"**(٣).

وبذلك يتضح ضلال من قال:"**إن كلام الله معنىً واحداً قائم بذات الله ليس بحرف ولا صوت، كما تقول الأشاعرة، ضلال مبين؛ لأن ذلك إنكار أن هذا القرآن كلام الله، وقد وافقت الأشاعرة المعتزلة في القول بأن القرآن كلام الله؛ تناقضوا في ذلك مع دعوى أنهم خصوم للمعتزلة"**(٤) .

وختماً لهذه المسألة أنبه على أن الإيمان بالكتب المتقدمة على القرآن لا يعني العمل بما ورد فيها، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ :"**وإن اتفقت الشرائع السابقة مع شريعتنا، أُخِذ ما وافق؛ لكون ذلك موافقاً للرسالة النبوية الآخِرة، وإلا فجميع الأديان نُسِخت وبُدِلت وحُرِفت، وقبل التبديل والتغيير نُسِخت (لو كان موسى حياً ما وسعه إلا**

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ٨٩.

(٢) سيأتي بيان مدى هذا القرب انظر: صـ٧٦٧ من الرسالة.

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٣) و (أ).

(٤) شرح الأصول الثلاثة صـ٩٠.

إتباعي..)[1]"[2]. ولذلك ينبغي الإيمان بأصولها التي أنزلها الله تعالى على رسله، بخلاف ما يوجد منها الآن في أيدي الناس؛ فإن الربانيين والأحبار الذين وُكِّلوا بحفظ التوراة كما قال الله: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ لم يطيقوا حفظ كتابهم بل خانوا الأمانة فغيروا وبدلوا وحرفوا، بل ونسبوا لله ورسله ما تقشعر منه الأبدان، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

المطلب الثاني: الوحي وأقسامه:

مما سبق يتبين وجوب الإيمان بما أوحاه الله إلى أنبيائه ورسله، سواء كان كتاباً منزلاً أو صحفاً متلوة أو وحياً سوى ذلك.

وقد بين الشيخ محمد أمان رحمه الله المعنى اللغوي والشرعي لكلمة (الوحي) فقال:"**معنى الوحي: هو الإعلام الخفي والسريع، ولذلك يطلقون على الرموز والإشارات الخفية أنها من الوحي، عند أهل اللغة! ومنه الإلهام: "وهو إلقاء المعاني الخاصة في النفس؛ والوحي إلى غير الأنبياء من هذا القبيل، كالوحي إلى النحل** ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ "[3].

ويدخل في هذا المعنى اللغوي ما ورد في النصوص من إيحاء الله لبعض البشر غير الأنبياء أو الجمادات، كما قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾

وكذلك قوله عز وجل عن الأرض: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ

---

(١) رواه أحمد ٣٨٧/٣ (١٥١٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٠)، وحسنه الألباني الإرواء (١٥٨٩).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٩) و (ب).

(٣) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـ ١٧٦، وانظر: القاموس المحيط صـ١٢٣١.

لَهَا ﴾ وهناك وحى يسمى وحى منام؛ وهو الرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن أو تُرى له، قال ﷺ: (رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة)(١). والرؤيا الصادقة هنا يمكن أن تكون نوعاً من الوحى والإلهام.

وهناك وحي يعتبر من تسويل الشيطان لا يدل على الصلاح والتقوى، بينه الله بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ وقال جل في علاه: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ وكل ما سبق من الإيحاءات من قبيل المعنى اللغوي، وهي مستمرة لم يرد الدليل على انقطاعها، بخلاف الوحي المنزل على رسل الله.

إذا تقرر ما سبق من المعنى اللغوي للوحي، فالمعنى الشرعي له كما قال الشيخ رحمه الله:"**وأما في لسان الشرع: إعلام اللّه لأنبيائه بطريق خفية أخبار السماء، وما يريد أن يبلغه من التعليمات والتوجيهات والتشريع، بحيث يحصل لديهم علم قطعي، لا يتطرق إليه أدنى شك، بأن ذلك من عند الله سبحانه، فيكون مصدر الوحي: هو اللّه وحده، فلا وحي إلا من الله ؛ ومورد الوحي هم الأنبياء، فلا يكون الموحى إليه إلا نبياً، وهكذا يتضح أن المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي كما ترى**"(٢). وكذلك فإن وحي الرسالة هو الذي انقطع بوفاة نبينا ﷺ.

وبعد تقرير الشيخ للمعنى الشرعي للوحي، بيَّن أقسامه فقال:"**إعلام الله لأنبيائه ما يريد إعلامهم، يكون بطرق ثلاثة، وقد أشار القرآن إلى هذه الطرق، حيث يقول عز وجل**﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ .

(١) رواه البخاري (٦٩٨٣) ومسلم (٥٩١٣).

(٢) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٧٦.

أولاً: المراد بقوله تعالى (إِلاَّ وَحْياً): الإعلام، الذي هو الإلهام: وهو إلقاء المعنى المراد في قلب نبي من أنبيائه، حتى يفهمه جيداً، ويقطع بأنه من عند الله.

ثانياً: الكلام من وراء حجاب، كلاماً حقيقياً، يقطع بأنه سمع كلام ربه الذي كلمه كيف شاء، دون أن يراه، كما حصل لنبي الله وكليمه موسى عليه السلام في أول بدء الوحي، حيث قال: ﴿ نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ حتى سمع سماعاً حقيقياً، ولكن دون رؤية؛ وكذلك عند مجيئه للميقات، حيث يقول الله سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ وقد حصل هذا النوع لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ليلة المعراج، عندما فرض الله عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، والقصة معروفة ولا حاجة لسردها[1].

ثالثاً: إعلام الله لنبي من أنبيائه ما يريد تبليغه بواسطة الملك (جبريل)، وهذا النوع هو الغالب والأكثر وقوعاً، وقد كان جبريل يأتي النبي عليه الصلاة والسلام بأشكال وصور مختلفة، إذ كان يأتيه أحياناً، متمثلاً بصورة الصحابي الجليل (دحية الكلبي)، وربما جاء بصورة أعرابي، وقد رآه مرتين على صورته الحقيقية: مرة عند غار حراء، حيث كان يتحنّث قبل الوحي، ومرة عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج؛ وقد لا يرى النبي عليه الصلاة والسلام الملك أحياناً، وإنما يسمع عند قدومه دوياً كدوي النحل، وصلصلة شديدة، فتعتريه حالة روحية غير عادية.

تؤخذ هذه المعاني كلها أو بعضها، من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها، ذكره البخاري في صحيحه: (أن الحارث بن هشام، سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: أحياناً يأتيني

---

(١) بعض أهل العلم يرى أن ما حصل لنبينا محمد ﷺ من قبيل الوحي لا من قبيل التكليم، كما في قوله تعالى لنوح : (قال يا نوح إنه ليس من أهلك) . والذي يظهر والله أعلم ما رجحه الشيخ رحمه الله من أنه لا يمنع أن يكون الوحي الذي حصل لنبينا ليلة المعراج من قبيل التكليم الحقيقي؛ فإن آدم نبي مكلم، ولم ينف ذلك خصوصية موسى عليه السلام بزيادة في الكلام. والله أعلم.

مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال؛ وأحياناً يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي ما يقول)، قالت عائشة ﵂: (ولقد رأيته يترل عليه في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً)[1]"[2].

المطلب الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم:

إذا تقرر ما سبق من وجوب الإيمان بجميع الكتب السابقة، وبما أوحاه الله لرسله؛ فإن من مقتضيات ذلك: الإيمان بأن القرآن الكريم أفضل الكتب السماوية وأشرفها وأنفعها وأعمها وخاتمها، والناسخ لكل الكتب السابقة.

وعليه فالقرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي يصلنا بالله بعد بعثة الرسول ﷺ قال الشيخ محمد أمان ﵀:"**القرآن الكريم [هو الرسالة التي]**[3] **بعثها الله إلى أهل الأرض من الجن والإنس بعد أن ضمنها كل ما فيه سعادتهم في الآخرة، وسيادتهم وعزهم في الدنيا إن طبقوها، وهي مشتملة أيضاً على بيان ما يسبب سخط الرب**

---

(١) سبق عزوه صـــ ٤٠٧.

(٢) مترلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ١٧٧-١٧٨.

(٣) في الأصل (**القرآن الكريم عبارة عن رسالة بعثها الله إلى أهل الأرض**) وفي العبارة نوع إيهام!! وبالمناسبة فقد نبه الشيخ مصطفى الهوساوي حفظه الله في ترجمته للشيخ الجامي -يسر الله اخراجها- صـــ٣٣ : أن الشيخ تراجع: عن هذه العبارة وأخبره أنه سيعدلها في طبعة قادمة، ولكن وافته المنية قبل ان يحقق ما أراد. قال الشيخ مصطفى: فالواجب على من يرى ذلك أن يصلح هذه العبارة ويبدلها بعبارة لا لبس فيها ولا إيهام) راجع: الحاشية رقم (١) صـــ٣٣ من الترجمة . ولذلك قمت بالتعديل اليسير وجعلته بين قوسين.

عليهم إن تعرضوا له، واختار لهذه الرسالة رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين" [(١)].

ويحسن التنبيه في هذا المقام على مسألة نبه عليها الشيخ كثيراً، وهي قوله:**"أما القرآن فمن جملة كلام الله غير مخلوق كسائر كلامه، وقد أخبرنا الله في الكتاب العزيز أن القرآن كلامه، حيث يقول:** ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ **وما من شك أن الكلام الذي سمعه ذلك المشرك المستأمن هو هذا القرآن الذي في المصحف، المحفوظ في الصدور، المكتوب في الألواح، ولذلك نستشهد به قائلين: "قال الله تعالى: كذا وكذا". وكلماته تعالى لا نفاد لها إذ يقول الرب جل من قائل:** ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ **هذا هو اعتقاد أهل السنة في كلام الله وموقفهم من القرآن الكريم. وهم -كما لا يخفى على المنصف – خير هذه الأمة على الإطلاق بشهادة المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، فهو يقول عنهم: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[(٢)]، والخيرية تستلزم قطعاً صلاح العقيدة وصحتها ضرورة بحكم أنهم شافهوا صاحب الرسالة محمداً عليه الصلاة والسلام وأخذوا عنه دينهم وعقيدتهم"**[(٣)].

واجبنا نحو القرآن:

يتبين مما سبق أن الرسالة المنزلة على نبينا محمد ﷺ كاملة لا تحتاج إلى شريعة سابقة عليها، وقد وضح الله لنا ذلك غاية الإيضاح فقال: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ

---

(١) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ٣٩.

(٢) سبق عزوه صـ٢٥٢.

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٦٣.

فالقرآن مهيمن على ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ على الكتب التي أنزلت من قبل، يأمر بالإيمان بها، ويبين ما فيها من حق، فما فيها من حق فهو منسوخ بالقرآن كما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، وما فيها من تبديل أو تحريف فهو ينفيه، وبذلك وجب المصير إليه والتحاكم عند التنازع إليه.

ويتضح بذلك أن الإيمان بالكتب السماوية السابقة تصديق جازم بها، ومجرد التصديق لا يكفي في القرآن بل لابد من أمر زائد على ذلك، كما قال الشيخ رحمه الله:"**وأما الإيمان بالقرآن والإقرار به أنه كلام الله المترل من عند الله، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب كما قلنا في الرسول محمد ﷺ، بالنسبة للكتب السماوية نؤمن بأنها من عند الله وأنها كلها من كلام الله، وأنها هدى وشفاء، ولكن نخص هذا الكتاب بوجوب اتباع ما جاء فيه وما جاء فيه كله هدى ونور وشفاء يجب اتباعه**"(1).

وقال أيضاً:"**وأما هذا القرآن نؤمن بأنه من عند الله، ونتخذه دستوراً نحكم به ونتحاكم إليه، ونسير إلى الله في ضوئه؛ هو الحكم وهو كتاب العقيدة كتاب التوحيد كتاب العبادة كتاب الأحكام كتاب الأخلاق كتاب السياسة كتاب الاقتصاد كتاب كل شيء إذا فهم وعمل به، هذا هو الفرق بين الكتب السماوية وبين إيماننا بالقرآن، الكتب السماوية لا يجب علينا العمل بها؛ لأنها نسخت انتهت بترول القرآن، الكتاب الذي يجب الإيمان به والعمل به هو هذا القرآن العظيم، وهو كلام الله حقيقة؛ لأن الله**

(1) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٤) و (ب).

سماه كلاماً ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ **ذلك الكلام الذي تلاه الرسول ﷺ على المشركين فسموه هو هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف**"[(١)].

نفعنا الله بالقرآن، وبما فيه من الآيات والبيان، وصلى الله على سيد الإنس والجان، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ٩٠.

المبحث الثالث

جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالرسل

تمهيد

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان أحد إلا بالإيمان بهم، وأنهم عباد مختارون من عند الله؛ لحمل مهمة سامية: وهي تبليغ رسالة الله والدعوة إلى توحيده؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ . فالإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ ، فالذين يقدرون الله حق قدره، ويؤمنون به سبحانه وبصفاته التي اتصف بها؛ من العلم والحكمة والرحمة لابد أن يوقنوا بأنه أنزل الكتب وأرسل الرسل؛ لأن هذا من مقتضى صفاته.

ومن كفر بالرسل فهو كاذب في دعواه بالإيمان بالله، وهو من الكافرين حقا، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

قال القرطبي رحمه الله :"نص سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر، وإنما كان كفرا؛ لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم و لم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين التزام العبودية

التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر؛ لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية وكذلك التفريق بين رسله"(١).

وقبل عرض جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله في توضيح هذا الركن، يحسن بيان تعريف النبي والرسول .

والنبي في لغة العرب: مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع، أو من النبأ وهو الخبر(٢)، والنبي إنما سمي نبياً؛ لأنه مخبر عن الله ما أخبره به وأوحاه إليه، وهو ذو رفعة ومكانة علية عند الله وعند الناس؛ فهم أشرف الناس وهم الأعلام الذين يهتدى بهم لصلاح الدين والدنيا.

والرسول: مشتق من الإرسال وهو التوجيه، ويراد بالرسول الذي يتابع أخبار الذي بعثه(٣)، والرسل إنما سموا بذلك؛ لأنهم وجهوا من قبل الله تعالى، وهم مبعوثون برسالة معينة مكلفون بحملها وتبليغها(٤).

ويحسن التنبيه في هذا المقام على التفريق بين النبي والرسول(٥)، وقد فرق الله سبحانه وتعالى كما هو الظاهر من قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ والشائع عند أهل العلم أن الرسول أخص من النبي كما بين شارح الطحاوية بقوله:"أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا"(٦). وقد عقب الشيخ محمد أمان رحمه الله بعد ذكر كلام الشارح بقوله:"**بعض أهل العلم لا يستحسنون هذا التعريف، بل**

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٠٥.

(٢) انظر: لسان العرب ١/١٦٢-١٦٣.

(٣) انظر: لسان العرب ٢٨٣-٢٨٤.

(٤) انظر: الرسل والرسالات صـ١٣-١٤.

(٥) للاستزادة انظر: (تنوير العقول في التفريق بين النبي والرسول) لمحمد الإمام.

(٦) شرح الطحاوية صـ١١٧.

يفضلون غيره عليه، وهو أن الرسول: من له شريعة خاصة، من أرسل بشريعة خاصة مستقلة، والنبي: من أرسل ليعمل برسالة من قبله، الكل مبلغ الأنبياء يبلغون، والرسل يبلغون، وكلهم يدعون إلى الله. إلا أن الرسول خاصيته له رسالة مستقلة وكتاب سماوي مستقل، كموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ، وأما الأنبياء فكثير من أنبياء بني إسرائيل الذين يعملون برسالة التوراة والإنجيل، ويبلغون رسالة التوراة والإنجيل ويدعون الناس إلى هذه الشريعة، كلهم أنبياء ودعاة ومصلحون، هذا هو الفرق بينهما...وعلى كل سواء قلنا بهذا التعريف أو بذاك فكما قال الشيخ (فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا)"[1]. والشيخ رحمه الله يرجح التعريف الثاني حيث قال:"**والتعريف الثاني أنسب، والتعريف الأول أشهر**"[2]، وقال رحمه الله في موطن آخر:"**بالاختصار كل من أرسل برسالة جديدة فهو رسول، وكل من أرسل ليتبع ويجدد رسالة من قبله من الأنبياء فهو نبي، الكل مكلف بالتبليغ والبيان**"[3].

وبعض أهل العلم يرى أن الرسول قد يكون متابعاً لشريعة من قبله كيوسف عليه السلام، وأن النبي قد تكون له شريعة مستقلة كالخضر عليه السلام على القول بنبوته؛ ولذلك رجح: أن النبي هو: رجل إنسي أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم موافقين. والرسول هو: رجل إنسي أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه إلى قوم[4].

ويتضح بذلك كما بين الشيخ رحمه الله أن العلاقة بين "**النبي والرسول من قبيل العموم والخصوص المطلق**"[5] كما سبق والله أعلم.

وتوضيح جهود الشيخ المتعلقة بهذا المبحث يمكن عرضها بما يلي من مطالب:

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (١٤) و (أ).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ١٠٣. وانظر: تفسير الألوسي ١٥٧/١٧.

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٣) و (ب)

(٤) انظر: شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ ٢٣٢/١، تنوير العقول في التفريق بين النبي والرسول صـــ١٣-١٤.

(٥) وجدتها بخط الشيخ على طرة كتابه شرح الطحاوية.

المطلب الأول: جهوده في فيما يتعلق بالإيمان بالأنبياء والرسل عموماً:

حاجة البشرية إلى الرسل:

لاشك أن الحاجة إلى الأنبياء والمرسلين ماسة؛ لصلاح القلوب وإنارة النفوس وهداية العقول، فالإنسان في أشد حاجة إليهم؛ كيلا يضل وينحرف ويزيغ، يؤكد الشيخ محمد أمان رحمه الله هذه الحقيقة بمَثَلٍ ضربه حتى يقرب المسألة فقال:"**الإنسان، ذلك الحيوان المختار، ولكنه تحفه الشهوات، وتكتنفه متطلبات الغرائز، وتجتاحه الأهواء، وهو أشبه ما يكون بالمريض مثلاً، لا يجد سبيلاً للخلاص مما حل به من مرض، والفوز بالبرء والعافية، إلا بطبيب ناصح؛ فإن ائتمر بأمره فعزف عما تميل إليه نفسه، وامتنع عن الشهوات، [ومتع ولذّات]**[1]**، سلم من الهلاك، وإلا فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وهذا يعني: أن حاجة الإنسان إلى الرسول ورسالته، وما تشتمل عليه سنته، أمسّ من حاجته إلى الطبيب والدواء - ويتضح ذلك بإجراء مقارنة ملموسة، بعيدة عن الفلسفة. وذلك أن غاية ما يصيب الإنسان، إن أعرض عن الطبيب، ولم يحيى قلبه بما فيها من الوحي الإلهي، كتاباً وسنة، فتعتريه الأسقام والآفات التي لا برء منها، ويموت قلبه ولا يرجى بعده الحياة، وتنضب ينابيع السعادة، وتغشاه أمواج غامرة متلاطمة من الشقاء والتعاسة، ويغادره اليقين، ولا تعود الحياة والسعادة إليه إلا بالعودة إلى نور الوحي والاستضاءة بنوره، والله المستعان**"[2]، وهذا التقرير موافق لما قرره أهل العلم يقول ابن القيم رحمه الله:"ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب:(وامتنع عن اللذات).

(٢) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ١٧٥.

لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاءوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة أعظم وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم. ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي. (وما لجرح بميت إيلام)[(١)]"[(٢)].

دعوة الرسل واحدة:

إن الله سبحانه أرسل الرسل جميعاً لمهمة كبرى وغاية عظمى؛ وهي دعوة الإنس والجن إلى عبادة الخالق وحده لا شريك له، وما يتبع ذلك من تبليغ أوامره واجتناب نواهيه. وقد اهتم الشيخ محمد أمان رحمه الله بتوضيح هذه المسألة؛ فأوضح أن الله أرسل الرسل جميعاً للدعوة إلى التوحيد الذي هو أصل دين الإسلام، قال رحمه الله:"**وأما تاريخ العقيدة الإسلامية؛ فضارب في أعماق الدهور والعصور؛ إذ ما نبي أرسل؛ إلا وصدر دعوته بالعقيدة وجعلها زبدة رسالته. يقول الله عز وجل لنبيه وخاتم رسله:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ **ويقول سبحانه وتعالى:** ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ

(١) عجز بيت لأبي الطيب المتنبي في ديوانه (٢٤٥) وصدره: ومن يهن يسهل الهوان عليه.
(٢) زاد المعاد ٢٣/١.

ﭐلطَّٰغُوتَ ﴾ وهذا يعني أن الأنبياء -عليهم السلام- جميعاً كانوا يستفتحون دعوهم إلى الله تعالى بإصلاح العقيدة قبل كل فضيلة يدعون إليها. لذا نجد في سورة كهود مثلاً عددا من الرسل-عليهم السلام- افتتحوا دعوهم لأقوامهم إلى الله بالدعوة إلى العقيدة وإصلاحها، وإلى معنى كلمة الإيمان، وكلمة الإسلام وأصل العقيدة (لا إله إلا الله) بدأً من نوح ﷺ وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد وقوع الشرك في قومه...هكذا يوضح كتاب الله تعالى تاريخ العقيدة الإسلامية عبر التاريخ الطويل مع أنبيائه ورسله، وأنه قد كانت العقيدة مفتاح دعوهم، وذلك يعني أن الأنبياء -عليهم السلام- دينهم واحد، وهو الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ بعقيدته وأصوله، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، إذ جعل الله سبحانه -حكمةً منه- لكل نبي شرعة ومنهاجاً يناسب قومه وأحوالهم وظروفهم وأزمانهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ فأمر العقيدة أمر ملازم للبشرية منذ هبط آدم أبو البشر إلى الأرض؛ فهو ملازم للبشرية عبر تاريخها؛ كما رأيت"[1]. وقال في موطن آخر:"**أصول الدين عند جميع الرسل من أول رسول أرسل إلى أهل الأرض نوح إلى آخرهم وإمامهم وأشرفهم محمد عليه الصلاة والسلام وأتباعهم لا تختلف**"[2].

وبذلك يظهر أنه لما كانت وحدة المصدر واحدة لدى جميع الرسل، كانت دعوهم واحدة؛ فهي متكاملة يصدق بعضها بعضاً، فلا تناقض فيها ولا اختلاف، وهذا مصداق قول المصطفىﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاهم شتى ودينهم واحد)[3]، قال

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٥٢-٥٤.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٣) و (ب).

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٣) ومسلم (٢٣٦٥) .

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**بمعنى شبههم بأبناء لضرات وطبائن**[١]**؛ الأمهات مختلفة والأصل واحد الولد إنما ينتسب إلى الأب لا إلى الأم قد تكثر الأمهات والأب واحد أي أصل الدين واحد، والفروع قد تختلف الاختلاف في الفروع غير ضار طالما الأصل الثابت محفوظ**"[٢] بمعنى أن"**أصل دينهم واحد وإن اختلفت الفروع والشرائع لذلك جعل الرب سبحانه وتعالى من دين الرسل أول الرسل يبشر بآخرهم ويؤمن به؛ لأنهم كلهم رسل الله ودين الله واحد وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به هكذا سلسلة متصلة من مصدر واحد**"[٣] .

ابتلاء الرسل وصبرهم على دعوتهم:

لقد اعتنى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالدعوة إلى الله عناية فائقة، وكان يرسخها في قلوب طلابه ويحثهم على الاطلاع على ابتلاء الدعاة وصبرهم، وعلى رأس أُولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ:"**فإن معرفة الدعاة؛ سنة الله مع دعاة الحق قديما وحديثاً، وكيف امتحن الله الرسل وأتباعهم أن هذه المعرفة لما يخفف على الدعاة وطأة المشاكل والمحن إذا ما أوذوا في سبيل دعوتهم ولا بد أن يؤذوا. ومما قاله ورقة بن نوفل لرسول الله عليه الصلاة والسلام عندما زاره في صحبة خديجة أم المؤمنين ليخبره ما جرى له في جبل حراء مع جبريل مما قاله ورقة: (ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا أوذي)**[٤].

تلك هي سنة الله مع دعاة الحق. ولن تجد لسنة الله تبديلا. ولن تجد لسنة الله تحويلا. لو ذهبنا لنرى كيف عاش أول (رسول)[٥] **إلى أهل الأرض،..رأينا الرسول نوحاً**

---

(١) جمع طبينة وهي كلمة لعلها عامية مرادفة لضرات، وفي المثل (الطبينة غبينة). والله أعلم.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

(٣) المصدر السابق الشريط (٢١) و (أ).

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) في الأصل (رسالة) ولعل الصواب ما أثبت.

يقاسي من قومه صنوفاً من المشاكل من سخرية السفهاء، وعناد المعاندين، وعلى الرغم من ذلك، نراه يجابه الجاهلية ويصدع بالحق ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾

وثارت الجاهلية وعاندت وكابرت، وأخيرًا أخذ نوح يجأر إلى الله ويدعو عليهم الدعاء الأخير ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ **ولو تركنا نوحاً وتمرد الجاهلية ودعاء نوح بالهلاك، لترى تلك المحنة التي عاشها خليل الرحمن إبراهيم، إذ جاء إبراهيم قومه بأسلوب لا يتوقعونه إذ قام من توه بأسلوب يهدم الجاهلية ليبني على أنقاضها الإسلام، الإسلام الذي لا يقبل الله سواه** ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ **. صاح فيهم صيحة الحق قائلاً:** ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ **.**

فهاجت الجاهلية وجن جنونها وقررت أخيرا التخلص من الرسول ورسالته وأصدرت قرارها القائل: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾

بيد أنه صدر من السماء قرار ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ **فأبطل هذا القرار مفعول قرار الجاهلية ولله الحمد والمنة، هكذا امتحن الرسولان الكريمان ولكن العاقبة للمتقين.**

أما موسى عليه السلام **فقد تنوعت المشاكل[1] معه، ورافقته المحن والمخاوف وهو رضيع، ثم شبت معه حيث أخذ يحاول الطاغية فرعون التخلص منه وهو رضيع ثم بدأ**

---

(١) الأولى أن لا تسمى الابتلاءات التي ابتلى الله بها أنبيائه ورسله بالمشاكل؛ لأن المشاكل قد تتضمن الصعاب والمعوقات غير المقترنة بالحكم والغايات المحمودة.

يؤذيه سفهاء قومه من جهة فتجلد حتى بلغ رسالة ربه في وسط تلك الأمواج المتلاطمة من المحن المتنوعة. فيخبر القرآن آخر قصة موسى مع فرعون فيقول: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ .

إذا كان موسى عليه السلام **قد رافقته المحن كما قلنا منذ أن كان في المهد صبيا بأن عيسى** عليه السلام **قد واجهته ألوان من الشكوك موجهة إليه وإلى والدته فور أن وجد في هذه الدنيا فقاسى ضروبا من العنت إذا اختلف فيه القوم بين قائل هو ابن الله أو الله نفسه وبين قائل هو ولد بغي فجعل عيسى** عليه السلام **يعرف القوم نفسه وحقيقته فيما تخبرنا به سورة مريم** ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ **وعلى الرغم من هذه الحقيقة التي شرحها القرآن لم يزل القوم يتمردون عليه ويؤذونه. ولكنه كان يقابل ذلك بالصبر الجميل والتحمل، وكان محاطا بعناية الله تعالى وقد تآمروا على قتله وصلبه، ولكن الله جعل فداءه ذلك الرجل الذي كان دليلا لهم يدلهم على مخبئه، فقتلوه ثم صلبوه جزاء وفاقا. فأشاعوا بأنهم قتلوا عيسى وصلبوه، فيوضح القرآن هذه الحقيقة ويخبر أن تلك الإشاعة عنه ليس لها أصل من الصحة، فيقول الله تعالى:** ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .

مضت الأيام تلو الأيام والشهور تلو الشهور والدهور تلو الدهور ليحين وقت بزوغ فجر الإسلام من جديد من واد غير ذي زرع من عند بيت الله المحرم بمكة فولد محمد عليه الصلاة والسلام بمكة وترعرع فيها فعرف عند قومه منذ صغره بالصدق والأمانة، فكانت له شخصية وكسب شعبية بأخلاقه الكريمة: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ ﴾ ، فلما كلفه ربه بتبليغ رسالته وأن يصدع بالحق ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ فدعاهم إلى الإسلام واستنكر القوم هذه الدعوة واستغربوا هذا الأسلوب الجديد الذي لابد لهم به والرسول ينادى فيهم: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)(١)، فأدرك القوم معنى هذه الكلمة وأنها تعنى القضاء على آلهتهم، وبالقضاء عليها يقضي على نفوذهم الواسع وسلطانه الجاهلي. فلما كان لصاحب الدعوة من المكانة في أنفسهم سابقا لم يتجرؤوا في أول الأمر على قتله وقتل دعوته في مهدها. بل اتبعوا أساليب شتى قبل قرار القتل الذي سوف نتحدث عنه إن شاء الله فعرضوا عليه المال أو الجاه والرياسة، ولم ينجح العرض؛ إذ رأوا أنه ليس لديه أدنى ميل إلى هذه الأمور التي يرونها عظيمة، فعمدوا إلى أسلوب خسيس يريدون به تدمير أعصاب الرسول لو استطاعوا والقضاء على الروح المعنوية العالية، فأخذوا يقترحون اقتراحات ساخرة. يحدثنا القران عن شيء من ذلك فيقول: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبًا نَّقۡرَؤُهُۥ ﴾ ولما لم ينجح هذا النوع من الأسلوب أيضاً، أخذوا يفترون على من سموه من قبل أنه الصادق الأمين(٢)، ويلقبونه بألقاب مفتريات ويشيعون ضد الدعوة إشاعات هم يعلمون عدم صحتها قبل غيرهم، ولم يتركوا باباً من المكر والمكيدة إلا طرقوه، وها هو القرآن يحدثنا عن مكرهم: ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٤٩٢/٣ (١٦٠٢٣) وانظر: صحيح السيرة للألباني صـــ١٤٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤٢٥/٣ (١٥٥٠٤) وقال محققوا المسند :إسناده صحيح.

ٱلْجِبَالُ ﴾ ولما لم تنجح جميع الوسائل التي أشرنا إليها من عرض المال والرياسة والسخرية والشائعات والافتراءات. وهي ما يسمونه بالحرب النفسية لجأ القوم إلى الحرب الحسية ينالون بها من صاحب الرسالة وأصحابه، حيث تفجرت أحقادهم. فعقدت جلسة خاصة ومهمة لسادات قريش في الحجر واسترضوا الموقف ودرسوه وعددوا ما فعل النبي عليه الصلاة والسلام، وما قال في حقهم وفى حق آلهتهم قالوا:(ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط: سفه أحلامنا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا وشتم آباءنا وعاب ديننا)[1] إلى آخر ما عددوه ومن باب الموافقة أن يمر بهم النبي عليه الصلاة والسلام وهم يتحدثون في أمره. فوثبوا عليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به من كل جانب وصاحوا به قائلين: (أما الذي تقول كذا وكذا؟ فيجيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام. بكل ثقة وثبات. نعم أنا أقول كذا وكذا وأرادوا قتله فأدركهم أبو بكر الصديق ﷺ فانبرى للدفاع عنه فأخذ يدفع هذا ويجأ هذا في بطنه وهو يقول:﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ ولما أعجزهم جميع الحيل عقدوا مؤتمرًا خطيراً -في زعمهم- في الأيام التي أخذ المسلمون يهاجرون فيها إلى المدينة، وظنوا أن الفرصة سانحة فلا تفوت، ومن الاقتراحات المهمة التي طرحت على بساط البحث والمناقشة؛ للتخلص من النبي ودعوته هي الآتية:

١- أن يسجن سجنا مؤبدا ولا يفك.

٢- أن يقتل على أيدي عدد من شباب قريش ينتخبون من عدة قبائل ليتفرق دمه بين القبائل.

٣- أن ينفى من البلد.

(١) رواه أحمد في مسنده ٢/٢١٨ (٧٠٣٦) قال الألباني: إسناده حسن. انظر: صحيح السيرة للألباني صـــ١٤٨.

ولما وضعوا خططهم وحزبوا أمرهم كشف الله السميع القريب أسرار مؤتمرهم ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ **هذا وكانت المحنة على ضراوتها وقسوتها لا تزيد محمدا عليه الصلاة والسلام وصحبه إلا صلابة وتصميما. تصميما في المضي مهما كانت التضحيات...**

وفي وسط هذه المحن والمشاكل المحزنة أظهر الله دينه وقويت شوكته وأعز الله أتباعه حتى قامت له دولة في طيبة، فطابت لأتباعه وطاب مقامهم بها، فجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يستقبل الوفود، تلو الوفود، وهم يدخلون في الإسلام ويسألون عن تعاليمه، وفي الوقت نفسه يرسل جيشه إلى الأطراف؛ ليدعوا إلى الله بالتي هي أحسن أولا، وللمعاند السيد هكذا أظهر الله الإسلام وأعز أهله ولو كره الكافرون. ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ "[1]. وأكتفي بهذا النقل الطويل عن الشيخ رحمه الله الذي يدل على شدة ما لاقاه أولوا العزم من الرسل من قومهم تجاه نشر دين الله، فجزاهم الله أحسن الثواب وأفضله في الدنيا والآخرة.

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ضمن المجموع صـ٢٠٧-٢١٣ باختصار يسير.

الرسل ليس لهم شيء من خصائص الألوهية أو الربوبية:

لاشك أن الرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاهاً عند الله: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾ ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾

وجاء في حديث الحوض: أن الذين بدلوا يُطردون من الحوض طرداً، الملائكة تطردهم فيقول رسول الله ﷺ: (أصحابي أصحابي أمتي أمتي، فيقال له: لا تدري ما أحدثوا بعدك غيروا وبدلوا)(١)، قال الشيخ رحمه الله:"**هذا الحديث مما يُستدل به بأن رسول الله ﷺ لا يعرف من شؤون عباد الله بعد أن التحق بالرفيق الأعلى، لا يعلم من غيَّر أو بدل؛ لأنه غيب** ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ **، ورسول الله ﷺ إنما يعلم من الغيب ما علمه في حياته، وبعد ذلك لا يدري عنا من غيّر وبدل ومن بقي على الهدي**"(٢).

بل إن الأنبياء والرسل تلحقهم جميع خصائص البشر من المرض والجوع والنسيان كما حكى الإجماع عليه بعض أهل العلم(٣)، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ وقال جل في علاه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ وقال سبحانه عن نبيه

(١) رواه البخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٢٢٩٧).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

(٣) انظر: المحلى ١/١٠.

وقال آدم عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ عن موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ وقال ﷺ: (إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون)[1].

وما سبق لا يعارض ما ميزهم الله به من العصمة في البلاغ، قال شيخ الإسلام رحمه الله:"فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وهذا هو مقصود الرسالة؛ فإن الرسول هو الذي يبلغ عن الله أمره ونهيه وخبره، وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين، بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ"[2].

المطلب الثاني: كيفية الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان كما سبق بيانه، والإيمان بهم يتضمن الإيمان بما يلي:

أولاً: الإيمان برسالتهم جميعاً، وأن رسالتهم حق من الله تعالى، قال الشيخ رحمه الله:"**الإيمان برسل الله تعالى جملة وتفصيلا، والإيمان بنبينا محمد ﷺ بصفة خاصة**"[3]، وأنهم أرسلوا لوظيفة سامية وهي البشارة والنذارة قال الشيخ رحمه الله:"**وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، هذا فيه بيان لوظائف الرسل، وظيفتهم التبشير للمؤمنين، والإنذار للعصاة، والدليل قوله تعالى:** ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ **لايقولوا ما بعث إلينا رسلاً ولا أنزلت إلينا كتباً، أما بعد إرسال**

---

(١) رواه مسلم (٥٧٢).

(٢) منهاج السنة ٤/٤٧٠-٤٧١.

(٣) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٤٧.

الرسل وإنزال الكتب والبيان من الرسل ومن اتباع الرسل لا حجة للناس على الله"[١].

وأنهم بلغوا البلاغ المبين امتثالاً لأمر ربهم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ وقال: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾

قال الشيخ محمد أمان تعليقاً على هذه الآيات:"**شهادات صريحة وعظيمة من الله بأن رسولنا محمداً وإخوانه من الأنبياء والمرسلين بلغوا البلاغ المبين، ولم يبق إلا واجب الأتباع على الأمة"**[٢].

ثانياً: مما يتضمنه الإيمان بالرسل الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، قال الشيخ رحمه الله:"**من علمنا أسماءهم في كتابنا آمنا بهم بأسمائهم بالتفصيل ومن لم نعلم بأسمائهم آمنا بهم في الجملة"**[٣]. فالذين أخبرنا الله بأسمائهم في كتابه أو أخبرنا بهم رسوله ﷺ لا يجوز أن نكذب بهم، ومع ذلك فنؤمن أن لله رسلا وأنبياء لا نعلمهم، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ ﴾ وقال جل في علاه: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ ﴾ .

ويحسن في هذا المقام التنبيه على أن الشيخ محمد أمان رحمه الله يرجح نبوة الخضر عليه السلام ويدل لذلك قوله لما سئل: هل الخضر من أولياء الله تعالى و هل هو حي؟ فقال:" **اختلف أهل العلم في: هل الخضر ولي أو نبي؟ أرجح القولين عندي أنه نبي.**

---

(١) شرح الأصول الثلاثة صــ١٣٣.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٣) و (ب).

(٣) المصدر السابق الشريط (٤٤) و (أ).

راجع ما جاء في قصته في سورة الكهف مما يدل على أنه نبي و لكن المسألة محل اختلاف. و إذا قلت هذا الراجح عندي، دائما المسائل الخلافية، إذا قال طالب علم هذا هو الراجح، أمر نسبي. قد يكون بالنسبة لغيري أنه ولي. أما كونه حيا؟ لا ليس بحي. الدليل: كل من أدرك رسول الله عليه الصلاة و السلام بعد مبعثه يجب عليه أن يؤمن به و يتبعه. لو كان الخضر حيا، لأخبر النبي عليه الصلاة و السلام أنه جاءه فآمن به و اتبعه. يقول النبي عليه الصلاة و السلام: (لو كان أخي موسى حيا لما وسعه إلا إتباعي)[1]. الله أخذ العهد و الميثاق على جميع الأنبياء و أتباعهم أن يؤمنوا بهذا النبي الكريم و يتبعوه. و لما لم نعلم أن الخضر جاء إلى النبي عليه الصلاة و السلام و آمن به، أيقنا تماما أنه مات قبل ذلك، و الله أعلم"[2].

ثالثاً: مما يتضمن الإيمان بالرسل تصديق ما صح عنهم من أخبارهم، وقد سبق شيء من أخبارهم وابتلائهم بسبب دعوتهم إلى الله.

رابعاً: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ. قال الشيخ رحمه الله:" **الإيمان بالرسل يقال ما قيل في الإيمان بالكتب، بالنسبة للرسل الذين قبل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، المراد بالإيمان بهم أن تصدقهم أنهم رسل الله معصومون بلغوا رسالة الله، ولكن الرسول الذي يجب اتباعه، ولا يعبد الله إلا بما جاء به، هو: محمدٌ ﷺ؛ لأنه جاء بالرسالة الخاتمة العامة، لا يسع جنياً ولا إنسياً ولا يهودياً ولا نصرانياً إلا الإيمان بهذا النبي الكريم بعد أن بعث؛ لأنه خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام"**[3].

---

(١) سبق عزوه صـ٤١٥.

(٢) السؤال وجوابه تم عرضه على الشيخ بعد محاضرة بعنوان: (من الولي).

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـ٩٠-٩١.

حماية جناب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

لاشك أن الله خلق الخلق وفاضل بينهم ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ فخلق الأمكنة واختار منها ما شاء وخلق الأزمنة واختار منها ما شاء، وخلق الملائكة واختار منهم من شاء، وخلق الناس واختار منهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ وفضل الأنبياء والمرسلين من القضايا المسلمة والأمور اليقينية عند المسلمين؛ فالله اصطفاهم واختارهم ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ:"ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل، وأعلى كرامة من كل من دونهم"(١). وهذا مصداق قول المولى سبحانه بعد أن ذكر جملة من الأنبياء والمرسلين ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

إذا تقرر ذلك فينبغي أن يعلم أن هناك ممن ينتسب إلى الإسلام من يتعرض لجناب الرسالة، وقد تصدى لهم أهل العلم وكشفوا عوارهم، وسأكتفي بذكر من تولى الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ الرد عليهم:

الفلاسفة: قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً موقفهم من النبوات:"**الفلاسفة لا يؤمنون بالنبوات، بل يفضلون حكماءهم على الأنبياء، ويسمون كبارهم بالحكماء ويسمون غيرهم بالعوام ولو كانوا من أهل العلم، العمدة عندهم في كل شيء العقل**"(٢).

ومن أولئك الفلاسفة الذين وضح الشيخ وقوعهم في هذا المأزق ابن رشد الحفيد، الذي زعم أن الفلاسفة هم أنبياء الطبقة العالمة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**هذه –كما ترى– كبوة خطيرة، بل انزلاقة قاتلة، وقولة منكرة في الإسلام، لا أعلم أنه سبق إليها؛ إذ**

---

(١) المحلى ٢٥/١.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

هي سخرية ساخرة من مقام النبوة، والنبوة منزلة خاصة لا تنبغي إلا لأولئك المصطفين المختارين الذين اختارهم الله وجعلهم واسطة بينه وبين عباده في تبليغ الرسالة إليهم ونصحهم وهدايتهم، أولهم آدم وآخرهم خاتم النبيين محمد بن عبد الله العربي الهاشمي، وقد صرح الكتاب العزيز أنه خاتم النبيين حيث يقول الرب تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

وادعاء النبوة لأحد بعده مصادمة لهذه الآية والأحاديث الصحيحة التي جاءت في هذا المعنى، كقوله عليه الصلاة والسلام: (أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)(١)، وابن رشد قد قال قولاً شططاً بادعاء النبوة للفلاسفة، بل إنه يجعلهم نخبة ممتازة من الأنبياء ومرسلة إلى نخبة ممتازة من الناس – إذ يقول: "وكذلك الفلاسفة وهم أنبياء الطبقة العالمة"، ولست أدري ما مفهوم النبوة عند ابن رشد؟ حتى تبيح له فلسفته مثل هذا الادعاء علماً بأنه من الفلاسفة الذين يشملهم ادعاؤه فلاسفةُ اليونان من غير المسلمين مثل أستاذه أفلاطون ومثل أرسطو فهل تبيح فلسفة ابن رشد أن يكون أمثال هؤلاء من قدماء الفلاسفة وحدثائهم من المسلمين وغير المسلمين من أنبياء الله تعالى؟!! والله المستعان"(٢).

وقد بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ضلال مقولة بعض الخرافيين في إجابته على سؤال وجه إليه، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:**"وهنا سؤال في غاية الغرابة وهذا سؤال الخرافيين يقول: هل هذا الكلام صحيح: الأولياء خاضوا البحر، ووقف الأنبياء بساحل البحر؟!!**

لو كان القائل بهذا الكلام يفكر في المعنى، هذا الكلام خطير على إيمانه؛ لأن في هذا انتقاصاً للأنبياء، أي تحليل هذا الكلام: إن الأنبياء دون الأولياء. و الأولياء خاضوا بحرا، أي بحر؟ بحر العلم أو البحر الهندي، البحر الأحمر أو غيره، أي بحر؟ بحر الولاية؟ إن كان بحر الولاية و بحر العلم، الأولياء ما وصل إليهم من العلم و الهدى إلا من

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢) و ابن ماجة (٣٩٥٢) وصححه الألباني صحيح الجامع (١٧٧٣).

(٢) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٤٨-٢٤٩.

طريق الأنبياء. الأنبياء سفراء الله إلى خلق الله والأولياء لم يكونوا أولياء إلا باتباع الأنبياء. فرق بين الأولياء المطلع عليهم وبين الأنبياء. و هذا الكلام خطير جدا على من يقول هذا، إن كان يعتقد أن الأولياء أفضل من الأنبياء و أكثر علما، هذا أمر خطير لكن لا يقوله إلا جاهل لا يدري ماذا يقول. كثيرا ما ينقل مثل هذا الكلام من كتب المتصوفة. المتصوفة معروفون بالجهل لذلك لا تنخدعوا بهم"(١). وما أحسن ما قال الإمام الطحاوي(٢) رحمه الله:"ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء"(٣).

وختماً لهذه المسألة يحسن التنبيه على كفر من أنكر نبوة نبي واحد ثبتت نبوته، ولاشك في ذلك؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد حكى كفر قوم نوح بجميع المرسلين لما كفروا برسولهم نوح، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وهكذا حكى الله عن غيرهم من الأمم، ومن المعلوم أن كل أمة كذبت رسولها، إلا أن التكذيب برسول واحد يعد تكذيباً بالرسل كلهم. فدل على أن التكذيب برسول واحد كفر مخرج من الملة، وقد سمى الله من هذا حاله كافراً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ فالله سبحانه وتعالى قد جعل الإيمان برسله متلازماً قال الشيخ رحمه الله: "**أي لو كفر أحد من الناس بنبي واحد من الأنبياء لزم من ذلك كفره بالجميع لا ينفعه إيمانه بالرسل الآخرين لو كفر برسول واحد، هذا**

---

(١) إجابة الشيخ على السؤال بعد محاظرة بعنوان: (من الولي).

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي الحنفي، أحد أئمة السلف، له مؤلفات منها: عقيدته المشهورة، شرح معاني الآثار وغيرها، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: السير ١٥/٢٧، شذرات الذهب ٢/٢٨٨.

(٣) الطحاوية صـ١٢.

معنى التلازم"[1]. فالواجب علينا أن نقول كما قال الله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ .

المطلب الثالث: الإيمان بنبينا محمد ﷺ:

قال الشيخ رحمه الله:"**ولما أراد الله أن يختم رسالته إلى أهل الأرض، اختار من بين عباده نبيه المصطفى، ورسوله المرتضى، محمد بن عبد الله، النبيّ العربي الهاشمي، ليرسله إلى الناس كافة، وقد خلقه الله لهذا الغرض، وربّاه تربية خاصة، وأولاه عنايته، وأدّبه فأحسن تأديبه، وبعد تمهيدات وإرهاصات مرّت عليه في طفولته وصباه، بعثه اللّه إلى الناس كافة**"[2].

ومعرفة هذا النبي الكريم من الأهمية بمكان، هو أفضل البشر وسيد ولد آدم، قال الشيخ رحمه الله:"**معرفة نبيكم محمد ﷺ: وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، إلى هنا ذكر المؤلف**[3] **نسب الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلى الشباب أن يحفظوا النسب إلى عدنان، وهذا محل اتفاق، وما بعد ذلك فمحل خلاف...وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه من ربه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، أي أن نبينا محمداً ﷺ هو النبي الأمي العربي من حيث النسب، ولكنه عام الرسالة إلى الثقلين إلى الجن والإنس**"."**وله من العمر حين توفي**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢١) و (أ).

(٢) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ١٧١.

(٣) أي مؤلف الأصول الثلاثة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

ثلاث وستون سنة كذلك هذا محل إجماع منها أربعون قبل النبوة؛ لأنه لم يبعث إلا بعد الأربعين، وهذه سنة الله في من يبعثهم، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً"(١).

ومعرفة النبي ﷺ بهذه المعرفة، مبسوط في كتب السير، وهي معرفة تمهيدية كما عبر عن ذلك الشيخ بقوله:**"والمعرفة هنا معرفتان: المعرفة الأولى وسيلة وتمهيد للمعرفة الثانية المطلوبة شرعاً، معرفة الإنسان محمداً ﷺ وأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إلى آخر النسب وأنه من العرب من ذرية إسماعيل، وأنه ولد بمكة وهاجر إلى المدينة، فهذه المعرفة معرفة تمهيدية للمعرفة التي لابد منها، وهي التي من الإيمان: وهي كونك تعلم أنه** ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ **وتعلم أنه رسول الله، وتعلم أنه** ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ **أي معرفته بأوصافه التي جاءت في القرآن، ومعرفة أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، وأنه مبعوث للثقلين الجن والإنس، وطاعته في كل أمره، وتصديق أخباره، وألا يعبد الله إلا بما جاء به، وهذه المعرفة هي المعرفة النافعة، وبعد هذه المعرفة لابد من التصديق والإذعان والاتباع له"**(٢).

والمعرفة الثانية التي يشير إليها الشيخ هي التي تجرنا إلى عرض المسائل التالية:

---

(١)شرح الأصول الثلاثة صـ١٠٢-١٠٣.

(٢) المصدر السابق.

المسألة الأولى: عموم رسالته ﷺ:

تواترت النصوص الشرعية على أن الله تعالى ختم الرسالات كلها برسالة محمد ﷺ، وانعقد إجماع أهل العلم على أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه ليس بعده نبي ولا رسول، ومن أجل ذلك جعل رسالته عامة لجميع الثقلين، قال الإمام الطحاوي رحمه الله :"وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى، والنور والضياء"(١)، وقد أكد الشيخ محمد أمان رحمه الله عموم رسالة النبي ﷺ بقوله:"**بعثه الله إلى الناس كافة، لا إلى العرب فقط ولا إلى الأنس فقط، بل إلى الثقلين، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والأنس: الطاعة المطلقة، فقد فرض الله طاعته الطاعة المطلقة التي لا مراجعة فيها، التي لا تتوقف على وجود مثل المأمور به والمنهي عنه بالكتاب، هذا معنى الطاعة المطلقة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا يوجد في المخلوق أحد من له الطاعة المطلقة إلا رسول الله ﷺ. والدليل قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ هذا بالنسبة للإنس والجن داخلون أيضاً**"(٢)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقال سبحانه:﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ .

(١) الطحاوية صـ١٢ فقرة (٣٢).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـ١٢٦.

المسألة الثانية: واجبنا نحوه ﷺ :

إن الواجب علينا تجاه نبينا ﷺ أولاً هو ما وضحه الشيخ بقوله:"**والإيمان بنبينا محمد ﷺ بصفة خاصة، وأنه خاتم الأنبياء، وأن الأعمال لا تقبل من أحد إلا إذا جاءت موافقة لهديه ﷺ، وأنه هو إمام المرسلين وسيد الناس أجمعين، صاحب الرسالة العامة إلى جميع الثقلين الجن والإنس، وأنه يجب تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به، مع الانتهاء عما نهي عنه؛ إذ طاعته من طاعة الله، ومعصيته من معصية الله** ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ "[1].

وقال أيضاً:"**حق الرسول على أتباعه الذي يؤخذ من قولهم (أشهد أن محمداً رسول الله) وحقيقة ذلك: محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام المحبة الصادقة التي تثمر الطاعة والإتباع وعبادة الله بما جاء به فقط. وهو المعنى الذي يشير إليه الحديث الشريف: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)**[2]"[3]. وقال"**ولما كان هذا شأنه، وهذه مكانته، أوجب اللّه طاعته، وحرّم معصيته، إذ يقول عز من قائل**﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ ، **ويقول سبحانه وهو ينفي عمن لا يحكمونه، أو يرون في أنفسهم حرجاً وغضاضة أو توقفاً عن حكمه، ولا يسلمون تسليماً كاملاً عن اقتناع، وانشراح نفس، يقول الله في حق هؤلاء:** ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ ؛ **هكذا تكشف هذه الآية الكريمة دعاة الإيمان بالرسول، دون عمل بسنته، أو رضا بحكمه؛ فالآية – كما ترون– تنفي عنهم الإيمان، وتعريهم أمام الناس؛ لئلا ينخدع ويظن، أن الإيمان بالرسول يتم بمجرد دعوى الإيمان، والقول باللسان؛ وتأتي في هذا المعنى آية أخرى،**

---

(١) المصدر السابق صـ ٤٧-٤٨.

(٢) سبق عزوه صـ١٩٧.

(٣) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ٦٩.

تهدد أولئك المدعين المخالفين عن أمره بالفتنة والعذاب الأليم ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **، وقد فسر بعض أهل العلم الفتنة هنا، بالزيغ والإلحاد، لقاء رده لقول الرسول ﷺ، إذا تكرر منه ذلك، والله أعلم**"(١).

إذا تقرر ذلك فمتابعة النبي الكريم ﷺ هي المحنة الحقيقية التي يتميز بها الصادق من الكاذب قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال الشيخ معلقاً على هذه الآية:"**ذلك لأنه رسوله المختار؛ ليبلغ عنه دينه الذي شرعه لعباده، وهو المبلغ عنه أمره ونهيه وتحليله وتحريمه، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه والدين ما شرعه. والرسول واسطة بين الله وبين عباده في بيان التشريع، وما يترتب عليه من وعده ووعيده. وتبليغ وحيه الذي اشتمل على ذلك كله. قرآناً وسنة. وقد كلف بذلك بقوله تعالى:** ﴿ بَلِّغْ ﴾ **وبقوله:** ﴿ لِتُبَيِّنَ ﴾ **وبقوله:** ﴿ ٱدْعُ ﴾ **إذ يقول الرب عز وجل:**﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ **الآية.**

إن هذه الآي من الذكر الحكيم تعلن بوضوح وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام وهي التبليغ والبيان والدعوة إلى الله إلى دينه وشريعته، وهذه الأوامر الربانية الثلاثة تحقق غرضاً واحداً وهو دلالة الخلق على الطريق الموصل إلى الخالق، وهو راض عنهم؛ حتى يكرمهم في دار كرامته لقاء ما قاموا به من أداء التكاليف في هذه الدار،

---

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٧١-١٧٢.

حتى يصدق في حقه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ . إنه والله رحمة مهداة ونعمة مسداة، ولكن الشأن كل الشأن هل رفع أتباعه رؤوسهم؛ لدراسة سنته كما يجب مكتفين بها ومتجردين لها"(١).

المسألة الثالثة: بلاغه ﷺ البلاغ المبين:

لقد بلغ رسولنا ﷺ البلاغ المبين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فما من خير إلا ودل الأمة عليه ولا شر إلا حذرهم منه، فقد أكمل الله به الدين وأتم النعمة وختم به الرسالة، فجزاه الله عنا خير الجزاء، قال الشيخ رحمه الله:"**وإذا كنا نؤمن بأنه عليه الصلاة والسلام بلّغ رسالة ربه كاملة، قبل أن يكتم شيئاً منها في أصول الدين وفروعه، ونؤمن ثانياً بأن الصحابة فهموا ما بلّغهم الرسول عليه الصلاة والسلام فهماً صحيحاً وشاملاً، وتحمّلوا أمانة التبليغ لمن بعدهم، فبلغوهم فعلاً قبل أن يكتموا شيئاً مما بُلِّغُوا، إذا كنا نؤمن إيماناً كهذا يلزمنا أن نعتقد أن كل خير في اتباعهم فيما كانوا عليه؛ لأنهم على هدى وعلى صراط مستقيم، ومخالفتهم تعد إحداث بدعة في الدين مع ادعاء أن الدين لم يتم بعد، بل هو في حاجة إلى زيادة أو تعديل أو تحسين، وكل ذلك تحدٍ سافر لشهادة الله تعالى لنبيه وأتباعه أنه أكمل لهم الدين، وأتم عليهم نعمة الإسلام، إذ يقول الله جل من قائل:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ وقد نزلت هذه الشهادة من السماء في آخر حياته عليه الصلاة والسلام، وكان نزولها في حجة الوداع على رؤوس الأشهاد في أعظم تجمع حصل في تاريخ الإسلام"**(٢).

---

(١) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ٧٧-٧٨.

(٢) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٦٣.

إذا تقرر ذلك"**فمن بلغته رسالة محمد ﷺ فلم يقر بما جاء به، لم يكن مسلماً ولا مؤمناً، بل يكون كافرا وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن؛ [فـ]مجرد الانتساب لا يكفي لا بد من الإقرار بهذه الرسالة واتباعها وتجريد المتابعة لصاحبها، بهذا يكون الإنسان مسلما ومؤمنا**"[(١)].

المسألة الرابعة: موته ﷺ:

بعد أن أتم الرسول ﷺ رسالة ربه -فما من شيء إلا وترك لنا منه علما-، قبضه الله سبحانه وتعالى إلى الرفيق الأعلى ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ وقد قرر الشيخ محمد أمان رحمه الله وفاته ﷺ فقال:"**والدليل على موته ﷺ قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾"[(٢)]. وقال أيضاً: "**وفور وفاة رسول الله ﷺ ارتدت بعض قبائل العرب وبعضها منعت الزكاة، فنهض أبو بكر لقتالهم فتوقف باقي الصحابة وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة؛ مجتهدين قالوا: كيف نقاتل قوماً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟! فأقسم بالله أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو أنهم منعوه عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلهم؛ لأنهم فرقوا بين الصلاة والزكاة، وأن الزكاة من حقوق الإسلام وواجباته المالية؛ ولأن الإسلام بجميع حقوقه وواجباته إنما هو لله الحي الذي لا يموت، فلا يموت الإسلام ولا شيء من واجباته بموت النبي ﷺ، وهذا أول إعلان أعلنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما علم ما حصل لعمر بن الخطاب عندما قبض النبي عليه الصلاة والسلام إذ ظن عمر أن النبي لم يقبض بعد، بل إنه سوف يعود فهدّأه أبو**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢١) و (أ).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـ١٢٨.

بكر ﷺ فقال فيما قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ واندهش عمر عند سماعه هذه الآية دهشة غريبة من دهشته من وفاة رسول الله ﷺ حتى يقول كأنه لم يسمع هذه الآية قبل هذه المرة، وهو يحفظها ويقرؤها وكأنها نزلت من توها وهي تخاطبه .

وبعد ذلك البيان من الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه رجع عمر رضي الله عنه ومن معه إلى رأي أبي بكر، فاقتنعوا بوجوب قتال مانعي الزكاة إذ لو لم يفعلوا لكانت فتنة في صفوف الأمة وفساد كبير"(١).

وقد نبه الشيخ على خطأ شائع بين كثير من الجهلة فقال:"كثيرٌ من الغلاة الذين يدّعون تعظيم رسول الله ﷺ وتبجيله إذا قلت إن النبي ﷺ ميت، يغضب انظروا إلى الجهل يصل بالمرء إلى أي درجة!! يغضب من قولك أن النبي ﷺ مات أو ميت ، كيف تقول ميت ؟! الله هو الذي قال ، لا يدري ماذا قال الله، ولكن يحتكم إلى العاطفة، لا يجوز عنده أن تطلق لفظة ميت أو مات على رسول الله ﷺ، بينما أثبت الله ذلك وأقره بدون تردد، أحب الناس إليه أبو بكر الصديق عندما قال له عند وفاته:(طبت حياً وميتاً يا رسول الله ﷺ) ولا ينبغي للمسلم أن يكون عاطفياً إلى هذه الدرجة حتى توقعه العاطفة في تكذيب خبر الله وخبر رسول الله ﷺ"(٢). وقد بين الله سبحانه وفاة نبيه ﷺ بعد أن خيره بين الدنيا والآخرة وأن ذلك مبني على انتهاء أجله المحتوم، فقال جل في علاه: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ

---

(١) التصوف من صور الجاهلية، ضمن مجلة البحوث العلمية العدد (١٢) صـ٢٦٩.

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـ١٢٨.

عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾

.

وبذلك يتضح أن النبي ﷺ وإخوانه الأنبياء قد ماتوا، إلا عيسى بن مريم عليه السلام وسيموت بعد نزوله، ولا ينافي ذلك حياتهم في قبورهم، فإن حياتهم في قبورهم أكمل من حياة الشهداء؛ وهي حياة برزخية، ولكنها ليست كحياتهم على وجه الأرض، فهي غير معلومة لنا ولا تزيل عنهم اسم الموت. وبالله التوفيق.

المطلب الرابع: الآيات والدلائل على صدق نبوة الأنبياء، والمسائل المتعلقة بذلك:

لما كان الأنبياء والمرسلون مبلِغين دين الله، تكفل الله أن يقيم الحجج والبراهين والآيات الدالة على صدق رسله قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾

أي بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات(١).

وقد تتابع أهل العلم المتأخرون على تسمية الآيات بالمعجزات، وإن كانت هذه التسمية معروفة عند علماء الكلام، والمحققون من أهل العلم يرون إطلاق اسم الآية بدل المعجزة؛ لأن الآية اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواء قصد به التحدي أم لم يقصد(٢).

(١) انظر: تفسير بن كثير ٣٤٤٢/٨.

(٢) راجع: مجموع الفتاوى ٣١١/١١.

أما المعجزة فهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة[1]. وعلى هذا التعريف: لا تعد بعض الخوارق التي حصلت للأنبياء من المعجزات؛ كنبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ، وتكثيره الطعام القليل، وتسبيح الحصا في كفه، وحنين الجذع وما أشبه ذلك؛ لكونه غير مقرون بالتحدي.

وعلى كلٍ فالواجب الإيمان بكل ما صح من الآيات التي أيد الله بها رسله، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله: **"مع الإيمان بآيات الرسل التي تعرف عند علماء الكلام بـــ(المعجزات) وهي أمور خارقة للعادة، يظهرها الله على أيدي الأنبياء، تصديقاً لهم وتثبيتاً"**[2].

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام: أن أهل السنة والجماعة لا يرون حصر الطرق المعرِّفة لصدق الرسول ﷺ في الآيات، قال الشيخ رحمه الله:**"طريق تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام لا ينحصر في الأمور الخارقة للعادة، أهل السنة والجماعة يؤمنون بالأمور الخارقة للعادة؛ لتكون علامة وآية لصدق رسوله عليه الصلاة والسلام وغيره من الرسل، إلا أنهم لا يرون حصر الطرق لمعرفة صدق الرسول في هذه الأمور، والاتفاق على إثبات الأمور الخارقة للعادة عند أهل السنة دون تناقض، وعند الأشاعرة والمعتزلة مع التناقض، والتناقض البين عند الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة لا يثبتون الحكمة في أفعال الرب سبحانه وتعالى؛ أي لا يثبتون بأن الله يفعل شيئا لشيء، إذا أثبتوا المعجزة أثبتوا بأن الله فعل شيئاً لشيء، أي أظهر ناقة صالح مثلا؛ لتكون دليلا على صدق دعواه بالرسالة، وهذا تعليل لفعل الرب سبحانه وتعالى، وقس على ذلك سائر المعجزات، وهذا غير ثابت على أصلهم. ومع ذلك أثبتوا، ولما أثبتوا حصروا طريق معرفته في هذه الأمور الخارقة للعادة، وهذا خطأ؛ ووجه خطأه أنه ثبت أن كثيراً من الناس عرفوا صدق رسالة النبي عليه الصلاة والسلام بدون معرفة أو**

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية ٢/٢٨٩-٢٩٠.

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٤٨.

بدون اطلاع على الأمور الخارقة للعادة، ورقة بن نوفل لم يعرف نبوة النبي عليه الصلاة والسلام بالأمور الخارقة للعادة والنجاشي لم يعرف صدق رسالته بالأمور الخارقة للعادة بل اعتبروا بالرسل الأولين وقاسوا على ذلك، بل صدق رسوله عليه الصلاة والسلام معلوم عند قومه حتى قبل أن يدعي الرسالة، قبل أن يدعي النبوة كانوا يعرفون أنه الصادق وأنه الصداق الأمين، وقد أظهر الله سبحانه وتعالى صدقه وأمانته في صباه، كان يتجنب مجالس شباب قريش، ولا يحضر معهم مجالس اللعب واللهو، وكان يترفع وكان معروفا بالصدق، بصدق اللهجة والقوم كانوا يعرفون صدقه إلا أن الرسالة لما جاءت مخالفة لهواهم، ولما هاجم آلهتهم، عند ذلك كفروا به، وبالاختصار طرق معرفة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام وصدقه وصدق الرسل قبله لا تنحصر في الأمور الخارقة للعادة"(١).

وأفراد الأدلة على صدق كل رسول كثيرة ومتنوعة، "وقد عد الذين ألفوا في دلائل نبوة نبينا ﷺ أدلة صدقه فنافت على الألف عند بعضهم"(٢). ومن أمثلة ذلك القرآن العظيم قال الشيخ رحمه الله :**"وهو من المعجزات الخالدة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد أعجز بلغاء العرب وأقعدهم"** .

وكذا له ﷺ معجزات أخرى كما قال الشيخ رحمه الله :**"ولكن ظهرت للنبي معجزات كثيرة كتسبيح الحصى ونبع الماء من بين الأصابع وسلام الحجر، معجزات كثيرة، إنكار هذه المعجزات الكثيرة بدعوى أن القرآن وحده كاف بأن يكون معجزة لرسول الله ﷺ في ذلك تكذيب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، حيث أخبر عن**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (١٩) و (ب).

(٢) الرسل والرسالات صـ١١٩.

(٣) الصفات الإلهية صـ٢٦.

كثير من المعجزات التي ظهرت له، لهذا يجب الإيمان بأن القرآن من أعظم المعجزات للرسول عليه الصلاة والسلام وعلى ذلك له معجزات كثيرة"[(١)].

وقال أيضاً:"**تسبيح الحصا، وتسبيح الطعام، وسلام الحجر على المبعوث بالمعجزات الباهرات محمد عليه الصلاة والسلام، كما أثبتت السنة ذلك، ونحن وإياكم نؤمن بذلك كله، فلنؤمن إذاً بكلام الله الذي أنطقها، وهو على كل شيء قدير**"[(٢)].

ومن أعظم الدلائل أيضا على صدقه ﷺ كما أخبر الشيخ:"**بقـاء السـنة المطهـرة هذه الفترة الزمنيـة الطويلة ١٤٠٠ سـنة بسندهـا المتصـل إلى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام محفوظة في صدور الرجال أو مدونة في كتبهم نوع من أنواع المعجزات الكثيرة للنبي الأمي محمد عليه الصلاة والسلام، وأن ذلك من حفظ الله لدينه، إذ يقول عز من قـائل:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ ولا يختلف اثنان في أن الذكر المنزل المحفوظ هو القرآن الكريم، ويستلزم في حفظ القرآن حفظ السنة المطهرة؛ إذ هي تفسير القرآن وبيان لما أجمل فيه من كثير من الأحكام التي يتوقف معرفتها والعمل بها على فهم السنة، ولولا السنة لما فهمت تلك الأحكام ولا عمل بها مما يكون سببا لتعطيل الشريعة، فإذاً إن السنة داخلة – بهذا الاعتبار– في الذكر المنزل المحفوظ فهي منزلة بمعناها قطعاً، وأما ألفاظها فمن عند النبي الأمي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقصارى القول إن دين الله محفوظ في كتابه وسنة نبيه ولو جحد المنكرون، وعاند المعاندون، وكره الكافرون**"[(٣)].

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (١٣) و (ب).

(٢) الصفات الإلهية صـــ٣٤٧.

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية السنة الثانية عشر – العدد (٤٦) صـــ١٠٤ قائمة (من أعماق الكتب).

المعجزة والكرامة وخوارق الشيطان:

إذا تقرر ما سبق من الإيمان بالمعجزات التي أجراها الله على أيدي أنبيائه، فينبغي الإيمان بالكرامات التي هي: "ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة"(١).

قال الشيخ محمد أمان رحمه الله :**"وأهل السنة يؤمنون بالمعجزات وهي تسمى في لغة القرآن بالآيات آيات الأنبياء، وتسمية الآيات بالمعجزات اصطلاح علماء الكلام ولا مشاحة في الاصطلاح، وأهل السنة يؤمنون بالمعجزات ويؤمنون بالكرامات ويؤمنون بوقوع السحر، وأن السحر حق والعين حق، كل ذلك لا يكابر الوقائع، بل يؤمنون بذلك ويفرقون بين المعجزات وبين الكرامات: بأن الأمور الخارق للعادة إن ظهرت على أيدي من يدعي النبوة يظهر الله ذلك؛ تصديقاً لهذا النبي وتأييدا له؛ ليصدق ويتبع، تسمى هذه معجزة وتسمى آية. وإن ظهر شيء من ذلك على أيدي بعض الصالحين يكون ذلك لهم عوناً على طاعة الله وحسن عبادته، والقبول بين عباده، تعتبر هذه كرامة"**(٢).

ويحسن في هذا المقام التذكير بما وضحه الشيخ بقوله:**"لا تلازم بين الولاية وبين ظهور الأمور الخارقة للعادة. وفي هذا المعنى يحكى عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله:(لو رأيتم رجلاً يسير في الهواء. أو يمشي على الماء لا تقبلوا منه دعوى الولاية حتى تعرضوا أعماله على الكتاب والسنة)(٣) أو كلام هذا معناه. يعنى الإمام الشافعي رحمه الله**

---

(١) التعريفات للجرجاني صـــ٢٣٥.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (١٣) و (أ).

(٣) يشير الشيخ إلى ما ذكره ابن كثير في تفسيره (١/٢٤٠): قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله بل إذا رأيتم الرجل يمشي على

أن ظهور الأمور الخارقة للعادة ليس من مستلزمات الولاية، بل قد لا تظهر تلك الأمور على أيدي كثير من أولياء الرحمن؛ لأنها ليست من صنع الأولياء. وإنما هي من فعل الرب تعالى الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وقد تظهر تلك الأمور على أيدي أناس غير صالحين"(١).

فيتضح بذلك التقرير أن الأمور الخارقة للعادة التي تجرى على أيدي غير الأنبياء تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يجرى على أيدي أولياء الرحمن.

القسم الثاني: ما يجري على أيدي أولياء الشيطان.

فأما القسم الأول: وهو ما يجرى على أيدي أولياء الرحمن: فهذه هي الكرامات قال الشيخ رحمه الله:"**انقسم الناس في مسألة كرامات أولياء الرحمن إلى قسمين: ناف ومثبت، وعرفت المعتزلة من بين الطوائف المنتسبة إلى الإسلام بنفي كرامات الأولياء بدعوى أن إثباتها يوقع في لبس؛ إذ تلتبس الكرامة بمعجزة الأنبياء. وليس لديهم أي دليل أو شبه دليل سوى هذه الدعوة وهي دعوة- كما ترى- لا تنهض لمقاومة النصوص الصريحة...أما أهل السنة فقد أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء اعتماداً على النصوص**"(٢)الشرعية، ثم سرد الشيخ جملة من الكرامات ومن ذلك ما ورد للفتية أصحاب الكهف الذين أكرمهم الله بالإيمان والثبات عليه، فصارحوا جبابرة قومهم بإعلان الكفر بآلهة قومهم، وهذه كرامة وأي كرامة. وما ورد من قصة مريم إذ حكى الله عنها بقوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ ، وكذلك

=

الماء ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة) وأخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ومناقبه صـــ ١٤١ بلفظ آخر.

(١) تصحيح المفاهيم صـــ٥٣-٥٤.

(٢) المصدر السابق صـــ٦١-٦٢.

ما ورد من قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة[١]، ما حصل بعيسى عليه السلام من ولادته بدون أب كرامة وذلك قبل النبوة[٢]، وغير هذه الكرامات كثير[٣].

وممن أنكر الكرامة بعض الأشاعرة قال الشيخ رحمه الله بقوله:"**وذكر شيخنا الشيخ الهراس أن بعض الأشاعرة أنكر الكرامة، وحسب اطلاعنا على كتب الأشاعرة التي بأيدينا لا نعلم أحداً من الأشاعرة أنكر الكرامات، ولكن شيخنا أعلم منا أو أكثر اطلاعاً على كلام أهل الكلام وخصوصاً الأشاعرة ؛ لأنه عاش بينهم وقد كان منهم فهو ممن يُؤخذ علمهم في هذا الباب**"[٤] .

إذا تقرر ذلك فينبغي أن يعلم أن "**كل من المعجزة والكرامة هي لله، ليست المعجزات بأيدي الأنبياء حتى يظهروها إذا شاءوا ويمسكوها إذا شاءوا، لا، قد لا يعلمون عن وقوع ما يقع من المعجزات، الله سبحانه وتعالى هو الذي يظهرها، كذلك كرامات الأولياء الولي العبد الصالح قد يريد الله أن يكرمه أحياناً بأمر خارق للعادة يظهر له، والعبد قد يعلم وقد لا يعلم ليس له شأن في ذلك، ليست الكرامة من تصرفات الأولياء، هنا يخطئ كثير من الناس يحسبون أن الولي هو الذي يتصرف بما يشاء يظهر الكرامة إن شاء، ويمسك إن شاء، ويضر هذا ويؤذي هذا بكرامته، هذا خطأ، العبد الصالح لا يسعى في إلحاق الضرر بالناس متواضع خائف من الله، لكن أحيانا قد يظهر الله بعض الأمور الخارقة للعادة تأييداً له وتثبيتًا له وليس له شأن في ذلك كما قلنا ....وإنكار الكرامات طريقة أهل الكلام المذمومة، والغلو في الكرامات طريقة المبتدعة، وأهل السنة وسط لا ينكرون الكرامات، ولا يبالغون في إثباتها، بل يؤمنون بأنها ثابتة وأنها من فعل الرب تبارك وتعالى**"[٥].

---

(١) وقد سبق عزو الحديث في الكلام عن التوسل انظر صـــ ٢١٦.

(٢) انظر: تعليق الشيخ على شرح الواسطية الشريط (٣٣) و (ب).

(٣) راجع: كرامات الأولياء للالكائي.

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٣) و (ب).

(٥) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (١٣) و (أ) وشيء من و (ب).

وأما القسم الثاني: وهو ما يجرى على أيدي أولياء الشيطان؛ وهؤلاء قوم غير صالحين قسم الشيخ رحمه الله الأمور التي تجرى على أيديهم إلى قسمين:"

١- قسم يجريه الرب سبحانه على أيديهم استدرجاً؛ ليستدرجهم بها ليزدادوا إثماً على إثمهم؛ عقوبة لهم على جريمتهم جريمة عبادة الشيطان وطاعته واتخاذه ولياً من دون الله. يستدرجهم من حيث لا يعلمون ويملي لهم ومن يراها أنها من الكرامات فهو إما جاهل أو متجاهل مغالط لحاجة في نفسه.

٢- القسم الثاني: ما يجري على أيدي بعضهم من قبيل السحر. وقد أثبتت التجربة إن كثيراً من الدجالين مَهَرة في السحر فكثيراً ما يسحرون أعين الناس فيقوم أحدهم بأعمال غريبة ومثيرة وخارجة عن المعتاد والقانون المتبع في حياة الناس مثل أن يلقي بنفسه في النار ثم يخرج منها قبل أن تحرقه أو تصيبه بأي أذى في جسمه. ومثل أن يتناول جمرة فيأكلها كما يأكل تمرة حلوة والناس ينظرون إليه فيندهشون. أو يمشي على خيط دقيق ممدود بين عمودين مثلاً، وغير ذلك من الأعمال التي يعرفها كل من يعرف القوم. وهو في واقع الأمر لم يعمل شيئاً من تلك الأعمال، بل كان على حالته العادية، إلا أنه سحر أعين الحاضرين فيخيل إليهم من سحره أنه يفعل شيئاً وأنه يطير أو يذبح نفسه أو يذبح ولده. وكل ذلك لم يقع ولا بعضه"(١).

وقد نبه الشيخ على أن كثيراً من عوام الناس السذج يظن أن ما يجري على أيدي هؤلاء الذين يطلق عليهم (أولياء) كرامات؛ وهذا بسبب الجهل، وقد استغل هؤلاء الدجالون جهل الناس فأصبحوا يظهرون أساليبهم؛ ليطير صيتهم وتزداد شهرتهم، فيرتفع دخلهم ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقد وصل الحد ببعض أولئك الدجالين إلى زعم سقوط التكاليف الشرعية عليه بدعوى الولاية أولاً، حتى وصل إلى وحدة الوجود(٢).

فاللهم اهد ضال المسلمين، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) تصحيح المفاهيم صـ٥٦.

(٢) راجع: المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية.

المبحث الرابع
جهود الشيخ في توضيح الإيمان باليوم الآخر

تمهيد

إن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان، فلا يصح إيمان العبد حتى يؤمن به، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ولاشك أن ما يحدث في يوم المعاد موافق لمقتضى الحكمة الإلهية؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل وشرع الشرائع؛ ليطاع ويعبد وليمتثل أمره ويوحد، فلم يخلقنا عبثا و لم يتركنا هملا، فلو لم يكن جزاء وحساب، لكان ذلك من العبث الذي تتره عنه الوهاب، وقد أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ . قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**إذ يعيش الإنسان في هذه الحياة الدنيا وهو يكدح كدحاً سوف يلاقيه، ولا يذهب شيء سدى، إن خيراً فخير وإن شراً فشر** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ **فيجب الإيمان بتلك الحياة الآخرة بكل ما فيها، وأنها حياة حقيقية كهذه الحياة الدنيا، بل هي أكمل؛ لأنها دائمة بإدامة الله إياها**"(١)، وكل ما يحدث في تلك الحياة الحقيقية من باب الغيبيات التي يجب الإيمان بها دون الخوض فيما غاب عنا منه، قال الشيخ رحمه الله:"**من صفات المؤمنين: الإيمان بالغيب؛ البعث بعد الموت وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب؛ الحساب المناقشة بعد العرض، وقراءة الكتاب حيث يقرأ كل إنسان كتابه، والثواب**

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٤٩.

والعقاب الذَين يترتبان على العرض والحساب وقراءة الكتاب، والصراط والميزان، والتقديم والتأخير في التعبير بين هذه الأشياء، ولا يستلزم هذا الترتيب"[١].

ومن أنكر هذا الركن العظيم فقد كفر قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ وقال جل في علاه: ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . بل إنه لا يجوز التردد في شيء من تلكم الأمور العظيمة، قال الشيخ ﵀:**"ولا يجوز التردد في الإيمان بأمور المعاد؛ لأن التردد في جزئية من جزئيات شؤون المعاد يؤدي إلى الردة، بل يجب أن يكون الإنسان على يقين في ذلك"**[٢]، و**"مجرد الدعوى بأنه يؤمن باليوم الآخر لا يكفي، لابد أن يؤمن بكل هذه التفاصيل، وبكل ما أخبر به النبي ﷺ من الأمور الغيبية، دون أن يعرض ذلك على عقله أو عقل شيخه، يجب الإيمان بالغيب ليثبت إيمانك، بل الإيمان بالله من الإيمان بالغيب، والأصل أن العقل السليم الصريح لا يخالف النقل الصحيح...العقل إذا كان سليماً ولم يتلوث بآراء علماء الكلام والفلسفة لا يكاد يخالف النقل الصحيح"**[٣].

والحديث عن اليوم الآخر يشتمل على أمور كثيرة؛ فكل ما يحصل للإنسان بعد الموت من أمور الآخرة، وما يحصل من جزاء وحساب، وثواب وعقاب، وجنة ونار، كل ما سبق داخل في ذلك. قال الشيخ ﵀:**"وأما الإيمان بأمور المعاد؛ فنعني به: الإيمان بالبعث بعد الموت، وإعادة الحياة الحقيقية إلى الأجساد، وما يتبع ذلك مما يجري في عرصات القيامة وفي الحياة الآخرة، بدءاً من البعث بعد الموت، وانتهاءً إلى الجنة ونعيمها الدائم الذي لا يزول، أو إلى النار وعذابها الدائم الذي لا ينتهي"**[٤]، وقال أيضاً:**"اليوم الآخر**

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦١) و (ب).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

(٣) المصدر السابق الشريط (٢٧) و (أ).

(٤) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٢٨.

يبدأ من عند الموت (من مات فقد قامت قيامته)[1] **من حين أن ينقل هذا الإنسان من وجه هذه الأرض إلى باطنها**"[2]، وقد كان للشيخ محمد أمان رحمه الله جهود في توضيح ما يتعلق بهذا الركن، وسأوضح ما تيسر لي الوقوف عليه من ذلك في المطالب التالية: والله المستعان.

المطلب الأول: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بأول منازل الآخرة وما يتعلق به من مسائل:

إن المرحلة التي يمر بها العبد بعد خروجه من هذه الدنيا تبدأ بشرب ذلك الكأس الذي لابد منه، وهو الموت و"**لا يحسب الحاسب ولا يظن الظان أن الأمور تنتهي بالموت، بعض العوام يظن إن المشاكل كلها تنتهي بالموت. المشاكل كلها بعد الموت، الموت هو الفاصل بين الحياتين (من مات فقد قامت قيامته)**"[3]، وهذا يشبه حديث عائشة رضي الله عنها في الصحيح: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا، لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم)[4]، قال ابن كثير رحمه الله :"والمراد انخرام قرنهم، ودخولهم في عالم الآخرة؛ فإن من مات فقد دخل في حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: من مات فقد قامت قيامته وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح"[5].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه (٦ / ٢٦٧) وابن عساكر في تاريخه (٣٧ / ٢١٤) وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (١١٦٦) وقال موضوع برقم (٥٤٦٢).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صــ٩١.

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

(٤) رواه البخاري (٦٥١١) ومسلم (٢٩٥٢).

(٥) البداية والنهاية ١/٢٤.

وقد أشار ابن كثير بعد ذلك إلى أن هذا القول يقوله الفلاسفة، ويريدون به معنى فاسداً؛ فإن الملاحدة يريدون أن الموت هو القيامة ولا قيامة بعدها.

والمقصود أنه إذا مات العبد فقد انتهت به الحياة الدنيا، وأقبل على الحياة البرزخية التي يعتبر القبر أول منازلها؛ قال ﷺ :(إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج فما بعده أشد منه)(١)، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**من حين أن ينقل هذا الإنسان من وجه هذه الأرض إلى باطنها فهو في اليوم الآخر؛ يعني الحياة البرزخية الفاصلة بين هذه الحياة التي نحن فيها الآن، وبين الحياة التي بعد البعث تابعة ليوم الآخرة. يجب الإيمان باليوم الآخر وما يجري في القبر**"(٢). فينبغي الإيمان بكل ما ورد من الأمور الغيبية، كما صحت بذلك النصوص قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالغيب، ومن ذلكم عذاب القبر، والإيمان بسؤال منكر ونكير، ومنكر ونكير يسألان الميت بعد أن يجلس عن ربه ودينه ونبيه، بذلك جاءت الأخبار عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، ومضى الصحابة رضوان الله عليهم**"(٣).

وأول ما يعرض للعبد في قبره الفتانان؛ حيث يأتيه الملكان فيسألانه من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: (إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾)(٤)، نسأل الله الثبات حتى الممات وبعد الممات، ونسأله أن يعيننا على بذل الأسباب المعينة على الثبات في ذلك الامتحان العصيب؛ ومن تلك الأسباب ما نبه عليه الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:"**لذا نحرص كل الحرص في هذا الوقت على تدريس الأصول الثلاثة – التي يستخف بها كثير من الناس–؛ لأن هذه**

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨) وقال حسن غريب وابن ماجه (٤٢٦٧) وحسنه الألباني.

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٩١.

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٠) و (ب).

(٤) رواه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٧٢١٩).

الرسالة تعلمك جواب الامتحان الذي في القبر، وأنت تعلم أن هناك امتحان في القبر؛ لذلك لما جُدِدت هذه العقيدة كان الأولون من أئمة الدعوة يُحفّظون عوام المسلمين وأطفالهم هذه الرسالة؛ نصحاً منهم للمسلمين"[(١)].

ومن زمن الفتنة والسؤال تبدأ الحياة البرزخية، والبرزخ في كلام العرب الفاصل بين شيئين[(٢)]، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ قال الشيخ رحمه الله:"**كما يجب الإيمان بالبرزخ الفاصل بين الحياتين، بين الحياة الدنيا وبين الحياة الآخرة"**[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله:"ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمى عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع! والطيور، له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما"[(٤)].

وما يحصل في القبر نؤمن به كما دلت النصوص، دون الخوض بإشكالات عقلية، قال الشيخ رحمه الله :"**يجب الإيمان باليوم الآخر وما يجري في القبر من العذاب، وما يجري على المؤمنين من النعيم؛ لأن (القبر إما حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة)**[(٥)] **يجب الإيمان بكل ذلك تصديقاً لرسول الله ﷺ"**[(١)].

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (أ).

(٢) انظر: القاموس المحيط صـ ٢٤٠.

(٣) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٤٩.

(٤) الروح صـ٧٣.

(٥) من حديث رواه الترمذي (٢٤٦٠) وقال: حسن غريب، والطبراني في الأوسط (٨٦١٣) وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (١٢٣١)، وقال: موضوع انظر: الضعيفة (٤٩٩٠).

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على إثبات نعيم القبر وعذابه، وأجمع على ذلك سلف الأمة الصالح. قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**وأما عذاب القبر ونعيمه؛ فيدل عليه قولــه تعالى في حقِّ آل فرعون:** ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ **(يعرضون عليها) أي في البرزخ، الحياة البرزخية هي محل عذاب القبر ، البرزخ معناه الفاصل، فهي الحياة الفاصلة بين الحياة الدنيا وحياة الآخرة**"[٢]، وقال أيضاً:"**إما يخاطبون فيقال لهم (أُدخلوا) هذه قراءة ثابتة، أو يقال للملائكة: (أَدخِلوا آل فرعون أشد العذاب). (النار التي يعرضون عليها) هذه في البرزخ عذاب القبر، بعد أن يعذبوا في قبورهم، فيوم القيامة يقال لهم: هذا القول، وهذا دليل على إثبات عذاب القبر**"[٣]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾ قال ابن عباس: العذاب الثاني عذاب القبر". وقال الحسن البصري[٤]: "عذاب في الدنيا وعذاب في القبر" وكذا قال ابن جريج[٥] وقتادة[١] وغيرهم[٢].

=

قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ:"**هذا الحديث من حيث الصناعة الحديثية ضعفه بعض أهل العلم، لكن ذكر صاحب المقاصد الحسنة [صــ (٣٥٩)]، لهذا الحديث عدة روايات مرفوعة فلم يضعفها ولم يتكلم عليها ، والمعنى صحيح** " راجع: التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

(١) شرح الأصول الثلاثة صــ٩١.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٠) و (ب).

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار، إمام حافظ مفسر من أئمة التابعين، توفي سنة ١١٠هــ. انظر: السير ٥٦٣/٤.

(٥) هو أبو الوليد عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي المكي، صاحب التصانيف قيل أنه أول من صنف في مكة، توفي سنة ١٥١هــ. انظر: السير ٣٢٥/٦.

ويستدل على عذاب القبر بقوله جل وعلا: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال الشيخ رحمه الله:"**هذا هو محل الشاهد** (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ) **وهو عذاب القبر** (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)"[3].

وبعض أهل العلم يستدل على عذاب القبر بقوله عز وجل عن قوم نوح: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾ قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:" **هذه الآية ليست صريحة في عذاب القبر، بل الجمهور على أن المراد هنا (بالنار) نار جهنم نار الآخرة ، روى الإمام الشوكاني[4] رحمه الله هذه الرواية بصيغة التمريض قال : وقيل عذاب القبر[5]، أي الآية ظاهرة وليست بنص في عذاب القبر، بل ظهورها في عذاب جهنم أوضح من ظهورها في عذاب القبر**"[6].

وقد وردت عنه ﷺ أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر ونعيمه، فعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذكِ الله من عذاب

=

(١) هو أبو الخطاب قتادة ابن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري الضرير الأكمه، حافظ عصره وقدوة المفسرين والمحدثين، توفي سنة ١١٨هـ. انظر: السير ٥/٢٧٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٤/١٦٩٩-١٧٠٠.

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٠) و (ب).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني النعاني، فقيه محدث، له مؤلفات منها: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، نيل الأوطار، وغيرها، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: البدر الطالع ٢/٢٠٤، الأعلام ٦/٢٩٨.

(٥) انظر: فتح القدير ٥ / ٤٢٨.

(٦) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: (نعم عذاب القبر) قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر) وزاد غندر: (عذاب القبر حق)[١].

وكذلك ما جاء في حديث البراء[٢] وغيره من الأحاديث كله حق، قال الشيخ رحمه الله: **"هذا المعنى يجب أن نؤمن به ولا نستغرب كما قلنا بل كما قال الله، من صفات المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ عليك أن تتأكد من صحة الحديث إذا صح الحديث ولو لم يصل إلى درجة التواتر يجب عليك تصديقه والعمل به"**[٣].

ومن المسائل المتعلقة بهذا المطلب ما يلي:

المسألة الأولى: سماع الأموات:

وقد سئل الشيخ رحمه الله: ما هو الحق في مسألة سماع الأموات، هل يسمعون أو لا يسمعون؟ فأجاب رحمه الله بقوله:**"الذي ثبت عندي سماع رسول الله ﷺ سلام من يسلّم عليه من عند قبره ﷺ حيث قال: (ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي فأرد عليه السلام)[٤]، والنبي ﷺ يسمع سلام من يسلّم من عند القبر لا من بعيد[٥]**،

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٢).

(٢) راجع: تعليق الشيخ على حديث البراء في التعليق على شرح الطحاوية أواخر الشريط (٦٠) وبداية الشريط (٦١).

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

(٤) رواه أحمد٢/٢٢٧ وأبو داود (١٧٩٥) وحسنه الألباني الصحيحة (٢٢٦٦).

(٥) وهذا هو ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث نقل جملة من النصوص في هذا الباب ثم قال: "فهذه النصوص التي ذكرناها تدل على أنه يسمع سلام القريب، ويبلغ سلام البعيد وصلاته، لا أنه يسمع ذلك من المصلي والمسَلِّم، وإذا لم يسمع الصلاة والسلام من البعيد إلا بواسطة فإنه لا يسمع دعاء الغائب واستغاثته بطريق الأولى والأحرى، والنص إنما يدل على أن الملائكة تبلغه الصلاة والسلام، ولم يدل على أنه يبلغه غير ذلك، والحديث الذي فيه: (ما من رجل يسلم علي إلا رد الله

فيرد الله عليه روحه فيرد السلام على المسلّم، والمسلِّم لا يسمع، هذه هي الميزة للسلام على النبي ﷺ عن قرب، وأما إذا سلمت عليه من بعيد (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام)[1] هذا بالنسبة لسماع النبي ﷺ.

أما سماع بقية الأموات فمحل خلاف بين أهل العلم، بين من يثبت وبين من ينفي، ليس هناك كبير فائدة في مثل هذا البحث، والله أعلم"[2].

=

علي روحي حتى أرد عليه السلام)[رواه أبو داود (٢٠٤١)] فهم العلماء منه السلام عند قبره خاصة، فلا يدل على البعيد؛ فإن السنة إذا زار الرجل القبور مطلقا أن يسلم عليهم ويدعو لهم وكان النبي ﷺ يخرج إلى أهل البقيع يسلم عليهم"ا.هـ تلخيص الرد على البكري ١/١٠٧.

وبعض أهل العلم المعاصرين يرى خلاف ذلك؛ سئلت اللجنة الدائمة سؤالاً قريباً من هذه المسألة فكان "الجواب: الأصل أن الأموات عموماً لا يسمعون نداء الأحياء من بني آدم ولا دعاءهم، كما قال تعالى: (وما أنت بمسمع من في القبور) ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ما يدل على أن النبي ﷺ يسمع كل دعاء أو نداء من البشر حتى يكون ذلك خصوصية له، وإنما ثبت عنه ﷺ أنه يبلغه صلاة وسلام من يصلي ويسلم عليه فقط، سواء كان من يصلي عليه عند قبره أو بعيداً عنه، كلاهما سواء في ذلك؛ لما ثبت عن علي بن الحسين بن علي ﷺ أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم) أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (٨٨٠٤) بدون ذكر قصة علي بن الحسين ﷺ. أما حديث (من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليّ بعيداً بلغته) انظر: الضعيفة (٢٠٣) فهو حديث ضعيف عند أهل العلم، وأما ما رواه أبو داود (٢٠٤١) بإسناد حسن عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:(ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) فليس بصريح أنه يسمع سلام المسلم، بل يحتمل أنه يرد عليه إذا بلغته الملائكة ذلك، ولو فرضنا سماعه سلام المسلم لم يلزم منه أن يلحق به غيره من الدعاء والنداء".ا.هـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/٤٧٢-٤٧٣.

(١) رواه أحمد ١/٤٥٢،٤٤١ والنسائي (١٢٨٣) وصححه الألباني الصحيحة (٢٨٥٣).

(٢) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٩).

وخلاصة المسألة: أن مسألة سماع الأموات أمر غيبي لا يجوز الخوض فيها بالأقيسة والآراء فالله يقول: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ ، كما أنه يتعين الوقوف عند حدود ما ورد في النصوص، فنؤمن بما وردت به الأحاديث من سماعهم في بعض الحالات، وأن ذلك السماع ليس كالسماع المعهود في الحياة الدنيا؛ لأن الأحوال البرزخية تختلف عن الأحوال الدنيوية، فلذلك لا دخل للقياس في هذا الباب، والله أعلم[1].

المسألة الثانية: هل حياة الأنبياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا؟

لاشك أن حياة الأنبياء في قبورهم أكمل من حياة الشهداء؛ وهي حياة برزخية، ولكنها ليست كحياتهم على وجه الأرض، فهي غير معلومة لنا ولا تزيل عنهم اسم الموت. وقد سئل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: هل حياة رسول الله ﷺ في قبره حياة حقيقية كالتي كان فيها في الدنيا، أو حياة برزخية؟ فقال:

"**الجواب: كل الموتى بدءاً من الأنبياء بعد الانتقال من هذه الدنيا يعيشون حياة برزخية لكن حياتهم تتفاوت، حياة رسول الله ﷺ وإن كانت برزخية أفضل من حياة الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون؛ لأنهم إنما وصلوا إلى تلك الدرجة باتباعهم لرسولهم ﷺ، فحياة رسول الله البرزخية أفضل الحياة، أفضل من حياة الشهداء لكن ليست كحياة الدنيا، جميع الأحكام التي تتعلق بالحياة الدنيوية سقطت بموت رسول الله ﷺ، بدليل: لا يُجاهد معهم، والصحابة يجاهدون وحدهم بعد موته والجسد الشريف محفوظ في القبر، لا تأكله الأرض؛ لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، فجسد رسول الله ﷺ محفوظ في القبر منذ دفن في كفنه**

---

(١) انظر: للاستزادة: أضواء البيان ٦/٤٦٠-٤٨٦ ، الآيات البينات في عدم سماع الأموات للألوسي ومقدمة محققه الألباني.

كما دفن حتى يبعثه الله وهو أول من يبعث، لكن الصحابة لم يعاملوا رسول الله ﷺ بعد وفاته كمعاملتهم إياه في حياته"[١].

وقال أيضاً:"**ومن الاستشكالات التي ينبغي أن تزول من أذهان الناس؛ استثقال إطلاق الموت على رسول الله عليه الصلاة والسلام، بعضهم من شدة العاطفة يستثقل أن يقال؛ بأن النبي عليه الصلاة والسلام ميت، يقول: كيف يكون النبي عليه الصلاة والسلام ميتاً؟! وهذا من الغرابة بمكان! وهل يعتقد هذا المستصعب والمستغرب بأن الصحابة دفنوه وهو حي حاشا! ألا يذكر قول أبي بكر ﷺ بعد أن قبض النبي عليه الصلاة والسلام، وقد كان غائباً وجاء وكشف عن وجهه عليه الصلاة والسلام، وقبل بين عينيه وقال:(طبت حياً وميتاً يا رسول الله) فالنبي عليه الصلاة والسلام كونه يُعتقد أنه ميت هذا تصديق لخبر الله، وتصديق لخبره وتصديق للواقع، ولكن بعد أن مات ودفن الشيء الذي ينبغي أن نعتقد كون الجسد الشريف لا يزال محفوظاً لم تأكله الأرض، هذا واجب اعتقاده؛ تصديقاً لخبره عليه الصلاة والسلام، وهذا عام في جميع الأنبياء (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)**[٢]**، هذا واجب اعتقاده.**

الشيء الثاني: حياته البرزخية أكمل من حياة الشهداء، إذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، كذلك النبي عليه الصلاة والسلام حي حياة برزخية أكرم وأتم وأكمل من حياة الشهداء؛ لأنه أكمل من الشهداء، هذا يجب اعتقاده.

أما اعتقاد بأنه حي حياة معلومة ومعقولة كالحياة التي قبل الموت بحيث تطلب منه الطلبات، فبناءً على ذلك يقول: إني أطلب من رسول الله عليه الصلاة والسلام الشفاعة، وإني أتوسل به، هذا تصور خاطئ، لا يطلب من رسول الله عليه الصلاة والسلام أي طلب بعد أن التحق بالرفيق الأعلى، فروحه تتنعم عند الله، ولكن الله

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٩).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٧)(١٥٣١)، والنسائي (٢٠٥٠)، وابن ماجه (١٠٨٥)(١٦٣٦) وصححه الألباني الصحيحة (١٥٢٧).

يرد هذه الروح إلى الجسد الكريم عندما يسلم المسلم، فالله على كل شيء قدير، هذه المعاني يجب أن يفهمها كل مسلم، ولا ينبغي أن ينساق الإنسان مع العاطفة وينكر حقائق، وبإنكار تلك الحقائق ربما يقع في تكذيب خبر الله وخبر رسول الله ﷺ"(١).

والحاصل كما قال الشيخ رحمه الله:"**المؤمنون بالغيب وإن لم يدركوا كيفية الحياة البرزخية، لكنهم يؤمنون بها كإيمانهم بالحياة الدنيا، وكإيمانهم بحياة دار القرار، وعدم معرفتهم لكيفية الحياة في البرزخ وكيفية علاقة البدن بالروح، والروح بالبدن، عدم إدراكهم هذا المعنى لا يمنعهم من الإيمان، وهذا شأنهم في كل شيء"**(٢).

المطلب الثاني: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالبعث:

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والمعاد، ودخوله في ذلك دخولاً أولياً كما قال الشيخ رحمه الله: "**وأما الإيمان بأمور المعاد؛ فنعني به: الإيمان بالبعث بعد الموت، وإعادة الحياة الحقيقية إلى الأجساد، وما يتبع ذلك مما يجري في عرصات القيامة وفي الحياة الآخرة، بدءاً من البعث بعد الموت"**(٣).

وأما أدلة البعث فهي أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، فقد دل عليها الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، وهو مما اتفقت عليه الشرائع، وأجمع عليه المسلمون. قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦١) و (أ).

(٢) المصدر السابق الشريط (٦١) و (أ).

(٣) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٢٨.

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾

.

قال ابن رشد: "والمعاد مما اتفقت على وجوده الشرائع، وقامت عليه البراهين عند العلماء، وإنما اختلفت الشرائع في صفة وجوده...والاتفاق في هذه المسألة مبني على اتفاق الوحي في ذلك، واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك"[(١)]. قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**يشير ابن رشد إلى أن المعاد لم يكن محل نزاع بين الشرائع السماوية، أو لدى العقلاء والحكماء، بل كان محل اتفاق في المجالين الشرعي والفلسفي – إن صح التعبير – وإنما اختلفت الناس في أمرين في شأن المعاد:**

أهو روحاني فقط، أو روحاني وجسماني معاً؟ ثم يسوق ابن رشد الدليل...هكذا يصرح ابن رشد بأن الأدلة النقلية المأخوذة من الشرائع السماوية، والبراهين العقلية اتفقت على أن للإنسان سعادتين اثنتين:

١- دنيوية.

٢- أخروية"[(٢)].

ولاشك أن الإيمان بالبعث أصل سعادة الفرد والمجتمع؛ فإن الإنسان إذا آمن بأن الله سيبعثه ويحاسبه على ما اقترف من الأعمال، وأنه سيقتص من الظالم للمظلوم؛ فإن دابر الشر يقل أو ينعدم؛ فيكثر الخير وتنتشر الفضيلة ويعم الرخاء.

وتضافر البراهين العقلية على إثبات البعث والمعاد، وأنه أمر معلوم ومن ذلك إضافة إلى ما سبق ما ذكره ابن رشد بقوله:"إذا كان كل موجود يظهر من أمره أنه لم يخلق عبثاً، وأنه إنما خلق لفعل مطلوب منه، وهو ثمرة وجوده، فالإنسان أحرى بذلك، وقد نبه الله تعالى على وجود هذا المعنى في جميع الموجودات في الكتاب العزيز فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ

(١) الكشف عن مناهج الأدلة صـ ١٩٩، وانظر: مجموع الفتاوى ٤/٢٦٦.

(٢) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ ١٦٧- ١٦٨.

ﭐلنَّارِ ﴾ وقال جل من قائل وهو يثني على عباده الذين يدركون هذه الغاية المطلوبة من الوجود: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

ووجود الغاية في الإنسان أظهر منها في جميع الموجودات، وقد نبه الله تعالى عليها في غير مرة ما آية في كتابه العزيز فقال: ﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾ وقال: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾ وقال: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ "[(١)]، ولاشك أن البعث هو مقتضى الحكمة الإلهية؛ فكانت أدلته كثيرة لا يسمح المقام لبسطها[(٢)].

ويحسن في هذا المقام التنبيه على مسألة الخلاف في (هل البعث روحاني؟ أم روحاني وجسماني؟ وقد وضح الشيخ محمد أمان رحمه الله الحق في ذلك وبين ما اشتمل عليه كلام ابن رشد من البطلان، فقال:"**والحق أن هذه المسألة من المسائل التي لم يوفق فيها ابن رشد، بل أخطأ في دعوى أن المقام مقام اجتهاد!! بل الصواب أن المقام مقام نص، ولا اجتهاد مع النص طبعاً، فنصوص الكتاب والسنة تصرخ دون خفاء وبأعلى صوت: بأن المعاد للأجسام والأرواح معاً، فلنستمع إلى الآيات التالية وهي تستنكر على الإنسان حين ينسى أو يتناسى بأن الله خلقه من نطفة، ويستصعب متسائلاً من يحيي العظام وهي رميم؟!!** ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ

---

(١) الكشف عن مناهج الأدلة صـــ١٩٩-٢٠٠.

(٢) انظر: إعلام الموقعين ٢/٢٥٨، شرح الطحاوية صـــ٤٦٠-٤٦٢.

ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ والآية التالية وهي تصف يوم القيامة ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ وإلى قوله تعالى﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ .

وإذا انتقلنا إلى السنة نجدها تصرح بالمعاد الجسماني بما لا يترك مجالاً للشك أو الجدل، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (تبعث أمتي يوم القيامة غراً محجلين)[1]، وقوله: (يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً)[2].

دلالة الحديث الأول على البعث الجسماني واضحة جداً، لأن الوصف بالغرة والتحجيل إنما هو وصف للجسم والروح تابعة طبعاً!.

وأما الحديث الثاني فلا تقل دلالته على المراد من الحديث الأول؛ لأن الأوصاف الأربعة كلها أوصاف لا تليق إلا بالجسم كما لا يخفى، والروح تدخل تبعاً، والله ولي التوفيق... والعقل لا يستبعد ذلك طبعاً، لأنه لم يستبعد المبدأ، ولقد رأينا كيف ربطت بعض الآيات السابقة المعاد بالمبدأ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ "[3].

(١) رواه البخاري (١٣٦) ومسلم (٥٨٠).

(٢) رواه أحمد ٣/ ٤٩٥ وأصله عند البخاري (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩) (٥٦).

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٠-٢٧١.

المطلب الثالث: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالشفاعة:

والشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة، قال الشيخ ﷺ:"**الشفاعة هي طلب الخير للغير، سواء كان الطلب من الله أو من غيره، طالما أن طلب الخير من عند غيره لغيره، هذا معنى الشفاعة والتوسل**"(١). وهذا من حيث اللغة وعليه فيشمل الشفاعة في الدنيا والآخرة، قال ابن الأثير(٢):"قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم. يقال شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع، والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع الذي تُقبل شفاعته"(٣).

وحقيقة الشفاعة كما قال الشيخ ﷺ:"**أن الله تعالى [يوم القيامة] هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع**"(٤).

وقد دل الكتاب والسنة على إثبات الشفاعة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾، وأما السنة فقد وردت أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر. وأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما جاءت به النصوص الشرعية فيما يتعلق بأمر الشفاعة؛ من أنواعها وشروطها المعتبرة وغيرها، والشيخ محمد أمان ﷺ قرر جل ذلك.

---

(١) راجع: التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٢٩) و (أ).

(٢) هو أبو السعادات المبارك بن عبد الكريم الجزري ثم الموصلي، المشهور بابن الأثير، من مؤلفاته: النهاية في غريب الحديث، شرح غريب الطوال. وغيرها، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: السير ٤٨٨/٢١، شذرات الذهب ٢٢/٥.

(٣) النهاية ٤٨٥/٢.

(٤) راجع: شرح كتاب التوحيد الشريط (١٤) و (أ).

والشفاعة كما في النصوص الشرعية شفاعتان: **شفاعة منفية** وهي التي تطلب من غير الله، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك؛ متى يكون فيها شرك؟ إذا طلبت من غير الله...هذه هي التي نفاها القرآن، ولم ينف القرآن جميع الشفاعات كما نفت المعتزلة والخوارج**"(١)، قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ وقال عز من قائل: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ .

وأما الشفاعة المثبتة: فهي التي تطلب من الله سبحانه وتعالى بإذنه لأهل التوحيد. فهي ملك للبارئ تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ قال الشيخ تعليقاً على هذه الآية :"**قدم المعمول على العامل ليفيد الحصر لله وحده دون غيره، (الشفاعة جميعا) لو كان التعبير في غير القرآن (قل الشفاعة لله) لا يؤدي هذا المعنى، ولكن تقديم المعمول على العامل الجار والمجرور (لله) يفيد الحصر والقصر، قل لله وحده الشفاعة جميعا، ثم أكد بــ (جميع) الشفاعة جميعا، لا أحد يملك الشفاعة، يؤكد هذا، الآية الثانية التي بعدها أو آخر الآية (له ملك السموات والارض) له وحده ملك السماوات والأرض، إذا كنتم تؤمنون جميعا بأنه له ملك السماوات والأرض، والأسلوب واحد، هذا أسلوب الحصر وهذا أسلوب الحصر، إذن يجب أن تعتقدوا في الأسلوب الأول ما اعتقدتم في الأسلوب الثاني، له وحده ملك السماوات والأرض وهذا كالذي قبله (قل لله الشفاعة جميعا)**"(٢).

إذا تقرر ذلك فالشفاعة"**تطلب مِن مَن؟ تطلب من مالكها الله، فالنبي سيد الشفعاء لا يملك الشفاعة،...صحيح هو سيد الشفعاء لكن كيف يشفع ومتى يشفع؟**

---

(١) شرح كتاب التوحيد الشريط (١٤) و (أ).

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٦) و (ب).

يشفع بعد أن يستأذن بأسلوب لم يسبق له مثيل؛ بعد أن يعتذر آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى في الشفاعة ...إلى أن جاءوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام قوله عليه الصلاة والسلام أنا لها، لأن الله أخبره وعلمه، لأن هذا هو المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون، لكن بعد الاستئذان ، كيف ذلك الاستئذان؟

يسجد لله سجدة طويلة، يتركه الله ساجدا زمنا طويلاً، ويفتح عليه ما لا يعلم قبل ذلك من أساليب الثناء والحمد والتمجيد والتضرع، وبعد ذلك يقال له: (يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع) فيقول النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام:(فيحد الله لي حداً) لا يقول له اذهب اشفع، يحد له حداً عدداً محدوداً، (فيسوقهم فيخرجهم من هول الموقف، ثم يسجد سجدة أخرى، ثم الثالثة، وفي كل سجدة يحد له حداً)(1) لنعلم ونستيقن بأن الشفاعة لله جميعا وحده يجب أن تطلب من رب العالمين، ففي ذلك اليوم يلهم الله العباد ليخاطبوا الأنبياء فيطلبوا منهم الدعاء، الدعاء الشفاعة التوسل بمعنى واحد، ليس معنى ذلك أنهم يملكون كل شيء ويملكون إدخال الناس الجنة ، لا، لا أحد يملك شيئا من ذلك هذه من معاني أشهد أن لا إله إلا الله"(2).

وهذه هي الشفاعة العظمى التي خص بها نبينا ﷺ، وقد أجمع أهل السنة على أن هذه الشفاعة حق وواقعة يوم القيامة في ذلك اليوم العصيب الذي تدنوا منه الشمس قدر ميل، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:**"لا نزاع بين جمهور الأئمة من أهل السنة أنه يجوز أن يستشفع بالنبي عليه الصلاة والسلام في الدنيا في حياته، كما سبق أن أشرنا إلى قصة الأعرابي وهي في صحيح مسلم، وقصة الأعمى المعروفة عند أهل السنن(3)، كما يشفع عليه الصلاة والسلام يوم القيامة لأهل الكبائر من أمته، الذين استوجبوا النار**

---

(١) راجع: حديث الشفاعة الذي رواه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (٤٧٥).

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٦) و (ب).

(٣) وقد سبق الكلام عليه في توضيح مسألة التوسل صـــ٢١٣-٢١٦.

ليدخلوا الجنة بشفاعته عليه الصلاة والسلام، ولم ينكر هذه الشفاعة إلا الخوارج والمعتزلة؛ بناء على أصلهم المعروف من أن صاحب الكبيرة مخلد في النار مع الكفار. وهو أصل باطل مصادم للنصوص كما لا يخفى، ومن أعظم الشفاعة لرسول الله عليه الصلاة والسلام شفاعته لأهل المحشر حين يعتذر أبو البشر وجميع أولي العزم من الرسل ويقول كل واحد منهم:(نفسي نفسي، إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب من قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي)، في ذلك الموقف الرهيب يتقدم أهل المحشر إلى سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام فيطلبون منه الشفاعة عند الله، فيقول عليه الصلاة السلام: (أنا لها فيسجد تحت عرش الرحمن سجدة طويلة يثني فيها على الله ثناء ويحمده حمداً كثيراً، ويفتح الله عليه من الثناء مالا يعلمه قبل ذلك) كما صح عنه عليه الصلاة والسلام في أحاديث الشفاعة، ثم يقال له: (يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه فيحد الله له حداً)، ويتكرر منه ذلك عدة مرات. وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام عند مسلم وأبي داود قوله: (أنا أول شافع وأول مشفع وأول من ينشق عنه القبر)[1].

وله ﷺ: أنواع من الشفاعات في الآخرة كما ذكرنا أن له أنواعاً من الشفاعات في الدنيا، ومعنى الشفاعة في كلتا الدارين لا يخرج عما ذكرنا من أنه طلب الدعاء ويلتقي معنى التوسل والشفاعة عند هذا المعنى بالذات كما اتضح مما تقدم"[2].

ومن شفاعاته ﷺ ما نبه عليه الشيخ أيضاً بقوله:"رسول الله ﷺ يشفع فيمن استحق النار ألا يدخل النار، ويُشفِّعه الله فيهم فيتحولوا إلى الجنة بعد أن استحقوا النار، ويشفع رسول الله ﷺ فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم لترجح حسناتهم على سيئاتهم، ويشفع رسول الله ﷺ بالنسبة لمن لم تنلهم الشفاعة قبل دخول النار؛ ليخرجوا من النار إلى الجنة، فهذه ست شفاعات لرسول الله ﷺ. راجع باب الشفاعة في الصحيحين لتضبط

---

(١) رواه مسلم (٤٨٤).

(٢) تصحيح المفاهيم ومناقشة الآراء صـــ٧٣.

هذه الأنواع من الشفاعات، والإيمان بها واجب، وتُطلب من مالكها وهو الله سبحانه وتعالى"[١].

إذا تقرر ما سبق من إثبات أنواع من الشفاعات لنبينا ﷺ ، فبعده يشفع كل مرسل، وكل عبدٍ صالح وولي، وهذا من جزيل فضل الله وكرم إنعامه، والمقصود إثبات تلكم الشفاعات يوم القيامة، جعلنا الله ممن ينالها بفضله ومنه وكرمه.

المطلب الرابع: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالحوض والحساب والميزان والصراط:

الحـــــــوض:

ومن الغيبيات التي أمرنا بالتصديق بها الحوض المورود المختص بنبينا ﷺ، كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة والإجماع. والأحاديث في هذا وصلت حد التواتر، قال الشيخ رحمه الله:"**وأحاديث الحوض متواترة رواها بضع وثلاثون صحابياً**[٢]. **وقد جاء في الحديث (إن لكل نبياً حوضاً)**[٣] "[٤]. وقد أثبت ذلك بعض أهل العلم كالقرطبي وغيره، ولكن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأجلها وأكثرها وارداً جعلنا الله ممن يرده.

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٩) و (أ).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٩ / ٤٦٦) ، شرح الطحاوية صـــ ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) رواه الترمذي عن سمرة رضي الله عنه برقم (٢٥٦٠) والطبراني في الكبير (٧ / ٢١٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٥٨٩).

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

وقد أخبر النبي ﷺ أنه فرط المؤمنين على الحوض، قال الشيخ رحمه الله:"**النبي ﷺ يبعث قبل الناس فيسبقهم إلى الحوض، وينتظرهم ويأتون وهو عند الحوض، وإذا طرد من طرد قال: إنه من أمتي فيقال له ما سمعتم**"[1].

وقد بين الشيخ مكان الحوض وصفته، وكونه مختصاً بالمؤمنين الذي ماتوا متبعين للنبي ﷺ غير مبدلين، قال رحمه الله:"**العَرَصة : المكان الواسع، اختلف أهل العلم في موضع الحوض: ذكر القرطبي في تذكرته[2]–لعل ذلك من باب الاجتهاد والاستنباط– أن الحوض يكون في أول عرصات القيامة قبل الحساب وقبل الميزان و قبل الصراط؛ لأنه إسعاف من رب العالمين للناس الذين قاموا من فورهم عطاشى. وهذا الحوض العظيم الذي (طوله شهر وعرضه شهر)[3]، هذا الحوض يزداد عظمة لوجود النبي ﷺ (أنا فرطكم على الحوض)[4]، فيسبقهم ﷺ على الحوض فيسقيهم من حوضه لكل من لم يغيّر ولم يبدل ولا عطش بعد ذلك مطلقاً (من شرب منه لا يظمأ بعده أبداً)[5]، هكذا يرحم الله عباده إلا من سبقت شقاوته فغيّر وبدل بعد النبي ﷺ هذا الدين، ولم يثبت على الصراط المستقيم. عندما يرد الناس الحوض فيريد النبي ﷺ أن يسقيهم جميعاً، تأتي الملائكة تختطف بعض الناس فتطردهم عن الحوض لئلا يشربوا، فيقول النبي ﷺ: (أصحابي أصحابي أمتي أمتي) فيقال له: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول النبي ﷺ:**

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٢٩) و (أ)

(٢) التذكرة صـــ ٣٣٨، وهذا الذي استظهره الشيخ راجع: تعليق الشيخ رحمه الله على شرح الطحاوية الشريط (٢٩) و (أ).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

(٤) رواه البخاري (٦٥٧٥) (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٥) رواه مسلم (٢٢٩٠).

(سحقاً سحقاً لمن بدل وغيّر)[1]**؛ لذلك الإنسان يطلب من ربه السلامة من الوقوع بالتغيير والتبديل، ويسأله الثبوت على الصراط المستقيم على هدي رسول الله ﷺ"**[2].

قال شارح الطحاوية:"والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر"[3] قال الشيخ معلقاً على ما سبق:"**أخذ الشارح هذه الأوصاف من الأحاديث الكثيرة وساقها بلفظه؛ لأنه يروي الأحاديث بالمعنى، هذه الأوصاف لا يستطيع الإنسان أن يقولها من عند نفسه، وإنما أوصاف وردت هكذا في الأحاديث الصحاح**"[4].

الحساب:

دلت النصوص الشرعية وإجماع المسلمين على إثبات الحساب قال عز وجل: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ وقد وضح الشيخ محمد أمان رحمه الله صفة الحساب فقال:"**الله سبحانه وتعالى ينفرد بكل عبد فيقرره بذنوبه حتى يعترف، ويعلم أنه هالك إن لم يأخذ الله بيده، فالله لا يسألهم سؤال استفهام، فالله عالم بكل شيء..المحاسبة تذكيرهم وإنباؤهم بما قدَّموه من خير وشرٍّ (أحصَاه الله ونسوه)؛ قال تعالى﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ والأعمال**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨٤) ومسلم (٢٢٩١).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

(٣) شرح الطحاوية صـــ٢٥١، وانظر: النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢٨/٢.

(٤) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٢٩) و (أ).

مكتوبة منشورة محفوظة، إنما يُسأل العبد لِم فعلت؟ لِم تركت؟ لا يُسأل هل فعلت؟ هل قصرت؟ هل صليت؟ لأنها كلها أحصاها الله وكتبها عليك"(١).

وعلى ذلك فالحساب شامل حتى للمؤمن؛ ولكنه يسمى بالنسبة للمؤمن العرض، وقد نبه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الفرق بين العرض والحساب فقال:"**الفرق بينهما إذا نوقش العبد ذاك هو الحساب، وعرض العمل دون مناقشة هو العرض**"(٢)، وهذا مصداق قوله ﷺ (إنما ذلك العرض)(٣).

وصفة محاسبته جل وعلا للمؤمن كما بين الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**الله يستره ويلطف به ويحاسبه فيما بينه وبينه، لا يسمعه أحد، ولا يطلع أحد، لا يطلع العباد على فضائحه وذنوبه، ويقرره بذنوبه فيسأله ألم تفعل كذا كذا، كل مؤمن على حده حتى إذا ظن أنه هلك؛ لكثرة ذنوبه يقول الله (سترها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)، هذا حديث لا يقال بالرأي ولكن بالسماع، ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا سمع هذا من رسول الله ﷺ كما تشهد لذلك نصوص أخرى . هكذا يثبت أمام الجميع فضل الله وعدله**"(٤)، يشير الشيخ إلى الحديث الذي أخرجه الشيخان: (إن الله يدني المؤمن فيضع كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي رب، حتى إذا قرره ذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك . قال: سترها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾)(٥).

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٢) و (أ).

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٧) ومسلم (٧٤٠٦).

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

(٥) رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨).

قال القرطبي:"قال العلماء:إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها"[1]. قال الشيخ رحمه الله تعليقا على كلام القرطبي رحمه الله :"**كلام القرطبي من باب الاستنتاج والاستنباط، ولا يقطع بهذا الكلام، ولكن ينبغي أن يقال:(لعل الأمر كذلك) أما القطع بأنه ينبغي أن يكون الوزن بعد المحاسبة؛ أي هذا الترتيب القطع بهذا الترتيب يحتاج إلى توقيف...والذي دلت عليه السنة ترتاح نفس المؤمن عندما يتحدث عن نص كتاب أو سنة، أما كلام أهل العلم خصوصاً في مثل هذه الأمور الغيبية ينبغي أن يتحفظ في القطع بما قالوا باجتهاداتهم رحمهم الله**"[2].

الميـزان:

ومن الغيبيات التي يؤمن بها أهل السنة والجماعة الإيمان بالموازين التي تنصب يوم القيامة؛ فتوزن فيها أعمال العباد قال سبحانه: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ وقال عز وجل: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ وقال جل في علاه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ .

(١) التذكرة صـ٣٥٩.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٢) و (ب).

والشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ يثبت ما دلت عليه النصوص من أن الميزان حقيقي له كفتان-و لم يثبت اللسان لعدم ورود الدليل[1]-؛ وأن الميزان يوزن فيه العامل والعمل والصحف قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:" **الكفتان ثابتتان أما اللسان، فلم أجد من أثبت اللسان للميزان بقدر ما بحثتُ، فهو حقيقي له كفتين أما اللسان فالله أعلم. ورد في السنة ما يدل على أن الأعمال نفسها توزن كما في الحديث الصحيح آخر صحيح البخاري (كلمتان خفيفتان على اللسان ..)[2]، وورد ما يدل على أن العامل نفسه يوزن كما في قصة ابن مسعود ﷺ (لما كان يجني سواكاً من أراك فوقع على الأرض من الريح لدقة ساقيه فضحك الصحابة ﷺ عليه، فقال النبي ﷺ: علامَ تضحكون؟! قالوا على دقة ساقيه، قال هما أثقل في الميزان من جبل أحد)[3]، وقال في رجل آخر (يؤتى برجل عظيم كثير الشحم ويوضع في الميزان ولا يزن جناح بعوضه)[4]، وهناك نص آخر يدل على الصحائف نفسها التي توزن كحديث (البطاقة والسجلات)[5]. لا تعارض**

(١) قال الحافظ في الفتح (٦٧١/١٣) :"قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وان الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال"ا.هـ

وقد أخرج البيهقي في شعبه (٤٤٧/١) بإسناد ضعيف عن ابن عباس موقوفاً قال: (يوزن فيه الحسنات والسيئات، في ميزان له لسان وكفتان). وممن أثبت أن للميزان لساناً أبو منصور معمر بن أحمد الأصبهاني في وصيته، انظر: الحجة في بيان المحجة ٢٥٠/١، والبغوي في تفسيره ٢١٤/٣، والبربهاري في شرح السنة صـ٦٨ من شرح النجمي، وابن القيم في النونية ٥٩٣/٢ من شرح ابن عيسى. وما أجمل كلام شارح الطحاوية صـ٤٧٥ حيث قال:"فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات"ا.هـ .

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) رواه أحمد (٧ / ٩٨-٩٩)، والطيالسي في مسنده (٣٥٥) والطبراني في الكبير (٨٤٥٢) وابن أبي شيبه (١١٣/١٢) وغيرهم، وحسنه الألباني إرواء الغليل (١/ ١٠٤).

(٤) رواه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

(٥) رواه أحمد (٢١٣/٢) والترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) وصححه ابن حبان (٢٥٢٤) والألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥).

بين هذه النصوص كلها يقع هذا وذاك والثالث ولا تعارض من النصوص هكذا يتم الميزان، وبالله التوفيق"(١).

وقد نبه الشيخ على عدم الالتفات إلى أقوال المنكرين لحقيقة الميزان؛ استنكاراً لوزن أعمال العباد التي تعتبر بالنسبة لهم أعراضاً!! فقال:"**على المؤمنين أن يؤمنوا بما صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام مع ما جاء في كتاب الله تعالى، ولا يحاولوا أن يقيسوا الأشياء التي يتحدث عنها النبي ﷺ في الآخرة بالمرئيات وموجودات الدنيا، موجودات الدنيا لها شأن وموجودات الآخرة لها شأن"**(٢).

الصراط:

ومن أمور الآخرة الغيبية التي يجب علينا الإيمان بها وأن نكل حقائقها إلى الله عز وجل، ولا نقيسها بالمشاهدات، ما يحصل بعد الموقف كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، قال الشيخ رحمه الله: "**بعد أن يريح الله العباد من الموقف بشفاعة نبينا محمد ﷺ الشفاعة العظمى ينتهي الناس إلى الظلمة التي دون الصراط، ولا أحد يعلم كيف تلك الظلمة وما عظمتها، كما قالت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: (هم في الظلمة دون الجسر)**(٣)**، هذه الظلمة هل هي قائمة بنفسها دون حاجة إلى ما تقوم عليه؟ أو هناك خلق من خلق الله تقوم عليه؟ الظلمة غيب لا يعلمه إلا الله. وكيف تسع تلك الظلمة الناس جميعا؟ كذلك من الأمور التي لا ينبغي التعمق فيها؛ لأن هذه كلها من الأمور الغيبية"**(٤). وفي هذا الموطن يفترق المنافقون عن المؤمنين، كما أخبر الله بقوله: ﴿ يَوْمَ

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٢) و (ب).

(٣) رواه مسلم (٤٢١).

(٤) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٢) و (ب).

﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ ثم يمضون إلى الصراط كل بقدر ما معه من النور.

والصراط كما قال الشيخ رحمه الله:هو"**الطريق الواسع إما حسياً: كالطرق التي تمشي بها الناس التي تبلع الناس لسعتها إذا شرعوا فيها، ويستعمل الصراط في الطريق المعنوي وهو: ما جاء به محمد ﷺ من دين الله. والصراط: الجسر الممدود على متن جهنم، وهو حق يجب الإيمان به وتصديقه سواء تصورنا وضعه أم لم نتصور، لا ريب فيه لورود خبر الصادق به، ومن الإيمان برسول الله ﷺ تصديق خبره، جاء أنه (أدق من الشعر وأحد من السيف)[1]، ليس لقائل أن يقول: إذا كان هذا وصفه، كيف تمشي عليه الناس؟ وكيف يمرون؟ وهذه من الأمور الغيبية، موجودات الآخرة تخالف موجودات الدنيا وإنما تتفق معها في الاسم فقط، صراط وصراط، لبن وخمر وماء؛ لذلك إذا أردتَ أن تؤكد إيمانك بالصراط بهذا الوصف تذكر ما وصف الله وما أعده للمؤمنين في الجنة، هناك أنهار من خمر، وهل تلك الخمر كهذه الخمر؟! وأنهار من عسل، لو جُمِعَ عسل الدنيا كله هل يكّون نهراً واحداً، إذن مادة العسل التي عندنا خلاف مادة العسل التي في الجنة، كذلك اللبن وكذلك الماء، كلها حقائق هذه المواد التي عندنا حقيقة وتلك حقيقة، ولكن الحقائق تختلف، كذلك وصف الصراط بما وُصِف به حق ولكن ليس بلازم أن يحيط علمك بكيفية تلك الأشياء**"[2]. وقد استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ على أن المراد بورود

---

(١) رواه مسلم (١٨٣).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

النار هو المرور على الصراط، وكما قال الشيخ رحمه الله:"**إن الورود لا يستلزم دخول النار، وأن النجاة لا تستلزم وقوع العذاب أو وقوع الشر**"(١).

ومما يجدر بيانه في هذا الموطن هو بيان موقف الشيخ رحمه الله من مكان الصراط هل هو قبل الحوض أو بعده؟ وقدسئل الشيخ رحمه الله هل الحوض بعد الصراط أم قبل الصراط؟ فأجاب: "**والله أعلم: هذه المسألة لم أجد فيها نصاً، لكن كثيرًا من أهل العلم يرون أول ما يرد عليه الناس عندما يبعثون من قبورهم؛ لأن الله جعل ذلك إسعافا لعباده عندما يبعثون وهم عطاش؛ هكذا يستنتج أهل العلم لترتيب تلك الأشياء التي في عرصات القيامة. أما الدليل** (النص) **لم أقف عليه والله أعلم**"(٢).

المطلب الخامس: جهوده في توضيح الإيمان بالجنة والنار:

إن مما يتعين الإيمان به والاجتهاد لأجله ما أعده الله لأوليائه وأعدائه؛ من النعيم والعذاب قال الشيخ رحمه الله:"**هذا أمر اتفقت عليه الكتب السماوية كون الإنسان يُحاسب وهناك ثواب وعقاب، وهناك داران الجنة والنار، وتفاصيل ما يجري في عرصات القيامة، وما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كل ذلك مذكور في الكتب المترلة من السماء كلها،...فالأديان كلها متفقة في أصول الدين وفي المطالب الإلهية وفي شؤون المعاد، إلا إن الله لحكمة منه جعل لكل أمة شِرعة ومنهاجاً تناسب حياهم وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم، وإلا فالكتب كلها متفقة على هذا الأصل**"(٣).

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٢) و (ب).

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٩) و (ب).

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٩) و (أ)

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان لا تفنيان، ونصوص الكتاب والسنة على ذلك كثيرة جداً، قال تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ وقال جل وعلا عن النار: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**من عقيدة أهل السنة والجماعة اعتقاد أن الجنة والنار قد خلقتا؛ فموجودتان الآن، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، خلق الدار ثم خلق الخلق ثم يسكنهم تلك الدار حكمة منه سبحانه..خلق للجنة والنار أهلاً، وقد علم سبحانه وتعالى في علمه السابق أهل الجنة الذين يصيرون إلى الجنة، وأهل النار الذين يصيرون إلى النار بعدله، المصير إلى الجنة بفضله، والمصير إلى النار بعدله سبحانه؛ إذ لا يظلم ربك أحداً..من علم في علمه السابق وكتب أنه من أهل النار لابد أن يصير إلى النار؛ عدلاً من الله سبحانه وتعالى لا ظلماً، وكل يعمل لما قد فرغ له، الأمر مفروغ منه ليس بأُنُف، معلوم مكتوب عند الله، وصائر إلى ما خلق له؛ ومَن خلق للجنة ييسر الله له أعمال أهل الجنة، ومات على أعمال أهل الجنة، وصار إلى الجنة، ومَن خلقه الله للنار خذله ولا يوفقه، فيعمل بعمل أهل النار وختم له ... فيصير الى النار (والخير والشر مقدران على العباد) قبل أن يخلقهم ومع ذلك إن العباد ليسوا بمجبورين؛ يفعلون الخير بإرادتهم**"(١).

ومن الفرق المنحرفة التي قالت بعدم وجود الجنة والنار الآن المعتزلة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عنهم:"**وضعوا لهم أصولاً وشريعة لأفعال الرب سبحانه وتعالى في زعمهم هم الذين يشرعون فيقولون يجب على الله تعالى أن يفعل كذا وكذا، ولا يجوز لله تعالى أن يفعل كذا وكذا، هذه شريعة وضعية وضعوها؛ ليتحكموا في أفعال الرب سبحانه وتعالى، هذا هو الأصل الذي حملهم على ذلك، وفي زعمهم لا ينبغي أن تكون الجنة**

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٢) و (ب).

والنار الآن موجودتان، بل يجب أن يكون خلقهما بعد البعث...قاسوا الرب سبحانه وتعالى على عباده في أفعال العباد فهم مشبهة في الأفعال"[1].

وقال أيضاً:"**لما تدخلوا في أفعال الرب سبحانه وتعالى بالاستحسان؛ يستحسن هذا ويستقبح هذا، يجوز هذا، ولا يجوز هذا، بعد أن شبهوا الله بخلقه وشبهوا أفعال الله بأفعال عباده، بعد ذلك تجرئوا على القول بأن خلق الجنة والنار قبل يوم البعث عبث هكذا!! (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)**[2] **فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة"**[3].

وكما أن الجنة والنار موجودتان فإنهما لا تفنيان، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ قال الشيخ رحمه الله :"**والقول الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمعت الأمة عليه، الأمة إلا ما كان من بعض الأقوال الشاذة، إن النار باقية كالجنة لا تفنى، وما نقل من بعض أهل العلم في فناء النار يخرج تخريجين: إما أنه غير صحيح ما نسب إلى بعض الصحابة وبعض التابعين وبعض الأئمة، نسبة غير صحيحة والكلام باطل. أو يحمل كلامهم على فناء نار عصاة الموحدين...فالنار باقية وأهل النار أي الكفار يبقون في النار إلى ما لا نهاية، كما أن أهل الجنة يبقون في الجنة بدون نهاية"**[4].

---

(١) المصدر السابق الشريط (٦٣) و (أ).

(٢) من حديث رواه البخاري (٥٧٦٩).

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٣) و (أ).

(٤) المصدر السابق الشريط (٦٤) و (أ).

وفي ختام هذا المطلب يحسن التنبيه على مسائل لها علاقة بهذا المبحث:

المسألة الأولى: هل تعتبر أعمال العبد الصالح ثمناً لدخول الجنة أم سبباً لدخولها؟

ومن المسائل التي ضلت فيها بعض الأفهام، واستشكلها بعض الأنام هذه المسألة، وقد وضحها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال:"**وأهل السنة يقولون إن الله إن عذب العاصي عذبه عدلاً، وإن أثاب المثيب أثابه فضلاً، وليست الطاعة ثمناً للجنة ولكنها سبب لدخول الجنة،** ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾ **الباء هنا باء السبب، وليست باء الثمن، وباء الثمن منفية ؛ لقوله ﷺ: (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله)[1] الباء هنا باء الثمن، لا تعارض بين الآية وبين الحديث، في الحديث لا تكون أعمال العباد ثمناً لدخول الجنة.**

فالله جعل أعمالنا أسباباً؛ لأن الله جعل لكل شيء سبباً، إذا دفع المشتري الثمن وجب على البائع دفع المثمن، وإن لم يفعل فهو ظالم، الله جعل أعمالنا سبباً لدخول الجنة ولنيل رضاه ولم يجعلها أثماناً، فأعمالنا لا تستحق أن تكون ثمناً للجنة؛ لأن أعمالنا أرخص وأضعف أن تكون ثمناً لسلعة الله، سلعة الله غالية؛ الجنة: الجنة التي فيها (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[2]، الجنة التي أعظم نعيمها النظر إلى وجه الله تعالى، كيف تكون أعمالنا أثماناً للجنة؟! هذه عقيدة أهل

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).

السنة حتى لا تعتقدوا بأنكم إذا عملتم كثيراً وصليتم كثيراً وتصدقتم كثيراً وصمتم كثيراً وقمتم كثيراً قد أوجبتم على الله أن يدخلكم الجنة"(١). وبالله التوفيق.

المسألة الثانية: هل الكافر ينتفع بعمله الصالح الذي قدمه في الدنيا؟

وهذه المسألة قد أجاب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عنها بقوله:"**والصحيح أن أعمال الكفار يجازون بها في الدنيا كسعة الرزق وكثرة الولد والتنعم بهذه الدنيا؛ لأن الدنيا جنتهم فهي (جنة الكفار وهي سجن المؤمن)**(٢)**، إذن يجازى عن هذه الأعمال في الدنيا لا في الآخرة ، وقيل يخفف عن الكفار العذاب، إما لكثرة أعمالهم التي عملوها في الدنيا وهي غير مقبولة، أو بشفاعة الشافعين وهذا يحتاج لدليل خاص، والدليل الذي نملكه حتى الآن في حق أبي طالب فقط بشفاعة النبي ﷺ ؛ لأن أبا طالب قيضه الله للنبي ﷺ فصار له مؤازراً في أول الإسلام ويدافع عنه ويستميت دونه؛ لذلك الله لم يضيع ذلك الكفاح والمؤازرة والدفاع عن الدعوة الحق ورسول الحق جازاه الله بالتخفيف ، وإن كان ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ ، أي الكفار بخروجهم من النار. أبو طالب كثير من الناس خاصة العاطفيين يزعمون إيمانه، ومن يدعي إيمان أبي طالب فهو مخطئ، لعله لم يبلغه هذا الحديث عندما سُئِل النبي ﷺ كان أبو طالب يدافع عنك هل نفعته بشيء؟ قال:(وجدته في قعر النار، فأخرجته في ضحضاح من النار يلبس نعلين يغلي دماغه منهما، وهو يحسب نفسه من أشد أهل النار عذاباً وهو من أخف أهل النار عذاباً)**(٣) "(٤).

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (ب).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦).

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩).

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٨) و (أ).

وبهذا يتم هذا المبحث الحمد لله على كل حال.

المبحث الخامس
جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالقضاء والقدر

تمهيد

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد وتوحيده إلا به قال ابن عباس ﷺ: (القدر نظام التوحيد؛ فمن وحَّد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده)[1]، فالإيمان بالقدر له مكانة عظمى وأهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع؛ فارتباطه وثيقاً بالإيمان بالله تعالى؛ وذلك أن القدر من جهة أنه فعل الرب تبارك وتعالى فتعلقه بتوحيد الربوبية ظاهر، وكونه مبنياً على معرفة أسماء الله تعالى وصفاته الكاملة من العلم والقدرة والإرادة والخلق فكان تعلقه بتوحيد الأسماء والصفات كذلك، ولما كانت المعرفة بذلك توجب صدق الاعتماد على الله عز وجل، وتوجب طمأنينة القلب والرضا والتسليم لأمر الله وحكمه؛ صار كل ما يصدر من جهة العبد من الآثار المترتبة على ذلك تعلقها بتوحيد الألوهية في غاية الوضوح؛ فإن ما يقوم بالقلب من الإيمان واليقين والانقياد كل ذلك يبعث على إفراد العبادة وإخلاص الدين لله رب العالمين.

ومما يدل على أهمية الإيمان بهذا الركن العظيم ما له من بالغ الأثر على حياة الفرد وسلوكه، قال الشيخ رحمه الله: "**مما لا يختلف فيه اثنان أن الإيمان بالقضاء والقدر جانب مهم من جوانب العقيدة الإسلامية، ولهذا الإيمان أثره الواضح في سلوك المرء وتصرفاته وفي موقفه من الوقائع والأحداث التي تفاجئ الإنسان في هذه الحياة، ويجب أن يقوم هذا الإيمان على المعنى الصحيح للقضاء والقدر، ولا يوجد ذلك المعنى الصحيح إلا في الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولا يجوز بوجه من الوجوه الاستعاضة عن هذا المصدر ولا إشراك غيره معه كمصدر أصيل**"[2]. وإذا آمن العبد بالقدر فإن إيمانه يعينه على بذل الأسباب؛ وذلك من أجل ثمرات الإيمان بالقدر

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦٨٩/٤ (١١١٢).

(٢) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٧٢.

التي تثمر صدق التوكل، قال الشيخ رحمه الله بعد أن ذكر جملة من اعتماد النبي ﷺ وأخذه بالأسباب:"**هذا هو المفهوم الصحيح للتوكل، وهو ثمرة من ثمرات الإيمان الصحيح بالقدر**"(١).

وقد تناول الشيخ محمد أمان رحمه الله مسائل القدر تقريراً وتوضيحاً وشرحاً وتفنيداً لأقوال المخالفين في هذا الباب العظيم، وسأوجز جهود الشيخ رحمه الله في المطالب التالية:

المطلب الأول: جهوده في توضيح القدر ومراتبه:

قال ابن فارس(٢) رحمه الله:"القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغ كل شيء. يقال: قدره كذا، أي مبلغه. وكذلك القدر..والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضا"(٣).

وأما في الشرع فالقدر هو تقدير الله الأشياء في القدم، وعلمه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها(٤). وهذا تعريف للقدر ببيان مراتبه الأربع كما سيأتي توضيحها من خلال كلام الشيخ رحمه الله.

وقد بين الشيخ رحمه الله الاختلاف في معنى القضاء والقدر وأيهما أسبق فقال:"**يختلف أهل العلم أيهما أسبق القدر أم القضاء؟ الذي عليه الأكثر القدر هو**

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني، الإمام اللغوي، له مؤلفات منها: معجم مقاييس اللغة، مجمل اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: السير ١٠٣/١٧، شذرات الذهب ١٣٢/٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥.

(٤) انظر: شرح السنة ١٤٢/١.

الأسبق، القدر هو التقدير، إن كان القدر من الفعل قَدَرَ فهو المصدر ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ ، وإن كان القدر من قدَّر تقديراً فهو اسم مصدر، هذا التقدير يُشبهه بعض الناس من باب التقريب – لله المثل الأعلى – بعمل الخياط الذي يُقدر القماش قبل أن يفصل فيقطع، يقدر تقديراً طوله وسعته ثم بعد ذلك يقطع فيفصل، هذا التقطيع والتفصيل هو القضاء، هكذا يقرب بعضهم، وبعضهم يعكس، على كل الذي يهمنا أن الله علم كل شيء كان وسيكون قبل أن يخلق هذا الكون، علم ثم كتب"(١).

والذي يميل إليه الشيخ تجاه هذا الاختلاف هو ما حكاه بقوله: "**والذي تطمئن إليه النفس وتؤيده الأدلة، هو قول أبي حاتم الرازي(٢) وغيره من بعض أهل العلم؛ وخلاصته: أن القدر هو التقدير، وأن القضاء هو التفصيل، ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم على ما ذهب إليه قوله تعالى:﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ ، معناه: الفراغ، وقوله تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي فرغ منها، والقضاء والقدر بمنزلة الثوب الذي يقدره الخياط، فهو قبل أن يفصله يقدره ويزيد وينقص، ويوسع ويضيق، وإذا فصله فقد قضاه وفاته، ولا يمكنه أن يزيد أو ينقص وذلك مثل القضاء والقدر، والله أعلم، وهناك تعريفات أخرى، وقد يعكس بعضهم فيقدم القضاء على القدر، والله أعلم.**

وسواء كان هذا أو ذاك فإن الله تعالى سبق علمه بكل مخلوق وكتب مقاديره وأوجده وفق ما قدره له، وشاء ما يصدر عنه بعد وجوده من خير أو شر، ولا يخرج

---

(١) التعليق على شرح الوا سطية الشريط (٢٩) و (ب).

(٢) هو أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، محدث من أئمة السلف، من مؤلفاته: الضعفاء والمتروكون، توفي سنة ٢٧٧هـ. انظر: السير ٩٢/١٦، تذكرة الحفاظ ٥٦٧/٢.

عن ذلك شيء لا أفعال الإنسان ولا غيرها، وكذلك ما يصيب الإنسان من الحوادث والكوارث"[1].

وعلى كل فالاختلاف فيما سبق بحث يقبل الاجتهاد؛ لأنه بحث في معرفة معاني هذه الألفاظ[2]، والذي يظهر أن بينهما عموم وخصوص، فإذا أطلق القضاء مفرداً شمله القدر وكذا العكس، وأما إذا اجتمعا فالقدر سابق والقضاء لاحق[3].

مراتب القدر:

قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ: "**الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول الدين، ومن أركان الإيمان، إذاً يجب أن نعرف ما معنى الإيمان بالقضاء والقدر؟ أن يؤمن العبد بأن الله علم كل شيء كان وسيكون، ولا يقع في مملكته إلا ما علم، وذلك الذي علمه كتبه عنده في اللوح المحفوظ، إذن كل شيء عند الله معلوم ومكتوب، كل ما يقع في هذا الكون من إيمان وكفر وطاعة ومعصية وبلاء ونعمة ومرض وصحة وفقر وغنى، كل ما يقع في هذا الكون علمه الله وكتبه عنده، هاتان مرتبتان (العلم والكتابة). ثم لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ليس هناك أحد يُكرهه ويكلفه؛ ليفعل بل يقع كل شيء بمشيئته العامة، الذي يقع بمشيئته العامة يشمل الخير والشر، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ثم فعل ذلك وخلق على ما علم وكتب وقدر، هذه هي المراتب بمعنى: أن الأمور ليست مستأنفة من جديد وليس كما يزعم من يزعم من الفلاسفة بأن الله لا يعلم الأمور إلا بعد وجودها، افتراء على الله، من الذي أوجدها ؟ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ علم وكتب وقضى وشاء وخلق وأوجد"**[4].

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) راجع: شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

(٣) انظر: الدرر السنية ٥١٢/١-٥١٣، فتاوى ابن عثيمين ٥٢/١، ٦٢.

(٤) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

وقال أيضاً:"**ومراتب القدر أربعة: المرتبة الأولى: العلم السابق لجميع المخلوقات، عَلِمَ الله أزلاً فيما مضى من غير ابتداء – بأن الله هو الأول الذي ليس قبله شيء – عَلِمَ كل ما سيكون من خير وشر ونعمة ونقمة وصحة ومرض وفقر وغنى وكفر وإيمان وطاعة ومعصية. ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وهذه المرتبة الثانية من مراتب القدر. ثم شاء الله بمشيئته العامة وقوع ذلك، أن تقع هذه الأشياء كما علم وكتب فهذه المرتبة الثالثة. أما المرتبة الربعة : الإيجاد والخلق على ما عَلِمَ وكتب وشاء ، خلق وقدَّر وأوجد**"[(١)].

والأدلة على هذه المراتب الأربع أشهَر من أن تذكر، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

وعن عبد الله بن عمرو ب عن النبي ﷺ أنه قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء)[(٢)]. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على الحديث:"**الأمر مفروغ منه ليس بأنف ليس بمستأنف، ولما سمع الصحابة هذا النص وأمثاله قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على الكتاب؟ فيم العمل؟ طالما الأمور كلها معلومة ومكتوبة ومقدرة فيم العمل؟ أفلا نتكل على كتابنا؟ قال لهم (لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[(٣)]، أنت لا تدري ما سبق في علم الله وما الذي كتب لك، لا تعلم ولكن السعيد يعرف؛ بأن يعرف أعمال أهل السعادة فيعملها، فيختم له بأعمال أهل السعادة؛ لذلك الإنسان في أول حياته لا يدري عن مستقبله، قد يعيش المرء في أول حياته يعمل بأعمال أهل الجنة، ولكن قد سبق عليه الكتاب، فينقلب وينتكس،**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٩) و (ب).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) رواه مسلم (٢٦٤٧).

والعكس حاصل، إذن لا معنى للاعتماد؛ لأنك لا تعلم، ولكن تسأل ربك التوفيق، الدعاء مطلوب، مع ذلك كله لابد من الدعاء؛ لأن الله هو الذي يوفق ويجعلك سعيدا؛ لتعمل بأعمال أهل السعادة ويختم لك بذلك، وهو الذي إن شاء يخذل من يشاء ويوفق من يشاء، لا يسأل عما يفعل، لا تعترض على الله، سلم لتسلم"[١].

إذا علم أن ما شاء الله كان ووقع؛ فليعلم أن ما لم يقع إنما كان عدم وقوعه؛ لعدم مشيئته، لا لعدم قدرته سبحانه عليه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ وتوضيحاً لما سبق يقول الشيخ ﷫:"**قدرة الله لا تتعلق بالمستحيلات، أما الله فهو على كل شيء قدير. إن حققنا المسألة على أسلوب أهل الكلام لفظة (شيء) لا تُطلق على المستحيل والله على كل شيء قدير، المعدوم والمستحيل ليس بشيء، أي إن قدرة الله لا تتعلق بذلك؛ لأن الله عليم حكيم لا يليق بالله أن تتعلق قدرته بتلك المستحيلات فيُوجدها، لا لأنه عاجز عن إيجادها، فنثبت لله القدرة وننفي عنه سبحانه ما لا يليق به، وأنه لا يفعل ذلك؛ لأنها من الأمور التي لا تليق بالله تعالى، وهي المعروفة عند علماء الكلام بالمستحيلات.**

إذن قدرة الله لا تتعلق بالمستحيلات ولا تتعلق بالواجبات؛ ولكن تتعلق بالممكنات فقط أو الجائزات فقط، أما الواجبات لا تتعلق بها القدرة؛ لأن الواجب لا يُوصف بالإيجاد والإعدام، فذات الله وصفاته القديمة لا تُوصف بالإيجاد ولا بالإعدام، إذن قدرة الله لا تتعلق بالواجبات؛ لا تتعلق بذات الله وبأسمائه وصفاته؛ لأنها ليست بمخلوقة. وإنما تتعلق بالممكنات والجائزات، ما لا يقبل ولا يخضع للإيجاد والإعدام كالواجبات لا تتعلق بها القدرة، ما لا يقبل الإيجاد لكونه مستحيلاً لا تتعلق به القدرة.. فكل ذلك واقع بمشيئته وقدرته الإيمان والطاعة والمعاصي والكفر ووجود إبليس والكفار والمنافقون، كل هؤلاء إنما وُجِدوا بمشيئة الله وقدرته، لا يقع في ملكه ما لا يشاء، من هنا غلطت بعض الطوائف التي تقول إن الله لا يخلق شراً، الله ﷻ

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

يخلق شراً وخيراً، الإيمان والكفر والمعاصي والطاعة والنفوس الطيبة كجبرائيل عليه السلام، والنفوس الشريرة كإبليس، كل ذلك إنما وجدوا بمشيئة الله وقدرته، وليس بلازم أن تُدرك ما الحكمة في خلق إبليس وفي خلق الكفر والمعاصي؛ لكن لو أدركتَ ازدادت إيماناً على إيمان. لولا الكفر والكافرون بم تجاهدون حتى تنالوا درجة الشهادة في سبيل الله، هل تقع الشهادة في سبيل الله لو لم يوجد الكفر والكافرين؟ ولو لم يخلق الله إبليس بم تجاهد نفسك الأمارة بالسوء؟ وبم تجاهد الشيطان؟ وبم تجاهد الكفار فيحصل لك أجرٌ عظيم مقابل هذا الجهاد كله؟ لولا وقوع العباد في المعاصي من أين للعباد عبودية التوبة؟ وهي من أعظم العبوديات؛ لأن الله يحب التوابين (كلمة التوابين صيغة مبالغة) الذين يُكثرون من التوبة ، كلما وقعوا وهفوا تابوا ، كلما عصوا تابوا الله يحب التوابين، لله حكمة في كل ما يفعل"[(١)].

وسيأتي مزيد بسط لبعض المسائل المتعلقة بمنشأ الخلط عند المخالفين -مما أدى إلى انحرافهم في هذا الباب- في المطلب الرابع من هذا المبحث إن شاء الله.

الإيمان بالقدر والشرع:

ومن تمام إيمان المكلف بمراتب القدر الأربع أن يوقن بما قدره الله على عباده، فلا يعارِض بين ما أمرهم الله به ونهاهم عنه؛ فمترِّل الأوامر هو المقدر لوقوع الأمور وعدم وقوعها ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

قال الشيخ رحمه الله: **"إذا علمت هذه المقادير ومراتب القدر؛ يجب أن تؤمن بأن الله تعالى أمر بعبادته وحده لا شريك له، أمر الجميع وأحب من الجميع ورضي من الجميع"**[(٢)]. فـ**"يجب الإيمان بالقدر ويجب الإيمان بالشرع، بحيث لا يعارض القدر**

(١) التعليق على شرح الوا سطية الشريط (١٣) و (ب).

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

بالشرع، ولا الشرع بالقدر، الشرع: ما شرعه الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله وأنزل به كتبه وأمر العباد بالتزام هذا الشرع من الأوامر والنواهي هذا هو الشرع. وهناك قدر: هذا القدر يجب على العباد أن يؤمنوا بالقضاء والقدر معاً، ولكن إيمانا إجماليا لا تفصيليا، إيماناً لا خوض فيه؛ لأن للقدر سرا وذلك السر لا يبحث عنه، يجب أن يقف علم العباد ومعرفتهم دون سر القدر"[1].

وقال أيضاً: "**الإيمان بخلق الله وأمره وأن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي له الخلق والأمر، خالق كل شيء، وله الأمر كله، نؤمن بأمر الله الكوني وأمره الشرعي، وأمره الكوني قريب من الإرادة الكونية، والإيمان بقضائه وشرعه، الإيمان بقضائه وقدره وشرعه، وأن لا يعارض القضاء والقدر بالشرع، ولا تنصب الخصومة بين الشرع وبين القضاء والقدر، هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة سابقا ولاحقاً**"[2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً مذاهب الفرق الضالة في باب القدر من هذه الناحية:"وأهل الضلال الخائضون فى القدر انقسموا الى ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وابليسية"[3] قال الشيخ معلقاً على ذلك:"**هذه الألقاب استنتجها شيخ الإسلام من نصوص الكتاب والسنة وليست ألقاباً معروفة متداولة، إلا أن القدرية ورد أنهم مجوس هذه الأمة، لكن تقسيمهم إلى مشركية وإبليسية استنتاج دقيق من شيخ الإسلام كما سيأتي عند ذكرهم بالتفصيل**"[4].

(فالمجوسية) أي الذين يشبهون بالمجوس، وهم قسمان: غلاة، ومقتصدة.

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

(٢) المصدر السابق الشريط (٢٨) و (أ).

(٣) التدمرية صـ٢٠٧.

(٤) شرح التدمرية الشريط (٢٧) و (ب).

فغلاتهم: أنكروا العلم والكتاب، وهذا الأساس في باب القضاء والقدر؛ أي في مراتب القدر الأساس الإيمان بعلم الله السابق المحيط بكل شيء، وكتابه السابق، وأنه كتب عنده في كتابه كل شيء، أنكروا هذا العلم وهذا الكتاب، هؤلاء الغلاة.

ومقتصدهم: أنكروا عموم مشيئة الله تعالى وخلقه وقدرته؛ أي لم ينكروا العلم والكتاب، لكنهم أنكروا عموم مشيئة الله تعالى، وأن الله شاء كل شيء، منهم من يقول إنما يشاء الخير فقط والشر لا يشاؤه ولا يخلقه، وأنكروا الخلق؛ لأنهم جعلوا العباد خالِقين لأفعالهم الاختيارية، وأنكروا قدرته حيث زعموا بأن الله سبحانه وتعالى لا يقدر على ما فعله العبد وما يخلقه العبد، وهذه الأفعال لا تدخل في ذلك ضمن قدرة الله تعالى، بل ينفرد العبد بخلق ذلك، وإنما يختلفون: هل الله قادر على خلق أمثال تلك الأفعال التي خلقها العباد؟! هكذا أنكروا قدرة الله، وهؤلاء إنكارهم للخلق والقدرة واضح؛ لأن إثباتهم لخالِقين بلا حساب هم أسوأ حالا من المجوس الذين أثبتوا خالقَين اثنين.

والفرقة الثانية من فرق القدرية: القدرية المشركية الذين أقروا بالقضاء والقدر وأنكروا الأمر والنهي، قال الله تعالى في وصفهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾ إنما إشراكنا بمشيئة الله تعالى، الله هو الذي شاء ﴿ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ ﴾ احتجاج بالقدر، وجه الإنكار عليهم احتجاجهم بالقدر، هم يثبتون القضاء والقدر، إثبات القضاء والقدر ليس معنى ذلك أن يحتج الإنسان بالقدر فيما يفعل من المعاصي من الإشراك والتحريم وارتكاب المعاصي، وهذا وجه الذم في الآية.

الاحتجاج بالقدر ضلال إذا كان الغرض منه الاستمرار والاصرار على المعصية وعلى المخالفة، ولكنهم يختلفون في الاحتجاج بالقدر بعد التوبة، لو ارتكب الإنسان معصية ما، كأن كان مشركا ثم آمن، كما هو شأن كثير من الصحابة؛ كانوا في الشرك، وكأن ارتكب الإنسان كبيرة ما، ثم تاب فعاتبه إنسان: أنت في الأصل كنت كذا كنت مشركا كنت مرتكبا للخطيئة الفلانية، في هذه الحالة يرى بعض أهل العلم للإنسان أن

يحتج بالقدر يستدلون على ذلك بحديث (وحج آدم موسى)[1]، أي كأن يقول كيف تلومني وتعاتبني على شيء قدره الله علي قبل أن يخلقني ثم تبت، هنا الفرق بينهما: هذا الاحتجاج ليس للإصرار على المعصية، ولكن إقراراً بالقدر؛ لأن ذلك وقع بقضاء الله تعالى وقدره ولكن الله وفقه فتاب كما تاب آدم، بعضهم يقول المحاجة بين آدم وموسى ليس فيما وقع من الخروج؛ لأنه قال له: (أنت الذي أخرجتنا من الجنة) أي بفعلك ما فعلت وحاجه، قالوا الاحتجاج ليس على المعصية ولكن على مجرد الخروج.

والمقصود أن كل من يحتج على تعطيل الأمر والنهي يخالف الأمر ويحتج بالقدر يقع في المنهي عنه ويحتج بالقدر، فهو من هؤلاء المشركية.

والفرقة الثالثة الابليسية: وهم الذين أقروا بالامرين؛ بالقضاء والقدر والأمر والنهي، لكن جعلوا هذا تناقضا، بعد أن أقروا. اعتبروا الشرع: الأمر والنهي، والقضاء والقدر تناقض، تناقض من الرب سبحانه وتعالى!! جرأة متناهية في الجرأة! وطعنوا فى حكمته وعدله؛ لم يؤمنوا بحكمة الله تعالى؛ بأن الله لا يخلق خلقا إلا لحكمة ولا يشرِّع تشريعا إلا لحكمة، لا يأمر بأمر ولا ينهى عن أمر إلا لحكمة، لم يؤمنوا بحكمة الله تعالى وعدله، وأن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، بل العباد يدورون بين فضله وعدله، إن أنعم عليهم في الدنيا وفي الآخرة ذلك فضل منه سبحانه وتعالى"[2].

وبذلك يتضح أن مذهب أهل الحق أنهم"**لا يعارضون قدر الله تعالى بشرعه، لا يخوضون في تفاصيل القدر يكتفون في باب الإيمان بالقدر بقولهم كما في السنة (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) ويكتفون بقولهم: بأن ما أصاب العبد في علم الله لا يخطئه أبدًا، وما أخطأه في علم الله لا يصيبه أبداً، هذا القدر كافٍ في باب الإيمان بالقضاء والقدر؛ لأن باب الإيمان بالقضاء والقدر ليس باباً خاصاً لطلاب العلم، الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان يجب على كل مسلم ومسلمة، على العامي والمتعلم على العربي والعجمي؛ لذلك سهل ميسور جداً الإيمان بالقضاء**

(١) رواه البخاري (٣٤٠٩) ومسلم (٤٧٩٣).

(٢) راجع: شرح التدمرية الشريط (٢٧) و (ب) بتصرف يسير.

والقدر، مَن آمن أن ما شاء الله كان، (كان) هنا تامة، ما شاء الله وقع وحصل ولا بد أن يوجد، وما لم يشأ لا يوجد كفى، وآمن العبد أن ما أصابه في علم الله لا يخطئه، وما أخطأه في علم الله لا يصيبه، لا يصعب معرفة هذا المقدار على أي أحد، هذا هو معنى الإيمان بالقضاء والقدر، أما الخوض في تفاصيل القضاء والقدر، ومحاولة إدراك سر القدر هذه مزلة القدم ينبغي أن يبتعد الإنسان"(1).

وهذا الكلام النفيس هو الذي يجر إلى المطلب الآتي:

المطلب الثاني: جهوده في النهي عن الخوض في القدر:

إذا تقرر ما سبق من وجوب الإيمان بالقدر ومراتبه وفق منهج أهل السنة والجماعة، فينبغي أن يعلم أن السلف الصالح نهوا عن الخوض فيما خفي علينا علمه، وضرب النصوص الشرعية بعضها ببعض، وعدوا ذلك من التنطع والتعمق، وهو ذريعة للخذلان وسلم الحرمان، لاسيما إذا كان من باب التنازع والتخاصم وتحكيم الأهواء والمقاييس، وقد تكاثرت النصوص عن السلف في النهي عن الخوض في القدر، وأن الواجب الإمساك عن الكلام والجدل حوله، وهم لم ينهوا عن ما ورد في الكتاب والسنة من علم القدر، وإنما أنكروا المسائل المحدثة عند الفرق في ذلك، وأجازوا الرد عليهم باصطلاحاتهم من باب الضرورة وإقامة الحجة.

وسار الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ على دربهم، فأكثر من تحذير المسلمين في الخوض في ما خفي علينا علمه من أسرار القدر، ومن كان له أدنى تأمل في شروح الشيخ ومحاضراته وكتاباته لمس منه ذلك. قال رَحِمَهُ اللَّهُ:"**الإيمان بالقدر خيره وشره: بمعنى أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (ما أصابك في علم الله لايخطؤك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)، هذا المقدار يكفي في باب الإيمان**

(1) شرح التدمرية الشريط (٢٧) و (ب).

بالقدر دون الخوض؛ لأن هذا الباب بابٌ خطير والبحث عن أسرار القضاء والقدر يعتبر سراً من أسرار الله؛ لذلك يقول علي بن أبي طالب ﷺ: (القدر سر الله فلا نكشفه)[(١)]، أي ليس لك أن تسأل لم فعل الرب سبحانه وتعالى هكذا؟ لم خلق؟ ولم أحيى؟ ولم أمات؟ ولم جاعلٌ زيداً غنياً وعمراً فقيراً؟ ولم أمرض فلاناً ؟ ولم ولم ؟ هذا خوض في سر من أسرار الله، سرٌ لا يدرك، لا يسأل عما يفعل، كما أنه لا يجوز في باب الأسماء والصفات أن تسأل بكيف هو؟ وكيف سمعه؟ وكيف بصره؟ وكيف استواؤه؟ وكيف مجيئه؟ وغير ها، لا يجوز في باب القضاء والقدر، لا يجوز السؤال بلم؟ انتبه لهذا؛ لأن هذا مزلة الأقدام يكفي للعامة والخاصة أن يؤمنوا؛ لأنه لا يقع في ملكه إلا ما شاء، وأن الله قد علم كل شيء فكتبه، كل المقادير معلومة ومكتوبة، ثم قضى الله سبحانه وتعالى قضاءه على ما علم وكتب، وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي[(٢)] رحمه الله لما سئل عن القدر:

ما شئت كان وإن لم أشـــأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكـــن
خلقت العباد على ما علمـــت ... ففي العلم يجري الفتى والمســن
فمنهم شقي ومنهم سعيـــــد ... ومنهم قبيح ومنهم حســـــن
على ذا مننـــــت وهذا خذلت ... وهذا أعنـــــت وذا لم تــعــن"[(٣)]

---

(١) لم أقف عليه بسند متصل إلى علي رضي الله عنه وقد روي مرفوعا عن ابن عمر رضي الله عنهما في الحلية لأبي نعيم بلفظ: (لا تكلموا في القدر فإنه سر الله، فلا تفشوا لله سره) وضعفه الألباني ضعيف الجامع (٤١٣١).

(٢) رواها البيهقي في الاعتقاد صـــ١٧٤ وفي الأسماء والصفات ٤٥٠/١، وفي مناقب الشافعي ٤١٢/١، وذكرها الحافظ بن كثير في البداية النهاية ٢٥٤/٩ في ترجمة الشافعي.

(٣) شرح الأصول الثلاثة صــ ٩٢.

فيتعين على العبد أن يؤمن بجميع مراتب القدر، وأن أفعال الله مبنية على الحكم والأسرار التي قد لا يدركها البشر، قال الشيخ رحمه الله:"**لا يجوز السؤال عن أسرار قدره وقضائه بـــ(ماذا) أو بـــ(لم) فلا يجوز للمؤمن أن يقول: لم خلق الله هذا؟ ولم أعطى فلاناً ومنع فلاناً مثلاً؟ بل يجب الإيمان بأنه سبحانه لا يخلق ولا يرزق ولا يعطي ولا يمنع ولا يحيي ولا يميت إلا لحكمة، وليس ذلك لمجرد تعلق الإرادة بالمفعول كما يزعم بعض أهل الكلام**"(١)، "**ولكن الحكمة الدقيقة لا يعلمها إلا الله، ما أدركنا الحكمة ازددنا بإدراك الحكمة الإيمان، وما خفي علينا سلمنا الأمر لله، عِلمُنا القليل الضعيف المُحدَث لا يحيط بجميع المعلومات، والذي عِلمُه يحيط بجميع المعلومات هو علم الله وحده سبحانه:**

وللعقول حدود لا تجاوزها والعجز عن الإدراك إدراك"(٢).

المطلب الثالث: جهوده في توضيح مسألة أفعال العباد:

إن هذه المسألة من أشد المسائل التي وقع فيها الخلط والخبط عند أهل الأهواء؛ حيث لم يوفقوا في الجمع بين النصوص(٣)، ومسألة الأفعال في هذا الباب كما قال الشيخ محمد أمان رحمه الله تضاف إضافتين:"**الأفعال تضاف إضافتين، تضاف إلى الله وتضاف إلى العباد، تضاف إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؛ لأن الله هو خالق هذه الأفعال، وتضاف إلى العباد من باب إضافة المُسبَب؛ لأن العبد هو السبب في وقوع هذه الأفعال؛ لذلك يقال باب أفعال العباد، ويقال باب أفعال الله. الأفعال التي يقوم**

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٤٦.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٩) و (ب).

(٣) وراجع: تعليق الشيخ على شرح الطحاوية الشريط (٦٥).

بها العباد هي أفعالهم كسب لهم، وفي الوقت نفسه هي خلق لله كما أنهم هم أنفسهم مخلوقون لله أفعالهم كذلك"[1].

ومنهج أهل السنة في هذا الباب كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**عقيدتهم في هذا الباب: إن العبد يفعل بإرادته وباختياره وبقدرته، له قدرة وله إرادة وله اختيار يفعل ما يفعل باختياره وبقدرته وبإرادته ويترك ما يترك بإرادته وباختياره ليس مجبورا على العمل وليس مجبورا على فعل الخير، وليس مجبورا على فعل الشر، الله سبحانه وتعالى خلقنا وأرسل إلينا رسوله عليه الصلاة والسلام وهدانا النجدين وخلق لنا القدرة والإرادة والاختيار، أمرنا ونهانا ولم يأمرنا ولم ينهنا إلا بعد أن خلق فينا القدرة والإرادة والاختيار ولسنا بمجانين، كل ما يفعله الإنسان من خير وشر إنما ذلك باختياره وإرادته وقدرته؛ لذلك يثاب على فعل الخير ويعاقب ويؤاخذ على فعل الشر**"[2]

ويؤكد الشيخ هذا المنهج السديد، وأنهم وسط فيه فيقول:"**والعبد بجملته مخلوق جسمه وروحه وصفاته وأفعاله وأحواله فهو مخلوق، خُلِق على نشأة وصفة يتمكن بها من إحداث إرادته وأفعاله بتلك النشأة، بمشيئة الله وقدرته وتكوينه، فهو الذي خلقه وكوّنه كذلك، فتقع حركته بقدرة العبد المخلوقة، وإرادته التي جعلها الله فيه، فالله سبحانه إذا أراد فعل العبد خلق له القدرة والداعي إلى فعله، فيضاف الفعل إلى قدرة العبد إضافة المسبب إلى سببه، ويضاف إلى الله إضافة المخلوق إلى الخالق، فالمقدور واقع بقدرة العبد الحادثة وقوع المسبب بسببه، والسبب والمسبب والفاعل والآلة أثر قدرة الله تعالى، فلا نعطل قدرة الله عن شمولها وكمالها وتناولها لكل ممكن، وليس في الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الله وقدرته، ولا نعطل قدرة العبد التي خلقها له وجعلها صالحة لمباشرة الأفعال. هذه طريقة أهل السنة والجماعة في هذا**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (أ).

(٢) محاضرة للشيخ بعنوان: (العقيدة أولاً) آخر شريط فقد العلماء.

الباب، وهي التي كان عليها سلف هذه الأمة وهي وسط بين طريقة الجبرية والقدرية"[(١)].

وقد عرض الشيخ مجموعتين من الأدلة تدل على ما ذهب إليه أهل الحق، وتبين توفيق الله لهم في الجمع بين تلك الأدلة فقال:" **المجموعة الأولى من الآيات المشار إليها:**

أ – ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ، ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ ، ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ ، ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ ، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ **. هذه المجموعة وما في معناها من نصوص الكتاب والسنة تفيد أن أفعال الإنسان تقع بإرادته ومشيئته واختياره. ومما يؤيد هذا المعنى أن المجنون لا يسأل عن أفعاله بإجماع؛ لأنها لم تقع منه بإرادته أو بإرادة معتبرة.**

ب – المجموعة الثانية: ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ ، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ ، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

تفيد هذه المجموعة وما شاكلها من نصوص الوحي أن الإنسان وإن كان فاعلاً لأفعاله حقيقة لا مجازاً، وله إرادة ومشيئة، ولكن إرادته ومشيئته مخلوقتان لله، وهما سببان فقط لإيجاد فعل الإنسان، والله خلق السبب والمسبب معاً، وكون الإنسان يفعل بإرادته، لا يخرج فعله من عموم مخلوقات الله، فالسفينة يصنعها الإنسان بيده، ولكن الله خالقه وخالق يده وإرادته، وكذلك البيوت والجلود المذكورات في المجموعة الثانية والله ولي التوفيق.

هكذا تتفق الآيات التي ظاهرها التعارض، ولا تعارض في واقع الأمر إذ دلت المجموعة الأولى أن للإنسان تدخلاً في أعماله، بحيث يثاب على الحسنة ويعاقب على

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٢-٢٧٣.

السيئة، فتضاف إليه أعمال حقيقة. ودلت المجموعة الثانية أن الإنسان وأعماله مخلوقات لله تعالى وهو الخالق وحده سبحانه"[١].

وقد تفرق الناس في هذه المسألة إلى **ثلاث فرق، طرفين ووسط:**

قال الشيخ :"**الطرف الأول: الجبرية.. وعلى رأسهم جهم بن صفوان، فقد ذهبت هذه الفرقة إلى أن العبد مجبور على عمله من خير وشر، وتنسب إليه الأعمال مجازاً كما تنسب إلى الجماد، والإنسان إنما يخالف الجماد في المظهر فقط، فكتب فلان (مثلا) وقرأ وقام وقعد، مجاز، كما يقال: ماج البحر وتحرك الجبل، وأثمرت الشجرة، والذي دفعهم إلى هذا فرارهم من الوقوع فيما وقعت فيه القدرية من القول: إن العبد يخلق أفعاله، كما سيأتي إن شاء الله"**[٢]. و"**الجبرية مأخوذة من الإجبار، أي الذين يعتقدون بأن العبد مجبور فيما يفعل من خير وشر ليست له قدرة ولا إرادة ولا اختيار كالشجرة التي تحركها الريح، ونسبة الأفعال إليه كنسبة الجري إلى الماء كقول: سال الوادي، لا فرق بين هذه الإضافة وبين نسبة العبد، العبد صلى صام سرق نهب، إضافة هذه الأفعال إليه كإضافة الجري للماء والحركة للشجرة، وهي لم تتحرك باختيارها**"[٣] ومنشأ الخلل عند الجبرية هو أنها"**نظرت إلى العبد وهو منفعل فقالوا: إنه مجبور غير مختار، وفاتهم أنه منفعل وفاعل**".

ويكفي في إبطال هذا المذهب ما يترتب عليه من لوازم فاسدة ومن ذلك ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ الله بقوله:"**يترتب على هذا المذهب إبطال التكليف والثواب والعقاب على الأعمال، كما ينتج منه أن إرسال الرسل وإنزال الكتب عبث، وهو مذهب باطل ومرفوض – كما ترى – عقلاً وشرعاً: أما عقلاً: فإنه لا يستساغ أن يعطى العامل أجر عمل لم يعمله باختياره حقيقة، وإنما ينسب إليه مجازاً، هذا من حيث الثواب.**

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق صـــ٢٧٣.

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (أ).

وأما العقاب فليس من العدل أن يعاقب العامل على خطيئة ارتكبها تحت الإجبار وبدون اختيار منه بل أتاه كمُكْرَهٍ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فيصبح إنزال الترغيب والترهيب في الكتاب والسنة وإنذار الرسل كلاماً لا معنى له. هذا ما يترتب على قول الجبرية بإيجاز"(١). وقال أيضاً:"**هكذا تصورت الجبرية أفعال العباد، فعطلوا بذلك جميع الأحكام وأساءوا الظن برب العالمين، أي يجبرهم على الكفر وفعل المعاصي ويؤاخذهم عليها، يتنافى هذا المذهب مع الحكمة أيضاً يجبرهم على الطاعة ولم يعملوا الطاعة باختيارهم ويثيبهم على ذلك، مذهب غير معقول قبل أن يقال أنه كفرٌ؛ لأنه خروج على حكمة الباري وعلى شرعه"**(٢).

ومن الشبه التي يتشبث بها هؤلاء القوم ما نبه عليها الشيخ من أنهم"**يستدلون على ذلك بقوله تعالى:** ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ **والطالب الساذج لا يستطيع أن يرد عليه؛ لأن هذه الآية ليس فيها ما يدعي بل هي على العكس؛ لأن في الآية إثبات رَمْي ونَفْيُ رمي، أي: رَمْيٌ منفي عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ورمي مُثْبَتْ، ولابد من التفريق بين الرميين ﴿ وَمَا رَمَيْتَ﴾ نفي، ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ إثبات، إذن لابد من التفريق ما بين الرميين، أيُّ الرميين وقع من النبي عليه الصلاة والسلام؟ وأيهما نُفِيَ عن النبي عليه الصلاة والسلام؟ الرمي معناه الحذف، حذف التراب في وجوه الكفار، هذا حصل من النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن إيصال ذلك التراب القليل وتفريقه في وجوه الكفار حتى عمهم وأثر فيهم، هذا فِعْلُ مَنْ؟ فعل الرب سبحانه وتعالى. إذن بداية الرمي من رسول الله عليه الصلاة والسلام، ونهاية الرمي من الله سبحانه وتعالى، إذن رمي مثبت ورمي منفي... ولو نوقش هذا الجبري لأُحْرِج وأُفْحِمَ ولو قيل له: هل في إمكانك أن تقول: وما صليت**

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٧٣.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (أ).

إذ صليت ولكن الله صلى؟! أيمكن أن يقال هذا!! وما صمت إذ صمت ولكن الله صام؟! هل يقال؟!..لا.

وبعد هذا هناك عبارت لا أستطيع أن أقولها، لو قيل في السرقة وشرب الخمر وغير ذلك، ما الذي فعل ذلك، من الذي شرب، ومن الذي سرق، هل يستطيع أن يقول غير العبد؟ لا يستطيع، العبد هو الذي فعل ذلك بإرادته وبقدرته وباختياره، الله نهاه عن ذلك وأعطاه القدرة والاختيار على ذلك، هكذا بالنسبة لمن يستطيع أن يحاججهم، لا يجدون حجة لا في الكتاب و السنة على ما يدعون، ولكن القوم يُلَبِّسُون، وهكذا يفسدون عقيدة شبابنا من حيث لا يشعرون"(١).

ويحسن التنبيه في هذا المقام على موقف الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من الجبرية المقنعة بقناع الكسب قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**هنا توجد جبرية أخرى يجب أن نفهمها وهي الجبرية التي لا تسمي نفسها جبرية، وهي جبرية الأشعرية، والفرق بين الجبرية المحضة وبين الجبرية الذين يتسترون بكسب الأشعري الفرق بينهم: إثبات القدرة وعدم إثبات القدرة للعبد، أي أن الأشاعرة يثبتون للعبد القدرة والاختيار، وله مشيئة تابعة لمشيئة الله، لكن قدرته ليست هي المؤثرة وليست هي الفاعلة، الفاعل الحقيقي هو الله، فنسبة الفعل للعبد نسبة مجازية وليس هو الفاعل الحقيقي، الجبرية المتسترة باسم الكسب، أي العبد له كسب وليس له فعل. من الذي يستطيع أن يتصور الفرق بين الكسب والفعل؟! كلام غير معقول! إذن الأشعرية جبرية يثبتون الكسب للعبد، الكسب في اللغة وفي اصطلاح الناس هو الفعل، فنفي الفعل وإثبات الكسب تناقض، فقدرة العبد عندهم عبارة عن جهاز معطل، الجهاز موجود لكن معطل، ما الفرق بين وجوده وعدمه؟! لا فرق بين أن يقال العبد له قدرة لا تعمل وبين أن يقال ليست له قدرة فالنتيجة هي عدم الفعل، ويزعمون أن معنى الكسب عندهم أن يُوجه العبد إرادته إلى الفعل؛ ليضرب ليقتل ليفعل خيراً فيخلق الله ذلك الفعل الذي وجه العبد إليه إرادته – كلام**

---

(١) محاضرة بعنوان: (العقيدة أولاً) راجع: آخر شريط: فقد العلم.

لا معنى له – ولو طُولِبَ الأشاعرة أن يُعرِّفوا الكسب تعريفاً معقولاً يفهمه غيرهم ما استطاعوا، فالجبرية المحضة الذين حُكِمَ عليهم بأهم كفار، والجبرية المتسترة بكسب الأشعري لا فرق بينهم عند التحقيق"[1].

وأما الطرف الثاني فهم "**القدرية: نسبة إلى القدر، وتطلق على فريقين اثنين، على نفاة القدر، هذا هو الغالب الذين ينفون علم الله السابق والكتابة والمشيئة العامة، ويقولون الأمر أُنُف، أي مستأنف جديد؛ لأن العبيد يخلقون أفعالهم، إذا أطلِقت القدرية تنصرف لهذه الفرقة"**[2]**و"هذه الفرقة ترى أن العبد يخلق أفعاله بقدرته مستقلاً عن قدرة الله، ويريد ويدبر بإرادته الحرة قبل أن تتدخل إرادة الله تعالى في إرادته أو مع إرادته.. والذي حمل هؤلاء على هذا القول الخطير، لما رأوا أن العبد يفعل ويترك باختياره الحر، وأثبت له الشرع الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات ثم لا حظوا الفرق بين حركة اليد العادية، وحركة اليد المرتعشة، حيث تكون الأولى اختياراً والثانية اضطرارية، وما ندركه من الفرق بين حركة الصاعد إلى المنارة والساقط منها إذ تكون الأولى بقدرة العبد واختياره بينما لا قدرة له ولا إرادة في الأخرى.**

لاحظ القوم هذه الملاحظات في أفعال وحركات العبد، ونظروا إليه فاعلاً، وغفلوا أنه فاعل ومنفعل فزعموا أن العبد هو الذي يخلق أفعاله بقدرته قبل أن تتدخل قدرة الله، تعالى الله عن شريك يشاركه في ربوبيته وخلقه، وفاتهم أن العبد بجسمه وروحه وإرادته وقدرته مخلوق لله، فالله تعالى هو الذي يخلق له القدرة على العمل وإرادة العمل، ويجعله فاعلاً يفعل بالإرادة المخلوقة المحدودة والقدرة المحدثة حتى ينسب إليه العمل، ويضاف إليه إضافة المسبب في الوقت الذي يضاف عمله إلى الله إضافة المخلوق إلى الخالق"[3].

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (أ).

(٢) المصدر السابق الشريط (٢٤) و (أ).

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٣-٢٧٤.

ومن اللوازم التي تبطل ما ذهبوا إليه هو أن فيهم نوعاً من الشرك في أفعال الله، قال الشيخ رحمه الله:"**لأنهم يثبتون مع الله تعالى خالقين بلا حساب، أي وقعوا في الشرك في الربوبية؛ لأن العباد عندهم هم الذين يخلقون أفعال أنفسهم الاختيارية، العباد يشملون الملائكة والإنس والجن فأصبحوا مشركين من هذا الباب أي في باب توحيد الربوبية**"(١).

وبعد هذا البسط في توضيح مذاهب الناس في القدر، يحسن توضيح موقف الصحابة والتابعين الذين حضروا هذه البدعة، وقد بين الشيخ رحمه الله ذلك فقال:"**ولما ظهرت بدعة القدرية؛ بادر علماء السلف من الصحابة والتابعين إلى إنكار بدعة القدرية، والتحذير منها، والتبرؤ منها ومن أهلها، وذموها، وبينوا للناس خطورتها على الإيمان بالله تعالى؛ لأن الإيمان بالقدر نظام التوحيد، ومن كفر بالقدر؛ فقد نقض توحيده.**

هذا، وذكرت بعض مصادر التاريخ والسير أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما بلغته مقالة معبد الجهني؛ تبرأمنه ومن مقولته المنكرة(٢)، وأعلن ذلك للناس، ونقل مثل ذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن لو تمكن من أحد منهم، حتى يدخل رقبته في يده، فيدقها حتى الموت، أو يجدع أنفه على الأقل، وكان يومئذ قد عمي(٣)، كل ذلك غيرة منه على دين الله وعلى عقيدة المسلمين التي أخذت –لأول مرة– تتعرض للأفكار الشاذة.

وقد وردت آثار وأحاديث مرفوعة في ذم القدرية وأنهم مجوس هذه الأمة، بل هم أسوأ حالاً وأردأ، حيث يثبتون خالقِين كثيرين؛ إذ كل عبد من الجن والإنس والملائكة يخلق أفعال نفسه الاختيارية في زعمهم الفاسد.

---

(١) شرح التدمرية الشريط ٢٦) و (أ).

(٢) وأصل ما ورد عن ابن عمر في صحيح مسلم برقم (١) كتاب الإيمان.

(٣) أورد هذا الأثر عبد الله بن أحمد في السنة صـــ١٢١.

والقدرية بالمفهوم المعاكس –الجبرية– تجعل العبد مجبوراً ومدفوعاً إلى الأعمال من خير أو شر، ثم يجازى خيراً أو شراً، وهي ضلالة أخرى"[(١)]**"ما أبعد هذا الطرف عن ذلك الطرف حيث العبد مجبور هناك وخالق هنا، وكلا الفريقين ضل الطريق وضاع الصواب بينهما، وعثر عليه أهل السنة والجماعة بتوفيق الله تعالى"**[(٢)]. فقالوا"**العبد يعمل بإرادته وقدرته واختياره، ولكنه هو وإرادته وقدرته والآلة التي استعملها بل وعقله كل ذلك مخلوق لله ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ ، فتضاف الأعمال إلى العبد حقيقة إضافة المسبب إلى السبب لأن العبد بإرادته وقدرته هو سبب وجود تلك الأعمال، وقد جعل الله لكل شيء سبباً، فهي تضاف إلى الله إضافة المخلوق إلى الخالق، هذه هي طريقة أهل السنة والجماعة كما تقدم"**[(٣)].

إذا تقرر ما سبق فيحسن إيراد بعض المسائل التي قد يتشبث بها أهل الباطل؛ لترويج باطلهم، أو كانت من الأسباب المؤثرة في هذا الخلاف، وهذا ما سيتم طرحه في المطلب الآتي:

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ٦٦-٦٧.

(٢) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٤.

(٣) المصدر السابق ضمن المجموع صـ٢٧٦.

المطلب الرابع: جهوده في توضيح بعض المسائل المؤثرة في الخلاف في باب القدر:

لاشك أن الخلاف في القدر من أعظم ما وقع من خلاف، ولم ينشأ من فراغ[1]، بل إن هناك مسائل وقع حولها الخلاف، وكان لها تأثير على الخلاف في القدر، وبعض تلك المسائل حصل نتيجة للانحراف في باب القدر، ولذا اقتضى المقام من أهل السنة توضيح الحق في تلك المسائل الحادثة، وإن أدى الحال إلى استخدام بعض عباراتهم المحدثة، وسأعرض ما تيسر من تلك المسائل وفق ما قرره الشيخ محمد أمان رحمه الله دون مراعاة للترتيب، والله الموفق والمعين:

المسألة الأولى: هل الإنسان مسير أم مخير؟

قال الشيخ رحمه الله: "**والجواب على هذا السؤال يحتاج إلى تفصيل وبالاختصار: العبد له اختيار، كل عبد له قدرة مخلوقة وله اختيار، وله إرادة تابعة لإرادة الله تعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لا يقال: إن الإنسان مسير فيطلق هذا التعبير، لا؛ لأن معنى مسير مجبور، هذه عقيدة الجبر الإنسان ليس بمجبور على عمله خيرا أو شرا، يعمل كل الأعمال بقدرته وإرادته واختياره، الله هو الذي خلقه وخلق له القدرة، وخلق له الإرادة، وخلق له الاختيار، وجعله على الكيفية التي يتمكن من العمل، فيعمل بحريته وباختياره، لذلك إن عمل خيراً مدح على ذلك وأثيب، وإن عمل شرًا ذم على ذلك فيؤاخذ؛ لأنه فعل ما فعل بقدرته وإرادته واختياره، وليس بمجبور، ولكن ليس بمستقل وخالق لأفعاله... وبالله التوفيق**"[2]. وقال أيضاً:"**وإذا ثبت بهذه الأدلة كون العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:**

---

(١) انظر: القضاء والقدر للمحمود صـ٢٤١.

(٢) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٦).

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته وبدون اختياره، فيكون ذلك الفعل صفة للعبد لا فعل له، ليس هو الذي فعل باختيار، ولكن قام به ذلك الفعل قيام الصفة بالموصوف كحركات المرتعش؛ اليد المرتعشة ليست من فعل العبد، ولكن صفة للعبد، نفضات العروق صفة وليست بفعل وإطلاق الفعل عليها تجوز، وإلا حقيقة هي صفة قامت به بغير اختياره، وليست فعلاً له.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره..فالله سبحانه وتعالى منحه قدرة فيفعل بقدرته تلك وأعطاه اختياراً فلم يجبره على العمل، وأعطاه إرادة يخصص بها عمله من خير أو شر، فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً... والله سبحانه هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً؛ أي سيره فاعلاً مختاراً، لولا تيسير الله وتسخيره وإعانته ما فعل شيئاً"(١).

المسألة الثانية: الهداية والإضلال:

دلت النصوص على إثبات الهداية لمن شاء الله هدايته، والإضلال لمن شاء إضلاله، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ وقد سئل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا شاء الله من الإنسان المعصية ولم يشأ منه الطاعة، فلم يحاسبه على ما لم يشأ منه؟ ولَمِ لم يشأ منه الطاعة كما شاءها من غيره؟

فقال:**"الجواب على الفقرة الأولى من السؤال: سبق أن تحدثنا أن في الأصول القطعية عند أهل السنة أن الهداية والضلال، والطاعة والمعصية بمشيئة الله، وأن الإنسان سبب في وقوعها، ومسئوليته عن أفعاله أصل قطعي آخر من هذه الزاوية، فالقاعدة التي يتفق عليها العقلاء أن القطعيات لا تتناقض في نفسها، وإن بدت لنا متناقضة لقصور إدراكنا. فحسبنا أن نقف عند هذه القطعيات ونؤمن بها جميعاً، ولا**

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٦) و (ب).

نرد منها شيئاً، ولو لم نحط بها علماً، لأن مسألة القضاء والقدر لها تعلق بصفات الله تعالى: كعلمه وحكمته وإرادته، وحيث إننا نعجز عن الإحاطة بصفات الله تعالى، فكذلك نعجز عن الإحاطة بسر القدر، وسر القدر هو أن الله تعالى أضل وهدى وأسعد وأشقى، وأمات وأحيا وغير ذلك، كل ذلك لحكمة يعلمها ولا نعلمها، ها هنا السر!! وهو العليم الحكيم، فسبحان الذي أحاط كل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً. ولا يضير المرء في إيمانه عجزه عن الإحاطة بسر القدر؛ لأن ذلك ليس بمستطاع ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولكن الذي يضيره أن يبني على عجزه أحكاماً ويتصرف على غير هدى. من ذلك رد بعض الأصول القطعية في القدر، وضرب النصوص بعضها ببعض.

وللجواب على الفقرة الثانية في السؤال نورد قول علي ﷺ: (القدر سر الله فلا نكشفه)[1]، ومن سر القدر عجزنا عن جواب: (لم شاء الله الطاعة من زيد ووفقه، بينما لم يشأ من عمرو ولم يوفقه؟)، بل الجواب الذي ليس بعده جواب قوله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ ومما لا نزاع فيه بين العقلاء أن المالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا يلزم ليكون تصرفه سليماً أن يدرك غيره الحكمة الباعثة، والعلة في تصرفاته، وليس لأحد حق الاعتراض عليه في تصرفه، إذا لم يعلم السر في أفعاله. فلو رأينا صاحب بستان يحتوي بستانه على أنواع من الأشجار، لو رأيناه يقطع هذه الشجرة ويترك تلك، ويهذب هذه وينظمها ويهمل تلك دون تهذيب أو إصلاح، فهل لأحد حق الاعتراض على هذه الأعمال المختلفة؟ فالجواب: لا، طبعا؛. لأننا لا ندري ما هو الباعث له على ما فعل أو ترك، هذا هو معنى قول علي ﷺ: (القدر سر الله فلا نكشفه) أي فلا نحاول كشفه لندرك حقيقة ذلك السر المكتوم؛ لأنه تكلف بلا نتيجة ومن حاول إدراك غير المستطاع نتيجة محاولته:

---

(١) سبق الكلام عليه صـــ١٠٥.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل[1]"[2]

وهذا يدل على أن الله يختص بهداية من يشاء فضلا منه ومنة، وأن ذلك راجع إلى علمه وحكمته كما قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ .

إذا تقرر ذلك فعلى العبد بذل الأسباب المعينة على تحقيق ذلك قال الشيخ رحمه الله مبيناً أن الله أمد العبد بالأسباب فقال:"**والله أمد المؤمنين بالأسباب حتى تمكنوا من الإيمان والعمل الصالح، وصرف عنهم الموانع من النفس الأمارة بالسوء والشياطين التي تمنعهم من الإيمان والعمل الصالح، كل ذلك تفضلاً منه لا وجوباً عليه (اعملوا فكل ميسر لما خلق له ..)**[3]**، فمن خلقه الله للجنة يسره لأعمال أهل الجنة ووفقه إلى ذلك ومات على ذلك، ومن خلقه للنار خذله ولم يوفقه لأعمال أهل الجنة، بل يُسِّر لأعمال أهل النار فدخل النار، فلا يتصور الظلم من الله عقلاً وشرعاً سبحانه كما تقدم.**

ما للعباد عليه حـــق واجـــب كلا ولا سعي لديه ضائـــع
إن عُذِبوا فبعدله أو نعمـــــوا فبضله وهو الكريم الواســـع[4]

وكل ذلك لا يمنعك الطلب، بل واجب عليك الطلب وفتح الله لك باب الطلب؛ لذلك يجب على العبد أن يطلب من الله الثبات وحسن الخاتمة (الدعاء هو

---

(١) هذا البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس، مِن لاميّتِه المشهورة.

(٢) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٨-٢٧٩.

(٣) سبق عزوه صـ ٤٩٤.

(٤) هذان البيتان ذكرهما ابن القيم مراراً، ولعلهما له، انظر: طريق الهجرتين ٦٩١/٢، المدارج ٤٣١/٢، بدائع الفوائد ٦٤٥/٢، والتبيان صـ٣٣، الوابل الصيب صـ١٥٣، وفي النونية بيتان قريبان منهما انظر: شرح النونية لابن عيسى ٢٣٠/٢.

العبادة)[1] لكن الحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن ذهن مؤمن هي أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"[2].

وما قرره الشيخ يدل عليه قول المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ فصلاح الأعمال يحصل بعد امتثال المأمور والبعد عن المحظور.

المسألة الثالثة: ظاهرة السببية ودلالتها على حكمة الباري تبارك وتعالى:

القول بتأثير الأسباب في مسبباها لا ينافي أن يكون الله خالق كل شيء، إذ هو الخالق للسبب والمسبب، وهو الذي جعل السبب يؤثر في مسببه، ويمنعه من التأثير فيه متى شاء. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**صاحب الإيمان الصحيح بالقدر يباشر الأسباب المباحة بيده، ويبذل معه في الأخذ بالأسباب ولا يعجز ولا يتواكل، ولكنه يعتمد على الله وحده في نجاح تلك الأسباب المبذولة لا على الأسباب ذاها، ولقد كان كذلك سيد المرسلين وإمام المتوكلين محمد عليه الصلاة والسلام، فقد اختفى عليه الصلاة والسلام في الغار يوم الهجرة، وهذا منه عليه الصلاة والسلام يعتبر تعليماً للأمة في الأخذ بالأسباب ومباشرها، وقد فعل ذلك في سبيل التخلص من شر المشركين، ولكنه لم يكن اعتماده في الخلاص على السبب نفسه، وإنما كان اعتماده على الله العلي القدير، قال تعالى:** ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سبق عزوه صـ٢٠٥.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٠) و (أ).

مَعَنَا ﴾ ، وذلك يعني: أن ثقته كانت في الله واطمئنانه وسكينته بسبب تلك المعية الخاصة، إلا أنه لم يهمل السبب بناء على الثقة والاعتماد الصادق على الله، وقد رأيناه عليه الصلاة والسلام مرة أخرى في معركة (بدر) يباشر السبب، إذ رأيناه ينظم الجيش كسبب مادي لا بد من مباشرته، ثم يرجع إلى العريش الذي ضرب له في أرض المعركة فيدعو الله ويلح في الدعاء ويكثر فيطلب النصر من الله، وكان عليه الصلاة والسلام يحث أصحابه على البيع والشراء، وكان من أصحابه المزارعون والتجار الذين يزاولون البيع والشراء. هذا هو المفهوم الصحيح للتوكل، وهو ثمرة من ثمرات الإيمان الصحيح بالقدر ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ "[1].

إذا تقرر ذلك فينبغي أن يعلم أن الغالب الكثير من أفعال الرب سبحانه وتعالى أنه يفعل بالأسباب، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**الغالب الكثير من أفعال الرب سبحانه وتعالى أنه يفعل بالأسباب التي يخلق بها المسببات يجعل للمسببات أسبابا، وقد يخلق الله أحيانا مخلوقا ما بغير سبب؛ بغير سبب واضح**"[2]أي لدينا. والنصوص في الكتاب والسنة كثيرة في توضيح أن الله يخلق بالأسباب، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ قال الشيخ محمد أمان تعليقا على هذه الآية :"**اجتمعت هنا عدة أسباب:**

- **السبب الأول الرياح .**
- **السبب الثاني السحاب .**
- **السبب الثالث الماء .**

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٩) و (أ).

بهذه الأسباب خلق الله الثمار فالله قادر أن يخلق الثمار والحبوب بلا سبب، ولكن هكذا اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يخلق وأن يخرج للعباد هذه الثمرات، أو هذا الثمار بهذه الأسباب، إذا أراد الله أن يترل ماء خلق السحاب ولو لم يكن قبل ذلك موجودا ، ولما طلب الصحابة من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يستسقي لهم فيدعو الله ليسقيهم لم يكن في السماء سحاب ولا قزعة، ولما دعا رسول الله ﷺ وتضرع هذا هو السبب الأول لترول ذلك المطر خلق الله سحابة صغيرة خرجت من وراء جبل سلع فتوسطت السماء فانتشرت فأمطرت، هكذا يفعل الله سبحانه وتعالى.

..وقوله تعالى﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾
يجعل الله نزول هذا الكتاب المبين، وهو نور وكتاب مبين يجعله سبباً لهداية من اتبع رضوان الله يهدي بهم سبل السلام"(١).

وأقسام الناس في الأسباب متفرع عن أصولهم في مسألة الأفعال، وهم كما قال الشيخ رحمه الله:" **ثلاثة أقسام عند الأسباب :**

- **منهم من آمن بخبر الله، وأن الله يفعل بالأسباب .**
- **ومنهم من غلا في الأسباب وجعل الأسباب هي المبدعة والخالقة والمؤثرة .**
- **ومنهم من أنكر الأسباب"**(٢).

فالذين أنكروا الأسباب هم الأشاعرة، وقالوا: إن الله يفعل لا لعلة ولا لباعث، وإنما لمحض المشيئة، ثم لجأوا إلى نوع من التحايل فقالوا يفعل عند الأسباب لا بها، قال الشيخ رحمه الله موضحاً قولهم ومفنداً إياه:"**كلام لا معنى له، وهو الذي عليه الأشاعرة اليوم، يفعل الرب سبحانه وتعالى عند الأسباب ولا يفعل بالأسباب، في زعمهم يعني ورع مزيف في التوحيد لئلا ينسبوا الفعل إلى غير الله تعالى قالوا لا، الله لا يفعل بالأسباب، غني عن الأسباب، ولكن يخلق الأسباب ويفعل عند وقوع الأسباب، يفعل**

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٩) و (أ).

(٢) المصدر السابق.

بلا سبب، ولكن عند السبب، من أين لكم هذا التصنيف؟ قالوا : لا يجوز أن تعتقد بأن النار تحرق بحرارتها، وأن الطعام يشبع بذلك السر الذي فيه، وأن الماء يروي بذلك السر الذي فيه بنفسه، بل يخلق الله هذه الأفعال من الشبع والري عند تناول الطعام وشرب الماء، هكذا خالفوا الحس وخالفوا العقل وخالفوا الشرع، الله جعل في الطعام في الخبز مثلا ومشتقات الخبز سرًا خاصاً يخلق الله ما نسمي شبعاً بتناول هذه الأشياء، ولو أكل الإنسان ترابًا أو طيناً هل يحصل ذلك الشبع؟ لا، بل يحصل الضرر، هذا سر جعله الله في الخبز ومشتقات الخبز، وجعل سرًا آخر في الماء دون السوائل الأخرى، إذا شرب الإنسان قطع الظمأ وحصل الري، ولو شرب البترين أو شرب أي سائل آخر لا يحصل؛ لأن الله لم يجعل في ذلك هذا السر، بل لو شرب العسل وهو عسل لا يحصل المقصود الذي يحصل بشرب الماء، يحصل مقصود آخر إما الشبع أو الشفاء، بدلا من أن تستدلوا بما خلق الله من هذه الطباع وهذه الأسرار في هذه الأشياء، وخلق بها هذه الأفعال وأوجد بالحديد القطع والنار تحرق بذلك السر، والحديد يقطع بذلك السر وبتلك القوة، كل ذلك من الله، بدلا من أن تستدلوا بهذه الأشياء على قدرة الله تعالى وحكمته تعارضونه!! فتقولون: لا يفعل بالأسباب، ولا يخلق بالأسباب، ويرون ذلك توحيدًا وتحقيقًا للتوحيد، بل هذا يتنافى مع التوحيد؛ لأنكم كذبتم كتاب الله وخرجتم على العقل والحس"(١).

والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ولكن اقتضت حكمته ربط الأسباب بمسبباتها، حيث لا يتم الانتفاع بالمسبب إلا إذا كان مرتبطاً بسببه بقانون السببية، فلا يستفاد من النار إن لم يهتد العقل بمعرفة سببيتها للإحراق، والله سبحانه هو الخالق للسبب والمسبب، ولو شاء عدم وقوع السبب ما وقع، كما قال لنار إبراهيم كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وظاهرة السببية يتضح فيها كمال عدل الله سبحانه وتعالى؛ حيث لا يستوي الذين

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٩) و (أ).

يتخذون الأسباب في الوصول إلى غاياتهم –سواءً الدينية أو الدنيوية- من الذين يهملونها، وما ربك بظلام للعبيد. والمقصود أن الله سبحانه خلق السبب والمسبب وجعل بينهما ارتباطاً وثيقاً، وجعل هناك موانع تمنع من تحقق ذلكم السبب والله على كل شيء قدير(١).

إذا تقرر ما سبق من أن الله يخلق بالأسباب، فيجب الأخذ بها؛ لأن ترك الأسباب قدح في الشرع والعقل، كما أن الاعتماد عليها نوع من الشرك، قال الشيخ: "**لا يجوز الاعتماد على الأسباب، تتخذ الأسباب وتتوكل على الله سبحانه وتعالى في نجاح الأسباب، تعتمد على الله في نجاح الأسباب حتى يحصل المطلوب، ولو اعتمدت على ذكائك وبَذْلِك لجميع الأسباب لحصول المطلوب من الثمرات والحبوب والولد وغير ذلك، هذا الاعتماد نوع من الشرك، لا يجوز الاعتماد إلا على الله؛ لأن هذا الاعتماد القلبي توكل، والتوكل لا يتنافى مع الأسباب، الأسباب مشروعة ومطلوبة تحصل بتوفيق الله تعالى تبذلها ثم تعتمد على الله سبحانه وتعالى في أن يبارك في هذه الأسباب، وتنجح هذه الأسباب**"(٢).

وبذلك ندرك أن الله يخلق بالأسباب وهو خالق الأسباب؛ لحكمة يعلمها سبحانه وقد ندرك شيئاً من ذلك وقد لا ندرك وبالله التوفيق.

---

(١) انظر: شرح التدمرية الشريط (٢٩) و (أ)، وراجع: الحكمة والتعليل صـ١٩٢.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٩) و (أ).

المسألة الرابعة: فعل الأصلح:

وهذه المسألة من المسائل التي ابتدعتها المعتزلة؛ حيث إن من أصولهم العدل، ولما عطلوا قدرة الله عن خلق أفعال عباده قالوا لا يقدر الله أن يقَدِّر خلاف ما فيه صلاحهم[1]، وهذا تهكم وتحكم. قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**إذ لا أحد يوجب على الله تعالى أن يفعل للعباد الأصلح فالأصلح كما تقول المعتزلة، وهي من المسائل التي فارق فيها أبو الحسن الأشعري شيخه الجبائي[2]، الله لا يجب عليه شيء، أمر الله سبحانه وتعالى يدور بين الفضل وبين العدل، إن أحسن وأعطى ووفق وأكرم كل ذلك فضل من الله، وإن خذل من خذل ولم يوفق فذلك عدل منه سبحانه وتعالى، ولا يتصور أن يكون هناك ظلم؛ لأن الظلم أن يمنعك المانع ما تستحقه أنت حقك الخاص لو أخذ الإنسان قلمك ومنعك قلمك؛ لأنه حقك لكن هل للعباد على الله حق حتى منعهم ذلك الحق فيوصف بالظلم؟**

لا، ليس على الله حق واجب، وإنما هو فضل وإحسان إن أمسك فضله وإحسانه عن بعض عباده حكمة منه، إن ذلك عدل، وإن أنعم فإن ذلك فضل، لا يتصور عقلا الظلم في حق الله تعالى، وهؤلاء لا يؤمنون؛ طعنوا فى حكمته وعدله كما يذكر مثل ذلك عن ابليس مقدمهم كما نقله أهل المقالات كالشهرستاني[3]"[4].

ومنشأ الخلل عند المعتزلة كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو أنهم"**لو قدروا الله حق قدره ما قالوا هذا الكلام، لكن القوم خالفوا ما جاء به النبي ﷺ وحكّموا العقل؛ لذلك قالوا يجب على الله عقلاً ولم يقولوا شرعاً، عندهم الاستحسان والاستقباح والإيجاب**

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص١٣٣-١٣٤.

(٢) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي، شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر: السير ١٤/١٨٤.

(٣) انظر: الملل والنحل ١/٥٤.

(٤) شرح التدمرية الشريط (٢٧) و (ب) وراجع: التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٠) و (ب).

والإلزام كل ذلك بالعقل. وإلا فإثابة الطائع ومعاقبة العاصي أفعال لله سبحانه وهي تدور بين الفضل والعدل، إن وفقك فأطعت وعملت خيراً وقَبِلَ منك هذا العمل وأثابك وأدخلك جنته كل هذا فضل من الله وليس واجباً عليه ، وإن خذلك ولم يوفقك تركك بدون توفيق وتخبطت وعصيت، كفر من كفر وعصى من عصى فآخذهم بذلك عدل منه لا ظلم ، ولا يُتصور الظلم في حق الله سبحانه ؛ لأن الظلم من منعك حقك الذي تستحقه ، فمن أخذ مالك ومنعك حقك فهو الظالم ، أنت لك حق واجب على الله منعك إياه حتى يُوصف بأنه ظلمك"[1].

المسألة الخامسة: الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

بين المحققون من أهل السنة والجماعة أن الإرادة في النصوص الشرعية على نوعين: إرادة كونية قدرية، وإرادة دينية شرعية، وهو المذهب الحق قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:**"الإرادة على نوعين:**

الإرادة الكونية: الإرادة الأزلية والإرادة العامة والمشيئة العامة، بمعنى واحد، لا يحدث في هذا الكون إلا ما أراده الله بإرادته الأزلية الكونية التي بمعنى المشيئة، وهو سبحانه إذا أراد شيئا وشاء وجوده كان -كان هنا تامة وليست الناقصة-..وهي بمعنى الوقوع والحصول والوجود، أي لا تحتاج إلى منصوب، بل تكتفي بالمرفوع وقع ووجد وحصل"[2] وعليه فـــ**"كل ما أراده الله كوناً لابد أن يقع، أي مراد الله بالإرادة الكونية لا يتخلف أبداً، أي عَلِمَ الله ذلك بتواريخ هذه الأشياء، وبأماكنها وأزمنتها عَلِمَ ذلك بالتفصيل، وكتب عنده وشاءه ثم قضاه ونفذه وخلق. والأشاعرة فقراء في هذا الباب، ليس لديهم علم، أثبتوا الإرادة الأزلية هذه، ولكن فاهم إثبات الإرادة**

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (ب).

(٢) التعليق على شرح العقيدة الواسطية الشريط (٨) و (أ).

الدينية: وهي كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والعمل الصالح، والطاعة مراد لله تعالى شرعاً، فهو محبوب عند الله ﷻ ومأمور به، والإرادة الشرعية: تستلزم الأمر، وهي بمعنى المحبة والرضى، ولابد من إثبات الإرادتين معاً لتفهم كلام الله ﷻ وتسلم من الاضطراب"(١).

ويوضح الشيخ الإرادة الشرعية بقوله:"**قد يأمر الجميع وأنت لا ترى أن الجميع يمتثل، منهم من يمتثل ومنهم من لا يمتثل، هذه هي الإرادة الشرعية الدينية أراد الله وأمر وأحب من الجميع الطاعة، لكن يوفق من يشاء ليعمل بمرضاته ويمتثل أمره، ويخذل من يشاء لا يمتثل، العبد المؤمن الذي يمتثل تجتمع فيه الإرادة الكونية والإرادة الشرعية معاً، أراد الله أزلاً وعلم وكتب أن زيداً من الناس يؤمن فيطيع، فأنزل كتابه فأمره وأرسل رسوله فهداه وامتثل وعمل بأعمال أهل السعادة، اجتمعت فيه الإرادة الكونية والإرادة الشرعية معا، هذه هي السعادة من ختم له بهذا فهو السعيد"**(٢).

وبذلك يتضح أنه لا تلازم بين الإرادتين؛ فقد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى قال الشيخ رحمه الله:"**فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، أما الإرادة الشرعية لا تتعلق بالكفر والمعاصي"**..."**والإرادة الشرعية أعمُّ من جهة تعلُّقها بكل مأمور به واقعًا كان أو غير واقع، وأخصُّ من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به"**(٣).

وبذلك يتضح أهمية التفريق بين الإرادتين، وقد رأى كثير من أهل العلم أن منشأ الضلال والانحراف في فهم القدر عائد إلى التسوية بين الإرادة الكونية المستلزمة للوقوع، وبين الإرادة الشرعية المستلزمة للمحبة والرضا، فلما سوى بينهما الجبرية والقدرية وقعوا في خلاف الحق، وقد بين الشيخ أهمية التفريق في ذلك حين سئل:"ما الفائدة من اصطلاح

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

(٣) التعليق على شرح العقيدة الواسطية الشريط (٨) و (ب).

هذه المصطلحات إرادة شرعية، إرادة كونية؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**من لم يفرق بين الإرادتين كالأشاعرة يبقى في تخبط دائما في هذا الباب الخطير، لا يستطيع أن يفرق بين ما يحبه الله وبين ما يرضاه، وما يكرهه ويبغضه ، كيف تفرق إن لم تفرق بين الإرادتين؟ كيف تفهم الآيتين؟** ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ **ما معنى الإرادة في هذه الآية؟ وهل الإرادة في هذه الآية كالإرادة في قوله تعالى:**﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ **وهل هذه الإرادة كهذه؟ إن لم تفرق بين هاتين الإرادتين لست بطالب علم، بل لست بطالب حق، بل لستَ فاهما...إذا أردت أن تفهم اجعل بدل الإرادة المحبة** (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ) **أي يحب الله لكم اليسر ولا يحب لكم العسر، يحب لكم ذلك، الإرادة الشرعية بمعنى: المحبة أمر يحبه الله ويأمر به الله يحب الإيمان ويأمر بالإيمان، يحب الطاعة ويأمر بالطاعة فإرادته للإيمان والعمل الصالح إرادة شرعية تستلزم الأمر والمحبة، افهم هكذا جيدا. أما الإرادة الكونية بمعنى المشيئة العامة، يريد الله بالإرادة الكونية كل شيء أي يشاء، يشاء الله الكفر، لا يقع الكفر في مملكته إلا بمشيئته وهي معنى الإرادة الكونية والمعاصي تقع بمشيئته وهي بمعنى الإرادة الكونية**(إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ) **هل تستطيع أن تقول إن كان الله يحب أن يغويكم؟ لا ، لن تستطيع؛ لأن الله لا يحب الإغواء ولا يحب الفحشاء ولا يحب المعاصي، لا يحب الكفر والمعاصي، ولكن يشاء ولكن يريد ذلك بمعنى يشاء، أي وقع كل ما وقع وسيقع كل ما سيقع من كفر ومعصية وضلال بعلم الله السابق وكتابه السابق ومشيئته العامة، لله حكمة في أنه سبحانه وتعالى قدر الكفر والمعاصي والمخالفات والضلال...تفريقك بين الإرادتين يجعلك تفقه عن الله سبحانه وتعالى في هذا الباب العظيم وتفرق بين مرضاته وبين مشيئته أي بين ما يشاؤه كونا وأزلا ، ولا يلزم من المشيئة المحبة**"[1].

---

(١) جواب السائل بعد درس شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب)، وشيء من الشريط (٢١) و (أ).

ومن الأسئلة التي ترد على الشيخ هل يجب على العبد أن يرضى بكل ما أراده الله وقضاه عليه؟ والجواب"**أما المقضي إن كان خيرا يرضاه فيحبه، وإن كان شرا لا يرضاه ولا يحبه، ولكن يرضى بالقضاء (القضاء فعل الرب سبحانه) والمقضي الذي فعله هو–قد تكون معصية وشركا وبدعة– هذا المقضي لا يحبه؛ لأن الله لا يحبه، ولكن يحب القضاء (الذي هو فعل الرب سبحانه وتعالى)، ويعلم أن الذي وقع فيه وتورط فيه بقضاء الله وقدره وذلك عدل من الله، فيجب أن يحب ذلك ويرضى لتوافق إرادة الله. ..بهذا يحقق التوحيد؛ تحقيق التوحيد: أن يتحد مرادك ومراد محبوبك وهو الله أي بالإرادة الشرعية**"[(١)].

ويحسن التنبيه على أن مما يرادف الإرادة الشرعية الإذن الشرعي، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ قال الشيخ رحمه الله:"**ولو كان هذا الإذن إذناً كونياً ما بقي عاص على وجه الأرض، أمر الله الناس جميعاً بطاعة الرسل، منهم من وفقه وامتثل أمر الله فأطاع، أطاع الرسل بإذن الله الشرعي وبأمره وبتوفيقه، ومن لم يسبق في علم الله تعالى بأنه يطيع لا يطيع؛ لأن مضمون الإذن الشرعي وهو الإرادة الشرعية، وقد يتحقق وقد لا يتحقق. ولكن مراد الإرادة الكونية لو أراد الله ذلك كونا لا يتخلف أبدا، هذا الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية والإذن هنا بهذا المعنى بالإذن الشرعي. سبق أن أشرنا للتفريق بين الإرادتين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية التفريق بينهما أمر مهم جدا، قد تجتمعان – الإرادتان – في شخص تجتمع الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، في إيمان المؤمن وطاعة المطيع، أراد الله أزلا أن أبا بكر يؤمن رضي الله عنه فأمره وأحب منه فآمن اجتمعت فيه الإرادة الكونية والإرادة الشرعية إيمانه مراد لله تعالى أزلا، علم ذلك وكتب عنده فأمره ثم وفقه فآمن فأحب الله إيمانه، فاجتمعت فيه الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، علم الله أزلا بأن أبا جهل لا يؤمن فيبقى على كفره فيموت كافراً، انفردت الإرادة**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٩) و (ب).

الكونية أي لم يقع منه ما وقع وهو الكفر والبقاء على الكفر والموت على الكفر إلا بإرادة الله الكونية، وهو مأمور شرعاً؛ بأن يؤمن لكن تحققت فيه الإرادة الكونية وحدها هذا في كفر الكافر ومعصية العاصي، فهل تنفرد الإرادة الدينية الشرعية؟

قال بعضهم نعم في إيمان الكافر وطاعة العاصي؛ لأن إيمان أبي جهل لو حصل إيمان مأمور به ومحبوب عند الله ولكنه لم يقع، في هذه الصورة الفرضية تنفرد الإرادة الشرعية والله أعلم"[1].

المسألة السادسة: الاستطاعة:

تعد مسألة الاستطاعة من أهم المسائل في باب القدر؛ لأنها متعلقة بقدرة العبد التي هي مناط التكليف، وقد تعرض الشيخ لتوضيح هذه المسألة عند كلام شارح الطحاوية عليها؛ حيث قال رحمه الله:"**الاستطاعة تنقسم إلى قسمين: شرعية وكونية؛ فإن القدرية الشرعية صالحة للضدين؛ لأنه إما أن يصرفها في الخير أو يصرفها في الشر.**

القدرية الشرعية: مثلاً: القدرة على الحج بوجود المال والزاد في إمكان الإنسان أن يصرف هذا المال وما لديه من القدرة الذاتية في أداء الحج، وفي إمكانه أن يصرفه في غير ذلك، وإن كان ذلك راجعاً لتوفيق الله تعالى أو عدم توفيقه.

وأما القدرة الكونية فلا تصلح للضدين، بل هي إما للخير أو للشر، بمعنى: أن الإنسان إما أن يوفق لفعل الخير ويعان على ذلك، أو لا يعان على ذلك، لا تكون القدرة الكونية القدرية إلا لأمر واحد، لا تصلح للضدين أبدا"[2]. والمراد بالاستطاعة الكونية: التي يجب معها وجود الفعل، والتي تكون مقارنة للفعل الموجبة له.

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٠) و (ب).

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٤) و (ب).

وأما الاستطاعة الشرعية للعبد فهي: التي بمعنى الصحة والوسع وسلامة الآلات، وهي التي مناطها التكليف، ومع ذلك فلا تكفي هذه الاستطاعة في القيام بالعمل، إلا بتوفيق الله وإعانته الإعانة الكونية، قال الشيخ رحمه الله:"**وجود الاستطاعة الشرعية التي هي مثلاً في الحج: وجود الزاد والراحلة، وفي الصلاة مثلاً القدرة على القيام، هذه الاستطاعة مع بقائها إلى حين الفعل موجودة قبل الفعل واستمرت وموجودة إلى حين الفعل، لكن لا تكفي في وجود العمل أو في وجود الفعل، قد يكون الإنسان مستطيعاً مالاً، صحيح في بدنه، ومستطيعاً على القيام، لكنه لا يصلي ..لا يحج ، لا يحصل له ذلك إلا بإعانة من الله، هذه الإعانة وهذا التوفيق هو الذي سميناه الاستطاعة الكونية الأزلية؛ أي لابد من اجتماع الاستطاعتين:**

الاستطاعة الشرعية التي تستمر إلى حين الفعل.

والاستطاعة الكونية الأزلية.

أي: لابد من توفيق الله تعالى: (وما تشاءون إلا أن يشاء الله). **ولو كانت الاستطاعة الشرعية كافية لكان التارك كالفاعل، لا فرق بين التارك والفاعل، لكن التارك هو الذي لم تحصل له الاستطاعة الكونية، والفاعل هو الذي حصلت له الاستطاعة الكونية مع الاستطاعة الشرعية، وهذا كالإرادة الشرعية والإرادة الكونية تماماً**"[(١)].

وبذلك يعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يكلف العبد ما لا يطيق، فإذا لم يستطع العبد الاستطاعة التي هي مناط التكليف فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وهو معذور في هذه الحالة؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ

(١) المصدر السابق الشريط (٦٥) و (أ).

لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ وقد قال الله سبحانه: (قد فعلت) [1].

وبذلك يتم الكلام حول هذا المبحث وبالله التوفيق.

(١) رواه مسلم (٣٣٠).

الفصل الثاني

جهوده في توضيح حقيقة الإيمان ومسائله

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح حقيقة الإيمان.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح زيادة الإيمان ونقصانه، والاستثناء فيه.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح الكبيرة ومسائل تتعلق بها.

المبحث الأول
جهود الشيخ في توضيح حقيقة الإيمان

تمهيد

إن"اسم الإيمان قد تكرر ذكره في القرآن والحديث أكثر من ذكر سائر الألفاظ، وهو أصل الدين وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويفرق بين السعداء والأشقياء، ومن يوالى ومن يعادى، والدين كله تابع لهذا، وكل مسلم محتاج إلى معرفة ذلك"[(١)] فبه ينال العبد الجنة، وبه ينجو من عذاب الله في الدارين، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ . ويمكن إيجاز جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله في توضيح حقيقة الإيمان في المطالب التالية:

المطلب الأول: جهوده في تعريف الإيمان لغة وشرعاً:

والإيمان لغة: مصدر آمن يؤمن إيماناً، قال ابن فارس:"الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق"[(٢)]، وقال الراغب الأصبهاني[(٣)]:"وآمن إنما يقال على وجهين:

أحدهما: متعدياً بنفسه، يقال: آمنته أي جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن.

والثاني: غير متعد ومعناه صار ذا أمن"[(١)]. والشيخ محمد رحمه الله يرى أن الإيمان لغة: التصديق قال رحمه الله:"**الإيمان في اللغة ممكن أن يقال مطلق التصديق**"[(٢)]. تبعاً لجماعة من

---

(١) الفتاوى ٢٨٧/٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٣٣/١.

(٣) هو أبو الحسين محمد بن الفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب، له مؤلفات منها: مفردات القرآن، الذريعة إلى مكارم الشريعة، وغيرها، توفي سنة ٥٠٢ هـ . انظر: السير: ١٢٠/١٨، شذرات الذهب ٢٨٣/٣.

أهل اللغة[٣]، وإن كان تفسيره بالإقرار أقرب كما قال الشيخ رحمه الله في موطن آخر:"**فكان تفسيره بالإقرار أقرب من تفسيره بالتصديق**"[٤]. ويكون بذلك متابعاً لشيخ الإسلام رحمه الله في رده دعوى ترادف التصديق للإيمان، حيث قال:"ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق"[٥].

وحاصل ما سبق: أن لفظ الإيمان متضمن لمعنى التصديق، والأمانة، والإقرار، لا مجرد التصديق فقط[٦].

وأما تعريف الإيمان في الشرع فقد وضحه الشيخ بعبارات مختلفة تؤكد المعتقد السليم، قال رحمه الله:"**تعريف الإيمان المأخوذ من الكتاب والسنة، التعريف الجامع المانع هو أن تقول: الإيمان عمل بالقلب والجوارح وقول باللسان**"[٧]، وقال أيضاً:"**القول المشهور عند جمهور أهل السنة والجماعة، وهو القول الذي تؤيده الأدلة من الكتاب والسنة: إن الإيمان يتألف من أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقول اللسان، هذا هو الصحيح الذي (يكاد[٨]) يكون محل إجماع**"[٩]، وقال رحمه الله:"**الإيمان الصحيح ذلك التصديق الذي في القلب، الذي معه الموافقة لرسول الله ﷺ ومعه الموالاة والانقياد والطاعة، ودعوى التصديق دون أن تكون هذه المعاني، ودون أن تكون مع الإيمان مع**

=

(١) المفردات صـ٢٦.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٩) و (أ)، شرح الأصول الثلاثة صـ٨٤.

(٣) فقد نقل الأزهري اتفاقهم على ذلك، انظر: تهذيب اللغة ٥١٣/١٥-٥١٤.

(٤) راجع التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٠) و (ب).

(٥) مجموع الفتاوى ٦٣٨/٧.

(٦) وقد ناقش شيخ الإسلام دعوى الترادف بما لا مزيد عليه، انظر: الإيمان صـ٩٩-١٠٦، وضمن الفتاوى ١٢٢/٧-١٣١.

(٧) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٧) و (أ).

(٨) لا داعي لهذه الكلمة فتعريف الإيمان محل إجماع عند السلف كما نقل عن الشافعي وغيره.

(٩) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٠) و (ب).

التصديق أعمال القلوب الأخرى كالمحبة والاحترام والتوقير، ثم الانقياد الظاهري والموافقة دون أن تكون هذه المعاني (التصديق وحده) لا يكون إيماناً، وهذا أمر واضح"[١].

ومما سبق من عبارات الشيخ الموضحة للإيمان، يتضح موافقة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لإجماع سلف الأمة من أن الإيمان قول وعمل، وأن المعتقد السليم في ذلك مكون من الأمور الثلاثة التي لا غنى لأحدها عن الآخر، وفي ذلك إلجام لمن يلمزون علماء السنة وأئمتهم بالإرجاء، فالله الموعد.

ولشدة عناية الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بمكونات الإيمان وأنه لا غنى لأحدها دون الآخر، قال رَحِمَهُ اللهُ:"**ومن ادعى بأنه مصدقٌ بقلبه بكل ما جاء به رسول الله ﷺ ثم لا يعمل، يقال له: هذه دعوى والدعوى لابد لها من بينة فأين البينة؟ البينة الأعمال لذلك يقول بعضهم:**

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت في العبادة الأعضاءُ[٢]

فإذا كانت الأعضاء لا تعمل: لا يصلي، ولا يصوم، ولا يأمر، ولا ينهى، ولا يجاهد، ولا يطلب العلم، هكذا مصدق، لا يقبل مثل هذا التصديق، وعلى هذا انتشر بين المسلمين هذا الإيمان الإرجائي...

إذاً الإيمان مركب يتألف من أجزاء من تصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقول باللسان ولهذا يشهد الكتاب والسنة"[٣]. وقال أيضاً:"**الإيمان حقيقة مركبة من هذه الأشياء المذكورة، والطريق إلى الإيمان سنة رسول الله ﷺ، أي لا تستطيع أن تعرف الطريق إلى الإيمان إلا بإتباع ما جاء به رسول الله ﷺ"**[٤].

وما قرره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ موافق لما كان عليه سلف الأمة قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: (لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥١) و (أ).

(٢) البيت للبوصيري قاله في همزيته.

(٣) شرح الأصول الثلاثة صـ٨٤-٨٥.

(٤) محاضرة بعنوان: (العقيدة أولاً).

والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة؛ فكان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان، والعمل من الإيمان، والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها وتصديقه العمل؛ فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه و لم يعرف بقلبه و لم يصدقه بعمله لم يقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين)[1]ا.هـ قال الشيخ معلقاً على كلام الأوزاعي:"**إيمان القلب لا يستقيم إلا بالقول؛ لأن القول هو الذي يصدق ذلك الإيمان الذي في القلب، ولا يعرف إلا به، إيمان القلب والإقرار باللسان لا يستقيمان إلا بعمل الجوارح؛ لأن عمل الجوارح نتيجة لاستقامة إيمان القلب واللسان معاً؛ معناه حلت الهداية في القلب وصلح القلب واستقام حتى عمل، أما الإعراض عن الأعمال كلياً مع دعوى التصديق والتلفظ بالشهادتين لا عمل ولا استقامة، لا للتصديق ولا للقول، بل لابد من العمل، العمل نتيجة لاستقامة القلب واللسان معاً**"[2]. وقال في موطن آخر:"**والمشهور الإيمان ما وقر في صدر إنسان، وصدق تلك الحقيقة العمل، لو ادعى التصديق ورفض[3] الأعمال وسخر من الأعمال ليس بمؤمن، وأن ما وقر في القلب لم يصدق بل كذب، لو صدق ما في القلب لعمل؛ لأن الجوارح إنما تنبعث على الأعمال بإيحاء من الداخل بإيمان القلب**"[4].

والأدلة من الكتاب والسنة متضافرة على إثبات ما قرره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وسأكتفي بذكر دليلين وضحهما الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض محاضراته حيث قال:"يقول الرب سبحانه وتعالى في أوائل سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ٥/٩٥٥ - ٩٥٦ (١٥٩١)، والإبانة الكبرى ٢/٨٠٧ الإيمان (١٠٩٧).

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٩) و (ب).

(٣) المراد بالرفض هنا الترك؛ لأن المعرض لم يدخل في الإيمان حتى يقال: ليس بمؤمن، واستخدام الشيخ مثل هذه العبارات في مقام الشرح والتدريس؛ ليكون أقرب إلى أفهام الدارسين. والله أعلم.

(٤) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥١) و (أ).

ﭐلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ بدأ بإنما ﴿**إنما**﴾ أداة قصر ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ خافت ورجت ما عند الله، وخافت من عذاب الله **هذا عمل القلب**، ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**﴾ أيضا عمل القلب ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ عمل القلب، ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ عمل الجوارح، جعلت الآية أعمال القلوب وأعمال الجوارح من حقيقة الإيمان؛ لذلك قال الله تعالى:﴿**أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً**﴾ الذين يؤمنون حق الإيمان، الذين يتلفظون :(لا إله إلا الله) يقول: (لا إله إلا الله) صادقا من قلبه ويعتقد ويصدق ما جاء به النبي عليه السلام، يدل على ذلك خوفه من الله، إذا ذُكِرَ الله وأن يزداد الإيمان عند تلاوة كلامه والاعتماد على الله دون غيره.

ومن السنة: قوله ﷺ :(**إن الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إلــه ألا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**)[1]. جعل النبي ﷺ (لا إله إلا الله) أعلى شعبة من شُعَبِ الإيمان، **القول باللسان** زائد على التصديق، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وجعل إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، إماطة الأذى عن الطريق من **أعمال الجوارح**، (والحياء شعبة من الإيمان) الحياء **عمل قلبي** و (لا إله إلا الله) عمل اللسان وإماطة الأذى عمل الجوارح، إذن هذه الثلاثة كلها عدَّها النبي ﷺ من الإيمان.

وأنتم ترون أن الآية والحديث يصوران معاً حقيقة الإيمان، وأن الإيمان ليس مجرد تصديق وأن الإيمان ليس مجرد تلفظ بشهادة : (لا إله إلا الله) ولكن الإيمان مُؤَلَّف مـــن

(١) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

هذا وذاك، هكذا صَوَّرت الآية وصور الحديث، وهذا المعنى يغيب على كثير من الناس، ويقعون في كثير من الإرجاء من حيث لا يعلمون"[(١)].

المطلب الثاني: جهوده في توضيح الإيمان عند المخالفين:

إذا تقرر ما سبق من بيان الحق من مذاهب الناس في الإيمان، فينبغي التنبيه على تعريف الإيمان عند بعض الفرق المخالفة، وقد بين الشيخ مذاهب الناس في الإيمان فقال:"**الإيمان عند بعض علماء الكلام مجرد المعرفة أي معرفة الله تعالى والكفر عندهم الجهل، هذا ما ذهب إليه الجهم بن صفوان، وعلى هذا لا يوجد كافرٌ إلا من هو جاهل، ولا يوجد أجهل بالله من جهم بن صفوان؛ لذلك يقال: إنه حكم على نفسه بالكفر من حيث لا يشعر، حيث قال: إن الإيمان هو المعرفة، وإن الكفر هو الجهل، وإذا تتبعنا عقيدته نجده أجهل الناس بالله، إذاً هو كافرٌ بشهادة نفسه على نفسه، الله سبحانه وتعالى في نظر جهم بن صفوان والجهمية لا يوصف لا بصفة ولا يسمى باسم؛ أي وجود الله عز وجل عندهم وجود ذهني، ليس له وجود خارجي الوجود المطلق؛ لأن الموجود في الخارج لابد أن يوصف بصفة، الذي لا يوصف بصفة هو العدم، الموجود لابد له من صفة، فإذا نفوا عنه جميع الصفات وجميع الأسماء شبهوه بالمعدوم الذي لا يوصف بأي صفة؛ لأنه معدوم وعلى هذا جهم بن صفوان هو من أكفر الكافرين بشهادة نفسه، على نفسه إذ الإيمان عنده المعرفة والكفر الجهل.**

القول الثاني لأهل الكلام في الإيمان: الإيمان هو التصديق فقط، مجرد التصديق بالقلب بصحة ما جاء به رسول الله، ولو لم ينطق باللسان، ولو لم يقر بشهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، طالما ادعى أنه صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما جاء به فهو مؤمن.

---

(١) محاضرة بعنوان: (العقيدة أولاً) بتصرف واختصار.

القول الثالث: الإيمان هو التصديق والإقرار معاً، أن يصدق بقلبه ويقر بلسانه، هؤلاء جميعاً يقال لهم المرجئة، ومرجئة الفقهاء أصل منبتهم من الكوفة؛ لأن هذا القول بأن الإيمان هو التصديق أو التصديق والإقرار معاً قول الإمام أبي حنيفة، وتبعه في ذلك جميع الكوفيين، ثم انتقل هذا المذهب من الماتريدية إلى الأشاعرة، فصار الإيمان عند جمهور الأشاعرة والماتريدية هو التصديق، وإن توسعوا إلى التصديق والإقرار، الإقرار محل خلاف عندهم، القول الصحيح: أن الإيمان عندهم التصديق، وعلى هذا جميع الأعمال الإسلامية التي في الكتاب والسنة ليست من الإيمان في شيء عند هؤلاء، أخرجوا الأعمال كلها من الإيمان، هذا هو معنى الإرجاء.

الإرجاء معناه التأخير أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، لم يدخلوا الأعمال كلها في الإيمان، بل الإيمان إما مجرد التصديق أو التصديق والإقرار، هذا الذي عليه جمهور الأشاعرة وما أكثرهم، وهو في الأصل عقيدة الماتريدية التابعين للإمام أبي حنيفة في هذه المسألة، خالف الإمام أبو حنيفة الجمهور، جمهور أهل السنة والجماعة بما فيهم الأئمة الثلاثة وغيرهم"[(١)].

وبذلك نكون قد عرفنا معنى الإرجاء وأصناف المرجئة، وقد نبه الشيخ على خطر بدعة الإرجاء فقال:"**عقيدة الإرجاء يقع فيها كثير من الناس من حيث لا يشعرون، وعقيدة الإرجاء منتشرة حيث تنتشر الأشعرية والماتريدية؛ لأن الأشاعرة والماتريدية كلهم من المرجئين، وهذا الإرجاء منتشر بين عوام المسلمين من حيث لا يشعرون؛ ذلك أنك تعاتب شخصاً يترك الصلاة مثلاً أو يتعاطى بعض المحرمات، فيقول: دعني الإيمان هاهنا، الإيمان في القلب!!**[(٢)] **طالما الإيمان في القلب لا يضره أن يترك الصلاة وأن يترك جميع الواجبات، وأن يرتكب جميع المحرمات، طالما الإيمان في قلبه – في**

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ ٨١-٨٣.

(٢) يجدر التنبيه إلى أن كثيراً من أولئك العوام إنما يقول ذلك؛ بغية الانصراف عنه، ولا يقول ذلك معتقداً عقيدة الإرجاء، وأنه يجوز ترك الأعمال، بل كما قال الشيخ: ربما لا يعلمون معنى الإرجاء.

زعمه- هذه هي عقيدة الإرجاء، وإن كان القوم القائلين بهذا الإرجاء لا يعلمون معنى الإرجاء، ولكن توارثوا هذه العقيدة مع الناس مع أهل الكلام، سَرَتْ إليهم هذه العقيدة -عقيدة الإرجاء- لذلك هي عقيدة خطيرة تُخْرِجُ الأعمال من مسمى الإيمان، وتهوِّن على الناس ترك الواجبات، وارتكاب الكبائر والمحرمات، لذلك يجب على طلاب العلم تنبيه الناس إلى هذا المعنى، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان"[1].

وبالمقابل فإن ممن ضل في تعريف الإيمان الخوارج والمعتزلة وقد بين الشيخ مذهبهم فقال:"**الخوارج والمعتزلة قالوا: لا يستحق الإيمان إلا بالتصديق بالقلب والإقرار باللسان وفعل جميع الطاعات واجتناب جميع الكبائر.**

فالتصديق بالقلب والإقرار باللسان كلامهم صحيح، أما التعبير فعل جميع الطاعات واجتناب جميع الكبائر بهذا التعبير خالفوا أهل السنة والجماعة، فأهل السنة والجماعة يرون أن الأعمال من الإيمان، أي امتثال المأمورات والإتيان بالواجبات واجتناب المنهيات وتجنب الصغائر والكبائر معاً من الإيمان؛ لئلا يلتبس عليك الأمر بين تعريف الخوراج والمعتزلة وتعريف أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة يرون إن هذه من الإيمان، لكن الإيمان عندهم شعب تتفاوت (الإيمان بضع وستون شعبة أو سبعون شعبة)[2]، على اختلاف في رواية الحديث أعلاها لا إله إلا الله، إذ ذهبت هذه الشعبة ذهب الإيمان كله لا يبق شيء، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، بالإجماع من لم يمط ولم يزل الأذى من الطريق إيمانه ينقص ولا يذهب، ومن أماطه أتى بشعبة من شعب الإيمان. والحياء شعبة من شعب الإيمان، هل من فقد الحياء أو ضعُف حياؤه يكفر؟! بين أعلى شعبة وأدنى شعبة، شعب كثيرة متفاوتة الصلاة والصيام

(١) محاضرة بعنوان: (العقيدة أولاً).

(٢) سبق عزوه صـ٥٣٣.

والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعلم العلم الواجب وتعليم العلم الواجب وأشياء كثيرة كلها من الإيمان، تتفاوت ولم تكن بدرجة واحدة"[1].

"وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه، كما قال النبي ﷺ: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان)[2]، ثم قالت الخوارج والمعتزلة الطاعات كلها من الإيمان، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان، وقالت المرجئة والجهمية: ليس الإيمان إلا شيئاً واحداً لا يتبعض، إما مجرد تصديق القلب كقول الجهمية، أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة، قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءاً منه، فإذا ذهبت ذهب بعضه"[3]، وإذا ذهب بعضه ذهب جميعه.

إذا تقرر ذلك فالمخالفون للسلف في تعريف الإيمان التزموا أمرين:

الأول: أن الإيمان كل لا يتجزأ، إذا زال بعضه زال جميعه. قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:**"شبهة الذين قالوا الإيمان شيء واحد؛ قالوا لو قلنا إن الإيمان يتكون من عناصر عديدة إذا زال بعضه زال كله؛ لأن زوال عنصر من العناصر يؤدي إلى زوال بقية العناصر، ما فهموا مقاصد الشارع عندما قال ﷺ: (أعلاها وأدناها) بيّن أن هذه العناصر تتفاوت"**[4].

والأصل الذي أوقعهم في تلك الشبهة الأمر الثاني وهو: أنه لا يجتمع في الإنسان إيمان ونفاق، وطاعة ومعصية، وإسلام وكفر، بل إذا وجد أحدهما انتفى الآخر. وسيأتي توضيح الشيخ لهذه النقطة في مبحث الكبيرة.

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٥) و (أ).

(٢) رواه البخاري (٤٤) ومسلم (٣٢٥).

(٣) مجموع الفتاوى ٧/٥١٠.

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٥) و (أ).

وينبغي أن يعلم أن ثمة شبه أخرى يتمسك بها المخالفون لأهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان، ومن ذلك: ما أورده الشيخ من دعوى المغايرة بين الإيمان والعمل الصالح وقد رد عليها حيث قال: "**وقد يستدل عليك من يرى بأن الأعمال ليست من الإيمان يستدل بالعطف الذي جاء في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فيقول وعملوا الصالحات العطف يقتضي المغايرة إذاً الأعمال الصالحة غير الإيمان؛ لأن الله عطف الأعمال الصالحة على الإيمان، الأعمال الصالحة هي الإسلام، فالعطف يقتضي المغايرة، كأن تقول جاء زيدٌ وعمروٌ فبينهما مغايرة، أو تقول جاء زيدٌ وذهب عمروٌ، فجاء غير ذهب، وزيدٌ غير عمروٌ، فصح العطف هنا فاقتضى المغايرة، فإذا قال لك (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) يدل على الأعمال الصالحة غير الإيمان تقول المغايرة درجات؛ صحيح العطف يدل على المغايرة، ولكن المغايرة درجات ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أليست الصلاة الوسطى من الصلوات؟ فكيف صح هنا؟ ما معنى المغايرة؟ الجواب: من باب عطف الخاص على العام، كذلك العطف هنا أي في قوله (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الأعمال الصالحة جزء من الإيمان كما أن الصلاة الوسطى جزء من الصلوات التي أمرنا بالمحافظة عليها، والأمثلة كثيرة في القرآن**"[1].

ومن الشبه التي يتشبث بها المخرجون للأعمال عن مسمى الإيمان الاحتجاج ببعض الأحاديث دون فقه لمعانيها؛ ومنها الأحاديث المبينة لفضل كلمة التوحيد، فظنوا أن مجرد التلفظ بلا إله إلا الله يكفي لدخول الجنة دون الحاجة إلى عمل، قال الشيخ راداً على هذه الشبهة: "**إن الإيمان ليس مجرد تصديق التصديق اللغوي، ولا هو مجرد التلفظ بكلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بل الإيمان الحقيقي التصديق الجازم الذي لا**

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ٨٨.

يخالطه شك في كل ما جاء به رسول الله ﷺ، ثم تصديق ذلك التصديق بالأعمال، أعمال الجوارح شاهدة ومصدقة لذلك الإيمان العظيم الذي في القلب، وكلمة الإيمان، كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) عنصر مهم يصدق ذلك الإيمان الذي في القلب (وإذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الأعضاء) ذلك الإيمان العظيم إيمان القلب هو العقيدة، فإذا تبين ذلك سهل علينا أن نتصور ما هي العقيدة"[١].

ومن الأحاديث التي يستندون إليها أحاديث الشفاعة وما ورد فيها (لم يعملوا خيرا قط)[٢]. قال الشيخ تعليقاً عليه:"**أي غير الإيمان بالله تعالى حيث لم يتمكنوا من العمل؛ آمنوا إيماناً صادقاً ولم يتمكنوا من العمل فماتوا**[٣]، **ولم يتركوا العمل وهم متمكنون من العمل؛ مقصرين ولكن ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل؛ ولكن ماتوا على الإيمان الصحيح، علم الله منهم صحة إيمانهم وصدقهم في إيمانهم، فيخرج الله هؤلاء القوم من النار**"[٤].

وللمزيد من الشبه والرد عليها يستحسن الرجوع إلى شرح الطحاوية وتعليق الشيخ رحمه الله عليها[٥].

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٧).

(٢) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه مسلم (١٨٣).

(٣) والمقصود أنه بمجرد حصول أدنى الإيمان في قلوبهم، والشهادة على ألسنتهم خرمتهم المنية، لكنهم قد عملوا عملاً مفسقاً عالمين به استحقوا دخول النار عليه، أو أنه حصل منهم تفريط في تعلمه، فيعاقبون على ترك ما أوجب الله عليهم، والله أعلم. انظر: فتوى اللجنة الدائمة ٢١٤٣٦ بتاريخ ١٤٢١/٤/٨هـ.

(٤) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٢٩) و (ب)، وهناك توجيهات أخرى لهذا الحديث، أقواها أن يقال أن نفي العمل في الحديث كنفي الإيمان في غيره من الأحاديث والله أعلم. للاستزادة انظر: الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل ١٣١/٢-١٦٢.

(٥) راجع: تعليق الشيخ على شرح الطحاوية الشريط (٥٠) و (٥١).

المطلب الثالث: جهوده في تحرير محل النزاع بين الجمهور ومرجئة الفقهاء:

قال الشيخ موضحاً مذهب أبي حنيفة في الإيمان وحقيقة الخلاف معه:"**ولكن الثابت عنه الإيمان هو الاعتقاد والأقوال، أي أعمال القلوب مع قول اللسان ولا يُدخِل الإمام أبو حنيفة الأعمال في مسمى الإيمان، أي لا يجعل الأعمال ركناً في الإيمان ولكنه يجعل الأعمال شرطاً في صحة الإيمان؛ لذلك وضح الإمام ابن تيميه في كتابه الإيمان الكبير[1] بأن الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وبين جمهور أهل السنة والجماعة خلاف لفظي ليس خلافاً جوهرياً؛ لأن الإمام لم يُهدر الأعمال كما أهدرت مرجئة أهل الكلام بل اعتبر الأعمال شرطاً، إذا قال الجمهور الأعمال جزء من الإيمان وشطر من الإيمان، وقال الإمام الأعمال شرط في الإيمان، ما هو محصل الخلاف؟ خلاف لفظي، كاختلاف الفقهاء مثلاً في النية في الصلاة : من أهل العلم من يجعل النية ركناً من أركان الصلاة، ومنهم من يجعلها شرطاً من شروط الصلاة، أليس الخلاف لفظياً؟ الكل يُطالَب بالنية ولا تصح الصلاة إلا بالنية كذلك هنا، إذا قال الإمام ومن ومعه من فقهاء الكوفة وعليه أكثر الأشاعرة بأن الأعمال شرط في صحة الإيمان وليست الأعمال شرطاً أي جزءً من الإيمان أصبح الخلاف لفظياً لا يؤثر؛ لذلك لو قال قائل بأن هذا التعريف الإيمان يتألف من أعمال القلوب والجوارح واللسان وهو محل إجماع، (لم يبعد النجعة) لم يذهب بعيداً، لكن يجب أن يُفهَم بأن الذي يدعي الإجماع في هذا إنما اعتبر الخلاف خلافاً لفظياً ولا يُنكَر وجود الخلاف اللفظي، وإنكار وجود الخلاف اللفظي غير وارد وغير موجود وغير واقعي، وهذا الذي عليه أهل العلم قديماً وحديثاً، مذهب الإمام أبو حنيفة معلوم، والذي عالج المسألة باهتمام وبعلم وبتحقيق هو الإمام ابن تيميةرحمه الله**"[2].

---

(١) صـــ ١٧١ وضمن الفتاوى ٢٦٧/٧، وسيأتي كلام شيخ الإسلام.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

والشيخ رحمه الله يشير إلى قول شيخ الإسلام رحمه الله:"ومما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنازع بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول من الفقهاء كحماد بن أبي سليمان، وهو أول من قال ذلك، ومن اتبعه من أهل الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد...ويقولون أيضا بأن من أهل الكبائر من يدخل النار كما تقوله الجماعة"(١).

والذي يظهر أن كلام شيخ الإسلام يتجه على أكثر التزاع، لا على كل التزاع كما أشار الشيخ محمد أمان رحمه الله، كما أن كلام شيخ الإسلام منصب على الاتفاق من الناحية العملية، ولذا قال (أكثر التنازع)، وأما الناحية العلمية الاعتقادية فالشبهة متلبسة بهم؛ ولذا قال بعض أهل العلم الخلاف بين أهل السنة وبين مرجئة الفقهاء حقيقي، وقد بين شيخ الإسلام أن الخلاف يكون لفظياً بزوال الشبهة العلمية حيث قال:"إذا تبين هذا وعلم أن الإيمان الذي في القلب من التصديق والحب وغير ذلك يستلزم الأمور الظاهرة من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، كما أن القصد التام مع القدرة يستلزم وجود المراد، وأنه يمتنع مقام الإيمان الواجب في القلب من غير ظهور موجب ذلك ومقتضاه، زالت الشبه العلمية في هذه المسألة، و لم يبق إلا نزاع لفظي في أن موجب الإيمان الباطن هل هو جزء منه داخل في مسماه؟ فيكون لفظ الإيمان دالاً عليه بالتضمن والعموم، أو هو لازم للإيمان ومعلول له وثمرة له؟ فتكون دلالة الإيمان عليه بطريق اللزوم"(٢).

ويحسن التنبيه على أن الشيخ محمد أمان رحمه الله وإن كان يرى الخلاف لفظياً، فإنه يرى أن ما ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه مخالف للكتاب والسنة، قال رحمه الله تعقيباً على قول شارح الطحاوية (نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد):"**الذي يترتب عليه مخالفة الكتاب والسنة، لا نقول فساد الاعتقاد، إن شئت سم فساد الاعتقاد، وإن شئت لم تسم، ولكن المخالفة حاصلة** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) الفتاوى ٢٦٧/٧.

(٢) المصدر السابق ٥٧٥/٧.

قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ **جعل الله هذه الأعمال من الإيمان: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وكيف نحن لا نطلق عليها أنها إيمان، لا نتهمك بفساد العقيدة ولكن نقول القول بأن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان مخالفة للكتاب والسنة، مخالفة صريحة، سم ذلك الخلاف إن شئت صورياً، وإن شئت جوهرياً ليس فيه مانع**"[(١)].

بل إن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ انتقد شارح الطحاوية عند محاولته بيان وجهة الإمام أبي حنيفة وأنه نظر إلى حقيقة الإيمان اللغوية وأن الأئمة نظروا إلى الحقيقة الشرعية، فقال:"**وهل أهملوا اللغة؟ وهل اختلف عرف الشارع واللغة؟ وهل الرسول ﷺ أهمل بيان الإيمان حتى يختلف الناس في عصر التابعين وتابع التابعين في حقيقة الإيمان؟ ..كلام غريب!! وكيف عاشت القرون التي قبل الإمام أبو حنيفة، الصحابة كيف فهموا وهم أولى الناس بفهم حقيقة الإيمان، وهو الذين شافهوا رسول الله ﷺ، ولا يجوز أن يعتقد أن الرسول ﷺ أهمل بيان الإيمان أصل الأصول، وبين كل شيء حتى الخراءة ...لو راجعنا كتاب الله وما استفاضت به سنة رسول الله ﷺ لتركنا هذا النزاع، وهذه الخصومة جانباً وعرفنا حقيقة الإيمان**"[(٢)].

إذا تقرر مذهب مرجئة الفقهاء في تعريف الإيمان وحقيقة الخلاف بينهم وبين أهل السنة، فينبغي أن يعلم أن مخالفتهم في ذلك تؤول إلى فتح باب الشر لأهل الأهواء، وتكون بذلك ذريعة، كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ :"**أبو حنيفة وأصحابه يعدون ويعتبرون من مرجئة الفقهاء –كما تقدم– وليسوا من مرجئة أهل الكلام، ولكن كلامهم هذا تأخيرهم الأعمال عن الدخول في مسمى الإيمان قد يكون ذريعة إلى الوصول إلى إرجاء أهل الكلام المذموم، وفعلاً بالغ بعضهم فوصل إلى تلك الدرجة، حيث رأى أن**

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٩) و (ب).

(٢) المصدر السابق الشريط (٥٠) و (ب).

إيمانه وإيمان السابقين من الأنبياء والمرسلين والملائكة في درجة واحدة"[1]، فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، ولاسيما وقد صار ذلك الخلاف ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء[2].

ويحسن في هذا المقام التنبيه على الفرق بين مرجئة الفقهاء ومرجئة أهل الكـــلام، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:**"الفرق بينهم وبين مرجئة أهل الكلام: مرجئة أهل الكـــلام: هـــذا الإيمان الذي هو التصديق لا تضره المعاصي والذنوب، وعند المرجئة مرجئة الفقهـــاء من أصحاب أبي حنيفة: يضر والأعمال لابد منها، ولابد من اجتناب المعاصـــي مـــن الصغائر أو الكبائر كغيرهم من أهل السنة**[3]**، هذا الذي حمل بعض أهل العلم علـــى القول بأن الخلاف بينهم لفظي"**[4]. وقال أيضاً:**"الذي ينبغي أن يفهمه طلاب العلـــم الإرجاء الذي هو عقيدة أبي حنيفة ومن تبعه غير إرجاء علماء الكلام؛ لذلك يسمون هؤلاء مرجئة الفقهاء، مرجئة أهل الكلام يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنبٌ، ويـــرون أن الناس لا يتفاوتون في الإيمان، وأن إيمان الأنبياء ومن بعدهم واحد؛ لأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم حقيقة واحدة، هؤلاء مرجئة أهل الكلام، ولكن مرجئة الإمام أبي حنيفة ومن تبعه لا يصلون إلى هذه الدرجة، وإن أخروا الأعمال عـــن مســـمى الإيمان وعلى كلٍ هذا المذهب خطأ، الصواب هو ما عليـــه الجمهـــور لا لجمهـــرتهم وكثرتهم ولكن لكون الدليل من الكتاب والسنة، كتاب الله يعد الأعمال من الإيمان كذلك السنة"**[5].

وبهذه المسألة يتم هذا المبحث وبالله التوفيق..

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٠) و (ب).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٣٩٤/٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢٩٧/٧.

(٤) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٧) و (أ).

(٥) شرح الأصول الثلاثة صـــ ٨٣.

المبحث الثاني
جهود الشيخ في توضيح زيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه

المطلب الأول: جهوده في توضيح زيادة الإيمان ونقصانه:

إن المعتقد الحق في مسألة الإيمان هو أنه قول وعمل يزيد وينقص، والخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فرع عن الخلاف في تحديد معناه الشرعي، وقد بين الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ معتقد أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه فقال:"**مما امتاز به جمهور أهل السنة والجماعة آخذين ذلك من الكتاب والسنة،[قولهم] ينقص الإيمان بالمعصية ويزيد بالطاعة، وهذا شيء يلمسه الإنسان من نفسه، يقول أبو ذر** رضي الله عنه: **(من لم يعرف أن إيمانه يزيد وينقص ليس بفقيه)**[1]**، إذا رأيت من نفسك الإقبال والرغبة فيما عند الله والنشاط في العبادة ومحبة الصالحين ومجالس العلم، هذه أمارات وعلامات على قوة إيمانك وزيادة إيمانك، وإذا رأيت منك الإدبار والكسل وعدم الرغبة في تلاوة كتاب الله وفي ذكر الله، ورأيت نفسك دائماً في تأخر في العبادة وفيما عند الله، هذا دليل على نقص إيمانك، عالج نفسك بالطب النبوي أكثر من ذكر الموت وزيارة القبور..**"[2]. وقال أيضاً:" **التوحيد يضعف ويقوى في نفس العبد، ويزيد وينقص؛ لأن أصل التوحيد هو الإيمان؛ الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة وتوحيده في أسمائه وصفاته بعد توحيده في ربوبيته، والناس يتفاوتون في هذا التوحيد، وعلى حسب كمال هذا التوحيد وضعف هذا التوحيد وقوته وزيادته، يكون انشراح صدر صاحبه، وهذا شيء يعلمه الإنسان من نفسه، زيادة الإيمان ونقص الإيمان وقوة الإيمان**

---

(١) ورد عن أبي الدرداء رضي الله عنه كلامه عن الإيمان بلفظ (من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص، ومن فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتيه) الإبانة لابن بطة (٢/٨٤٩) قسم الإيمان(١١٤٠).

(٢) التعليق على شرح الوا سطية الشريط (٣١) و (أ).

وضعف الإيمان وقوة توحيدك وضعفه، لو درس الإنسان حول نفسه في كل لحظة يدرك، هذه أعراض تعتري كل إنسان؛ لأن القوة والضعف لهما أسباب. أسباب ضَعف التوحيد ونُقصان التوحيد وضَعف الإيمان ونقصان الإيمان: المعاصي والإعراض عن الله سبحانه وتعالى. وأسباب قوة الإيمان وقوة التوحيد وزيادة الإيمان وزيادة التوحيد الطاعة والامتثال، إذا كانت الطاعة على وجه ما جاء به رسول الله ﷺ"[(١)].

وما قرره الشيخ موافق لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾

وقال جل في علاه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ وغير هذه الآيات كثير، وهي صريحة في أن الإيمان يزيد، ومفهوم منها أنه ينقص.

وضلت في هذا الباب أفهام وزلت فيه أقدام؛ فقالوا إن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وشبهتهم في ذلك كما قال الشيخ رحمه الله:"**شبهة الذين قالوا الإيمان شيء واحد: قالوا لو قلنا إن الإيمان يتكون من عناصر عديدة، إذا زال بعضه زال كله؛ لأن زوال عنصر من العناصر يؤدي إلى زوال بقية العناصر، ما فهموا مقاصد الشارع عندما قال ﷺ (أعلاها وأدناها) بيد أن هذه العناصر تتفاوت، إذن هذا هو الإيمان"**[(٢)].

وقال أيضاً:"**ومما ينتقد على علماء الكلام أهل السنة يقولون: كيف يكون الإيمان مركباً؟ لأن المركب إذا أزيل بعض أجزائه زال كله، وهذا غير صحيح ما الذي يُرد على هذا؟ يرد عليه الحديث السابق الذكر**[(٣)]**، (الإيمان بضع وستون شعبة) لأن النبي ﷺ: جعل الشُعب متفاوتة: الشعبة الأولى هي التي يزول الإيمان بزوالها، إذا زالت**

(١) شرح لباب انشراح الصدر من زاد المعاد الشريط (١) و (أ).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٥) و (أ).

(٣) سبق عزوه صـــ٥٣٣.

الشعبة الأولى شعبة (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) زال الإيمان كله لا يبقى شيء، وهل إذا ترك الشعبة الأخيرة؛ مر الإنسان في الطريق على الأذى فلم يزيله، هل يزول إيمانه؟ لا، ينقص الشُعب الأخرى غير الشعب الأولى بزوالها، ينقص الإيمان بقدر ما يترك الإنسان شعبة من الشُعب، وبقدر ما يرتكب من المحرمات والمعاصي ينقص إيمانه ولا يزول، وإنما يزول بزوال كلمة التوحيد والكفر بها والإتيان بما يناقضها"(١).

وبذلك يتبين أن الإيمان يتفاوت سواءً ما يقوم بالقلب، وكذا ما يقوم باللسان والجوارح. والله الموفق.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح الإستثناء في الإيمان:

بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ المراد بالاستثناء ومذاهب الناس فيه فقال:"**معنى الاستثناء هنا ليس الاستثناء عند النحاة، وإنما المراد بالاستثناء هنا التعليق بالمشيئة، كأن يقول الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله..اختلفوا في قول الإنسان أنا مؤمن إن شاء الله، على ثلاثة أقوال: الذين يرون أن الإيمان معنى واحد وهو الاعتقاد فقط، يرون أن الاستثناء محرم لا يجوز للإنسان أن يستثني؛ لأنه -يزعم- يقول أنا أعلم بأني مصدق كما أعلم بأني قلت: (أشهد أن لا إله إلا الله) وكما أني أعلم أني قرأت الفاتحة، ليس في هذا شك؛ لذلك لا يجوز أن يستثنى هذه المرجئة الجهمية، حرموا الاستثناء بناءً على الإيمان عندهم كما تقدم، ويسمون كل من يستثني شكاكاً..**

ومنهم من يوجب إيجاباً أن يستثني؛ بدعوى إن الإيمان ما يموت عليه الإنسان، والإنسان لا يدري هل هو يموت على الكفر أو على الإيمان، إذاً إذا قال أنا مؤمن يجب أن يستثني؛ لئلا يقطع بأنه سوف يموت على الإيمان، أو مأخذ آخر من قال أنا

(١) شرح الأصول الثلاثة صـــ ٨٧.

مؤمن قد يفهم منه أنه يدعي أنه غير مقصر، قد عمل جميع الأعمال وهو البر التقي المؤمن الصالح، وفي هذا تزكية للنفس؛ لئلا يقع في تزكية النفس يجب أن يستثني لهذين المأخذين"[(١)].

إذا تقرر ذلك فالحق ما قرره السلف قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**وأما السلف توسطوا بين الأمرين: يجوز الاستثناء باعتبار ويمنع باعتبار، من استثنى شاكاً في إيمانه، إذا قيل له أنت مؤمن طرأ عليه الشك إلى حد أنه يستثني شاكاً في إيمانه، هذا لا يجوز له أن يستثني ولا يجوز له أن يشك، بل يجب أن يدرس ويتأكد وينظر في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وفي كلام أهل العلم حتى يزول الشك ..الاعتبار الثاني: يجوز الاستثناء باعتبار قال الإنسان أنا مؤمن ولكن خاف من الرياء ومن تزكية النفس، من أنه حكم لنفسه أنه من كبار المؤمنين ومن الأبرار، عند ذلك يجوز له بهذين الاعتبارين"**[(٢)].
"**وهذا أصح الأقوال وهو الذي عليه سلف هذه الأمة، السلف وأتباعهم دائماً عندما تفترق الأقوال ويتطرف متطرف في التشدد، والآخر في التساهل، تجد منهج السلف دائماً وسطاً بين هذه الأقوال المتضاربة، وقد عرفنا ذلك في وسطيتهم في باب الأسماء والصفات، وفي أفعال العباد، وفي موقفهم من الصحابة، في مواقف كثيرة هم دائماً وسط"**[(٣)].

وما ذهبوا إليه هو الموافق لنصوص الكتاب والسنة، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على هذه الآية:"**فالله سبحانه وتعالى لا يشك في أنهم سوف يدخلون، يدخلون آمنين محلقين رؤوسهم يعلم كل ذلك، لماذا**

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٣) و (أ).

(٢) راجع: المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

استثنى. وقال ﷺ (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)[1] هذا للجزم وللتأكيد، في الآية وفي الحديث الاستثناء للتأكيد، كما يدل السياق"[2].

وبهذا يتم الكلام على هذه المسألة وبالله التوفيق.

المطلب الثالث: جهوده في توضيح الصلة بين مراتب الدين:

بين الشيخ رَحِمَهُ الله الصلة بين مراتب الدين فقال:**"مراتب الدين الإسلامي ثلاثة: المرتبة الأولى أوسع والتي بعدها أضيق والثالثة أضيق وأضيق ، أي بالنسبة لأهلها لا بالنسبة لمعناها، الإسلام أوسع إذ يدخل في الإسلام المؤمن الكامل والمؤمن ناقص الإيمان، بل حتى المنافق في الظاهر مسلم، كان كبار المنافقين يصلون خلف رسول الله ﷺ في مسجد رسول الله ﷺ وهم في الدرك الأسفل من النار، ظاهرهم الإسلام (قيل للنبي ﷺ ألا نقاتلهم؟ قال لا؛ لئلا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه)[3]، وهذه من السياسة الشرعية، افهم جيداً الذين يزعمون ليس في الإسلام سياسة، هذه أدق سياسة ارتكاب أخف الضررين، بقاؤهم بين المسلمين وهم يصلون خلف النبي ﷺ مع ذلك هم عيون للمشركين ضد المسلمين، لكن أخف من أن يُقتَّلوا ويكونوا سبباً في صد الطريق على الناس الذين يريدون أن يدخلوا في الإسلام، فليبقوا فلنصبر على شرهم، فليدخل الناس في دين الله أفواجاً، هذه هي السياسة الشرعية في الظاهر، يُطلق عليهم مسلمون وهم في الباطن كفار، وهذا معنى أن الإسلام أوسع. والإيمان أوسع من الإحسان؛ لأنه يشمل المؤمنين الذين وصلوا إلى درجة الإحسان، والمؤمنين الذين لم يصلوا إلى تلك الدرجة أي المقتصدين، يشمل الإيمان المقتصد والسابق**

---

(١) رواه مسلم (٥٨٤).

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٣) و (ب).

(٣) رواه البخاري (٤٩٠٥) ومسلم (٦٣).

باالخيرات، ولكن المحسنون نخبة من المؤمنين الذين وصلوا لدرجة المراقبة الخاصة، الذين عبدوا الله كأنهم يرون الله، إذن الإحسان أدق وأهله أقل، ومن حيث المعنى أوسع؛ لأن الإحسان يشمل إحسان العمل فيما بينك وبين الله، والإحسان إلى عباد الله يشمل كل ذلك، إنما كونه ضيق من حيث أهله"[1].

ويدل لما ذكره الشيخ حديث جبريل المشهور[2] قال الشيخ معلقاً عليه:"**هكذا تفضل الله سبحانه وتعالى على عباده بهذا التعليم الشامل، الذي اشتمل على جميع درجات الدين الإسلامي، هذا الحديث مشتمل على درجات الدين الإسلامي، درجات الدين ثلاثة: (إسلام) وهي أوسع الدرجات، (إيمان) تلي الدرجة الأولى ثم (إحسان) أضيق الدرجات، هذا هو الدين كله، إسلام وإيمان وإحسان"**[3].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً تلازم كلٍ من مرتبتي الإسلام والإيمان:"**إذا كان الإسلام شرعياً وهو الاستسلام والانقياد، وإذا كان الإيمان شرعياً وهو الاعتقاد والأقوال والأفعال، لا يمكن أن يوجد إيمان معتدٌ به وهو اعتقاد القلب إلا ومعه إسلام بالجوارح وقول باللسان، وقد يُستغنى بأحدهما عن الآخر فيذكر الإيمان ويُثنى على المؤمن ولا يأتي ذكر للإسلام؛ لأن أحدهما إذا ذُكِر دخل في الآخر، يقولون القاعدة (إذا افترقا اقترنا ، وإذا اقترنا افترقا)[4] إذا ذُكِرا معاً افترقا في التفسير والمعنى ، وإذا ذُكِر احدهما دون الأخر اتحدا في المعنى، إذا أثنيت على مسلم فإنما أثنيت على مسلم مؤمن والعكس، وقد يكون إسلام بدون إيمان** ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

(٢) سبق عزوه صـــ٤٠٤.

(٣) شرح الأربعين النووية الشريط (١) و (أ).

(٤) انظر: شرح الطحاوية صـــ ٤٨٨، مجموع الفتاوى ٧/ ٢٥٢.

﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ، **هذه الآية اختلف أهل العلم – أهل العلم بالمفهوم الصحيح – من المفسرين والمحدثين والمحققين اختلافاً واضحاً بيناً وليس بلفظي بل جوهري، كثير من المفسرين يرون أن هؤلاء الأعراب من المنافقين، وفي مقدمتهم [الإمام البخاري]**(١) **(ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا في الظاهر حفظاً لدمائنا وأموالنا كالمنافقين تماماً، وذهب غيرهم إلى أن الإيمان المنفي هنا هو الإيمان الكامل وليسوا بمنافقين، وقوله تعالى: (**قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا**) لم تؤمنوا الإيمان الكامل الذي تستحقون عليه المدح، ولكن لديكم إيمان ضعيف، مثل نفي الإيمان عن الزاني والسارق والشارب (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)**(٢) **النفي هنا: نفي كمال الإيمان لا نفي الأساس، يرى كثير من المحققين أن الآية مثل هذا الحديث تماماً، وأيدوا ذلك بقولهم (**وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا**) أي لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً، قال شيخ الإسلام (لا يقال في المنافق مثل هذا القول) المنافق يُكذَب، ولكن الذي يقال له (**وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ..**) هو المؤمن الناقص الإيمان؛ لذلك يرى شيخ الإسلام ومن معه من المحققين أن هؤلاء الأعراب ليسوا بمنافقين ولكنهم مؤمنون ناقصو الإيمان؛ بدليل هذا الوصف، ثم بعد ذلك جاءت آية بعدها تصف المؤمنين الصادقين حقاً وهي:** ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ، **وأنتم لستم بالمؤمنين الصادقين فيكم تردد ونقص في إيمانكم، والاستدلال بآخر الآية (**وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.. **) أقوى في أن القوم ليسوا بالمنافقين ولكنهم ناقصو الإيمان**

(١) في الأصل [الحافظ ابن كثير] ولعله سبق كلام من الشيخ رحمه الله؛ فإن ابن كثير رجح أنهم ليسوا بمنافقين، انظر: التفسير ٧/٣٢٨٠.

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

بهذه الآية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ..﴾ **وعلى كل حالٍ هذان قولان مشهوران لأهل العلم، ومن أطمئنت نفسه إلى قول من القولين فأخذ فليأخذ به، ولكنني أميل إلى القول الثاني**"[(١)].

والمقصود أن "**الإسلام أوسع؛ لأن الإسلام هو الاستسلام الظاهري، قد يدخل فيه إسلام المنافقين، والإيمان أضيق وأخص؛ لأن الإيمان لابد أن يكون هناك تفريق في القلب زيادة على الإسلام الظاهري، والإحسان أدقهما أي الإحسان الإتقان المحسنون خلص المؤمنون إذا وصل الإنسان إلى درجة الإحسان كان مسلماً مؤمناً إزداد زيادة بزيادة الأعمال حتى قوي إيمانه وارتقى وقوي، ووصل إلى درجة من شدة مراقبة الله تعالى أنه يعبد الله كأنه يشاهده، تؤثر فيه مراقبة الله ومحبة الله وخشية الله إلى درجة أنه يعبده كأنه يراه فيشاهد، إيماناً منه بأنه يطلع عليه الله دائماً وأبداً، فالله يراه ويسمعه ويعلم منه كل شيء، الوصول إلى هذه الدرجة ليست بالحكاية كما نحكي، ولكن بالعمل، وقل من يصلون إلى هذه الدرجة، درجة الإحسان لا يصل المرء إلى هذه الدرجة إلا بالعلم واليقين والصبر**"[(٢)].

وبهذا يتم البحث في هذا المبحث وبالله التوفيق.

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

(٢) شرح الأصول الثلاثة صـــ٦٨.

المبحث الثالث
جهود الشيخ في توضيح الكبيرة ومسائل تتعلق بها

هذه المسألة من مسائل الأسماء والأحكام، وهي من المسائل التي ظهرت في أواخر عصر الصحابة، وسأوجز كلام الشيخ محمد أمان رحمه الله عليها في المطالب التالية:

المطلب الأول: جهوده في توضيح الكبيرة وحكم مرتكبها:

اختلف أهل العلم في بيان ضابط الكبيرة اختلافاً كثيراً(١)، قال الشيخ رحمه الله: **"الكبيرة: ما فيه الحد في الدنيا؛ جميع الذنوب التي فيها الحدود في الدنيا من الكبائر، أو ما ختم ببراءة الله أو براءة رسوله ﷺ من فاعل ذلك الذنب؛ من فعل كذا برئ الله ممن فعل كذا، وبرئ رسوله ﷺ إلى غير ذلك..أو ختم بعذاب أليم وبعذاب شديد، وليس هناك تحديد لعدد من الكبائر، ولكن الكبائر تعرف بهذه القواعد"**(٢). وقد حذر الشيخ من السيئات جميعها صغيرها وكبيرها، فالصغائر قد تؤول بصاحبها إلى الكبائر، قال الشيخ رحمه الله:**"من ارتكب كبيرة واحدة فاسق، ومن أصر على صغيرة فهو فاسق، الصغيرة حال الإصرار عليها تتحول إلى كبيرة (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار)**(٣) **تكاد تكون هذه قاعدة"**(٤).

ويختلف حال العاصي باختلاف ما يقوم به حال ارتكابه للمعصية، قال الشيخ رحمه الله:**"هناك فرق بين من يقترف كبيرة من الكبائر وهو خائف وجل ومستعظم لهذه المعصية، وبين من يقترفها وهو فرح مسرور ومستهين بأمر الله ونهيه، ولا يبالي. بين الرجلين فرق: أحدهما حي القلب وهو الأول، والآخر ميت القلب أو مريض. الأول:**

---

(١) ذكر شارح الطحاوية أكثر من عشرة أقوال، انظر: صـ٤١٧-٤١٨، مجموع الفتاوى ٦٥٠/١١-٦٥٧.

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٥) و (أ).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (أ).

قد تحمله هذه الحالة وحياة قلبه وخوفه من الله قد يحمله هذا المعنى على المبادرة إلى التوبة وعدم الإصرار على هذه المعصية. والآخر قد يحمله موقفه وقساوة قلبه وعدم مبالاته بما اقترف على الإصرار والازدياد من الكبائر، ولا يفكر بالتوبة، هذا هو الفرق الواضح بين الرجلين"[١].

حكم مرتكب الكبيرة:

لاشك أن مرتكب الكبيرة قد شوه إيمانه بقدر ما فعل من الذنوب، وبمقدار ما ترك من الطاعات، وليس معنى ذلك أن فاعل الكبيرة يكون كافراً كفراً مخرجاً من الملة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**أهل السنة والجماعة لا يكفرون مرتكب الكبيرة، ولا يعطونه الإيمان الكامل المطلق، بل يقولون مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ أي مؤمن عاصٍ لا يخرج من دائرة الإسلام مهما تكون الكبيرة كبيرة، إن مات على ذلك يخشى عليه وأمره إلى الله، لا يقال إنه من أهل النار؛ لكونه مات مرتكباً لكبيرة ولكنه على خطر، هذا موقف لأهل السنة قديماً وحديثاً**"[٢]. وقال أيضاً:"**أهل السنة والجماعة لا يسلبونه الإسلام بالكلية ولا يخلدونه في النار، الفاسق الملي أي الفاسق الذي خرج عن الطاعة، عن طاعة الله وعن طاعة رسوله ﷺ، ولا يلزم بمجرد خروجه عن الطاعة؛ الخروج من الملة إلا إذا نص الشارع. والفاسق الملي الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاد حرمتها فهو مؤمن ناقص الإيمان**"[٣]. وقد نقل الإجماع على ذلك جماعة من أهل العلم[٤].

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٧) و (ب).

(٢) المصدر السابق الشريط (٤٧) و (ب).

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٤٨٣/١٢، رسالة إلى أهل الثغر صـ ٢٨٦، شرح الطحاوية صـ ٤٤٢-٤٤٣.

وأشهر من خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الخوارج والمعتزلة، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مبيناً موقفهم:"**الخوارج عندهم من ارتكب كبيرة خرج من الإسلام؛ كافر حلال المال والدم، كافر في الدنيا ومخلد في الآخرة.**

وأما المعتزلة زعموا أنهم يريدوا أن يتوسطوا بين أهل السنة وبين الخوارج، خالفوا الخوارج خلاف لفظي غير جوهري؛ حيث زعموا أنه يخرج من الإسلام، ولكنه لا يدخل في الكفر. أين يكون في هذه الدنيا؟ يكون في منزلة بين الكفر والإيمان، هذه المنزلة لا وجود لها، هم الذين انشئوها، منزلة بين الكفر والإيمان؛ لا كافر ولا مؤمن، وإذا مات على ذلك فهو مخلد في النار، أي يوافقون الخوارج في أحكام الآخرة ويخالفونهم في أحكام الدنيا"[(١)]. وقال أيضاً:"**يجهل الجاهلون ويُكفرون مرتكب الكبيرة أو يسلبون منه الإيمان، فيخرجونه من الإيمان ثم لا يدخلونه في الكفر في زعمهم، يبقى في مرحلة انتقالية بين الإسلام وبين الكفر، حتى يموت وهذا عند المعتزلة، وعند الخوارج يخرج من الإسلام ويكفر كفراً بواحاً. ما الفرق بين الطائفتين؟ فرق شكلي صوري، بمعنى عند المعتزلة في أحكام الدنيا لا يُحكم على ماله بالحِل، ولا على دمه حتى يموت، وعند الخوارج حلال الدم والمال، ينتظر المعتزلي حتى يموت فإذا مات ألحقه بالكفار مع الخوارج خالد مخلد**"[(٢)].

وقد ناقش الشيخ المخالفين لأهل السنة من الخوارج ومن نحا نحوهم بقوله:"**أخطئوا وقالوا: تجنُب الكبائر من الإيمان، والإتيان بجميع الواجبات من الإيمان، من ترك واجباً أو ارتكب كبيرة خرج من الإيمان، اتفقوا على خروجه من الإيمان، اتفق كل الخوارج والمعتزلة على أن السارق والشارب والزاني والمنتهب خرج من الإيمان. إلى أين يذهب؟ عند الخوارج خرج من الإيمان ودخل في الكفر فهو كافر، وعند المعتزلة قالوا يخرج لكن في هذه الدنيا ننزله في مكان معين ينتظر الموت، إن مات**

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٧) و (ب).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

وهو في ذلك المكان فهو كافر، وإن رجع فهو مؤمن، قالوا في منزلة بين المنزلتين وهذه المنزلة وهمية لا وجود لها إلا في أذهان المعتزلة، الشارب والسارق خرج من الإسلام لكنه لم يدخل في الكفر بمعنى لا يحل ماله ولا دمه. كيف لا يحل ماله ولا دمه وأنت أخرجته من الإسلام؟! يقول نعم أخرجته من الإسلام لم أدخله في الكفر، إذن الخوارج والمعتزلة مختلفون في أحكام الدنيا، ومتفقون في أحكام الآخرة، المقصود من الإيمان هو أحكام الآخرة، فإن مصيره إلى النار عند الجميع، بهذا خالفوا أهل السنة والجماعة.

فمرتكب الكبيرة عند الخوارج والمعتزلة لا فرق بينه وبين اليهودي والنصراني، ولهذا كفروا علياً ومعاوية وأصحابهما ، ليس معنى ذلك أنهم ارتكبوا كبيرة معروفة، لكنهم ارتكبوا كبيرة في تفسيرهم (الخوارج)؛ لأن علياً لما حكّم الرجال في الدين بزعمهم ارتكب كبيرة، يقولون ما للرجال وللأحكام؟ جهلاً منهم بأن الله حكّم الرجال في جزاء الصيد، وفي ما يجري من الإصلاح بين الزوج والزوجة. قالوا: عندما قاتل خصومه إن كانوا كفاراً يجب أن يغنم ويسبي، وإن كانوا مؤمنين لا يجوز له القتال، جهلوا بأن قتال علي قتال تأديب، فرقٌ بين القتل وبين القتال، الحاكم قد يحارب القوم في شؤون سياسية حرب تأديب؛ ليكسر شوكتهم، في حرب التأديب لا سبي لا يُسبَى ولا يُغنَم، ومن تولى لا يُلحَق، ومن عجز عن القتال لا يقاتل، هذا قتال تأديب هذا الذي جهله الخوارج، ويعتبر محو اسمه بالمصالحة، كلمة أمير المؤمنين تعتبر عندهم كبيرة، وابن عباس أقنعهم بأن هذه ليست بكبيرة ولا تؤثر مجرد محو اسمه، لم يُخرج ذلك رسول الله ﷺ من الرسالة والنبوة، عندما مُحيَ اسمه محمد رسول الله في صلح الحديبية، وكتب من محمد بن عبد الله، ورسول الله ﷺ أفضل. إذا كان محو كلمة رسول لم تؤثر في رسالته ونبوته، لا يؤثر ذلك في علي بن أبي طالب .

هذا يسمى تطرفاً في الفهم، والخوارج من المتطرفين وإن كان بعض المهيجين الآن يستنكرون كلمة التطرف، ويحاولون أن يهولوها تهويلاً؛ ليحولوا بين الناس وبين

استعمالها، التطرف واضح: كل من بالغ في فهم شيء وتطرف في فهم وتصور أمر ما، فهو متطرف"[١].

واستمر الشيخ في مناقشتهم مستدلاً بالآيات والأحاديث ومن ذلك استدلاله رحمه الله بقوله تعالى:" ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ **محل الشاهد** (من المؤمنين)، (فأصلحوا بينهما)؛ **لأنهم إخوة، كلام الله واضح، الله يسمي المسرفين**﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ **لم يقل أيها الكفار أيها الفساق أيها المجرمون ؛ ترغيباً لهم في التوبة يسميهم عباده ويضيفهم إلى نفسه (يا عبادي) ما ألطف هذه الإضافة!**"[٢]، "**وكذلك حديث (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..)**[٣] **يجب أن نعرف ما نوع هذا النفي، هذا يقال نفي كمال الإيمان، مَن تجرأ وارتكب فاحشة الزنا ليس بمؤمن إيماناً كاملاً، ومن سرق ليس بمؤمن إيماناً كاملاً، نقص إيمانه بفاحشة الزنا والسرقة وشرب الخمر والنهب؛ لأن هذه من الكبائر وهي من ذوات الحدود بالإجماع، من ارتكب الكبائر نقص إيمانه فبقي في مطلق الإيمان، أي فيه إيمان ضعيف يحفظ له اسمه ويُحرِّم دمه وماله، ويحفظ له الأخوة الإسلامية بينه وبين الآخرين، والأمثلة توضح ذلك: ما حد السارق؟ قطع اليد، وهل جعل الله حد السارق حد الردة؟ لا ، لو كان السارق كافراً يكون حده حد الردة، وقِس على ذلك جميع هذه الأشياء التي فيها الحدود، إثبات الحدود فيها دليل على أنهم لا يزالوا في حظيرة**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٥) و (أ).

(٢) المصدر السابق الشريط (٣١) و (أ).

(٣) سبق عزوه صـــ ٥٥٠.

الإسلام، ولكن يُعاقبون بهذه العقوبات، وأوضح من هذا كان يوجد في مجلس رسول الله ﷺ صحابي لطيف محب لرسول الله ﷺ ويُكثر من مجالسته – من لطافته قدّم عُك من عسل أو سمن فقال: يا رسول الله هذه هدية، وهو يعلم بأن النبي ﷺ يقبل الهدية فأخذه، فجاء في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله أعطني ثمن العُك، فقال: يا عبد الله ألم تقل أنها هدية؟ قال هدية، ولكن ليس معي نقود أخذته بالدين، ضحك رسول الله حتى بدت نواجذه فأعطاه الثمن– هذا الصحابي ﷺ قدر الله عليه أن شرب الخمر فأوتي به فجُلِد، فشرب المرة الثانية فجُلِد، فأوتي به المرة الثالثة، فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله ﷺ وهو سكران، قال النبي ﷺ :(لا تلعنوه فإنه يحب الله ورسوله)[١]، على الرغم مما وقع فيه.

إذن من ارتكب الكبيرة قد لا يخرج من قلب مرتكب الكبيرة محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، وكلكم تعلمون قصة ماعز ﷺ (الذي ارتكب فاحشة الزنا وهو محصن، فأبى إلا أن يُطهَر، كان النبي ﷺ يريد أن يرجع ويتوب فيما بينه وبين الله، كل ما يُعرِض عنه النبي ﷺ يأتي من الطرف الثاني ويقول: طهرني يا رسول الله، فاعترف بفاحشة الزنا وهو محصن، وكان ﷺ يقول: شموا فمه لعله شرب، هل هو كامل العقل اسألوا أهله؟ أصر ماعز إلا أن يُطهر فطُهِر بالرجم، حتى شرد وقُتِل بالحرة، فأخبر النبي ﷺ (أنه تاب توبة لو وُزِعت على أهل المدينة لوسعتهم)[٢]، لو كفر بمجرد أن ارتكب الكبيرة فاحشة الزنا لم يُعامَل هذه المعاملة. (جاءت الغامدية وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا رسول الله لا تردني كما رددتَ ماعزاً، ها أنا حبلى أقم عليَّ الحد، فقال ارجعي لبيتك حتى تضعي، فرجعت لبيتها حتى وضعت، فلفت الطفل في خرقة فجاءت تطلب إقامة الحد، انظروا إلى هذه الطهارة وهذا الإيمان، فأمر الرسول ﷺ أن ترجع إلى بيتها حتى يطعم الطفل، ويستغني عن اللبن، فجاءته في يده كسرة خبز،

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٨١٥) ومسلم (١٦٩١).

فطُهِرت بالرجم، فأخبر النبي ﷺ: (أنها تابت توبة لو وُزِعت على أهل الدنيا لوسعتهم)[1]، لو أن المرأة كفرت مِن أول ما ارتكبت فاحشة الزنا هل يقال فيها هذا الكلام؟ هل تعامل بهذه المعاملة؟ إذن مرتكب الكبيرة ينقص إيمانه، ولا يكفر، لا يزال مسلماً ناقص الإيمان، بهذه النصوص تعلمون تخبط الذين يتخبطون من المعتزلة والخوارج"[2].

وبهذا التقرير يتضح المعتقد السديد المبني على النصوص الشرعية تجاه مرتكب الكبيرة، والله أعلى وأعلم وبالله التوفيق.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالكبيرة:

ويشتمل هذا المطلب على مسائل، وعرضها كما يلي:

المسألة الأولى: الفرق بين فعل الكبيرة والاستهزاء بشيء جاء به النبي ﷺ:

إن من المسائل التي أكد الشيخ على ضرورة التفريق بينها مسألة فعل الكبيرة والسخرية بشيء مما جاء به النبي ﷺ، ولما كان تحقيق الشيخ لهذه المسألة كاف في بيان الحق اكتفي به قال رحمه الله:**"فرق بين من يأتي كبيرة وبين من يُنكر حرمة الكبيرة، من يأتي كبيرة لا يكفر بإتيانها ينقص إيمانه ويصبح فاسقاً مؤمن بقدر ما فيه من إيمان وفاسق بكبيرته، أما من أنكر وجوب الصلاة والزكاة مثلاً، أو أنكر حرمة السرقة وحرمة شرب الخمر وما في معناهما من الكبائر ومن المحرمات يكفر بهذا الإنكار، أي الإنكار والاستحلال والإباحة يكفر المرء ولو لم يتعاطَ المرء ذلك الشيء ولو صلى، يصلي مع الناس ، يقول مع الناس نمشي ونصلي معهم لكن يقول: إيش هذه الصلاة هي التي**

---

(١) رواه مسلم (١٦٩٥).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

أخّرتنا، والناس تقدمت راحت وصعدت إلى القمر، ونحن الصلاة الصلاة كل وقتنا نتردد إلى المساجد، فهو كافر وهو في المسجد وفي الصلاة وواقف مع الناس في الصلاة فهو كافر بهذا الاعتقاد.

لتفرقوا بأن مسألة الإنكار والاستخفاف والسخرية بما جاء به الرسول ﷺ، من الردة ومن نواقض الإسلام، هذه النواقض التي سماها أئمة الدعوة في الآونة الأخيرة نواقض الإسلام، ماذا يسميها الفقهاء سابقاً؟ يسمون الأمور التي يرتد بها الإنسان من الإسلام، بمعنى إن هذه النواقض ليست أمور جديدة، ومن درس باب الردة في كل مذهب من المذاهب يجد هذه النواقض مذكورة ولكن ليست بهذا الاسم، وتجدد الاسم والاصطلاحات لا تغير ولا تتبدل، أريد أن أقول لا تحسبوا إن ذكر نواقض الإسلام أمر جديد بل مذكورة ومعروفة في كتب الفقه، ينص الفقهاء لو أن إنساناً قال الخبز حرام يكفر؛ لأنه معلوم من الدين بالضرورة أنه مباح حلال من الطيبات، لذلك مسألة إتيان الكبيرة وترك الواجبات من الأشياء التي تجعل المرء فاسقاً لا تخرجه عن الملة، الفاسق عند أهل السنة والجماعة ، من ارتكب كبيرة أو أصر على صغيرة؛ إذ لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، الصغيرة التي لم يأتِ فيها وعيد شديد من ذوات الحدود، لكن إذا أصر ولم يتب تتحول إلى كبيرة ، والكبيرة إذا ارتكبها مرة واحدة فهو فاسق حتى يتوب، لو مات بعد أن ارتكب الكبيرة قبل أن يتوب أو أصر على الصغيرة فمات قبل أن يتوب أهل السنة لا يخلدونه في النار بل يخافون عليه، لا نجزم أنه خالد بالنار بل لا نجزم بدخوله النار، إذ قد يسعفه الله بشفاعة الشافعين ، ويحتمل أن هذا الذي ارتكب كبيرة له أعمال صالحة كبيرة وكثيرة ترجح بكبيرته فيدخل الجنة"[1].

وحاصل ما سبق يلخصه جواب الشيخ على السؤال الموجه إليه: هل المستخف بالمعصية كافر؟ وهل يكون الاستخفاف بالمعصية بمعنى الاستهزاء؟ **فأجاب:" إذا كان**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

هذا مرادك بالاستخفاف أنه قد يتبع هواه فيقع في المعصية مع العلم بأنها معصية وحرام هذا المقدار لا يُكَفِّر كفرا بواحا؛ ولكن إذا سخر من النصوص التي حرمتْ هذه المعاصي بل لو سخر من النصوص التي شُرِعَت بها السنن يَكْفُر؛ ولكن لا نحكم على كل من وقع في المعصية بأنه سخر منها، وسخر من النصوص أو استخف بها، إنما زين له الشيطان ونفسه الأمارة بالسوء فوقع فترجى له توبة فلو مات على ذلك فأمره مفوض إلى الله"[1].

المسألة الثانية: الشهادة لمعين:

قرر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في غير موطن أنه لا يشهد لأحد بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ :"**لا يجوز لأحد أن يقول إن فلاناً من أهل الجنة إلا من شهد له النبي ﷺ، وقد شهد النبي ﷺ لعدد من الصحابة (فأبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة..إلى آخر العشرة المبشرين بالجنة)**[2]**، وغير العشرة في غير هذا الحديث: بشَّر بعضهم بل رأى لبعضهم بيتاً في الجنة.**
وغير هؤلاء من لم يشهد له النبي ﷺ أنه في الجنة مهما بلغ من الصلاح والتقى ما بلغ، نقول له نرجو له خيرا، من مات على خير عمله فأرجوا له خيرًا، نرجو له خيرا ولكن لا نشهد له أنه من أهل الجنة...لا نشهد كذلك على أحد بأنه من أهل النار إلا من عرفنا موته على الكفر، نشهد بأن أبا لهب في النار، وأبا جهل في النار، وأمثالهم من الكفار، من عرف أنه مات على الكفر يشهد عليه بأنه في النار، وأما قبل ذلك مهما أسرف الإنسان ما أسرف وربما تأخذك العاطفة أحياناً وترى إنساناً مسرفاً عربيداً سكيراً مسرفاً هالكاً في المعاصي، وربما تأخذك العاطفة فتقول هذا في النار، لا، خطأ لا يجوز . كما لا يجوز لمن رأيته محسناً صالحاً تقياً لا يجوز أن تشهد له بالجنة، كذلك من

(١) ٢٨ سؤال حول الدعوة السلفية و (ب).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠).

رأيته مسرفاً لا يجوز ذلك أن تشهد عليه بالنار، بل لا يجوز لعن معين لا يجوز أن تلعنه"[١].

المسألة الثالثة: لعن المعين:

إن مسألة اللعن المطلق إن تحقق موجبه من (الكفر، والبدعة، والفسق) جاز من حيث العموم[٢]، وأما مسألة لعن المعين فهي مسألة اجتهادية فبعض أهل العلم يجيز لعن المعين إن تحقق موجبه، وبعض أهل العلم لا يجيزون لعن المعين؛ لأنه لا يُدرى بما يختم له، وجاء في الحديث (إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة)[٣]، والذي رجحه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو أنه لا يجوز لعن المعين، حيث قال:**"الذي لا يجوز مطلقاً: لَعْنُ المعين، لا يجوز أن تلعن مُعَيَّناً، ولو كافرا إلا بصفة عامة، فلعنة الله على الكافرين على الظالمين على الفاسقين، أما لعن المعين فلا؛ لأنك لا تدري بما يَخْتِمُ الله له بعد أن كان كافراً، مشركا، منافقا، علمانيا؛ قد يتوب الله عليهم فيتوب فيموت مسلماً لذلك لا يجوز لك أن تلعن معيناً؛ لأن اللعن هو الإبعاد من رحمة الله"**[٤].

وقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ: هل يجوز لعنُ الْمُعَيَّن؟ فأجاب:**"لا يجوز، لعن المعين ولو كان كافرا لأن هذا المعين "زيد" من الناس إذا قلتَ:"لعنه الله" وسميته فاللعن معناه الإبعاد من رحمة الله، ولا تدري بما يختم لهذا المعين من إيمان بالحسنى – لا تدري– فلذلك الْمَشْرُوع أنْ تلعنَ الكافرين و الظالمين والفاسقين بالجملة، "لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين"، وأما لعن الْمُعَيَّن فلا، ثم إن الإكثار من اللعن ليس من صفات المؤمنين"**[٥]؛ لما سبق في الحديث (إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة).

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٤٧) و (ب)، وراجع الشريط (٧٥) و (ب) منه.

(٢) لعموم النصوص الواردة في ذلك.

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٨).

(٤) جواب على أسئلة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة في الدعوة إلى الله).

(٥) ٢٨ سؤال حول الدعوة السلفية السؤال و (ب) س (٢٤).

المسألة الرابعة: حكم سب الله تعالى وسب الدين والرسول ﷺ:

سئل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما حكم من سب الله سبحانه وتعالى وسب الدين أو سب الرسول عليه الصلاة والسلام؟ مع التفصيل حيث إن هنالك فتوى بأن مَن سب الله وإن تكرر منه ذلك باستمرار طالما أنه يصلي فهو فاسق وليس بكافر؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: "**نحن في عصر العجائب وهذه الفتوى من العجائب إنْ كان المفتي مِن أهل العلم، فَكُفْرُ مَنْ سَبَّ الله ورسوله والدين الإسلامي محل إجماع، ولا نعلم الخلاف في ذلك أبدا – قبل هذا المفتي– كائنا من كان – قبل هذا المفتي – أهل العلم مجمعون على أن مَنْ سب الله يعتبر كافراً كفراً بواحاً، ومن سب رسوله عليه الصلاة والسلام أو الدين الإسلامي أو سخر من الرسول أو سخر من الدين أو سخر من الله، فينبغي أن ننظر في المسألة نظرة عقلية، فالذي يسب الله أليس معنى ذلك يكره الله؟**

شاب سألني البارحة أو قبل قال:"لو سب الله في حالة غضب، ما الحكم؟

الجواب:غَضِبَ على مَنْ؟!! يعني غضب على الله فسبه؟! وأراد الشاب أن يقيس –لعله دارس للفقه– قال:(على طلاق الغضبان)؟ الجواب: هذا قياس مع الفارق، غضب زيد على امرأته لسوء عشرتها غضباً شديداً حتى فقد الشعور فطلقها، لا يقع الطلاق؛ لكن تعالوا هل تتصورون عبداً من عبيد الله يغضب على رب العالمين فيسبه؟ يسب الله!!، هل تسب من تحبه؟!! "لا"، إنما تسب من تبغضه هنا سر الكفر؛ لأنه يُبْغِضُ الله –كره اللهَ حتى سبه– إذا كره الله كفر؛ لأن كراهة الله خراب القلب –حقيقة الكفر خراب القلب– ومن خرب قلبه وكره خالقه وسب الله لا يجوز لمسلمٍ أن يشك في كفره، ومَنْ يشك في كفره فلم يُكَفِّرْه فَيَكْفُر هو الثاني.

فانظر إلى المسألة بعين البصيرة؛ محبة الله روح الإيمان، ومحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام شعبة عظيمة من شعب الإيمان، فكيف يجرؤ مسلم أن يسب رسول الله عليه الصلاة والسلام؟!! ، رسول الله الذي أثنى عليه أبي طالب وهو لم يؤمنْ به، وأثنى على دينه – يا سبحان الله– أبو طالب يقول وهو يعترف بصحة دين محمد عليه الصلاة والسلام:

وَلقد علمت بأن دين محمدٍ   مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا
لَولا المَلامَةُ أَو حِذارٌ مسبَّةً   لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ مُبينا[1]

مَنَعَ أبا طالب من الإيمان خوفُ المسبة وخوفُ الملامة؛ ولكنه يُقَدِّرُ رسول الله عليه الصلاة والسلام ويستميت في الدفاع عنه فآزره حتى بلغ رسالة ربه.
و يأتي في هذا الوقت يفتي مفتٍ:"ولو سب الله ولو سب رسول الله عليه الصلاة والسلام، طالما يصلي فهو فاسق ليس بكافر"!! وهل صلاته تقبل؟!! وهل صلاة المرتد تقبل؟!! أليس من شرط قبول الأعمال الإيمان؟! فهذا ليس بمؤمن، لذلك لا ينبغي أن ننخدع إذا هفا عالم هفوة، فلكل جوادٍ كبوة، ولكل عالمٍ هفوة ولكنها زلة، (زَلةُ العالِم زلةُ العالَم)، وخصوصاً في هذا الوقت هذه الأشرطة أصبحت تنقل كل شيء، من خير وشر إلى العالم في الداخل والخارج.

فكم يكون عيباً وعارا أن ينقل من عالم سني فتوى يفتي فيها بأن من سب الله ورسوله ليس بكافر، وقد اجمع العلماء قبله على ذلك. وسر الكفر واضح كما علمتم؛ لأن سر ذلك خراب القلب، فنسال الله لنا ولكم الثبات، فالمسالة خطيرة، ومن يتصدون للفتوى عليهم أن يراقبوا الله رب العالمين وإلا فموقفنا خطير"[2].

وبهذه المسألة يتم هذا المبحث والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هكذا اشتهرت نسبة البيتين إلى أبي طالب انظر: الإصابة ٣٩٢/١٢، وذكرهما ابن كثير بلفظ مقارب في البداية والنهاية ٤٢/٣، وقد نُسب لأبي طالب كثير من الشعر.

(٢) شريط بعنوان: (٢٨ سؤال حول الدعوة السلفية).

الفصل الثالث

جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالصحابة والإمامة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالصحابة.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالإمامة.

المبحث الأول
جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالصحابة

تمهيد

إن المتأمل في لطف الله عز وجل بهذا الدين الذي ارتضاه يدرك مدى عناية الله لحملته فقد اختار له أفضل رسله، فأكمل به الدين وأتم به النعمة، حتى تركهم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، قال الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**الله لم يقبض نبيه إليه إلا بعد أن أنزل إعلانا من السماء بأن الدين قد كَمُلَ، وأن نعمة الله على عباده قد تمت، ورضي لهم الإسلام ديناً، ذلك قوله تعالى:** ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ **هذه الآية الكريمة نزلت في سنة تاريخية يعرفها المسلمون وغير المسلمين، وفي يوم تاريخي، وفي ساعة تاريخية، نزلت في السنة العاشرة من الهجرة النبوية في حجة الوداع عشية يوم عرفة يوم الجمعة، آية عظيمة نزلت في يوم عظيم على نبي عظيم عليه الصلاة والسلام، ولم يعش النبي عليه الصلاة والسلام بعد حجة الوداع وبعد نزول هذه الآية، لم يعش طويلاً، فأخذ يحدث أصحابه إنه إن تركهم سوف لا يُسَلِّمُهُم مِن فوضى ولكنه؛ سوف يتركهم على منهج واضح ليس فيه أدنى غموض، كان يقول لهم:(تركتكم على بيضاء نقية لا يزيغ عنها بعد إلا هالك)، (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ بعد عنها إلا هالك)[(١)]، (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي)[(٢)]، هكذا وضع لهم المنهج حقاً، وتركهم على منهج واحد، وحذرهم من أن يخالفوا هذا المنهج ويزيدوا فيه أو يحيدوا عنه، وكان يقول عليه الصلاة والسلام محذراً لهم عن**

---

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (٥) وصححه الألباني.

(٢) سبق عزوه صـــ ٢٩٠.

الابتداع:(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[(١)]، (ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[(٢)]، (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي وإياكم ومحدثات الأمور فإنَّ كلَّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[(٣)].

هكذا نصحهم وهكذا وجههم ثم ترك هذا المنهج في أيدٍ أمينة وقوية، في أيدي أصحابه الذين رباهم على المنهج واطمأن على فهمهم للمنهج، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم مَنْ تسلم المنهج، تسلم الأمانة بكل قوة وحزم وساروا بالناس أحسن سير على الخطة على المنهج ولم يحيدوا عن المنهج"[(٤)]
فخص هذا الرسول الكريم بأفضل الأمم، وجعل فضل هذه الأمة في أولها على أيدي نخبة أمينة اصطفاهم الله لصحبة رسوله وتشرفوا بالتخرج من مدرسة النبوة فرضي الله عنهم جميعا.

وقد كان للشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ جهود في توضيح منهج السلف تجاه صحابة رسول الله وسيتم عرضها في المطالب التالية:

---

(١) سبق عزوه صـــ ١٩٦.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) (١٧).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٤) وصححه الألباني.

(٤) محاضرة بعنوان: صور من الجاهليات المعاصرة، وانظر: التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث العلمية العدد (١٢) صـــ٢٦٨-٢٦٩.

المطلب الأول: جهوده في توضيح فضل الصحابة رضي الله عنهم:

لقد كان لصحابة رسول الله ﷺ المنزلة العلية والمكانة الرفيعة التي لم يحصل عليها أحد بعد الأنبياء غيرهم؛ ذلك بأن الله قال فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

وقال جل شأنه فيهم: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ، قال الشيخ رحمه الله: **"السابقون الأولون هم السلف، سلف هذه الأمة الصحابة، والذين اتبعوهم بإحسان: من جاء بعدهم فلم يغير ولم يبدل، لا في موقفه من الصحابة، ولا في موقفه من نصوص الصفات، ولا في موقفه من نصوص المعاد، ولا في النبوات، لم يغيروا ولم يبدلوا، واتبعوا السابقين الأولين بإحسان، أثبت الله لهم ما أثبت للسابقين الأولين، وهذه بشرى للسلفيين المتبعين لسلف هذه الأمة؛ لأن السابقين الأولين هم السلف، والذين اتبعوهم بإحسان هم السلفيون أي المتبعون للسلف هذه بشرى لهم وكرامة ينبغي أن يعلموها ويعتزوا بها، ولا تؤثر فيهم الدعايات، قال في الجميع (رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ) أي للسابقين الأولين وللذين اتبعوهم: (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) هذه منقبة عظيمة جداً للصحابة صغارهم وكبارهم، بل للذين جاءوا من بعدهم واتبعوهم على ذلك، فلم يغيروا ولم يبدلوا"**[(١)] وعلى ذلك فالصحابة كما قال الشيخ رحمه الله:**"قوم نطق بهم الكتاب وبه نطقوا، قوم قام بهم الكتاب وبه قاموا، الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس إخلاصاً، الأعمال إنما تتفاوت بتفاوت الإخلاص، قد يعمل أناس عملاً واحداً يُكتب**

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٣) و (أ).

لأحدهم ما لا يُكتب للآخر مثل الصلاة، كل الناس تصلي منهم: (من تُكتب له صلاته كلها، ومنهم من يُكتب له النصف والربع والعشر..)[(1)]، وهكذا؛ ذلك لحضور القلب والخشوع والإخلاص، فأصحاب رسول الله ﷺ يفوقون الناس؛ لإخلاصهم وصدق إيمانهم فإن العمل القليل منهم يفضل الكثير من غيرهم ...للصحابة ﷺ فضائل، على طلاب العلم أن يقرأوا فضائل الصحابة ﷺ ومناقبهم في آواخر كتب السنة كالصحيحين والكتب الستة، عليهم أن يقرأوا ويبتعدوا من المؤلفات الجديدة التي تتحيز أحياناً إلى بعض الصحابة لتنال من الآخرين"[(2)].

وكيف لا يرضى مخلوق عن قوم رضي الخالق عنهم، قال سبحانه: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ قال الشيخ رحمه الله **:"الذين بايعوا رسول الله عليه الصلاة والسلام بيعة الرضوان تحت الشجرة، أخبر الله بأن الله راضٍ عنهم، وأخبر رسوله عليه الصلاة والسلام أن أحداً منهم لا يدخل النار كلهم من أهل الجنة، مبشرون بالجنة"**[(3)].

وهذا نزر يسير من فضائلهم ويكفيهم فضلاً أنهم قاوموا كل الآراء الدخيلة على هذا الدين حتى وصل إلينا كما أنزل، قال الشيخ رحمه الله:" **هكذا حافظوا رضي الله عنهم على وحدة الأمة ووقفوا أمام أسباب الانقسام والتفرق بذلك الحزم؛ لئلا تعود الأمة إلى الجاهلية الأولى من جديد، أو إلى ما يشبه ذلك.**

وفي أواخر عهد الخلفاء الراشدين وفي خلافة علي بالتحديد خرجت الخوارج، وتشيعت الشيعة، ثم ظهرت الفرق متتابعة من: جبرية ومرجئة وجهمية ومعتزلة وأشعرية وماتريدية، فسمعت دنيا المسلمين ما تتوقعه من الانقسام والتفرق تصديقاً

(1) رواه أحمد ٣٢١/٤، وأبو داود (٧٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٦).
(2) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (أ).
(3) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٣) و (أ).

لقوله عليه الصلاة والسلام:(وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)[1]"[2].

المطلب الثاني: جهوده في توضيح تفاوت الصحابة في الفضل:

إذا تقرر ما سبق من أن الصحابة -رضوان الله عليهم جميعاً- خير الناس وأفضلهم بعد الأنبياء، فإنهم على مراتب متفاوتة في الفضل، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ، قال الشيخ رحمه الله: "**الذين سبقوا والذين جاءوا من بعدهم، (وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ولكن الذين سبقوا أفضل من الذين جاءوا من بعدهم؛ نفقاتهم أفضل من نفقة المتأخرين، وقتالهم وسبقهم إلى الإسلام، كل ذلك يقدر لهم، الله قدر لهم ورسول الله ﷺ قدر لهم هذا الموقف، وعلى المؤمنين أن يتأسوا برسول الله عليه الصلاة والسلام، ويؤمنوا بكلام الله ويكفوا ألسنتهم عن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، بل يجب عليهم أن يحبوهم؛ حبهم إيمان وبغضهم كفر ونفاق**"[3].

وهكذا فضل الله المهاجرين على الأنصار فقدمهم على الأنصار، قال الشيخ رحمه الله:"**لأن المهاجرين أنصارٌ مرتين، الأنصار أنصار مرة، نصروا الله ونصروا رسول الله ﷺ ونصروا أصحاب رسول الله ﷺ، والمهاجرون نصروا رسول الله ﷺ وخرجوا معه**

---

(١) رواه أبوداود في سننه (٤٥٩٦) وأحمد في المسند ١٠٢/٤ وصححه الألباني الصحيحة (١٠٤)، والحديث روي عن بضع عشرة من الصحابة، انظر: المباحث العقدية في حديث افتراق الأمة ٧١/١-٤٥٣.

(٢) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢) صـــ٢٧٠.

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٣) و (أ).

ونصروا دينه وتركوا أموالهم وأهليهم واختاروا رسوله ﷺ على دنياهم، وأهل السنة والجماعة يحترمون الجميع ويقدرون الجميع ويحبون الجميع، وقد قدم القرآن المهاجرين على الأنصار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وتقديم المهاجرين على الأنصار في الجملة وقد يكون بعض الأنصار أفضل من بعض المهاجرين"(١).

وأفضل الصحابة العشرة المبشرون بالجنة، وأفضل العشرة الخلفاء الراشدون، قال الشيخ رحمه الله:**"الله فضل الخلفاء الأربعة وزكاهم رسول الله ﷺ؛ لذلك الذي يُقتَدي به من الصحابة، ويكون عملهم قولهم وفعلهم واجتهادهم يكون حجة هم الخلفاء الراشدون فقط؛ بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)(٢)..هذه تزكية من رسول الله عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الأربعة، وعليه عمل المسلمين قديماً وحديثاً"**(٣)، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة على الصحيح، قال الشيخ رحمه الله:**"أهل السنة ينزلون الصحابة منازلهم، بالنسبة للخلافة محل إجماع، ترتيب الخلافة بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي محل إجماع بين أهل السنة والجماعة، وإنما وقع الخلاف بين بعض أهل العلم في التفضيل بين عثمان وعلي في التفضيل لا في الخلافة، فرق بين الأمرين: بعد أن اتفقوا على تقديم عثمان في الخلافة، اختلفوا في تقديم علي في الفضل، أيهما أفضل؟"**(٤).

وقال رحمه الله:**"والمسألة التي اختلف فيها أهل السنة أنفسهم في تقديم علي على عثمان أو تقديم عثمان على علي؟ من حيث الفضل لا من حيث الخلافة، وإن كان استقر أمر المسلمين أخيراً على تقديم عثمان، لكن ما السبب في اختلاف أهل السنة والجماعة أنفسهم بالنسبة للتفضيل بين علي وبين عثمان؟ أما الذين يقدمون عثمان**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (أ).

(٢) سبق عزوه صـ٥٦٦.

(٣) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٣) و (أ).

(٤) المصدر السابق الشريط (٧٤) و (أ).

فالأمر واضح على ترتيب الخلافة، وأنه هو الذي اختير من الستة (الذين اختارهم عمر ﷺ وهم : عثمان وعلي وطلحة والزبير وأبو عبيدة وابن عوف ﷺ) وهذا رأي جمهور أهل السنة، لكن ما شبهة الذين يقدمون علياً على عثمان من حيث التفضيل؟ أولاً لقربة من رسول الله ﷺ، ثانياً: لكثرة مناقبه، ذكر أهل العلم أن علياً أكثر الخلفاء الراشدين ﷺ من حيث المناقب، فمناقبه كثيرة جداً، وهذه ما تكون علة، قد تكون شبهة؛ لأن المناقب قد توجد منقبة من المناقب في المفضول وهي غير موجودة في الفاضل، وبالاتفاق أبو بكر أفضلهم على الاطلاق، ومع ذلك نجد لعمر بعض المناقب لم يأتِ ذكرها وإثباتها لأبي بكر، وهل يعني هذا أنه أفضل من أبي بكر؟ لا ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكما يقال في المَثل: قد يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر، ومثال ذلك ورد منقبة من مناقب عمر ﷺ (إن الشيطان لا يسلك فجاً سلكه عمر)[1]، الشيطان نفسه يخاف من عمر ﷺ، ما ذُكِر مثل هذا في أبي بكر ﷺ ، وجاء في حديث صحيح (إن في من كان قبلكم محدثون (أي ملهمون) وليسوا بأنبياء، وإن كان في أمتي فعمر)[2]. وكون عمر ﷺ ملهماً أمر واضح، من إلهامه، قد اقترح على رسول الله ﷺ بعض الاقتراحات فنزل القرآن موافقاً لاقتراحه. عمر ﷺ شديدة الغيرة فلما رأى نساء النبي ﷺ حوله والناس تدخل، قال: يا رسول الله لو حجبت نساءك والناس تدخل عليك، ونساؤك بجوارك فنزلت آية الحجاب بعد هذا الاقتراح، وعمر ﷺ هو الذي اقترح أن يُتخذ من مقام إبراهيم مصلى، قبل نزول الآية فنزلت الآية موافقة لاقتراحه، مثل هذه المناقب لم تذكر لأبي بكر ﷺ، وبإجماع المسلمين –إذا استثنينا الروافض– أبو بكر ﷺ خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ؛ لذلك تقديم علي ﷺ على عثمان ﷺ لكثرة مناقبه لا يكون حجة، بل الأولى أن يكون الأمر على ترتيب

(١) رواه البخاري (٣٦٨٣).

(٢) رواه البخاري (٣٦٨٩).

الخلافة"[1]. وختاما لهذه المسألة يحسن التنبيه على أن الشيخ رحمه الله يرى أن:"**مسألة التفضيل ليست من المسائل التي يُضَلل فيها المخالف، أي لو اختلف اثنان أحدهما يفضل علياً رضي الله عنه والأخر يفضل عثمان رضي الله عنه ولكلٍ وجهه لا يُعنف هذا ولا ذاك ولا ينبغي أن تكون من المسائل التي يختلف فيها المسلمون**[2]. **ينبغي أن يكون طلاب العلم على اطلاع على مثل هذه المسائل، والتفريق بين المسائل التي يُضلل فيها الإنسان وبين المسائل الفرعية التي لا يُضلل فيها الإنسان، كالاختلافات التي تقع بين فقهاء المسلمين في المسائل الفرعية الفقهية التي هي مطرح الاجتهاد، ولا تعد من الخلاف في الدين، وكل إنسان يجتهد ليعمل بالسنة فيصيب من يصيب ويخطئ من يخطئ؛ لذلك يعذر بعضهم في مسائل الفروع، وإنما الخلاف المذموم في الأصول**"[3].

المطلب الثالث: جهوده في توضيح موقف أهل السنة من الصحابة:

إن موقف أهل السنة والجماعة في أي مسألة من مسائل الاعتقاد نابع من نصوص الوحيين، وهذا من توفيق الله جل وعلا لهم، فموقفهم من الصحابة نابع من قول الله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (ب).

(٢) قال الشافعي: (ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان، ونحن لا نخطئ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فيما فعلوا) قال البيهقي في الاعتقاد صـ ٤٦٢ بعد أن أورد أثر الشافعي: (وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا). ولكن بحمد الله استقر مذهب أهل السنة على تفضيل عثمان على علي، فينبغي عدم العدول عنه، والله أعلم. انظر: الواسطية مع شرح الفوزان صـ١٧٥، الفتح ٣٤/٧، مباحث المفاضلة في العقيدة للشظيفي صـ ٢٥٣-٢٦٣.

(٣) المصدر السابق الشريط (٣٢) و (ب).

سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾

قال الشيخ رحمه الله:"**يقوله اللاحق في السابق، التابعون يقولون هذا القول في الصحابة رضي الله عنهم، وتابع التابعين يقولون هذا القول في التابعين والصحابة، وهكذا إلى يومنا هذا، يجب أن يكون موقف المؤمنين أن يقولوا في موتاهم فيمن سبقهم من أهل الإيمان أن يقولوا هذا القول، لا يذكرون مساوئهم، إذ لا يخلو أحد من المساوئ؛ لأنهم ليسوا بمعصومين، لكن يذكر محاسنهم قلَّت أو كثرت. من طريقة أهل السنة والجماعة تعدد محاسن الموتى الأولين والآخرين وتكتم مساوئ الموتى لا تذكر، هكذا أدبنا الإسلام لو تأدبنا بهذه الآداب عملاً بهذه الآية وطاعة للنبي ﷺ في قوله ﷺ بالنسبة لأصحابه: (لا تسبوا أصحابي ..)**[١]**، قال النبي ﷺ هذا القول لصغار الصحابة، أي ألا يقولوا شيئاً في كبار الصحابة الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا قبل الفتح وسبقوا إلى الإيمان، الذين أسلموا بعد الفتح وقاتلوا وأنفقوا لا يلحقون الذين قاتلوا وجاهدوا وأنفقوا قبل ذلك، أي السابقين الأولين إلى الإسلام، فما بال من لم يكن صحابياً؟!**"[٢] وقال أيضاً:"**أصحاب رسول الله رضي الله عنهم نخبة اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وهم خير هذه الأمة وإن لم يكونوا معصومين، قد يخطئون وتحصل منهم أخطاء وهفوات، ولكن لسبقهم للإسلام وما بذلوا في نصرة رسول الله ﷺ ونصرة الإسلام وما بلّغوا عن رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة، وهذا الخير الذي نحن فيه ما جاء إلا على أيديهم؛ لذلك لا يذكرون مساوئهم، ولا يطعنون فيهم، وكلهم محل تقدير، فالعصمة لرسول الله ﷺ فقط، لكن شهد لهم المعصوم ﷺ:(خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين**

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (أ).

يلونهم..)[(١)]؛ **لذلك أهل السنة لا يحقدون عليهم، ويتمتعون بسلامة ألسنتهم ولا يطعنون في أصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله.."**[(٢)].

وقد بين الشيخ موقف الصحابة بعضهم من بعض لنتأسى بهم، فقال:"**اسمع ماذا يقول علي ﷺ: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ..)**[(٣)]؛ **ليفهم الروافض أن أصحاب رسول الله ﷺ وخصوصاً الخلفاء لا يعادي بعضهم بعضاً، ويحب بعضهم بعضاً ويقدر بعضهم بعضاً، ويشهد بعضهم لبعض بالخيرية بناءً على شهادة رسول الله ﷺ، وإذا كان من غلاة الروافض من يزعم أن الرسالة كانت لعلي ﷺ فأخطأ بها جبريل لمحمد ﷺ، إذا كان جبرائيل ومحمد متهمان عند غلاة الروافض فلا يُستكثر أن يطعنوا في أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، من لم يستح أن يطعن في أمين الله على وحيه ثم أمين الله من البشر ﷺ، كيف لا يستحيي من الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ ؟! قال علي ﷺ: ذلك على منبر الكوفة أمام الجم الغفير، ربما اعتُبِر ذلك إجماعاً سكوتياً لم يُنكر عليه أحد، فالرسول ﷺ لم يترك الأمر ملتبساً، وقد علم المسلمون قبل وفاة النبي ﷺ أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ﷺ ثم عمر ﷺ، فما بال من يتشيعون لعلي ﷺ يطعنون في أبي بكر وعمر؟! لم يقف غلاتهم عند تقديم علي فقط، وإن كان تقديم علي على الشيخين ﷺ خطأ، ولكنهم نالوا من الشيخين بالسب والطعن فيهما والحكم عليهما بأنهما من أهل النار، وذِكْر كلام علي ﷺ مناسب جداً للرد على الروافض، وإلا فيكفي الشيخين وغيرهم من الصحابة ﷺ، ثناء الله عليهم وثناء الرسول ﷺ عليهم، لكن ذكر كلام علي ﷺ المتواتر عنه لرد موقف الشيعة لعل**

(١) سبق عزوه صــ٢٥٢.

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (أ).

(٣) انظر: السنة للإمام عبد الله بن أحمد ٥٨١/٢، قال شيخ الإسلام: (وقد روي عن علي من نحو ثمانين وجهاً وأكثر أنه قال على منبر الكوفة..وذكره) الفتاوى ٤٠٧/٤، منهاج السنة ١١/١ .

الله يمنَّ على من شاء منهم بالتوبة بعد سماع ومعرفة موقف علي من الشيخين ﷺ، وهذه النقول مهمة جداً في إفحام الخصم وهو الرافضي"[(١)].

ومن موقف أهل السنة والجماعة السكوت عما جرى بينهم، قال الشيخ رحمه الله:"**ما جرى بين الصحابة ﷺ من خلاف معلوم ولا أحد يُنكره والتأريخ يُثبت، لكن هل من العقل قبل أن يقال: من الدين أن تنصب نفسك الآن حكما بين الصحابة؛ لتقول فلان مخطئ وفلان مصيب وفلان فيه كذا وفلان فيه كذا، من الذي كلفك بهذا؟ الله عافاك لم تحضر لتشترك فيما وقع بينهم؛ لذلك من كلام أهل السنة (طالما صان الله رماحنا وسيوفنا من دمائهم علينا أن نصون ألسنتنا وأقلامنا من أعراضهم)**[(٢)] **هذا هو العقل، ومن موقف أهل السنة السكوت التام والإعراض إذا قرأت القصص في التأريخ لما جرى بينهم، والسلامة كل السلامة أن تعرض عن ذلك وتمسك لسانك وقلمك ولا تخوض"**[(٣)]. وقد بين الشيخ رحمه الله أن هذا الموقف هو الموقف الشريف النزيه المنصف؛ حيث لم ينحز أهل السنة إلى جهة أو وجهة معينة بالهوى، كما فعل غيرهم، بل إنما كان قولهم: (رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ)[(٤)].

وحب أهل السنة للصحابة وأهل البيت نابع من حبهم لرسول الله ﷺ، قال الشيخ رحمه الله:"**أهل السنة والجماعة ميزهم لا يرون البراءة من أي صحابي، ولا يشترطون في ولاء آل البيت البراءة من الآخرين، كما تزعم الروافض لا ولاء إلا بالبراءة، ولكن صدور أهل السنة والجماعة وسعت لمحبة جميع الصحابة ﷺ من آل البيت وغيرهم، ويحبون الجميع سواء كان الصحابي من آل البيت كعلي أو من غير آل البيت كعثمان**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (ب).

(٢) انظر: تأريخ دمشق لابن عساكر ١٤١/٥٩، تأريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦/ ٤٤.

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٣) و (أ).

(٤) انظر : العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٧٢.

مثلاً؛ لأنهم كلهم من أولياء الله ومن أصحاب رسول الله ﷺ، من كان من أهل البيت يحبونه للأمرين للصحبة وللقرابة، ومن لم يكن آل البيت للصحبة وللسبق إلى الإسلام...الإنسان الذي لا يحب آل بيت رسول الله ﷺ ويقدرهم ويحترمهم إيمانه ناقص وليس معنى ذلك أنه كافر، وأولياء الله تجب محبتهم مطلقاً ولو لم يكونوا من آل البيت؛ لأن هنا الولاية لله ، فما بالك إن كان ولياً من أهل طاعته ثم هو من آل البيت يجب أن يُحب لمكانتهم من رسول الله ﷺ واتصال نسبهم به"[1].

إذا تقرر ذلك فـــ**"هذه عقيدة أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً في أصحاب النبي ﷺ: حبهم إيمان؛ لأن حبهم تابع لحب النبي عليه الصلاة والسلام، من يدعي محبة النبي عليه الصلاة والسلام ثم يبغض أحداً من أصحابه فهو متناقض، لا يجتمع حب النبي عليه الصلاة والسلام وبغض الصحابة أبداً، من صدق في محبته عليه الصلاة والسلام أحب أصحابه؛ لأن هؤلاء نخبة من المؤمنين اختارهم الله سبحانه وتعالى لصحبة نبيه، لا ينبغي التفريط ولا التقصير في حبهم، لا التفريط ولا الإفراط؛ لا المبالغة في الحب إلى درجة العبادة: الغلو فيهم إلى درجة العبادة، كما غلت الروافض في علي رضي الله عنه وألهوه إلى أن اضطر أن يحرق بالنار رؤساءهم اضطراراً..**

وجفاؤهم والتقصير في حبهم وبغضهم، أو يجعل الإنسان نفسه حكماً بين الصحابة، فيما جرى بينهم؛ يخطئ هذا ويصوب هذا، كل هذا خطأ، الطريقة السليمة أن تحبهم جميعاً، وتقدرهم وتذكر محاسنهم، ولكن عند التحقيق الأخطاء التي وقعت منهم والحروب التي جرت بينهم، كل ذلك أمر اجتهادي من اجتهد منهم فأصاب فله أجران، ومن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر، أمرهم إلى الله، والخوض فيهم بالنسبة لمن يأتي بعدهم خطأ في التصرف، ونقص في العقل، طالما صان الله سلاحك من دمائهم، أليس الواجب أن تصون قلمك ولسانك من أعراضهم، هكذا قرر أهل السنة...

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٣) و (أ).

ينبغي السكوت عما جرى بينهم أمر جرى بقضاء الله وقدره، ثم باجتهاد منهم، وأنت ليس لك دخل في ذلك، لست بحكم ولم تكلف لتحكم بين الصحابة؛ لتقول إن فلاناً أخطأ، وفلان أصاب. عليك أن تحبهم؛ لأن الله أثنى عليهم ورسوله عليه الصلاة والسلام أثنى عليهم، ونهى الصحابة من سب أصحابه (دعوا لي أصحابي) وكان ينهى صغار الصحابة أن ينالوا من كبار الصحابة الذين آمنوا قبل الفتح وأنفقوا، وإن كانوا كلهم من أصحابه ﷺ"[1].

ويتلخص موقف أهل السنة والجماعة بأنهم –كما هو دأبهم- وسط بين الطوائف المخالفة قال الشيخ رحمه الله:"**أهل السنة والجماعة مذهبهم وسط في موقفهم من الصحابة بين الروافض: الذين رفضوا أبا بكر وعمر وعثمان، وبالتالي رفضوا جميع الصحابة إلا من كان من آل البيت..هؤلاء غلو غلواً فاحشاً بالنسبة لآل البيت، وجفوا الآخرين وكفروهم. والنواصب نصبوا العداء لعلي رضي الله عنه وأصحابه وهم الخوارج الحرورية الذين نصبوا العداء لعلي وأصحابه وأتباعه**"[2].

المطلب الرابع: موقف الشيخ ممن طعن في الصحابة:

إذا تقرر ما سبق من بيان فضل الصحابة وعلو مكانتهم والموقف السليم تجاههم، فلاشك أن اتخاذ المسالك المخالفة للحق في ذلك من أعظم الخذلان كيف "**وهؤلاء كلهم نشهد لهم بناءً على شهادة رسول الله ﷺ، وكل من ورد الخبر الصحيح أنه من أهل الجنة، كل أولئك يجب التصديق أنه من أهل الجنة، وتصديق ذلك من الإيمان برسول الله ﷺ، ومن يُكذِّب ذلك ويشهد بالنار على من بشره الله بالجنة فهو كافر؛ لأنه مكذب لرسول الله ﷺ، من ارتكب مثل هذه المكفرات من نواقض الإسلام لا تنفعه صلاته، كثير من الناس يقولون كيف نكفر من يصلي؟ كونه يصلي لا يمنع من تكفيره**

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٢) و (ب).

(٢) المصدر السابق الشريط (٧٢) و (ب).

والحكم عليه بالردة بعد أن حكم عليه النبي ﷺ بالردة، وكل من كذب الله تعالى وكذب رسول الله ﷺ دل ذلك على فساد قلبه وخراب قلبه، وخراب القلب هو أساس الكفر؛ لذلك ينبغي أن يتحفظ الإنسان في مثل هذا الموقف خصوصاً بالنسبة للصحابة ﷺ، في هذا الوقت يكثر الكُتّاب العصريون الذين يطعنون في كثير من الصحابة ﷺ، وهذا الطعن ربما يترتب عليه الكفر"[1].

وقد بين الله سبحانه وتعالى في كتابه أن الكفار هم الذين يغتاضون من أصحاب محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ قال الشيخ رحمه الله:**"هكذا وصف الله وأثنى على أصحاب رسول الله ﷺ والثناء عليهم ووصفهم جاء في الكتاب وفي التوراة والإنجيل، قوم كهؤلاء لا ينبغي الطعن فيهم والنيل منهم، وإن حصل منهم شيء من التقصير والذنوب والمعاصي والمخالفات؛ لأنهم ليسوا بمعصومين ما حصل منهم: إما أنهم قد تابوا من ذلك أو إن حسناتهم الكثيرة التي منها السبق إلى الإسلام يكفر ذلك"**[2].

وقال ابن كثير رحمه الله:"ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله -في رواية عنه-بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم"[3].

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (أ).

(٢) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٣) و (أ).

(٣) تفسير ابن كثير ٣٢٥٩/٧.

ويتضح بذلك كما قال الشيخ أن:"**بغضهم كفر ونفاق وطغيان: هذا الكفر قد يصل إلى الكفر البواح، وقد يقف دون ذلك. من يبغضهم من قلبه؛ لكونه صحابي فهو كافر، أما من يبغضه لشبهة أو لأمر اجتهادي قد لا يصل إلى الكفر البواح، وعلى كل ضلال وكفر دون كفر وطغياناً ومجاوزة للحد**"(١).

وقد سئل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:لو قال قائل إننا نصدق إن رسول الله بشَّر أبا بكر في الجنة وعمر وعثمان وغيرهم بالجنة، ولكن زعم أن هؤلاء عملوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام ما يرد هذه الشهادة ويجعلهم في النار؟ فأجاب الشيخ:"**نقول له خبت وخسرت –لهذا القائل– شهادة النبي ﷺ لا ترد؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، من شهد له النبي ﷺ لو زعم من زعم أنه فعل وفعل ..مما يوجب دخول النار نقول له كذبت وخسرت، وتكذيب النبي ﷺ في مثل هذه الشهادة، والشهادة بالنار على من شهد له النبي ﷺ بالجنة ردة عن الإسلام؛ لأنه تكذيب للنبي عليه الصلاة والسلام، من كذب رسول الله –ليس في مثل هذه الشهادة العظيمة– فيما دون هذه، لو كذبه في استحباب المسواك يرتد عن الإسلام، فما بال هذه الشهادة العظيمة، هؤلاء في قلوبهم مرض، مرض القلوب هو الذي يحملهم على هذا، ودعواهم بأننا نصدق شهادته دعوى كاذبة، لو صدقتم شهادته وعرفتم مكانته ومنزلته لما رددتم شهادته، لم تعرفوا مكانته بل كفرتم به عليه الصلاة والسلام، لا تقبل منهم مثل هذه الدعاوى**"(٢).

وبهذا يتم الكلام على هذا المبحث وبالله التوفيق.

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٢) و (ب).

(٢) المصدر السابق الشريط (٤٨) و (ب).

المبحث الثاني
جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالإمامة

تمهيد

إن الإمامة:"هي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا"(١)، وأهميتها في إصلاح البلاد والعباد لا تكاد تخفى، قال الإمام علي ﷺ: (لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قالوا تلك البرة فما بال الفاجرة؟ قال: تحفظ بها الثغور، وتقام بها الحدود، و تجبى فيها الزكاة)(٢)، والإمامة من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين و الدنيا إلا بها.

وقد كان للشيخ محمد أمان رحمه الله الدور البارز في توضيح مسائل الإمامة وما يتعلق بالسياسة الشرعية؛ من خلال محاضراته ومقالاته، بل ومن خلال واقعه الدعوي مع طلابه ومحبيه، ويحضرني الآن مقولته رحمه الله:"**فالسياسة التي ندعوا إليها؛ إلى دراستها ثم العمل بها بعد الدراسة هي السياسة الشرعية، والسياسة التي ننكرها هي السياسة العصرية؛ المخالفة لتعاليم الإسلام، ونحن بحمد الله يسوسنا حكامنا بالسياسة الشرعية**"(٣).

وقد نبه الشيخ على موقف بعض الناس تجاه السياسة فقال:"**كثير من الناس يتحاشون السياسة، ويحسبون أنه ليس في الإسلام سياسة، في الإسلام سياسة، وسياسة عميقة، سياسة إسلامية يجهلها كثيرٌ من السياسيين اليوم، السياسة اليوم: المخادعة، والكذب، والملق، والنفاق في الغالب الكثير، لكنَّ السياسة الإسلامية غير هذه، السياسة الإسلامية: حُسن التدبير، وتعرف كيف تتخلص دون أن تقع في الكذب،**

---

(١) مقدمة ابن خلدون صـــ١٧٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٧/٢٨).

(٣) شريط بعنوان: (٢٨ سؤال في الدعوة السلفية) و (ب).

وكيف تقدم المصالح على المفاسد، كيف تقدم إذا كان هناك مفاسد، كيف ترتكب أخف مفسدة وتترك أعظمها مفسدة، معرفتك لهذا من السياسة الشرعية، ومن السياسة الشرعية ترك الرسول -عليه الصلاة والسلام- المنافقين بين صفوف الصحابة وهو يعرفهم؛ خشية أن يقال: إن محمداً يقتل أصحابه، لو قتل المنافقين الذين يعرفهم بأسمائهم، والناس الذين لا تعرف الحقائق تُكَبِّرُ المسألة -كما يقولون-، يبنون من الحبة قبة؛ فيقولون: إن محمداً بدأ في قتل أصحابه، وهذا [يضر] بسير الدعوة، والدعوة لا تسير، تقف ويكثر أعداؤها، إذاً من المصلحة أن يبقى هذا العدد بين المسلمين، والدعوة تسير في العالم، ومن السياسة الشرعية رأى رسول الله ﷺ كيف يتأذى كثيرٌ من الناس من باب الكعبة العالي، همَّ رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أن يهدم الكعبة، ويلصقها بالأرض، ويجعل بابين، باب يدخل منه، وباب يخرج منه، بدلاً من هذا التعب، ثم قال لعائشة: لولا أن قومك قريبوا عهد بالجاهلية لفعلت ذلك[1]، ولكن لو هدم ورُدَّ على بناء إبراهيم وألصق الباب بالأرض، وأراح الناس، يدخلون من هنا فيخرجون من هناك، لا يوجد إلاَّ أن يصعد الناس يرصُّ بعضهم فوق ظهور بعض، من دفع شيئاً، سحبوا بيده، طلَّعوه، ومن لم يدفع ردوه، ورموه في الأرض، لكنَّ هذا أخف، مع ما فيه من التعب والضرر على الناس، أّخّفُّ من أن يقال: إنَّ محمداً بدأ يهدم الكعبة، لو شاع هذا الخبر في العالم، صُدَّ الناس عن الدخول في الإسلام؛ فترك ذلك ارتكاباً لأخف الضررين، هذا من السياسة الشرعية، وأمثال هذا كثير، إذا قرأت في السياسة الشرعية للإمام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، وغيرهما، لعرفت أنَّ في الإسلام سياسة، لكن سياسة صادقة غير كاذبة، فلنعلم ذلك تماماً"[2].

---

(١) يشير الشيخ إلى حديث عائشة الذي رواه مسلم (٣٢٤٣).

(٢) شرح شروط الصلاة وواجباتها الشريط (٣).

وقبل الشروع في المقصود يحسن التنبيه على السبب الذي حذا بالشيخ إلى الاهتمام بهذا الجانب، وقد صرح به في مقدمة كتاباته المتعلقة بالسياسة الشرعية فقال:"**فهذه سلسلة تتناول موضوعات مهمة وملحة في السياسة الإسلامية، سميتها (رسائل في السياسة الإسلامية) ، أقدمها للقراء؛ سائلا الله أن ينفعهم بها .**

فمنذ زمن غير قصير أسمع _ كما يسمع غيري _ اللغط والخلط في موضوعات كثيرة تتعلق بالسياسة الإسلامية، وذلك من بعض الكتاب المخدوعين بالثقافات الأجنبية _غربية أو شرقية _؛ دون أن يكون لديهم رصيد يذكر في الدراسات الإسلامية بعامة ، وفي الناحية الدستورية والعقدية والاقتصادية بخاصة، وهم مع ذلك أكثر كتابة من غيرهم في مسائل السياسة الإسلامية، وأصرح دعوة إلى أفكارهم على غير بصيرة، وأنشط في التأثير على غيرهم من العوام وأشباه العوام.

فمشاركة مني في بيان الحق والدعوة إليه والدفاع عنه، سجّلت بعض ما ينبغي ذكره في هذه الموضوعات على شكل محاضرات مختصرة ، ثم بدا لي طبعها ونشرها بين الناس لتعم الفائدة"[1].

وسأبرز جهود الشيخ في المطالب التالية:

---

(١) انظر: مقدمة حقيقة الشورى في الإسلام، وتوزيع الثروات في الإسلام، وحقيقة الديمقراطية في الإسلام.

المطلب الأول: جهوده في توضيح الإمامة بعد عصر النبوة:

لما كان من مهمة الرسل إقامة العدل بين الناس، وفق ما أنزل إليهم من كتاب، وأن ينصروا ذلك بالقوة، وهذا لا يتأتى لأتباع الرسل إلا بتنصيب إمام يقيم فيهم العدل، وينظم لهم شؤون دينهم ودنياهم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن ثم كان تنصيب الإمام واجباً. وهذا مصداق قول المولى جل في علاه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ . ومن توفيق الله لهذه الأمة أن قيض لها من يخلف نبيها فيقوم على أمور دينهم ودنياهم خير قيام، قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**إن الله اصطفى لتبليغ دينه إلى الناس نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام وختم به الرسالة، فبلغ عليه الصلاة والسلام رسالة ربه كما أمر ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ وعندما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى – بعد أن أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة – ترك لأمته كتاب اللّه وسنته عليه الصلاة والسلام في أيدي رجال أمناء، قد رضي لهم أن يكونوا خلفاءه من بعده على هذه الأمانة العظيمة، فخلفوه فعلاً، وحافظوا على الأمانة كما يجب، وبلغوها لمن بعدهم بكل إخلاص وأمانة وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وسماهم الرسول (الخلفاء الراشدين المهديين من بعده). وتعتبر أفعالهم وأقوالهم (سنة متبعة) عند أهل السنة**"(١).

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الإمامة(٢)، وأنه يجب على الأمة الانقياد للإمام يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ؛ مقتفياً بذلك سنة الخلفاء الراشدين، كلاً بحسب توفيق الله له في أدائه لهذه المسؤولية.

---

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٧٣.

(٢) انظر: الفصل ١٤٩/٤، والصواعق المحرقة صـ٧، مقدمة ابن خلدون صـ ١٧٩.

ومما يدل على أن نصب الإمام قد عرف وجوبه بالشرع بما تواتر وروده من مبادرة الصحابة إلى مبايعة الصديق؛ حتى لا يصبح الناس فوضى لا سراة لهم، وقد كانت هناك مؤشرات حدثت في عهد النبوة تشير إلى خلافة أبي بكر الصديق ﷺ؛ ولذلك اختلف أهل العلم هل تلك المؤشرات التي حدثت من النبي ﷺ تعتبر تعييناً أو ترشيحاً؟ قال الشيخ رحمه الله:"**وقد قدم النبي ﷺ أبا بكر وهو من المهاجرين، فهذا تعيين وليس ترشيح، والذي يدل على هذا التعيين أمران اثنان، الأول: (قصة المرأة التي أتت النبي ﷺ فسألته سؤالاً فقال: ائتني غداً، قالت: إن لم أجدك؟ –هكذا أنطقها الله– قال أهل الحديث: أي لو متَّ أنت، أي آتِ مَن؟ قال: ائتي أبا بكر)**[(١)]**، فهذا تعيين بأن أبا بكر رضي الله عنه هو الخليفة بعده، وهذا أمر صريح، ثم (تقديمه للناس ليصلي بهم في مرضه ﷺ)**[(٢)]**؛ لهذا قال علي رضي الله عنه: (وقد قدمه النبي ﷺ في ديننا أفلا نرضاه في دنيانا)**[(٣)]**، وكونه يصلي بالناس والنبي ﷺ حي دليل على أنه قد عينه للإمامة، وقد وقف موقفه الحازم والحاسم يوم السقيفة اعتماداً منه بعد الله على تعيينه من رسول الله ﷺ، وأجمع المسلمون بعد ذلك على خلافته، ثم على خلافة عمر، ثم على خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهم**[(٤)]"[(٥)]. وقال في موطن آخر:"**أمور واضحة تدل على تفضيل رسول الله عليه الصلاة والسلام أبا بكر وعلى تقديمه على غيره، وبعده عمر؛ لذلك يجب إيماناً بالله وبرسوله عليه الصلاة والسلام تقديم أبي بكر على غيره من الصحابة، وتفضيله واعتقاد أن خلافته خلافة شرعية، إما بالنص الجلي أو بالنص الخفي أو بالاختيار، الأرجح أنه بالنص الجلي**"[(٦)]. وقال أيضاً:"**أو على الأقل بترشيح منه عليه الصلاة والسلام، ثم إجماع الصحابة، بعد ذلك**

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٩).

(٢) رواه البخاري (٧١٣) ومسلم (٤١٨).

(٣) ذكر نحوه الآجري انظر: الشريعة ٤/١٧١٢.

(٤) انظر: عقيد السلف أصحاب الحديث للصابوني صـ ٩١.

(٥) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٢) و (أ).

(٦) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٧٤) و (أ).

خلافته وخلافة عمر وعثمان وعلي، وإن حصل ما حصل في أول الأمر من أخذ ورد، تعتبر خلافتهم محل إجماع، وهذا الترتيب محل إجماع"[1]**فـ"علي ﷺ آخر الخلفاء الراشدين الذي انتهت إليه خلافة النبوة؛ لأن خلافة النبوة ثلاثون عاما ومن بعده ملوك، وإن أُطلِق عليهم أنهم خلفاء لكنهم ملوك كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ (بعد ثلاثين عاما يؤتي الله ملكه من يشاء)**[2]**؛ لأن الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، معاوية ﷺ ومن بعده من خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس إلى يومنا هذا في اصطلاح الإسلام هم ملوك"**[3].

وهؤلاء الملوك الذين أتوا بعد عهد الخلافة الراشدة، متفاوتون في الحكم والفضل والعدل قال الشيخ رحمه الله:**"الملوك درجات: ملوك يعدلون ويتمسكون بالكتاب والسنة، وهم من الزعماء المسلمين الذين تجب مبايعتهم وطاعتهم، ومنهم من أعرض عن الإسلام ورفع شعار الجاهلية كالديمقراطية وغيرها، وأما اختلاف الألقاب رئيس جمهورية، أمير، ملك، خليفة، هذه ألقاب لا تقدم ولا تؤخر لا تتعلق بها الأحكام لا مدح ولا ذم ، المدح والذم يتعلق بالأفعال، من كان منهم محباً للإسلام، متمسكاً بالإسلام، محتفياً بالإسلام عقيدة وشريعة، ينشر العقيدة بين رعيته، ويُحكِّم شرع الله في رعيته وغيرهم، ويوظف القضاة الشرعيين؛ ليحكموا بين عباد الله بشريعة الله فهو حاكم مسلم كائناً من كان، سواء اسمه: رئيساً أو أميراً أو إماماً أو ملكاً أو خليفة، لا يُنظر إلى هذه الألقاب، الذين يتوقفون عند هذه الألقاب معلوماتهم ضحلة في الإسلام؛ لم يفهموا فهماً صحيحاً"**[4].

---

(١) المصدر السابق الشريط (٧٣) و (ب).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٤٦) والترمذي (٢٢٢٦) والنسائي برقم (٥٢) وصححه ابن حبان (١٥٣٤) والألباني في الصحيحة برقم (٤٥٩).

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٥) و (أ).

(٤) المصدر السابق.

والشيخ رحمه الله يحث قادات المسلمين على دراسة الكتاب والسنة بصدق وإخلاص؛ ليتمكن من الإصلاح والبناء؛ فيحصل بذلك العز والتمكين، ولا يكونوا مثل أولئك الذين اتخذوا طريق الغرب مسلكاً لتحكيم شعوبهم ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا نموذج من حرصه رحمه الله على توجيه قادات المسلمين، حيث قال متأسفاً من تصريح بعض القيادات ببعض المخالفات:"**هذا ما آلت إليه قيادات الأمة الإسلامية في كثير من البلدان، وهو يحتم على طلاب العلم أن يكرسوا جهودهم في دراسة الكتاب السنة، ليسلحوا أنفسهم بسلاح العلم والمعرفة، ويؤهلوا بذلك أنفسهم للقيادة، بعد إتمام دراستهم، هادفين إصلاح ما فسد من أمر هذه الأمة المسكينة، التي وقعت فريسة الإلحاد الشيوعي، الذي أخذ يحلق بها من جميع الجهات، ليفسد عليها أمر دينها ويبعدها عن إسلامها وقرآنها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، كما يجب عليهم أن يهدفوا إلى تغيير ذلك المفهوم السائد لدى كثير من الأوساط من أن دراسة شريعة القرآن، لا تؤهل الإنسان للقيادة والإصلاح، وحل مشكلات العصر وأن الذي يتولى القيادة، يشترط فيه أن يكون (واشنطونيّ) الفكر أو (لندنية)، وأن يكون (باريسيّ)، الأخلاق أو (رومانيّها) وأخيراً أن يكون (موسكوي) العقيدة أو (بكينيّها)، وعلى طلاب العلم الديني أن يغيروا هذا التصور الملحد؛ ليبينوا للناس أن الدارس للإسلام وشريعة القرآن صالح للقيادة، بل يشترط فيمن يتولى قيادة الأمة الإسلامية أن يكون بعيداً من تلك المواصفات السابقة الذكر، بل يجب أن يؤمن بالله ربّاً ومعبوداً وبالإسلام ديناً ومنهجاً، وبالقرآن دستوراً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وإماماً وأُسوة، وأن يكون ذا بصيرة وفقه في الدين، محمديّ الأخلاق والسلوك والعقيدة، وبالله التوفيق . إذا درسنا الكتاب والسنة بهذه الهمة، وعلم الله منا الصدق والإخلاص في ذلك سوف يوفقنا الله، ويكلل عملنا بالنجاح بإذنه، لأن الأمر كله له، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا الضرب من الدراسة، نوع من الجهاد، فلير الله منكم الإخلاص، والصدق في جهادكم أيها الطلبة:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}؛ وكل الذي أريد أن أصل إليه أن تعلموا أن هدف الأهداف من دراسة**

هذا المنهج الذي تدرسونه في جامعتكم هذه، أن تخرجوا إلى العالم بعد إتمام دراستكم، لتساهموا في حركة البناء والإصلاح، لإيجاد مجمع مبني على أسس ثابتة، مأخوذة من دراسة الإسلام العظيم، وهي:

١- الرضى بالله رباً ومعبوداً، وحده الذي له الحكم وحده، والحكم حكمه، والأمر أمره، والخلق خلقه.

٢- الرضى بالإسلام ديناً ومنهجاً وطريقاً إلى العزة والكرامة، وهو الذي فيه الخلاص من جميع المشكلات المعاصرة، رغم أنوف أولئك الذين زعموا أن الإسلام ليس فيه الخلاص من المشكلات، والخروج من المآزق:{كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً}.

٣- والرضى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وقدوة وأُسوة وإماماً للمتقين، وهم المتبعون له.

٤- والرضى بالقرآن الكريم دستوراً ومنهجاً للحياة الكريمة، حياة العز والشرف.

٥- والرضي بالسنة النبوية كمصدر ثان من مصادر التشريع الإسلامي، يتوقف المصدر الأول على بيانه، في كثير من مواده وأحكامه. إن المجتمع الذي هذه أسس بنائه، هو المجتمع الإسلامي، وكل مجتمع يتخلف في بنائه مادة من هذه المواد وتغيب، فهو مجتمع جاهلي، رضي أو أبى؛ والله الهادي وحده . والله ولي التوفيـــق"(١).

وختماً لهذا المطلب يحسن التنبية على مسألة نبه عليها الشيخ وكشف سر الدعاة إليها والرد عليهم فقال:**"ومن يزعمون أيضاً أن الخلافة يجب أن تكون عامة، فإن لم تكن عامة فلا بيعة ولا طاعة!! هؤلاء أخطئوا خطأ فاحشاً؛ دعوة إلى الفوضى، أي إن لم يتيسر إقامة ولاية عامة وخلافة عامة تبقى الأمة في فوضى، لا حاكم ولا بيعة ولا طاعة – لا أعلم دعوى أبطل من هذه الدعوى – كيف فاهم قوله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ**

---

(١) مترلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ٢٠٢-٢٠٤.

﴿ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ ، **هذه الآيات إذا فهمناها ليس بواجب أن تكون الولاية عامة، إذا استطاع مصلح ما، أو عدد من المصلحين إقامة دولة إسلامية في قطعة من الأرض، فطبقوا الإسلام هناك، من قُدِّم ليكون ولياً للمسلمين في تلك القطعة من الأرض وجبت مبايعته وطاعته، أما لا طاعة ولا بيعة حتى تكون ولاية عامة على الدنيا كلها، كيف يتصورون أن يكون الوضع قبل ذلك ؟! الأمة ترفض البيعة والطاعة ليعيش الناس فوضى، هذا كلام خطير يُستكثر جدا أن يصدر كلام كهذا من طالب علم"**(١).

المطلب الثاني: جهوده في توضيح الحقوق الواجبة لولي الأمر:

لقد نظم الإسلام جميع حوائج الإنسان وعلاقاته؛ حيث نظم علاقته بربه وبمجتمعه؛ ومن ذلك علاقته بولي أمره، وما يجب له من الحقوق، وفي مقدمتها الطاعة بالمعروف، فإن طاعة ولي الأمر واجبة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع العقلاء؛ فلا يستقيم حال الجماعة إلا بإمامة، ولا تستقيم الإمامة إلا بسمع وطاعة، قال الشيخ رحمه الله: **"المسائل الدستورية التي نظمها الإسلام، ودرج عليها المسلمون الأولون، وهم خير الناس، وصلح بها أمر دينهم ودنياهم -ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها- في أول الإسلام؛ لأن المسلمين الأولين صلح أمر دينهم ودنياهم بتمسكهم بالكتاب والسنة، والاستغناء بهما، والاكتفاء بهما عما سواهما، فلم يلتفتوا إلى أي نظام بشري طالما آمنوا بالنظام الإلهي النازل في كتاب ربهم، والذي بينه رسوله محمد**

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٥) و (أ).

ﷺ، وفي مقدمة تلك المسائل علاقة الرعية بولي الأمر، وما له من الطاعة في المعروف، إنما الطاعة بالمعروف"[١].

وقال الشيخ رحمه الله موضحاً الواجب تجاه الأمراء:"**المقصود بالأمراء أصحاب السلطة من الملوك والسلاطين الذين جمع الله على أيديهم كلمة المسلمين، بصرف النظر هل هم من الأبرار أو من الفجار؟ برهم وفجورهم يضرهم في أنفسهم، لكن المسلم الذي يعيش تحت هذه السلطة عليه أن: يلتزم ويطيع ما لم يؤمر بمعصية، يقيم الحج تحت رئاستهم، ويجاهد تحت رايتهم، ويقيم الأعياد والجمعة تحت رعايتهم، ولا يبحث عن صلاحهم أو عدم صلاحهم في أنفسهم، هذا شيء خاص فيما بينهم وبين الله عز وجل، (وعلى المسلمين السمع والطاعة ما لم يؤمروا بمعصية)[٢]، وهذا من السياسة الشرعية، والسياسة الشرعية تقتضي أن يسعى كل فرد من المسلمين بما يحفظ على الأمة أمنها ووحدتها واستقرارها وعدم انتشار الفتن في المجتمع**"[٣].

وقد أمر الله سبحانه بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ وقال ﷺ :(من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة، ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)[٤]، وكما أن النصوص مقررة للسمع والطاعة، فهي مؤكدة للاجتماع على أمير ونبذ كل ما يؤدي إلى الفرقة، قال الشيخ رحمه الله:"**الإسلام يحث على وحدة الأمة، ويجنب أسباب الفرقة والتشتت؛ لذلك يمنع تعدد ولاة الأمور في وقت واحد، بل فرد واحد، يبايع فيطاع كما أسلفنا. بل يضرب الإسلام بيد من حديد من ينافس ولي الأمر القائم**

---

(١) توزيع الثروات في الإسلام صـ ١٠.

(٢) رواه البخاري (٧١٤٤) ومسلم (١٨٣٩).

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٤) و (أ).

(٤) رواه مسلم (١٨٥١).

في بيعته، إذ يقول رسول الهدى ونبي الرحمة عليه الصلاة والسلام (إذا بويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما)[1]"[2].

ومن الواجب لولي الأمر مناصحته بالمعروف، كل بحسب قدرته واستطاعته، قال الشيخ رحمه الله:**"الأمة كلها بحاجة للنصيحة، من ولي الأمر إلى آخر فرد من أفراد الأمة، من النصح للأمة تعليم جاهلهم وتذكير غافلهم، وأن تبدي لهم النصح خالصاً، وألا تغشهم ولا تُلبِس عليهم ولا تكذب عليهم، بل توضح لهم الدين الخالص الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ دون أن تلبس على العوام وتوهمهم الباطل حقاً والحق باطلاً، وهذا التلبيس ليس من صفات المؤمنين وليس من صفات أهل السنة والجماعة، بل النصح هو الواجب"[3]**؛ فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال ﷺ :(الدين النصيحة -ثلاثا- قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[4].ونصيحة السلطان ينبغي أن تكون بحكمة ولين، في السر لا في العلن؛ حتى تؤتي ثمارها، جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له: إني أريد نصح السلطان، فقال له: (إن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه، وأبشر بالخير)[5].

ومن أهم ما يجب أن يعلم في هذا المقام هو أنه لا يجوز الخروج على ولاة أمور المسلمين وإن جاروا وظلموا؛ فإن مسألة الخروج مضبوطة بضوابط الكتاب والسنة، قال الشيخ رحمه الله :**"ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا وإن ظلموا، ظلم ولي الأمر لا يبيح الخروج عليه بل الواجب الصبر على ظلمه، ولو أخذ مالك وضرب ظهرك ما لم تؤمر بمعصية، عليك الصبر...لا يجوز الدعوة عليهم ولعنهم وسبهم والتشهير بهم غير جائز؛ لأن كل ذلك يؤدي إلى تشتت المسلمين وتفرق**

---

(١) رواه مسلم (١٨٥٣).

(٢) حقيقة الشورى في الإسلام صـــ٣٥.

(٣) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣٤) و (أ).

(٤) رواه مسلم (٥٥،٩٥،٩٦).

(٥) رواه سعيد بن منصور في سننه (٨٤٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٩٢).

كلمتهم"[١]."ولهذا روى : (إن السلطان ظل الله في الأرض)[٢]، ويقال:(ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان)[٣]، والتجربة تبين ذلك، فإن الوقت والمكان الذي يعدم فيه السلطان بموت أو قتل، و لم يقم غيره، أو تجري فيه فتنة بين طائفتين، أو يخرج أهله عن حكم سلطان، كبعض أهل البوادي والقرى يجري فيها من الفساد في الدين والدنيا، ويفقد فيه من مصالح الدنيا والدين ما لا يعلمه إلا الله. ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل"[٤] وغيرهما – يقولون : لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان). قال الشيخ محمد أمان رحمه الله مبيناً عدم جواز"**الدعوة عليهم ولا لعنهم ولا سبهم ولا التشهير بهم: الواجب الدعاء لهم بالصلاح بأن الله هو الذي يصلحهم، وهو الذي يعافيهم، وقد يكون فسادهم وعدم صلاحهم عقوبة للمجتمع، على المجتمع الذي ابتلي بولاة أمور غير صالحين، عليهم أن يدعو الله أن يصلحهم، وأن يدعو لهم بالمعافاة والصلاح، لا الخروج عليهم ولا الدعاء عليهم؛ لأن الأمر بيد الله هو الذي يصلح من يشاء وينزع التوفيق ممن يشاء**"[٥].

وقد آثرت أن أختم هذا المطلب بنموذجين عمليين يتجسد من خلالهما مدى حرص الشيخ على ترسيخ الواجبات المتعلقة بالرعية في نفوس طلابه، وسأكتفي بهما في بيان مدى شعور الشيخ بما يحس به كثير من الشباب الذين قد تحملهم الغيرة على ارتكاب بعض الأخطاء، ومدى حرصه رحمه الله على ضبط الغيرة بضوابط الشرع.

النموذج الأول: سئل الشيخ رحمه الله: هل الحكّام الذين لا يحكمون بشرع الله تجب طاعتهم ومبايعتهم أم ماذا؟ وما هي نصيحتكم للشباب المسلم في غير هذه البلاد، وذكر

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٧) و (ب).

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء ٣/٣٥٣-٣٥٤ وقال:حديث منكر.

(٣) نسبه شيخ الإسلام لبعض العقلاء، و لم أقف لها على قائل، انظر: الفتاوى ٥٤/٢٠، ١٣٦/٣٠.

(٤) السياسة الشرعية صـــ٢٣٣.

(٥) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٧) و (ب).

عدة بلدان من البلدان العربية والإسلامية التي تحكم بالقوانين ولم تقتنع بالشريعة الإسلامية؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**هذا السؤال وارد، يوجد عدد كبير من أبناء الدول العربية والإسلامية في الجامعة الإسلامية وغيرها، وفي الحرمين الشريفين، يتفقهون فَنِيَّتَهُم الإصلاح بعد العودة وبعد الرجوع الى أوطانهم ماذا يعملون، يعني بعض الشباب من الأفغانيين تخرجوا من الجامعة الإسلامية طلبوا مني ان أتعاون معهم؛ لأنهم يريدون إيجاد جبهة إسلامية في أفغانستان جبهة جديدة، قلت لهم:(لا) إذا أنشئتم جبهة إنشاءكم للجبهة الإسلامية إثارة في نفوس الخصوم ويستعدون لكم للقضاء عليكم، إذن الطريقة ما هي؟**

طريقة التعليم، يرجعون الى بلادهم فيفتحون مدارس تحفيظ القران والمدارس الابتدائية والمتوسطة إلى الثانوي على المنهج الذي يدرس في هذا البلد – في مدارسنا– كما فعل الأفارقة والإخوان الذين في القارة الهندية؛ حيث يبنون الرجال ويربون الشباب على هذا المنهج ولا يتصلون في الحكام إلا بعد فترة، واتصالهم بأولئك الحكام يكون اتصالاً سليماً بعيداً عن الحزازات السياسية والمنافسة السياسية، بحيث لا يشعر أولئك الحكام أن هؤلاء الدعاة ينافسوهم لِيُنْزُلُوهم من كراسيهم[1]، فليس من العدل أن توجد لك أعداءً وخصوماً في أول بدئك في الدعوة، فابنِ نفسك وابنِ الرجال وربِّ الشباب وتدرج ثم اتصل بالعقلاء وبالأعيان إلى أن تصل شيئا فشيئا إلى أولئك الحكام وتعرض عليهم الدعوة عرضا وإياك أن تسلك مسلك الإثارة والتهييج والطعن والسب "لا" ليس هذا أسلوبا أبدا، ولو كان الحاكم طاغوتا يحكم بغير ما انزل الله راضياً فيه ليس من الحكمة أن تبدأ بالهجوم والعنف وأنت عاجز لا تقدر تعمل شيء.

فيبدأ بالطريقة السلمية والتعليم وبناء الرجال حتى يصل إلى ما يريد، إن جاءه اجله قبل أن يصل إلى ما يريد يثاب على نيته الصالحة وعلى هذه العزيمة العظيمة؛ لأنه كان

---

(١) انتهى الوجه (أ) من الشريط (١).

عازماً على الإصلاح ويتولى مَن بعده المنهج وهكذا لا ينبغي أن يتعجل، أما كون الشاب فور تخرجه يعود إلى بلده يحاول أن يقيم دولة إسلامية بين عشيةٍ وضحاها هذا طيش جهل لا ينبغي..."[1].

النموذج الثاني: سئل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن تعارض العلماء قد أحدث إرباكاً بَيْنَ الشباب الملتزم، لا بد من إنكار المنكرات الموجودة في هذا البلد التي لا تخفى عليك فكيف ننكرها؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" **إنكار المنكر واجب إلا إذا كنتَ تعني بإنكار المنكر عدم وقوع المنكر، فالمنكرات الواقعة تُنْكَرْ، ومَنْ يَراها يُنكرها وتسمع من ينكرها في الإذاعة والتلفاز وفي المحاضرات والعلماء يبينون خطورة انتشار المنكرات فينكرون، نحن علينا أن ننكر المنكر بألسنتنا ونبين خطورة انتشار المنكر، فهذا كل ما يجب علينا، وليس علينا إزالة ذلك باليد؛ هذه وظيفة غيرنا، فنسأل الله أن يوفق ولاة الأمور للتغلب على بعض ما انتشر من المنكرات بين المجتمع كانتشار الربا.**

ثم إنكار المنكر شيء وتكفير الناس؛ لأجل انتشار المنكر شيء آخر، وقوع المعاصي والمنكرات في البشر أمر لابد منه، فلماذا نزلت الحدود والتعزيرات والعقوبات؟ لأن الله يعلم خلقه؛ أنه خلق البشر فيهم نزعاتٍ مما يوقعهم في المعاصي وهو سبحانه وتعالى أرحم الراحمين وَعَدَهُمْ بالتوبة لمن تاب إليه.

فإذا كان يتصور بعض الناس أن المجتمع الإسلامي هو ذلك المجتمع الذي لا تقع فيه المنكرات والمعاصي هذا تصور خاطئ لم يحصل ولن يحصل فخير مجتمع عاش على وجه الأرض المجتمع الذي كان يقوده رسول الله ﷺ وهل ذلك المجتمع سَلِمَ مِنَ المعاصي؟ لا، شُرِبتْ الخمور، وحَصَلتْ السرقة، وفاحشة الزنا كل ذلك وقع، وهل أخرج ذلك الدولة الإسلامية المحمدية من كونها دولة إسلامية؟ لا؟ إذن الدولة الإسلامية هي التي تقيم الحدود إذا وقعت المعاصي، وتُعَاقِبُ الجاني بذوات الحدود – بالحد– وفيما دون ذلك بالتعزير، وهذا هو الحاصل الآن عندنا، الحمد الله، ماذا تريد أكثر من هذا؟!

---

(١) ٢٨ سؤال حول الدعوة السلفية السؤال و (ب) س(١٠).

صحيح نحن معترفون بالتقصير، لسنا كسلفنا الصالح، لا نحن طلابَ العلمِ، ولا حكامُنا ولا مجتمعُنا، فالنقص حاصل، والتقصير حاصل، ولكن كما قلت غير مرة: لن نَنْزِلَ عن درجة المؤمن الضعيف (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير)[(١)] لا نترل عن هذه الدرجة أي لسنا بكفار...

نحن بشر ولكن إن كنت ذا إنصاف قارن بين هذا البلد وبين المجتمع الذي أنت تعيش فيه، وبين المجتمعات الأخرى التي أعرضت عن الإسلام إعراضا كلياً مع الانتساب للإسلام، إنما تعرف الأشياء بأضدادها"[(٢)].

(١) يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) ٢٨ سؤال حول الدعوة السلفية السؤال و (ب) س(١٢).

المطلب الثالث: جهوده في توضيح المصالح المنوطة بولي الأمر:

سبق توضيح بعض الحقوق التي تجب للراعي على الرعية، وكما له من الحقوق فإن عليه واجبات، وبه تقوم مصالح لا يمكن وقوعها بدونه، وسيتم عرضها -وفق ما قرره الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فيما يلي من مسائل والله المستعان:

المسألة الأولى: تحكيم شرع الله:

لاشك أن من أعظم الواجبات هي تطبيق الناس لشرع الله وحكمه، فالواجب على ولاة أمور المسلمين وعامتهم تنفيذ شرع الله وحكمه، لا تشرع تشريعات لم ترد في نصوص الكتاب والسنة، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**فالكتاب والسنة الصحيحة الشارحة للكتاب هما محل التشريع الإلهي الكامل، فيجب على كل مسلم الإذعان لذلك، ولم يبق إلا القضاء بين الناس في ضوء ما جاء في الكتاب والسنة، ثم تنفيذ تلك الأحكام بين عباد الله. فهذا هو الذي أسست عليه هذه المملكة العملاقة المحروسة. فتوضيح ذلك أن التشريع لرب العالمين وقد تم. وأما القضاء وتنفيذ ذلك التشريع؛ فهو الذي يتولاه ولاة أمور المسلمين؛ من ولي الأمر رئيس الدولة، ورجال حكومته، من وزرائه وأمرائه ورجال الشورى والقضاء، وجميع أعضاء الدولة؛ فهؤلاء جميعاً يشغلون وظيفة واحدة، ألا وهي تنفيذ أحكام الله بين عباد الله، كما جاءت من عند الله. أجل؛ هذه وظيفة ولاة الأمور، وهذا ما عناه خادم الحرمين الشريفين بقوله:(إن بلدنا له خصوصية)[1] وهذه بعض معاني تلك الخصوصية المشار إليها**"[2].

وقد نبه الشيخ على أن أكثر الويلات التي أصيبت بها كثير من المجتمعات؛ إنما هي بسبب الابتعاد عن التشريع الرباني، وتبني التشريعات الوضعية، فقال:"**ومن يمعن النظر في واقع الأمم اليوم؛ يدرك دون شك أن معظم الويلات التي تعيشها الشعوب -أو**

(١) في لقاء أجرته معه جريدة السياسة الكويتية في ١٤١٢/٩/٢٥هـ.

(٢) حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام صـ١٥-١٦.

أكثرها- مرجعها إلى إخضاع الحاكمية لتشريع بشري زمني، واعتقاد صحة سلطة تشريعية بشرية، مهما اختلفت ألقابها"[1] وأكثر الشيخ من التحذير من النظم البشرية الوضعية فقال:"**فأصحاب هذه النظم الجاهلية يعدون في الحكم الإسلامي أو المنهج الإسلامي أرباباً من دون الله، وهم المعبودون لشعوبهم وأتباعهم، أدركوا ذلك أو لم يدركوا، وذلك كله كفر بالله وبدينه؛ أي: إن النظم الديمقراطية والحزبية الشيوعية والديكتاتورية العسكرية القمعية ليست من الإسلام في شيء، بل هي كفر بدين الله.**

وأما المنهج الإسلامي؛ فالحاكمية فيه إنما هي لله وحده، وهو سبحانه خالق هذا الكون وحده ومالكه، وهو العليم الخبير، ومدبر شؤون عباده، الحكم العدل، وهو الصمد الذي يصمد إليه كل شيء، السيد الكامل في سؤدده، الغني الكامل في غناه، بيده مقاليد السماوات والأرض، فلا يجوز أن يعتقد وجود العدل إلا في حكمه سبحانه؛ أعني: العدل الكامل؛ لأن المخلوق ناقص، بل النقص والفقر والعجز والظلم صفات ذاتية في المخلوق ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ فأنى يقع منه العدل الكامل مع اجتماع تلك الصفات اللازمة له؟!

وقد يكمل الله بعض عباده كالأنبياء الكمال النسبي، فيحصل منه العدل الكامل، الكمال النسبي أيضاً، وأما الكمال المطلق من كل وجه؛ فإنما هو لله وحده.

وبعد: هذا ما يقرره قرآن الإسلام، وهو الذي يجب أن يكون دستور المسلمين، ومنظم حياتهم، ومصدر أحكامهم وحده؛ إذ يقول الله عز من قائل: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ . ويقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ . ويقول سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ . ويقول عز وجل: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ . ويقول أيضاً: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ

---

(١) حقيقة الشورى في الإسلام صـــ ١١.

ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ . ويقول تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

هذا هو المنهج الإسلامي يحتم إفراد الله تعالى بالحاكمية والعبادة، كما أنفرد سبحانه بالربوبية، فتنحصر العدالة في شرع الله وحده، دون ما سواها من النظم التشريعية البشرية، فيكون الإسلام منهجاً متميزاً في خصائصه، فلا شيء ينافسه البتة؛ لأنه منهج رباني مترل غير وضعي، فلا يتهم بمحاباة أو تمييز أو تحكم أو سطوة أو نقص أوعيب، وجميع عباد الله أمام شرعه العادل سواء. ولنسمع مرة أخرى قول الله عز وجل: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ . **وقوله سبحانه:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

فهذه العدالة التي تحدث عنها القرآن بإسهاب كما رأيتم تجسدها قصة المرأة المخزومية المشهورة التي سرقت وعظم أمرها عند قومها لما لها من شرف عظيم عندهم، فأرادوا إسقاط الحد عنها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ لعله يضع عنها الحكم؟! فلم يجدوا من يجرؤ على ذلك إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، ولما كلم أسامة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ كان الجواب خلاف المتوقع؛ إذ قال رسول الله ﷺ وهو غاضب:(أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟!). غضب شديد من رسول كريم وحليم لا يغضب إلا لله، واستفهام إنكاري شديد اللهجة ومثير، أوقع أسامة في حيرة من أمره وفي ندم شديد، ثم تبع ذلك أن خطب رسول الله ﷺ في الناس، فقال:(يا أيها الناس! إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله؛ لو أن فاطمة

بنت محمد سرقت؛ لقطع محمد يدها)[1]. **وهذه القصة لنموذج حي لمن يريد أن يتصور معنى العدالة في الإسلام..وأين لتلك المصطلحات البشرية –شرقية أو غربية– ما يقرب من هذه العدالة الإسلامية؟! بل من الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه تسمية الديمقراطية الغربية عدالة"**[2].

ومن الجهود التي بذلها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في تشجيع ولاة أمور المسلمين لتحكيم شرع الله تبارك وتعالى على الرعية؛ ما أشاد وهنأ به –في افتتاحية مجلة الجامعة، حين كان رئيس تحريرها– رئيس جمهورية باكستان آنذاك حيث أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية، وأن ذلك الهدف هو الذي حدا به إلى الانفصال عن الهند، حيث قال رَحِمَهُ اللهُ:"**و(مجلة الجامعة الإسلامية) تنتهز هذه الفرصة لتهنئ جمهورية باكستان الإسلامية –رئيساً وحكومة وشعباً– على هذه النعمة؛ نعمة الإسلام وتطبيق شريعته. وفي الوقت نفسه تهيب بالدول الإسلامية الأخرى وتدعوها لتحذو حذو جمهورية باكستان الإسلامية؛ فتعلن عن تطبيق الشريعة الإسلامية، ثم تتابع الإعلان والتنفيذ والحل؛ لأن الإعلان وحده غير كاف طبعاً، ويومئذ نصدق إذا قلنا:(نحن مسلمون) والله الموفق"**[3].

ثم بعد ذلك أجاب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن بعض الاعتذارات التي يوردها بعض الحكام؛ عن تطبيق الشريعة فقال رَحِمَهُ اللهُ:"**وقد يعتذر بعض الحكام عن تطبيق الشريعة ببعض الأعذار نوجزها فيما يلي:**

١– إن شعوبهم ورعاياهم تتكون من مسلمين وغير مسلمين؛ فيظنون أن هذا الواقع يكون لهم عذرا مانعا عن تطبيق الشريعة؛ لئلا يتضرر أفراد الشعب على حساب الآخرين في زعمهم!!!

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٥) ومسلم (١٣١٥).

(٢) حقيقة الشورى في الإسلام صـ ١٣.

(٣) افتتاحية مجلة الجامعة العدد (٤٣).

وللإجابة على هذا الوهم نقول: إن تطبيق شريعة الإسلام رحمة للمسلمين وغير المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ .. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ . وذلك أن غير المسلمين ينعمون في ظل أحكام الإسلام كما ينعم المسلمون؛ لأن الإسلام الذي حرم مال المسلم ودمه وعرضه كذلك يحرم أموال غير المسلمين ودماءهم وأعراضهم، ما داموا يعيشون تحت راية الإسلام مسالمين دون أن يكونوا حربا على الإسلام والمسلمين، ولا يكونوا عونا لمن يحاربهم. ويسمى هذا الصنف مستأمنا أو معاهدا أو ذميا.

ومن أحكام دين الإسلام أحكام تخص هؤلاء الناس يهوديين أو نصرانيين.. من ذلكم الوعيد الشديد الذي جاء في حق من يقتل معاهداً أو ذمياً بأنه لا يراح رائحة الجنة عبد الله بن عمر بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد في مسيرة أربعين عاماً). رواه البخاري واللفظ له، وللنسائي مثله إلا أنه قال: (من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة).

ومن مثل هذه النصوص الصريحة يتضح جليا أن الإسلام دين الرحمة، وهو عنوان الأمن والاستقرار كما تقدم.. وخير شاهد على ذلك ما ينعم به سكان المملكة العربية السعودية التي اكتفت بالإسلام دينا ودستورا بتوفيق الله؛ ينعم سكان هذه المملكة بنعمة الأمن المنقطع النظير في العالم، مواطنين ووافدين على حد سواء، وهي حقيقة ملموسة لمس اليد، ولا تحتاج إلى ذكر الشواهد، بل كل من عرف ما تعيش فيه شعوب العالم من قلق واضطراب وعدم استقرار للأمن، ثم شاهَد ما يعيش سكان هذا البلد الطيب من الأمن على نفسه وماله وعرضه، وينام ليله ملء أجفانه يؤمن تماما أن سر ذلك هو تطبيق شريعة الإسلام.. ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

,

٢- يظن بعضهم أن تطبيق شريعة الإسلام يعني حمل الناس على اعتناق الإسلام وتكليفهم بذلك بغير رضاهم.!!

وللإجابة على ذلك نقول أن هذا الوهم منشأه عدم التفقه في الدين وقلة البصيرة. وإلا فإن الإسلام يعلن بكل صراحة في قرآنه بأنه لا يكره أحداً على الدخول في الإسلام بغير اختياره ودون رضاه؛ إذ يقول القرآن الكريم -وهو كتاب الإسلام الوحيد - ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ **فدعوة الإسلام إذاً إنما هي عرض وبيان.. عرض الإسلام على حقيقته كاملا كما نزل.. وبيان لمحاسنه وسماحته وشموله ورحمته؛ ليعرف على حقيقته.. فليس في دعوة الإسلام إكراه للناس حتى يكونوا مسلمين قسرا ودون اختيارهم.**

وبعد: فهل بقي هناك خيط يتعلق به أولئك الذين لم يطبقوا الشريعة في شعوبهم مع انتسابهم إلى الإسلام؟!!.. فنرجو أن يجدوا في موقف فخامة رئيس باكستان (ضياء الحق) ما يكون خير حافز لهم، ويضيء لهم الطريق ليبادروا فيعلنوا كما أعلن، ثم يطبقوا وينفذوا ولا يجبنوا، والله معهم وسوف يسدد خطاهم ويأخذ بأيديهم.. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ "[(١)].

والمقصود مما سبق بيان حرص الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تحكيم الشرع الرباني؛ لأنه من أعظم الأعمال المنوطة بولي الأمر، نسأل الله جل في علاه أن يوفق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابه، وتحكيم شرعه.

المسألة الثانية: العدل:

والعدل من الأخلاق المأمور بها في الكتاب والسنة، فهو مطلوب من الناس كلهم حاكمهم ومحكومهم، صغيرهم وكبيرهم، وإذا كان الأمر كذلك، فهو في حق أولي الأمر أوجب؛ لما كلفهم الله تبارك وتعالى من الأمانة المتعلقة برعاياهم.

---

(١) افتتاحية مجلة الجامعة العدد (٤٣).

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ وقال سبحانه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**فهذه العدالة التي تحدث عنها القرآن بإسهاب –كما رأيتم– تجسدها قصة المرأة المخزومية المشهورة التي سرقت وعظم أمرها عند قومها لما لها من شرف عظيم عندهم، فأرادوا إسقاط الحد عنها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ لعله يضع عنها الحكم؟! فلم يجدوا من يجرؤ على ذلك إلا أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ، ولما كلم أسامة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ كان الجواب خلاف المتوقع، إذ قال رسول ﷺ وهو غاضب:(أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟!) غضب شديد من رسول كريم وحليم لا يغضب إلا لله، واستفهام إنكاري شديد اللهجة ومثير، أوقع أسامة في حيرة من أمره وفي ندم شديد، ثم تبع ذلك أن خطب رسول الله ﷺ في الناس فقال:(يا أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله؛ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت؛ لقطع محمد يدها)[(١)].**

وهذه القصة نموذج حي لمن يريد أن يتصور معنى العدالة في الإسلام..وأنى لتلك المصطلحات البشرية –شرقية أو غربية– ما يقرب من هذه العدالة الإسلامية؟! بل من الظلم –وهو وضع الشيء في غير موضعه– تسمية الديمقراطية الغربية عدالة!"[(٢)].

(١) سبق عزوه صـــ ٥٩٨.

(٢) حقيقة الشورى في الإسلام صــــ١٥-١٦.

والإمام العادل هو أحد الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله[1]، ولاشك أن العدل والبعد عن الأهواء سبب من أسباب تدعيم الملك وحمايته وبقائه، وخلاف ذلك سبب من أسباب زوال الملك ونهايته.

المسألة الثالثة: الإشراف على بيت المال:

لاشك أن ولي أمر المسلمين مسؤول عن بيت مال المسلمين، فهو يقوم بتصريفه وفق المصارف المتعددة، حسب ما تقتضيه المصلحة، وقد ألف الشيخ محمد أمان رسالة نفيسة في هذا الصدد، أقتطف منها هنا ما يقتضيه المقام، قال رحمه الله:"**يوزع المال العام بطرق كثيرة ومتنوعة، ويحفظ ذلك المال في الوزارة المعروفة عالمياً بوزارة المالية، ومن هذه الوزارة يوزع المال على جميع الوزارات والمصالح الحكومية للتوزيع، فيوزع المال بطرق شتى؛ منها:**

أولاً: إنشاء المدارس الحكوية والجامعات الضخمة، وتأمين الكتب المدرسية مجانا للدارسين، وتأمين المراجع المطلوبة للمعلمين مهما كثرت، وتوظيف العاملين في تلك المدارس والمعاهد والجامعات في جميع التخصصات، مع مكافأة مناسبة للدارسين أحيانا، ذلك نوع من أنواع توزيع المال العام.

ثانياً: تأثيث تلك المستشفيات العملاقة في كل مدينة من تلك المدن الكبيرة والصغيرة، وتوظيف الأطباء وسائر العاملين فيها، مع تأمين تلك الأدوية الغالية التي تصرف مجاناً لكل مريض، ذلك نوع من أنواع توزيع المال العام على المجتمع بطريقة غير مباشرة، ولكنها طرق واضحة يدركها كل منصف.

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري (٦٨٠٦) ومسلم (١٠٣١).

ثالثاً: وقد يعطى شيء من المال العام لبعض الأشخاص في بعض الظروف، وذلك مثل المال الذي يعطى للجندي أو الضابط الذي يبلي بلاء حسناً في قتال العدو، وقد يعطى ذلك نقدا جائزة له وتشجيعاً، وليكون أسوة لغيره، أو بشكل سكن، أو سيارات .. أو غير ذلك من الطرق المتبعة لدى الجهة المسؤولة حسب اجتهاد تلك الجهة.
وكل الذي أريد أن أثبته وأوضحه أن المال العام ملك عام لجميع أفراد المجتمع ، ولكنه لا يعطى لكل داخل، بل هو عطاء تضبطه قواعد وأنظمة يعرفه أهل الاختصاص، فلينتبه لذلك، وليسأل أهل الاختصاص، دون تخبط أو إساءة ظن مع عدم وجود علم كاف في المقام ، والعلم قبل القول والعمل ، والله أعلم"[1].

المسألة الرابعة: الشورى:

إن الشورى مبدأ إسلامي مهم لا يمكن استبداله أو الاستغناء عنه، فيجب على ولاة الأمور اتخاذ أهل العلم والخبرة أهل مشورتهم، قال الشيخ ﵀:"**فولي الأمر في النظام الإسلامي مسؤول أمام الله، ليطبق في شعبه نظام الحكم الإسلامي فقط، وهو مسؤول وحده مسؤولية كاملة وعظيمة. فانطلاقاً من هذه المسؤلية؛ فعليه أن يطبق نظام الشورى الإسلامي، فيتشاور قبل البت، مع أهل العلم والمعرفة والخبرة والتخصص فيما يحتاج إلى التشاور**"[2]. وقد اعتنى الشيخ محمد أمان ﵀ بإبراز هذه النواحي؛ حيث ألف رسالة يبين فيها حقيقة الشورى ومكانتها وبعض المسائل المتعلقة بذلك، وسأقطف منها ما يقتضيه المقام.

بين الشيخ ﵀ مشروعية الشورى في النصوص، وأنها من أبرز صفات المؤمنين، فقال:"**ولا يختلف اثنان في مشروعية الشورى؛ لأن الله سبحانه جعلها من صفات**

(١) توزيع الثروات في الإسلام صـ٢٢-٢٣.

(٢) حقيقة الديمقراطية صـ٣٣

المؤمنين، بل حث عليها القرآن؛ حيث قال الله تعالى في تعداد كثير من صفات المؤمنين ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ **. هذه مجموعة من صفات المؤمنين يعرضها القرآن الكريم، حاثاً عليها، تتوسطها (الشورى)؛ لأن المؤمن من دأبه أن يكون متواضعاً غير متكبر، فلا يمنعه كبره من الاستشارة؛ كما ينبغي أن يكون متأنياً في تصرفاته متزناً ومتريثاً، وذلك يعني: أن لا يقدم على عمل ما إلا على بصيرة، والشورى هي السبيل إلى ذلك في الأمور الغامضة غير الواضحة، (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار).**

لذلك ينبغي لولي الأمر بخاصة ولجميع المسؤولين والعاملين بعامة، الإكثار من الشورى في موضع الاستشارة الذي سبقت الإشارة إليه، ويستشير في كل أمر، أهل الاختصاص: ففي المسائل الفقهية المتجددة التي تتطلب قياس العلة لإلحاق الفرع بالأصل بالعلة لمعرفة حكم الله فيها يستشار الفقهاء وأهل العلم بالشريعة، وفي الأمور الحربية العسكرية المعقدة يستشار الخبراء العسكريون المجربون...وهكذا دواليك، وبذلك يتم التعاون بين ولي الأمر ورعيته، وهو أمر معمول به في هذا البلد – السعودية– ولله الحمد والمنة"[1].

ويحسن التنبيه على أن الشيخ رحمه الله يرى أن الشورى على مشروعيتها إلا أنها غير ملزمة، وقد عقد فصلاً يبين فيه مواقف حازمة من التاريخ تدل على أن الشورى غير

(١) حقيقة الشورى في الإسلام صـ ٣١-٣٢.

ملزمة[1]، ومما قال فيه:" **فإننا نجد في آية آل عمران ما يدل على أن الشورى غير ملزمة، بل يجوز لولي الأمر أن يعرض عن الشورى إعراضاً ويبت في الأمر -أحياناً- متوكلا على الله وحده، إذ يقول الله تعالى مخاطباً لرسوله الأمين:** ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ **فالآية صريحة في أن ولي الأمر إذا حصل لديه عزم على تنفيذ أمر ما؛ لكونه واضح لا غموض فيه، أو كان المقام مقام يتطلب الحزم والبت لخطورته، ولديه قناعة كاملة بأن ذلك في صالح المجتمع الإسلامي؛ فعليه أن يبت في الأمر وحده بحزم وثبات؛ متوكلاً على الله ومعتمداً عليه**

(١) أنبه على أن بعض الطلبة استشكل مقصود الشيخ بغير ملزمة فسأل الشيخ: وهل يستدل بتنفيذ جيش أسامة على أن الشورى ليست لازمة؟ فأجاب الشيخ بقوله:"**لم يقل أحد بأن الشورى غير لازمة، ولكن الذي قيل بأن الشورى غير ملزمة، لعله شاب صغير غُرِّرَ وهو لا يفرق بين لازم وبين ملزم الذي قلنا ولا نزال نقول: بأن الشورى غير ملزمة، أي: إذا أبدى المستشارُ رأياً لولي الأمر فلابد من التفصيل إن كان المقام مقام يحتاج إلى الشورى -أمر غير واضح- أو ولي الأمر غير عالم بذلك الأمر وعالم أشار عليه وقَدَّم له رأي، والأمر فيه أخذ ورد، فهنا يجب أن يأخذ رأي أهل العلم وأهل الخبرة سواء كان في الناحية الفقهية، أو الناحية العسكرية، الأمر الذي يَحتاج إليه وهو بحاجة إليه وهو غير واضح عنده فواجب أن يأخذ هذا الرأي. أما إذا كان الأمر واضحاً عنده فَقُدِّمَ لَهُ رأي – ليس بلازم – فينظر إلى ما هو الأصلح باجتهاده أو كان المقام مقاما حرجا، كمسألة تنفيذ جيش أسامة، هنا هل يستقل ولي الأمر برأيه ويرفض آراء جميع المستشارين وجميع الموجودين؟ وقوله تنفيذ جيش أسامة بأمر النبي عليه الصلاة والسلام وكما قلنا إنه شاب صغير غير فاهم، فالنبي عليه الصلاة والسلام عَقَدَ له اللواء وتوفي قبل أن يُنفذ هذا الجيش، وقبل أن يُؤمر أسامة بان يقوم بجيشه ويخرج بجيشه؛ لذلك عمل أبو بكر أول عمل بتنفيذ هذا الجيش، وأما الذين أشاروا عليه ليس رأيهم عدم التنفيذ مطلقا .. لا.. وإنما طلبوا منه التأخير التنفيذ؛ نظرًا للوضع السيئ الذي كانت تعيشه المدينة خوفاً من العدو الداخلي والخارجي طلبوا التأخير فرفض التأخير ونَفَّذَ**"ا.هـ إجابة السائل من شريط بعنوان (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية) وانظر: حقيقة الشورى صـ٣٩-٤٦.

في نجاح الأسباب؛ دون استشارة، بل دون قبول لقول المستشار لو قدم رأيه ونصحه دون طلب من ولي الأمر"(١).

ثم ذكر الشيخ رحمه الله جملة من المواقف الحازمة التي يستفاد منها أن الشورى غير ملزمة، فذكر: قصة الحديبية(٢) وقبول النبي ﷺ لشروط قريش مع شدتها وعدم رضا بعض الصحابة بذلك، وقصة الفتح حيث تمت دون استشارة للصحابة، وتنفيذ أبي بكر لجيش أسامة(٣)، وإصراره لقتال المرتدين(٤)، ثم قال رحمه الله:"**والخلاصة: والذي نريد أن نصل إليه في آخر حديثنا من ذكر هذه المواقف الحازمة: أن لولي الأمر أن يأخذ بالشورى، وله أن لا يأخذها؛ حسب مقتضيات الأحوال، واختلاف المواقف في الحرب والسلم. هكذا يثبت لدينا دون أدنى تردد أن الشورى غير ملزمة. وبالله التوفيق، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه**"(٥).

وبتمام الكلام على مسائل تتعلق بالإمامة، يتم الكلام على الباب الثاني وهو تقرير الشيخ محمد أمان رحمه الله لبقية مسائل الاعتقاد والحمد لله على كل حال.

---

(١) حقيقة الشورى صـ٣٩.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣١) ومسلم (١٧٨٥).

(٣) انظر: البداية والنهاية ٦/٣٠٨.

(٤) انظر: صحيح البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٥٢).

(٥) حقيقة الشورى صـ٤٦.

الباب الثالث

جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الاستدلال، والرد على الفرق والأفكار المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جهوده في توضيح منهج السلف في الاستدلال والرد على المخالفين.

الفصل الثاني: جهوده في الرد على بعض الفرق.

الفصل الثالث: جهوده في الرد على الأفكار المنحرفة.

تمهيد

إن المتأمل في واقع الأمة المعاصر يجده مريراً؛ قد أنتج لفيفاً من الفرق الإسلامية التي شقت عصا المسلمين وجماعتهم، ودبت التباغض والتدابر فيما بينهم، وجعلت كل جماعة تعتصم بما توالي وتعادي عليه من الأصول التي أصلوها، وكان سبب ذلك عوامل كثيرة، شاء الله وقوعها كوناً ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ . وقد قاوم العلماء الناصحون هذا الواقع، فلم يستسلموا بل أدوا واجب النصح لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين، ومن أولئك العلامة محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد سلك في دفاعه عن العقيدة السلفية والرد على المخالفين مسالك عدة: منها: توضيح المسائل العقدية وشرحها وفق منهج السلف؛ وما سبق في البابين السابقين من بيان جهوده في توضيح جل المسائل العقدية: من الإيمان بالله وما يتضمن ذلك من الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، والإيمان ببقية أركان الإيمان: من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر، وما تبقى من مسائل الاعتقاد: من توضيح حقيقة الإيمان والإمامة والصحابة=دليل على ذلك.

ومنها: بيان خصائص وقواعد المنهج السلفي وأنه دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، وإبراز جهود أئمة السلف وتفانيهم؛ في سبيل نشر العقيدة السلفية والدفاع عنها؛ رغبة في التأسي بهم والسير على منهجهم.

ومنها: التصدي بالرد على من يكدر صفو العقيدة السلفية، أو يهون من تعلمها وتعليمها.

وسبق توضيح شيء من هذه المسالك، وفيما يأتي مزيد بيان وتوضيح لهذه المسالك؛ التي تدل على صدق دعوة الشيخ وإخلاصه في نشر العقيدة السلفية، وأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ متبع غير مبتدع، لم يخالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة، بل إنه يعد بحق ممن نذر

حياته لهذه العقيدة تعلماً وتعليماً، ودعوة وتدريساً وتأليفاً؛ وما ذلك إلا لكونه أدرك ضروريتها للفرد والمجتمع ضرورة الماء والهواء، وأدرك خطورة البدع المخالفة لهذه العقيدة، وما تجره على الأمة من البلاء، فوضح معالمها وأظهر أهميتها وأسهم بنشرها بلسانه وبنانه؛ وذب عن حياضها بكل ما أوتي من قوة، فرحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

الفصل الأول

جهوده في توضيح منهج السلف في الاستدلال والرد على المخالفين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الاستدلال.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الرد على المخالفين.

المبحث الأول

جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الاستدلال

تمهيد

لعل من المناسب قبل البدء بتوضيح جهود وجهاد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المخالفين لمنهج وعقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، أن أمهد بنبذة يسيرة عن السلف الصالح ومنهجهم السليم الناشئ عن علمهم النافع وعملهم الصالح، والأصول التي يعتمدون عليها، ويرجعون عند الاختلاف إليها، وخصائص ومميزات منهجهم الذي سلكوه، وحكم تعلم منهج السلف الصالح، وحكم الانتساب إليهم. ومصادر التلقي ومنهج الاستدلال عندهم.

وبيان كل ما سبق وفق ما قرره الشيخ وبينه في مؤلفاته ومحاضراته؛ حتى يتجلى لكل ذي عينين منهج الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنه نهج منهج السلف الصالح، فهو متبع لم يأت بشيء من الدين ليس على منهج الأوائل المصلحين. فاكتملت عدة المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: جهود الشيخ في توضيح المراد بمنهج السلف الصالح، وحكم الأخذ به:

لقد اعتنى الشيخ ﵀ عناية فائقة ببيان منهج السلف الصالح والدعوة إليه، حيث كانت له مشاركات في توضيح المنهج السلفي[1]، وذلك ظاهر لمن كان له أدنى تأمل في مقالاته ومحاضراته، بل إنه صنف كتاباً مستقلاً في هذا الباب ووسمه بـ(اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه).

والمنهج والمنهاج في أصل الوضع اللغوي يعني: الطريق الواضح. ونهج الطريق سلكه، واستنهج الطريق أي صار نهجاً؛ كالنهج نهج فلان سبيل فلان سلك مسلكه[2].

وقد عرف الشيخ ﵀ المقصود بالمنهج في هذا المقام بقوله:"**فقولنا (منهج السلف الصالح) الطريق الواضح الذي سار عليه المسلمون الأولون في دينهم عقيدة وشريعة وسلوكاً وأخلاقاً وجميع نواحي الحياة. فيكون معنى المنهج في الاصطلاح هو المسلك الواضح المستقيم، ويمكن تصيد هذا المعنى من قول رسول الله ﷺ: (تركتكم على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك)**[3]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾"[4].

والسلف في اللغة كما ذكر الشيخ ﵀ كل من تقدمك من آبائك وقرابتك، والجمع: سلاف وأسلاف، والسلف يطلق على كل عمل صالح قدمته[5].

قال الشيخ بعد نقل المعنى اللغوي :"**فاللفظة لها عدة معاني في اللغة غير ما ذكرناه هنا، وما ذكرناه هو المناسب للمقام**"[1].

---

(١) انظر: المفهوم الصحيح للسلفية، افتتاحية مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٤١) صـ٧.

(٢) انظر: القاموس المحيط صـ٧٥٧.

(٣) سبق عزوه صـ٥٦٥.

(٤) اتباع منهج السلف واجب حتم صـ٦٣.

(٥) القاموس المحيط صـ ٧٥٧ بتصرف واختصار من الشيخ.

والمعنى الاصطلاحي المتداول لا يخرج عن هذا المعنى اللغوي، بيد أن المعنى اللغوي أوسع من المعنى الاصطلاحي غالباً، كما نوه على ذلك الشيخ بقوله:"**عندما نطلق كلمة السلف إنما نعني بها من الناحية الاصطلاحية: أصحاب رسول الله ﷺ الذين حضروا عصره فأخذوا منه هذا الدين مباشرة غضاً طرياً في أصوله وفروعه. كما يدخل في هذا الاصطلاح التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شملتهم شهادة الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم (خير الناس) حيث يقول ﷺ: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[٢]، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين**"[٣]. وقال أيضاً:"**المراد بالسلف: الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، ومن تأخر عنهم بالزمن يقال لهم (سلفيون) نسبة إلى السلف، عندنا (سلف) وعندنا (سلفيون)؛ السلف: من سلفنا وسبقنا على خير وعلى هدى. السلفيون: من ينهجون منهج السلف القديم ويقتدون بهم ولا يخالفونهم؛ يقال لهم: سلفيون حيثما كانوا. وليس بلازم أن يكونوا أتباعاً لشخص معين أو لفرقة معينة أو أصحاب انتماء؛ كل هذا غير ملاحظ؛ لأن الفكرة ليست فكرة جماعة، أو ليست فكرة مصلح، إنما هي عقيدة موروثة من صاحب الرسالة محمد ﷺ هؤلاء هم السلف**"[٤].

فالسلفي:"هو من كان على مذهب السلف"[٥]. قال السمعاني[١] رحمه الله:"السلفي: بفتح السين واللام، وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم"[٢].

=

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٦٤.

(٢) سبق عزوه صـ٢٥٢.

(٣) الصفات الإلهية صـ٧٥ وراجع: اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٦٤، والمفهوم الصحيح للسلفية مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٤١) صـ٧.

(٤) شرح القواعد المثلى الشريط (١١) و (أ).

(٥) انظر: السير ٦/٢١.

وعلى ذلك"**فالسلفيون المعاصرون منسوبون إلى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار من أصحاب النبي ﷺ والذين اتبعوهم بإحسان؛ لتأسيهم بهم واتباعهم إياهم وموافقتهم لهم في عقيدتهم وسلوكهم ومنهج عملهم، وفي دعوتهم، وهي الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، حتى لا يقع المرء في الابتداع في دينه عقيدة وشريعة وسلوكاً**"[3]."**ويتضح مما تقدم أن مدلول السلفية أصبح اصطلاحاً معروفاً يطلق على طريقة الرعيل الأول، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه، وبطبيعة الدعوة إليه، فلم يعد إذاً محصوراً في دور تاريخي معين، بل يجب أن يفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة، وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة، أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم)**[4]"[5].

وقد وضح الله جل وعلا ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾

قال الشيخ رحمه الله:"**هذا ثناء على السلف الصالح، فمن اتبع السلف الصالح فالله أثبت**

=

(١) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار، التميمي السمعاني الخراساني المروزي، له مصنفات منها: الأنساب، التحبير إلى المعجم الكبير، وغيرها، توفي سنة ٥٦٢هـ. انظر: السير ٤٥٦/٢٠.

(٢) الأنساب ١٠٤/٧.

(٣) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٦٤، وراجع شرح قرة عيون الموحدين الشريط (١٣) و (ب).

(٤) سبق عزوه صـ١.

(٥) الصفات الإلهية صـ٨٥.

لهم ما أثبت للسلف، فأثبت لهم ما ذكره بقوله: ((رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ)) **فليست العبرة بالفترة التاريخية؛ وإنما الإيمان والعمل الصالح والاتباع"**[1].

و(السلفية) كما نبه الشيخ رحمه الله:**"لفظ مصطلح عليه، وقد ظهر هذا الاصطلاح، واشتهر حين ظهر النــزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية، وحاول الجميع الانتساب إلى السلف، وأعلن أن ما هو عليه هو ما كان عليه السلف الصالح"**[2]. والسلفيون هم أهل السنة والجماعة، قال الشيخ رحمه الله :**"إذا أطلقت الجماعة: إنما يراد بها الجماعة الأولى جماعة الصحابة. أما السنة: طريقة رسول الله الذي جاء بها من عند الله"**[3].

ومن طريف ما سمعت للشيخ رحمه الله أن سائلاً قال له: بين لنا حقيقة السلفية؟ وكأن الشيخ لمس منهم الإكثار من الأسئلة حول هذا الموضوع، فقال:**"وقد قلتُ ما تَيَسَّر وبالاختصار السلفية: الجادة، تعرف الجادة؟ والجماعات والفرق بُنَيَّات الطريق؟ هل تعرفها؟ إذا كنت مسافراً إلى الرياض فأخذت الجادة، وأنت على يقين بأن الرياض في شرقيك لا شيء يردك حتى تصل، ولكن إذا جاءك إنسان طلب منك أن تخرج يمين ويسار في بُنَيَّاتِ الطريق ضعت، فامسك الجادة التي عليها المسلمون الأولون إلى يومنا هذا، واترك بنيات الطريق التي تجددت باسم الجماعة الفلانية والحركة الفلانية، دعها وإلا تضيع ولا محالة، وقد ضاع مَنْ سلك .. بنيات الطريق هذه، قد ضاع الذين سلكوا هذه السبل"**[4].

---

(١) راجع شرح قرة عيون الموحدين الشريط (١٣) و (ب).

(٢) الصفات الإلهية صــ٧٦.

(٣) تصحيح المفاهيم صــ ٣٣.

(٤) إجابة السائل من شريط بعنوان: (قرة عيون السلفية في الإجابة على الأسئلة الكويتية).

إذا تقرر ما سبق من المضاف والمضاف إليه على حدة، فيحسن التعريف بالمركب المؤلف من المضاف والمضاف إليه (منهج السلف) قال الشيخ رحمه الله:"**إن منهج السلف هو ما أنزله الله على رسوله ﷺ بأفعاله وأقواله وتقريراته؛ ليتمكن الناس من العمل به والسير عليه، لا يحيدون عنه يمنة ولا يسرة**"[1]. وعلى ذلك"**فيكون واضع المنهج السلفي هو الله وحده، الذي أوحى إلى عبده ما أوحى من تفاصيل المنهج في كتابه، أو في سنة رسوله ﷺ، وذلك قوله تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ "[2].

ومن أهم ما يمتاز به المنهج السلفي كما قال الشيخ رحمه الله:" **أن الذين ينهجونه لا يختلفون إلا في الأسلوب والتعبير على اختلاف أزمنتهم ومشاكلهم. وذلك راجع لوحدة المصدر لدعوتهم، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار الصحابة الموضحة لمعاني النصوص؛ إذ هم الذين حضروا نزول الوحي، وفهموا النصوص فور نزولها، قبل أن يطول عليها العهد؛ ولذلك يحرص اللاحقون من السلف أن يقتدوا بالسابقين كما تقدم**"[3].

حكم معرفة منهج السلف:

لاشك أن منهج السلف هو دين الإسلام الذي أحبه الله وارتضاه؛ فمعرفته ضرورية ضرورة الماء والهواء، قال الشيخ رحمه الله مبيناً أهمية معرفة ذلك:"**فمعرفة هذا المنهج أمر ضروري لازم لكل مسلم يريد أن ينهج المنهج السليم الموصل إلى الهدف؛ لأن العلم قبل القول والعمل؛ ولأن هذا المنهج هو الإسلام نفسه، بمفهومه الصحيح**"[4].

---

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٧٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الصفات الإلهية صـ١٣٧.

(٤) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٦٣.

وأكد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أهمية معرفة منهج السلف محذراً من الإعراض عن معرفة ذلك بقوله:"**فإهمال منهج السلف بعد معرفة مكانته وأنه هو الدين نفسه، وهو الأمر العتيق الذي كان عليه أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، الذي لا يسع المسلم غيره، فهو داخل في جملة الإعراض عن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وهو أمر خطير جداً** ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ **. ومنهج السلف الذي ندعو إليه هو ذلك الإسلام الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ الذي نزل به الكتاب، ونطقت به السنة، وأجمع عليه المسلمون الأولون بدءاً من الصحابة وانتهاءاً إلى قبل خلافة المأمون العباسي (الخليفة السابع) من خلفاء بني العباس.**

فالواجب على جميع المسلمين معرفة ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فاتباع ذلك والدعوة إليه حسب الاستطاعة؛ لأنه ذلك الأمر العتيق الذي كان يوصي به عبد الله بن مسعود تلامذته فيقول لهم:(عليكم بالأمر العتيق)[1]؛ ويعني كلامه هذا ﷺ الدعوة إلى ما كان عليه الصحابة الكرام وعدم إحداث شيء ليس في عهدهم، كما كان يقول :(اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)[2]، ويكفي دليلاً لوجوب اتباع منهج السلف قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

فاتباع النبي ﷺ إنما يتم باتباع ما جاء به من عند الله عقيدة وشريعة؛ وذلك –قطعاً– هو ما كان عليه أصحاب رسول الله؛ لأنهم هم الذين باشروا الوحي وتلقوه مباشرة من صاحب الرسالة، ولا يشك مسلم أنهم على هدىً، ومن خالف ما عليه أولئك السادة؛ فهو غير متبع لرسول الله قطعاً، فدعوى محبة الله تعالى أو دعوى

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١٤٥)، وابن وضاح في البدع (٢٥)، والمروزي في السنة (٢٤).

(٢) رواه الدارمي في سننه (٢١١)، وابن وضاح في البدع (١٠)، والمروزي في السنة (٢٣).

محبة الرسول واتباعه، مع مخالفة المنهج السلفي (دعوى) لا بينة عليها؛ فهي باطلة. أريد أن أؤكد أن اتباع منهج السلف واجب عيني؛ حيث لا يسع مسلم إلا اتباعه، فلا يجوز له أن ينهج منهجاً يخالفه (منهج الخلف) لئلا يقع في مشاقة الله ورسوله ﷺ وفي اتباع غير سبيل المؤمنين، وتلك مغامرة بالإيمان نفسه، إذ قد تصل المشاقة إلى حد الكفر أحياناً، يقول الله سبحانه وتعالى فيمن يقفون هذا الموقف الخطير: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ وما من شك أن المتبع غير منهج السلف الصالح الذي تقدم تفسيره وبيانه مشاق للرسول ﷺ أي: هو في شق غير الشق الذي فيه الرسول ﷺ؛ وفي جانب آخر معاكس له ﷺ؛ وذلك يتنافى والإيمان به ﷺ؛ أي الإيمان الصحيح المستمد من اتباعه وطاعته، بل تجديد المتابعة له ﷺ"(١).

ومما سبق يتضح أن معرفة المنهج السلفي وأهله أمر متعين، خصوصاً في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن، بل أصبح فيها منهج السلف مستغرباً، بل إن البعض يعدونه ضمن الأحزاب المحدثة ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الشيخ رحمه الله:"**لا تترددوا في معرفة السلف والسلفيين؛ لأنه في هذه الأيام –الصعبة– بعض الناس يضعون السلفيين مع الأحزاب الأخرى المحدثة، ويعتبرونها حزباً كحزب الإخوان المسلمين..وهذا تقسيم خاطئ، السلف هم أصحاب الخط..والسلفيون هم الباقون على ذلك الخط، وهم على المنهج، وليسوا بحزب أنشأه إنسان معين في وقت معين، بل منهجهم امتداد لمنهج سلفهم**"(٢).

إذا تقرر ما سبق من أهمية العلم بمنهج السلف، فما حكم الدعوة إلى منهج السلف؟ قال الشيخ رحمه الله:"**فإذا تبينا حقيقة مذهب السلف وحكم اتباعه، يحسن بنا أن نذكر أن حكم الدعوة إليه ونشره والدفاع عنه: عمل إسلامي محتم على كل فرد في**

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ ١٠٠-١٠١.

(٢) راجع: شرح زاد المعاد الشريط (٥) و (ب).

حدود استطاعته؛ إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فلا يتم اتباعه والتمسك به والاكتفاء به إلا بوجود دعوة تنير الطريق، وتبين الحق من الباطل، وتزيل العراقيل، وتدحض الشبهات وتردها حتى يظهر المنهج على حقيقته"[١].

حكم الانتساب لمنهج السلف:

والانتساب لمنهج السلف حق، قال شيخ الإسلام رحمه الله:"ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً، فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً، وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق، فتقبل منه علانيته وتوكل سريرته إلى الله، فإنا لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم"[٢]، وقد قرر الشيخ محمد أمان رحمه الله هذا المعنى في مواطن، ومن ذلك قوله:"**إذا قيل اليوم لمن ينهج هذا المنهج: سلفي، أينما كان في أي مكان وفي أي زمان معناه: منسوب إلى السلف الأول، متبع لمنهجهم، موافق لهم. وليست ببدعة كما يزعم بعض المعاصرين؛ الذين يريدون أن ينفروا الناس من هذا المنهج، يسمون السلفية بدعة!! ..ما معنى هذا الكلام؟ كلام لا معنى له؛ مع الثناء على السلف، يثنون على السلف، ويعتبرون السلف أو السلفية فترة زمنية انتهت...الشاهد منهج السلف إقرار ما جاء في الكتاب والسنة؛ ولا يسع المسلم إلا اتباع ذلك المنهج**"[٣].

بل إن من شعار أهل الأهواء ترك انتحال مذهب السلف الصالح والانتساب إليهم[٤]، فلا تجد خَلَفِيًّا إلاَّ وهو يكرهُ ذلك، بل وصل الحد ببعضهم إلى القول بأن السلفية بدعة!! وقد سئل الشيخ محمد أمان رحمه الله عن ذلك فقال:"**هذه شنشنة نعرفها من القوم فلا تتأثر،**

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـــ١٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤٩/٤.

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (٥) و (أ).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٥٥/٤.

واصبر على الألفاظ، وعلى الطعن، وعلى السب، واثبت على الجادة، فالسلفية منهج، ولكن لفظة السلفية وأهل السنة والجماعة اصطلح الأولون في عهد تابعي التابعين لَمَّا كثرت الفرق والأهواء، فأطلقوا لفظة أهل السنة والجماعة، والسلفي والأثري، على الذين بقوا على الخط من ذلك التاريخ تستعمل..

لفظة أنها بدعة تنفير، لا ينفرك الذين لا ينصحون. اثبت على الجادة"(١).

ومع حرص الشيخ على الاعتزاز بالتسمي والانتساب إلى السلفية، إلا أنه رحمه الله نبه على خطر قوم انتسبوا للسلفية؛ ليستخدموا ذلك الانتساب وسيلة مؤقتة لغاية معينة وأغراض دنية(٢)، ومن أولئك الذين كشف الشيخ حقيقة أمرهم، تلك الفئة الظالمة المعتدية على حرمة حرم الله وأقدس بقعة في أرضه، أتباع جهيمان، قال الشيخ رحمه الله:**"أولئك الصبية السفهاء كانوا يطلقون على أنفسهم –فيما بلغني– أنهم (سلفيون)، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، وإطلاقهم هذا الاسم على أنفسهم لا يخرج من أحد أمرين:**

١- إما أنهم لا يعرفون المفهوم الصحيح للسلفية، فيكون إطلاقهم ذلك الاسم؛ نتيجة جهل قد يكون مركباً.

٢- وإما أنهم أرادوا المغالطة والتضليل، فيكون الإطلاق؛ نتيجة سوء قصد؛ لتشويه هذا الاسم الحبيب الذي يعنى الرعيل الأول في هذه الأمة ومن سلك مسلكهم.

فليعلم القارئ الكريم أن الجهيمانيين ليسوا بسلفيين، وليسوا أهلاً للدعوة، ولكنهم متسلفون ومدعون السلفية، وزاعمون الدعوة إلى الإسلام، وهم بعيدون عن الإسلام ذاته، فضلاً عن الدعوة إليه"(٣)، وما أكثر مَن ينتسب للسلفية ممن تأثر ببعض

---

(١) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية) الشريط (٢) س(٣٦).

(٢) انظر: مفهوم السلفية ضمن مجلة الجامعة العدد (٤١) صـ ٨.

(٣) كلمة التحرير افتتاحية مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٤٥) صـ١٠-١١.

الجماعات المنحرفة، وهم عنها في معزل!! والمقصود أن المسميات لا تغير من حال الحقائق شيئاً، فالمتبع لمنهج السلف علماً وعملاً هو السلفي، والمبتعد عن منهجم هو الخلفي، بحسب بعده ومخالفته.

ومن المناسب ذكره ختماً لهذه المسألة، بيان موقف الشيخ رحمه الله من إطلاق الشخص على نفسه السلفي الأثري، حيث يتضح بذلك الغرض من الاعتزاز بمنهج السلف، وأنه يكون بالأفعال لا بالأقوال.

سئل فضيلته عن حكم"إطلاق كلمة سلفي، شخص يكتب في كتابه: (فلان بن فلان أبو فلان السلفي)، وآخر (فلان ابن فلان أبو فلان الأثري)؟ فأجاب رحمه الله بقوله:"**لا داعي لهذا الكلام، لماذا؟؟**

هذا عبارة عن حب الشهرة، وفيه نوع من الرياء، وما كان سلفنا يستعملون هذا، بإمكاني أن أقول مثلا عندما أتحدث عن بعض مشايخنا كالشيخ عبد العزيز بن باز العالم السلفي فهذا معقول، تعريف وذكر واقعه، لكن أكتب في كتابي أقول: (فلان بن فلان ابو فلان السلفي) لماذا؟ ماذا تريد مِن هذا؟ لا ينبغي لطلابنا أو شبابنا أن يستعملوا هذا الأسلوب...

أنصح شبابنا عدم استعمال هذا الأسلوب لأنه:

أولا: غير معهود عند مشايخكم وعند سلفكم.

ثانيا: يدل على معنى غير سليم.

ولكن السلفية منهج، والسلفية ليست كالألقاب الحديثة التي تجددت الآن: الإخوان المسلمين، السروريين، والتحريري، والتبليغي،..لا ..فهذه أساليب حديثة رخيصة جاءت ووفدت على هذه المنطقة محدثة، ولكن السلفية منهج، فهي منهج قديم، لذلك كونك سلفي واجب؛ لأن السلفية هي المفهوم الصحيح للإسلام، السلفية خذوها هكذا صريحة المفهوم الصحيح للإسلام عقيدة وشريعة، فهذه السلفية؛ لأن معنى ذلك نسبة إلى السلف، السلف الذين مدحهم اللهُ، اللهُ في كتابه مدح السلف افهم؛ لأن السالف والسابق بمعنى واحد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ

ﵟٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِﵞ هم السلف وأنت إن اتبعتهم لك ما لهم، وإن خالفتهم فأنت خلَفي خلْفي افهم هذا؛ ولكن التلقيب تلقب نفسك في كل مناسبة، لا؛ ليس ذلك من سمات السلف"[١].

وقد تعمدت نقل فتوى الشيخ؛ حتى يتضح مدى حرص الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تربية طلابه على موافقة السلف الصالح في كل شيء، قولاً وفعلاً، وغرس التواضع وعدم حب الظهور في نفوسهم، فرحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في توضيح منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند السلف:

منهج الاستدلال جانب مهم في العلوم الإسلامية بصفة عامة، وتزداد أهميته في مسائل الاعتقاد؛ لأن العقيدة الإسلامية قائمة على الحجة والبرهان والدليل، وهذا محل اتفاق بين الفرق المتكلمة في العقيدة ممن ينتسب إلى الإسلام، وإنما حصل الخلاف في تحديد نوع الأدلة التي يعتمد عليها، وتقديم بعضها على بعض، وعامة الطرق ضلوا السبيل، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فتمسكوا بما أمروا به وكفوا عما نهوا عنه، فكان منهجهم الأقوم الذي يورث العلم واليقين، ويعصم العقل من الشك والحيرة. ويتضح ذلك ببيان مصادر التلقي ومنهج الاستدلال عندهم، وفق ما قرره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ والله المستعان.

أولاً: القرآن الكريم والسنة النبوية:

بين الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتماد أهل السنة والجماعة على كتاب الله وكلامه ووحيه، وأنهم جعلوه مصدراً أولياً في استمداد المعتقد والاستدلال عليه، فلا ترد مسألة في العقيدة ولا

---

(١) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية) الشريط (٢).

غيرها ولها دليل من القرآن، إلا يوردونه أولاً ويقدمونه على غيره؛ تعظيماً لكلام الله وتعويلاً عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾

قال الشيخ رحمه الله مؤكداً ذلك، وأنه المصدر الأساسي لكل جوانب الحياة:"**هذا القرآن نؤمن بأنه من عند الله، ونتخذه دستوراً نحكم به ونتحاكم إليه، ونسير إلى الله في ضوئه؛ هو الحكم، وهو كتاب العقيدة، كتاب التوحيد، كتاب العبادة، كتاب الأحكام، كتاب الأخلاق، كتاب السياسة، كتاب الاقتصاد، كتاب كل شيء إذا فهم وعمل به**"(١)، واتخاذ القرآن منهجاً للحياة، هذا ما كان عليه الرعيل الأول، قال الشيخ رحمه الله :"**وبالجملة إنهم –أي الصحابة– فهموا أن القرآن كتاب توحيد وعقيدة، ومبحث إيمان، وكتاب الدنيا والآخرة. هكذا فهموا القرآن، وتلوه حق تلاوته، قاموا به فقام بهم، ونطقوا به وبهم نطق، وسجل لهم ذكراً جميلاً**"(٢).

وبين رحمه الله أن السنة هي الأصل الثاني الذي يعتمد عليه أهل السنة والجماعة(٣)، وإليه يرد ما تنازع الناس فيه، وهي صنو القرآن مبينة ومفصلة لما أجمل من أحكامه، قال ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)(٤)، وهي وحي لا يعارض القرآن أبداً ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ فلا اختلاف بين السنة والقرآن، بل كل منهما يصدق الآخر، وهي محفوظة واجبة الاتباع كالقرآن، قال سبحانه:

(١) شرح الأصول الثلاثة صـ٩٠.

(٢) تصحيح المفاهيم صـ ٤٠.

(٣) انظر: رسالة الشيخ (منزلة السنة في التشريع) ضمن المجموع صـ١٦٧-٢٠٤، تصحيح المفاهيم صـ٧٧-٩٠، الصفات الإلهية صـ٢١-٤٧.

(٤) رواه أبو داود (٤٦٠٤) وصححه الألباني.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾

وقد ألف رَحِمَهُ اللهُ في ذلك رسالة مستقلة موسومة بـــ(منزلة السنة في التشريع الإسلامي) بين فيها أهمية المصدر الثاني من مصادر التشريع، ورد فيها على أعداء السنة والمنكرين لها، حيث قال فيها: "**فالسنة صنو القرآن، وهي وحي مثله، وملازمة له ولا تكاد تفارقه، ولا يكاد القرآن يفهم كما يجب أن يفهم إلا بالرجوع إلى السنة في كثير من آياته، ولاسيما آيات الأحكام**". وقال:"**على الرغم من تلك الأدلة التي تصرخ بأعلى صوتها، بأن السنة صنو الكتاب، وأن السنة هي الحكمة المذكورة في القرآن في غير ما آية، وأنها من وحي الله، وأن ديننا يؤخذ من الكتاب والسنة معاً لا من كتاب وحده، على الرغم من كل ذلك، لم تسلم السنة من هجم**"(١).

إذا تقرر ذلك فـــ"**هل من الجائز أن يبحث مسلم استسلم لربه، وتعاليم نبيه عن حجية القرآن والسنة، أو عدم حجيتهما وهو لا يزال مسلما؟!! هل من الجائز أن يتوقف كاتب مسلم في صلاحية القرآن والسنة للاستدلال بهما في باب العقيدة؟ بينما هو يستدل بما يظن أنه معقول العقليين دون أدنى توقف؟!!... أصيب كثير من المثقفين من أبناء المسلمين باضطراب في عقائدهم، ذلك الاضطراب الذي أساسه إعراضهم عن كتاب ربهم، وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام، إذ صار حظهما عندهم تقديس ألفاظهما تقديساً شكلياً مع هجرانها في العمل والتحكيم، وعدم الرجوع إليها؛ لأخذ أسس العقيدة منهما**"(٢).

والمقصود أن منهج أهل السنة في التلقي والاستدلال، كما قرر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مبني على هذين المصدرين، ويمكن تأكيد ذلك فيما يلي من قواعد في باب الاستدلال:

---

(١) منزلة السنة في التشريع، ضمن المجموع صـــ١٩٣ .

(٢) الصفات الإلهية صـــ٢٩.

وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة:

أكد الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في مواطن كثيرة ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة في كل مسائل الحياة، وخصوصاً مسائل الاعتقاد، قال رَحِمَهُ اللهُ:"**القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان لكل بحث في العقيدة؛ لأنهما وحيان من الله، ويمثلان الرسالة التي كلف الله بها رسله المختارين من البشر؛ لتكون رابطة بين السماء والأرض، وتحمل إلى سكانها أخبار السماء، أحكاماً ربانية وتعليمات وتوجيهات إلهية**"[(١)].

وبعد أن بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ موقف الصحابة رضي الله عنهم من الكتاب والسنة، قال مؤكداً سلوك سبيلهم:"**ثم عرفنا موقف خير هذه الأمة -وهم الصحابة والتابعون- من نصوص الكتاب والسنة، حيث لا يعمدون إلى غيرها للاستدلال، ولا يلتمسون الهدى فيما سواها. ونحن على يقين أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأولها إنما صلح بالتمسك الصادق لهدي الكتاب والسنة عقيدة وشريعة، كما نحن على يقين ثابت أنه لا يصبح اليوم ديناً ما لم يكن ديناً أمس، فإذا كان ذلك كذلك فقد وجبت حجية كتاب الله، وحجية سنة المصطفى ﷺ بما لا يترك مجالاً للشك والتردد وأن تلك الحجية ثابتة في الأحكام والعقيدة على حد سواء؛ إذ لا يوجد مبرر أو مصور للتفريق بين الأحكام والعقيدة، حتى تصبح للعقيدة فئات خاصة من الأدلة غير الفئات التي يستدل بها في إثبات الأحكام، وتتخصص العقيدة في الأدلة العقلية، ولا حظ لها في الأدلة النقلية إلا ما كان من باب الاتفاق أو الاستئناس لها**"[(٢)].

ويحسن أن أختم المقام بالإشارة إلى قاعدة مريسية[(٣)] اعتمدت عليها بعض فرق الضلال: ليس شيء أبغض إلى أقوالنا من القرآن والسنة، فقابلوا نصوص القرآن بالتحريف والتأويل، والسنة بالتكذيب. وقد فندها الشيخ في مواطن، ومن ذلك

---

(١) المصدر السابق صـــ٣٢.

(٢) الصفات الإلهية صـــ٤٣.

(٣) انظر: الصواعق ٣/٩٨٩.

قوله:"**وأما دعوى المعارض (علماء الكلام) أنها أدلة لفظية عرضة للنسخ والتخصيص والتقييد، فلا يتم الاستدلال بها في هذا الباب، فهي ثرثرة نحفظها لعلماء الكلام الذين شغلهم الكلام عن العلم، فلا ينبغي أن يلقى لها بال؛ لأن جانب العقيدة لا يمكن أن يقع فيه نسخ وتغيير، وهذا التصرف لا يعرف قبل العصر العباسي، ولا يكاد يدور في رأس أحد من المسلمين قبل ذلك، إذ ليس من الدين ولا من مقتضى العقل الصريح، والفطرة السليمة ألاّ يستدل في المطالب الإلهية بكلام الله وكلام رسوله ﷺ؛ ليستدل عليها بقول العلاّف، والنظّام، وابن أبي دُؤاد وأمثالهم، وما ذلك إلا لتزهيد الناس في نصوص الكتاب والسنة، بينما الواجب الذي يقتضيه الإيمان دعوة الناس إلى الاعتصام بهما فقط دون التفات إلى غيرهما، ولا سيما في باب العقيدة، وهو باب يجب أن لا يتجاوز فيه الكتاب والسنة، كما قال الإمام أحمد رحمه الله في أثناء المناقشة أيام المحنة**"[(1)]. وسيأتي مزيد توضيح لموقف الشيخ من المنكرين للسنة، وبالله التوفيق.

الأخذ بخبر الآحاد في مسائل الاعتقاد:

ومن تمام الأخذ بالكتاب والسنة، عدم التفريق بينهما، فكلهما من مشكاة واحدة، وهذا الذي درج عليه سلف هذه الأمة، ما كانوا يفرقون بين الكتاب والسنة، فمن قواعدهم عدم التفريق بين الكتاب والسنة، بل من قواعدهم أيضا عدم اشتراط التواتر في الأحاديث للاستدلال بها، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً المعتقد السليم تجاه الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ:"**بالنسبة لنا أهل السنة والجماعة لا فرق بين ما ثبت في السنة وما ثبت بالقرآن، الفرح من الصفات التي ثبتت بالسنة، السنة الصحيحة يعمل بها كما يُعمَل بالقرآن تماماً، هذا الذي درج عليه سلف هذه الأمة، ما كانوا يفرقون بين**

(١) الصفات الإلهية صـ٤٤-٤٥.

الكتاب والسنة بل من قواعدهم عدم التفريق بين الكتاب والسنة، بل من قواعدهم أيضاً: عدم اشتراط التواتر في الأحاديث التي يستدل بها في باب الأسماء والصفات، لا فرق بين الأدلة التي يستدل بها في الفروع، وبين الأدلة التي يستدل بها في الأصول، المدار على الثبوت إذا ثبتت السنة جاز الاستدلال بها في الأصول، في صفات الله تعالى، في النبوات، وفي المعاد، كما يجوز الاستدلال بها في الفروع"[1].

وهذا الذي قرره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هو الذي عليه عمل الأمة من أول صدرها إلى يومنا هذا، قال رَحِمَهُ اللهُ:"**فالذي عليه عمل المسلمين في الصدر الأول وما يليه من عصور التابعين، الاحتجاج بهما إذا صحت، وتلقتها الأمة بالقبول، مستدلين بها في كل باب في الأمور الخبرية وغيرها، وقد كان مدار الاحتجاج بالأخبار عندهم الصحة فقط، ولا شيء غير الصحة. ولو رجعنا إلى الماضي، إلى ما كان عليه العمل في عصر النبوة، والعصور التي تلت ذلك العصر لرأينا الشيء الكثير مما يشهد لما ذكرنا"**[2].

وقد بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بطلان المسلك الذي سلكه أهل الأهواء، من عدم الأخذ بخبر الآحاد ورد عليهم في مواطن منها قوله:"**أما القول بأنه لا يستدل بالآحاد في باب العقيدة، أو لا يستدل بالأدلة النقلية على وجه الاستقلال في هذا الباب، فقول مبتدع في الإسلام.**

ولنبرهن على صحة ما قررنا نذكر ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه من عدم اعتبار هذه الاعتبارات المحدثة التي أحدثها من أحدثها؛ ليلبسوا بها على المسلمين السذج الذين لا يفرقون بين الشحم والورم وبين التمرة والجمرة.

(بعث رسول الله معاذ بن جبل إلى اليمن ليدعوهم إلى الله ويبلغهم عن رسول الله وكان باليمن جماعة من أهل الكتاب: اليهود فأرشده النبي عليه الصلاة والسلام كيف يعاملهم: وأمره أن يكون أول ما يدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله، فإن هم أطاعوه

---

(١) شرح التدمرية الشريط (١٨) و (ب).

(٢) الصفات الإلهية صـ٥٢.

في ذلك، يخبرهم بأن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة.. الحديث[1].

ومما يلاحظ أن معاذاً كلف؛ ليدعوهم إلى أصول الدين وفروعه معاً، وهذا يعنى أن الإسلام لا يفرق بين باب العقيدة والأحكام، فكما يجوز أن يبلغ فرد واحد الأحكام الشرعية، كذلك يجوز أن يبلغ فرد واحد العقيدة الإسلامية، فحيث تقبل أخبار الجماعة يقبل خبر الواحد العدل، هذا ما درج عليه سلف هذه الأمة، فرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى اليمن كأبي موسى الأشعري، وعلي بن أبي طالب، ورسله إلى غير اليمن، وجميع دعاة الإسلام من بزوغ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، كانوا يدعون إلى الله أفراداً وجماعات، ويبلغ بعضهم عن بعض، ولا يعلم لهذا الاصطلاح ذكر في الأوساط الإسلامية فيما نعلم"[2].

"ومن راجع السنة وكتب السير يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع من الأخبار التي يحملها شخص واحد، أو أشخاص معدودون بعثوا إلى المسلمين في عهد النبوة وبعده، ولم يقل أحد من المبعوث إليهم للمبعوثين، والرسل والأمراء:(نحن لا نقبل أخبار الآحاد، أو لا تقوم علينا الحجة بأخباركم هذه؛ لأنها دون التواتر)، كل ذلك لم يقع ولا بعضه"[3].

"وإذا كان كذلك فلا يكون اليوم ديناً ما لم يكن ديناً في عهد الوحي، وما لم يعرفه أولئك السادة من الصحابة والتابعين الذين نقلوا الدين إلى من بعدهم، ممثلاً في القرآن والسنة المطهرة. ليتضح أن هذا التصرف باطل من القول وما ترتب عليه من الأحكام التي منها التفريق بين الصفات الثابتة بالآحاد والثابتة بالمتواتر، أو القرآن، والقول أن المعول عليه هو الدليل العقلي، وأما النقلي فتابع له، إن وافق قبل وإلا رد،

(١) سبق عزوه صـ١٦٦.

(٢) تصحيح المفاهيم صـ ٨٧.

(٣) الصفات الإلهية صـ٥٦.

كل ذلك تصرف محدث في الدين وقول في شريعة الله بلا هدى ولا دليل منير، وكل ما كان كذلك يجب رده صوناً للشريعة وحفظاً للعقيدة"[١].

ثانياً: الإجماع:

لاشك أن الإجماع حجة شرعية، ودليل من أدلة الأحكام، ومصدر من مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة، وأصل من أصولهم في الاستدلال-لاسيما في أبواب الاعتقاد- فيجب اتباعه والمصير إليه، قال الخطيب[٢] رحمه الله:"إجماع أهل الاجتهاد في كل عصر حجة من حجج الشرع، ودليل من أدلة الأحكام، مقطوع على مغيبه، ولا يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ"[٣]. والإجماع عند السلف دليل سمعي نقلي يضاف إلى النص ليعضده ويقويه، ويوهن حجة مخالفيه.

وقد اعتنى أئمة الإسلام -خلفاً عن سلف- بنقل الإجماع وحفظه وكتابته وروايته خصوصاً في مسائل الاعتقاد التي أُحدث فيها ما ليس منها[٤]. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله:(سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال الطاعة لله، وقوة على دين الله، وليس لأحد من خلق الله تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها. من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاّه الله ما تولّى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)[٥]. قال الشيخ رحمه الله معلقاً

(١) تصحيح المفاهيم صـــ ٨٨.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي الخطيب، أحد أعلام المحدثين، له مؤلفات منها: تاريخ بغداد، القول في علم النجوم، وغيرها، توفي سنة ٤٦٣هـــ. انظر: السير ٢٧٠/١٨، شذرات الذهب ٣١١/٣.

(٣) الفقيه والمتفقه ٢٢٥/١.

(٤) ولذلك نجد الحافظ أبا القاسم اللالكائي يعنون لكتابه العظيم في السنة والاعتقاد بـــ(شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم).

(٥) سبق عزوه صـــ ٣٥٢.

على ذلك:"**وهو كلام يلقي ضوءاً واضحاً على ما أشرنا إليه آنفاً: أن اللاحق منهم يقتدي بالسابق. ثم إنهم كانوا متفقين غير مختلفين في أصول الدين، ولم تظهر فيهم البدع والأهواء، وهم أهل الحديث وحفاظه ورواته وعلماؤه المتبعون للآثار، لا الآراء وذلك سبيل المؤمنين، واقفين عند قوله تعالى:** ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾

ومن سبيلهم في باب الاعتقاد، الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ لا يزيدون ولا ينقصون ولا يفسرونها فيما يخالف ظاهرها الذي يظهر من وضع اللفظ العربي، ولا يشبهونها بصفات المخلوقين، بل يمرونها كما جاءت، ويردون علم حقيقتها إلى قائلها، مع اعتقاد أنها على الحقيقة، وكثير ما يحيل التابعون ومن بعدهم من سألهم أو أراد أن يفهم ما أشكل عليهم يحيلونهم على علم الصحابة"(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله -لما ذكر الطرق التي تثبت بها الأحكام الشرعية- :"الإجماع وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية، وأهل الحديث والكلام، وغيرهم في الجملة، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة"(٢). قال الشيخ محمد أمان رحمه الله: "**وخلافهم لا تأثير له في الإجماع؛ لأنهم قد اتبعوا غير سبيل جمهور أهل العلم الذين يرون أن الأدلة النقلية هي العمدة في جميع المسائل الدينية، وتعتبر الأساس في هذا الباب وغيره، والأدلة العقلية تابعة لها**"(٣).

وجوب اعتماد فهم السلف:

والشيخ رحمه الله كثيراً ما يستدل بإجماع السلف، فينقل ما يؤيد ذلك من آثارهم وقد علل السبب في ذلك فقال:"**ولعل قائلاً يقول: ما هو الموجب لذكر الآثار بعد**

---

(١) الصفات الإلهية صـ٨٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/٣٤١.

(٣) الصفات الإلهية صـ٥٢.

الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية؟!! الجواب: ذكر الآثار بعد النصوص يفيد أمرين مهمين:

الأمر الأول: يفيد أن النصوص المذكورة لم تنسخ، بل هي محكمة باقية كما جاءت إذ تعتبر هذه الآثار تفسيراً وبياناً للنصوص.

الأمر الثاني: تحديد مفهوم السلف، وأنهم كانوا يفهمون من هذه النصوص كتاباً وسنة ما تدل عليه بوضعها وبظاهرها باقية على حقيقتها، ولم يؤولوها ويخرجوا بها عن ظاهرها كما يزعم الخلف، والله أعلم"[1].

وقد حذر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من مخالفة ما كان عليه السلف، وبين أن الأخذ بإجماع السلف وفهمهم يعد سمة لمن كان يسير على منوالهم ويقتدي أثرهم علماً وعملاً، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) هذا واجبنا وكلما نكون أقرب إلى التمسك بسيرتهم وفهم الإسلام في ضوء مفهومهم نكون اقرب إلى الإسلام وكلما يبتعد الناس عن حياة الصحابة والتابعين أي عن التأسي بالسلف الصالح يبتعدون عن الحق ويقعون في الابتداع وقد صدق القائل وإن كان خلفيا حيث قال:**

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف"[2]

وقال أيضاً:"**ودائما لاحظوا يا شباب لا تحاولوا أن تنفردوا بالفهم الجديد من عند أنفسكم، لا في فهم الآيات ولا الأحاديث ولا الآثار المنقولة من الصحابة والتابعين، أنظروا فهم من كان قبلكم من الصحابة والعلماء والأئمة كيف فهموا؟ حتى تفهموا كما فهموا وتنهجوا منهجهم، أمّا كون طالب علم صغير مثلي ومثلكم اليوم يريد أن يفهم من عنده فهما جديدا فيدعو الناس إلى هذا الفهم قبل أن يبحث هل مفهومه هذا صحيح له أصل أم لا، أو يتعمد أن يأتي بمفهوم جديد..ومنهج جديد وتصور**

(١) المصدر السابق صـ٣٠٠.

(٢) من محاضرة بعنوان: (الحكم بغير ما أنزل الله).

جديد، هذا الذي لا يجوز، هذا معناه: الانفصال عن السلف، ومن انفصل عن سلف هذه الأمة في فهمه وتصوره وعقيدته يضـــــل؛ لأن تلك الأمة شهد لها الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام أنهم على الخير وعلى الحق، وكل خير فيما قالوه، وفيما فعلوه، وفيما اعتقدوه، وما خالف ما كان عليه السلف فهو كله شر، وما وافق فهو خير، ولذلك نصيحتي لشبابنا عدم التسرع بالمفاهيم الجديدة، سواء كانت من عند أنفسكم أو من المؤلفين الجدد، ينبغي أن تعرضوا المفاهيم الجديدة على المفاهيم القديمة لتقارنوا بين المفهومين"[١].

(١) أسئلة بعد صلاة العشاء الشريط (١) و (أ).

ثالثاً: العقل:

يعد العقل أحد المصادر الثانوية للتلقي(١)، فالله أسس دينه وبناه على الاتباع، وجعل العقل في ذلك تابعاً له، فهو بمترلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس(٢)، قال الشيخ رحمه الله:"**العقل نور جعله الله في قلبك؛ ليكشف لك عن الأشياء الموجودة والحقائق الواقعة؛ ولتفهم به عن الله ورسوله، هذه وظيفة العقل، فلو أردت منه أن يريك كل ما تحبه وتتخيله من المعدومات فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، اللهم إلا إذا كان على سبيل الوهم والخيال، وسبق أن قلنا: إن الوهم والخيال لا يصلحان للمعرفة الصحيحة والعقيدة السليمة، والله هو الهادي إلى سواء السبيل**"(٣). وعلى ذلك فلا يجوز إطفاء نور العقل بإهماله، ولا تقديسه بالغلو في إعماله، وإنما الحق بإعماله وفق حدوده المسموحة شرعاً، قال الشيخ رحمه الله:"**لا يجوز تعطيل العقل في مجال العقيدة وغيرها؛ لأن العقل أساس التكليف ومناط الأهلية، إلا أنه لا يجوز أن يتجاوز العقل حدوده ويتجاهل وظيفته، ويجمع في مجال الخيال الفاسد والأوهام الكاذبة، والخيالُ والأوهامُ لا يصلحان أساساً للعقيدة والمعرفة الصحيحة حتماً**"(٤).

---

(١) سيأتي قريباً أن العقل عقلان: عقل أعين بالتوفيق، وعقل كيد بالخذلان، وبهذا يكون اعتبار العقل كالفطرة مصدراً ثانوياً إن أُعين بالتوفيق و لم يتلوث، قال شيخ الإسلام رحمه الله :"واعلم أن أهل الحق لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية، ولا فيما علم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدعي المعارض أنه يخالف الكتاب والسنة. وليس في ذلك ـــ ولله الحمد ـــ دليل صحيح في نفس الأمر، ولا دليل مقبول عند عامة العقلاء، ولا دليل لم يقدح فيه بالعقل" درء التعارض ١٩٤/١. وقد اشتمل القرآن على جملة كبيرة من الأدلة العقلية، التي لا ينكرها عامة العقلاء. والله أعلم.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ٣٣٨/٣-٣٣٩.

(٣) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٤٥، وانظر: مجموع الفتاوى ٣٣٨/٣-٣٣٩.

(٤) المصدر السابق.

وقد أكد الشيخ رحمه الله على موقف السلف من الاستدلال بالعقل فقال:"**السلف لا يهملون العقل إهمالاً، ولكنهم لا يعتمدون عليه اعتماداً، بل الاعتماد عندهم على الأدلة السمعية: المسموعة عن الله أو عن رسوله الأمين، والعقل السليم الصريح لا يخالف السمع الصحيح. والسلف إنما يقدمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية؛ إيماناً منهم بأن الله أرسل الرسل، وأنزل الكتب من عنده سبحانه، وكلف رسله ببيان ما يحتاج إلى البيان، وهو أن ما جاء في هذه الكتب المترلة وبلغته رسله يغني عن كل ما سواه، وأما غيره فلا يغني عنه بوجه ما. فهذه النقطة هي (سر المسألة) فكلام أهل الكلام واصطلاحاتهم ومعقولاتهم وأقيستهم فلا يغني شيء من ذلك عما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فلا يسع الناس سلفهم وخلفهم إلا اتباع ما جاءت به الرسل، وذلك هو منهج السلف**"(1). والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم لا يأتون بما تحيله العقول وتنفيه، ولكن يخبرون بما تعجز العقول عن معرفته، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول. والعقل كما أخبر بعض السلف(2) نوعان: عقل أعين بالتوفيق، فيدعو صاحبه لفعل المأمور والكف عن المحظور. وعقل كيد بالخذلان: يدعو صاحبه إلى التنطع والتعمق فيما حجب عن الخلق علمه.

وعلى هذا فالمسلمون يأخذون دينهم من كتاب الله وسنة رسوله، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وليس ذلك مخالفاً للعقل الصريح؛ فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة(3). يوضح ذلك ما سيأتي من القاعدة المشهورة:

---

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم صـ٧٦.

(٢) هو قوام السنة التيمي سبق ترجمته، انظر: الحجة٢/٢٩٥.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١١/ ٤٩٠.

النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح:

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**دعوتنا إلى وحدة المصدر للعقيدة الإسلامية حقيقة دل عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية، والعقل السليم لا يعارضها، على القاعدة التي تقول: (العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح)...؛ وذلك لأن العقل هو الذي دلنا على وجود الخالق، وصحة رسالة رسوله الذي أيده بالمعجزات تلك المعجزات التي تدل على صدق نبوة الأنبياء باستعمال الفكر والنظر**"(١). والذي خلق العقل هو الذي أنزل الشرع، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

وعلى فرض حصول تعارض عند بعض الناس، فيجب تقديم النقل على العقل، حتى تزول عنه شبهة التعارض، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**ولكن تقريرنا بأن النقل مقدم على العقل لا ينبغي أن يفهم منه أن السلف ينكرون العقل، والتوصل به إلى المعارف، والتفكير به في خلق السموات والأرض وفي الآيات الكونية الكثيرة، لا، ولكنهم لا يسلكون في استعمال العقل الطريقة التي سلكها علماء الكلام في الاستدلال بالعقل وحده في المطالب الإلهية: من محاولة الاكتفاء به أحياناً، لو استطاعوا، أو تقديسه بحيث يقدمونه على كلام الله خالق العقل والعقلاء، وعلى سنة رسوله التي هي وحي الله.**

بل إن السلف من منهجهم لا يدعون التعارض بين الدليلين، بل ينفون هذا التعارض الذي يصطنعه علماء الكلام المتأثرون بفلسفة اليونان...أما المؤمنون الذين يؤمنون بالأنبياء وبالكتب المنــزلة عليهم وبما جاء فيها، ويؤمنون أن الرسل كلفوا أن يبينوا للناس ما أنزل إليهم من ربهم﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾

المؤمنون الذين يؤمنون هذا الإيمان فلا يجوز لهم أن يعرضوا عما جاءهم من ربهم من الكتاب والحكمة، وعن بيان رسولهم؛ ليلتمسوا الهدى في غيره، ويعتمدوا في إثبات الصفات على عقول الفلاسفة، أو عقول تلامذتهم المتأثرين بهم. ولو وصفوها أنها أدلة عقلية قطعية وبراهين يقينية، وهي في حقيقتها بضاعة (غير إسلامية) وهم

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ٢٤٥-٢٤٦.

يعلمون من أين جاءت؟ ومتى جاءت؟ ومن جاء بها؟ كما أشرنا آنفاً، ثم إنهم نصبوا العداء بينها وبين الوحي، فقد أغنى الله المؤمنين بكتابه المبين وسنة نبيه الأمين عن تكلف المتكلفين، ومن الوقوع في العنت معهم.

وبالاختصار: إن السلف إنما يقدمون الأدلة النقلية على الأدلة العقلية؛ إيماناً منهم بأن الله أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب من عنده، وكلفهم ببيان ما يحتاج إلى البيان (لأمر له شأنه) وهو أن ما جاء في هذه الكتب، وبلغته الرسل يغني عن كل شيء. وأما غيره فلا يغني عنه"[(١)].

فعُلِم بذلك أن الدين الحنيف لا يتعارض مع المدركات العقلية، وقد ذكر قوام السنة في كتابه الحجة:"فصل: ولا نعارض سنة النبي ﷺ بالمعقول؛ لأن الدين إنما هو الانقياد والتسليم دون الرد، والرضا يوجبه العقل؛ لأن العقل ما يؤدي إلى قبول السنة فأما ما يؤدي إلى إبطالها فهو جهل لا عقل"[(٢)] . **"كل من رد النقل الصحيح بدعوى أنه دليل لفظي لا يفيد اليقين، فقد رد العقل الصريح – وهو لا يشعر– ولم يبق لديه دليل يستدل به أو يحاجج به، إذ مما اتفق عليه العقلاء**[(٣)] **أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، علماً بأن النقل هو الأصل؛ لأنه من المتفق عليه أن العقل لا سبيل له لإثبات المطالب الإلهية، على سبيل الاستقلال"**[(٤)].

رابعاً: الفطرة السليمة:

والفطرة هي من المصادر الثانوية كالعقل، ويدل لذلك الكتاب والسنة والعقل قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

---

(١) الصفات الإلهية صـــ٧٦-٧٧.

(٢) الحجة ٢/٥٤٩.

(٣) أي الذين لم تتلوث عقولهم بآراء الفلاسفة والمتكلمين.

(٤) الصفات الإلهية صـــ١٨٨.

وقال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة هل ترى من جدعاء)[1]. وينبغي أن يعلم أن مبنى العقل على الفطرة وسلامتها، كما أن مبنى السمع على تصديق الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين[2]، فلولا ما في القلوب من الاستعداد لقبول الحق، ما أفاد النظر ولا الاستدلال ولا البرهان، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب، ولولا هذا الاستعداد لما أمكن تغذيتها وتربيتها[3].

والمقصود أن العباد مفطورون على معرفة الله تعالى وعبادته، وكونه متصفاً بصفات الجلال والكمال، فلا ينبغي لهم أن يبدلوا هذه الفطرة التي خلقوا عليها، وقد سبق في تقرير مسائل الاعتقاد كثرة المسائل التي استدل لها الشيخ بدليل الفطرة.

وسبق أن العقل مصدر لا يعتمد عليه استقلالاً، وكذا الفطرة فليست دليلاً كافياً في إقامة الحجة على الخلق، قال الشيخ رحمه الله: "**لو كان دليل العقل ودليل الفطرة وأخذ العهد والميثاق على العباد، لو كانت هذه المعاني، والأدلة كافيه في أخذ الحجة على العباد= لما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، إذن هذه الأدلة عبارة عن تمهيد للفهم الصحيح العام، وللمعرفة الصحيحة، ولتحقيق التوحيد بعد أن يُرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ لذلك يقول: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾**"[4]. وسئل رحمه الله كيف يعرف العبد ربه بالفطرة، وهل تقوم عليه الحجة بتلك المعرفة؟ فأجاب رحمه الله:"**معرفة الله تعالى ليست متوقفة على الوحي، معرفة الله تعالى بالفطرة (كل مولود يولد على الفطرة) قبل أن يهوّده أبوه أو أمه أو ينصّرانه، بمعنى يعرف الرب تعالى بالعقل السليم غير المشوش وبالفطرة، لكن لا تقوم الحجة على**

---

(١) سبق عزوه صــ ١٥١.

(٢) انظر: الرد على المنطقيين صــ ٣٦٨.

(٣) انظر: درء التعارض ٦٢/٥.

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و (ب).

العباد بدليل الفطرة وبدليل العقل، حتى يأتي الوحي فيُكمِّل تلك المعرفة فيُغذى، بذلك تقوم الحجة على العباد، لو كانت تقوم الحجة على العباد بالدليل العقلي وبالفطرة لما بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ولكن هذه الأدلة تتعاون حتى تقوم الحجة على عباد الله"(١).

وقد يقال: لو كان التوجه إلى الله أمراً فطرياً لما عبد الناس في مختلف العصور آلهةً شتى!! ويجيب الشيخ رحمه الله عن هذا بقوله: "**الله عز وجل فطر العباد على التوحيد...، فالإنسان مفطور على التوحيد بمعنى لو أن مولوداً ما، وُلِدَ وتُرِكَ بعيداً عن المؤثرات الخارجية، سينشأ على التوحيد لا يعرف شركاً، ولا كفراً، ولا انحرافاً ولا إلحاداً، (كل مولود يولد على الفطرة، إلا أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..) الأصل التوحيد، كل مولود مفطور على التوحيد، ومجبول على توحيد الله ما لم يطرأ بالمؤثرات الخارجية شيء جديد، (إلحاد وانحراف وكفر وشرك) ... هذه الملة التي ينادي بها بعض المنحرفين: ملة الإلحاد وإنكار وجود الله، وإنكار دين الله (ملة الانحراف)، قوم أثرت فيهم البيئة التي نشأوا فيها، والمؤثرات الخارجية فخرجوا على الطبيعة، وإلا لو وجهت سؤالاً إلى بدوي في أعماق البادية، لم يتصل بأحد قط إلا بمواشيه، ولم تؤثر عليه مؤثرات خارجية لو سألته عن ربه؟ لن يتردد سيقول الله، ولو ضاعت ناقته لن يتردد ويقول: يا رب، من أين تَعلَّم؟ من الفطرة"**(٢).

وهناك وسائل أخرى للاستدلال على مسائل الاعتقاد، لا تخرج عما سبق من المصادر منها:

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٤) و(أ).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢) و (ب).

اللغة العربية:

وتعتبر معرفة اللغة العربية أساساً في فهم الكتاب والسنة؛ لأنهما بلسان عربي مبين، والشيخ رَحِمَهُ اللهُ كان على معرفة تامة باللغة، حيث اعتنى بتدريسها، وحث الطلاب على العناية بها[1]، والشيخ كان يستدل كثيراً على صحة عقيدة السلف بكلام العرب، ويحث على إلجام الخصوم بكلام العرب؛ حيث إن المبتدعة يتعلقون ببعض ما يظنون أنه يخدم مذهبهم من كلام العرب، وقد ذكر الشافعي وغيره: (أن من أسباب الابتداع الجهل باللغة العربية)[2]؛ فلذا كان الشيخ يؤكد شدة الاهتمام بهذا الجانب، فيقول:"**أيما داعية يدعو إلى منهج السلف وهو ضعيف في اللغة العربية، وخصوصاً في النحو، فهو ضعيف في باب دعوته.. وفي تأثيره؛ لذا ندعو شبابنا أن يتعلموا فروع اللغة العربية: النحو والصرف والبلاغة وجوباً[3]؛ ليكونوا دعاة كاملين يفيدون ويردون الشبه عن العقيدة**"[4].

---

(١) ومن طريف توجيهاته لطلابه، قوله رَحِمَهُ اللهُ:"**السلفي لابد أن يكون لغوياً، سلفي غير لغوي تعبان، ينبغي أن يكون السلفي لغوي وإلا يُضحك عليه**" شرح القواعد المثلى الشريط (١٤) و (أ).

(٢) انظر: صون المنطق والكلام عن المنطق والكلام للسيوطي صـــ ١٥.

(٣) وقول الشيخ بالوجوب يحتاج إلى تأمل، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "ومن الناس من يقول إن علوم العربية من التصريف والنحو واللغة والمعاني والبيان ونحوها تعلمها فرض كفاية؛ لتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها...وهذه الأقوال وإن كانت أقرب إلى الصواب من القول الأول، فليس وجوبها عاماً على كل أحد، ولا في كل وقت، وإنما تجب وجوب الوسائل في بعض الأزمان وعلى بعض الأشخاص، بخلاف الفرض الذي يعم وجوبه كل أحد؛ وهو علم الإيمان وشرائع الإسلام، فهذا هو الواجب، وأما ما عداه فإن توقفت معرفته عليه فهو من باب مالا يتم الواجب إلا به، ويكون الواجب منه القدر الموصل إليه، دون المسائل التي هي فضلة لا يفتقر معرفة الخطاب وفهمه عليها. فلا يطلق القول بأن علم العربية واجب على الإطلاق؛ إذ الكثير منه ومن مسائله وبحوثه لا يتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها" مفتاح دار السعادة ١/٤٥٠.

(٤) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٦٠).

وختاماً لهذا المبحث الذي تم التوصل من خلاله لمعرفة المنهج السلفي ومنهج أهله في الاستدلال، يحسن إجمال خصائص ومزايا المنهج السلفي التي يتميز بها عما سواه من مناهج الفرق والطوائف والمذاهب الأخرى، وفق تقرير الشيخ رحمه الله في النقاط التالية:

١- من سمات وخصائص أصحاب المنهج السلفي الدعوة للاعتصام بالكتاب والسنة. قال الشيخ رحمه الله موضحاً ذلك:"**دعوتهم، وهي الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، حتى لا يقع المرء في الابتداع في دينه عقيدة وشريعة وسلوكا**"[(١)]، وهذه الدعوة أثمرت الوقوف على العقيدة السليمة من المنبع الأصيل، الخالية من التفلسف والتعقيد، قال الشيخ رحمه الله واصفاً عقيدة السلف الصالح:"**ولكنها سهلة وواضحة كل الوضوح إذا فهمت على حقيقتها؛ إذ ليس فيها أدنى غموض، وهي بريئة من التعقيد والتفلسف**"[(٢)].

٢- ومن خصائص أصحاب المنهج السلفي الرجوع إلى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين ومن اقتفى أثرهم والتزم منهجهم، قال الشيخ رحمه الله:"**فالسلفيون المعاصرون منسوبون إلى السابقين الأولين..؛ لتأسيهم بهم واتباعهم إياهم وموافقتهم لهم في عقيدتهم وسلوكهم ومنهج عملهم، وفي دعوتهم؛ وهي الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة**"[(٣)].

٣- ومن خصائصهم سلامتهم من التناقض والاختلاف.قال الشيخ رحمه الله :"**كل من حاد عن الجادة عن الكتاب والسنة لابد أن يتناقض، قاعدة لا تختلف أبداً، جرِّب هذا في كل شيء، أما من التزم المنهج لا يتناقض؛ لأن هذا المنهج وضعْه ليس وضعْاً بشرياً، هذا تنظيم ووضع إلهي المنهج منزل، من التزم المنهج لا يختلف ولا يضطرب ولا يتناقض، ولو تتبعت كلام السلف والسلفيين من عهد**

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٦٤.

(٢) الصفات الإلهية صـ٨.

(٣) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٦٤ وراجع شرح قرة عيون الموحدين الشريط (١٣) و (ب).

الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا لا تجد فيهم الاختلاف أبداً، أي في أصولهم..وقد يختلفون في المسائل الفرعية ولا يُعد ذلك اختلافاً في الــدين، فلــيفهم هــذا جيداً"(١). وما قرره الشيخ رحمه الله يذكرنا بمقولة شيخ الإسلام رحمه الله الشهيرة:"فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية؛ فإنــه لابــد أن يضــل ويتناقض ويبقى في الجهل المركب أو البسيط"(٢).

٤- ومن خصائصهم تميزهم بعدم مخالطة أهل البدع والأهواء، وإن تظاهروا بالدفاع عن الحق، قال الشيخ رحمه الله :**"بعد التجربة الطويلة مع المعتزلــة والامتحانــات المريرة التي خرج منها الإمام أحمد بنجاح دونه كل النجاح، وقد خبرهم ومــا ينطوون عليه، وإن تظاهروا –فيما يبدو أحياناً– بالانتصار للسنة؛ كما هــو شأن الأشاعرة الكلابيين. يقول الإمام أحمــد وهــو يخاطــب أهــل الســنة والجماعة:(لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة)**(٣) **أي: وإن تظــاهروا بذلك. أو حصل منهم ذلك أحياناً بالنسبة لبعض النصوص التي آمنــوا بهــا؛ لموافقتها لما عندهم أو لهواهم"**(٤)

ومزايا المنهج السلفي كثيرة، كيف وهو المنهج الوحيد الشامل المتكامل في شتى مجالات الحياة الاعتقادية والمعرفية والتشريعية والسلوكية.

ومما سبق من بيان توضيح مصادر التلقي والاستدلال لاح لكل منصف أن الشيخ رحمه الله موافق لمنهج السلف ومقرر لما كانوا عليه، سائر على منوالهم، داعٍ إلى منهجهم قولاً وعملاً، والله ولي التوفيق.

---

(١) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٩) و (أ).

(٢) درء التعارض ٥/٣٥٦.

(٣) مناقب الإمام أحمد صـــ ٢١٠.

(٤) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٨٠.

المبحث الثاني

جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الرد على المخالفين

تمهيد

لاشك أن الصراع بين الحق والباطل مستمر. والدفاع عن العقيدة السلفية بالرد على المخالفين لها، سمة بارزة لعلماء أهل السنة والجماعة، وعلامة فارقة بينهم وبين غيرهم، فهم حراس الشريعة الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وهم الذابون عنها وعن أهلها، فقيامهم بهذا الواجب من تمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي فعلهم من الثمار الشيء الكثير: فمنها تثبيت قلوب المؤمنين على الحق الذي فطروا عليه، ونشر الحق وإظهاره، وإبطال الباطل وإزهاقه، وبذلك تقوم الشريعة.

وفي هذا المبحث سأحاول جاهداً الوقوف على الوقائع العملية عن أئمة السلف المبثوثة في تراث الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ التي ترسم لنا المنهج الذي سلكوه في الإنكار على المخالفين للعقيدة السلفية؛ رغبة في استنباط المنهج السديد في الرد على المخالفين.

وقد انتظم هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: جهود الشيخ في توضيح أسباب الفرقة والخلاف:

سبق بيان أن الدعوة السلفية بزغت ببزوغ فجر الرسالة المحمدية، وقد أكملها الله لنبيه ﷺ وأتم النعمه، فظل الصحابة ﷺ من بعده على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فاستقاموا على الصراط الذي رسمه لهم فلم يختلفوا في أصل من أصول الدين، ولم يبدلوا ولم يحرفوا؛ فكانوا هم (الجماعة) الذين أمرنا بسلوك منهجهم؛ للظفر بالنجاة كما هو مقرر في حديث الافتراق.

وقد جدَّت في حياة المسلمين فتن وأحداث شقت صفوفهم، ومزقت كلمتهم، وفرقت جماعتهم، ولبست عليهم أمر دينهم؛ فأسهمت في ظهور الاتجاه السلفي بمنهجه المتميز عن سائر المناهج والمذاهب والطوائف والفرق المخالفة. قال الشيخ رحمه الله:"**لفظة (السلف) و (أهل السنة والجماعة) اصطلاحان حدثا بعد أن ظهرت الفتن وأهل الأهواء، قبل ذلك -أي قبل المائة الثانية- لا تعرف هذه الألقاب، مسلمون فقط، ولكن حدث هذا بعد أن تفرقت الأمة بسبب علم الكلام والتصوف والفلسفة، سموا من بقي على ما كان عليه الصحابة (سلفياً) أو (أثرياً) أو (من أهل الحديث) أو (من أهل السنة والجماعة)؛ هذه الألقاب اصطلاحية مقبولة؛ لأنها تدل على معنى صحيح في وقتهم. ودعوى بعض الناس اليوم أن هذه الألقاب مبتدعة: كلام فيه نوع من الهوى**"(١).

والمقصود أن التفرق والخلاف والانقسام حادث بعد أن لم يكن، والأصل ما كان عليه الجماعة، قال الشيخ رحمه الله:"**أهل السنة: الذين نهجوا منهج رسول الله عليه الصلاة والسلام وطريقته، ولم يخالفوا نهجه، لم يغيروا ولم يبدلوا لا في العقيدة ولا في الشريعة، والجماعة إذا أطلقت الجماعة ينصرفُ المفهومُ إلى الجماعة الأولى التي اجتمعت على الحق، جماعة الصحابة عندما كانوا مجتمعين على الحق لم يحدثْ بينهم خلافٌ، ولم**

---

(١) شرح القواعد المثلى الشريط (١٣) و (ب).

يتفرقوا حتى في المكان، كانوا في أول الأمر مجتمعين في هذه الجزيرة-في الحجاز- وعاصمتهم المدينة النبوية، تلك الجماعة وإن تفرقت بهم الأماكن فيما بعد، لكنهم لم يختلفوا بل كانوا جماعة لم تحدث بينهم جماعات إلا أنهم جَمَاعَة اجتمعوا على الحق؛ لذلك عندما بدأ التفرق وبدأت الجماعات والاختلافات والفرق في عهدِ (عليٍّ) ﷺ، سُئِلَ عليٌ: لماذا اختلفتْ الناس عليك ولم يختلفوا على من قبلك؟ وكان رده ﷺ رداً مسكتاً حيث قال للسائل:(إن مَنْ كَان قبلي يحكمون مثلي، ومثلي بطانتهم، وأما أنا فاحكم مثلكم؛ لذلك وقع الاختلاف) [١]**، أي: ليس السبب في الاختلاف عليَّ ﷺ ولكن أراد الله عدلاً أن يحدث ذلك الاختلاف؛ إذ تشيعت الشيعة، وخرجت الخوارج من هنا بدأ الاختلاف والتفرق"**[٢].

ولاشك أن لكل ذلك أسباباً، وهي مبسوطة في كتب الفرق وغيرها، وقد أراد الله كوناً حصول الافتراق، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**خرجت الخوارج، وتشيعت الشيعة، ثم ظهرت الفرق متتابعة من جبرية ومرجئة وجهمية ومعتزلة وأشعرية وماتريدية. فسمعت دنيا المسلمين ما تتوقعه من الانقسام والتفرق؛ تصديقاً لقوله عليه الصلاة والسلام:(وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)**[٣]"[٤].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً المراد من حديث الافتراق:"**هذا العدد: (ثلاث وسبعين فرقة) باعتبار أمهات الفرق، الخوارج والقدرية والشيعة والجبرية، إذا عددنا أمهات الفرق، تصل أو تزيد على هذا، لكن إذا نظرنا إلى كل فرقة كم تفرقت؟ الخوارج افترقت على عشرين فرقة، والمعتزلة افترقت على كذلك، والشيعة نحو سبعة عشر**

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون صـ ١٩٦.

(٢) بداية شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

(٣) سبق عزوه صـ ٥٦٧.

(٤) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢) صـ ٢٧٠.

فرقة، كل فرقة من الفرق الرئيسية افترقت إلى فرق، ولكن هذا الحديث، إمَّا يعني أصل هذه الفرق باعتبار أصولها لا باعتبار الفروع التي تفرعت -الروافض أنفسهم قريبون من عشرين فرقة-، والروافض طائفة من الشيعة الإمامية يقربون من عشرين فرقة، إذاً، إذا نظرت في كتب الفرق (كالفرق بين الفرق) للبغدادي[1]، و(مقالات الإسلاميين) للأشعري، لا تندهش ولا ترتبك، كيف قال النبي -عليه الصلاة والسلام-:(إنَّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة)، والفرق اليوم تزيد على مائة، تعد بالمئات لا بالعشرات، هذا باعتبار الفروع، الفروع لاتزال تزداد كل يوم، بأخذ زعيم يريد أن [ينفصل] من هذه الفرقة ويستقل، يأخذ له مجموعة فينفرد ويستقل؛ فيطلق عليها لقباً، إن كان هو أسد؛ فتسمى أسدية، إن كان هو شيطان؛ فتسمى شيطانية، وبالفعل توجد فرقة يقال لها:(الشيطانية)، موجودة!!.

قال النبي ﷺ: (كلُّها في النار إلا واحدة)، أي: الفرق المنتسبة إلى الإسلام، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)، أي: من لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يزيدوا ولم ينقصوا، اكتفوا بما كان عليه رسول الله -عليه الصلاة والسلام- والصحابة، صراط الله المستقيم، المحجة البيضاء التي أشار إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- في آخر حياته، قال للصحابة: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)[2]، لا يمكن أن نعرف، هل أنت على ما كان عليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأصحابه؟ وهل أنت على ما كانت عليه الجماعة؛ لأنَّ في بعض التفاسير قال: (هي الجماعة)، الفرقة الناجية هي الجماعة، لكن بم تعرف الجماعة؟ الجماعات كثيرة، لا بدَّ من التفقه في الدين، وإلاَّ:

---

(١) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الإسفراييني البغدادي، أشعري متكلم، له مصنفات منها: الفرق بين الفرق، توفي سنة: ٤٢٩هـ. انظر: السير ١٧/٥٧٢.

(٢) سبق عزوه صـ٥٦٥.

كل يدَّعي وصلاً لليلى   وليلى لا تقر لهم بذاك[١]

كلٌ يدعي: أنا من الفرقة الناجية، وجماعتي من الفرقة الناجية، نحن الجماعة الإسلامية، ونحن ونحن...إلى آخره، الدعاوى كثيرة، لكن بما تُحدد؟

بالفقه في الدين، اعرف ما كان عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- في عقيدته، تعرف العقيدة التي أخذها الصحابة من فيّ رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وكيف كانوا في عبادتهم؟ وكيف كانوا في أخلاقهم؟ وكيف كانوا في معاملاتهم واقتصاداتهم وجميع أعمالهم؟ في سياستهم؟...وإذا عرفت الإسلام في عقيدته، في عبادته ومعاملاته، وجميع الأبواب التي ذكرناها، عرفت ذلك تأخذ من المنبع الأصلي، تأخذ من مشكاة النبوة، عند ذلك تعرف أين الفرقة الناجية"[٢].

والمقصود أن تتابع ظهور الفرق حصل "**تصديقاً لهذا الخبر من عهد علي ﵁ إلى وقتنا هذا، كثرت الفرق وأصول هذه الفرق لا تزيد على ثلاث وسبعين فرقة؛ ليصدق كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولكن كل فرقة تتفرق وتتفرع منها فروع إلى عشرة إلى عشرين إلى أكثر إلى أقل، حتى تستغرب عندما تقرأ في كتب الفرق والملل والنحل؛ كثرت هذه الفرق مع انتسابها كلها إلى الملة الإسلامية، لا تستغرب ذلك؛ لأنها فروع ولكن الأصول لا تزيد على هذا العدد الذي ذكره النبي ﷺ، والاضطراب كثير ومستمر**"[٣].

ولا يعني حصول الافتراق كوناً تسويغه؛ فقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على النهي عن الافتراق، والتحذير منه، بل والوعيد الشديد عليه، وذلك ظاهر لمن تأمل ذلك.

---

(١) هذا البيت اشتهر وينسب لمجنون بني عامر قيس بن الملوح عزاه له ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤/٧١. ولم أعثر عليه في المطبوع من ديوانه. ونسب لغيره، واشتهر حتى صار مضرب المثل، والله أعلم.

(٢) شرح شروط الصلاة وواجباتها الشريط (٣) و (أ).

(٣) شرح التدمرية الشريط (١) و (أ).

ومن الأسباب التي تفرق جمع المسلمين ما ذكره الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ وعده من المشاكل في العصر الحديث، وهو من باب التحذير من الافتراق بذكر بعض أسبابه، وقد لخصت ما تدعو إليه الحاجة من رسالة الشيخ المسماه (مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث) حيث بين ذلك معدداً أهم تلك المشاكل في النقاط التالية:

١-الجهل أي عدم تصور الإسلام تصورًا صحيحاً.

٢-التناقض الذي يصيب بعض الدعاة أحياناً. "**فكم تشكو الدعوة الإسلامية في العصر الحديث من تناقض الدعاة؟! تشكو من دعاة يعظون ولا يتعظون، يقولون ما لا يفعلون، يأمرون ولا يأتمرون، ينهون ولا ينتهون، دعاة تكذب أفعالهم أقوالهم في الغالب، نسمع خطبا منبرية قوية وتحمسات وانفعالات، وثرثرة ولا شيء غير ذلك (نسمع جعجعة لا نرى طحناً)**[1]".

٣-النفرة وعدم الانسجام بين المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية."**مما تشكوه الدعوة الإسلامية هذا اليوم النفرة وعدم الانسجام: وقلة التعاون بين الجماعات التي تتصدى كل واحدة منها للدعوة إلى الله، وفي الواقع أن أكثر تلكم الجماعات بحاجة ماسة إلى من يدعوهم إلى الله، ويبصرهم في دينه؛ حتى يكونوا مؤهلين أولاً في أنفسهم للدعوة بالقضاء على التنافر فيما بينهم، وتنافر مناهجهم وبرامجهم في العمل. وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية، وأغراضها الذاتية، وهي ذاتها محنة من المحن ومشكلة من المشاكل للدعوة والدعاة معا، إذا هي بقيت على وضعها ولم تعد النظر في سلوكها ومنهج عملها وبرامجها وأساليب دعوتها وسياستها، فخطرها على الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها**".

٤-وجود بعض الطوائف الضالة التي تعمل في بعض البلاد باسم الإسلام.

---

(١) مثل مشهور ذكره أبو عبيد في الأمثال صـــ٣٢١، والميداني في مجمع الأمثال ٤١٠/١ والمراد كثرة الكلام دون فعل.

٥-المناهج العقيمة المقررة في كثير من جامعاتنا."**مما منيت به الدعوة الإسلامية في هذا العصر أن كثيرا ممن يتصدون للدعوة إلى الإسلام أولئك الذين يتخرجون في الجامعات التي تدرس تلكم المناهج العقيمة البالية التي لا تنتج إلا الجهل بحقيقة الإسلام والجمود الفكري وبرودة الهمة. فيتخرج الطالب فليس أمامه أي هدف إلا البحث عن وسيلة العيش فقط فيأخذ يطرق جميع الأبواب التي تؤمن له العيش فإذا لم يجد سبيلا إلى ما يريد أن يوظف كداعية أخذ شهادته المزركشة في طولها وعرضها على الجهة المسئولة عن الدعوة رسميا فوظف تحت عنوان: (الداعية !!) فيترل الداعية الجديد الميدان؛ ليدعوا إلى الله، وليس لديه أي تصور للدعوة في أسلوبها وسياستها وآدابها، ودراسة أحوال المدعوين، فيتخبط خبط عشواء يمينا ويسارا على حساب الدعوة الإسلامية المظلومة، التي أصبحت (تكية) يتعيش منها كل محتاج إلى العيش، هل يقوم بواجب الدعوة أولا يقوم؟ هذا السؤال غير وارد...**".

٦-آثار الاستعمار الباقية في كثير من البلدان الإسلامية.

قال الشيخ رحمه الله:"**وهذه المشاكل الست يمكن دمجها وتلخيصها في ثلاث خصال نسميها أمهات المشاكل: إحداها: العقيدة المنحرفة، وثانيها: العبادة المنحرفة، وثالثها: السياسة المنحرفة**"(١). إلى غير تلك المشكلات التي عرقلت وتعرقل سير الدعوة السلفية، وفرقت كلمة أصحابها وشتت شملهم، أشرت إليها؛ لأنبه على حرقة الشيخ رحمه الله على الدعوة السلفية، والتي يلتمسها القارئ من أسلوبه في عرض المشكلات.

وأسباب الفرقة كثيرة والمقصود الحذر من كل ما يؤدي إلى الخلاف والفرقة؛ فإن ذلك من أعظم معاول الهدم للدعوة السلفية.

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم صـ١٦٩ وانظر: ما بعدها لمراجعة تفصيل ما أجمله في النقاط الثلاث.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في توضيح جهاد السلف في الرد على المخالفين:

إن من فضل الله على هذه الأمة أنه لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده، وذلك من حفظ الله لدينه الذي شرعه، وللحق الذي أنزله، فالقائمون بهذه الشعيرة هم حراس الشريعة؛ الذين ينفون عنها كل هوى وبدعة، وهم الذابون عنها وعن أهلها، فقيامهم بهذا الواجب من تمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد بين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن العلماء الناصحين ومن اختارهم الله للغيرة على حرماته الذين يقاومون تلك التيارات المخالفة لدين الله، قلة قليلة رزقوا الفقه في الدين، والشجاعة في تبليغه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:"**فلا يقوى على إنكارها إلا طائفة قليلة غريبة بين الناس وفي أرضها وبين بني جنسها، وهى الطائفة التي رزقها الله الفقه في الدين، ذلك الفقه الذي يمكن الإنسان من التفريق بين الحق والباطل، ويحمله على مراقبة الله والخوف، والتفقه في المعاني يورث المرء الشجاعة والإقدام والقدرة على القول بالحق، وبيان الحق والدعوة إليه، وما جاء به خاتم النبيين هو الحق...ومن فقد هذه المعاني يغلب عليه الجبن والخور ومداهنة الناس والتزلف، وإيثار رضاهم على رضا ربه وخالقه وولي نعمه، وقد كان علماء المسلمين سابقاً يتمتعون بالشجاعة وقول الحق ولو كان أمام السلطان الجائر، ويعتبرون ذلك نوعاً من الجهاد في سبيل الله**(١)**، والله المستعان!**"(٢).

وهؤلاء العلماء في ردهم على المخالفين لمنهج أهل السنة متابعون لسلفهم الصالح، كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**والسلفَ لم يتهاونوا في أمر هذه الجماعات، بل وقفوا أمامها وقاوموها، ومن أشد المقاومة ما قام به عليٌّ رضي الله عنه في رؤوس الروافض حيث حرّقهم**

(١) قال محمد بن يحيى الذهلي: سمعت ابن معين يقول: "**الذَّب عنِ السُّنَّةِ أفضل من الْجَهادِ فِي سبيل الله.** فقلتُ ليحيى: الرَّجُلُ يُنْفِقُ مَالَهُ وَ يُتْعِبُ نَفسهُ وَ يُجَاهِدُ، فَهذَا أفضل منْه؟! قَالَ: نَعَمْ، بِكَثِيرٍ". انظر: السير ١٠/٥١٨.

(٢) اتباع منهج السلف واجب حتم صـــ١٦٩.

بالنار ولأول مرة، وقاتل الخوارج قتال تأديب ولم يتهاونوا في مَنْ يَمَسُ الدين والعقيدة والوحدة الإسلامية، وكان أهم شيء عندهم المحافظة على الوحدة".

وقد سرد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقائع تاريخية لإنكار السلف على المخالفين –بكل مراتب الإنكار، كل حسب استطاعته–؛ نصحاً للمسلمين، وتبصرة للمخذلين؛ الذين يسعون في تخدير الرادين. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ :**"وإذا راجعنا تاريخ سلفنا؛ نجد أنهم قد قاموا أو قامت كل مجموعة منهم بما في وسعها من إنكار المنكر وإزالته:**

حيث نجد بعض الخلفاء والأمراء الصالحين يزيلون المنكر بأيديهم. فقد رأينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يشدد الإنكار على غلاة الشيعة الذين غلوا فيه إلى درجة التأليه، إلى أن اضطر إلى إحراقهم بالنار؛ كما تقدم؛ فالقصة معروفة لدى طلاب العلم. كما رأينا عبد الملك بن مروان الأموي[1] يأمر الحجاج[2] بتعذيب معبد الجهني[3]؛ لإنكاره القدر، فصلبه الحجاج [بحجاجيته] القوية المعروفة.ثم رأينا كيف طاردوا جعد بن درهم حتى قبضوا عليه فذبحوه في مصلى العيد على رؤوس الأشهاد، كأنه كبش يضحى به؛ لبدعته المعروفة؛ إذ سُمع منه ما لم يسمع من أحد قبله في الإسلام، حيث صرح بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، فنفذ فيه القتل أمير من أمرائهم الصالحين خالد القسري[4]. وأخيراً؛ قتلوا جهم بن صفوان

---

(١) هو أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، من أعاظم خلفاء بني أمية ودهاتهم، توفي سنة ٨٦هـ. انظر: السير ٢٤٦/٤.

(٢) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، كان ظالماً ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة، ولي العراق والمشرق كله عشرين سنة، توفي سنة ٩٥هـ. انظر: السير ٣٤٣/٤.

(٣) هو معبد بن عبد الله بن عكيم الجهني البصري، أول من تكلم بالقدر في زمن الصحابة، توفي سنة ٨٠هـ. انظر: السير ١٨٥/٤.

(٤) هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، أحد الأمراء الكبار لبني أمية، وهو الذي قتل الجعد بن درهم، توفي سنة ١٢٦هـ. انظر: السير ٤٢٥/٥

الذي أخذ بدعة جعد، فقام بنشرها، حيث نسبت إليه البدعة، فقيل الجهمية، ولا يقال الجعدية.

هكذا كان موقف السلف في إنكار المنكر وإزالته بأيديهم -رحمهم الله-؛ فهذه هي الدرجة الأولى والشعبة الكبرى في إزالته، وهي درجة يملكها كل من له سلطة يتمكن معها من إزالة المنكر بالقوة، وتتعين في حقهم، ولو لم يقوموا بها؛ أثموا والله المستعان.

أما الدرجة الثانية؛ فهي إنكار المنكر باللسان والقلم، فيشمل ذلك استنكار المنكر، والتحذير منه، وبيان قبحه وعاقبته الوخيمة إن سكت عنه، والوعظ والإرشاد والتذكير والتنفير عن إثبات المنكر وارتكابه.

وقد قام سلفنا بكل ذلك على أكمل وجه، ومن ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث أعلن براءته من القدرية عندما قيل له: إن هناك قوماً ينكرون القدر السابق، فأعلن براءته من صاحب المنكر. وهذا النوع من إنكار المنكر باللسان كما تقدم[1]، ولا يملك ابن عمر غير ذلك؛ لأنه ليس بذي سلطة حتى يزيل المنكر بيده.

ومن ذلك أيضاً ما فعله عبد الله بن عباس بحيث أعلن استنكاره، بل قد هم بإزالة المنكر لو استطاع، إذ تمنى لو تمكن من القدري، حتى تقع رقبته في يده ليدقها بيده حتى الموت، أو يجدع أنفه على الأقل؛ لأنه كان قد عمي يومئذ كما تقدم. فرضي الله عن ابن عباس، ونرجو أن يكتب له أجر من هم بحسنة ولم يعملها إذ منعه مانع، علماً بأنه ليس بذي سلطة حتى يلزمه إزالة المنكر بيده على ما تقدم، وقد قام بما يمكنه، وهو إنكاره بلسانه. هذا وإن الذين قاموا بهذه الدرجة من أئمة السلف كثيرون

---

(١) انظر: صحيح مسلم حديث رقم (١).

جداً". [ثم سرد الشيخ رحمه الله مواقف لأبي حنيفة وأبي يوسف[1] ومالك والشافعي ثم قال] **وبعد؛ يتضح من هذا العرض السريع لمواقف سلفنا من المنكر، ومن النماذج الحية التي سقناها أنهم لم يدخروا وسعاً في إنكار المنكر ومحاولة إزالته بكل ما هو ممكن -كما رأيت- بدرجاته الثلاث**"[2]. وصدق الشيخ حين قال:"**هكذا حافظوا رضي الله عنهم على وحدة الأمة ووقفوا أمام أسباب الانقسام والتفرق بذلك الحزم؛ لئلا تعود الأمة إلى الجاهلية الأولى من جديد، أو إلى ما يشبه ذلك**"[3].

والحقيقة أن مواقف السلف كثيرة ومشرقة، تبين شدة غيرتهم على هذا الدين، وقد اعتنى الشيخ رحمه الله بإبراز هذا الجانب عناية فائقة، وقد خصص الشيخ رحمه الله في رسالته الصفات الإلهية مبحثاً بعنوان:(الحديث عن بعض المدافعين عن منهج السلف)، وذكر جملة منهم: الإمام أحمد، وأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري[4]، والإمام عثمان بن سعيد الدارمي[5]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً؛ ليسير من بعدهم على دربهم ويقتفي أثرهم؛ ولما يحصل له من التسلية والسلوان حين يرى شدة ما لاقوه من الأذى في سبيل نشر دين الله، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتة بن معاوية، صاحب أبي حنيفة فقيه محدث مشهور، له مؤلفات منها: كتاب الآثار، اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى وغيرها، توفي سنة ١٨٢هـ. انظر: تاريخ بغداد ٢٤٤/١٤.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٨٣-٨٥.

(٣) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢) صـ ٢٧٠.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري، أمير المؤمنين في الحديث، له مؤلفات منه: الجامع الصحيح ، والتاريخ الكبير، وغيرها، توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: السير ٣٩١/١٢.

(٥) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، من أئمة السلف وأعلامهم، من مؤلفاته: الرد على بشر المريسي، الرد على الجهمية، توفي سنة ٢٨٠هـ. انظر: السير ٣١٩/١٣.

ويجدر في هذا المقام ذكر نماذج لأشهر المجددين للدعوة السلفية، ممن ذكرهم الشيخ، خصوصاً أنه اُشتهر عن المبتدعة على اختلاف بدعهم عداؤهم الشديد لمن خالفهم، وبخاصة أئمة السلف المجددين؛ الذين كان لهم عناية بنشر دين الله والدفاع عنه وكشف زيف المبتدعة، حتى عُد جماعة منهم محنة لأهل البدع، وسأكتفي بالأعلام الثلاثة الذين أولاهم الشيخ محمد أمان رحمه الله عناية فائقة، فكان يكثر من ذكر مواقفهم المشرقة في تجديد دين الله، وإعزاز كلمته وإظهار نوره، قال الشيخ رحمه الله:"**المجددون المشاهير ثلاثة كما يعلم الجميع: الإمام أحمد بن حنبل، والإمام احمد بن تيمية، والإمام محمد بن عبد الوهّاب هؤلاء المشاهير؛ لأن الآثار واضحة حيث أبقى الله على العقيدة الإسلامية من شر المعتزلة في تجديد الإمام أحمد وثبوته على الحق، وأبقى الله على المنهج السلفي بعد أنْ كَادَ يُجْهل بِجهاد وتجديد أحمد بن تيمية رحمه الله، ثم أسعف الله الجزيرة بتجديد المجدد الثالث الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي نعيش الآن أثر تجديده، والذي امتد أثر تجديده في العالم، حتى كادت أنْ تعم العقيدة السلفية المجددة المعمورة كلها أو عامتها إلى ما شاء الله**"[(١)].

ومن المناسب قبل الدخول في المقصود التنبيه على أمر كثر تنبيه الشيخ محمد أمان رحمه الله عليه وهو: أن التجديد للدعوة السلفية ليس معناه الإتيان بشيء جديد؛ فإنه (من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد)[(٢)]، ولكن المقصود تجديد وتوضيح ما اندرس من معالم الدين، ودعوة الناس إلى ما كان عليه السابقون الأولون من الصحابة والتابعين، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

قال الشيخ رحمه الله مبيناً نوعي التجديد: وأنه تجديد إصلاحي وتجديد اجتهادي:"**التجديد قد يطلق ويراد به دعوة الناس إلى العودة إلى المفهوم الصحيح للإسلام؛ على ما كان عليه الأمر في عهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين؛ لأنهم**

---

(١) من شريط بعنوان: (التجديد بمفهوميه (الرد على الترابي).

(٢) سبق عزوه صـ٥٦٦.

الذين يقطع أن ما كانوا عليه هو المفهوم الصحيح للإسلام؛ لأن الصحابة باشروا الوحي، وأخذوا الدين من صاحب الشريعة دون واسطة غيرهم، ثم نقلوا ذلك المفهوم للتابعين وهم عدول، فدعوة الناس إلى العودة إلى منهجهم حين تبتعد الناس عن الجادة تعتبر تجديداً للدين، إذ هي دعوة إلى التمسك بهدي الرسول ﷺ والاعتصام بكتاب الله، وهي في الوقت نفسه محاربة للجاهلية بجميع ألوانها، فمن دعا الناس اليوم للعودة إلى الجادة وفهم الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً وسياسة كما فهمه المسلمون الأولون فهو المجدد والمصلح. وقد قام بهذا النوع من التجديد غير واحد من علماء المسلمين وأئمتهم، في عصور مختلفة، وكان أولهم وأفضلهم أبا بكر الصديق ﷺ...

ويطلق التجديد فيراد به: دعوة الناس إلى أفكار جديدة في بعض التنظيمات الحديثة التي تزعم أنها تقدم للناس مفاهيم مبتكرة في إصلاح شؤونهم الدينية؛ بصرف النظر هل هي موافقة لما كان عليه المسلمون الأولون أم مخالفة؟..وهؤلاء المجددون لا يلتفتون إلى ما كان عليه القرون المفضلة المشهود لهم بالخير، ومن دعاويهم تطوير الأحكام، أو اقتراح أحكام جديدة تتلائم والعصر الحاضر، وهي فكرة تقوم بها في الآونة الأخيرة بعض الحركات السياسية التي تجعل اسم الإسلام شعاراً لها، دون التزام به، والتمسك بشريعته والدعوة إلى عقيدته، أو دون المحاولة بالاعتصام بالكتاب والسنة عقيدة وشريعة، بل يكفي عندهم هذا الهتاف في المناسبات المتكررة (الإسلام ديننا)، فالتجديد بهذا المفهوم دعوة مضللة.فأصحاب هذا النوع من التجديد هم عشاق المناصب وكراسي الحكم والشهرة العالمية. فلا ينبغي اعتبارهم من الدعاة أو من المجددين بمفهومه الصحيح الذي تقدم شرحه وبيانه، وهذا النوع من التجديد هو سبب الويلات التي تعيشها الأمة في الوقت الحاضر؛ إذ كثر هذا الصنف من المجددين على اختلاف أساليبهم، والمنهج واحد؛ وفرقوا الأمة فرقاً وأحزاباً متناحرة. فأخذت كل جماعة أو حركة تدعو إلى ما تذهب إليه دون رجوع بل ولا سؤال –ولو مجرد سؤال– عما كان عليه الجماعة الأولى التي نشهد –ويجب أن نشهد– أنها على الحق، بل الحق قد انحصر فيها؛ في عقيدتها، في منهجها، في سلوكها.

ويشمل هذا التجديد ما يقوم به أهل الكلام الذين زهدوا فيما جاء به رسول الله ﷺ في باب الأسماء والصفات..ويشمل هذا التجديد تصرفات جهلة الصوفية الذين دعوا الناس –ولا يزالون– إلى أفكار وثنية في باب العبادة فضلوا وأضلوا كثيرا..وأخيراً ابتليت الأمة الإسلامية في أكثر أوطانهم بالمراهقين السياسيين؛ وهم المجددون المتطرفون الذين سخروا من الشريعة الإسلامية؛ فزعموا –بكل وقاحة– أنها غير صالحة لهذا العصر المتطور، واقترحوا على اختلاف مذاهبهم نظماً زعموا أنها المناسبة للحياة الحاضرة ..وهي كما ترى مغالطة يتعمدها كثير منهم حرباً للإسلام. والله المستعان"[(١)].

وقد بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مآل دعوة كلا التجديدين، وأن دعوة المفكر (صاحب التجديد الثاني)**"لا يخلو الأمر بالنسبة لاستمرارية هذه الدعوة أو عدم استمراريتها بعد موت صاحبها من إحدى حالتين:**

الحالة الأولى: أن يموت صاحب الدعوة قبل أن يربي له من يخلفه، ويقود الدعوة من بعده. ففي هذه الحالة تموت الدعوة فور موت صاحب الفكرة، ولا محالة فهي قضية مسلمة عقلاً. الحالة الثانية: أن يكون صاحب الفكرة، وقد وجد من يخلفه وهو مؤهل للقيادة ومتفاعل مع الدعوة. ففي هذه الحالة قد تحيى الدعوة فترة من الزمن قد تطول، وقد تقصر، ولكنها تتلاشى مع الزمن وتتأثر وتفقد قيمتها، ثم تختفي. والتاريخ خير شاهد على ما قلت؛ لأن أساسها (فكرة) رجل وتخطيط بشر، والمفكر المخطط لها قد مات وانتهى، فهي إذاً لا بد أن تنتهي ولا محالة. والشواهد كثيرة في واقع العالم

---

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم صـ ١٤٣- ١٤٦ وانظر: الصفات الإلهية ١٦٣-١٦٦، والعقيدة الإسلامية وتاريخها صـ١٣٦-١٣٨، ومحاضرة للشيخ بعنوان: (التجديد بمفهوميه) رد على الترابي.

المعاصر ولا حاجة إلى سردها، بل أستحسن إجمالها. لأنتقل فوراً – بعد هذا الاستطراد– إلى الدعوة التي نحن بصدد الحديث عنها"[1].

أما مآل دعوة المجدد المصلح"**فمثل هذه الدعوة سوف تبقى بعد موت من قام بها، ودعا إليها؛ لأنها ليست (فكرة) كما قلت، وإنما هي دعوة إلى الله، وإصلاح ما فسد من شئون المسلمين وربطهم بإسلامهم؛ ليسعدوا به في الدارين"**[2].

وبعد هذا الاسترسال أعود لذكر جهود الشيخ في بيان جهاد أشهر المجددين:

المجدد إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل[3] رحمه الله:

اشتهر الإمام أحمد بالإمامة في السنة والدفاع عن منهج أهلها، وقد ذكره الشيخ محمد أمان رحمه الله في مقدمة المدافعين عن منهج السلف الصالح[4]. وكان الإمام على بصيرة بفساد مذهب المخالفين بشتى فرقهم، ولكن بسبب المحنة التي حصلت له، والتي قام بإظهار الحق فيها بتوضيح نصوصها وآثارها، وبيان ما خفي من أسرارها[5]، رفع الله قدره بثباته فيها، حتى صار إماماً من أئمة السنة، وعلماً من أعلامها، فعرف بها وكأنها الموقف الوحيد له في نصرة منهج السلف، وكفى بذلك الثبات رفعة وقدراً.

---

(١) الصفات الإلهية صـ١٦٤.

(٢) المصدر السابق صـ١٦٥.

(٣) وهو أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي، إمام أهل السنة والجماعة، له مؤلفات منها: الرد على الجهمية، والمسند وغيرها، توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.

(٤) انظر: الصفات الإلهية صـ١١٩.

(٥) انظر: منهاج السنة ٢/٦٠٦.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله ما حصل للإمام أحمد من المحنة، فقال:"**وعندما قامت للمعتزلة دولة قوية بتولي الخليفة السابع من خلفاء بني العباس الخليفة المأمون[1] بلغ الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة ذروته، وتلك الفتنة التي عرفت في التاريخ باسم (المحنة)، كان فيها للإمام أحمد موقف معروف في تاريخ الأمة الإسلامية، إذ وقف فيها موقفاً فريداً عجز كثير من الأئمة والعلماء الثبات فيه. وملخصها ما يرويه المؤرخون والمترجمون للإمام أحمد: أن الخليفة المأمون قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق، وأوقعوه في الباطل إذ زينوا له القول (بخلق القرآن)، ونفي صفات الله عز وجل، والخوض في المطالب الإلهية بعيداً عن نصوص الكتاب والسنة، بل إنه ضرب صفحاً من النصوص زاعماً بأنها لا تفيد اليقين متأثراً بفكرة المعتزلة"[2]."واستمر الامتحان أمام المعتصم[3]، ثم الواثق[4]، ثم بقي الإمام بعد موت الخلفاء الثلاثة، وقد ماتت معهم المحنة، وبقي الإمام بعدهم؛ لنشر السنة التي عذب من أجلها؛ وليرفع صوته بنصوص الصفات من جديد، وقد أتى الله بالفرج في عهد المتوكل[5]، وقضى بذلك على بقية البدعة؛ ولذلك لقبه أهل عصره (ناصر السنة وقامع البدعة)، فاستحق لقب (إمام أهل السنة). وقد ساعده الخليفة المتوكل الذي**

---

(١) هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، سابع خلفاء بني العباس، قامت في عهده دولة الفلسفة والكلام المذموم، توفي سنة ٢١٨هـ. انظر: السير ١٠/٢٧٢.

(٢) الصفات الإلهية صـ١٢٠، والعقيدة الإسلامية صـ٧٦. انظر تفاصيل المحنة: مناقب الإمام أحمد ٤١٦وما بعدها، البداية والنهاية.

(٣) هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، بويع له بعد وفاة المأمون، توفي سنة ٢٢٧هـ. انظر: السير ١٠/٢٩٠.

(٤) هو أبو جعفر هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، بويع له بعد أبيه، توفي سنة ٢٣٢هـ. انظر: السير ١٠/٣٠٦ تاريخ بغداد ١٤/١٥.

(٥) هو أبو الفضل جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، بويع بعد أخيه، توفي سنة ٢٤٧هـ. انظر: تاريخ بغداد ٧/١٦٥.

أعلن برفع (المحنة) وأمر بنشر أحاديث الصفات بما في ذلك صفة الكلام، التي هي بيت القصيد في الموضوع"[١]."وهكذا انتهت تلك الفتنة التي عرفت (بالمحنة)، فجدد الإمام أحمد دعوته السلفية التي عرفت بعد ذلك بـــ(الحنبلية)، نسبة إليه رحمه الله وتقبل الله منه جهاده وتجديده، ولذا لقبه أهل عصره (ناصر السنة وقامع البدعة) وعرف بعد ذلك بإمام أهل السنة والجماعة، وحق له ذلك"[٢].

وللإمام أحمد جملة من الحوارات مع الجهمية وغيرهم، عرض الشيخ رحمه الله جملة منها: في مبحث الرؤية والعلو والمعية[٣]، يدافع فيها عن منهج السلف بأسلوبه الخاص في معارضة الحجج، والعلم الغزير بالنصوص[٤].

المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني[٥] رحمه الله:

لقد مرت بالمسلمين فترة حرجة اندرست فيها كثير من تعاليم الدين :"وفي تلك الفترة الحرجة ظهر عالم سلفي، خرج على الناس فجأه، وهو جندي مسلح بسلاح عصره، ومدرب على جميع الأسلحة المستخدمة في الميدان، ويجيد استخدامها على قدر الحاجة، فعمل في سبيل تجديد منهج السلف وتنشيط حركة الدعوة؛ عملاً يستحق أن يطلق عليه بلغة العصر (كسر الجمود)؛ لأنه ظهر بدمشق على حين غفلة من طوائف أهل الكلام وجميع أهل البدع، وصدع بالحق، وأعلن الانتصار لمنهج السلف، فهاجم الأشاعرة الكلابية والمعتزلة والروافض والمتفقهة المتعصبة.

---

(١) الصفات الإلهية صـــ١٢١.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٧٨.

(٣) نقلاً عن كتابه الرد على الجهمية.

(٤) انظر: الصفات الإلهية ١٢٤-١٢٩.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، شيخ الإسلام وعلم من أعلام السنة، له مؤلفات لا تحصى كثرة منها: درء تعارض العقل والنقل، منهاج السنة وغيرها، توفي سنة ٧٢٨هـــ. انظر: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد قام الإمام بهذا الجهاد بعد فترة عصيبة مرت على السلفيين ومنهجهم، وهم يعيشون متفرقين في زوايا العالم غرباء، وليس للسلفيين صوت يسمع قبل ظهور هذا الإمام، حتى جُهِلت حقيقة منهج السلف وعقيدتهم، فأخذ الناس في الخوض على غير هدى في تفسير منهج السلف، بعيدين عن الحقيقة. فظهر شيخ الإسلام؛ ليصحح مفهوم العقيدة السلفية التي أصبحت غريبة؛ ولكسر ذلك الجمود في سير الدعوة السلفية التي وقف في سبيل سيرها عوائق متنوعة من علم الكلام: الذي أفسد القلوب بالاضطراب والشكوك، والتصوف الذي ردَّ الناس إلى ما يشبه الجاهلية الأولى في باب العبادة والعادات والتقاليد والسواليف الموروثة، فجزى الله ذلك الإمام خير ما يجزي به المصلحين المخلصين"[(١)]."**ومما ذكروا في ترجمته أنه كان شديد العناية بالحديث، وقد دار على الشيوخ ونسخ الأجزاء وخرّج، وانتقى وبرع في الرجال، وعلل الحديث وفقهه، وفي جميع علوم الإسلام. واطلع على الفلسفة، والمنطق فبرع فيهما وأخذ ينقض المنطق بشدة، ويرد على الفلاسفة بأسلوبهم وقواعدهم، ولقد كان شديد الاهتمام بشئون المسلمين العامة، فجاهد في الله بسيفه، وقلمه وبذل للمسلمين النصح والإرشاد. وقد حدث الإمام ابن تيمية في المسجد الأموي بدمشق كثيراً، وله فيه (كرسي) خاص يحدث عليه، وليس من عادته أن يعظ الناس من على المنبر أو يخطب خطبة الجمعة، وإنما كان المعروف عنه التدريس والتأليف والإجابة على الأسئلة والحوار العلمي. وقد حدث بدمشق وفي مصر وكان معروفاً بالشجاعة والإقدام أيام حروب التتار. بل هو من المجاهدين المعدودين الذين جمعوا بين علوم عصرهم، وكان كثير النصح للولاة والسلاطين، بل كان يحثهم على الجهاد والدفاع عن العقيدة الإسلامية. ولما برز ابن تيمية في جميع الميادين، وأكثر من الدعوة إلى تصحيح العقيدة وإصلاح الأحكام، ومحاربة البدع وأنواع الشرك المنتشرة بين عوام المسلمين، ونقد علم الكلام وبين عواره وكشف عن شطحات المتصوفة، وإلحاد وحدة الوجود، ودعا إلى التحاكم إلى**

(١) مختصر من العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٩٥-٩٧، وانظر: الخطط المقريزية.

الكتاب والسنة، وتعظيم هدي الرسول، وألا يقدم قول أحد على سنته، وكان يدعو إلى عدم التقيد بمذهب معين، بل على المسلم أن يدور مع الحق حيث دار. كان يدعو إلى الإسلام بهذا الأسلوب الذي لم يكن شائعاً في بيئته، وعلى ذلك المنهج العام الذي عليه عامة الناس، دون أن يختار مجالاً لدعوته دون مجال. ولما فعل ذلك قامت قيامة المتكلمة والمتصوفة والمتفلسفة. وانضم إليهم بعض المتعصبين من المتفقهة الذي هزت هذه الدعوة السلفية شعبيتهم الواسعة، فخافوا على مناصبهم ومراكزهم، وقد امتحن الشيخ بسبب دعوته الصريحة والقوية، فأوذي حتى سجن بقلعة القاهرة والإسكندرية وقلعة دمشق مرتين، وأخيراً توفي بها في ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (٧٢٨هـ)"[١]. "ويمتاز ابن تيمية بكثرة الجبهات التي يجابهها وحده مما جعله يتسلح بنوع أسلحتهم حتى يتمكن من الدفاع عن المنهج السلفي بلغتهم وبنوع أسلحتهم، كما حمله والذين جاءوا من بعده على الخوض في غوامض علم الكلام وفلسفة الفلاسفة مضطرين.

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب   فما حيلة المضطر إلا ركوبُها[٢]

ولكن الدارس لمنهجهم يدرك أن منهجهم يتسم بالارتباط التام بالكتاب والسنة. وإنما خاضوا ذلك النوع من الخوض ليفسروا -بلغة القوم- ما غمض على المتكلمين. من معاني الصفات مع المحافظة على أصل المنهج السلفي الجامع بينهم وبين من سبقهم من أئمة السلف الأولين"[٣]. "هكذا كان يعيش الإمام ابن تيمية في ذلك العصر المائج بتلك الآراء مجاهداً ناصحاً ومدافعاً مع التجلد والصبر، ولقد رمته تلك الطوائف من قوس واحد، ونصبوا له العداء، وحبكوا حبال السعاية لدى السلاطين،

---

(١) الصفات الإلهية صـ١٣٨-١٣٩.

(٢) ينسب هذا البيت إلى الكميت بن زيد الأسدي انظر: ديوانه صـ ٧١.

(٣) الصفات الإلهية صـ١٤٧.

ولهذا العداء الجماعي نتائجه الطبيعية من سجن وامتحان وأنواع من الإيذاء. ولعل الفرية البطوطية من أهم نتائج ذلك العداء"[١].

والمقصود أن هذا الإمام دافع عن مذهب السلف بكل ما أوتي من قوة، فجاهد بلسانه وبنانه وبسنانه جميع الآراء والمذاهب الهدامة في عصره"**من فلاسفة يخضعون لأرسطو**[٢] **وأفلاطون**[٣]**، ويقولون بقدم العالم. ومن متصوفة متأثرة بالفلاسفة أو هم أبناؤهم بل هُمْ هُمْ.**

وقد تطاول غلاتهم في الحلول المطلق. وكان هذا من الميادين التي ركز عليها شيخ الإسلام في جهاده. ومن جهمية جريئة يعطلون صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة، غير مبالين بالنصوص، وهم من ألد أعداء شيخ الإسلام، وإليهم وجه جلّ اهتمامه. ومن الأشاعرة الذين كانوا يزعمون التوفيق بين المعتزلة، وبين منهج السلف، ولكنهم لم يفلحوا إذ ليس من الممكن التوفيق بين الحق والباطل، بل الواجب الانتصار للحق وإزهاق الباطل. كما يوجد في عصره باطنيون غامضون يتلوّنون بألوان مختلفة، ويتقمصون لكل جماعة قميصاً يناسب ميولهم ويرضيهم، ويتشكلون طوائف متعددة إلا أنهم يجمعهم غرض واحد، وهو محاولة القضاء على الإسلام لو استطاعوا"[٤].

---

(١) المصدر السابق صـــ١٤٢.

(٢) هو أرسطو طاليس، فيلسوف يوناني كان تلميذاً لأفلاطون ومربياً للأسكندر المقدوني، له مؤلفات في الفلسفة والمنطق أشهرها كتاب: ما وراء الطبيعة، توفي سنة ٣٢٢ ق.م. انظر: الملل والنحل صـــ ١٨٠، موسوعة الفلسفة ١/٩٨-١٣٢.

(٣) هو أفلاطون بن أرسطن، قيل اسمه أرستوقلس، سمي أفلاطون لسعة جبهته وعظيم بسطته، تتلمذ على سقراط، توفي سنة ٣٤٨هـــ . انظر: الملل والنحل صـــ١٦٥.

(٤) الصفات الإلهية صـــ١٤٠.

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[1] رحمه الله:

"في القرن الثاني عشر الهجري عصفت عاصفة هوجاء بشدة على عقيدة الإسلام وشريعته؛ لتغير معالمه، وتنقل الأشياء من أماكنها، وترمي بها حيثما وقعت، فتغيرت بسبب ذلك مفاهيم كثيرة، فالتبس الأمر على الناس في أبواب كثيرة ومسائل عديدة، وحدثت في الإسلام بدع ليست من الإسلام في شيء.

فرأى الإمام محمد ين عبد الوهاب الداعية أنه لابد من إعداد العدة للقيام بالتجديد، وإعادة الأمور إلى وضعها الصحيح على ما كانت عليه قبل العاصفة، ورأى فيما رأى أنه لابد من الازدياد من العلم والمعرفة وسعة الاطلاع، والاتصال بالعالم المعاصر، ومعرفة الأوضاع العامة للعالم الإسلامي، فقرر الخروج في رحلة علمية طويلة"[2]. "**وبعد هذه الرحلة العلمية الموفقة التي استفاد خلا ئد جمة؛ عاد الشيخ إلى بلده بعد أن ازداد العلم والمعرفة، وبعد أن درس أحوال المسلمين في عدة بلدان، وأدرك حاجة المسلمين الماسة إلى الإصلاح العام من جديد، والتصحيح الجذري الفوري لعقيدتهم نحو ربهم ومعبودهم، وتصحيح موقفهم من سنة نبيهم الذي بعث لهدايتهم، والذي يسألون عنه في قبورهم، وموقفهم من كتاب ربهم الذي هجروه؛ إذ لا يرجعون إليه لمعرفة عقيدتهم وأحكام دينهم. بل أدرك الشيخ وتأكد أثناء جولته تلك في البلدان التي زارها ومما شاهده في وطنه نجد، أن الأمة بحاجة إلى القضاء على تلك الفوضى التي تعيشها؛ فلابد لها أن تنتهي؛ لتتبدل بحياة إسلامية صحيحة وشاملة لجميع نواحي الحياة.**

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، شيخ الإسلام ومجدد ما اندرس من تعاليم الإسلام في الجزيرة، له مؤلفات منها: كتاب التوحيد، كشف الشبهات، وغيرها، توفي سنة ١٢٠٦هـ. انظر: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام للشيخ حسين بن غنام.

(٢) وقد أشار الشيخ أن ذلك كان بعد أن استفاد من علماء بلده نجد وعلى رأسهم والده الشيخ عبد الوهاب التميمي رحمه الله. وانظر: العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ١١٨-١١٩.

وانطلاقاً من هذا الإدراك؛ صمم الشيخ على القيام بالدعوة الإصلاحية العامة -كما أشرنا قبل- مستعيناً بالله وحده في بلده حريملاء، بمحاولة تصحيح العقيدة، وأنكر على العوام تعلقهم بغير الله، وصرف العبادة أو بعض أنواعها لغير الله..وقد كان إنكار مثل هذه الأشياء غريباً هناك؛ لذلك قوبلت الدعوة في أول الأمر بالإنكار والرد والجدال..ولم تقف الدعوة منذ بدأت لحظة واحدة، بل من حسن إلى أحسن في نشاطها وآثارها"[1]."استمر الشيخ يجاهد بلسانه وقلمه صابراً محتسباً. وكان والده ممن نازعه في أول الأمر وكذلك أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب، ولكن بعض المصادر أثبتت اقتناعهما بالدعوة أخيراً والرجوع إلى الحق. ولما تكرر إيذاؤه (بحريملا) وأراد بعض السفهاء أن يفتكوا به، غادر الشيخ (حريملا) إلى بلده ومسقط رأسه العيينة، وكان يحكمها آنذاك الأمير عثمان بن حمد بن مُعَمّر، فرحب بالشيخ وبدعوته. ونصحه الشيخ كثيراً ليصبر ويحتسب؛ لأنه لا بد أن يؤذى وشرح له دعوته، وأنها قائمة على الكتاب والسنة، وأنها تعني أول ما تعني تطهير العقيدة والأخلاق، وتصحيح الأحكام، وأن القائمين على هذه الدعوة لا يريدون إلا وجه الله، والثواب في الدار الآخرة من الله وحده. فاقتنع الأمير فأخذ الشيخ في الإصلاح العملي، فأمر بقطع بعض الأشجار التي كانت تعبد وتعظم، وهدم قبة كانت على قبر (زيد بن الخطاب)، كل ذلك بمساعدة الأمير ابن معمر، وأخيراً أقام الشيخ (الحد) على امرأة اعترفت بالزنا عدة مرات أمامه بعد ما تأكد من صحة عقلها ورغبتها في (التطهير). وبعد هذه الواقعة اشتهر أمر الشيخ وذاع صيته في كل مكان في نجد وما جاورها. فبلغ خبره وإصلاحاته بعض الأمراء الذين لهم مكانة ومنـــزلة لدى ابن معمر، وأتباعه وبينهم مصالح متبادلة، فكاتبوا ابن معمر بالاستنكار إلى أن أثروا فيه، فرجع عن مؤازرة الشيخ تحت تهديد بعض أولئك الأمراء، وهو حاكم الإحساء ابن عُرَيْعِر، فأمر بإخراج الشيخ من بلده. فغادر الشيخ العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٨هـ، فنـــزل

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ١٢٣-١٢٤، وانظر: الصفات الإلهية صـ١٥١-١٥٢.

على بعض أعيان الدرعية يقال له: عبد الرحمن بن سويلم وبعد أيام علم به أمير الدرعية الأمير محمد بن سعود، فجاء إلى الشيخ مع بعض إخوانه وأتباعه فزاروا الشيخ فدعاهم إلى التمسك بعقيدة التوحيد الخالص، وبين لهم أن التوحيد هو الذي بعث الله الرسل من أجله، وأنه قد ضعف اليوم في قلوب الناس، وتلا عليهم عدة آيات من القرآن، ودعا للأمير، ورجا من الله أن يكون إمام يجتمع عليه المسلمون بعد ذلك التفرق، وأن تكون له السيادة والملك لذريته من بعده. فشرح الله صدر الأمير محمد بن سعود، فقبل الدعوة، وأحب الشيخ، وبشره بالنصرة والوقوف معه على من خالفه في دعوته وإصلاحه. وتعاهدا وقدم كل واحد منهما ما لديه من الشروط، فواصل الشيخ عمله في الدعوة والإصلاح، والأمير يتابع الدعوة حاملاً سيفه على من يعاند الحق، فظهر أمر الشيخ وانتشرت دعوته فوفدت عليه الوفود، حتى ندم ابن معمر على ما فعل فجاء إلى الشيخ فاستسمح الشيخ رحمه الله فسامحه فأقبل الناس على العلم والعبادة والجهاد. ثم أخذ الشيخ يراسل الرؤساء والأمراء والقضاة. فمنهم من أطاع فرجع إلى الحق، ومنهم من عاند وسخر من الدعوة. وتلك سنة الله في خلقه التي لا تتبدل ولا تتغير منذ بدأت الدعوة على وجه الأرض"[(1)].

"توفي الإمام المجدد، وقبله الأمير المؤازر، سَلّمَا (الأمانة) أمانة الدعوة والإصلاح، وأمانة مؤازرها والدفاع عنها ورعايتها، إلى أيد أمينة، وهي أيدي ذريتهما المباركة. فقام علماء آل الشيخ وتلامذهم – تحت رعاية ملوك وأمراء آل سعود ومؤازرهم– بمواصلة مسيرة الدعوة، فلا تزال الدعوة بخير وعلى أحسن حال – بتوفيق الله– وتسير سيراً حثيثاً حتى بلغت اليوم إلى أماكن وأقطار ما كان يُظن أنها تبلغها في عرض الدنيا وطولها. وستواصل سيرها – بإذن الله وتوفيقه – حتى تزحزح

(١) الصفات الإلهية صـــ١٥٣-١٥٤.

جميع الأفكار الهدامة المعارضة لها، ليعم نور التوحيد الخالص أرجاء الدنيا لأن العاقبة للمتقين"[١].

ما أعظم الصبر والإيمان الذي تحلى به هؤلاء المجددون، فبذلك واجهوا تلك الصعاب، وصدق الشيخ حين قال:"**هكذا كانت سنة الله في المجددين والمصلحين: خوف، وإزعاج، وإخراج، ثم نصر، وثبات، وازدهار، ولا تزال كذلك، ولن تزال ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾** "[٢].

وفي عرض هذه النماذج تسلية وسلوان لمن جاء بعدهم واتبع سبيلهم، فلا تضره الأراجيف التي ينبزه بها المخالفون لهؤلاء الأعلام الذين جدد الله بهم الدين، ومن النبز الذي تعرض ويتعرض له منهج السلف، ما يشاع من أنه من وضع هؤلاء المجددين، فتارة يقال لأتباع منهج السلف (حنبلية) وتارة (تيمية) وتارة (وهابية)، قال الشيخ رحمه الله:"**ومن أغرب ما قرأت في هذه الأيام: إن منهج السلف من وضع محمد بن عبد الوهاب أمس يعني؛ هذا جهل يكشف الإنسان عن جهله..من قال هذا فليضحك على عقله وعلى علمه قبل أن يضحك عليه الناس؛ لا ينبغي أن يقول الإنسان بدون روية وبدون علم، ويسيء إلى نفسه قبل أن يسيء إلى غيره. هذا منهج غير وضعي، لم يضعه أحد، لا الإمام أحمد ولا ابن تيمية ولا من قبلهم؛ منهج مأخوذ من كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ليس وضعياً ليس من وضع البشر.**

لذلك: لا ينبغي أن نجري المقارنة بين السلف وبين الفرق والجماعات المنتشرة اليوم؛ هذه الجماعات إنما هي من اجتهادات بعض المصلحين اليوم، ومنهج السلف ليس باجتهاد الرجل؛ أخذ من صميم الكتاب والسنة، بيان رسول الله ﷺ ما أنزل إليه"[٣].

---

(١) المصدر السابق صـــ ١٦٦.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ١٢٧.

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (١٥) و (أ).

والمقصود من عرض هذه النماذج من الوقائع التي حصلت لأشهر المجددين وغيرهم من الأئمة الأعلام، بيان شدة حرصهم على نصرة منهج السلف والمنافحة عنه، وشدة ما لاقوا من الأذى في سبيل ذلك، كما يستفاد من مواقفهم المنهج المتبع في معاملة من خالف عقيدة السلف، وفيما يلي مزيد توضيح لهذه القضية والله المستعان:

الحذر من ظاهرتي التساهل والتخذيل مع المخالفين:

لاشك أن حراسة عقيدة السلف تكون بالرد على من خالف فيها، وأن نقف منه ذلك الموقف الشرعي، الذي فيه النصح للمخالف ولمن تبعه، وفق الضوابط الشرعية المقررة في مواطنها. وبسبب البعد عن منهج السلف فقد حصل اضطراب في التعامل في هذا الباب، ومن ذلك ما انتشر في أوساط المجتمع من ظاهرة التساهل مع المخالفين لعقيدة السلف، بل وتخذيل من يتولى الرد عليهم(١)، وقد كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحذر طلاب العلم من ظاهرتي التساهل والتخذيل؛ خشية أن يتأثر بتلك المخالفات بعض من عرف الخير و لم يعرف الشر، وقد أدرك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما حصل لبعض الشباب من الانحراف بسبب ذلك؛ فكان يكثر من التحذير من ظاهرتي التساهل والتخذيل؛ ومن ذلك قوله بعد أن بين موقف المجددين الثلاثة وما لاقوه من الأذى في سبيل القضاء على ما يخالف منهج السلف:"**كل أولئك علام عذبوا؟؟**

لأجل هذه العقيدة، لأجل هذا المنهج، للإبقاء على المنهج، واليوم هان أمر العقيدة لدى كثير من الذين سموا أنفسهم بالدعاة، فصاروا يمدحون دعاة الباطل الذين

---

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ :"والتخذيل لا يسري في أمة إلا وتعمل على إسقاط نفسها بنفسها، وتوجد من تقصيرها، وتخذيل الناصحين فيها، معاول لهدمها، ... والحاصل أن التخذيل يواجه المجاهدين، بألسنتهم وأقلامهم وسنانهم..لكنه مع حامله كصحوة الموت يتقلص ويضمحل، بين غمضة عين وانتباهتها والعاقبة للمتقين". انظر: الرد على المخالف من أصول الإسلام ضمن الردود صـــ٧١.

يعادون هذه الدعوة وهذه العقيدة، فصرنا من جديد نسمع من يقول: العقيدة وما العقيدة؟ تكثرون من ذكر العقيدة حتى عقدتمونا، وهل تتصورون في شبابنا اليوم من وصل به الحال إلى هذه الدرجة، عقدتمونا بالعقيدة، سمع من يقول: إلى متى ندرس (اعلم رحمك الله) سمعنا من يقول: إن كتاب التوحيد لا يصلح في هذا الوقت، وإن العقيدة التي جددها الإمام المجدد لا تصلح اليوم، وهي عاجزة عن معالجة الشرك السياسي أي الشرك في الحاكمية، كذبوا والدعوة أول ما عالجت الشرك في السياسة؛ لأن الإمام أول من نفذ الحكم على من اعترفت بجريمة الزنا في العيينة، بسبب هذه الحادثة أخرج إلى الدرعية أي أن الدعوة كانت شاملة، الدعوة إلى إخلاص العبادة لله والدعوة في الحاكمية وتجريد المتابعة لرسول الله عليه الصلاة والسلام دعوة عامة شاملة، أعداء هذه الدعوة حاربوا كثيراً، عالميا فعجزوا وأخيراً وجدوا في شبابنا من ينفذون إرادتهم بواسطتهم، هيجوا شبابنا الذين أصبحوا دكاترة، هيجوهم ضد هذه العقيدة فصاروا يحاربون العقيدة بشبابنا، هذا هو واقعنا اليوم، بشبابنا أي: ببعض شبابنا وبدكاترتنا من تلاميذنا الذين وصلوا إلى درجة الدكتوراه، ولكن النزعة السياسية ربطتهم بأولئك الذين من الخارج، يعادون هذه الدعوة ولم يستطيعوا أن ينالوا منها، صاروا ينفذون ما يريدون بواسطة هؤلاء فلينتبه لهم، الدفاع عن منهج السلف وتحذير السلفيين من أن لا ينخدعوا بهذا التهييج السياسي العام، هذا أمر واجب على كل داعية، وعلى كل مصلح، شبابنا على خطر؛ لأنه كما قلت في الدرس السابق نشئوا في الخير ولم يعلموا من الشر شيئاً، الشاب الذي نشأ في الخير ولا يعرف الشر يخدع وهذا هو الواقع الآن للأسف"(١).

وقال أيضاً:**"فعلى طلاب العلم في هذا العصر، وقد ظهر التساهل أو عدم المبالاة في مجالسة أهل البدع ومجاملاتهم: أن يعيدوا النظر في موقفهم المتساهل الذي يدل على ضعف الغيرة، وعدم المبالاة بالمنكر والبدع، عملاً بنصيحة إمام أهل السنة**

---

(١) راجع الإجابة على الأسئلة بعد شرح التدمرية الشريط (١٥) و (أ).

وقامع البدع الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ورضي عنه، وأن يختاروا لأنفسهم من يجلسون إليهم من الأساتذة والمشايخ الذي يرضون عقيدهم وأخلاقهم وصدق تمسكهم للسنة؛ ليطلبوا العلم على أيديهم؛ فليحذروا المبتدعة من أهل الكلام والمتصوفة، ومن الروافض وغيرهم، خشية أن يتأثروا ببدعتهم، فتفسد عقيدهم، وهم لا يزالون غير ناضجين.

ولا يختلف اثنان في أن للأستاذ تأثيراً ملموساً في تلميذه إذا لازمه مدة طويلة، وأقل ما يصاب به الطالب الذي يطلب العلم على أيدي المبتدعة أن تخرج من قلبه كراهة البدع والمعاصي والمخالفات، ويفقد واجب الحب في الله والبغض في الله، ولا يبالي جالس سنياً أو مبتدعاً، وإنما الحكم عنده لما يظنه مصلحة للدعوة، يدور معه حيث دار، والله المستعان، وذلك من علامات مرض القلب الذي يؤدي إلى نوع من النفاق عياذاً بالله"(١). والشيخ رحمه الله في تحذيره من هذه الظاهرة، متبع لسلف الأمة في ذلك(٢).

وقد بين الشيخ رحمه الله سبب شدة الاهتمام بهذا الجانب بقوله:"**وإذا ضعف الدعاة دعاة الحق من القيام بالرد على المبتدعة والدفاع عن العقيدة، وجاملوا أو جبنوا ظهرت البدع وفشت وانتشرت كما هو الواقع، في دراستنا في الليالي السابقة في الفتوى الحموية أدركنا موقف الأئمة من أهل الفرق لكل إمام من الأئمة الذين ذكر شيخ الإسلام في النقول التي مرت بنا من التابعين وتابعي التابعين، لهم موقف حاسم، ورد قوي ومناقشة مفحمة، ولما ضعف الرد عليهم، وربما جهل المنهج نفسه، منهج السلف واختلط الأمر على كثير من الناس، كثرت الجماعات ولا تزال تكثر، والله المستعان**"(٣). وكل ذلك بسبب التساهل في القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٨٥-٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣٢/٢.

(٣) شرح التدمرية الشريط (٢٦) و (ب).

المنكر، واستخدام معاول التخذيل؛ خشية تنفير الناس —زعموا– ويحضرني في هذا المقام سؤال وجه للشيخ رحمه الله يقول السائل:"إذا رأينا -صاحب منكر- هل نبادر بالإنكار عليه أو نستفسر؟ فأجاب رحمه الله بقوله:"**هكذا يبدأ تمييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال لهم: لا تبادروا، خلو الناس، لا تنفروا الناس، لا تقولوا: هذا حلال، هذا حرام، هذه بدعة – تنفروا الناس– لا. اعمل بقوله عليه الصلاة والسلام: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده) احفظ الدرجات لا تبادر إلى إنكار المنكر باليد في غير سلطتك، فإذا كنت في محل سلطتك في بيتك ومن له سلطة في إدارته في مكتبه في مركزه يزيل المنكر باليد ومن ليس لديه سلطة ينكر المنكر باللسان ثم بالقلب؛ ولكنه لا يؤخر لابد أن ينكر**"[1].

ومن الملفت للنظر أن داء التخذيل يسري على حين غفلة إلى صالح المسلمين[2]، فتارة يعدون الرد على المخالفين غيبةً، وتارة يعدونه غمطاً للحسنات، وتارة..الخ. وسأكتفي بجواب الشيخ عن ذلك حين سُئل عن حكم الغيبة، وهل تقييم الرجال أن تُذْكَرَ عيوبهم وأخطاؤهم دون أن تذكر محاسنهم؟ وهل ذكر أخطائهم من الغيبة؟ فأجاب بقوله:"**هذه مسألة عظيمة جدا وفقهية، يجب أن يفهم طلاب العلم يوجد فرق بين التقييم والتحذير، فموقفنا هنا عندما نتكلم في هؤلاء الذين يتهجمون على الإسلام عقيدة وشريعة، ويتهجمون على كتب العقيدة، موقفنا موقف الدفاع وليس موقف التقييم؛ لأننا لا نقيم هنا حتى نتتبع حسناته وسيئاته، ولكننا ندافع عن العقيدة وعن الإسلام، فهؤلاء الذين يريدون أن يغيروا الإسلام باسم التجديد يسموهم مجددين؛ وهم مغيرون وينالون من العقيدة، وينفرون من العقيدة، فالكلام في هؤلاء ليس بغيبة بل نصيحة، هو نصيحة للشباب ونصيحة للمسلمين، ونصح لدين الله، ونصح لكتاب الله، ونصح لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لأن هؤلاءِ ينالون حتى من رب**

---

(١) إجابة السؤال من شريط بعنوان (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

(٢) انظر: الرد على المخالف للشيخ بكر أبو زيد.

العالمين ومن صفاته، وينالون من رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن أصحابه، وينفرون المسلمين من عقيدهم.

فالكلام في هؤلاء أقرب ما يكون من باب الجرح والتعديل، فعلماء الجرح والتعديل هم ناصحون، ناصحون للمسلمين، وناصحون للسنة، ومدافعون عن السنة، فهم يقولوا فيمن يكذب على رسول الله عليه الصلاة والسلام أكثر مما قلنا في هؤلاء، ويقولون في الوضاعين والكذابين ويسموهم بأسمائهم: ففلان كذاب، وفلان وضَّاع، وفلان مُدَلِّسْ وفلان رافضيٌ خبيثٌ.. وهكذا يستعملون هذه الألفاظ لأولئك الذين ينالون من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ويكذبون على رسول الله عليه السلام...

الشاهد يعتبر كلامنا في هؤلاء من هذا الباب، فلا غيبة ولا حب التشهير، ولا حب النيل منهم، بل نتمنى من كل قلوبنا لو أهم اهتدوا لتركوا هذا الموقف، وذكرتُ لكم أن بعضهم كنتُ أعرفهم عندما كان مستقيماً، كنت أحبه في الله، ولكنه انحرف فحارب الإسلام حرباً شعواء، فكرهته في الله كما كنت أحبه في الله، فيجب أن أنصح الناس من شره وأنفر الناس من كتبه، ومن أشرطته، وأُبَيِّنَ ما فيها نصحاً للمسلمين وأداءً لواجب النصح، أما كوهم يعدون هذا غيبة، لا، ليس هذا من الغيبة في شيء"(١).

وسئل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عن سبب رده على الترابي وعدم ذكر حسناته، فقال:"**جوابي هذا جواب مَن درس الرجل ودرس كتبه، وتتبع أقواله وعرف ماضيه وحاضره،كان في ماضيه رجلا طالب علم مستقيم، فأما اليوم فهو ملحد هكذا بالصراحة**(٢)**؛ لذلك**

---

(١) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية) الشريط (٢).

(٢) للترابي أقوال منكرة ومزاعم كفرية أساسها دعوته التجديدية العقلانيه، التي اشتملت على تهكمات بالسنة النبوية. ومن آرائه: إباحته للردة، وعدم إقامة الحد على المرتد. وزعمه أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً الكفر الإعتقادي!! إنما كفرهم من قبيل الكفر العملي. ودعواه إلى توحيد الأديان على أساس الملة الإبراهيمية، وتحت راية الحزب الإبراهيمي!! ولا يؤمن بنزول عيسى عليه

ما دام وصل إلى هذه الدرجة لا داعي لتعداد حسناته الماضية، وقد ذكرتُ في محاضرتي كيف عرفته وكيف كان، يكفي ذلك"[1].

وقد اشتمل جواب الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على جملة من الشروط والآداب في الرد على المخالفين، منها: وجوب النصح لدين الله وعدم المجاملة بالسكوت عن الباطل، ولو صدر من أقرب قريب.

ومنها: أن يكون القصد ابتغاء وجه الله والنصح له ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ومنها: مجانبة التشهي والنيل من المخالفين.

ومنها: فتح باب العودة للمخالف وتمني رجوعه وتوبتة.

ومنها: تمام العلم بالمأخذ على صاحب المخالفة.

وقبل أن أختم هذه المسألة يحسن التنبيه على أن هذه الحسنة (الرد على المخالف) -وخصوصاً ما يتعلق بالرد حماية للمعتقد-، لا يعكر صفوها ما أحدثه بعض المتهورين

=

السلام آخر الزمان. هذا بالإضافة إلى استعماله للألفاظ القبيحة مع الله جل وعلا، وأنبيائه عليهم السلام والصحابة الكرام رضي الله عنهم، وصحابة رسول الله: كقوله بأن : "يونس شرد" " وإبراهيم كان " يبحث عن ربه " أو قوله عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم : " الرسول صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا يوح إليه، ما حيفسر القرآن لهذا اليوم: لأنه لا يعرف هذا اليوم"!، وكقوله عن ابن عباس رضي الله عنهما "ابن عباس زروه". زعمه أن الصحابة ليسوا عدولاً كلهم. قوله عن حديث (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم ..) بأنه: "يأخذ فيه برأي الطبيب الكافر، ولا يأخذ فيه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم!!

هذا بالإضافة لإنكاره لجهاد الطلب، وإنكاره لعصمة الأنبياء! وحصره العصمة في عصمتهم من الناس فقط. وإباحته للغناء ، وتضليله الشباب بقوله: إن الاشتغال بالغناء والموسيقى عبادة !! (كما في رسالته: حوار الدين والفتزعمه أن العقيدة لا ينبغي أن تكون سلفية. انظر: نظرات شرعية في فكر الترابي لسليمان الخراشي.

(١) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية) الشريط (٢).

من تجاوز غير مرضي؛ فإنه ما من حسنة إلا وللشيطان فيها نزغتان، إما إلى إفراط وإما إلى تفريط. وكما كان للشيخ قدم السبق في التحذير من ظاهرة التفريط والتخذيل والتخدير، فقد كان له السبق في التحذير من ظاهرة الإفراط والغلو والتجاوز، فكم حذر ووجه من إطلاق اللسان دون تروٍ ولا حسبان، وكم حذر من الجرأة دون حق، وكم نبه على خطر المتبعين لهذا المسلك، بل إن واقع الشيخ العملي وشهادة العلماء له، خير شاهد على ما أشرت إليه، ولا بأس من عرض نموذج به يتضح المقال: سئل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"إنَّ بعض الشباب كلما ذُكِرَ عندهم الحافظ ابن حجر يقولون:" إنه اشعريٌّ" فيريد توضيح عقيدة هذا الإمام وغيره من الأئمة الذين قد زلوا في بعض العقائد، فيطلب السائل إزالة الغبش على حد تعبيره في هذه المسألة؟ فأجاب الشيخ.. ثم قال:"**وإطلاق اللسان عليهم بكل جرأة إنهم مبتدعة، وأن من لم يبدعهم فهو مبتدع، هذه جرأة جديدة من بعض الشباب الذين أصيبوا بنكسة الحداد**[1]**، فنسأل الله تعالى أن يهدي قلوبهم، ويردهم إلى الصواب، وهم اخطئوا كثيراً، وابتعدوا كثيراً عن الجادة، فصاروا يبدعون الأحياء والأموات على حدٍ سواء، كبار علمائنا الذين يحضر مجالسهم طلاب العلم وغيرهم، طلاب العلم وغيرهم، السلفيون والخلفيون على حدٍ سواء، الذين**

(١) المقصود محمود بن محمد الحداد المصري، وقد كان من المحسوبين على السلفيين؛ لكونه كان يشتغل بتحقيق كتب الحديث وصنع فهارسها، ومع إقامته في الرياض إلا أنه لا يعرف عنه التتلمذ على كبار علمائها، وله آراءٌ غالية وخطيرة تتبنى الغلو الشديد في التبديع، فله موقف متعنت في جماعة من أهل العلم كأبي حنيفة والنووي وابن حجر -رحمهم الله- وتعدى ذلك الموقف إلى إحراق كتبهم، وتبديع مَن لم يبدعهم، ولم يسلم منه أئمة الإسلام كابن خزيمة وابن تيمة وغيرهم من المعاصرين. راجع: شريط بعنوان: (القول المستجاد في الرد على مجازفات محمود الحداد) للشيخ الجامي، ثم توالت الردود عليه من العلماء وطلاب العلم الذين جلهم من طلبة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: (مجازفات الحداد)، و(منهج الحدادية) للشيخ ربيع المدخلي، (والتحقيق والإيراد في بيان أخطاء الحداد) ملحوظات على كتاب عقيدة أبي حـــاتم وأبي زرعة للشيخ صالح السندي، (التنبيه والإرشاد لتجاوزات محمود الحداد) للشيخ عبد الله البخاري -مضروب على الآلة الكاتبة وانتشر مصوراً عام ١٤١٤هـــ.

يستفيدون من مجالسهم، مجالسهم مجالس العلم والمذاكرة يُبَدِّعُونَهُمْ بدعوى أنهم يجالسون المبتدعة، وهذا الخطأ فشا للأسف بين الشباب في الآونة الأخيرة وخير ما نقوله: – اللهم اهدِ قلوبهم –"(١).

وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ في نصيحة غالية:"**لذلك أقولها حارة هكذا؛ لئلا يتعجل. إياكم والاستعجال، خصوصاً على الأئمة، الأئمة الكبار الذين خدموا السنة وخدموا الإسلام كالإمام الشوكاني والإمام الصنعاني والإمام ابن حجر والنووي وأمثالهم. ولا يمنعنكم ما قد يحصل من التأويل في هذه الكتب في نصوص الصفات – لا يمنعنكم – ذلك من الاستفادة من علومهم الكثيرة الجمّة، فهي علوم نافعة وكتب نافعة فينبغي الاستفادة منها، وما قيل في بعض رسائل الإمام الشوكاني** رَحِمَهُ اللَّهُ:**(الرسائل السلفية) العبارة فيها تسامح ليست سلفية محضة فيها دخن**"(٢).

وقد شدد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ النكير على الحداد، وحذر من سلوك مسلكه، مدافعاً عن الأئمة الذين حصلت منهم زلات، ومنكراً على موقف الحداد ومن تبعه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:"**وأما ما نسمع في هذه الآونة، إذا قيل: إن ابن تيمية قال كذا وكذا، قالوا: لا، ابن تيمية متساهل؛ لأنه يقول: المؤمن الذي فيه البدع وفيه المعاصي يُحَب بقدر ما فيه من الإيمان والعمل الصالح، ويكره بقدر ما فيه من المعاصي والابتداع. يقولون: إذاً لابن تيمية أن يقول: إبليس ينبغي أن يحب ويكره؛ لأن فيه خير وشر، لابن تيمية أن يقول: الخمر تحب وتكره؛ لأن فيها منافع. انظروا على هذه الجرأة، وهذا الجهل المركب. يكتب مثل هذا في كتاب ينشر بين الناس فيباع، موجود في أيدي بعضكم، إلى هذه الدرجة من الوقاحة.**

---

(١) إجابة على سؤال من شريط بعنوان: (قرة عيون السلفية في الإجابة على الأسئلة الكويتية).

(٢) إجابة على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

هذا يكشف عن جهله، وسوء طويته نحو أئمة المسلمين، ولا ينبغي لشبابنا أن يتبعوا كل ناعق مثل هذا؛ حتى يُضلوا، ويسوقهم إلى ما ساق جهيمان الشباب كما تعلمون في ما مضى؛ هذا ما نخشى في هذا الوقت"(١).

والمقصود مما سبق أن الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ وطلابه أول من حارب غلو الحداد ومن سار على شاكلته، كما كان له الدور البارز في الرد على المخالفين للعقيدة، والحذر من التساهل في ذلك.

وبهذه المسألة يتم الكلام على هذا المبحث، وبالله التوفيق.

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٢٤) و (أ).

الفصل الثاني

جهوده في الرد على بعض الفرق

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في الرد على الخوارج.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في الرد على الرافضة.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في الرد على الصوفية.

المبحث الرابع: جهود الشيخ في الرد على الفلاسفة والمتكلمين.

المبحث الأول
جهود الشيخ في الرد على الخوارج

تمهيد

الخوارج فرقة من الفرق الإسلامية، لهم كثير من الآراء الشاذة الخاصة بهم؛ التي فيها التطرف والانعزال عن الأمة الإسلامية، وهم ويزعمون أن عثمان وعلي ومن بعدهم من أمراء المسلمين مخالفون للدين؛ فيجيزون الخروج عليهم والتألب ضدهم[(١)].

وقد حد جماعة من أهل العلم الخارجي: بأنه كل من خرج على إمام من أئمة المسلمين. قال البربهاري رحمه الله:"ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية"[(٢)].

ومن خصائص هذه الفرقة الضالة ما ذكره عنهم شيخ الإسلام رحمه الله بقوله:"ولهم خاصتان مشهورتان؛ فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

أحدهما: خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة...

الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان"[(٣)].

وقد أُلِّفت في بيان حقيقة هذه الفرقة المؤلفات الكثيرة، وكان للشيخ محمد أمان رحمه الله الدور البارز في توضيح فكر الخوارج والرد عليهم، وما سبق في تقريره لمسائل الأسماء والأحكام والإمامة وفق منهج السلف دليل واضح على فضح ما عليه هذه الفرقة الضالة. وسأعرض في هذا المقام ما تيسر الوقوف عليه من جهود هذا العالم في توضيح هذه الفرقة، والتحذير من مظاهرها، موضحاً ذلك في مطلبين:

---

(١) انظر: فتح الباري ١٢/٢٨٣، مقالات الإسلاميين صـ ٨٦.

(٢) شرح السنة ٧٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٩/٧٢-٧٣.

المطلب الأول: الكلام عن الخوارج من حيث النشأة والحكم:

المسألة الأولى: أصل نشأة الخوارج وبعض معتقداهم:

قال الشيخ محمد أمان رحمه الله:"**تعتبر فرقة الخوارج أول فرقة ظهرت في أيام الصحابة**[1]**، وفي عهد علي بن أبي طالب ﷺ بالتحديد، بعقيدهم الجريئة المتطرفة في الجرأة، واتجاههم الشاذ المنفرد، حيث اعتبروا عدم ارتكاب الكبائر أصلاً من أصول الدين والإيمان؛ فانطلاقاً من ذلك صرحوا بجواز الخروج على الإمام، بل كانوا يعتبرون أنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**"[2].

ويتضح من كلام الشيخ رحمه الله أن خروج هذه الفرقة لم يكن مصادفة، أو نتيجة انشقاقهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل إن السبب لخروجهم هو اختلال في العقيدة، وآراء خاطئة –اعتقدوا صحتها- متأصلة في نفوسهم. وصدق الشيخ لما قال :"**وقد ظن الخوارج أنهم على شيء فيما ذهبوا إليه؛ عندما خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وقاطعوا المهاجرين والأنصار الذين نطق بهم القرآن وبه نطقوا، وقام بهم القرآن وبه قاموا، وهم خير هذه الأمة، حتى حاورهم حبر الأمة وترجمان القرآن بما رزقه الله تعالى من الفقه في الدين، وأثبت لهم خطأهم بما ساق من الأدلة من الكتاب والسنة؛ فقد تاب على يده عدد لا يستهان به، ألفان من ستة آلاف مقاتل يتهيئون لخوض المعركة، ولكن الله سلم، حيث تاب الله عليهم فتابوا،**

---

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله:" ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون" مجموع الفتاوى ٣٤٩/٣.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٥٨، وراجع التعليق على شرح الواسطية الشريط (٣١) و (ب).

وهلك الباقون بعد إقامة الحجة عليهم بالأدلة التي ساقها ابن عباس رضي الله عنهما[(١)]،الذي بذل لهم من النصح والإرشاد والدعوة إلى الحق بالأسلوب الذي ذكرنا"[(٢)].

وقد صحت الأحاديث الكثيرة في بيان سمات الخوارج والتحذير منهم، بل والترغيب في قتالهم، وصد عدوانهم[(٣)]، قال الشيخ:"**وعلى الرغم من ذلك؛ فقد دخل في دعوة الخوارج خلق كثير، ورمي جماعة من أئمة الإسلام بأنهم ذهبوا مذهب الخوارج**[(٤)]**، وعد منهم غير واحد من رواة الحديث، كما هو معروف عند أهله. هكذا يفعل سوء الفهم وعدم التريث وقلة البصيرة بأهله**"[(٥)].

وينبغي التنبيه على أن الخارجين على ولاة المسلمين ليسوا على درجة واحدة، فالبعض خرج عن اعتقاد فاسد، والبعض خرج عن اجتهاد وتأويل، وأكتفي بقول الحافظ

---

(١) وقد روى قصة محاورة ابن عباس للخوارج النسائي في الخصائص (١٩٠)، والحاكم في المستدرك ٨٢٤/٢ (٢٧٠٤)، وقال: على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى ١٧٩/٨.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٦٢.

(٣) انظر: الأحاديث الواردة في الخوارج: جمع ودراسة، د. عبد العزيز بن عبد الله الهليل، بحث منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية (مجلة علمية محكمة) العدد (١٣). عُني البحثُ بجمع الأحاديث الواردة في الخوارج، وتخريجها، والعناية بألفاظها، ودراسة أسانيدها والحكم عليها.

(٤) وبمناسبة ذكر الشيخ ما نسب لبعض أئمة الإسلام من الخروج على أئمة الجور؛ فإنه لا حجة لأحد في جواز الخروج على أئمة الجور؛ وذلك:

١- لأن النصوص الشرعية الآمرة بالصبر على جور الولاة وعدم الخروج عليهم صريحة وواضحة، فلا حاجة لاتباع من خالفها كائناً من كان.

٢- أنه قد ثبت عن بعض أولئك الأئمة الذين خرجوا عن تأويل أو اجتهاد الرجوع والندم؛ لما رأوا عواقب ذلك، ومن ذلك قول الشعبي رحمه الله: لما عوتب في دخوله في فتنة ابن الأشعث:(تلك فتنة، ما كنا فيها أتقياء بررة، ولا أقوياء فجرة). والله أعلم.

(٥) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٦٢.

ابن حجر رحمه الله في تحقيق ذلك حيث قال:"فإنهم –أي الخوارج– على قسمين: أحدهما من تقدم ذكره–أي الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ومن أتى بعدهم كالأزارقة[١] وغيرهم–.
والثاني: من خرج في طلب الملك، لا للدعاء إلى معتقده، وهم على قسمين أيضا:
قسم خرجوا غضبا للدين من أجل جور الولاة وترك عملهم بالسنة النبوية، فهؤلاء أهل حق[٢]، ومنهم الحسين بن علي وأهل المدينة في الحرة والقراء الذين خرجوا على الحجاج، وقسم خرجوا لطلب الملك فقط سواء كانت فيهم شبهة أم لا وهم البغاة"[٣].

وقد سبق[٤] أنه لا يجوز الخروج على ولاة أمور المسلمين وإن جاروا وظلموا؛ فإن مسألة الخروج مضبوطة بضوابط الكتاب والسنة، قال الشيخ رحمه الله:"**ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا وإن ظلموا، ظلم ولي الأمر لا يبيح الخروج عليه، بل الواجب الصبر على ظلمه، ولو أخذ مالك وضرب ظهرك ما لم تؤمر بمعصية، عليك الصبر...لا يجوز الدعوة عليهم ولعنهم وسبهم والتشهير بهم غير جائز؛ لأن كل ذلك يؤدي إلى تشتت المسلمين وتفرق كلمتهم**"[٥].

ولهذا كان بعض السلف[٦] يقولون: (لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان). قال الشيخ محمد أمان رحمه الله مبيناً عدم جواز"**الدعوة عليهم ولا لعنهم ولا سبهم ولا التشهير بهم: الواجب الدعاء لهم بالصلاح بأن الله هو الذي يصلحهم، وهو**

---

(١) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج تنسب لرجل يقال له نافع بن الأزرق، وتعتبر من أعنف فرق الخوارج وأشدها تطرفاً، وتعتبر بدايات تميز هذه الفرقة بالاراء الشاذة في حدود ٦٤هـ. انظر: مقالات الإسلاميين صـ٨٦، التبصير في الدين صـ ٤٥.

(٢) والمراد أن طلبهم إزالة المنكر وفعل المعروف، وهذا حق، لا أن خروجهم لأجله حق؛ لأنه نقل الإجماع على عدم جواز الخروج على الولاة بالظلم والمعاصي.

(٣) فتح الباري ٣٥٧/١٢.

(٤) انظر: مبحث جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالإمامة صـ٥٨٩.

(٥) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٧) و (ب).

(٦) ورد مثل ذلك عن الإمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهم انظر: السياسة الشرعية صـ٢٣٣.

الذي يعافيهم، وقد يكون فسادهم وعدم صلاحهم عقوبة للمجتمع، على المجتمع الذي ابتلي بولاة أمور غير صالحين، عليهم أن يدعو الله أن يصلحهم، وأن يدعو لهم بالمعافاة والصلاح، لا الخروج عليهم ولا الدعاء عليهم؛ لأن الأمر بيد الله هو الذي يصلح من يشاء، وينزع التوفيق ممن يشاء"(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: "ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف، وإن كان فيهم ظلم؛ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال، ولا فتنة فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته، والله تعالى لم يأمر بقتال كل ظالم وكل باغ كيفما كان، ولا أمر بقتال الباغين ابتداء، بل قال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ فلم يأمر بقتال الباغية ابتداء فكيف يأمر بقتال ولاة الأمر ابتداء"(٢).

---

(١) التعليق على شرح الطحاوية الشريط (٥٧) و (ب).

(٢) منهاج السنة ٣/٣٩١.

المسألة الثانية : حكم تكفير الخواج:

اتفق المسلمون على ذم الخوارج وتضليلهم ووجوب قتالهم[1]، وأما مسألة تكفيرهم أو عدمه فهي من أشد المسائل إشكالاً، وقد لخص الشيخ القول في هذه المسألة بقوله:"**مسألة تكفير الخوارج وتكفير المعتزلة من أصعب المسائل في هذا الباب، الخوارج كما قال بعض أهل العلم إنما فروا من الكفر؛ أي لم يتعمدوا الكفر، ولم يضمروا النفاق، وإنما انتقدوا على عليٍّ بعض المسائل ولهم شبهة في ذلك، وجود الشبهة –بما في ذلك الجهل وعدم الفقه في الدين– هذه المعاني جعلت بعض أهل العلم يتوقفون في تكفير الخوارج**"[2].

والشيخ رحمه الله يميل إلى القول بعدم تكفيرهم، وهو قول جمهور السلف[3]، وأدلة الفرقين ومناقشتها مبسوطة في مظانها[4]، والله أعلم.

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ١٧٠/٧ ، منهاج السنة ٢٢٣/٢.

(٢) التعليق على نيل الأوطار الشريط (٢٢) و (ب).

(٣) انظر: منهاج السنة ٦٣/٣، فتح الباري ٣٠٠/١٢، المغني ١٠٦/٨.

(٤) وانظر: الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم صـ ٢٠٢-٢٠٨.

المطلب الثاني: جهود الشيخ تجاه مظاهر التهييج السياسي في الوقت الحاضر:

إن مما ابتليت به الأمة الإسلامية في هذا العصر هو انتشار الفكر الضال والتهييج السياسي المتأثر بآراء الخوارج في أوساط المجتمع، والمتأمل في واقع الحاملين لهذا الفكر يجد أنهم على نهج الخوارج سالكون، وللحكام مكفرون، وفي العلماء مزهدون، وللعامة والشباب مهيجون، وقد كان العلامة محمد أمان رحمه الله من أوائل من تفطن لهم، وكانت له جهود مشكورة في توجيه الشباب، وتحذيرهم من الفكر المنحرف؛ الذي يؤدي إلى زعزعة الأمن وتفكك المجتمع، ومواقفه رحمه الله في أحداث الحرم عام ١٤٠٠هـ[١]، وأحداث الخليج ١٤١١هـ، معروفة مشهورة، جاء في جريدة المسلمون في مقالة نشرها أحد طلبة العلم بعد وفاة الشيخ رحمه الله:"فقد نفع الله بتدريسه في المسجد النبوي الشريف نفعاً عظيماً –باستماعه مباشرة وبواسطة التسجيل- وخصوصاً في تخفيف فتنة أحداث الخليج الأخيرة- على الأمة على الشباب؛ بتبصيرهم فيما كان يجب عليهم، حيث اجتهد في توجيههم إلى إرجاع الأمور إلى أهلها من العلماء والولاة منطلقاً في ذلك كله من قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ "[٢].

وسأبين المظاهر التي وضحها الشيخ، وحذر من عواقبها، وفق المسائل الآتية:

---

(١) انظر: افتتاحية مجلة الجامعة العدد (٤٥) سنة ١٤٠٠هـ.

(٢) نقلاً عن سيرة فضيلة الشيخ الجامي صـ ١٠٩.

المسألة الأولى: الزهد والتزهيد في العلم والعلماء:

لما كانت بدعة الخوارج أول الفرق ظهوراً، وكان أصل منشئها عدم التزام فهم العلماء، بل والنيل منهم، صار ذلك الأصل سنة سيئة لكل مبتدع جاء بعدهم[1].

ولاشك أن من أبرز سمات أولئك القوم الذين ورثوا تلك الأصول التي منبعها فكر الخوارج القديم، الزهد في العلماء والنيل منهم، وقد كان الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن أدرك خطرهم، وها هو يحكي بمرارة جرأة القوم على العلماء[2]بسبب التهييج السياسي فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**ابْـــتُلِيَ بِهِ شبابنا في هذه الأيام بسبب هذا التهييج السياسي المحيِّر. أوقع هذا التهييج كثيراً من شبابنا من الوقوع في أعراض كبار العلماء- أهل الفتوى والقضاء والعلم؛ العلماء- العلماء الربانيون الذين يستفيد من علمهم المسلمون في الداخل والخارج. يُتْهَمُون بالمداهنة والعمالة!! ومعنى المداهنة والعمالة في لغة هؤلاء:(أن من لا يسب الحكام ومن لا يسيء إليهم، ومن لا يتتبع هفواتهم وأخطائهم ومن لا يشهِّر بهم، ومن يذكرهم بخير ويقدم لهم النصح ويدعوا لهم)، هذا معنى المداهنة في لغة هؤلاء ومعنى العمالة.**

كم أفسد التهييج السياسي قلوب الناس؟!! إذا وقع مفهوم المداهنة عند الشباب: أن أي عالم يذكر الحكام بخير، ويدعو لهم، ويذكر ما لهم من المحاسن الواقعة الملموسة، و يكف عن التشهير بهم في محاضرته في خطبه، ويحاول أن يقدم النصح بأي طريقة فيما هو واقع من الأخطاء والتقصير والمخالفات والمعاصي المنتشرة، ولا يقف موقف التشهير، ولكنه يقف موقف النصح إما مباشرة أو بواسطة، إذا كان من يقف هذا الموقف يتهم بالمداهنة!!

هذا هو الموقف الشرعي السديد الذي يأمر به الإسلام؛ وهو عدم التشهير بالحكام وعدم الوقوع في أعراضهم وعدم إثارة السفهاء ضدهم، وتقديم النصح لهم

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٨/٤٩٧.

(٢) وهذه أول المراحل التي يقوم بها أصحاب تلك الأفكار؛ حتى يخلو لهم الجو فتروج بضاعتهم.

بأي وسيلة من الوسائل الممكنة، والدعاء لهم، وذكر ما يقومون به من المحاسن وخدمة الإسلام، فإن كانت هذه هي المداهنة فجميع علماء أهل السنة والجماعة؛ الذين جانبوا التهييج والإثارة كلهم مداهنون وكلهم عملاء ويتصفون بالعمالة، العمالة هذه أسلوب جديد!! وعلى كلٍّ هذا الموقف مؤسف جداً؛ لأنه تصورٌ ما كنا نتوقع أنه يقع بين شبابنا مثل هذا التصور؛ ولكنه وقع"[1].

وقد بين الشيخ السبب الذي حدا بكثير من المهيجين للنيل من أهل العلم، في إجابته على سؤال وجه إليه يقول ما رأيكم فيمن يقول:" إن علماء هذا البلد لا يعرفون شيئا مما يدور حولهم؟" الخ.. تلك الألفاظ النابية التي لا أستحسن ذكرها؟ فأجاب الشيخ رحمه الله بقوله:"**أقول هذا أسلوب المنفرين للشباب الذين يحاولون تنفير الشباب من العلماء، ثم بدؤوا في هذه الآونة الأخيرة أن يضربوا العلماء بعضهم ببعض، فهذه فتنة من فتن الحركيين السياسيين الذين يخافون من تأثير العلماء في الشباب والمجتمع، فهم يريدون أن ينالوا من العلماء؛ لئلا يؤثروا في فريستهم الشباب، والعلماء يحاولون أن يحولوا بينهم وبين فريستهم، إذن لا بد من العلماء ويتهموهم بالمداهنة!! وأنهم لا يعرفون شيئا مما يحدث في العالم، يا سبحان الله!! أليس العلماء هم الذين على اتصال بالعالم الخارجي؟؟ أما تستمعون إلى "نور على الدرب"؟؟ تأتي الأسئلة الدينية من العالم كله تجد العلماء يجيبون على أسئلتهم، ومع ذلك لا يعلمون شيئا مما يدور حولهم!! يعلمون ما يدور في العالم كله. لماذا هذا الموقف الرخيص؟ موقف إنسان لا يراقب الله، يقول هذا القول في أهل العلم"**[2].

والعجيب أنه بلغ الأمر بكثير منهم إلى الزهد حتى بالعلم الذي يحمله العلماء؛ انشغالاً بالسياسة عنه، يقول الشيخ رحمه الله:"**بالاختصار إن صغار الطلبة في هذا الوقت للأسف شغلوا، حيث شغلوا بالسياسة ولا يعرفون معنى السياسة، فكثيراً ما يأتيني**

(١) من جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

(٢) جواب على سؤال راجع: المصدر السابق.

الطلاب في مقري عندما أنزل هنا[(١)] وفي الرياض وفي الخرج، كنت أتوقع منهم يسألوني أسئلة علمية، فإذا هم يسألون حول التهييج وحول الجماعات والأفكار، شغلوا"[(٢)].

ولابد لهذا التغير الذي حصل لكثير من الشباب من أسباب ومن تلك الأسباب ما ذكره الشيخ حين قال:**"السبب تساهل دعاة الحق في أول الأمر؛ عندما بدأ المهيِّجون يعملون في صفوف الشباب، تساهل دعاة الحق وتركوا لهم الميدان، خلا لهم الجو حتى أفسدوا قلوب كثيرٍ من الشباب فأبعدوهم من العلماء، فضربوا الشباب بعضهم ببعض ووزعوهم على الانتماءات: إخواني، سروري، تبليغي، تحريري، نِسَبٌ ما كنا نعهدها في هذا البلد، هذا البلد عُرِفَ بالوحدة والتوحيد منذ أن جَدَّدَ الله لهم دينهم بهذا التجديد المبارك، عُرِفَ هذا البلد بالوحدة؛ وحدة الصف وبالتوحيد وبالتحابب وبالتعاون؛ لكن قدر الله وما شاء فعل"**[(٣)] وقال أيضاً:**" المسؤولية مسؤوليتنا ولا عتاب على شبابنا؛ لأننا تركناهم فريسة للمهيجين فاسأل الله لي ولكم الثبات أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويرزقنا الإخلاص فيما نقول، وأن يحفظ علينا ديننا وعقيدتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه"**[(٤)].

وقد قدم الشيخ رحمه الله حلولاً كثيرة قام بها في شتى أنحاء البلاد السعودية وخارجها، ونفع الله بها نفعاً عظيماً، ومن ذلك بذل النصائح والتوجيهات لمن وقع في شباك الحركيين، يقول الشيخ رحمه الله:**"وعلى كلٍّ لا نيأس؛ لأن الأمر ليس بعامٍّ، يوجد بحمد الله عدد كبير جداً من شبابنا الصالحين؛ كما استنتجتُ ذلك من لقاءاتٍ متكررة في مدينة الرياض وفي الخرج، وجدتُ أن عدداً كبيراً من الشباب يسوؤهم هذا الموقف[(٥)]؛**

---

(١) يحتمل أنه يقصد المدينة، والظاهر أن المراد جدة، فكأن الأسئلة سجلت عندهم. والله أعلم.

(٢) من جواب على سؤال راجع شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

(٣) المصدر السابق.

(٤) آخر جواب على أسئلة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة في الدعوة إلى الله).

(٥) أي التهييج السياسي.

ولكن وجود عدد قليل في شبابنا يحملون هذه الفكرة يُحْزِنُ جداً وإن كان العدد قليلاً، فينبغي الحرص على نصحهم وإصلاحهم، وهذا واجب طلاب العلم وواجب العلماء، وواجب العقلاء، أحياناً بعض العقلاء وإن كانوا أقل علماً من العلماء قد ينفع الله بهم كثيراً -العقل نور- الإنسان العاقل والوالد العاقل والأستاذ العاقل وإن كان قليل العلم، قد يصلح ما لا يصلح كثير ممن لديهم علم كثير؛ لذلك يجب التعاون بين العلماء وبين العقلاء للإبقاء على شبابنا وللقضاء على هذه الفتنة، فتنة التهييج"[1].

ومن تلك الحلول التي عرضها الشيخ قوله:"**ومن أراد طلب العلم ينصرف كلياً [عن دعاة]**[2] **التهييج ويبدأ بِحفظ صغار الكتب يبدأ بالأصول الثلاثة ولا يُصْغِي لقولِ المهيجين الذين يقولون إلى متى؛ نقول:"اعلم رحمك الله"؟ إلى متى؟ حتى تموت تقول هذا الكلام، وإذا متَّ في القبر تسأل عمَّا كنتَ تسخرَ منه، من ربك وما دينك ومن نبيك؟ تسخر من هذا في حياتك، وسوف تسأل عما سخرت منه في قبرك، فأول ما تُسئَلُ، تُسئَلُ عن مضمون الأصول الثلاثة.**

ولا تصغِ إلى هذا التهييج الضار ...فاحفظوا هذه المتون، ثم تعرضون على المشايخ وعلى طلاب العلم، ثم تنتقلون إلى ما هو أطول فأطول، تبدأ بصغار العلم حتى تصلوا إلى كبار العلم – إن صح التعبير– وهكذا يتدرج الذي يريد طلب العلم، ولا يسمع أبدا فيما يجري حوله من هذه التهيجات.

قد يقول قائل في نفسه:"هل معنى ذلك تريد أن نعيش منعزلين عن العالم لا نعلم فقه الواقع؟؟ أما فقه الواقع فاسمع الإذاعة واطَّلِع على الجرائد أحياناً، ففقه الواقع يأتيك

(١) من جواب على سؤال راجع شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

(٢) في الأصل كلمة غير واضحة ولعلها ما أثبت.

وأنت ماشٍ في الشارع، وأنت في سيارتك وأنت في بيتك، لا تتكلف تعلم فقط – عليك بالعلم"[1].

المسألة الثانية: رفع المتعالمين إلى مصاف العلماء بدعوى فقه الواقع:

يعد هذا المظهر مكملاً لسابقه؛ فإنه إذا تم التزهيد في العلماء الراسخين، فلابد للناس من يحل محلهم، فشيخوا من يوافق ما ذهبوا إليه؛ بشعارات براقة كفقههم للواقع وغيرها من العبارات؛ التي يرفعون بها من يروج لهم فكرهم، ويناصر حزبهم، والله المستعان.

قال الشيخ رحمه الله:"**(لا يعرفون الواقع): عبارة تقليدية، كبارهم يلقنون صغارهم والصغار يبلغون، العلماء –كبار العلماء– أصبحوا علماء الحيض والنفاس، يتحدثون على الحيض والنفاس ولا يعلمون الواقع!! انتقاص ليس بعده انتقاص لأهل العلم والفضل؛ الذين علموهم وتخرجوا على أيديهم، وكانوا في جاهلية جهلاء، ولما تعلموا وتدكتروا**[2] **–إن صح التعبير– رجعوا على مشايخهم وعلمائهم يطعنون فيهم:**

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني[3]

هذا جزاء سنمار[4]**، من الدكاترة الصغار الشباب الذين يطعنون في كبار العلماء. إن المراهقين السياسيين والمراهقين الدعاة هم الذين شوشوا على شبابنا**

---

(١) من جواب على سؤال راجع شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

(٢) أي أصبحوا يحملون شهادة الدكتوراه.

(٣) البيت لمعن بن أوس، وقيل لمالك بن فهم الأزدي، وقيل لعقيل بن علفة. انظر: لسان العرب ٢٠٨/٣، وقد جرى مجرى المثل؛ ولذلك ذكره الميداني في مجمع الأمثال ١٥٤/٣.

(٤) قال صاحب مجمع الأمثال:"أي: جزاني جزاء سنمار، وهو رجل رومي بنى الخورنق الذي بظهر الكوفة للنعمان بن المنذر، فلما فرغ منه ألقاه من أعلاه فخر ميتاً، وإنما فعل ذلك؛ لئلا يبني مثله لغيره، فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإساءة الإحسان" مجمع الأمثال ٤٠٧/١-٤٠٨.

وبلبلوا أفكارهم؛ لأنهم هم الذين دائماً على اتصال بالشباب.

نصيحتي لشبابنا: ألا يصغوا لكل ناعق وأن يحترموا كبار علمائنا. علماؤنا الذين تعلمنا على أيديهم ولازال أكثرهم على قيد الحياة، لهم فضل بعد الله في بقاء العقيدة والإسلام والأخلاق في هذا البلد، يدافعون ولا يزالون يدافعون، وهؤلاء الذين يقعون في العلماء لا يعرفون هدي رسول الله ﷺ في كيفية تقديم النصح لولاة الأمر، هذا الجهل الذي ظنوه علما هو الذي أوقعهم في إساءة الظن بكبار العلماء، والطعن فيهم بالجمود والمداهنة، وثم الطعن في ولاة الأمور هؤلاء القوم لهم زملاء جماعات في خارج هذا البلد...

لولا الله ثم ما يقوم به كبار العلماء في هذا البلد منذ عرفناهم لكانت الحياة اليوم غير هذه الحياة، وهم سد منيع أمام الفتن، أمام الشرك، أمام الخرافات، أمام الأخلاق الفاسدة التي يحاول أعداء الإسلام والمسلمين أن تتسرب إلى مجتمع هذا البلد الطيب الطاهر، لولا الله ثم وقوف العلماء هذا الموقف لكنتم تعيشون اليوم غير هذه العيشة وغير هذا الجو(١)، اعرفوا لعلمائكم قدرهم ومكانتهم وجهادهم... "(٢).

وبذلك يتضح أنه لا ينبغي الاغترار بمن تصدر للفتيا دون العلم بحاله؛ (فإن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم).

قال الشيخ رحمه الله:**"وليس كل إنسان يحسن الاستنتاج من الأخبار مما يسمع مما يقرأ، أن يستنتج الآراء الصحيحة السليمة في السياسة، لذلك وإن أطلت عليكم، تحملوا هذه الإطالة لأني أحس بقلق شديد نحوكم في هذه الآونة الأخيرة، ليس لي من الأمر شيء حتى تكونوا على قلب رجل واحد، كنت أتمنى ألا تتأثروا وأن تحسنوا الظن بعلمائكم وبولاة الأمور، وتعتقدوا فيهم أنهم سوف يعالجون القضايا بطرق**

---

(١) وهذا الكلام قبل أن يرى الشيخ بأم عينيه ما يسعى إليه التغريبيون في هذه البلاد من أعمال مشينة؛ لما خلا لهم الجو بعد موت أكثر الأكابر. فإلى الله المشتكى.

(٢) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٣).

حكيمة ومدروسة، وبدون عجلة، هذا ما كنا نعرفه فيهم، ليست سياستهم سياسة خرقاء، بل بتؤدة وبتريث وبتشاور، هذا الذي عرفناه فيهم، ولا نزال نحسن بهم الظن مع كثير الدعاء لهم بالتوفيق، ونحن نعلم عندما نقول هذا الكلام ماذا يقول المراهقون السياسيون والمراهقون الدعاة يقولوا: (لا، هؤلاء يداهنون) نحن نعلم مسبقا ما يقال فينا وفي أمثالنا، (هؤلاء يداهنون ،هؤلاء من الحواشي، من الحاشية)، فلنكن شروحا أو حاشية المهم أن ننصح، أن نبذل النصح قُبِل النصح أو لم يقبل. (الدين النصيحة)[1]، وأنتم في هذا الوقت وفي هذا الجو أحوج ما تكونوا إلى النصيحة المكررة؛ لذلك نكرر لكم النصيحة أن تتثبتوا في هذا الوقت وتتريثوا ولا تستعجلوا، وأن تصرفوا هممكم وأن تشغلوا أوقاتكم في التحصيل، التحصيل التحصيل. للسياسة أربابها وللمحافظة على الأمن أصحابها، ولكن أنتم واجبكم الاشتغال بالتحصيل، لا تزيدوا الشر على الشر بدعوى أنكم تريدوا أن تفعلون الخير، لا، إن انصرفتم إلى تحصيل العلم فعلتم خيرا كثيرا في أنفسكم وفي مجتمعكم، وإن تركتم الاشتغال بالعلم وعلقتم أنفسكم بهذه الحوادث والفتن بالتعليق والتحليل في زعمكم، أين لكم التحليل؟ حتى تستطيعوا أن تحللوا الحوادث لا، اسمحوا لي لا تستطيعوا، تحليل الحوادث والأمور السياسية في مستوى غير مستواكم، لم تبلغوا ولم تنضجوا، أنتم أولادي وأصارحكم: لستم أهلا لتحليل المسائل والقضايا السياسية فوق مستواكم، العاقل من عرف قدره، واجبكم الانصراف إلى التحصيل وإلى الدراسة، مع احترام علمائكم وتقديرهم والاستفادة منهم..فلتحسن الظن بمن هو أعلم منك وأكبر منك سناً وأكثر منك تجربة، دعوا الأمور والقضايا الصعبة لهم، وحصلوا العلم، وبالله التوفيق وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه"[2].

---

(١) سبق عزوه صـــ٥٩٠.

(٢) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٣).

المسألة الثالثة: الطعن في الولاة وتهييج الناس عليهم:

يعد هذا المظهر موضحاً لما سبقه من المظاهر؛ وهو الهدف المراد الوصول إليه، إما لأغراض دنيوية، أو لشبهٍ مبناها على التأويل الفاسد، وهو الطعن بولاة المسلمين بل وبكل من ينكر عليهم ذلك؛ فمن الأخطاء التي يرتكبها السلفيون زعموا أنهم لا يعادون السلاطين، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**هؤلاء الحركيون يقولون:(السلفيون من عيوبهم أنهم دعاة السلاطين، هذا من عيوب السلفيين يعني: لا يعادون السلاطين). وهذا ليس بعيب إلا عند من لا يعرف العيب، (إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقران)[1] السلفيون كما أشرت الآن يقربون من السلطان ومن الأمراء والملوك والزعماء فيبلغون دعوة الله، إن قُبِلَتْ فذاك وإن لم تقبل أدوا ما عليهم، أول من يجب تبليغ الدعوة إليهم أصحاب السلطة –الذي إذا هداه الله هَدَى الله به من تحته– وهو الذي يقوم بالتنفيذ.**

أما معاداة السلاطين ثم الشرود إلى أمريكا وأوروبا والمحاضرات من هناك ماذا تفيد؟ ماذا يستفيد الإسلام والمسلمون من تلكم المحاضرات في أمريكا وأوروبا؟ السب واللعن وتكرار لفظة الجهاد وتزهيد الناس في العلم، وتحريض الناس على التخريب والتدمير، وكثيرٌ من الناس يرون أن هذه هي السياسة بل هذه هي السياسة الهوجاء.

السلفيون سياسيون لكن في السياسة الشرعية الهادئة الهادفة؛ التي تعرف أين تضع الكلمات، السياسة التي تقدر مسؤولية الكلمة، السياسي الذي يعرف كيف يدخل وكيف يخرج وكيف يخاطب متى يتكلم ومتى يمسك، من يعادي ومن يسالم هذه السياسة.

أما التهييج أما السب واللعن والتكفير والتبديع هذه سياسة هوجاء للجهال الذين تخرجوا من كليات العلوم كالهندسة والتجارة وكليات الحقوق، ولم يدرسوا من الإسلام شيئا – فاقد الشيء لا يعطيه – من أين يأتي بسياسة شرعية وهو لم يدرس الشريعة؟!!

(١) نسب شيخ الإسلام هذه المقولة لعثمان بن عفان انظر: مجموع الفتاوى ٤١٦/١١.

الدارسون للشريعة هم أولى بأن يوصفوا بالسياسة، رسول الله عليه الصلاة والسلام يسوس الأمة بإذن الله تعالى بسياسة حكيمة تعلم منه أصحابه والتابعون تعلموا من الصحابة، أليس كان يعيش هنا في المدينة في عهد النبي عليه الصلاة والسلام اليهود والمنافقون مع المسلمين كيف يعيشون؟ وكيف يعاملون؟ استطاعوا أن يعاملوهم معاملة دنيوية بدون محبة أو مودة أو ولاء، ورأى النبي عليه الصلاة والسلام عدم تقتيل المنافقين حتى الظاهرين منهم؛ لئلا يقال بأن محمدا يقتل أصحابه، هذه هي السياسة الشرعية الحكيمة فليبقوا بين المسلمين وهم ضرر على المسلمين ينقلون أخبارهم لكفار قريش وللروم يعملون ضد الإسلام والمسلمين وهم يصلون خلف رسول الله عليه الصلاة والسلام، لكن أي ضررين أخف؟ السياسة الشرعية الحكيمة ارتكاب أخف الضررين فبقاؤهم على ما هم عليه أخف ضررا من أن يكون تقتيلهم سبباً لسد الطريق على الذين يريدون الدخول في الإسلام، ولهذا أمثلة في السياسة الشرعية، ومن أراد أن يدرس السياسة الشرعية فليدرس السنة والسيرة والكتب المؤلفة في السياسة الشرعية كالسياسة الشرعية للإمام ابن تيمية والطرق الحكمية لابن القيم وغير ذلك"(1).

وبذلك تتضح السياسة الشرعية الواجبة على الحاكم والمحكوم، والمقصود أن **"ولاة الأمور نصحهم ليس على المنابر، من له استطاعة أن يذهب إليهم ليأخذ بأيديهم ويجلس معهم في جلسة خاصة هادئة مناسبة لمقامهم ومنصبهم فينصحهم ويقدم لهم كل ما لديهم من النصائح، هذا ما نعرفه في علمائنا ، ولا نزال نظن بهم هذا الظن، ونعتقد فيهم هذا الاعتقاد، إنهم سوف يتصلون بهم، فيقدمون لهم ما لديهم من النصائح، قُبلت أو لم تقبل، هذا الواجب، أما الوقوع في أعراضهم وتشكيك الناس فيهم وإضعاف الولاء بينهم وبين المجتمع، دعوة إلى الجاهلية، دعوة إلى الفتنة"**(2).

---

(1) من إجابة على سؤال من شريط بعنوان: (قرة عيون السلفية بالإجابة على الأسئلة الكويتية).

(2) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (3).

المسألة الرابعة: التحزبات والتكتلات لغير منهج السلف:

لاشك أن التحزب للأهواء والبدع والأشخاص والجماعات دون الكتاب والسنة أحد أكبر أسباب الفرقة والفتنة والخروج، لاسيما إذا كان التجمع والتنظيم خروجاً عن جماعة المسلمين وإمامهم، بل إنه يعد الحجر الأساس للخروج الفعلي؛ يوضح ذلك تكتل أصحاب النهروان في حروراء.

وقد حذر الشيخ محمد أمان رحمه الله من الانتماء للأحزاب فقال:"**وأما انتماؤك إلى هذه الجماعات فهذا انتماء سياسي، لا ننصحك به، بل الذي ننصح به طلاب العلم دون أن نتحامل على هذه الجماعات التي نرى أن وجودها خصوصاً في دولة إسلامية غير جائز؛ لأن الإسلام لا يرى منافسة صاحب السلطة أبدا؛ (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)[1]، الإسلام لا يرى هذه المنافسات، لكن نحن لا نتوسع هنا؛ فنقول لشبابنا: لا تضيعوا باسم السياسة وأنتم لا تعرفون السياسة، واتركوا عنكم الحركات والجماعات، اطلبوا العلم، العلم هو الأساس، ادرسوا تاريخ المصلحين تاريخ الإمام احمد وابن تيمية وتاريخ المجدد مجدد القرن الثاني عشر الذي نعيش أثر تجديده، ماذا فعلوا؟ وكيف تعلموا؟ وكيف بدؤوا دعواهم؟ وكيف صبروا على الأذى؟ ادرسوا تاريخ الصالحين المصلحين، وابتعدوا عن هذه الحركات السياسية المنافسة المدمرة وكونوا طلاب علم. والله المستعان..**"[2].

وهذا التوجيه من الشيخ رحمه الله موافق لما قرره أئمة الإسلام، قال شيخ الإسلام رحمه الله :"فأما الانتساب –أي إلى الجماعات والأشخاص- الذي يفرق المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة والائتلاف إلى الفرقة وسلوك طريق الابتداع ومفارقة السنة والاتباع، فهذا مما ينهى عنه، ويأثم فاعله"[3].

---

(١) سبق عزوه صـــ٥٩٠.

(٢) من إجابة على سؤال من شريط بعنوان: (قرة عيون السلفية بالإجابة على الأسئلة الكويتية).

(٣) مجموع الفتاوى ١١/٥١٤.

وقد عدَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا المظهر من المشاكل الكبرى التي تعرقل سير الدعوة في هذا العصر فقال:"**مشكلتنا شُغِلْنا في هذه الآونة الأخيرة بالجماعات.. وتتكرر الأسئلة عن هذه الجماعات، ما هي السرورية؟ ما هي الجماعة الإخوانية؟ وما هي التبليغية؟ وما هي وما هي؟ الشباب بدلا من أن يسألوا عن المسائل العلمية فيستفيدوا، شغلتهم هذه الجماعات وهذا التحزب والانتماء، شُغِل الشباب للأسف الشديد**"(١).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله:"نحن جماعة واحدة في هذه البلاد، لا نقبل بالجماعات والمذاهب الأخرى المخالفة لمذهب السلف؛ لأنها تفرق جمعنا، وتشتت شملنا، وتسمم أفكار شبابنا، وتحدث العداوة والبغضاء بيننا. فهذه الجماعات إذا دخلت علينا زالت هذه النعمة التي نعيش فيها، نحن لا نريد هذه الجماعات، ما كان فيها من خير فهو عندنا –والحمد لله– وزيادة، ما كان فيها من شر فنحن نريد البعد عنه، ويجب علينا نحن أن نصدِّر الخير للناس"(٢).

وقال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناصحاً وموجهاً طلابه خشية الانخداع بتلك الحركات:"**هذه الحركة ضارة لم يمر علي وقت من الأوقات خفت على مستقبل شبابنا، وعلى مستقبل هذا البلد كما خفت هذا الوقت؛ من هذه الإثارات وهذا التشويش، لم يمر علي وقت كهذا، في هذا البلد، فإني ناصح لكم أيها الشباب أن تتريثوا فيما تسمعون، وفيما تقرؤون وممن تتصلون بهم وعليكم أن تكونوا حول كبار علماءنا من مشايخنا أهل العلم والتجربة والتريث والتأني في الأمور، هذا الذي أنصح به شبابنا، وقد كثرت الأسئلة حول الحركات وحول الجماعات، لاغرو أن تكثر الأسئلة حول هذه الجماعات؛ لأن المفروض ألا توجد في هذا البلد جماعات إلا الجماعة الأصيلة الموجودة على الخط، المفروض أن كل جماعة وكل فرد يأتي إلى هذه الجماعة الأصيلة التي هي**

---

(١) إجابة على سؤال وجه للشيخ في شرحه للتدمرية الشريط (١٠) و (ب).

(٢) انظر: الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة صـــ٧١.

سائرة على الحق الواجب أن يجعلوا أيديهم في أيديهم ويعملوا معهم لإسلامهم؛ لأن الإسلام واحد، ليس للإسلام مفاهيم مختلفة مفهوم الإسلام الصحيح واحد"[1].

وقال رَحِمَهُ اللهُ:**"ومما تشكوه الدعوة الإسلامية هذا اليوم النفرة وعدم الانسجام وقلة التعاون بين الجماعات التي تتصدى كل واحدة منها للدعوة إلى الله. وفي الواقع أن أكثر تلكم الجماعات بحاجة ماسة إلى من يدعوهم إلى الله ويبصرهم في دينه حتى يكونوا مؤهلين أولا في أنفسهم للدعوة بالقضاء على التنافر فيما بينهم وتنافر مناهجهم وبرامجهم في العمل.**

وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية وأغراضها الذاتية وهي ذاتها محنة من المحن، ومشكلة من المشاكل للدعوة والدعاة معاً، إذا هي بقيت على وضعها ولم تعد النظر في سلوكها ومنهج عملها وبرامجها وأساليب دعوتها وسياستها، فخطرها على الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها. فعلى هذه الجماعات أن تدرس تاريخ الدعاة الأولين من الصحابة والتا بعين الذين نطق بهم القرآن وبه نطقوا والذين انتشر الإسلام بدعوتهم، بل عليهم أن يفهموا الدين كما فهم أولئك السادة ويسيروا سيرتهم وينسجوا على منوالهم مع ملاحظة الأساليب المناسبة في العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس.

وإن لم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يكتب للدعوة أي نجاح أو أي تقدم؛ لأنه عمل لم يستوف الشروط وهو عمل غير صالح، وسوف لا يجدي ما أوتي أصحابها من الدهاء وسحر البيان والجدل والاستغفال.

أجل قد ينطلي هذا الأسلوب على بعض الناس فترة من الزمن ويحسبهم صادقين في دعوتهم لكثرة لمعان الأسلوب ولكنه لا ينطلي على الله الذي بيده النجاح

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٦).

والتوفيق فعليهم أن يراقبوا الله وحده؛ لأنه هو الذي له الأمر كله وبيده الخير كله لا إله إلا هو ولا رب سواه، وهو المستعان"[1].

ومن تأمل في التنظيمات الحزبية سواء السرية أو العلنية المخالفة لمنهج السلف، تبين له أنها من أكبر أسباب الخروج والفساد بشتى أنواعه وصوره؛ من إراقة الدماء وتفريق الصف، وما حصل في واقعنا المعاصر من إرهاب وتخريب لديار المسلمين خير شاهد على ما ذكر[2]. والله الموفق.

والمقصود من عرض المسائل المتعلقة بمظاهر التهييج السياسي في العصر الحاضر؛ بيان جهود الشيخ في محاولة إخماده، وكثرة توجيهاته للشباب، بسلوك المسلك الذي يرضي الله سبحانه وتعالى، ويؤدي المقصود وأختم بهذه النصيحة الغالية التي وجهها للشباب فقال:"**لا تكونوا فتنة للناس (الفتنة نائمة فلعنة الله على من أيقضها)**[3] **لا توقضوا الفتن، اعلموا أنكم في خير وفي أمان وأمن وعافية، والناس من حولكم كما قلت لكم فيما مضى بين أحد رجلين، رجل يغبطكم غبطة ويتمنى أن يحصل لكم من سلامة العقيدة والتمسك بالإسلام وطيب الحياة والهدوء والأمن والأمان، هذا إنسان فيه خير، الآخر حاسد يتمنى أن تزول هذه النعم عنكم وأن تكونوا كغيركم في قلق واضطراب وحياة ضنكا، من الناس من يتمنون–وهو حاسد– هذا المعنى، فاعلموا أنكم في نعمة لا يتمتع بها غيركم، وأنتم تعلمون ليس في هذا أدنى مبالغة، لا تتهاونوا بهذه النعمة فتزول، اشكروا الله عليها وأكثروا من الدعاء والتضرع إلى الله في سجودكم أو في أوقات الإجابة؛ ليحفظ الله دينكم وعقيدتكم وإسلامكم، وأن يصلح أحوال ولاة أموركم، الدعوة لولاة الأمور من أهم الدعوات، كما يحكى عن الإمام أحمد أنه يصرف أي دعوة يظنها أنها مستجابة إلى ولاة الأمور.**

---

(١) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـــ ٢٢٢.

(٢) وانظر الوقائع التاريخية: في كتاب: (حقيقة الخوارج في الشرع وعبر التاريخ) صـــ ١٠٤-١٢١.

(٣) قال الألباني في الضعيفة (٣٢٥٨): "منكر أخرجه الرافعي في تاريخ قزوين ٢٩١/١".

فرق أن تدعو لهم بإخلاص أن يوفقهم الله ويصلحهم ويصلح لهم البطانة، وبين أن تنتقدهم على رؤوس الأشهاد، "هل أنتم معنا أو مع العلمانيين؟" انظروا إلى هذا الخطاب، من أنتم حتى يكون الحكام معكم، إيش هذا الأسلوب اللاإنساني!! هل أنتم معنا أو مع العلمانيين؟، وهل أنت كفؤ أن تقول للناس لولاة الأمور لكبار العلماء :" أنتم معنا؟" أنت التابع لهم أو هم التابعون لهم، تعبير جريء وقلة [في] الأدب، لا ينبغي أن تغتروا بهذه الأساليب المثيرة.نخشى أن تسلبوا هذه النعمة، بسوء التصرف، وهل اجتماعنا هذا، وانتقال بعضنا من مدينة إلى مدينة بكل أمان واطمئنان، وهذه المدارسة وهذه المناقشة، ثمرة من ثمار الأمن والأمان، هذه النعمة التي فقدها كثير من الناس في أرضه إلى أن يهرب إليكم، إلى هذا البلد، ولكن للأسف قد يشرد من بلده مطرودا، فإذا اطمأن بدلا من أن يشكر الله تمرد، وعلّم شبابنا البيعة للمجهول، الله المستعان"(١).

نسأل الله أن يوفق الجميع حكاماً ومحكومين لما يحبه ويرضاه، وبالله التوفيق.

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٣).

المبحث الثاني
جهود الشيخ في الرد على الرافضة

تمهيد

لقد حدثت بدعة الرفض بعد بدعة الخوارج، والروافض من أشد الفرق ضرراً على الإسلام والمسلمين، وأكثرها إضلالاً لعباد الله، بل وأجرأها على الله وشرعه؛ فهم بالقرآن مكذبون، وعلى السنة متطاولون، ولحملة الدين رافضون، وبالإسلام كائدون، فمن أراد الكيد بالإسلام وأهله من باهم ولج، ومن سعى لإسقاط بلاد المسلمين سبيلهم نهج.

وكما قال الشيخ رحمه الله:"**والكلام حول هذه الفرقة طويل الذيل، وقد كتبت فيهم كتابات كثيرة**[1]"[2]. وسأوجز ما وقفت عليه من المسائل المتعلقة بهذه الفرقة وفق ما وضحه الشيخ رحمه الله فيما يلي من مسائل:

المسألة الأولى: أصل منشأ الروافض:

"اختلفت أقوال العلماء من الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور التشيع تبعاً لاجتهاداتهم ..ولعل الراجح أنه بعد معركة صفين حين انشقت الخوارج وتحزبوا في النهروان، ثم ظهر في مقابلهم أتباع وأنصار علي حيث بدأت فكرة التشيع تشتد شيئاً فشيئاً ...على أنه -فيما يبدو- لا مانع أن يوجد التشيع بمعنى الميل والمناصرة والمحبة للإمام علي رضي الله عنه وأهل بيته من قبل ذلك- إذا جازت تسمية ذلك تشيعاً-لا التشيع بمعناه

---

(١) والكتابات في ذلك كثيرة جداً ومتنوعة، وجلها مجموعة في المواقع العنكبوتية المهتمة بهذا الجانب.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٦٣-٦٤.

السياسي عند الشيعة، فإن هؤلاء ليسوا شيعة أهل البيت، وإنما هم أعداؤهم والناكثون لعهودهم في أكثر من موقف"[١].

وقد أكد الشيخ محمد أمان رحمه الله هذه المسألة، بذكر الدور الذي لعبته الأيادي اليهودية في إنشاء الرفض لدين الله وشرعه وحملته. قال الشيخ رحمه الله:"**الشيعة**[٢]: **من الفرق التي ظهرت في أواخر أيام الصحابة، وفي عهد الإمام علي رضي الله عنه بالتحديد، والتي بدأت غلوها بحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والتشيع له إلى حد المبالغة، والتي انتهت ببعضهم إلى تأليهه وعبادته، مما حدا بعلي إلى إحراق جماعة منهم بالنار، حيث لم يجد بداً من ذلك؛ إذ لم يؤثر فيهم الإنكار الشديد والمتكرر فأنشد علي في ذلك قائلاً:**

لما رأيت الأمر أمراً منكراً　　　أججت ناري ودعوت قنبرا[٣]

وقد انتهز هذه الفرصة –فرصة تشيع الشيعة والغلو في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه– يهودي خبيث يدعى عبد الله بن وهب بن سبأ[٤]**، وهو من اليهود الذين كانوا بصنعاء اليمن؛ فأخذ يؤجج نار الفتنة بين المسلمين، وأحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بالإمامة من بعده، وأنه خليفته على أمته بالنص؛ كما أحدث القول بالرجعة، أي برجعة علي رضي الله عنه بعد موته إلى الدنيا، بل زعم أن علياً لم يقتل، بل لا يزال حياً، بل لا يمكن أن يموت؛ لأنه فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يأتي من السحاب، فيكون الرعد صوته...إلى آخر تلك الخرافات التي تحكيها بعض مصادر**

---

(١) انظر: فرق معاصرة ٣١١/١.

(٢) كذا في الأصل، ولعل التعبير بالسبيئة أحسن وأليق بحال تلك الفرقة التي ظهرت في ذلك الوقت.

(٣) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع صـ١٨.

(٤) هو عبد الله بن سبأ، أصله من اليمن، كان يهودياً، أظهر الإسلام وجهر ببدعة الرفض في مصر، وجعل ولاية آل البيت ستاراً لبدعته، ويعتبر من غلاة الزنادقة، توفي سنة ٤٠هـ. انظر: عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام لسليمان العودة، ابن سبأ حقيقة لا خيال لسعدي الهاشمي.

القوم ومن تأثروا بهم، حتى عرفت هذه العقيدة عندهم بعقيدة الرجعة، أحدثها اليهودي ابن سبأ كيداً للإسلام والمسلمين، بعد أن ادعى أنه مسلم، وأنه متشيع لآل البيت، ومحب لهم، وأما آل البيت الطيبون؛ فبريئون منه، ثم تبنى هذه العقيدة الفاسدة الروافض، وابن سبأ مصدر كل عقيدة منحرفة ترددها الروافض اليوم"(١).

وقد أثبتت الدراسات أن المنتسبين للرفض أخذوا من مذاهب الفرس والروم واليونان والنصارى واليهود وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع؛ مصداقاً لما أخبر به النبي ﷺ من اتباع بعض هذه الأمة سنن من كان قبلهم، فالرفض بذرة نصرانية، مخلوطة بآراء فلسفية، بأرض مجوسية، تعاهدتها أيدي يهودية مذ نشأتها؛ ولذلك غلب شبه الأيادي اليهودية فيها، قال الشيخ رحمه الله:"**المقارنة بين اليهود وبين الروافض مقارنة سليمة علميّة، ألفّ في ذلك بعض زملائكم رسالة ماجستير وكنت أنا المشرف عليها، وُفِّق فيها، بيّن تمامـــاً وجه المقارنة ـــ وجه الشبه ـــ بين اليهود وبين الروافض**(٢)**؛ ولعلها تُطبع ليستفيد منها طُلاّب العلم. هؤلاء نسخة طِبْق الأصل من اليهود"**(٣).

المسألة الثانية: موقف الرافضة من الشريعة وحملتها:

لا يخفى على كل من عرف حقيقة الرافضة موقفهم العدائي للشريعة وحملتها، وخصوصاً في الآونة الأخيرة التي تمكن فيها الروافض من نشر كتبهم المعتمدة، فالقرآن عندهم محرف، وإن كان بعضهم يستخدم بعض الأساليب المُموِّهة على الناس؛ خشية تنفير الناس عنهم، وأما السنة فلا يرون الأخذ بها إلا ما نسبه إليها أئمتهم.

فدعوتهم والعياذ بالله صريحة بالاستغناء عن الكتاب والسنة، قال الشيخ رحمه الله:"**ودعوى الاستغناء عن السنة هي في واقعها محاولة للاستغناء عن الإسلام،**

---

(١) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٦٣-٦٤.

(٢) هذه رسالة علمية لنيل درجة الماجستير طبعت بعنوان: (بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود).

(٣) شرح تجريد التوحيد الشريط (٨) و (ب).

بأسلوب ملتوٍ، غير صريح، ويؤكد هذا ما سبق أن ذكرنا من أن أصل هذه المحاولة من الزنادقة، وغلاة الرافضة، الذين صرحوا بتكفير الصحابة، الذين هم سند هذا الدين، والذين نطق بهم القرآن وأثنى عليهم، من المهاجرين والأنصار؛ وتكفير هؤلاء السادة، إنما يعني تكذيب الله سبحانه في إخباره أنه رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأنهم اتبعوا رسوله، النبي الأمي في ساعة العسرة. كما يتضمن تكذيب خبر الرسول عليه الصلاة والسلام في ثنائه عليهم، وشهادته لمجموعة كبيرة منهم أنهم من أهل الجنة"(١).

وهناك من الروافض من دعا إلى الاكتفاء بالقرآن عن السنة، فتهجموا على السنة وحملتها، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**"لم تسلم السنة من هجم جهله المتفقهة، وعداء غلاة الرافضة والزنادقة، حيث زعمت الرافضة، وجوب الإستغناء بالقرآن عن السنة في أصول الدين وفروعه والأحكام الشرعية؛ لأن الأحاديث في زعمهم رواية قوم كفار، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن النبوة إنما كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن جبريل عليه السلام، أخطأ فنزل بها إلى محمد عليه الصلاة والسلام بدل أن ينزل بها إلى علي**(٢).

وهذا الزعم يعني: أن أمر الوحي كان مضطرباً، ولا يصدر من تنظيم محكم من قبل رب حكيم سبحانه، وإنما يتخبط فيه ملك الوحي (جبريل)، وأن ملك الوحي نفسه ليس بمعصوم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنهم من يقر للنبي – عليه الصلاة والسلام – بالنبوة، ولكنه يقول: إن الخلافة كانت حقاً لعلي –رضي الله عنه– فلما عدل بها الصحابة إلى أبي بكر رضي الله عنه، كفروا بذلك – في زعمهم – حيث جاروا وظلموا– في زعمهم– بعدولهم بالحق عن مستحقه،

---

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صــ١٩٤-١٩٥.

(٢) وهذا الرأي لبعض غلاة الروافض من الغرابية ولذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك ومنهم من يقر للنبي ﷺ بالنبوة.

وبالتالي كفروا علياً، لعدم طلبه حقه، فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها، لأنها- عندهم في زعمهم - رواية قوم كفار، كما تقدم"[1].

والمقصود أن من أصول الرافضة أن كل ما لم يخرج من عند أئمتهم فهو باطل[2]، فلا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طريق أهل البيت.

وقد بين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الحامل للروافض على هذه المقولة الفاجرة فقال:**"كان الحامل للرافضة، والمخدوعين بهم على ذلك الموقف العدائي، هو ما تكتنفه نفوسهم الخبيثة من الأحقاد على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، والظن السيئ برسول الله عليه الصلاة والسلام، وعدم الإيمان به، الإيمان الصادق واعتقادهم في الملائكة عدم العصمة، وأخيراً عدم تقديرهم لرب العالمين حق قدره"**[3].

ولاشك أن لمقولتهم لوازم فاسدة ومن تلك اللوازم كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:**"ومن لوازم رأيهم الفاسد هذا أن أمر الوحي مضطرب، فلا يصدر من لدن عليم حكيم الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، بل يتصرف فيه ملك الوحي كما يشاء ويختار، ينـــزل بالوحي على من يشاء ويعدل عمن يشاء بالوحي، كما يفهم من قول هؤلاء الروافض أن ملك الوحي نفسه غير معصوم أو غير أمين على الوحي وعلى أداء أمانة الرسالة، إذاً فما مدى إيمان الروافض بالله أولاً، ثم بالملائكة والنبيين عامة، وبخاتم النبيين خاصة، وبالكتاب الذي نزل عليه؟!!**

وبعد: فلقد حاول هؤلاء الزنادقة والروافض إزالة السنن من الوجود والقضاء عليها -لو استطاعوا- أو أن يجعلوا وجودها وجوداً شكلياً فاقداً للقيمة، إلا أنهم لم ينالوا خيراً، ولم يستطيعوا أن ينالوا من السنة شيئاً، فانقلبوا خاسرين ومهزومين، مثلهم كمثل الذي يحاول قلع جبل أحد مثلاً، فأخذ يحوم حوله وفي سفحه لينقل من

---

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ١٩٣.

(٢) انظر: أصول الكافي للكليني ١/٣٩٩.

(٣) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ١٩٧.

أحجاره حجراً حجراً؛ ظناً من أنه يمكنه بصنيعه هذا قلع الجبل وإزالته من مكانه، أو كالذي يغترف من البحر اغترافاً بيده أو بدلوه محاولاً بذلك أن ينفد البحر أو ينقص"(١).

ولا غرابة في دعوة الروافض الاستغناء عن الكتاب والسنة؛ فإن سلفهم لم يقدروا مترل الكتاب والسنة حق قدره، و لم يرضوا بقضائه وحكمه، وقد أشار الشيخ إلى ذلك بقوله:" **هؤلاء في زعمهم: كان المفروض بعد النبوّة أن تستمرّ الخلافة في آل البيت، وبعد انتهاء مدّة الخلافة الملك ــ أيضــًا ــ يجب أن يستمر فيهم، اقتراح، يقترحون على الله ويُلزمونه؛ ما أشبه اقتراحهم باقتراح كفّار قريش:** ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ **هذا اقتراح؛ كفّار قريش ما رضوا أن تكون النبوة والرسالة والوحي لمحمد، قالوا لا، هذا غير صحيح، المفروض أن تكون هذه الرسالة والنبوة لأحد رجلين: إما رجل عظيم بمكة أو رجل عظيم بالطائف؛ ما رضوا قسمة الله، لكن انظروا كيف ردّ الله عليهم:** ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ **هكذا ردّ الله عليهم...هذا الاقتراح من الروافض مثل اقتراح كفّار قريش تمامــًا؛ قالوا : لا يجوز ما دام بدأت النبوة في آل محمد ﷺ يجب أن تستمرّ الخلافة فيهم، بل غُلاة الروافض قالوا: الرسالة نفسها ليستْ لمحمد الرسالة لعلي، ولكنّ جبريل غلِط ونزل على محمد، غلط، أوحى إلى محمد، كانت الرسالة الأولى أن تكون لعلي؛ فإذا فاتتْ هذه لا ينبغي أن يفوته ما بعده: الخليفة الأول يجب أن يكون عليّ، ثم تستمرّ في آل البيت؛ وجعلوا النبوّة والخلافة والملك في غير آل بيت النبي ﷺ ظلم.**

---

(١) الصفات الإلهية صـــ ٦٢-٦٤.

من زعم هذا الزعم واقترح على الله هذا الاقتراح وظنّ هذا الظن، لم يقدِّر الله حقّ قدره؛ يعني : معاداهم لبني أُمية لهذا الغرض: لماذا تحوّلت الخلافة والملك في بني أمية وهم أعداء ــ في زعمهم ــ آل البيت؛ وهذه العداوة هم الذين اختلقوها وسبّبوها؛ الروافض من أشرِّ خلق الله؛ هذه عقيدهم"[1].

المسألة الثالثة: الخميني وحقيقة إسلامه:

إن مما تميز به الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هو الاهتمام بما تستجد من أحداث للأمة، ومن الأحداث المتعلقة بهذا المبحث، ما أحدثه الخميني لمذهب الشيعة من رفض سياسي؛ مبناه على أطماع سياسية، وللأسف فقد انخدع به بعض أبناء أهل السنة، وخصوصاً بعض من ينتسب إلى بعض الجماعات السياسية، ظناً منهم أن الخميني سيُخضع دولة يهود، وبناءً على تلك التوهمات الوهمية، أخذوا يتحدثون بإسلامه قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**وعلى سبيل المثال أخذوا يتحدثون في الآونة الأخيرة عن الخميني وإسلامه، وكثيراً ما يمجدون إسلامه، وإسلام الخميني ليس بإسلام في نظرنا، ولا يلتقي مع إسلامنا الحق الذي أنزله اللّه في كتابه وفيما أوحى به إلى خاتم رسله محمد عليه الصلاة والسلام، لا يلتقي معه إلا في (اللفظ) فقط، أما في حقيقته وجوهره، أما في عقيدته وكثير من أحكامه، فهو في واد والإسلام في واد آخر، فلا يلتقيان كما قلت، يدرك ذلك كل من درس الإسلام وفهمه جيداً ثم اطلع على ما جاء به الخميني من وحي أئمته وفهمه أيضاً، وتمجيد هذا الإسلام الوضعي وتحبيذه، بل دعوة الناس إليه يعتبر في نظرنا تضليلاً للناس وإبعاداً لهم عن الإسلام الحق، وتزيينا لهم بالباطل؛ لأن الحق لا يتعدد كما هو معلوم** ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾

---

(١) شرح تجريد التوحيد الشريط (٨) و (ب).

وإسلامنا الذي ندعو إليه هو الاستسلام لله بالطاعة، وعبادته عبادة خالصة بعيدة عن شوائب الشرك وتجريد المتابعة لرسوله، وهذه المعاني معدومة أو ضعيفة في إسلام الخميني، وإذا كان ذلك كذلك، فتمجيد هذا الإسلام دعوة إلى الباطل، وإبعاد للخلق عن الدين الحق ضرورة عدم اجتماع الشيء مع نقيضه.

ولو أخذنا نسوق أدلة مادية لا تقبل جدلاً؛ لندلل على بطلان إسلام الخميني لاحتاج الأمر إلى تأليف كتاب مستقل بالموضوع"[(١)].

ولا بأس من عرض بعض النماذج على كفر الخميني ومن سار على شاكلته، قال الشيخ رحمه الله:**"وهل تعلمون موقف الخميني من هؤلاء الراشدين؟ يعتبر هؤلاء الخلفاء الراشدون في إسلام الخميني خونة وكفاراً، إذا استثنينا علياً وأولاده عند بعض أتباعه، ويلقب أهل السنة أبا بكر وعمر (بالشيخين) وأما عند الروافض قوم الخميني فهما (صنما قريش) قاتل اللّه الروافض ومن يشايعهم.**

وهل يعلم هؤلاء الروافض وشيعتهـــم ماذا يقول علي رضي الله عنه في أخيه أبي بكر الصديق (رضيك رسول اللّه لديننا وكيف لا نرضاك لدنيانا)[(٢)]. يعني إذا كان الرسول قد قدمك لتصلى بالناس إماماً في حياته والصلاة عمود الدين فكيف لا نرضى أن تتولى شئون الخلافة فينا؟ رضي الله عنهم جميعاً. هذا موقف علي بن أبي طالب من أبي بكر الصديق.

بالاختصار: أما الخميني ففي إسلامه لا يقبل أي حديث يأتي من طريق أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، اللهم إلا ما كان من طريق علي بن أبي طالب وأولاده عند بعضهم، وأما عند بعض غلاة الروافض من قوم الخميني فلم يقف الأمر عند هذا الحد، بل خطأوا جبريل عليه السلام أمين الله على وحيه (إذا لم تستح فاصنع ما

---

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـــ ٣٧٢.

(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات ١٨٣/٣، وانظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث صـــ ٢٩٠، لوامع الأنوار ٣١٢/٢.

شئت)[1] حيث زعموا فيما زعموا –وما أكثر مزاعمهم– أن الوحي كان في الأصل لعلي بن أبي طالب ﷺ، إلا أن جبريل أخطأ فأتى به إلى محمد عليه الصلاة والسلام، فكان الواجب على الإمام علي أن يطالب بهذا الحق، فحيث لم يطالب بحقه فضاع الحق بسبب إهماله، فهو كافر، وبقية الصحابة كفار؛ لأنهم لم يؤمنوا بنبوة علي، وهذا الباطل المركب من القول والاعتقاد هو الذي ورطهم في رد أحاديث رسول اللّه ﷺ كلها، بدعوى أنها كلها رواية قوم كفار.

وبعد: فهل بعد هذا الكفر من كفر؟ وهل لأحد أن يقول بعد هذا أن أصولنا وأصول الروافض واحدة؟!! وإن فعل ذلك أحد فتلك مكابرة ومغالطة كما لا يخفى"[2] وليس هذا فحسب بل "**إن موقف الخميني وأتباعه من الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة ﵂ وعن أبيها معروف لدى طلاب العلم في قصة الإفك، وهم لا يؤمنون ببراءتها، وقد زعموا فيما زعموا أنها الشجرة الملعونة في القرآن، وموقفهم ذلك من الصديقة المبرأة يعتبر تكذيباً للآيات القرآنية التي نزلت من فوق سبع سماوات في براءتها وبالثناء عليها رغم أنف الخميني وأنوف أتباعه من الآيات والحجج في طهران، وتكذيب كلام الله كفر لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح حوله كبشان، كما يقولون.**

يعتقد الخمينيون أن أئمتهم أفضل من الأنبياء والمرسلين حتى من أفضلهم وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، ومن الملائكة الكرام الذين لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، هذا ما صرح به الخميني نفسه (في كتابه الحكومة الإسلامية)"[3]. حيث قال"وثبوت الولاية والحاكمية للإمام (ع) لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقاماً محموداً

---

(١) سبق عزوه صـ٤٨٦.

(٢) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ ٣٧٣-١٧٤.

(٣) المصدر السابق صـ ٣٧٥.

ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإنما من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم (ص) والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم اللّه بعرشه محدقين، وجعل لهم من المترلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبريل-كما ورد في روايات المعراج-: لو دنوت أنملة لاحترقت وقد ورد عنهم (ع): إن لنا مع اللّه حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل"[1]ا.هـ.

علق الشيخ بعد أن أورد هذا الكلام بقوله:"**جرأة لا تقف عند حد وافتراء صارخ وكفر سافر ليس على وجهه غطاء**".

والخلاصة في أمر الخميني وشيعته كما قال الشيخ رحمه الله :"**إن ولاء آل البيت لا يتم في إسلام الخميني إلا بعداء بقية الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، أما صدور أهل السنة فقد وسعت لمحبة جميع الصحابة من أهل البيت وغيرهم، وللّه الحمد والمنة.**

وبعد: فإن تمجيد إسلام الخميني والحالة ما ذكر يتنافى وواجب النصح لعامة المسلمين، وتسمية حركته الفوضوية (ثورة إسلامية) نوع آخر من تضليل العوام وأشباه العوام، لأن ذلك يوهم أن سبيل الوصول إلى الولاية في الإسلام يكون بطريقة ثورة مسلحة ومدمرة التي تأكل الأخضر واليابس وتقضي على البريئين قبل المجرمين، ولا ترى إلا الوصول إلى الكرسي بأي وسيلة على أساس (أن الغاية تبرر الوسيلة) وهو أسلوب المستغلين للفرص الحاجة في أنفسهم"[2].

---

(١) الحكومة الإسلامية صـ ٥٢.

(٢) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ ٣٧٦.

المسألة الرابعة: الحكم على الشيعة:

ومن المسائل المهمة التي قام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بتفصيل الحكم فيها مسألة الحكم على الشيعة، وقد جاء عن جمع من السلف القول بتكفير غلاتهم الذين جمعوا من كل نحلة أخبثها[١]، وتعدوا على الله ورسوله وشرعه، وخلاصة الأمر فيهم كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**غلاة الروافض غير داخلين في هذا العدد**[٢]**، خارجون، غلاة الروافض الذين كذبوا خبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وحكموا بالنار على من بشرهم النبي ﷺ بالجنة كأبي بكر وعمر، حكموا عليهم أنهم صنمي أهل النار، ورسول الله عليه الصلاة والسلام بشرهما بالجنة في أول من بشرهم، الذين يعتقدون بأن هذا الكتاب الذي في أيدينا كتاب الله ناقص، والذين يزعمون أو لا يؤمنون ببراءة الصديقة بنت الصديق عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هؤلاء غلاة الروافض: كفار غير داخلين في الطوائف المذكورة هم والجهمية.**

ومن عداهم من الطوائف أي من الشيعة العادية كالزيدية مثلا وطوائف علماء الكلام كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، هؤلاء داخلون في الطوائف المنتسبة والفرق المنتسبة إلى الإسلام على تفاوت بينهم في بدعهم، فبدعهم قد تصل أحيانا ببعض أفرادهم إلى الكفر لكن بالجملة هذه الطوائف تعد من الفرق الإسلامية الداخلة في هذا العدد المذكور في الحديث، أما الجهمية وغلاة الروافض بإجماع السلف غير داخلين في هذه الفرق"[٣].

---

(١) راجع: كلام أهل العلم في الحكم عليهم في كتاب أصول مذهب الشيعة ٣/٣٢٩-٣٥٧.

(٢) أي العدد المذكور في حديث الافتراق سبق عزوه صـ ٥٦٧.

(٣) شرح التدمرية الشريط (١) و(أ).

المسألة الخامسة: الباطنية وعلاقتهم بالروافض:

ومن أخطر الفرق في تاريخ الإسلام وأخبثها؛ الذين دخلوا من باب الرفض وباطنهم الكفر المحض فرق الباطنية، وقد بينها الشيخ رحمه الله بقوله:"**الباطنية: كل من يجعل لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلاً، يؤولون حتى ظاهر الشريعة، الشريعة نفسها مؤولة عند الباطنية من القرامطة والإسماعيلية والنصيرية، ولا يُلتفت إلى الغطاء السياسي الذي يغطي هذه الطوائف ويجعلها تسير مع المسلمين، هذا باب آخر، في حقيقتهم ليسوا بمسلمين وهم أبعد من الإسلام من الجهمية؛ لأن هؤلاء يؤولون حتى الشريعة، الصلاة مؤولة، الصيام مؤول، والزكاة، جميع هذه الأعمال مؤولة عندهم ليست على ظاهرها، ومن أراد معرفة التفاصيل يرجع إلى كتب الفرق**"[(١)].

وظهور فرقة الباطنية فرع من الروافض كما قال الشيخ رحمه الله:"**القرامطة الباطنية متفرعة من الروافض، ظهرت القرامطة أول ما ظهرت بالكوفة، ثم انتشرت في العراق والشام وغيرهما من البلدان المجاورة، فصرحوا بتأويل –تحريف– الشريعة كلها، وأنها ليست على ظاهرها، بل لابد من صرف ظواهرها**"[(٢)].

وللباطنية أصول مشتركة تلتقي فيها جميع فرقها، وقد تنفرد بعض فرقها بعقائد مميزة، حيث إنها تعد من أكثر الفرق تفرقاً، وكل تلك الفرق موجودة، قال الشيخ رحمه الله:"**الباطنية طوائف: باطنية القرامطة، باطنية الفلاسفة، باطنية الصوفية، وباطنية الشيعة.**

إن كثيراً من الناس الآن.. يحسبون أنهم لا وجود لهم، الباطنية بجميع فرقها موجودة الآن: باطنية الصوفية مثل وحدة الوجود كابن عربي، ابن عربي الطائي وابن الفارض هؤلاء من باطنية الصوفية أي: غلاة الصوفية يصلون إلى درجة الباطنية.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ٨٨.

وباطنية الشيعة: كابن سينا، ابن سينا من العبيديين، العبيديون الذين أطلقوا على أنفسهم أخيراً الفاطميون، وهم منبع البدع، وهم الذين ابتدعوا المواليد، الاحتفال بالمواليد من بدع الفاطميين وهم عبيديون، وهذا اللقب (الفاطميون) لقب مزيف اشتروه، ولما لقبوا أنفسهم بالفاطميين أرادوا أن يثبتوا هذا اللقب بالتملق والتزلف لآل البيت فاخترعوا وابتدعوا الاحتفال بالمواليد في كل سنة ست مرات:

احتفال بالنبي عليه الصلاة والسلام، واحتفال بمولد فاطمة، واحتفال بمولد علي، واحتفال بمولد الحسن، ثم الحسين، وأخيرا الاحتفال بالوالي الموجود حاليا في ذلك الوقت. كل ذلك تملق وتزلف منهم بالباطل لآل البيت ليثبتوا بأنهم فاطميون، وفاطمة بريئة منهم وهم عبيديون، وابن سينا منهم أي من باطنية الشيعة"(١).

والمقصود أن العلاقة بين الباطنية والروافض وثيقة،-وإن كان بعضهم يكفرهم- سواء من حيث المنشأ والظهور، أو من حيث بعض الأصول الهادمة للدين.

وألصق فرق الباطنية بالرفض هم القرامطة قال الشيخ رحمه الله:"**القرامطة من الباطنية، وهناك باطنية غير القرامطة، الباطنية أصناف، فرق :**

باطنية الصوفية، باطنية أهل الكلام، وباطنية الفلاسفة، وهم فرق كثيرة، إلا أن الباطنية إذا أطلقت عند الناس ينصرف الذهن إلى الذين يثبتون للكتاب والسنة ظاهراً وباطنا وهم: باطنية الصوفية الذين يزعمون أن للكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، وأن الظاهر للفقهاء لعلماء الشريعة والباطن لأهل الحقيقة، هم يفرقون الدين أو يقسمونه إلى : شريعة، وحقيقة.

والشريعة للفقهاء وأهل الظاهر في زعمهم ، والحقيقة لهم، وهذا تقسيم باطل، الدين واحد، القول بأن للدين ظاهر وباطن، وتفسير ذلك الباطن بما لا يعلمه إلا العارفون في زعمهم، والواصلون إلى الله في زعمهم وموحدوهم، هذا إعراض عما جاء به

---

(١) شرح التدمرية ٢_ الشريط (١) و (ب).

رسول الله ﷺ وسخرية بالإسلام وإيثار لآراء وأفكار على ما جاء به رسول الله ﷺ"[1].

المسألة السادسة: عقيدة الأسماء والصفات عند الروافض:

بين الشيخ رحمه الله أن جميع فرق الشيعة على عقيدة الاعتزال في باب الأسماء والصفات فقال رحمه الله:"**ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن الشيعة بجميع فرقها على عقيدة الاعتزال في باب الأسماء والصفات**"[2]. هذا واقعهم الآن، وإن كان أول من أظهر القول بالتجسيم إحدى فرق الشيعة تدعى الهشامية[3]، قال الشيخ رحمه الله معرفاً بهم:"**(الهشامية) وهم أتباع هشام بن الحكم الرافضي، يزعمون أن معبودهم (جسم وله نهاية، وله حد، طوله كعرضه وعمقه) إلى آخر كلام طويل كله تشبيه وتجسيم. وزعيمهم (هشام بن الحكم) أول من أظهر إطلاق لفظ (التجسيم) من متكلمة الرافضة. وهناك خمسة فرق من الروافض ولكنهم يقولون بالتجسيم مع اختلافهم في الأسلوب والتفسير، وتوجد هشامية أخرى أتباع هشام بن سالم الجواليقي، التي تزعم أن معبودها على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحماً ودماً، إلى آخر تلك الأوصاف الكفرية، فهما طائفتان جمعهما الإلحاد بالتشبيه والتجسيد، وفرقتهما كيفية ذلك التشبيه والصورة**"[4].

وأما مذهب الباطنية فكما قال الشيخ رحمه الله:"**مذهب الباطنية الذي تقدم الحديث فيه ومذهب هذه الطائفة من الفلاسفة متقارب، هؤلاء وصفوه بالسلوب والإضافات،**

---

(١) شرح التدمرية الشريط (٧) و (أ).

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ٦٣-٦٤.

(٣) الهشامية: هم طائفة من طوائف الشيعة المشبهة تنسب لهشام بن الحكم الرافضي من متكلمي الشيعة، ولهم مقالات منكرة مبسوطة في كتب الفرق. انظر: مقالات الإسلاميين صـ٦٢، التنبه والرد على أهل البدع والأهواء صـ٣٦.

(٤) الصفات الإلهية صـ ٢٣١.

الذين تقدم ذكرهم سلبوا عنه النقيضين قالوا: لا موجود ولا معدوم، لا حي ولا ميت، هذا هو سلب النقيضين، وسلب النقيضين مستحيل كما أن جمع النقيضين مستحيل، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان معا، لا بد من بقاء أحدهما، الشيء إما يكون موجودا وإما يكون معدوما، إما يكون حيا أو يكون ميتا أو يكون عالما أو جاهلا، أما رفع النقيضين معا أو جمع النقيضين معا هذا مستحيل عقلا قبل الشرع، هذا مذهب من مذاهب الباطنية، سبق أن نبهنا بأن هذه الباطنية التي تعتقد هذه العقيدة الغريبة التي ربما ما سمع بعض المسلمين قبل الآن بها، هذه الباطنية موجودة وهم المعرفون بالإسماعيلية، الإسماعيلية أصلهم من الهند ومنتشرون الآن في بعض دول أفريقيا وفي بعض بلاد الشام، والنصيرية منهم، أقول هذا القول لئلا يستغرب من لا يعرف عنهم شيئا كأن أصحاب هذه العقيدة غير موجودين في الدنيا وهم موجودون، ويحضرون إلى هذا البلد في موسم الحج باسم الحج وباسم الزيارة؛ لأنهم كما قلنا وإن كانوا ليسوا من الإسلام في شيء لكنهم يحملون الإسلام الرسمي، الإسلام الرسمي الذي يحمله جواز السفر، ومن يحمل هذا الإسلام يدخل في كل مكان ولكن في الواقع ليسوا من الإسلام في شيء"(١).

وبهذه المسألة يتم الكلام حول هذا المبحث، وبالله التوفيق.

---

(١) شرح التدمرية ٢_ الشريط (١) و (ب).

المبحث الثالث:
جهود الشيخ في الرد على الصوفية:

للشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ جهود كبيرة في التحذير من فرق الصوفية وطرقها، وخاصة أنه رَحِمَهُ اللهُ دخل في شباك التصوف قبل مجيئه إلى المملكة، فخَبِر كثيراً من ضلالهم، وقد ذكر رَحِمَهُ اللهُ في بعض محاضراته ما يدل على ذلك فقال:"**وأنا إنما أنقل إليكم في هذه الجلسة ما قاله أهل العلم في هؤلاء، وإنْ كان لديَّ معلومات شخصية من تجربتي ومخالطتي لهم في طفولتي ولكنني؛ أكتفي بأن أنقل إليكم معلومات من أهل العلم المعتبرين، هكذا غيرت الصوفية مفهوم الإسلام وعبثت في الدين الإسلامي**"[(١)].

والمقصود أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تأثر بهم في طفولته؛ لانتشارهم في بيئته آنذاك وفي كثير من الأماكن في العالم الإسلامي، فكان لهم النصيب الأوفر من التحذير والتنفير عن بدعهم الرديئة. والصوفية التي يتم الكلام عليها في هذا المقام هي التي خرجت عن الحق؛ بسبب تأثرها بشتى الأفكار المنحرفة، حتى أصبحت خليطاً من آراء الشيعة والباطنية ومبادئ النصرانية والفلسفات القديمة[(٢)]، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**مما جعل حياتهم مغايرة لحياة الرعيل الأول من الصحابة والتابعين الذين أخذوا تلكم المعاني من صاحب الشريعة مباشرة أو بسند عال، ولعل سر ذلك انصراف الناس عن دراسة مصادر الإسلام الأصلية وتسرب كثير من عادات وتقاليد غير إسلامية إلى صفوف المسلمين. كالهندوكية[(٣)] والبوذية[(٤)] والثقافة اليونانية. وهذا التركيب المزجي خلف في صفوف**

---

(١) محاضره للشيخ بعنوان: (من صور الجاهلية).

(٢) انظر: التصوف وتأثره بالنصرانية والفلسفات القديمة.

(٣) الهندوسية: ديانة وثنية تتضمن مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد كما أنها تضم القيم الروحية؛ متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد. انظر: الموسوعة الميسرة ٧٤٢/٢، الهندوسية لأبي بكر محمد زكريا.

(٤) البوذية: هي أحد الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في الهند في القرن السادس قبل الميلاد، وكانت بدايتها تناهض الهندوسية في العناية بالإنسان، وتتضمن آراء وعادات مبنية على نظريات فلسفية،

المسلمين ربيبة مدللة ومضللة في الوقت ذاته، أطلق عليها (الصوفية) وكنتيجة حتمية لوجودها كثر المحترفون باسم الدين بعد أن لقبوا أنفسهم برجال السلوك فسلكوا بأتباعهم غير سبيل المؤمنين"(١).

وقال رحمه الله مبيناً خطرهم:"**أيها الإخوة، لا نعلم أن المسلمين ابتلوا ببلية أو أصيبوا بمصيبة أعظم وأخطر من مصيبة الصوفية؛ إذ من بابهم دخلت على المسلمين تصورات أجنبية ومفاهيم غريبة لا عهد للمسلمين بها في ماضيهم، بل هي باب لكل بدعة دخلت على عبادة المسلمين وعقائدهم**"(٢). وخشية أن يرد على البعض أن في ذلك الكلام مبالغة في التحذير فقد أورد الشيخ إشكالاً وأجاب عليه حيث قال:"**وقد يقول قائل منهم: إنهم قد أدخلوا كثيراً من الوثنيين في الإسلام!!**

الجواب: حقا أنهم أخرجوهم من الوثنية السافرة، وأدخلوهم في الوثنية المقنَّعة: بعد أن أطلقوا عليها اسم الإسلام لتقبل وتستساغ، أما الإسلام بمفهومه الصحيح فهم في معزل عنه، فضلاً عن أن يدخلوا غيرهم في صميمه، وأنى لهم ذلك. إذ (فاقد الشيء لا يعطيه)"(٣). وقال أيضاً:"**الواقع أن لمشايخ الصوفية أعمالاً ومجهوداً ملموساً في القارة وأنهم دعوا الناس إلى شيء، إلا أن ذلك الشيء غير الإسلام في حقيقته وجوهره، وهم يعلمون في الغالب الكثير هذه الحقيقة من أنفسهم، وإن كان يوجد فيهم من يجهلون هذه الحقيقة، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً. يعرف تفاصيل ما أجملت كل من خالط القوم، بل قد صرح بذلك بعض من تاب الله عليهم فتابوا، وصرحوا بأنهم ليسوا على شيء قبل التوبة، فنسأل الله لنا ولكم العافية. وأما بعض العبادات التي**

=

وهم فرق شتى لها أصول وآراء كثيرة يجمعها الغلو ببوذا وتعاليمه. انظر: الموسوعة الميسرة ٢/٧٥٨، البوذية لعبد الله نومسوك.

(١) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـــ ٥٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سير الدعوة في أفريقيا عبر التاريخ ضمن المجموع صــ٣١٨-٣١٩.

يؤدونها وفق تعاليم الإسلام، وبعض الأوراد التي يترنمون بها في حضراتهم وتنطلي على السذج، وما قد يتظاهرون به مما ظاهره الإسلام أمام العوام، فكل ذلك ملعقة عسل في كوب من السم القاتل، فاحذروها لعلكم تسلمون. وقديما قيل: (اسأل مجرباً ولا تسأل طبيباً)[1]"[2].

وقد وصف الشيخ رحمه الله الكلام حول هذه الفرقة بأنه:"**طويل الذيل ومتشعب؛ لأن الطرق الصوفية المنتشرة اليوم في العالم الإسلامي قد اتخذت كل طريقة أسلوباً خاصاً؛ لإفساد عقيدة المسلمين السذج وسلب أموالهم، وتغيير مفاهيم كثيرة من الدين لديهم، وهم فيما بينهم مختلفون ومتناحرون، ولكنهم متفقون على محاربة الشريعة التي ترفعوا عنها وزهدوا فيها، لأنهم أصبحوا أصحاب الحقيقة التي لا يعلمها – في زعمهم– إلا مشايخ الصوفية**"[3].

وعلى هذا فإبراز جهود الشيخ سيكون في مسائل والله المستعان.

المسألة الأولى: أصل نشأة الصوفية:

تعتبر البصرة منشأ التصوف، قال الشيخ رحمه الله:"**إن الصوفية ظهرت أول ما ظهرت في البصرة بالعراق، على أيدي بعض العباد الذين عُرفوا بالغلو في العبادة والزهد والتقشف المبالغ فيه، بل لقد زين لهم الشيطان أن يتخذوا لباس الشهرة فلبسوا الصوف، وقاطعوا القطن بدعوى أنهم يريدون التشبه بالمسيح عليه السلام، هكذا تقول الرواية فنسبوا إلى الصوف، فقيل لهم الصوفية، فدعوى أنهم منسوبون إلى أهل الصفة، أو إلى الصف المتقدم دعوى باطلة، يكذبها الواقع واللغة ولما سمع بعض السلف أن قوماً لازموا لباس الصوف زاعمين التشبه بالمسيح عليه السلام قالوا:(هدي**

---

(١) مثل شعبي مشهور في القديم والحديث، انظر: الأمثال العربية وقيمتها الفنية والتراثية صـ٩.

(٢) سير الدعوة في أفريقيا عبر التاريخ ضمن المجموع صـ٣١٧.

(٣) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـ٢٩١.

رسول الله ﷺ أحب إلينا، وهو يلبس القطن وغيره)[1]، ينسب هذا الكلام إلى ابن سيرين رحمه الله، ويروي لنا شيخ الإسلام أن مدينة البصرة قد عرفت من تلك الفترة بهؤلاء المتصوفة، وتصوفهم كما عرفت الكوفة بالفقه والآراء والقضاء، حتى قيل عبادة البصرة وفقه الكوفة. هكذا ظهرت جاهلية التصوف ومن هذه المدينة انتشرت"[2].

ومما ينبغي التنبيه عليه هو"**أن بدعة التصوف ظهرت أول ما ظهرت مغلفة بغلاف العبادة والزهد، وهما أمران مقبولان في الإسلام، بل مرغب فيهما، ثم ظهرت على حقيقتها التي هي عليها الآن، وهذا شأن كل بدعة، إذ لا تكاد تظهر وتقبل إلا مغلفة بغلاف يحمل على الواجهة التي تقابل الناس معنى إسلامياً مقبولاً بل محبوباً"**[3].

وبذلك يظهر أن بدعة التصوف محدثة ضلالة، بدأت بانحراف يسير ثم توسع ضلالهم حتى وصل الحد ببعضهم إلى الزندقة والعياذ بالله.

وقد نبه الشيخ رحمه الله على ضلال ابن عجيبة الصوفي[4] الذي زعم أن واضع علم التصوف هو رسول الله ﷺ حيث قال ابن عجيبة:"واضع هذا العلم هو النبي ﷺ، علمه الله بالوحي والإلهام، فترل جبريل أولاً بالشريعة، فلما تقررت نزل ثانية بالحقيقة، فخص بها بعضاً دون بعض، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه، وأخذه عنه الحسن البصري.."[5] . علق الشيخ رحمه الله على هذا الكلام بقوله:"**والقارئ البصير يدرك من كلام هذا الزنديق الصلة الوثيقة بين بدعة الصوفية وبدعة الشيعة التي تعبد أئمتها**

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام في منهاج السنة ٤٣/٤.

(٢) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق صـ٢٧٢.

(٤) هو أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الحسني الأنجري، مفسر صوفي من أهل المغرب، له مصنفات منها: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم، وغيرها، توفي سنة ١٢٢٤هـ. انظر: الأعلام ٢٤٥/١.

(٥) إيقاظ الهمم في شرح الحكم صـ ١٩.

وتؤلههم، وما الصوفية إلا خط ممدود متفرع من دين الروافض الخبيث. وكلام ابن عجيبة هذا فرية جائرة وجريئة على رسول الله -كما لا يخفى على طالب علم- وبهت له عليه الصلاة والسلام بجريمة الكتمان، وهل يتهم النبي الأمين محمداً عليه الصلاة والسلام بكتمان الحق الذي أرسل به ليبلغه للناس–وقد أمره ربه بذلك بقوله:

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾

– إلا الزنديق المارق الذي يريد أن يصرف الناس عن الإسلام لو استطاع . ويتضمن زعم ابن عجيبة بهتاً آخر على الرسول عليه الصلاة والسلام وهو تخصيص آل البيت بشيء من العلم والدين لا يعلمه سائر الصحابة حتى أبو بكر وعمر وعثمان. ومن جهة أخرى أن المعروف من معاني الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام الإيمان بأنه عليه الصلاة والسلام بين ما أنزل عليه وما أوحي إليه، بلاغاً عاماً شاملاً، وأنه أمين الله على وحيه، وكلام ابن عجيبة الذي يتحدث عن واضع علم التصوف – على حد تعبيره – يتنافى وهذا الإيمان كما ترى.

وأما تخصيص آل البيت بشيء من العلم والدين دون غيرهم، فهذه فكرة موروثة ورثتها الصوفية من أسيادهم الشيعة، وقد نفى هذا الزعم علي بن أبي طالب نفسه، حيث روى مسلم حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب ﷺ فأتاه رجل فقال: ما كان النبي يسر إليك؟ فغضب وقال: ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يسر إلي شيئاً يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع. قال : فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال رسول الله ﷺ: (لعن الله من لعن والديه، لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض)[1].

ثم إن كلام ابن عجيبة ووراءه ابن عربي وابن الفارض وغيرهما من كبار مشايخ الصوفية يتضمن أن أبا بكر وعمر وعثمان لا يعلمون بعض الأمور – وهي من

---

(١) رواه مسلم (٥١٢٤).

الدين – قد يعلمها مشايخ الصوفية وهو ما سموه حقيقة أو تصوفاً، وهل يعتبر ديناً ما لم يعلمه أبو بكر وعمر وعثمان، وقد أمرت الأمة بالأخذ بسنتهم والاقتداء بهم. قال ﷺ:(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)[1]الحديث وقوله: (اقتدوا باللَذين من بعدي – وأشار إلى أبي بكر وعمر)[2]"[3].

المسألة الثانية: مفاهيم الدين عند الصوفية:

إن المتأمل في التاريخ وكتب الصوفية يجد أنها"**قد شوهت هذه الطائفة (الصوفية) جمال الدين، وغيرت مفاهيم كثيرة من تعاليم الإسلام لدى كثير من المخدوعين الذين يحسنون الظن بكل ذي عمامة مكورة، وسجادة مزخرفة، وسبحة طويلة، ويستسمنون كل ذي ورم، فأخذوا يحاولون أن يفهموا الإسلام بمفهوم صوفي بعيد عن الإسلام؛ الحق الذي كان عليه المسلمون الأولون قبل بدعة التصوف وبدعة علم الكلام وغيرهما من البدع التي شوشت على السذج، وحالت بينهم وبين المفهوم الصحيح للإسلام**". وبعد هذه التوطئة النفيسة من الشيخ رحمه الله قال:"**وإليكم بعض المفاهيم التي غيرتها الصوفية:**

مفهوم الدين الإسلامي عند الصوفية: ينقسم الدين الإسلامي عند الصوفية إلى قسمين:

الأول: الشريعة التي تضمنها الكتاب والسنة: وهي في زعمهم للعوام أو لغير الواصلين ويسمون علماء الشريعة علماء الرسوم؛ استخفافاً بهم بل يسمون الشريعة القشر الظاهري وهو قليل الجدوى، وأما اللب الداخلي المقصود بالذات فهي تلك

---

(١) سبق عزوه صـــ٥٦٦.

(٢) رواه الترمذي (٣٦٦٣) وصححه الألباني انظر: الصحيحة (١٢٣٣).

(٣) التصوف من صور الجاهلية مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـــ٢٧٤-٢٧٥.

الحقيقة التي اختص بها كبار مشايخ الصوفية، وهي التي سوف نتحدث عنها في الفقرة التالية.

ثانياً: الحقيقة: وهي خاصة بطبقة الواصلين كما تقدم وهي شيء آخر غير الشريعة وأعلى من الشريعة وأخص؛ لأن الشريعة إنما يلتزمها العوام وأشباه العوام من علماء الرسوم -كما زعموا، وبئس ما زعموا- وهذه الحقيقة المزعومة يرى بعضهم أنها علم التصوف، ويسمون تلك البدعة علماً وهي ليست من العلم في شيء، بل التصوف في الحقيقة عبارة عن طقوس مجمعة من البوذية والهندوكية واليهودية، وهي بعيدة عن الإسلام كل البعد ولا يتردد في ذلك إلا مريض القلب بمرض الوثنية، أو إنسان ضعيف المعرفة بالدين، فالمتصوفة طائفة مادية تريد أن تعيش تحت ستار العبادة وعبادتهم في الواقع عبارة عن عبث وأنواع من الرقصات فهم من الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وقد سموا تلك الرقصات ذكراً لتقبل وتروج ولكن على السذج وأما طلاب العلم أصحاب البصيرة فلا تنطلي عليهم مثل هذه التسمية"(١).

وأما مفهوم الذكر والعبادة عند أرباب الحقيقة فهي كما قال الشيخ رحمه الله:"**وأما بدعة طرق الصوفية فهي الأخرى قد حجبت كثيرًا من المخدوعين لها عن فهم حقيقة العبادة في الإسلام، حتى ظن جمهور المخدوعين أن التبتل أو التنسك معناه التصوف؛ وبالتالي غيرت الصوفية لديهم مفهوم الذكر فقد ظن أكثرهم أن ذكر الله عبارة عن اجتماع لفيف من الناس في مكان ما، وفي الغالب يكون عند ضريح من أضرحة المشايخ والسادة، ويعقدوا حلقات يطلق عليها ظلماً وعدواناً حلقات الذكر، ثم يأخذون في التمايل يميناً ويساراً، وهم يقولون: الله الله، وأخيراً هو هو، وإذا حمي الوطيس فلا تسمع إلا حوه حوه أوح ح. وقد يطفأ السراج إن أقيمت الحضرة ليلاً؛**

---

(١) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـــ٢٧٣-٢٧٤.

ليأخذ الذاكرون حريتهم؛ وليصل الذكر إلى حد الكمال، ويصل الواصلون!! يا للإسلام ما أعظم مصيبة أتباعه"[1].

وقال في موطن آخر موضحاً مدى عبث المتصوفة بهذه العبادة:"**ولقد تمكنت بدعة الصوفية من هذه العبادة العظيمة فعبثت فيها عبثاً، وأحدثت باسم الذكر ألفاظاً ما أنزل الله بها من سلطان، كما عبثت بالأذكار المأثورة فزعمت أنها تنقسم –في زعمهم– إلى ثلاثة أنواع:**

نوع للعوام

ونوع آخر للخواص

ونوع ثالث لخاصة الخاصة. وتقسيم الذاكرين إلى هذه الأقسام، يعد من مبتكرات مشايخ الصوفية ومبتدعتهم، بل قد أحدث الصوفية في أسماء الله تعالى حيث تكلمت فيها بغير علم، فزعمت أن من الأسماء مالا يصلح إلا للعوام، وأما الواصلون إلى الله فلهم أسماء خاصة لا يذكر الله بها العوام، وإليكم تفصيل ما أجملت:

أما العوام في زعم الصوفية هم من عدا الواصلين في اصطلاحهم، من طبقات المسلمين من العلماء وطلاب العلم وغيرهم، والواصلون هم أولئك الذين تمردوا على الشريعة واستخفوا بها ومرقوا عن حقيقة الإسلام والتقيد به، فسموا الأذكار التي جاءت بها نصوص الشريعة أذكار العوام مثل:(لا إله إلا الله وحده لا شريك له) الخ . الذي قال فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام :(أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير)[2]. هذا الذكر العظيم والتوحيد الخالص يعد عند المتصوفة من أذكار العوام.

---

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ضمن المجموع صـ٢١٩.

(٢) رواه الطبراني في الدعاء ٢٧٣/١ (٨٧٤) وقال المباركفوري: سنده حسن جيد كما قال الأذرعي.

أما الخاصة، وخاصة الخاصة من كبار الزنادقة الذين سبق أن تحدثنا عنهم مثل ابن عربي وابن سبعين فلا يتنازلون لمثل هذا الذكر وهذه الصيغة، أما ذكر الخاصة – في زعمهم– فهو تكرار لفظ الجلالة مفرداً (الله) ، (الله).

وأما ذكر خاصة الخاصة فهو ضمير الغيبة (هو) (هو) وربما اقتصر بعضهم على الآهات (آه، آه) بكيفية خاصة بأن يتمايل الذاكر – العابث – يمنة ويسرة، وأما العامي منهم عندما يذكر الله بالتهليل مثلاً يكون على هيئة معينة كأن يتمايل يميناً ويساراً يبدأ بـــ (لا) يميناً ويرجع بـــ (إله) فيتوسط ثم يختم بـــ (إلا الله) على اليسار، يبدأ التمايل في هدوء بعد الاستئذان من الشيخ أولاً، ويستمد منه المدد قائلاً (دستور) يا أستاذ، مددك يا سيدي، ثم يستأذن سلسلة الطريقة التي ينتسب إليها من قادرية أو تيجانية أو رفاعية أو مرغنية فيقول: دستور يا أصحاب الطريقة والقدم.

وبعد أن يجأر بأسمائهم هكذا معتقداً أنهم يسمعونه ويأذنون له بقلوبهم، وبعد أن يتلطخ هكذا بهذه الوثنية ليتقبل ذكره يبدأ في الذكر.

ومما ينبغي أن يعلمه طالب العلم من هذه الجاهلية الصوفية أن ذكر الله لا ينفع به الذاكر ولا يقبل منه ولا يقرب إلى الله في دين الصوفية إلا بإذن من شيخ الطريقة، وللشيخ أن يحرم على دراويش طريقته أن يذكروا بالذكر الذي تذكر به الطريقة الأخرى وترقص به، وعلى الدراويش أو المريد الصغير أن يلتزم ذلك التحريم ولا يعصي الشيخ أدنى عصيان وإلا فهو مهدد بسوء الخاتمة، بل عليه أن يعتقد أن الشيخ جاسوس قلبه فعليه أن يراقب خطرات قلبه بدقة ومن الأمثال السائرة عند الصوفية (إن حضرت عند نحوي احفظ لسانك، وإن حضرت عند العارفين احفظ قلبك).

وأما أسماء الله الحسنى فمنها ما هو صالح للعوام فقط، ولا يناسب الواصلين: كالعفو والغفار ولهم كلام طويل هنا يعرف بالرجوع إلى كتبهم"[1].

---

(١) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـــ٢٧٩-٢٨١.

وقال أيضاً مبيناً مفهوم العبادة عندهم:"**وأما العبادة عند المتصوفة فهي عبارة عن إقامة الحفلات الموسمية كالاحتفال باسم المولد النبوي، والاحتفال باسم الإسراء والمعراج، وعيد أول السنة الهجرية، وعيد النصف من شعبان، وصورت الصوفية لجمهور المخدوعين أن هذه الاحتفالات والأعياد هي الإسلام، بل هي من أعظم ما يتقرب به المسلمون إلى الله، فطالما يحافظون عليها فهم بخير والحمد لله، شرقوا أو غربوا أو ألحدوا أو وحدوا، والعبارات المخدرة لا تفارق ألسنتهم (أمة محمد بخير).**

ولا شك أن الباحث الفهيم المهتم بشئون الدعوة الإسلامية يرى أن أفظع فتنة فتنت بها هذه الأمة في العصر الحديث فتنة علم الكلام وفتنة التصوف، وجميع المشاكل التي سوف نتحدث عنها إن شاء الله تتفرع معظمها عن هاتين البدعتين والله المستعان"(١).

والبلاء الذي دخل على الصوفية بسبب جهلهم بتعاليم الدين، حيث غيروا مفاهيمه بسبب الجهل، فكان فيهم شبه كبير من النصارى، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**هذا وإن عدم الفقه الدقيق هو الذي حمل العبّاد أو المنتسبين إلى التنسك والتعبّد على ابتداع طقوس بعيدة عن روح الإسلام، وأطلقوا عليها أسماء من عند أنفسهم على حساب الإسلام، وفرقوا بها جماعة المسلمين ووزعوهم على تلك البدع، وأعلنوا عن أنفسهم أنهم أهل الله وأحباؤه، ولهم صلاحية ليست للأنبياء والرسل. إذ في إمكانهم أن يأخذوا الدين وشرائعه عن الله مباشرة بغير واسطة جبريل ودون الحاجة إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام.**

هكذا تدعو جهلة الصوفية إلى الردة من حيث لا تشعر، أو من حيث تشعر بالنسبة لأقطابهم. ومن تلكم الطرق المبتدعة الطرق الآتية أسماؤهم:

١- الطريقة التيجانية.

٢- الطريقة القادرية.

---

(١) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ضمن المجموع صـــ٢٢٠.

٣ الطريقة السنوسية.

٤- الطريقة المرغنية.

إلى آخر تلكم الأسماء التي وزعت المسلمين طرائق قددا، وسماها أولئك الذين لا فقه لهم في الدين أنها من طوائف المسلمين، بل زعم بعض هؤلاء أن أصحاب هذه الطرق من دعاة الإسلام، وأنهم الذين انتشر الإسلام بدعوتهم في العالم، يا لها من فرية ما أفظعها ويا لها من جهل ما أقبحه.

إن هي إلا بدع سميت بغير أسمائها لو كانوا يفقهون. ولا يستكثر على مشايخ الصوفية أن يأتوا كل بدعة وأن يقولوا كل قول بعيد عن الصواب؛ لأنهم أوعية جهل لو صح هذا التعبير، ولعلي لا أثقل عليكم لو نقلت لكم بيتا صوفياً يشتمل على الوعظ والإرشاد في دين الصوفية وهذا نصه:

فأكثر ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم على الكريم[1]

وأتركه هكذا دون تعليق لتأخذوا حريتكم في التعليق: وجهلهم مركب وهو من أقبح أنواع الجهل كما لا يخفى"[2].

المسألة الثالثة: من أساليب الصوفية في الدعوة إلى طرقهم:

لكل طائفة أساليب في نشر ما هم عليه، وتثبيت من بقي من أتباعهم، ومن السفاهة أن تلجأ بعض الطوائف إلى طرق دنيئة، لا تروج إلا على مَن أعمى الله قلبه وجعل على بصره غشاوة، وأرخص الأساليب هي أساليب الرافضة والمتصوفة، ومن الأساليب التي أشار إليها الشيخ رحمه الله في ردوده على الصوفية ما يلي:

---

(١) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ كما عزاه إليه صاحب وفيات الأعيان ٢٤٠/١، وهو في ديوانه صـ٣٠٧، إلا أن عجز البيت (فإنك قاصد رباً غفورا).

(٢) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـ٢١٧.

ألقاب وهمية يستغلها مشايخ الصوفية لاستجلاب الأرزاق وإفساد العقيدة :

إن التصوف ازداد انحرافاً بعد اختلاطه بالفلسفات الهندية واليونانية والرهبانية، حتى أصبح تجارة للمشعوذين والدجالين، ولكل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين ممن قلت بضاعتهم في العلم الشرعي، حيث صار كثير ممن ينتسب إليهم همهم أكل أموال الناس، والاحتيال عليهم بذلك، ومن تلك الحيل التي استغلها مشايخ الصوفية؛ لاستجلاب أرزاق الناس=التمويه عليهم بأن الأولياء لهم تصرفات في الكون وصلاحيات للمشاركة مع الله في حكمه وقضائه، وحتى يروج ذلك على الناس اخترعوا تلك الألقاب التي ضخموا بها أوليائهم ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ قال الشيخ رحمه الله:"**والخرافات التي يوهم بها مشايخ الصوفية عوام الناس أن لهم تصرفات في هذا الكون وصلاحيات للمشاركة في أقدار الله، تلك الألقاب التي اصطنعوها لأشخاص مجهولين بل لا وجود لهم في الدنيا منها:**

١- الغوث أو الغوث الأعظم: وهو واحد دائماً لا يتعدد، وهذا المنصب منصب متنازع فيه دائماً فابن عربي يدعيه بوصفه خاتم الأولياء -كما زعم - والتيجاني[(١)] يدعيه ويصدقه أتباعه المؤمنون به، ويرون أنه الغوث الأعظم، والقادرية تدعيه للشيخ عبد القادر الجيلاني[(٢)] وهو برئ منهم ومن دعواهم[(٣)]..

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني البربري الصوفي الخرافي، صاحب الطريقة التيجانية، توفي سنة ١٢٣٠هـ. انظر: جوهر المعاني ١/٥-٢٧.

(٢) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله البغدادي الحنبلي، غلا فيه الصوفية حتى جعلوا قبره وثناً يعبد من دون الله، له مصنفات منها: الغنية، توفي ٥٦١هـ. انظر: ذيل طبقات الحنابلة ١/١٩٠.

(٣) قال الشيخ رحمه الله:"لأن الشيخ عبد القادر الجيلاني - وهو خلاف (الجيلي)- عالم حنبلي بغدادي نشأ ببغداد وتوفي ببغداد. وذكره الذهبي في (العلو) واستشهد بكلامه في الصفات، وذكر أنه معروف بالكرامة وإجابة الدعاء، أو كلاماً قريباً من هذا فليراجع . ولعل هذا المعنى هو الذي جعل عوام الناس تبالغ في تعظيمه إلى حد العبادة، ثم زعم بعض الماكرين من المتصوفة أنه صاحب طريقة ونسبوا له الطريقة القادرية ثم زعموا أنه غوث الزمان، والغريب في الأمر تلك القباب المنتشرة في

ومما لا يخفى على صغار طلاب العلم قبل الكبار أن إطلاق الغوث على مخلوق ما والاعتقاد بأنه هو الذي يغيث العباد، أو أن الله لا يغيث العباد إلا بواسطته، اعتقاد وثني كانت تعتقده الجاهلية الأولى بالنسبة للواسطة لا الاستقلال، وأما اعتقاد أن مخلوقاً ما يغيث العباد مستقلاً بنفسه ويعطي ويمنع وينفع ويضر فهو اعتقاد لا يوجد حتى عند الجاهلية الأولى، وإنما يدين بهذا الاعتقاد أتباع الصوفية فقط، وهم يشركون بالله في عبادته وربوبيته كما علمت مما تقدم.

٢- اللقب الثاني: لقب القطب أو الأقطاب: ومن أساطير الصوفية الطريفة أن الأقطاب لا يزيد عددهم على سبعة أشخاص، وأما من حيث الصلاحيات فإن الغوث مهمته الإشراف العام على التصرفات والصلاحيات التي يقوم بها الأقطاب من إغاثة الملهوف والتصرفات الأخرى.

٣-واللقب الثالث: الأوتاد: وعددهم أربعة أو ثلاثة ولو مات هؤلاء الأوتاد جميعاً لفسدت الأرض واختل نظام الحياة فيها - في زعم المتصوفة -

٤- اللقب الرابع: الأبدال: وعددهم أربعون موزعون على النحو التالي:

اثنان وعشرون منهم يسكنون الشام.

وثمانية عشر منهم يسكنون العراق. ولست أدري من وراء هذا التوزيع.

٥- اللقب الخامس: النجباء: وهم دون الأبدال في الدرجة طبعاً وعددهم سبعون ومقرهم بمصر، ووظيفتهم أنهم يحملون عن الخلق أثقالهم.

=

أكثر الجهات في المدن والقرى ويطلقون عليها قبة الشيخ عبد القادر، وأنا أجزم أن من سموه الشيخ عبد القادر الجيلاني وعبدوه من دون الله وبنوا عليه تلك القباب إنما هو كائن مجهول اخترعه شياطين الإنس مستعينة بشياطين الجن، وليس هو الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي- هذه هي النتيجة التي وصلت إليها بعد تفكير طويل في أمر الجيلاني- والله أعلم"ا.هـ. وللاستزادة انظر: الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية.

٦- اللقب السادس: النقباء: وهم ثلاثمائة وقيل خمسمائة وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض.

هذه مملكة الصوفية المسؤولة عن الدنيا كلها، من غوث يخطط للأقطاب ويشرف، وأقطاب يغيثون ويدبرون الأمور تحت إشراف الغوث، ويقبضون على من تحتهم من الأوتاد بالعلم الخاص، وهؤلاء مجموعة احتياطية لمنصب القطبانية، بحيث لو مات أحد الأقطاب السبعة يرقى أحد الأوتاد الأربعة إلى منصب القطب الميت فيصبح عددهم ثلاثة .... إلى آخر ذلك العبث الصوفي .

ففي هذه المملكة الوهمية يستعبد مشايخ الصوفية أتباعهم ولم يكن الله -في دين الصوفية- هو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ولم يكن له ملكوت كل شيء، ولكنه خلق الخلق ثم أمر التصرف والتدبير لبعض خلقه، وهم مشايخ الصوفية هذا ما تدين به الصوفية - تعالى الله عما تزعمه الصوفية"[(١)] علواً كبيراً.

وقد بين الشيخ أن هذه الألقاب انطلت على الناس لما ضعفت دعوة الحق حيث قال:"**ولما رأى مشايخ الصوفية خلو الميدان وتقاعس دعاة الحق عن واجبهم، نزلوا الميدان ولقبوا أنفسهم بما سبق أن سمعناه من الألقاب الخداعة**[(٢)]**، فترلوا ميدان الدعوة إلى الإسلام ليتاجروا بالدين، وليجعلوا الإسلام واجهة لدعوهم الوثنية أو الإلحادية أحيانا على ما تقدم. فأفسدوها حتى صار أتباعهم ومريدوهم يخشوهم كخشية الله أو أشد خشية، ويراقبوهم أشد من مراقبتهم لله، هل هذا هو الدين؟ وهل هذه كل الدعوة إلى الإسلام وأي إسلام هذا يا سبحان الله!!**

---

(١) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـــ٢٨٥-٢٨٦.

(٢) قال شيخ الإسلام:"وأيضاً فجميع هذه الألفاظ لفظ الغوث والقطب والأوتاد والنجباء وغيرها لم ينقل أحد عن النبي ﷺ بإسناد معروف أنه تكلم بشيء منها ولا أصحابه ولكن لفظ الأبدال تكلم به بعض السلف ويروى فيه عن النبي صلى الله عليه و سلم حديث ضعيف" منهاج السنة ٩٣/١، وانظر: مجموع الفتاوى ٤٣٣/١١.

وللأسف الشديد هذا هو مفهوم الدين الإسلامي عند جمهور المسلمين الذين تلقوا على أيدي مشايخ الطرق ولدى كثير من الذين يحسنون الظن بهم...الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وله الحمد والمنة وحده ربنا لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[(١)].

إسقاط التكاليف الشرعية:

الحقيقة أن فكرة إسقاط التكاليف الشرعية تسربت إلى بعض المتصوفة من الباطنية، ولا غرابة في ذلك فقد سبق أن التصوف لفيف من الآراء والمعتقدات المأخوذة من بعض الديانات والفرق المنحرفة.

قال الشيخ رحمه الله:"**ومن أحد أساليبهم المتطورة في هذا العصر أن زعم بعضهم أن هذه التكاليف الشرعية من امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، أمور مؤقتة ولها حد تنتهي إليه ثم تسقط، وزعم هذا الزاعم أنه قد وصل تلك المنزلة فسقطت عنه جميع الواجبات وأبيحت له جميع المحرمات حيث لا يقال في حقه هذا حرام أو حلال. أو هذا واجب وهذا مستحب. وهو يحاول بذلك أن يقتفي أثر رئيس الملاحدة وقطب وحدة الوجود ابن عربي الطائي وشاعر تلك الملة ابن الفارض ويحذو حذوهما. وتبدو الفكرة جديدة ومتطورة لدى كثير من الناس؛ لغرابتها، ولما أدخل عليها من بعض الزخرفة والزركشة حتى ظهرت الفكرة كأنها فكرة حديثة، وهي في أصلها فكرة قديمة قدم كفر وحدة الوجود التي منشأها تعطيل الصفات على طريقة الجهمية المعروفة، وهي فكرة يؤمن بها كل صوفي -وللأسف- ويسعى لها بأنواع من المجاهدة في زعمهم، وهو سر انتقادنا للصوفية وشطحاتهم.**

وما يؤخذ عليهم كثير جداً لو وسعنا التعداد، ولا يشك كل من له أدنى فقه في الدين إن فكرة وحدة الوجود ملة مغايرة للإسلام، وآخر التطورات التي علمناها

---

(١) سير الدعوة في أفريقيا عبر التاريخ ضمن المجموع صـــ٣٢٠.

في هذا الخصوص دعوى محمود محمد طه السوداني[1]؛ حيث زعم أن تلكم الفكرة الإلحادية التي يدعو إليها هي مضمون الرسالة الثانية من الرسالتين المحمديتين –على حد زعمه–، حيث زعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث برسالتين اثنتين. أما الرسالة الأولى: فقد بلغها. وأما الثانية: فلم يبلغها. ويعلل ذلك بقوله: إن القوم الذين بعث فيهم رسول الله أول ما بعث ليسوا على استعداد لفهمها والعمل بها؛ لأن مستواهم العقلي لا يؤهلهم لفهمها. أما الآن وقد نضجت العقول وتقدم الفكر البشري قد آن الآوان للدعوة إليها والعمل بها إلى آخر تلك الجعجعة – المثيرة للضحك والبكاء في وقت واحد. نعم إنها تثير الضحك إذا نظرت إليها ككلام ساقط ليس له أي قيمة علمية وإنما هو هذيان لا ينطلي على العقلاء، ومثيرة للبكاء حيث وصلنا نحن المسلمين إلى هذا المستوى من البرودة وضعف الغيرة على شريعة الله التي

---

(١) هو رجل سوداني من مدينة عطبرة، سجن وتأثر بكتب ابن عربي، وادعى النبوة، رد عليه الشيخ في محاضرة نفيسة عام ١٣٨٣هـ بعنوان: (المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية) طبعت على نفقت رابطة العالم الإسلامي. قال الشيخ رحمه الله في مستهلها مبيناً حقيقة الرجل:"ومن أخطر ما جاء في كلامه –هداه الله– قوله بأن العبد يترقى حتى يسمى بالاسم الفرد (الله) بدعوى أنه يسمو ويعلو روحياً بالرياضيات الروحية وبالخلوة، فيترقى إلى درجة الألوهية والربوبية، فيسوغ له آنذاك أن يقول هو (الله) سبحانك هذا بهتان عظيم. **وهذه النقطة هي حجر الأساس في دعوته، وهي هدفه الأول والآخر؛ لأنه يستطيع بمقتضاها أن يسقط عن الناس جميع التكاليف، ويصبح الإنسان حراً مطلقاً، لا يخضع للأوامر والنواهي، وهذا ما يريده ويدعو إليه...إلا أنه سلك في دعوته إلى هذه النقطة مسلك اللف والدوران والتعمية على الناس، وكان يحلق في أجواء بعيدة لا يدركها عوام الناس، وفات المسكين (محموداً) أن الإنسان إذا بلغ تلك المرحلة وسمي (الله) لا يقف عند الحرية المطلقة التي يشهدها (محمود) بسقوط تكاليف الدين فقط، بل يكون معبوداً؛ لأن الله هو المألوه المعبود، وبذلك يورط نفسه في أوحال الشرك من حيث لا يشعر**". وانظر: الموسوعة الميسرة ٤٢١/١-٤٢٦.

يتلاعب بها أمثال محمود، ولا يجد رادعاً يوقفه عند حده، بل لا توجد غضبة إسلامية يحسب لها حساب في المجالات الرسمية.. والله المستعان.

ولعل بعض الحضور يحسب أنني أتحدث عن أساطير الأولين، وليس الأمر كذلك، بل إن صاحب هذه الدعوة حيٌّ يرزق بمقربة منا في السودان - كما قلت آنفاً ولا يزال يعمل جاداً؛ لهدم الرسالة الأولى؛ وليقيم على انقاضها الرسالة الثانية المزعومة -لو استطاع إلى ذلك سبيلاً -، وفي الواقع أن الرجل مدع للنبوّة، ولكنه لن يستطع التصريح بها؛ خشية أن يغضب الشعب السوداني غضبة إسلامية فتكون نهاية له، لكنه لدهائه ولباقته استطاع أن يتظاهر بمظهر المصلح المجدد، علماً بأنه ليس لديه أي جديد، بل تنحصر فكرته في عقيدة وحدة الوجود التي يرأسها ابن عربي الطائي الملقب بمحي الدين، مع عاشقهم المعروف بابن الفارض ومن يدور في فلكها -كما سبق أن أشرت- مع محاولة السير مع الوادي حيث ما توجه، شرق أم غرب، كعادة المحترفين باسم الدين أو التجديد"(١). وقد بسط الشيخ رحمه الله الرد على ذلكم المدعو الذي يعتبر أنموذجاً حياً لمعاصر صوفي حلولي له تأثر بالفلسفة الباطنية، في محاضرة بعنوان: (المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية).

وتأثر الصوفية بالفلسفات الباطنية ليس بغريب، وقد أشار الشيخ إلى ديوانهم الباطني حيث لخص ما يتعلق به من كتاب (هذه هي الصوفية(٢)) حيث قال:"**ومن مزاعم الصوفية الغريبة التي لا تنطلي إلا على من باع عقله في سوق التصوف، أن لهم ديوانا باطنياً، ومقره بغار حراء، ورئيس الديوان هو الغوث الذي تقدم ذكره. وهو هنا بمثابة رئيس القضاة؛ لأن هذا الديوان مركز للقضاء الكوفي يحضره الأحياء والأموات من الأولياء، وقد تحضره الملائكة والأنبياء، ويذكر بعضهم أن النبي الكريم يحضر هذا الديوان أحياناً، ومعه عدد من آل البيت. وأما كيف يتم هذا الحضور للأحياء**

---

(١) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـــ٥٧-٥٩.

(٢) هذه هي الصوفية صـــ١٣١ لعبد الرحمن الوكيل.

والأموات من الملائكة والأنبياء والأولياء؟ كيف يسعهم الغار؟ أو المكان الذي أمام الغار؟ وهو الجبل الذي فيه الغار نفسه يسعهم؟!! هذه الأسئلة غير واردة؛ لأن مثل هذا الهذيان من الكلام غير الواقعي إنما يحكى ولا يتحقق، وهذا ديدن القوم، لأنهم يغربون دائماً، وهذا الإغراب مقصود عندهم وهو مقبول عند الغوغائيين، وهو ميدان عملهم، وأما غيرهم فيخفون عنهم هذه الأسرار إن استطاعوا أو يبتعدون عنهم، بل يعادونهم كما تقدم. وهناك رواية أخرى تقول: إن المجلس الذي يسمى ديواناً في لغتهم إنما ينعقد في القاهرة في فضاء صغير خلف (زويلة المتولي) وهو المكان الذي يستقطب فيه كثير من المصابين بأمراض مختلفة، إذ تنهطل البركات والرحمات مجلوبة بسر ذلك الكائن المجهول الذي يقيم هناك مختفياً عن الأنظار، وهو الغوث ليرأس المجلس، وهو لا يسأل عنه ولا يبحث عن وجوده الفعلي، وإنما الواجب الإيمان بوجوده السري. هكذا يزين الشيطان لمشايخ الصوفية وأتباعهم مثل هذه الأسطورة.

وأما ماذا يفعل المؤتمرون في هذا الديوان؟! يجيب على هذا السؤال مشايخ الصوفية قائلين: إنهم ينظرون في أقدار الله، ثم يحكم فيها الأقطاب تحت إشراف الغوث دون أن يرد لهم أي حكم أصدروه من ذلك الديوان في الأرزاق والآجال، بل حتى في خواطر الناس بحيث لا يهجس في خاطر أحد شيء إلا بإذن الأقطاب.

وبعد: إذا كان هذا الديوان الذي يرأسه الغوث هو الذي ينظر في شئون الخلق ويصدر أحكاما لا ترد، فما الذي بقي لله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وإليه المصير، وهو الفعال لما يريد ، وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون، أما هذه فعقيدة المسلمين الذين سلموا من وثنية التصوف، ولذا أقول: مكررا ما قلته سابقاً: إن وثنية التصوف وجاهليتهم أقبح بكثير من وثنية أبي جهل وزملائه وجاهليتهم؛ علما بأن ما ذكرته من تصرفات الصوفية وأعمالهم قطرة صغيرة من بحار كفرهم وجاهليتهم وظلمهم، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ

بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ .

فهل يجوز بعد هذا كله أن يقال: إن التصوف من الإسلام؟ أو أن يزعم زاعم أن مشايخ الصوفية دخل على أيديهم في الإسلام خلق كثير من الأفارقة والآسيويين؟ وهذه أسطورة. كالأساطير التي تقدم الحديث عنها، مثل أسطورة الديوان، وأسطورة الأقطاب والأوتاد مثلا"[(١)].

الكـــذب لنشر دعوتهم:

ومن الأساليب التي يستخدمها أهل الباطل؛ لترويج ما هم عليه، وهي طريقة ردية مأخوذة من تقية الشيعة، الكذب لمصلحة الدعوة، قال الشيخ رحمه الله تحت عنوان (مشايخ الصوفية يفترون الكذب في سبيل الدعوة إلى طرقهم):"**تحل الصوفية في اقتراف جريمة الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام في المرتبة الثانية تقريباً، بعد أن تشغل الشيعة المرتبة الأولى**"[(٢)]. وقال في موطن آخر:"**وأكثر من يكذب على الرسول هم الشيعة ثم الصوفية، والصوفية تندرج في الدرجة الثانية بعد الروافض، فالصوفية كذبوا ولكن حاولوا أن يعالجوا كذبهم قالوا:(نحن ما نكذب على الرسول نكذب له هو)، يكذبون للنبي عجباً!! هل النبي ﷺ بحاجة إلى أن تكذبوا له؟؟!! النبي ﷺ الذي أكملَ اللهُ له الدين في حجة الوداع فتأتوا بعد ذلك تكذبوا له، فلا تكذب له، لستَ بمشكور وإنما تظلم نفسك**"[(٣)].

---

(١) التصوف من صور الجاهلية مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـ ٢٨٧-٢٨٨

(٢) المصدر السابق صـ٢٨١.

(٣) من جواب على سؤال في شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية) الشريط (٢).

ومع كثرة الأساليب الرخيصة الدنية المستخدمة في الطرق الصوفية إلا أنا نجد ممن ينتسب للعلم مَن يهون من خطرهم، بل من قد يتبنى دعوتهم، قال الشيخ رحمه الله:"**ولكن الذي يخجل ويحمل المرء على الاستغراب أن يتبنى الدعوة إلى هذه الطرق المبتدعة ويعد أصحابها من دعاة المسلمين علماء أجلاء، ولو في نظر العامة ودكاترة محترمون، كيف جهلوا بأن هذه الطرق عقبة من العقبات التي يشكو منها دعاة الحق في كل مكان، وليس بينها وبين الإسلام صلة قرابة؛ إذ تتنافى تعاليم الإسلام في أصوله وفروعه، ودعوى أنها من البدع الحسنة دعوى عارية عن الدليل، ولا يوجد في الإسلام ما يسمى بالبدعة الحسنة. ورحم الله الإمام مالكاً إمام دار الهجرة إذ يقول:(من ابتدع في الإسلام بدعة فرآها حسنة فقد اتهم محمدا بالخيانة وعدم التبليغ) أو كما قال الإمام رحمه الله**[1].

حقاً إنه لا يكون ديننا اليوم ما لم يكن ديننا أمس في عهد النبوة. ولعمري لقد عظمت المصيبة على الأمة الإسلامية في العصر الحديث بهاتين البدعتين بدعة الكلام وبدعة الطرف الصوفية"[2].

المسألة الرابعة: القاديانية[3] وخطرهم على الإسلام:

قال الشيخ رحمه الله:"**ومما منيت به الدعوة الإسلامية في العصر الحديث وجود طوائف تعمل في ميدان الدعوة باسم الإسلام، ومن تلكم الطوائف القاديانية: التي نشأت بالقارة الهندية وباضت وفرخت قبل أن يحرك علماء المسلمين المسئولين عن**

(١) انظر: الاعتصام ١/٢٨.

(٢) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـ٢١٧-٢١٨.

(٣) القاديانية: هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة، ظهرت في القرن التاسع عشر في الهند، وتسمى أيضاً بالأحمدية، نشأت بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد الناس عن دينهم. انظر: الموسوعة الميسرة ١/٤١٦، القاديانية لإحسان إلهي ظهير.

الدعوة الإسلامية أي ساكن، بل لم يفطنوا لها ولانحرافها إلا بعد أن تمكنت في القارة في طولها وعرضها، واستفحل أمرها، فألفت الكتب ووزعتها، وأنشأت المدارس ونشرت مبادئها، ثم أخذت تنتشر في أطراف الدنيا. والمدهش من أمر علماء المسلمين المهتمين بالدعوة الإسلامية في القارة التي ظهرت فيها القاديانية أول ما ظهرت، وفي الجهات التي ظهر فيها نشاطها أخيرا والعجيب من أمرهم أنهم لم يحركوا بنت شفة في استنكار مبادئها، وبيان زيفها وتحذير الناس منها إلا في الآونة الأخيرة بعد أن تمكنت في الأرض.

كما قلت سابقا وعلى الرغم من القرار الذي اتخذته بعض الجهات الإسلامية بأن القاديانية تعتبر أقلية إسلامية في أرضها، على الرغم من ذلك فلا تزال الطائفة تزاول نشاطها في الجهة نفسها وفى الجهات الأخرى التي انتشرت فيها سابقا. كبعض دول أفريقيا.

وتعتبر الطائفة ونشاطها عقبة أمام دعاة الحق في تلك الجهات، وقد استمالت قلوب العوام بتلك النفقات الباهظة التي تنفقها على المدارس والمؤمنين بها بسخاء منقطع النظير.

فالواجب على جميع الجهات المسئولة أو المهتمة بالدعوة، السعي في إيقاف هذا النشاط الهدام كلياً، طالما ثبت كفر هذه الطائفة وردتها؛ بتكذيبها نصوص الكتاب والسنة التي تنص بأن محمداً عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين ولا نبي بعده، وبذلك نكون قد عملنا شيئا في تقليل المشكلات الكثيرة التي عرقلت سير الدعوة. في كثير من الجهات وشغلت بال الدعاة، علما بأن القضاء على نشاطهم ليس بالأمر السهل، بل الموقف يحتاج وقتا غير قصير مع وجود الحزم والصدق؛ لأن كثيرا من عوام المسلمين الذين لا يفرقون بين الشحم والورم قد اعتنقوا مباديء هذه الطائفة منذ أمد بعيد، وافتتنوا بها فشغلت أذهانهم الخالية بأفكارهم المسمومة، وخدعتهم أساليبها المعسولة، ولقنوهم الكفر والإلحاد باسم الإسلام. صحيح أن نشاط هذه الطائفة بدأ يضعف في بعض الجهات التي كانت قد تمكنت فيها؛ وذلك بنشاط أهلي محلي قد

يقوم به سكان المنطقة، كما لاحظنا ذلك في نيجيريا في هذه الأيام القريبة، فقد علمت في أثناء زيارتي الأخيرة لنيجيريا في بعض المناسبات بأن نشاط القاديانية قد خف الآن، حتى انحصر في المدارس الثانوية، بل قد أخذ القاديانيون المحليون يراجعون الإسلام من جديد بعد أن كانوا دعاة مخلصين للقاديانية. هذا خبر سار ولكنه لا يجعلنا نتكل ونترك العمل في القضاء على هذا النشاط في جميع مراحل مدارسنا ومؤسساتنا وبالله التوفيق.

وإذا كنا قد تساهلنا عند. ظهورها كما رأينا فلا ينبغي أن نتساهل مرة أخرى وهي مدبرة إذ (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)[1]. والله المستعان"[2].

المسألة الخامسة: أهداف مشايخ الصوفية في دعوتهم:

يهدف القوم في الغالب الكثير باسم الدعوة إلى الإسلام، إلى أهداف كثيرة، يمكن تلخيص ما ذكره الشيخ من رسالته (سير الدعوة الإسلامية في أفريقيا عبر التاريخ)[3]، مضيفاً ما ذكره في مقاله: (التصوف من صور الجاهلية) وإجمال كل ذلك في الأمور الآتية:

١- تسخير العوام واستخدامهم في مصالحهم الخاصة بدعوى أنهم أهل الله وخاصته، فيجب على الناس جميعا أن يخضعوا لهم، ويكونوا طوع أمرهم مهما كلفهم الأمر، وإن لم يكونوا كذلك فهم مهددون بسلب إيمانهم وسوء الخاتمة.

وتفاديا لهذا الخطر الجسيم يبالغ عوام المسلمين في الخضوع لهم إلى حد العبادة، وهذا أحد مفاهيم الدعوة إلى الإسلام عند القوم، فما رأى القاريء الكريم؟

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٣) ومسلم (٧٤٩٨).

(٢) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـ ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) من صـ٣١٧-٣١٨.

وانطلاقاً من هذا المفهوم تقول قاعدة صوفية معروفة: (يجب على المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل) مسلوب الحرية والاختيار، فاقد الإرادة والحركة حتى حركة الضمير وحديث النفس؛ لأن من صفات الشيخ معرفة ما في الضمائر، ومن خرج على هذه القاعدة يكون عرضة لغضب الشيخ، ومن يحلل عليه غضبه فقد هلك. قال الشيخ مؤكداً ذلك:"**تعال لأحدثك عن بعض الثقات وهم شهود عيان ما هو أغرب من هذا، وذلك حين يعبث بعض مشايخ الصوفية بالأعراض، والدراوشة المستضعفون يطيعون المشايخ حتى في هتك الأعراض ، حدثني ثقة أن من خصوصية بعض مشائخ الطرق في بعض الجهات أن أي درويش إذا تزوج وتم الزفاف يترك (غرفة النوم) في الليلة الأولى ليزور الشيخ (الغرفة) فيباركها له ، ثم يأمره في الليلة الثانية ليذهب إلى بيته وقد حلت البركة ، وربما تتطلب الحال أن يكرر الشيخ الزيارة في الليلة الثانية ، فإذا (قضى منها وطرا) أمر الدرويش الغبي أن يذهب إلى البيت المبارك (الملوث) ، هكذا يعبث مشايخ الصوفية بجميع القيم فيفسدون العقيدة ويفسدون الأخلاق ويعبثون في الأعراض ويسلبون الأموال ويأكلونها بالباطل ، ويستعبدون الجهال من الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، ويعادون الدعاة إلى الله تعالى لأنهم يبصرون الناس حتى يدركوا أن مشايخ الصوفية ضللوهم وأبعدوهم عن الدين الحق الذي جاء به رسول الهدى محمد عليه الصلاة والسلام . مكر، وعربدة، ومجون.. وهذه الصفات في لغتهم كرامات وبركات وزهد وعبادة ودعوة للناس إلى الإسلام. والله المستعان**"(١).

ومن صور استغلال العوام في قضاء حوائجهم ما ذكره الشيخ بقوله:"**ولا أحسب الدرويش أنه يؤمن بالله تعالى ويخشاه ويراقبه، إيمانه بالشيخ وخشيته له ومراقبته إياه؛ لأنه يرى حياته الاجتماعية والمادية والدينية – إن كان له دين – يرى أن ذلك كله مرتبط بالشيخ وإذا لم يظهر للشيخ –ولو تصنعاً – أنه من المخلصين له ولطريقته**

(١) التصوف من صور الجاهلية ضمن مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـــ٢٨٦.

فسوف يبقى دائماً في ذل الدروشة، ولا تحصل له الترقية إلى درجة (مريد) حيث يصبح إنساناً له نوع من الاعتبار، ثم لا يتخرج خليفة له شأنه؛ ليعين في مكان معروف بكثرة الزراعة أو بالثروة الحيوانية أو في مدينة معروفة بالتجارة والصناعة؛ ليصبح بعد فترة قصيرة من أثرياء تلك البلدة، وتزداد بذلك ثروة الشيخ الكبيرة وتتضخم، وبالتالي تستفيد الطريقة من وراء ذلك مادة وصيتا طويلاً، وتقدم الطريقة بسخاء الهدايا الثمينة والذبائح السمينة لمشيخة الصوفية، إذ يتقدم الشيخ أمام تلك الهدايا في تيه وكبرياء؛ ليعلن أنها هدايا من الطريقة التيجانية مثلاً، فيرمي الشيخ من وراء ذلك أن يرشح لرياسة مشيخة الصوفية، وهذا بيت القصيد من جميع تلك الحركات"(١).

٢- تزهيد الناس في علماء الشريعة وطلاب علم الكتاب والسنة بدعوى أنهم أهل الحقيقة، والعلماء أهل الشريعة، أو هم أهل الباطن والعلماء أهل الظاهر، وعلوم الشريعة قشور غير نافعة ما لم يكن في داخلها اللب الذي عند الصوفية، وهو ما يسمونه بالعلم الباطن أو العلم اللدني.

وهذا كما ترى محاربة سافرة لما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام من علم الكتاب والسنة ومحادة لله ولرسوله من حيث لا يشعرون أومن حيث يشعرون أحيانا.

٣- أنهم يسعون مشمرين عن ساعد الجد للوصول إلى ما يسمونه بالحرية المطلقة وهي: التحلل الكلى من جميع التكاليف، وهو دين وحدة الوجود ويعدون بعض الملاحدة كابن عربي وابن الفارض من أقطابهم، ويحاولون الوصول إلى ما وصلوا إليه من الزندقة والخروج على الكتاب والسنة ويلقبون هؤلاء، الزنادقة بالألقاب الآتية:

الواصلون العارفون بالله. الأقطاب وأخيرا الغوث الأعظم. ما أعظم الفرية؟ وكأن الغوث لا يجمع في اصطلاح القوم، ولا مشاحة في الاصطلاح"(٢).

---

(١) المصدر السابق صـ٢٧٩-٢٨١.

(٢) سير الدعوة في إفريقيا عبر التاريخ ضمن المجموع صـ٣١٧-٣١٨.

المسألة السادسة: الحكم على الصوفية:

إن من الصعب جداً تمييز طوائف التصوف أو الحكم عليهم بحكم شامل لجميع فرقهم وعقائدهم، فصوفية اليوم طرق كثيرة، منهم العوام الذين لا يعرفون إلا الأذكار الجماعية، والتماس البركات من شيخ الطريقة، ومنهم الغلاة الذين يعتقدون بما يقوله ابن عربي وابن الفارض، ومنهم من أهل العلم في الفقه ولكنهم ينتسبون إلى طريقة من الطرق المشهورة، وكأن المنتسب يشعر بالنقص إذا لم ينتسب إلى طريقة من طرقهم المبتدعة، ومع ذلك تجده لا يمارس طقوسهم، ولا يعتقد الكثير من عقائدهم، ولكنه التقليد والخوف من الخروج عن المألوف، وقد بين الشيخ رحمه الله حكم الصوفية بقوله:"**فالصوفية الملاحدة هم وحدة الوجود، والحلولية الذين لم يصلوا إلى الوحدة ولكن يزعمون أن الله يحل في بعض الشخصيات وفي بعض الأجسام هؤلاء ضُلال يصل ضلالهم إلى الكفر.**

أما الصوفية العادية مبتدعة لا تصل بدعتهم إلى الكفر لكن إيمانهم بفكرة ابن عربي بفكرة وحدة الوجود والحلولية والسعي للوصول إلى هذه الدرجة هذا هو الخطأ وهذا يدل على جهلهم وحسن الظن بِهذا الملحد الكبير ابن عربي الطائي الذي قال فيه الإمام ابن تيمية:"أتى بكفرٍ لم يأت به كفار قريش"، وهذا شيء معقول أبو جهل ما ادعى بأن الله اتحد معه – صار أبو جهل والله شيء واحد ما قال هذا–، أبو جهل يعلم وجود الله ويؤمن بتوحيد الربوبية وإنما كفر بتوحيد العبادة إذن هو أحسن حالاً من ابن عربي الذي يقول ليس في الجبة إلا الله؛ لأن الله اتحد معه، فالإيمان بهذه الفكرة وتصديقها والسعي إليها هذا من أخطاء الصوفية العادية"[1]. وقال في موطن آخر مبيناً أن مسلك ابن عربي ومن سار على شاكلته منهج غير منهج الدين الذي شرعه الله فقال:"**حقيقة دين الصوفية وأنه غير الدين الإسلامي في حقيقته، والله المستعان: وإن كان القارئ يلاحظ أن في هذا الحكم نوعاً من القسوة أو المبالغة، وإنما يرجع ذلك؛**

(١) ٢٨ سؤال حول الدعوة السلفية السؤال و (ب) س (٢٢).

لأنه حكم جاء مخالفاً للمألوف الموروث، وأما القارئ المتجرد من مألوفات قومه بعقله الحر، وله اطلاع على نصوص الشريعة في باب الردة خاصة، فلا يشك أن ما تدعو إليه الصوفية من وحدة الوجود، ومن دعوى حلول الرب تعالى في فرد من مخلوقاته، أو من دعوى الاستغناء عن الشريعة المحمدية بدعوى الأخذ من الله مباشرة، أو نقل الأحكام من اللوح المحفوظ بالنسبة لخواصهم، فلا يتردد في تكفيرهم، وبالتالي لا يتهمنا بالمبالغة أبدا"[1]**."وأما الذين لم يصلوا إلى هذه الدرجة من التصريح بوحدة الوجود فلا يسلمون أيضا من الكفر، بل ينالهم نصيبهم مما أصاب كبارهم من الكفر، لإيمانهم بذلك الكفر الذي تقدم شرحه وتوضيحه، لأن الرضا بالكفر كفر، وهو أمر لا يختلف فيه فقيهان، اللهم إلا إذا كان له عذر كأن حالت بينه وبين فهم الحقيقة شبهات وجهل فقبل عذره. والله أعلم"**[2]**.

(١) التصوف من صور الجاهلية مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٢) صـ٢٧٨.

(٢) المصدر السابق صـ٢٧٩.

المبحث الرابع
جهود الشيخ في الرد على الفلاسفة والمتكلمين

تمهيد

لقد سعى أهل الباطل لتلويث عقيدة السلف الصافية، بعلوم دخيلة على الإسلام والمسلمين، مستخدمين الحجاج والجدل عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، وكانت بوادر فتنتهم في الكلام على أسماء الله وصفاته، وقد تنوعت عقولهم، واختلفت أفهامهم؛ ولذلك اضطربت أقوالهم، وقد تصدى لهم أئمة الإسلام قديماً وحديثاً، وكان للشيخ محمد أمان النصيب الأوفر في التحذير من طرقهم في هذا العصر؛ لاسيما وقد درس صغيراً عقيدتهم، فعرف الشر، وأدرك حلاوة الخير، فأصبح ينافح عنه بكل ما أوتي من قوة، وسأعرض في هذا المبحث جهوده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كشف حال الفلاسفة والمتكلمين؛ وذلك لاتفاق مشربهم في الاستدلال، فإن عمدة الجميع العقل، وهم في ذلك بين مقل ومستكثر، كما أن المتكلمين شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية، وتسرب إليهم شيء كثير من مسلك الفلاسفة العقلاني.

وصدق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال مبيناً أثر الفلسفة وعلم الكلام على عقيدة التوحيد: **"فسلطت الفلسفة على المطالب الإلهية فأعرض الناس عن النصوص في هذا الباب، فصاح فيهم شيطان الفلسفة وعلم الكلام بأن النصوص لا تفيد اليقين وأنها ظنية، وأن الأدلة العقلية هي اليقينية، ودعوا عنكم الظنية إلا حين توافق اليقينية، ومن تاريخ هذه الصيحة المنكرة أصاب منهج التوحيد انحراف خطير فشب على ذلك الوليد وشاب الكبير، فأنكروا استواء الله على عرشه على ما يليق به كما أخبر عن نفسه، كما أنكروا أن يكون القرآن كلام الله، وأنه يحب أولياءه ويحبونه، وأنه يرحم عباده على ما يليق به، ويجيء لفصل القضاء يوم القيامة كما يليق به سبحانه.**

والطالب الذي يدرس المنهج يتعلم فلسفة التعطيل والتحريف فيتخرج موحداً، أي: معطلاً ومنحرفاً فتصبح كلمة التوحيد ولفظة الموحد من ألفاظ الأضداد"(١).

وقال أيضاً:**"لقد عظمت المصيبة على الأمة الإسلامية في العصر الحديث بهاتين البدعتين: بدعة الكلام وبدعة الطرف الصوفية. أما بدعة الكلام فقد صرفت شباب الجامعات وكثيراً من طلاب العلم في المساجد في كثير من البلدان الإسلامية عن دراسة العقيدة الإسلامية التي كان عليها سلف هذه الأمة، والتي نطق بها الكتاب وشرحتها السنة فقد جهلها كثير، من شبابنا المخدوعين بذلك الكلام المذموم الذي ذمه أئمة المسلمين، وحذروا منه. ومن المغالطات الغريبة: أن يطلق على عقيدة طائفة من أهل الكلام أنها عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي بعيدة عن السنة، وعما كانت عليه الجماعة بعدهم عنها. وهم يدخلون في عموم قوله تعالى:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ ، وقوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ **وقد شغلت تلكم المغالطة وزخرف القول فراغ قلوبهم، واستولت على عقولهم، ولم يبق مكان لقبول الحق إلا من رحم ربك وأدركه بلطفه"**(٢).

والمقصود أن الشيطان قاد كثير من المتأثرين بالفلسفة وعلم الكلام ببث الخلل في طريقة الاستدلال عندهم، فوقعوا في الضلال فيما يجب اعتقاده في حق الله تعالى، والقاسم المشترك بين الفلاسفة والمتكلمين في ذلك هو الاعتماد على العقل، على اختلاف فيما بينهم، فمنهم من وصل إلى تقديسه، ومنهم دون ذلك، وقد سرى داء الغلو في العقل وإهمال النقل والإعراض عن دلائله، سرى من الفلاسفة إلى عموم أتباع الملل،

---

(١) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـــ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق صـــ ٢١٨.

وكان لطرائق المتكلمين المنتسبين إلى الإسلام حظ كبير من هذا الداء، بسبب ما أشربوا من حب علوم الفلسفة العقلية، أو افتتانهم بمسائلها ودلائلها، وتعظيمهم لرموزها[1]. وقد سبق بيان الشيخ رحمه الله لما يجب اعتقاده نحو العقل، وأنه لا يمكن أن يخالف المنقول الصريح[2]. قال الشيخ رحمه الله:"**الأصل عندهم الاعتماد على العقل، وأما النقل فإنما يذكر من باب الاعتضاد بها والاستئناس بها، لا من باب الاعتماد عليها؛ الاعتماد على العقل فقط. على أي عقل؟! عقل الجهمية؟ عقل المعتزلة؟ عقل الأشاعرة؟ عقل الماتريدية؟ أي عقل؟!**"[3].

ولاشك أن ما ذهبوا إليه مسلك وخيم، لا ينبغي التسليم به؛ وذلك كما قال الشيخ:"**للأسباب الآتية:**

السبب الأول: **أن كبار أئمتهم قد أدركوا خطورة هذا الموقف على "إيمانهم" فرجعوا في آخر حياتهم عن هذا المسلك إلى منهج السلف الذي نحن بصدد بيانه، وفي مقدمتهم الإمام أبو الحسن الأشعري الذي عاش أربعين عاماً في الاعتزال، وهو إمامهم ثم تاب الله عليه فتاب. وسوف يأتي مزيد بيان لهذه النقطة إن شاء الله عند الترجمة لبعضهم.**

السبب الثاني: **لا يجوز شرعاً، ولا يستساغ عقلاً أن يعارض كلام الخالق العليم بالمصطلحات التي وضعها المخلوق الجاهل الضعيف. وخاصة إذا تصورنا أن واضعي هذه المصطلحات من غير المسلمين في الغالب الكثير، كما أشرنا آنفاً.**

السبب الثالث: **أن موافقتهم فيما ذهبوا إليه تؤدي إلى الاستخفاف بأدلة الكتاب والسنة وأنها لا قيمة لها، حيث لا يستدل بها على وجه الاستقلال، وإنما تعرض عرضاً شكلياً -كما هو الواقع، وللأسف لدى كثير من الكلاميين على الرغم من إيمانهم في**

---

(١) انظر: موقف ابن تيمية من آراء الفلاسفة ٣٠٩ .

(٢) انظر: جهود الشيخ في تقرير قواعد الاستدلال في باب الأسماء والصفات، قاعدة المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح صـ ٣٥١.

(٣) شرح التدمرية الشريط (١٩) و (أ).

الظاهر. فلا بد من العمل بهذه النصوص بالاستدلال بها ليصدق الإيمان بها، هذا ما يعنيه الإيمان بالكتاب والسنة"[١].

وسيتم عرض جهود الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في هذا المبحث في ما يلي من مطالب، والله المستعان:

المطلب الأول: جهوده في الرد على الفلاسفة:

الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**وهم عشاق الحكمة في زعمهم؛ لأن لفظة (فيلو) معناه: محب الحكمة، ويسمون كبارهم: الحكماء، بينما يسمون بقية الناس: عواماً ولو كانوا أهل العلم والمعرفة**"[٢].

والمشهور أن الفلاسفة كما قال الشيخ ينقسمون:"**إلى قسمين:**

- فلاسفة يونانيون.

- والفلاسفة الإسلاميون.

وهذا التقسيم خطأ، إلا إذا كان الغرض بيان الجنسيات، الجنسيات لا تقدم ولا تؤخر، ولكن لا فرق بين الفلاسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي والكندي الذي يعتز به، بعضُ الكتّاب في هذا الوقت وبين الأولين من الفلاسفة اليونانيين؛ لأن هؤلاء الإسلاميين إنما يذهبون مذهب الفلاسفة اليونانيين، وهم يفضلون حكماءهم -يسمون علماءهم حكماء- يفضلون حكماءهم على الأنبياء، لا يؤمنون بالأنبياء وما جاءت به الأنبياء، إذن التفريق بين الفلاسفة وتقسيمهم إلى إسلاميين ويونانيين تقسيم شكلي، إذا كان الغرض بيان جنسياهم فمسلّم، وإن كان الغرض بأنهم يختلفون في العقيدة، لا، عقيدهم واحدة"[٣]. فإنه"**ليس في الإسلام فلاسفة، الفلاسفة اليونانيون والفلاسفة**

---

(١) الصفات الإلهية صـ٧٨-٧٩.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٥٥.

(٣) شرح التدمرية الشريط (١) و (أ).

الذين يسموهم فلاسفة الإسلام مذهبهم واحد، الاختلاف في الجنس، لا تأثير للاختلاف في الجنس المذهب واحد والملة واحدة"[1].

وأما معتقدات الفلاسفة وآرائهم في أصول الدين فهي:"أمشاج من الإلحاد والكفر والزندقة"[2]. قال الشيخ رحمه الله:"**والواقع أن الفلسفة شيء والتوحيد شيء آخر لا صلة له بها إن كان التوحيد هو ذلك الذي نطق به الكتاب والسنة، ولا علاقة لفلسفة أرسطو وأفلاطون بالتوحيد الذي يؤخذ من الوحي: الثرى غير الثريا**"[3].

ولما كان مصدر العلم عند الفلاسفة هو عقل الإنسان، والعلوم محصورة عندهم في المحسوسات، صار الفلسفي يبدأ عقيدته كما قال الشيخ:"**من ذهن خال، فيأخذ في التفكير والبحث الدقيق؛ ليصل بتفكيره وبحثه إلى الإيمان، بعد أن يقطع أشواطاً طويلة في التأني والسير خطوة خطوة، حتى يصل للإيمان بأي شيء أدى إليه تفكيره، فيؤمن به ويسميه حقيقة. يشبه بعض الكتاب هذا الفريق بقاضٍ عدل عرضت عليه قضية ما وهو خالي الذهن، فجعل يستمع إلى أقوال الخصوم وحججهم، حتى يدرك موقع الحق من عرض حججهم، فيحكم بينهم بما أدى إليه اجتهاده، بعد ذلك العرض الطويل من أقوال الخصوم وحججهم، وهؤلاء هم الفلاسفة الذين يسمون أنفسهم (بالحكماء) في الوقت الذي يسمون فيه غيرهم بالعوام، وقد يثبتون واسطة أحياناً، وهم علماء الكلام كما يقول أبو الوليد بن رشد: (إن علماء الكلام ليسوا بالعلماء -الحكماء- وليسوا من العوام) بل يسميهم (جدليين)**"[4].

وأما اعتقاد الفلاسفة في الأنبياء قال الشيخ رحمه الله:"**(والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم) أصل هذا الكلام الذي تستغربون إذا سمعتم، أصله من**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: الصفات الإلهية صــ ١٤٠.

(٣) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صــ ٢٢٣.

(٤) الصفات الإلهية صــ ٣٢.

الفلاسفة؛ لأن الفلاسفة يعادون الأنبياء، والفيلسوف الكبير عندهم أفضل من الأنبياء؛ ودخلت هذه الفلسفة على علماء الكلام من الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة لم يصلوا إلى هذه الدرجة"[١].

ويتضح بما سبق أن:"**الفلاسفة كفار سواء من الفلاسفة اليونانيين أو من سموهم بالفلاسفة الإسلاميين، لا فرق بين الفلاسفة اليونانيين أرسطو وأمثاله وبين الفلاسفة الإسلاميين كالفارابي والكندي هؤلاء كلهم فلاسفة، الفلاسفة لا يؤمنون بالنبوات، بل يفضلون حكمائهم على الأنبياء ويسمون كبارهم بالحكماء ويسمون غيرهم بالعوام، ولو كانوا من أهل العلم، العمدة عندهم في كل شيء العقل"**[٢].

وقد درس الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ نموذج لأحد الفلاسفة، الذي يعد فيلسوفاً كبيراً يكتنفه الغموض؛ حيث حاول الجمع بين الفلسفة والشريعة، وهو ابن رشد الحفيد صاحب بداية المجتهد، في بحث نفيس أعده الشيخ لحضور مهرجان ابن رشد الذي أقيم في تونس، ممثلاً في حضوره المملكة بتاريخ ١٣٩٨/٧/٢٥هـ.

ويتضح فيما سيأتي أن الفلاسفة هم أساتذة الجهمية والمعتزلة كما نبه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على ذلك[٣].

---

(١) انظر: شرح القواعد المثلى الشريط (٦) و (أ).

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٧) و (ب).

(٣) راجع: شرح الحموية الشريط (١) و (أ).

المطلب الثاني: جهوده في الرد على الجهمية:

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: "**المراد بالجهمية: أتباع الجهم بن صفوان[1]، وإن كان فيما بعد أتباع السلف توسعوا في إطلاق الجهمية على جميع النفاة حتى المؤولة، بما فيهم الأشاعرة، إذا قيل فلان جهمي أي: من النفاة أو من المؤولة، وإلا في الأصل الجهمية أتباع جهم بن صفوان.**

جهم هذا أول ضلاله في باب الإيمان حيث عرف الإيمان بأنه المعرفة، الإيمان عنده مجرد المعرفة، من عرف الله فهو مؤمن سواء صدَّق أو لم يصدِّق، تكلم بالتوحيد أم لم يتكلم، عمل أو لم يعمل، طالما عرف فهو مؤمن، فعنده فرعون مؤمن وأبو جهل مؤمن، جميع الكفار؛ لأنهم كلهم يعرفون الله، وإنما كفروا به بعد المعرفة؛ لذلك يقال: إن جهماً حكم على نفسه بالكفر من حيث لا يشعر، حيث قال الكفر هو الجهل، ولا يوجد أجهل منه بالله. إذن حكم على نفسه بأنه كافر؛ لذلك جهم وأتباعه على عقيدته الذين عرفوا الإيمان بهذا التعريف.

ثم وقعوا في الجبر فهم جهمية وجبرية ومرجئة، هذه الجيمات كلها مجتمعة في جهم وأتباعه هؤلاء كفار، ولا يُعَدّون من طوائف المسلمين التي افترقت إلى ثلاث وسبعين فرقة"[2].

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مبيناً حقيقة منهج الجهمية:"**فإن مناهج الخلف متعددة ومتباينة. منهج الجهمية: وهو أردأ تلك المناهج وأفسدها وحقيقة: عدم إثبات شيء لله سوى الوجود المطلق الذي لا وجود له في الخارج، وإن كانوا يدعون الإيمان بالله ورسوله وباليوم الآخر بكل ما فيه، ولكنه إيمان هزيل بل هو ذاهب؛ لتكذيبهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأن من أسس الإيمان، الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله.**

(١) سبق ترجمته صـــ٣٥٠.

(٢) شرح التدمرية الشريط (١) و (أ).

ومن يزعم عدم صلاحية الكتاب والسنة للاستدلال بهما، وأنه ليس فيهما هدى وصلاح للعبادة، ويمكن العباد معرفة الله ومعرفة ما يليق به، وما يجوز له، وما يمتنع عليه، دون الرجوع إلى الوحي كتاباً وسنة، بل بالعقل المحض، ومن يزعم هذا الزعم ويدعو إليه، ويدين به، كيف يدعي الإيمان بالله وبكتابه ورسوله ﷺ؟!! وهي دعوى لا تدعمها بينة، وكل دعوى كهذه، فهي باطلة، فدعوى الجهمية: الإيمان، باطلة قطعاً، ولا يجوز تعدادهم من الفرق الإسلامية"[(١)].

وقال الشيخ رحمه الله:"**ابتدأت آراء الجهمية في القرن الثاني من الهجرة النبوية، ثم انتشرت في المائة الثالثة، وتولى إذاعتها والدعاية لها والكتابة فيها بشر المريسي**[(٢)] **المتوفى سنة ٢١٨هـ، ويقال: إنه فقيه ومتكلم إلا أنه اجتمعت فيه أمراض عدة ينسب إلى المرجئة أحياناً، وينسب أحياناً أخرى إلى الجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان ويذكر الإمام ابن تيمية أن أصل الجهمية يرجع إلى عناصر دخيلة على الإسلام؛ لأن جهم بن صفوان المتوفى سنة ٢٨١هـ أخذ مقالته عن الجعد بن درهم**[(٣)]**، وأن الجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي، ويذكر أنه من يهود اليمن**[(٤)]"ثم بين الشيخ أن مقالة الجهمية ترجع إلى عناصر فلسفية وصابئية ويهودية، فقال:"**أما الجعد بن درهم فهو من أرض حران التي كانت فيها عناصر كثيرة من الصابئة والفلاسفة، ومن ثم فإن مقالة الجهمية ترجع إلى عناصر فلسفية وصابئية ويهودية.**

---

(١) اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه صـ٨٥.

(٢) سبق ترجمته صـ٣٨٠.

(٣) هو الجعد بن درهم من الموالي، مبتدع ضال، أول من أظهر مقالة التعطيل، قتله بسبب ذلك الأمير خالد القسري، يوم النحر سنة ١٢٠هـ. انظر: السير ٥/٤٣٣.

(٤) قال الشيخ :"هذا سندها كما ذكر غير واحد من أهل العلم. ومن هنا تعلم أن الجهمية يهودية السند كما رأيت؛ فكيف يطيب المسلم نفساً أن يدين بعقيدة ينتهي سندها إلى اليهودية؟!" العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٦٩.

وقد أخذ الفارابي[1] المتوفى سنة ٣٣٩هـ نفسه عن فلاسفة حران، كما أخذ جهم بن صفوان عن البوذية أو السمنية[2]"[3].

وقال الشيخ مبيناً عظم البلاء بفتنة الجهمية:"**وعلى كل فإن جهماً قد أخذ يدعو إليها ويناظر دونها، حتى عظمت به الفتنة، وأخذ يشكك كثيراً من الناس في صفات الله تعالى؛ إذ كان ينفي جميع صفات الكمال -وصفات الله كلها كمال- جملة وتفصيلاً، فأوهم الناس أن إثبات الصفات يتنافى والتتريه، وأورد على الناس شبهات مشككة.**

كأن يقول: إن إثبات الصفات والأسماء لله تعالى إنما يعني تعدد القدماء، ولا قديم إلا الله...

وتعتبر فتنة الجهمية في باب الأسماء والصفات أول فتنة عرفت في تاريخ العقيدة؛ إذ كانت فتنة القدرية في نفس القدر فقط، دون خوض في الصفات؛ بيد أنها انضمت إلى عقيدة المعتزلة أخيراً، وكانت فتنة الخوارج في باب أسماء الإيمان في أول أمرها، وإن كانوا قد اعتزلوا أخيراً، وفتنة الشيعة في الغلو في آل البيت في أول أمرها، ثم تأثروا بعقيدة المعتزلة أيضاً..

ومما ينبغي التنويه به أن الجهمية وإن كانت في الأصل اسماً أو لقباً للعقيدة التي دعا إليها جهم وأتباعه؛ إلا أن علماء السلف أطلقوا هذا اللقب فيما بعد على كل من ينفي صفات الله تعالى أو بعضها، فيطلق هذا اللقب على المعتزلي والأشعري ومن شابههما في نفي صفات الله كلها أو بعضها"[4].

---

(١) هو أبو نصر محمد بن محمد طرخان التركي الفارابي، من كبار الفلاسفة المعروف بالمعلم الثاني، له مؤلفات عدة، توفي سنة ٣٣٩هـ. انظر: السير ٤١٦/١٥.

(٢) السمنية: هي فرقة من أصحاب التناسخ، لا يؤمنون إلا بالحسيات، قالوا: بقدم العالم وبإبطال النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت. انظر: الفرق بين الفرق صـ ٢٧٠، التبصير في الدين صـ ١٤٩.

(٣) الصفات الإلهية صـ ١١٧.

(٤) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٦٩-٧٠.

"ولما انتشرت آراء الجهمية ومذهبها في التعطيل وإنكار الصفات وفي القول بخلق القرآن، تصدى لها الأئمة من سلف هذه الأمة بالرد وبيان ضلالها وانحرافها. منهم من كتب في ذلك كتاباً أو كتباً، ومنهم من نقلت عنه عبارات وجمل تدل على الاستنكار، وكل ذلك يوضح لنا أن أئمة السلف لم يألوا جهداً في الرد على منكري الصفات من يوم ظهورها"[1]. وقال أيضاً:**"وأما بدعة الجهمية وفتنتها؛ فقد أنكرها علماء أهل السنة أشد الإنكار، وضللوا أهلها، وحذروا الناس من مجالستهم، بل عابوا على من جالسهم، وكتبوا في الرد عليهم كتباً ورسائل، وهي معروفة لدى طلاب العلم"**[2].

المطلب الثالث: جهوده في الرد على المعتزلة:

قال الشيخ:**"المعتزلة هم طائفة من أهل الكلام، خالفت جمهور المسلمين في كثير من المعتقدات: فهم أتباع أولئك الذين عرفوا بالجرأة على تأويل النصوص، وعدم التقيد بظواهرها، مثل واصل بن عطاء**[3]**، وعمرو بن عبيد**[4] **وأمثالهما.**

وأما اعتزالهم فيدور على القواعد التالية:

القاعدة الأولى: القول بنفي صفات الله تعالى ذاتية أو فعلية بحيث لا يبقى إلا الوجود الذهني فيسمون ذلك توحيداً.

القاعدة الثانية: القول في القدر بغير علم، حتى نفوا علم الله للأشياء أزلاً وكتابته للأمور كلها فتقديره لها بمقتضى حكمته.

---

(١) الصفات الإلهية صـــ ١١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المخزومي البصري القدري، رأس المعتزلة وإمامهم، اعتزل مجلس الحسن، توفي سنة ١٣١هـــ. انظر : السير ٥/٤٦٤.

(٤) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري القدري، رأس المعتزلة، عرف بالزهد والعبادة، توفي سنة ١٤٤هـــ. انظر: السير ٦/١٠٤.

القاعدة الثالثة: القول بالمنـــزلة بين المنـــزلتين، أي تنـــزيل مرتكب الكبيرة في منـــزلة وهمية بين الكفر والإيمان!

القاعدة الرابعة: الخوض فيما جرى بين الصحابة من الأمور الاجتهادية التي قد أدت إلى الحرب والقتال"[(١)].

وقد أشار الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى سبب تلقيبهم بالمعتزلة فقال:**وأما سبب تلقيبهم بهذا اللقب، فإنه اعتزال واصل بن عطاء، ومعنى ذلك ما تذكره بعض المصادر التي تتحدث عن الفرق، أن واصل بن عطاء كان في مجلس الحسن البصري، حين سئل الحسن عن جماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العلم الصالح عندهم ليس شرطاً في الإيمان... الخ، فأخذ الحسن يفكر، وقبل أن يجيب قال واصل: أنا أقول: إن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منـــزلة بين المنـــزلتين، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن البصري، فأصغوا إليه فاستمالهم، فقال الحسن: اعتزل عنا (واصل)، فسمي هو وأصحابه (معتزلة)[(٢)]؛ لأنهم اعتزلوا المسلمين في كثير من معتقداتهم كما اعتزلوهم في مجالسهم وفارقوهم.**

وقيل: إن من أول من سماهم بهذا الاسم قتادة بن دعامة السدوسي (الأكمه) حين دخل مسجد البصرة، فإذا هو بعمرو بن عبيد ونفر معه، قد اعتزلوا حلقة الحسن، فلما صار معهم -وهو لا يبصر- عرف أنها ليست حلقة الحسن، فقال: إنما هم المعتزلة.

وهناك سبب آخر يذكره أهل العلم، وليس ببعيد من الأول: وهو اعتزالهم الطوائف الأخرى في حكم مرتكبي الكبيرة، مثل المرجئة والخوارج وغيرهم. وقريب من هذا ما قاله البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) حيث قال: ثم حدث في أيام

(١) الصفات الإلهية ١٧٣-١٧٤.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٢٤٨/٣.

الحسن البصري وواصل بن عطاء خلاف في القدر، وفي المنـــزلة بين المنـــزلتين، وانضم إلى واصل عمرو بن عبيد في بدعته فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فقيل لهما ولأتباعهما: معتزلة، لاعتزالهم قول الأمة في دعواهم أن الفاسق من أمة الإسلام ليس بمؤمن ولا كافر[(١)].

وقال بعضهم: المعتزلة نسبة إلى الاعتزال، وهو (الاجتناب) والجماعة المعروفة بهذه العقيدة إنما سموا بهذا الاسم؛ لأن أبا عثمان عمرو بن عبيد لما أحدث ما أحدث من البدع، واعتزل مجلس الحسن البصري وجماعة معه سموا (معتزلة).

وهناك رأي آخر، وهو أنهم سموا معتزلة لقولهم: إن صاحب الكبيرة اعتزل عن الكافرين والمؤمنين، فالمعتزلة على هذا هم القائلون باعتزال صاحب الكبيرة عن الكفار والمؤمنين معاً، هذا بعض ما قيل في أسباب تسمية المعتزلة بهذا الاسم"[(٢)].

وقد تطور مذهب الاعتزال حتى صار يتميز عن غيره من الفرق بأصول خمسة نبه عليها الشيخ بقوله:"**وقد انفردت المعتزلة بتطوير مذهبها دون سائر الطوائف، حيث زعموا وجوب التزام الأصول الخمسة التي ابتدعوها، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، ولكن؛ بعد أن أطلقوا عليها ألقاباً مقبولة عند سماعها قبل أن يعرف تفسيرها"[(٣)]."وضعوا لهم أصولاً خمسة، امتازوا بها من بين الناس وعرفوا بها، ودعوا إليها بكل جرأة، وهي: ١- التوحيد. ٢- المنـــزلة بين المنـــزلتين. ٣- العدل. ٤- الوعد والوعيد. ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذه الأصول الخمسة يتفق عليها جميع طوائف المعتزلة على اختلاف بينهم بل لا يعتبر معتزلياً من لم يؤمن بها على تفسيرهم الفلسفي، ولو ادعى أنه منهم[(٤)]..**

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق صـــ٢٠.

(٢) الصفات الإلهية صـــ ١٧٥-١٧٦.

(٣) العقيدة الإسلامية وتاريخها صــــ٧٢.

(٤) قال الخياط –أحد زعماء المعتزلة-:"وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة، فإذا اكتملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي"ا.هـــ شرح الأصول الخمسة صــــ٤٠

ومن تلك الأصول عندهم: (التوحيد) حيث فسروه تفسيراً خاصاً وفلسفياً، وبالغوا في تحليله – في زعمهم– وفي فلسفته إلى أقصى حد، وصوروا للناس معنى التوحيد بأنه سلوب محض، يقشعر جسم المؤمن الذي يقدر الله حق قدره عند قراءتها أو سماعها وهي سلوب لا تتضمن أي مدح أو كمال، كقولهم: ليس بجسم ولا بذي عرض، ولا طول[1]، إلى آخر تلك السلوب التي أسرفوا فيها إسرافاً. ومن ثم نسب إليهم هذا التوحيد بهذا التفسير، وفي رأينا إنه ليس بتوحيد، بل هو شيء آخر غير التوحيد، وإلا فلو بقي التوحيد في تصوره الصحيح وتفسيره الإسلامي السليم، الذي يتضمن النفي والإثبات والكمال المطلق لله، لما خصوا به؛ لأنه بهذا المعنى معتقد كل مسلم؛ ولأنه معنى (لا إله إلا الله) بهذا المفهوم، وهي كلمة التوحيد.

هذا وإن الذي حمل القوم على هذا المعنى الفلسفي للتوحيد أنهم زعموا أن في القرآن آيات تتناقض في ظاهرها، إذ هناك آيات تدل على التنــزيه مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وآيات ظاهرها يدل على التجسيم مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كما زعموا أن هناك آيات تدل على أنه ليس في جهة معينة، مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ ، وآيات ظاهرها يدل على الجهة مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ،﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ، هكذا زعموا، ما أفسده من زعم، وما أفظعه من جهل مركب جريء"[2].

ثم بنوا على ذلكم الزعم التتريه –زعموا–"والتنــزيه في نظرهم نفي صفات الكمال... وفي رأيهم أن كل من يثبت صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله المصطفى فهو مجسم ومشبه ممثل، والموحد عندهم هو ذلك الجريء

(١) انظر: مقالات الإسلاميين صـــ١٥٥.

(٢) الصفات الإلهية صـــ ١٧٧-١٧٨.

الذي ينفي جميع الصفات؛ بدعوى أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء. إنها حقائق معكوسة، وهذا يعني أن القوم لا يقيمون أدنى وزن للنصوص، كما يدل بالمقابل على مدى غلوهم في تنـــزيه العقول وتقديسها، والركوع أمامها إذا اعتبروها أنها هي الحكم والمرجع، لمعرفة ما يليق بالله، وما لا يليق به، ولمعرفة ما يجوز في حقه تعالى وما يمتنع، وقد صرحوا بهذا المعنى في غير موضع فيما نقل عنهم. وإن الدارس لكتبهم يدرك أن القوم آمنوا بالعقول إيمان غيرهم بالنصوص"[1].

وخلاصة معنى التنـــزيه عند المعتزلة"**الإيمان بذاته تعالى مجردة عن جميع الصفات، بل موصوفة بأنواع من السلوب التي تجعل وجود الله وجوداً ذهنياً لا حقيقه له في الخارج، أو وجوداً مجرداً أشبه بالوجود الذي وصفه به أرسطو (التأمل المحض) أي: الخيال المحض. يتضح من كل ما تقدم أن القوم أعطوا لأنفسهم حرية مطلقة لا تقف عند حد؛ ليتصرفوا في النصوص كما يريدون، وليقولوا ما يشاءون من رد للأحاديث بدعوى أنها من الآحاد، أو تضعيف لها على خلاف القواعد المتبعة عند أهل هذا العلم، أو طرحها جانباً بدعوى مخالفتها للبراهين العقلية القاطعة، هكذا أصبح رد الأحاديث من أسهل الأمور عندهم. وأما الآيات القرآنية فليس وزنها أثقل من وزن الأحاديث بكثير؛ لأنها خاضعة لقوانينهم الكلامية وفلسفتهم اليونانية، التي سيطرت على عقولهم، وزينت لهم سوء تصرفاتهم وعملهم في نصوص الكتاب والسنة بالتحريف فيها، وإخضاعها لعقولهم التي أصبحت الدليل المعول عليه في دينهم"**[2].

وبذلك تتضح العلاقة الوطيدة بين المعتزلة والفلاسفة، وبعدهم عن طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم[3].

---

(١) المصدر السابق صـــ١٧٩.

(٢) الصفات الإلهية صـــ ١٨١.

(٣) المصدر السابق صـــ١٨٩.

وأما منهج المعتزلة في القدر فهم مشبهة؛ حيث إن القدر فعل الله وسر من أسراره، وهم يرون أن العبد يخلق فعل نفسه، قال الشيخ رحمه الله موضحاً مذهبهم في ذلك:"**هذه الفرقة ترى أن العبد يخلق أفعاله بقدرته، مستقلاً عن قدرة الله، ويريد ويدبر بإرادته الحرة قبل أن تتدخل إرادة الله تعالى في إرادته أو مع إرادته.**

والذي حمل هؤلاء على هذا القول الخطير، لما رأوا أن العبد يفعل ويترك باختياره الحر، وأثبت له الشرع الثواب على الحسنات، والعقاب على السيئات ثم لاحظوا الفرق بين حركة اليد العادية، وحركة اليد المرتعشة، حيث تكون الأولى اختياراً والثانية اضطرارية، وما ندركه من الفرق بين حركة الصاعد إلى المنارة والساقط منها إذ تكون الأولى بقدرة العبد واختياره، بينما لا قدرة له ولا إرادة في الأخرى.

لاحظ القوم هذه الملاحظات في أفعال وحركات العبد، ونظروا إليه فاعلاً، وغفلوا أنه فاعل ومنفعل، فزعموا أن العبد هو الذي يخلق أفعاله بقدرته، قبل أن تتدخل قدرة الله، تعالى الله عن شريك يشاركه في ربوبيته وخلقه، وفاهم أن العبد بجسمه وروحه وإرادته وقدرته مخلوق لله، فالله تعالى هو الذي يخلق له القدرة على العمل وإرادة العمل، ويجعله فاعلاً يفعل بالإرادة المخلوقة المحدودة والقدرة المحدثة حتى ينسب إليه العمل، ويضاف إليه إضافة المسبب في الوقت الذي يضاف عمله إلى الله إضافة المخلوق إلى الخالق.

ما أبعد هذا الطرف عن ذلك الطرف حيث العبد مجبور هناك وخالق هنا، وكلا الفريقين ضل الطريق وضاع الصواب بينهما، وعثر عليه أهل السنة والجماعة بتوفيق الله تعالى وقد تقدم بيان مذهبهم"[(١)].

إذا تقرر ما سبق من توضيح الشيخ للأصل الأول عند المعتزلة، فيحسن التنبيه على المراد من بقية الأصول عندهم، قال الشيخ رحمه الله:"**الأصل الثاني: الأمر بالمعروف**

---

(١) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـ ٢٧٤.

والنهي عن المنكر: فاستباحوا بناءً على [هذا الأصل][(١)] الفاسد في معناه: الخوض في أعراض صحابة رسول الله ﷺ، والتعرض والخوض فيما جرى بينهم من الأمور الاجتهادية التي سببت الخلاف بينهم، بل ربما أدت إلى القتال أحياناً...هذا؛ وقد استباح المعتزلة بناء على أصلهم ذلك الخروج على الأئمة كما فعلت الخوارج من قبل، بل هما طائفتان متقاربتان في بعض أفكارهما كما لا يخفى"[(٢)].

و"الأصل الثالث: القول بالمنزلة بين المنزلتين: في مرتكب الكبيرة أي أنه يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، وهي منزلة وهمية، لا وجود لها في الواقع؛ لأن القسمة ثنائية: إما كفر وإما إيمان، ولا واسطة بينهما؛ فمرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، ويوصف بأنه فاسق، ولكنه لا يزال في دائرة الإيمان، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[(٣)]. فلو كان مرتكب الكبيرة كافراً؛ لما نفعته شفاعة الشافعين؛ حيث يقول الله تعالى في شأن الكفار: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾

. هذا كله في أحكام الدنيا، وأما في الآخرة، فإنهم يزعمون أن مرتكب الكبيرة الذي مات قبل التوبة؛ يدخل النار في زعمهم خالداً مخلداً فيها مع الكفار. وهذه نقطة اتفاق بينهم وبين الخوارج، فيكون الاختلاف بينهم صورياً فقط. فبناءً على هذا الزعم نفوا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر مخالفين النصوص الصحيحة التي أشرنا إلى بعضها آنفاً. إنه لموقف جريء وجائر كما ترى، وهو داخل في الحكم بغير ما أنزل الله، وذلك كفر؛ كما نطق به الكتاب: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ "[(٤)].

(١) في الأصل (الأصل الأول) ولعل الصواب ما أثبت كما يقتضيه السياق، والله أعلم.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٧٢-٧٣.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٥).

(٤) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـــ ٧٣-٧٤.

و"**الأصل الرابع: العدل: ما أحسن الاسم وما أسوأ المسمى، ومعناه وجوب الاعتقاد بأنه يجب على الله عز وجل فعل الأصلح فالأصلح للعباد؛ بحيث لو لم يفعل ذلك؛ يكون ظالماً، وهي جرأة أخرى كالتي قبلها، أو هي أسوأ.**

ما للعباد عليه حق واجب — كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا — فبفضله وهو الكريم الواسع[(١)]

و"**الأصل الخامس: وجوب تنفيذ الوعد والوعيد: فيزعمون أنه يجب على الله أن يثيب المطيع كما وعد، وأن يعاقب العاصي كما أوعد، وهم من جهلهم أو من تجاهلهم لا يفرقون بين خلف الوعد وتأخير الوعيد...فتأخير الوعيد وعدم مؤاخذة المسيء بالإساءة مع القدرة كرم ومنة، وأما إيفاء الوعد بإكرام أوليائه في دار كرامته وأحياناً في هذه الدار نفسها؛ فتفضل وإحسان من الله على عباده.**

فليس على الله شيء واجب، هذا هو الذي عليه أهل السنة قديماً وحديثاً؛ لأن معناه الإلزام، فمن الذي يلزم الله تعالى؟! وهي حقائق لا تخفى على أهل البصيرة، بل لا يجهلها إلا من اعتزل ملة المسلمين، واتبع غير سبيل المؤمنين وجادل بالهوى، فيصدق عليه قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾

"[(٢)].

وأما موقف المعتزلة من نصوص المعاد فإنهم لا يؤولونها كما هو دأب الفلاسفة، قال الشيخ رحمه الله:"**ومما يوضح ذلك أن هؤلاء المعتزلة الذين يرون وجوب تأويل نصوص الصفات تأويلاً يشبه الإنكار، والرد على الله سبحانه يرون في الوقت ذاته الإيمان بنصوص المعاد دون أي تأويل، بل ينكرون على من يؤولها أشد الإنكار من الباطنية الذين يزعمون أن لكل نص باطناً، يختصون بفهمه وحدهم، ولا سبيل لغيرهم إلى فهمه. ولو قالت الباطنية: - وهي تحاجج المعتزلة - إن تأويلنا لنصوص المعاد نظير**

---

(١) سبق الكلام على هذين البيتين صـ ٥١٢.

(٢) العقيدة الإسلامية وتاريخها صـ ٧٤-٧٥.

تأويلكم لنصوص الصفات، بل إن نصوص الصفات أكثر وأصرح، فإذا جاز تطــرق التأويل إليها فهو إلي غيرها أقرب تطرقاً، ولو حاجحتهم الباطنية في هــذا التنــاقض لوجدت المعتزلة مغلوبة مفحمة، وهو شأن كل مبطل أنكر على خصمه شيئاً، وحاول كسر باب غيره بحجر، ناسياً أن بابه من (زجاج) قابل للكسر"[(١)].

والمقصود أن كل من خالف الحق لابد أن يتناقض كما سبق تقريره عن الشــيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) الصفات الإلهية صـــ١٨٣-١٨٤.

المطلب الرابع: جهوده في الرد على متكلمة الصفاتية:

متكلمة الصفاتية هم: الكلابية والأشاعرة والماتريدية، وجمعهم في موطن واحد حسن؛ إذ أصل مذهبهم واحد وهو طريقة ابن كلاب، الذي كان أقرب إلى السلف زمناً وطريقة[1]، وإن كادت الكلابية تتلاشى كفرقة، إلا أن أفكارها ورثتها الأشاعرة وربيبتها الماتريدية، التي لا يكاد يعرف الفرق بين هاتين الفرقتين، سئل الشيخ رحمه الله عن الفرق بين الأشاعرة والماتوريدية، وما سبب ارتباط الأشاعرة بالمذهب الحنفي؟ فقال:"**الفرق فرق يسير جداً**[2] **في بعض الصفات بالنسبة فيما بين الأشاعرة والماتوريدية، كأنهما مذهب واحد، لكن المهم الفقرة الأخيرة: الارتباط إنما الماتريدية هي المرتبطة بالحنفية ليست الأشاعرة، الطريقة الأشعرية هي التي عليها أتباع الإمام مالك وأتباع الإمام الشافعي وبعض أتباع الإمام أحمد، أما الماتريدية جميع الحنفيين على الطريقة الماتريدية يعني: كأنهما متلازمان الحنفية والماتوريدية في الغالب الكثير؛ لأن أكثر انتشارها في القارة الهندية، والقارة كلها حنفية، إذن اجتمعت الحنفية والماتوريدية في تلك القارة أما هناك سبب آخر لا أعلم**"[3].

ولما كان للأشاعرة من الدعاية والانتشار والاشتهار من أنها عقيدة أهل السنة والجماعة[4]، أكثر الشيخ من التحذير منها، خصوصاً أنه درسها صغيراً[1]. وقد لمس

---

(١) الاستقامة ١/١٠٥.

(٢) انظر: للاستزادة في معرفة أوجه الخلاف عندهم (عداء الماتريدية للعقيدة السلفية في الأسماء والصفات) للشمس الأفغاني ١/٤٠٨-٤٥٦.

(٣) إجابة على سؤال بعد درس شرح التدمرية الشريط (٢٥) و (أ).

(٤) ومن طريف ما سمعت للشيخ قوله:"**والعقيدة المخالفة الموجودة في الساحة على حد تعبيركم اليوم هي العقيدة الأشعرية، ودع عنك المعتزلة؛ لأن عقيدة المعتزلة وإن كانت موجودة وأهلها موجودون، والكتب موجودة ومنتشرة، لكن ليس لها رواج ولا لها دعاية كالعقيدة الأشعرية، تكاد دعاية الأشعرية كدعاية (شماغ البسّام) في الشوارع، من كثرة الدعاية، وهذه العقيدة مع كثرة الدعاية لها، ليست عقيدة أهل السنة والجماعة، بل مخالفة تماماً لعقيدة أهل السنة والجماعة،**

بعض الحاضرين إكثار الشيخ من الرد على الأشاعرة فكتب للشيخ: "**يسأل ويعاتب على كثرة الكلام في الأشعرية، وعدم الكلام في العلمانية والديمقراطية وحزب التحرير؟!**

فأجاب رحمه الله:"**لكل مقام مقال، عندما نكون بين طلاب العلم الدارسين نحن نكثر من الكلام على عقائد الفرق التي تتكلم في العقيدة، وتشكك الناس والشباب في عقيدتهم، وأما الكلام في العلمانية، تكلمنا كثيراً وغيرنا تكلم كثيراً، إذا كان عتابك لقلة الكلام، اسمح لي لست بصادق، الكلام حول العلمانية كثير منا ومن غيرنا، إن كان الكلام من الشفقة على الأشعرية فعفى الله عنك، يظهر أن الكلام من باب الشفقة على الأشعرية، لا تشفق عليهم كما قلت لك: أبو الحسن الأشعري رجع وكبار أتباعه منهم من رجع، ومنهم من تردد، على ما تشفق؟ إذا كانت القضية قضية شفقة، أما كلامنا حول الأحزاب السياسية التي بعضها بحمد الله لا وجود لها عندنا، وبعضها إن وجدت تكون مختفية، نحن لا نبحث عمن يخفي رأسه في التراب، ولكننا نجابه من يظهر ويدعو، ونرد عليه، وليس من عادتنا أن نبحث عن الخفايا وأن نثير ما لم يظهر، ولكن نعالج القضايا الواقعة الظاهرة، وعلى كل أريد أن أقول: (من ألف فقد استهدف) طالما تكلمنا وسجلنا وألفنا العتاب وارد، عاتب ما شئت، وبالله التوفيق**"[(٢)].

وفيما يلي من مسائل أعرض جهودَ الشيخ فيما يتعلق ببيان عقائد الأشاعرة:

=

عقيدة تعتمد على العقل، وعقيدة أهل السنة والجماعة تعتمد على النقل، فرق بين العقيدتين" من جواب على أسئلة بعد صلاة العشاء الشريط (٨).

(١) انظر: الصفات الإلهية صـــ ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق.

المسألة الأولى: التعريف بالأشاعرة:

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**الأشاعرة طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري الإمام المتكلم المعروف، وهذا اللقب ينصرف عند الإطلاق إلى أولئك الذين اتبعوه في فترة انتسابه إلى ابن كلاب، ولذا قد نطلق عليهم أحياناً (الأشعرية الكلابية). أما قبل ذلك فهو معتزلي بل إمام في الاعتزال نحواً من أربعين سنة، كما سيأتي. وبعد توبته من عقيدة الاعتزال وملازمته لابن كلاب فترة من الزمن رجع في آخر أيامه إلى مذهب السلف، فالمنتسبون إلى الأشعرية الآن هم أصحاب الطور الثاني**"[(١)].

والكلام عن الأشاعرة يتطلب الحديث عن المؤسس لها، قال الشيخ مجيباً على سؤال وجه إليه: أعطونا نُبذة عن الأشاعرة؟ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:"**الأشاعرة: فرقة من أهل الكلام، الأشاعرة نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، وأبو الحسن الأشعري ينتسب إلى أبي موسى الأشعري الصحابي، أبو الحسن الأشعري نشأ نشأته الأولى على طريقة تسمى طريقة المعتزلة، لأن شيخه كان زوج أمه، أخذ أمه وهو طفل صغير تربّى عند أبي علي الجُبّائي زوج أمه وتتلمذ عليه، أبو علي الجُبَّائي من كبار المعتزلة، ..**

هذه عقيدة المعتزلة عاش فيها أبو الحسن الأشعري نحو أربعين عاماً، حتى أصبح إماماً بعد عمه، ولكن أراد الله اختلف مع عمه في بعض المسائل منها: هل يجب على الله أن يفعل بالعباد الأصلح فالأصلح على عقيدة المعتزلة؟ أبو الحسن أنكر بفطرته كون العبد يقول: يجب على الله أن يفعل كذا وكذا، ففارقهم فجعل يبحث عن الحق، يشبه موقفه موقف "سلمان الفارسي"، الذي فارق المجوسية؛ ليبحث عن الحق، وعكف عند الرهبان حتى هداه الله، ولحق برسول الله عليه الصلاة والسلام في المسجد، تماماً يشبه هذا أبو الحسن خرج من الإعتزال يبحث عن الحق وعكف عند ابن كلّاب، وأخذ العقيدة الكلّابية، ولكن لكونه كان إماماً ومشهوراً، ولكونه عالي النسب

---

(١) الصفات الإلهية صـــ ١٧٣.

مشهور النسب، نُسي صاحب العقيدة الكلاّبية فنسبت إليه العقيدة الأشعرية، وهي التفريق بين الصفات، بدلاً أن تُنفى جميع الصفات على طريقة المعتزلة، يفرق بين الصفات: ما كان من الصفات العقلية يُثبت لله، وما كان من الصفات الخبرية يؤول، هذه طريقة الأشعرية.

عاش على هذا فترة من الزمن وأخيرا كما لحق "سلمان الفارسي" برسول الله عليه الصلاة والسلام وهداه الله إلى الحق، لحق أبو الحسن بمنهج السلف الصالح وألف كتاباً سماه الإبانة، الكتاب مطبوع موجود، وذكر في مقدمته أنه على طريقة إمام أهل السنة والجماعة يعني الإمام أحمد بن حنبل وأثنى عليه ثناء عاطرا يليق به في مقدمة الكتاب، فأعلن أنه رجع إلى منهج السلف الصالح، والأشعرية الموجودة الآن، التي تُدرَّس في الكثير من الجامعات خارج هذا البلد إنما هي على العقيدة الكلّابية، التي كان أبو الحسن عليها بعد رجوعه من الإعتزال، لا يزالون يكذّبون ما في الإبانة، ويقولون: ما هو صحيح رجوع أبي الحسن إلى منهج السلف، وهذا الكتاب ليس له، وإنما من يدعون السلفية هم الذين ألفوه على لسانه وكذبوا عليه، ولكن أراد الله أن كبار أتباع أبي الحسن رجعوا منهم[1]: الإمام الغزالي ندم ندماً، بكى فيه وألف كتابا

---

(١) انظر: الفصل الثاني من المبحث الثاني في مقدمة الصفات الإلهية؛ حيث ذكر الشيخ نبذة مستفيضة عن كبار شيوخ الأشاعرة الذين آل أمرهم إلى الندم والحسرة. قال الشيخ بعد أن نقل جملة من حال كبار أئمة الأشاعرة: **"هذا هو حال علم الكلام ومثل علماء الكلام بعد توبة إمامهم أبي الحسن الأشعري ومن بعده من كبار أئمة علماء الكلام الذين تابوا وتحدثوا عن مآل علم الكلام، وأوضحوا عواره وحذروا الناس من قربانه بعبارات صريحة لا سيما ما جاء في نصيحة الإمام الجويني أبي محمد والد إمام الحرمين، وما جاء في كلام الإمام الغزالي، وقد تقدم ذلك كله مفصلاً وبعد: يتضح جلياً من دراسة أطوار حياة هؤلاء الأئمة الذي تقدم ذكرهم ومعرفة ما انتهى إليه أمرهم، ومعرفة نوع العقيدة التي ختم الله لهم بها حياتهم وهي العقيدة التي كان يعتقدها سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، من كل ذلك يتضح لك دون شك أن العقيدة الأشعرية المعروفة اليوم عند الناس هي التي رجع عنها الإمام أبو الحسن**

سماه (إلجام العوام عن علم الكلام)، وإمام الحرمين، ووالد إمام الحرمين، والرّازي، والشهرستاني، هؤلاء فطاحلة علماء الأشاعرة كلهم ندموا وذموا علم الكلام بما فيهم الأشعرية، أما والد إمام الحرمين فرجع رجوعا صريحاً وألف رسالة بين فيها عقيدته وكيف كان، وكيف رجع، والرسالة موجودة ضمن مجموعة المتون المنيرية، لكم أن ترجعوا إليها لتعرفوا..طلبت أنت نُبذة صغيرة وأعطيناك نُبذة طويلة إن شاء الله، ونكتفي بهذا المقدار"(1).

وللأشاعرة ألقاب كما قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**يقال لهم: صفاتية أحياناً، أي: أنهم من الصفاتيين أي من مثبتة الصفات باعتبار إثباتهم بعض الصفات.**

ويقال لهم: مؤولة؛ لأن غالب نصوص الصفات مؤولة عندهم.

ويقال لهم: نفاة؛ لنفيهم علو الله تعالى كما سمعتم؛ ولنفيهم عن الله تعالى الكلام اللفظي بهذا الاعتبار يدخلون في الجهمية، يدخلون في عداد الجهمية وقبلهم المعتزلة"(2).

المسألة الثانية: الصفات عند الأشاعرة:

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**وأما الخلف-أي الأشاعرة-، فقد أولعوا بتقسيم الصفات وتنويعها، ومن ذلك تنويعهم الصفات إلى: نفسية، وسلبية، وصفات معان، ومعنوية،**

=

الأشعري، ومن ذكروا بعده من كبار الشيوخ، فإذاً نسبه هذه العقيدة إلى أبي الحسن الأشعري نسبة غير صحيحة، لأنه لا يمثلها بعد أن رجع عنها قطعاً كما لا يمثل الاعتزال الذي كان إمام فيه إلى أن رجع عنه، فمن الإنصاف ألا ينسب إليه ما كان عليه في الطور الثاني، ثم رجع عنه بل هو معدود من أعيان أئمة السلف. الصفات الإلهية صـــ ٢١٤.

(١) أسئلة بعد العشاء الشريط (١) و (أ)، وانظر: العقيدة وتاريخها صـــ٩٠.

(٢) شرح التدمرية الشريط (٩) و (ب).

وصفات فعلية، وصفات جامعة، والصفة الإضافية، وهي تتداخل مع الفعلية كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

أما الصفات السلبية فهي: خمس صفات عند الأشاعرة: ١- القدم. ٢- البقاء. ٣- الوحدانية. ٤- المخالفة للحوادث. ٥- الغنى المطلق، المعروف عندهم (القيام بالنفس)"[(١)]. "وضابط الصفة السلبية عندهم: هي الصفة التي لا تدل بدلالة المطابقة، على معنى وجودي أصلاً، وإنما تدل على المعنى السلبي غير الثبوتي، كالقدم يدل على ما سبق العدم، والبقاء يدل على عدم لحوق الفناء إلى آخر الصفات الخمسة التي تقدم ذكرها. وقال بعضهم: هي التي تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله، والتعريفان متقاربان كما ترى"[(٢)].

"الصفات الثبوتية: هي التي تدل على معنى ثبوتي ووجودي. ومن الصفات الثبوتية تلك الصفات السبع المعروفة عند الأشاعرة بصفات المعاني: كالقدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة والكلام، وهذه الصفات وأمثالها تدل بدلالة المطابقة على معنى وجودي مع تضمنها سلب أضدادها، فالقدرة مثلاً تدل على معنى وجودي؛ لأنها صفة بها إيجاد الممكنات وإعدامها على وفق الإرادة، وفي الوقت نفسه تدل على سلب العجز عن الله تعالى ضرورة استحالة اجتماع الضدين عقلاً، وهكذا بقية الصفات الثبوتية، وهذه الصفات محل إجماع بين الصفاتية من أتباع السلف الصالح والأشاعرة وغيرهم من مثبتة الصفات؛ لذلك لسنا بحاجة إلى سوق الأدلة لإثباتها، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع بين أهل الإثبات على اختلافهم فيما عداها...يقال للصفات الثبوتية: صفات الذات إضافة إلى الذات العلية؛ لملازمتها

(١) الصفات الألهية صـــ ٢٥١.

(٢) المصدر السابق صـــ٢٥٦،٢٥٣.

للذات..ومن الصفات الذاتية صفات شرعية وعقلية، مثل: الصفات السلبية الخمس المعروفة عند الأشاعرة وصفات المعاني"(١).

والأشاعرة يمكن تلخيص موقفهم من الصفات إجمالاً، وسبب اضطرابهم وتناقضهم في هذا الباب، وفق تقرير الشيخ عنهم، حيث قال:"**الأشاعرة يعدون من المثبتة، أو من الصفاتية، لإثباتهم كثيراً من الصفات الذاتية التي يسمونها – في اصطلاحهم– صفات المعاني وغيرها. على الرغم من هذا النوع من الإثبات، فإنهم وافقوا المعتزلة في تأويل الصفات الخبرية، ذاتية أو فعلية فبذلك وقعوا في تناقض لم يقع فيه أحد لا من المثبتة ولا من النفاة؛ لأنهم فرقوا بين ما جمع الله في كتابه، أو فيما أوحاه إلى رسوله عليه الصلاة والسلام، فتراهم يثبتون السمع والبصر مثلاً، ولا يخطر ببالهم شيء من لوازم سمع وبصر المخلوقين، بل يزعمون أنهم يثبتون هذه الصفات على ما يليق بالله، فما هو المانع العقلي إذاً من إثبات الوجه، واليدين، وغيرهما مما أوجبوا التأويل فيه من الصفات على ما يليق بالله؟!!...إن هذه الدعوى، وهذا التصرف الأشعري أو الكلابيّ على الأصح – إنما هو تصرف يستند إلى مجرد التقليد، لا يستند إلى دليل نقلي، أو عقلي مقبول لدى غيرهم من العقلاء، بل الذي ثبت بالتجربة والدراسة أن اللاحق منهم يرث هذا المنهج من السابق. فما وجده في كتاب من سبقه، أو سمعه من شيوخه هو المذهب الصحيح وهو الدّين وهو العقيدة دون تفكير في الدليل، ومن جهة أخرى، إن ما نفاه الشيوخ هو المنفي، ولو دلت عليه آية صريحة أو سنة صحيحة. والشيخ لا يُسئل ولا يناقش فيما أثبته أو نفاه، بدعوى أن المناقشة غير جائزة في مثل هذه الموضوعات، والأسلوب التقليدي المتبع هو: (هكذا نقلنا عن مشايخنا، وهم أعلم منا)!!..**

خلاصة مواقفهم من معاني تلك النصوص:

---

(١) المصدر السابق صـــ ٢٥٦-٢٥٧.

١- هناك خلف يتناقض، فيثبت بعض الصفات مع اعتقاد وجوب تأويل بعض الصفات، والخروج بها ن ظاهرها، مع وجوب اعتقاد أن ظواهر تلك النصوص غير مرادة، فالتفويض محتم إذاً، ومعناه الإعراض عن تدبر النصوص، وفهم معانيها.

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوّض ورم تنــــزيها[١]

هكذا زعموا!﴿ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ ﴾ ؟!!

٢- هناك خلف ذهب بعيداً عن النصوص، ولم يلتفتوا إلى الأدلة النقلية، فلم يثبتوا لله شيئاً من الصفات، لا الذاتية ولا الفعلية، بل وصفوا الله بسلوب كثيرة"[٢].

وقد دلل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على اضطراب الأشاعرة بذكر موقفهم من بعض الصفات، ومن ذلك صفة العلو والاستواء، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**"الأشاعرة مضطربون؛ أحياناً يقولون: العرش والأرض وقاع البحر عنده على حد سواء، وأحياناً يقولون: هو في الأرض بذاته مع نفي العلو؛ الغالب عليهم نفي العلو وإثبات أنه في كل مكان وفي كل شيء، أي على طريقة الجهمية؛ لذلك الأشاعرة جهمية في صفة العلو، ومعتزلة في صفة الكلام، وليس لهم مذهب مستقر"**[٣].

وبين الشيخ شبهتهم في نفي صفة العلو والاستواء، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**"أنهم تصوروا – خطأ- أن النصوص التي نطقت بأن الله في السماء، تدل بظاهرها على أنه تعالى مظروف في جوف السماء، فشبهوه بمخلوق داخل مخلوق آخر، كما فهموا –خطأ- أيضاً من قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ ، وما في معناه من النصوص أنه تعالى جالس على العرش، وأنه محتاج إليه، فشبهوه بإنسان جالس على سريره، محتاجٍ إليه، فأرادوا أن يفروا من هذا التشبيه الذي وقعوا فيه؛ لسوء فهمهم، فوقعوا**

(١) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد صـــ٥٤.

(٢) باختصار من الصفات الإلهية صـــ٢٧٨-٢٨٣.

(٣) شرح القوعد المثلى الشريط (١٢) و (ب).

في التعطيل"[١]. **"فعقيدة الجماعة مجهولة لديهم، لأنهم لا يدرسونها، وتلك الشبهة التي أدّت إلى هذا المصير، وهو الاضطراب والتردد – كما رأيت – شبهة واهية على خطورتها، لا تثبت أمام تلك الأدلة المتنوعة التي سبق أن ذكرنا بعضها أو طرفاً منها كما نقلنا أقوال بعض الأئمة في هذا المعنى عند مناقشتنا موقف المعتزلة والأشاعرة"**[٢].

والمتأمل في عقيدة الأشاعرة في صفة الكلام يجده غريباً جداً، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **"حيث زعموا أن كلام الله معنى واحد، قائم بذات الله تعالى، وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة. فياليت شعري من المعبر عما في نفس الله باللغتين؟!! إنه لموقف غريب ولا مثيل له حتى في كلام أهل الكلام مع ما فيهم من التطرف في بعض النقاط"**[٣].

"وأما شبهتهم فيما ذهبوا إليه أنهم يقولون: إن كان الله تعالى يتكلم بكلام له صوت وحرف، لزم من ذلك التشبيه والتجسيم، لأنه لا بد له حينئذ من مخارج الحروف من اللسان والشفتين وغيرهما. والله منزه عن ذلك. إلى آخر كلامهم المعروف. هذه شبهتهم وهي من أخوات ما تقدم من الشبهات ومن نسيج واحد. الجواب: إذا قلنا: إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله وعظمته، دون أن نلزم كلامه لوازم كلام البشر انتفت الشبهة. وقد جاء في القرآن الكريم أن بعض أعضاء بني آدم سوف تتكلم يوم القيامة كما ثبت في السنة كلام بعض الجمادات، وكل ذلك دون أن يكون لها مخارج الحروف، وإذا كنا نؤمن بكلام هذه الأشياء تصديقاً لخبر الله وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام، فكيف نستبعد إذاً أن يتكلم الله كيف يشاء ومتى شاء، وهو على كل شيء قدير، أو كيف نحاول أن ندرك كيفية تكلمه؟ وإذا ما عجزنا عن الإدراك، نفينا كلامه، كأننا نكذب كتابه ورسوله الصادق الأمين. أو نتلاعب

---

(١) الصفات الإلهية صـــ ٣٠١.

(٢) المصدر السابق صـــ٣٠٣.

(٣) الصفات الإلهية صـــ ٣٤٥.

بالنصوص بعقولنا القاصرة بدعوى التأويل، ونحن عاجزون عن إدراك كيفية كلام الأشياء المذكورة، وهي من مخلوقات الله تعالى؟!!"[1].

ثم عرض الشيخ رحمه الله جملة من شبههم التي هي في الأصل شبهة لكل من ينكر الكلام اللفظي ورد عليها رداً وافيا[2].

المسألة الثالثة: من عقائد الأشاعرة، والمراد من كونهم أقرب الطوائف إلى الحق:

وللأشاعرة موقف غريب في باب أفعال الله، فهم كما وصفهم الشيخ رحمه الله بأنهم جبرية مقنعة بقناع الكسب، حيث قال رحمه الله:**"هنا توجد جبرية أخرى يجب أن نفهمها وهي الجبرية التي لا تسمي نفسها جبرية، وهي جبرية الأشعرية، والفرق بين الجبرية المحضة وبين الجبرية الذين يتسترون بكسب الأشعري الفرق بينهم: إثبات القدرة وعدم إثبات القدرة للعبد، أي أن الأشاعرة يثبتون للعبد القدرة والاختيار، وله مشيئة تابعة لمشيئة الله، لكن قدرته ليست هي المؤثرة وليست هي الفاعلة، الفاعل الحقيقي هو الله، فنسبة الفعل للعبد نسبة مجازية وليس هو الفاعل الحقيقي، الجبرية المتسترة باسم الكسب، أي العبد له كسب وليس له فعل. من الذي يستطيع أن يتصور الفرق بين الكسب والفعل؟! كلام غير معقول! إذن الأشعرية جبرية يثبتون الكسب للعبد، الكسب في اللغة وفي اصطلاح الناس هو الفعل، فنفي الفعل وإثبات الكسب تناقض، فقدرة العبد عندهم عبارة عن جهاز معطل، الجهاز موجود لكن معطل، ما الفرق بين وجوده وعدمه؟! لا فرق بين أن يقال العبد له قدرة لا تعمل وبين أن يقال ليست له قدرة فالنتيجة هي عدم الفعل، ويزعمون أن معنى الكسب عندهم أن يُوجه العبد**

---

(١) المصدر السابق صـــ ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) انظر: الصفات الإلهية صـــ ٣٤٧-٣٥٩.

إرادته إلى الفعل؛ ليضرب ليقتل ليفعل خيراً فيخلق الله ذلك الفعل الذي وجه العبد إليه إرادته – كلام لا معنى له – ولو طُولِبَ الأشاعرة أن يُعرِّفوا الكسب تعريفاً معقولاً يفهمه غيرهم ما استطاعوا، فالجبرية المحضة الذين حُكِمَ عليهم بأنهم كفار، والجبرية المتسترة بكسب الأشعري لا فرق بينهم عند التحقيق.

وقد قال علماء الكلام (مستحيلات الكلام ثلاثة : كسب الأشعري ، وأحوال أبي هاشم[1]**، وطفرة النظام**[2]**)**[3]**، هذه الثلاثة مستحيلات لا تُفهم"**[4]، والسبب الذي حدا بالأشعري إلى أن يقول بالكسب هو أن الأشعري:"**حاول أن يأتي بحل وسط بين الجبرية والقدرية إلا أنه لم يوفق حيث جعل مناط التكليف: الكسب، والكسب هو العمل – كما يتبادر– بل هو إرادة تحصل عند الفعل، وقعوا في هذا المضيق لئلا يقولوا: إن العبد هو الفاعل الحقيقي مستقلاً كما هو مذهب القدرية، أو يقولوا إنه مجبور وليست له إرادة كما تقول الجبرية، ولكنهم لم يأتوا بجديد بل طريقتهم هذه هي الجبر بعينها والخلاف بينهم وبين الجبرية خلاف لفظي وليس بجوهري – كما ترى –، بل طريقتهم أكثر غموضاً، بل قد عد كسب الأشعري من المحالات، ومحالات الكلام ثلاثة – كما يقولون –**"[5].

---

(١) الحال عند المتكلمين: صفة لا موجودة ولا معدومة، وهي التي يسمونها الصفات المعنوية. انظر: تحفة المريد صـــ٧٧. قال به أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي الحنفي، إمام الهاشمية من المعتزلة، توفي سنة ٣٢١هــ. انظر: السير ٦٣/١٥.

(٢) الطفرة: يقصد بها تجويز أن يكون الجسم الكب من أجزاء غير متناهية في مكان ثم يصير إلى المكان الثالث ولم يمر بالثاني على جهة الطفرة. انظر مقالات الأشعري صـــ ، الفصل لابن حزم ٦٤/٥-٦٥. قال بها النظام من المعتزلة انظر ترجمته صـــ ٣٤٢.

(٣) ولمعرفة ذلك بالتفصيل راجع تعليق الشيخ على شرح الطحاوية الشريط (٦٥) و (ب).

(٤) التعليق على شرح الواسطية الشريط (٢٤) و (أ).

(٥) العقل والنقل عند ابن رشد ضمن المجموع صـــ ٢٧٤-٢٧٥.

وأما عقيدة الأشاعرة في شؤون المعاد، فكما قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**الأشاعرة لم يخالفوا أهل السنة والجماعة السلف والأئمة وأتباعهم بالنسبة لشؤون المعاد، بالإيمان بالبعث وما بعد البعث حتى يستقر العباد إما في الجنة وإما في النار؛ وافقوا أهل السنة والجماعة في هذا، ولكن المعتزلة لم يؤمنوا بكل شيء، أنكروا الشفاعة –أو بعض أنواع الشفاعة ينكرون– أي: لهم تخبطات في شئون المعاد ليسوا كالأشاعرة. هذا هو السر في أن شيخ الإسلام كثيراً ما يشهد للأشاعرة بأنهم أقرب إلى منهج أهل السنة والجماعة؛ لأنهم سلموا في هذا الباب سلامة تامة، ولم يقولوا لا في الشفاعة ولا في الحوض ولا في أي شأن من شئون المعاد ما يخالف أهل السنة والجماعة**"(١).

وبمناسبة القول بأن الأشاعرة أقرب الطوائف إلى الحق، فقد قال الشيخ:"**هنا يَرِدُ سؤال: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في غير موضع بمؤلفاته بأن الأشاعرة أقرب طوائف علماء الكلام إلى الحق، أو إلى منهج السلف ما معنى هذا؟ ومن كانت هذه عقيدتهم في صفة الكلام وفي صفة العلو كيف يكون أقرب إلى منهج السلف والى الحق من غيرهم؟!!**

الجواب: المسألة نسبية، شيخ الإسلام نظر إليهم في باب الاعتقاد بصفة عامة، لا في باب الأسماء والصفات فقط، بمعنى أن هناك من لا يؤمن بنصوص المعاد: يؤولون نصوص المعاد كالباطنية، ومنهم من لا يثبت ولو صفة واحدة من صفات الرب كغلاة الجهمية، إذا قارنا بين الأشاعرة وبين الباطنية، وبين الجهمية، وجدنا أن الأشاعرة يثبتون كثيراً من الصفات، بالمناسبة القول بأن الأشاعرة لا يثبتون إلا سبع صفات كلام غير محرر بل يثبتون أكثر من سبع، إذن بالنسبة للباطنية والجهمية، بل والمعتزلة الذين ينفون جميع الصفات نقول نسبياً، هؤلاء أقرب لكن بالنسبة لمفردات الصفات بعض الصفات: كصفة الكلام وصفة العلو فهم كغيرهم، أبعد من السنة وأبعد من

(١) شرح التدمرية الشريط (٦) و (ب).

الحق، وليسوا قريبين من الحق في هذه الصفات"[١]. وقال ايضاً:"**الأشاعرة يدخلون أحيانا في الصفاتية، إذا قسموا الناس إلى النفاة وإلى الصفاتية تدخل الأشاعرة في الصفاتية أحياناً، وفي النفاة أحياناً، وعند الإنصاف هم إلى الإثباتية أقرب منهم إلى النفاة، لماذا؟ لأنهم حتى في الصفات التي حرفوها لم ينفوا نفياً قاطعاً كالمعتزلة، ولكنهم أولوا، إلا أن ذلك التأويل آل إلى النفي فيما بعد، وذلك واضح في تأويلهم أو في نفيهم صفة العلو وصفة الاستواء وفي نفيهم صفة الكلام، وإن كانوا يعدون من المؤولة لكن في هاتين الصفتين هم من النفاة؛ لأن كلامهم صريح في النفي"**[٢].

المسألة الرابعة: أسباب انتشار العقيدة الأشعرية:

من المسائل التي نبه عليها الشيخ رحمه الله سبب انتشار معتقد الأشاعرة؛ حيث إنهم يشيعون أنهم يمثلون نسبة عالية من المسلمين، فكيف تبطل معتقد هذا الكم من المسلمين؟ أولاً: لا يسلم لهم أنهم بهذه الكثرة، قال الشيخ رحمه الله:"**عوام المسلمين في كل بلد لا يعرفون الأشعرية، ليسوا بأشاعرة ولا ماترورريدية، مسلمون على الفطرة، إسلام تلك الجارية. ودعوى أن جميع المسلمين أو أكثر المسلمين أشاعرة دعوى كاذبة غير صادقة"**[٣].

وأمر آخر وهو كما قال الشيخ:"**فليمثلوا ما شاءوا من العدد، فليست العبرة بالكثرة، العبرة بموافقة الحق، ولو أن فرداً واحداً خالف أهل الأرض فوافق الحق فهو الجماعة وحده، ولا عبرة للكثرة..وهذا يكشف جهل من يحتج بالكثرة"**[٤].

---

(١) من شريط بعنوان: (الرد على الأشاعرة والمعتزلة) توضيح لأصلي التدمرية.

(٢) شرح التدمرية الشريط (١) و (ب).

(٣) شرح القواعد المثلى الشريط (١٤) و (ب).

(٤) المصدر السابق.

ثم إن من الأسباب التي انخدع بها الكثير؛ مما أدى إلى شيوع مذهب الأشاعرة في كثير من أنحاء العالم، ما عدده الشيخ من الأسباب، حيث قال:"**نرى انتشار العقيدة الأشعرية بشكل ملموس بل اشتهارها بين جمهور المسلمين بأنها عقيدة أهل السنة والجماعة، وما هي أسباب هذا الذيوع؟! يذكر بعض المختصين المهتمين بشأن العقيدة الإسلامية**[١] **لهذا الانتشار والشهرة الأسباب التالية:**

أ- "كثرة الحق الذي عندهم بالنسبة للباطل الكثير الذي عند غيرهم، لأنهم يثبتون كثيراً من الصفات مثلاً، وزد على ذلك أن موقفهم من الصحابة يوافق موقف أهل السنة والجماعة، وموقفهم من نصوص المعاد موقف سليم أيضاً، وقد سلمت نصوص المعاد عندهم مما أصيبت به عند غيرهم من الباطنية ومن تأثر بهم من التحريف الذي سماه أهله تأويلاً ليقبل. وقد انخدع بهم كثير من علماء الفقه والحديث، فوافقهم في بعض ما ابتدعوه[٢].

ب- استعمالهم الأدلة العقلية في مواجهة المعتزلة مما أكسبهم الشعبية مع ما في طريقتهم من كثير البدع[٣].

جـ- ضعف الآثار النبوية في تلك العصور، والآثار هي التي تنير للناس سبيل الحق حتى لا يقعوا في الشبهات والبدع، على الرغم من كونها مدونة في الصحاح

---

(١) المراد شيخ الإسلام ابن تيمة والمقريزي رحمهما الله كما سيأتي.

(٢) لا بد أن نعلم بأن الأشاعرة أنفسهم ليسوا على مذهب واحد، بل بينهم اختلاف، وأحيانا يكون الاختلاف كبيراً. فالمذهب الأشعري مر بعدة أطوار، لهذا يصعب تحديد العقيدة الأشعرية تماماً، ولاشك أن شيخ الإسلام لا يعني المتأخرين منهم، الذين اعتمدوا الأصول الكلامية والقواعد الفلسفية في مذهبهم. وكما علق الشيخ محمد أمان على هذه النقطة بقوله: "ولا يعني ذلك أن الأشاعرة على الحق في كل شيء، أو أن ما لديهم من العقليات أقوى وأظهر، لا، بل أخطاؤهم أكثر من صوابهم؛ لأنهم لا يثبتون إلا بعض صفات الذات، ويتلاعبون بالنصوص فيما عداها كما هو معروف".

(٣) وانظر: مجموع الفتاوى ١٢/٣٢-٣٣.

والمسانيد، لأن اشتغال الناس بها ليس بالمستوى المطلوب، إذ كان العمل في الغالب بآراء الفقهاء واجتهاداتهم.

د- العجز والتفريط الواقعان في المنتسبين إلى السنة والحديث[1]، حيث يروون تارة ما لا يعلمون صحته من الآثار والأحاديث وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور"[2].

ولعل هذه النقطة الأخيرة هي التي أوقعت كثيراً من الناس في التفويض المحض.

هـ- انتساب الأشعري إلى معتقد إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله في آخر أمره كما سيأتي بيان ذلك.

و- اعتناق بعض الحكام عقيدته واعتبارها عقيدة أهل السنة والجماعة والدفاع عنها والدعوة إليها بشدة إلى درجة استباحة دم من خالفها كما فعل (ابن تومرت[3] وأتباعه في المغرب)، وستأتي الإشارة إلى هذه النقطة قريباً.

بهذه الأسباب توارثت الناس هذه الطريقة المزدوجة التي تشتمل على بعض الحق وفيها الشيء الكثير من الباطل، فانتشرت في مصر والشام والعراق باسم عقيدة

---

(١) المقصود المنتسبين إلى السنة والحديث من المبتدعة؛ فقد قسم شيخ الإسلام المبتدعة إلى نوعين: أحدهما: العالم بالحق الذي يتعمد خلافه. الثاني: الجهَّال الأميون الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني. انظر: مجموع الفتاوى ٤٣٣/١٧-٤٣٤. ولا يظن ظان أن المراد أئمة السلف من أهل الحديث فقد فند شيخ الإسلام هذا الظن بقوله -في معرض رده على مفضلة طريقة الخلف على طريقة السلف-: "فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف" الحموية صـ ١٨٩.

(٢) هذه الأربعة الأسباب منقولة عن مجموع الفتاوى ٣٣/١٢.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري، والمصمودى، الهرغي، الخارج بالمغرب، المدعي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي، توفي سنة ٥٣٧هـ. انظر: السير ٣٧٧/١٤، شذرات الذهب ١٨٨/٦.

أهل السنة والجماعة حيث (خلا الميدان لأبي حمدان) كما يقول المثل السائر، ولم يوجد لها منازع في تلك العصور فانتقلت العقيدة من العراق إلى المغرب بواسطة بعض الرحالات من المغرب ونشرها بين المغاربة فأخذها المغاربة بحماس شديد وبقوة حتى استباحوا دم كل من يخالف تلك العقيدة[1].

فمجموع هذه الأسباب[2] **هي التي جعلت العقيدة الأشعرية تنتشر هذا الانتشار الواسع فتشتهر هذه الشهرة العالمية، بيد أن الحق لا يعرف بالانتشار ولا بالاشتهار، بل للحق ميزان يوزن به، وللباطل علامات يعرف بها"**[3].

والمقصود هو أنه يجب الرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، في باب الأسماء والصفات وسائر أبواب الدين، فكل خير في اتباعهم، وكل شر في اتباع من خالفهم.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الخطط المقريزية ٢/٣٥٨.

(٢) وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود ٢/٤٩٧-٥٠٤.

(٣) الصفات الإلهية صـ ١٩١-١٩٤.

الفصل الثالث

جهوده في الرد على بعض الأفكار المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ في نقد القوانين والنظم الوضعية.

المبحث الثاني: جهود الشيخ في الرد على الحركات المعاصرة.

المبحث الثالث: جهود الشيخ في الرد على منكري السنة.

المبحث الأول
جهود الشيخ في نقد القوانين والنظم الوضعية

تمهيد

لقد أكمل الله الدين وأتم النعمة، فجعله ديناً كاملاً مشتملاً على ما يحقق للبشرية سعادتها في الدنيا والآخرة، ففيه البيان التام الشامل لكل جوانب الحياة: سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ويظهر ذلك جلياً بالمقارنة بين حكم الإسلام وحكم القوانين الوضعية؛ قال الشيخ رحمه الله:"**وأما النظام الإسلامي؛ فالسيادة المطلقة فيه حق لله تعالى وحده، فلا ينازع سبحانه في سلطانه؛ إذ له الخلق والأمر، وله الملك كله، والشرع شرعه، والسلطان سلطانه سبحانه، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.**

هذا هو النظام الذي ننصح به أولئك المخدوعين الذين تورطوا في الإيمان بالديمقراطية، فأصبحوا تابعين لقوم لا خلاق لهم، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله، ولا يكفرون بما يجب أن يكفر به شرعاً؛ حتى يصح الإيمان بالله وحده؛ إذ يقول سبحانه –وبقوله يهتدي المهتدون– ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

فالإيمان بالعلمانية والديمقراطية وغيرهما من الأفكار الملحدة الحديثة يتنافى والإيمان بالله، ولا يجتمعان في قلب امرئ مسلم، بل لابد أن يحل أحدهما محل الآخر؛ لأن دعوى كونهما نقيضين تقتضي أمراً ثالثاً، وهو غير واقع، بل إما الإيمان وإما الكفر"(١).

وهذا هو الحكم الفصل في القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله وحكمه، والمقصود أن"**الله سبحانه هو المشرع وحده؛ فقد شرع التشريعات العادلة، وأنزلها في كتابه، وهي موجودة الآن بين الناس، أتى بها خاتم النبيين محمد رسول الله ﷺ الذي**

---

(١) حقيقة الديمقراطية صـ٢٠-٢١.

أرسله الله رحمة للعالمين. فالكتاب والسنة الصحيحة الشارحة للكتاب هما محل التشريع الإلهي الكامل، فيجب على كل مسلم الإذعان لذلك، ولم يبق إلا القضاء بين الناس في ضوء ما جاء في الكتاب والسنة، ثم تنفيذ تلك الأحكام بين عباد الله"[1]سواءً كانت تلك الأحكام سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، وإذا ثبت ذلك فلا يجوز تبني تلك النظم الوضعية التي منشؤها العلمانية التي تدعوا إلى نبذ الأديان والأخلاق والقيم.

قال الشيخ رحمه الله مبيناً المقصود من العلمانية:"**معناها الخروج على جميع الأديان، وعدم اعتبار أي دين لا الدين الإسلامي ولا المسيحية ولا اليهودية، أي دين، الدين الحق والدين الباطل كله تَحرُّر**"[2]. وقال أيضاً:"**بمناسبة ذكر علماني وردني سؤال غير مرة أن بعض الناس بدؤوا يستعملون كلمة علماني على كل من يخالفهم، شخص اختلف معه في الرأي فكرهه يقول:(هذا علماني)، هذه مسألة خطيرة جداً، إذا قلتَ لمسلم: علماني، وأنت تعرف بأنه مسلم هو كقولك: هذا كافر يهودي أو نصراني تماماً لا فرق بينهما، أي كَفَّرْتَ مُسْلِمَاً؛ لأن العلمانية رَفْضَ جميع الديانات السماوية، العلمانية كافرة بجميع الأديان السماوية، العلمانية أمُّ الخبائث، العلمانية وجهها السياسي الديمقراطية ووجهها الاقتصادي الاشتراكية، إذن هي أُمُّ الخبائث مشتملة على الاشتراكية والديمقراطية، ولا يجوز لك بأن تقول لمسلم بأنه علماني؛ إنَّكَ كَفَّرْتَ إن كان كافراً، وإلا عاد عليك الكفر وهذا خطر على إيمانك**"[3].

وللأسف الشديد فقد انتشرت كثير من أفكار العلمانية في أوساط المسلمين، فتأثر بها بعض المثقفين، بل وبعض المنتسبين إلى بعض الجماعات، وقد بادر أهل العلم في

(١) المصدر السابق صـ١٧.

(٢) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

(٣) جواب على أسئلة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة في الدعوة إلى الله).

كشف باطلهم، وكان للشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ جهود مباركة في الرد عليهم[1]؛ وسأقطف من رسائله الموسومة بـ(رسائل في السياسة الشرعية) ما يبين جهاده رَحِمَهُ اللهُ لأصحاب النظم الوضعية: سواء في السياسة كالنظام الديمقراطي، أو في الاقتصاد كالنظام الاشتراكي، أو أولئك الذين يدعون إلى السفور وانحلال المرأة من دينها وقيمها، وذلك في المطالب التالية، والله المستعان.

المطلب الأول: جهوده في نقد النظام الديمقراطي:

الديمقراطية مذهب من المذاهب الهدامة الضالة أنتجتها العقول العلمانية الأوربية، والديمقراطية وإن كان اسماً جذاباً يقصدون به العدالة والحرية –زعموا– إلا أنه مشابه لنظام الإقطاعيين القديم؛ مبالغة في التحرر عن شريعة الله، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**الديمقراطية: لفظة أجنبية يونانية، ومعناها: حكم الشعب، وهي تعني: أن الشعب يحكم نفسه بنفسه.**

فللديمقراطية عناصر أساسية لابد من توافرها؛ ليكون النظام ديمقراطياً، ومن أهم تلك العناصر عنصران اثنان، نتحدث عنهما ونكتفي بهما:

أحدهما: السيادة للشعب.

ثانيهما: الحقوق والحريات مكفولة قانونياً لكل فرد يعيش تحت ذلك النظام[2].

ماذا تعني هذه الجملة (السيادة للشعب)؟ السيادة للشعب، أو السلطة للشعب، ومَن تصور معنا هذه الجملة: السلطة للشعب، ثم عَرف أنواع السلطات الثلاث التي سوف نتحدث عنها –إن شاء الله– لا يشك بأن النظام الديمقراطي نظام إلحادي

---

(١) ومن ذلك ما ضمنه تلك السلسلة من (رسائل في السياسة الشرعية) من: حقيقة الشورى في الإسلام، توزيع الثروات في الإسلام، حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام، نظام الأسرة في الإسلام.

(٢) على حد زعمهم؛ فإنهم مع دعواهم أشد محاربة للمتدينين والمتدينات بشريعة الله.

جاهلي؛ لا يصلح لنا في هذا البلد –السعودية–، بل لا يصلح لجميع البلدان الإسلامية، التي تؤمن بالنظام الإسلامي المترل.

أنواع السلطات: السلطة التي يتمتع بها الشعب في النظام الديمقراطي أنواع ثلاثة:

السلطة الأولى: السلطة التشريعية.

السلطة الثانية: السلطة القضائية.

السلطة الثالثة: السلطة التنفيذية.

يرى النظام الديمقراطي أن الشعب نفسه هو الذي يتمتع بهذه السلطات كلها، وذلك يعني: أن الشعب يملك تشريع القوانين المناسبة له، كما يملك التعديل والإلغاء في مواد القانون إن شاء ذلك، ثم الشعب نفسه يتولى القضاء بين الناس بواسطة لجنة معينة في ضوء التشريع، كما يتولى الشعب نفسه التنفيذ بعد القضاء، هكذا يكون الشعب كل شيء في النظام الديمقراطي.

لنا أن نتساءل هنا: هل يسوغ لمسلم ما أن يعتقد صحة تشريع غير تشريع الله العليم الحكيم؟! فإذا كان الشعب هو الذي يشرع قانونه، وهو الذي يتولى سلطة القضاء، ثم هو الذي ينفذ ما قضى به القاضي الديمقراطي؛ فما الذي بقي لرب العالمين الذي خلق العباد!! وأرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، تحمل ذلك التنظيم الدقيق العادل الذي لا جور فيه ولا نقص؟! فالله سبحانه هو المشرع وحده؛ فقد شرع التشريعات العادلة، وأنزلها في كتابه، وهي موجودة بين الناس أتى بها خاتم النبيين محمد رسول الله ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين"[(١)].

والمقصود أن الديمقراطيين"**يجعلون الحاكمية للشعب ويزعمون أن الشعب الناضج هو مصدر السلطات التشريعية منه وإليه يعود، كل أمر من أمور التشريع، ويرون أن ذلك هو العدالة؛ لأن المجتمع صار يحكم نفسه بنفسه، وهي العدالة التي**

---

(١) حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام صـ١٤-١٦.

يتغنى بها عشاق الغرب أو المؤمنون بهم"[1]. فهذا من تمام العدالة والحرية زعموا. وظاهر هذه العبارات البراقة الرحمة، ولكن الحقيقة المرة أن باطنها يعج بالعذاب، وقد وضح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعض بلايا الحريات المزعومة في النظام الديمقراطي، فقال:"**الحريات المكفولة في النظام الديمقراطي هي:**

١- حرية العقيدة. ٢-حرية الأخلاق، وتسمى: الحرية الشخصية. ٣-حرية الرأي والقول. ٤-حرية الكسب والإنفاق. ٥-حرية التعلم والتعليم. ٦- حرية السكن. ٧-حرية الانتقال والتنقل.

أما حرية العقيدة: فهي حرية الردة، حيث يعطي النظام الديمقراطي كل فرد حريته في أن يغير دينه وعقيدته كلما أراد ذلك، وليس لأحد الاعتراض عليه، فله أن يعيش مسلماً مثلاً أول حياته، فإذا بدا له أن يغير عقيدته ويتحول إلى النصرانية، أو اليهودية، أو ما يختاره من ملل أخرى: كالهندوكية، والبوذية، والعلمانية، أو غيرها؛ فله مطلق الحرية في ذلك؛ فحريته هذه مكفولة له بالقانون؛ فينبغي احترامها؛ احتراماً للقانون؛ فاحترام القانون عندهم واجب عيني؛ فهذه مسئولية السلطة القضائية التي تقضي بين الناس بما شرعته السلطة التشريعية، ولا يستطيع أحد أن يطالب بحد الردة طالما يعيش المرء في ظل النظام الديمقراطي. هذه حرية الردة. وبعد: فهل دعاة الديمقراطية من المسلمين يقرون بهذه الردة يا ترى؟! فليفكروا جيداً؛ ليحددوا موقفهم؛ لأنهم واقفون في مفترق الطرق، وليس أمامهم إلا الكفر أو الإيمان، ولا توجد هنا منزلة بين المنزلتين، أعني بين الكفر والإيمان والله المستعان.

أما حرية الأخلاق: فهي التي أجمع عليها الغرب والشرق معاً؛ أعني: أن كفار الشرق من الاشتراكيين قد يختلفون مع إخوانهم في الغرب في بعض الحريات، ولاسيما ما يتعلق بالمال، ولكنهم يتفقون معهم في حرية الأخلاق دون قيد. فهم يقررون جميعاً أن للمرء أن يقضي وطره من أية امرأة حيثما تيسر له ذلك: في الأماكن العامة

---

(١) حقيقة الشورى في الإسلام صــ ١١.

والمنازل الخاصة ما لم يغصبها، وفي حال اغتصابها فلابد للسلطة القضائية أن تتدخل في ذلك؛ لأن الشخص المغتصب يعد مجرماً ومذنباً لمخالفته القانون، حيث ارتكب جريمة الاغتصاب لا جريمة الزنا؛ لأن فاحشة الزنا ليست جريمة في حد ذاتها في ذلك النظام المجرم، وإنما الجريمة الاغتصاب. ومما يحزن كثيراً: أن هذه المادة من قانون الحرية الخلقية -أو قل على الأصح: الفوضى الخلقية- مطبقة ومعمول بها في بعض البلاد العربية التي ترفع شعار الديمقراطية، وهي مع ذلك دول عربية إسلامية! فتأمل!!. وهذه الدول العربية الديمقراطية تجري وراء الغرب النصراني الذي انتهت حريته إلى إقرار عقد نكاح لرجل على رجل مثله تحت إشراف الكنائس. وهذه المادة من القانون منصوص عليها في قانون دولة غربية كبيرة مشهورة...

ومن الحريات التي يتبجح بها الديمقراطيون: حرية الرأي أو حرية القول؛ إذ يرى النظام الديمقراطي أن الإنسان له حقوق بحكم أنه إنسان بصرف النظر عن أي اعتبار آخر، ويسمونها الحقوق الطبيعية. ومن حقوق كل إنسان: أنه حر في كل ما يريد أن يقوله، وله أن يعبر عما في نفسه بما شاء، وبأي أسلوب يريد، لا فرق عندهم بين الإساءة والإحسان، والحسن والقبيح، بل هذا تقسيم غير وارد في ذلك النظام. فحرية القول أو حرية الرأي هي الحرية التي يتمناها وينادي بها المثقفون المتأثرون بالثقافة الغربية من شبابنا، والذين ينقصهم الفقه في الدين، فنسأل الله لنا ولهم الهداية.

فرغبة في الإيجاز وعدم الاطناب: أستحسن أن أجمع هذه الحرية مع ما بعدها في حديث موجز، فأقول: في النظام الإسلامي حرية القول، وحرية الرأي، وحرية التعلم والتعليم، وحرية الكسب والإنفاق، وحرية السكن والانتقال والسفر، والحرية الشخصية الفردية، وهذه الحريات يتمتع بها كل من يؤمن بالنظام الإسلامي؛ بيد أنه لا توجد في الإسلام الحرية المطلقة غير المقيدة في كل ما ذكر وفي غيرها، بل جميع الحريات مقيدة بقيود الشريعة الإسلامية التي نظمت للناس حياتهم، حتى غايرت حياتهم حياة الحيوانات الأخرى. فللرجل مثلاً أن يختار الزوجة التي يسكن إليها بحريته، ثم يتم زواجها برضاها وموافقة وليها، ويتم بواسطة ولي معتبر في الشرع

وشهود. ولكن؛ لا يجوز له أن يضم إليها أختها ولا عمتها؛ لورود النهي عن الجمع بين الأختين في قوله تعالى: ﴿ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾ أي: حرَّم عليكم الجمع بين الأختين؛ لأنه معطوف على قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ ... ﴾ وعن الجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها، كما لا يخفى على طالب علم؛ لقوله ﷺ :(لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها)[1]. وإذا أراد غشيانها؛ تجنب أيام حيضها ونفاسها، وابتعد عن إتيانها في دبرها. وإذا تقيد بالقيود الشرعية؛ فهو حر في معاشرة زوجته وإتيانها في ليله ونهاره؛ ما لم يكن صائماً، ويأتيها على أي وضع كانت؛ قائمة أو قاعدة أو مضطجعة؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ .

فحرية التعلم والتعليم متاحة للمسلم الملتزم كما سيأتي تفصيل ذلك. ولكل إنسان –ذكراً كان أو أنثى– حرية القول وحرية الرأي في الإسلام مقيدة بقيود الشريعة: يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وينصح، ويذكر. ولكنه لا يسيء، ولا يشتم، ولا يلعن، ولا يقذف؛ متأدباً بآداب الشريعة في ذلك: بمثل قوله عليه الصلاة والسلام:(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت) رواه البخاري ومسلم[2]. وبقوله عليه الصلاة والسلام:(ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش ولا البذيء) رواه الترمذي وأحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي[3].

وأما ما يزعمه بعضهم من أن النظام الإسلامي يحول بين المرء وبين حرية القول والرأي، وأن تلك الحرية إنما تتوافر عند الغرب النصراني؛ فهذا القائل يعاني مرضاً يسمى جهلاً مركباً، حيث يظن أنه عالم وهو جاهل؛ فعليه أن يدرس النظام الإسلامي

---

(١) رواه مسلم (٣٤٤٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (١٧٣).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣١٢) ورواه الترمذي (١٩٧٧) وأحمد (٣٨٣٩) والحاكم (٣٠) وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني الصحيحة (٣٢٠).

دراسة فاحصة؛ حتى يفرق بين النظام الإسلامي والنظام الديمقراطي، قبل أن يصدر الحكم؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

أما حرية التعلم والتعليم: فهي متاحة في الإسلام للمسلم الملتزم؛ فالإسلام لا يحول بينك وبين تعلم أو تعليم كل نافع لك في دينك أو دنياك؛ ما لم يكن ضاراً؛ كتعلم السحر والكهانة والتنجيم، وما في معنى ذلك.

واما حرية الكسب والإنفاق: فهذا باب واسع ومرغوب فيه؛ شريطة أن يكتسب من ماله بالطرق المباحة ومن الحلال، ثم ينفق منه في مرضاة الله من أداء الواجبات الكثيرة من الواجبات المالية ومن التطوع.

وأما حرية السكن: فلك أن تسكن حيث شئت، وفي أي بلد إسلامي أردت، وفي أي حي أردت؛ في سكن تملكه أو تستأجره بمالك، لا السكن الذي تستولي عليه غصباً أو الحيل الشيطانية.

وأما حرية التنقل والسفر: فلك حريتك إذا كان سفرك سفر طاعة، أو سفراً مباحاً، ولم يكن سفر معصية؛ شريطة أن يتم ذلك بالوسائل المباحة....

وبعد فمحاولة عدم التقيد بنظام الإسلام، وعدم الرضا به، بل محاولة الانفلات من قيوده وشروطه في كل ما ذكر، لا يفسر بشيء غير الكفر بالله، الذي أنزل هذه الشريعة المنظمة لحياة الناس بشروطها وقيودها؛ تكريماً لهم، ورفعاً لمكانتهم، حيث يفارقون بذلك البهائم"[١].

أصل نشأة الديمقراطية:

ولمن لا يعرف حقيقة فساد نظام الديمقراطية له أن يتساءل عن أصل فكرها، ومنشأ وجودها، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**ولمعرفة منشأ هذه الفكرة الملحدة ينبغي أن نبحثها وندرسها وهي فكرة، ثم كيف ظهرت إلى حيز الوجود؟**

---

(١) حقيقة الديمقراطية صـ ٢٢-٢٩.

بعد تتبع ما أمكن تتبعه، وقراءة ما تيسر قراءته في الكتب والصحف والمجلات التي كتبت حول هذه الفكرة؛ تبين لي أن هذه الفكرة (الديمقراطية)، وليدة تفكير طويل، ولكنه غير موفق، نشأت عند الغرب النصراني الذي أعرض عن شريعة الله، بل غيَّر وحرَّف في الكتب السماوية، حتى سلط الله عليهم ملوكهم الظالمين، فأذاقوهم سوء العذاب؛ بدعوى التفويض الإلهي؛ ليفعلوا ما يشاءون، فصارت الشعوب الغربية النصرانية بعد تغيير الكتب السماوية وتحريفها تعيش بين ظلم ملوكهم وتسلط كنائسهم التي لا يقل ظلمها عن ظلم الملوك، فإذا كانت ملوكهم تظلمهم وتتصرف فيهم وفي أموالهم كما تريد؛ فإن كنائسهم تسخر منهم، وتستخف عقولهم، فتزين لهم تأليه غير الله، وتلقنهم أناشيد حزينة في مناسبات كثيرة، فترشهم بماء خاص، فيعيشون في حياهم الدنيا في تلك الخرافات التي يضحك منها مسلم عادي غير مثقف، ثم من مات منهم تكتب لهم الكنيسة صكوكاً إلى الجنة، وهكذا يعيشون معيشة ضنكاً. أما خرافة الكنيسة؛ فباقية إلى يوم يوم الناس هذا في بعض المناطق المتعصبة للنصرانية حسب علمي. وأما ظلم ملوكهم؛ فقد فروا منه، ولكن على غير مفر، إذ فروا من أحكام الملوك الظالمة على تشريعهم الكافر الجائر (كمستغيث من الرمضاء بالنار)[1].

وهكذا عاقبهم الله في الدنيا قبل الآخرة، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾

وبعد: فلا غرابة إذا حصل كل الذي ذكرناه من الغرب النصراني الذي لا يؤمن

(١) عجز بيت صدره: (المستغيث بعمرو عند كربته) قيل أن جساس بن مرة لما طعن كليباً استسقى بعمرو بن الحارث ماء، فلم يسقه وأجهز عليه، فقيل فيه ثم جرى مجرى المثل، وقد ذكره أبو عبيد في الأمثال صـــ ٢٦٣، وانظر: مجمع الأمثال ١٤٩/٢.

بالله ولا بشرعه. ولكن الغرابة كل الغرابة، بل البشاعة كل البشاعة: أن يقلدهم –أو يحاول أن يقلدهم– من يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله وبصحة ما جاء به رسوله –عليه الصلاة والسلام–؛ من شبابنا المثقفين الثقافة الغربية، حتى تبعهم قوم آخرون من عوام المسلمين في كثير من الأقطار الإسلامية، فصاروا يصفقون لهذه الفكرة الكافرة وهم لا يشعرون.

الذي أريد أن أصل إليه: أن الغرب النصراني أراد أن يتخلص من ظلم ملوكه، فعقدوا اجتماعات ومؤتمرات كثيرة، فقرروا أخيراً نظرية سيادة الشعب. وهي نظرية تنطلق من تصور إلحادي؛ إذ يتصور أن الناس خلقوا ثم أهملوا، فتركوا دون أن تنظم حياتهم، ويبين لهم الخير من الشر والنافع من الضار؛ ليتخبطوا بأنفسهم في محاولة تنظيم شؤونهم.

من هنا نشأت فكرة السيادة للشعب، وأن الشعب صاحب السلطة بدل سلطة الملوك. وهي فكرة ملحدة، تتنافى وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ **وما في معناها من الآيات التي تدل بأن الله لم يترك العباد هملاً حتى يشرعوا لأنفسهم ويكفروا بالله ربهم وخالقهم، بل أرسل إليهم رسلاً، وأنزل عليهم كتباً وبينت لهم الرسل كل ما يحتاجون إليه؛ ما لم يعرضوا عن شريعة الله، ويكفروا برسله. فهي إذن نظرية لا تتلائم مع عقيدتنا الإسلامية، ولا تصلح في أرضنا كما أسلفنا"**[1].

كيفية الوصول إلى الحكم في النظام الديمقراطي:

زعم الديمقراطيون أن الانتخاب الحر هو السبيل للوصول إلى اختيـــار الحـــاكم، وللشيخ وقفات مع هذه الدعوى؛ حيث قال:"**الكلام على الانتخاب الحر من وجهين:**

(١) حقيقة الديمقراطية صـــ ١٧-٢٠.

الوجه الأول: تسمية الانتخابات الجارية في الوقت الحاضر في البلدان التي تخضع للنظام الديمقراطي أنها حرة؛ وصف فيه تسامح كثير، وفي واقع الأمر قلَّ أن يوجد انتخاب حر ونزيه، وكل من له اتصال بالعالم الديمقراطي يدرك كيفية إجراء تلك الانتخابات، وما قد يقع أثناء الانتخاب من فتن تفسد القلوب، وتثير الأحقاد، وقد تكون فتنة دامية، وما يحصل من شراء الأصوات، ويُعلم يقيناً أن وصف الانتخاب بأنه حر وأنه نزيه؛ وصف مضلل، بل سخرية سافرة. والمعروف أن الذي ينتخب ويرشح لأي منصب في البرلمان –أو قل مجلس الشعب– إما رجل ثري يختار لثراه، أو ذو جاه ومنصب وشعبية يختار لهذه الأسباب.

هل يختار العالم لعلمه، أو الصالح والتقي لصلاحه وتقواه؟ الجواب: لا. ولكنه قد يختار وينتخب صاحب الشهادة العالية لشهادته لا لعلمه.

إذاً تبينا مما تقدم عن كيفية إجراء الانتخابات في الدول التي تخضع للنظام الديمقراطي التي تتعدد فيها الأحزاب؛ بقي أن نتحدث عن الوجه الثاني الذي أشرنا إليه قبل.

الوجه الثاني: وإذا أجري الانتخاب، ورشح المرشحون لعضوية مجلس الشعب أو لرئاسته؛ فماذا يعمل أعضاء مجلس الشعب ورئيسيه؟! وبأي شريعة يحكمون؟! هل هم مشرعون، أم منفذون؟! فالجواب معروف عند كل من له إلمام بهذا الشأن.

إن مجلس الشعب –بجميع ألقابه– سلطة تشريعية، يتولى تسنين القوانين ووضع الأحكام ووضع العقوبات، كما يتولى التعديل في مواد القانون أو الإلغاء إن دعت الحاجة إلى ذلك، أو استيراد بعض مواد القانون من خارج البلاد؛ ناسياً أو متناسياً شرع الله، والأحكام التي اشتمل عليها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وقد يوافق ما سننوه ويعملون به لكونه وافق ما عندهم.

ومما لا يختلف فيه اثنان فاهمان: أنه لا يجوز شرعاً تسمية شخص ما، أو مجلس ما أنه مشرع؛ فالعبارة التقليدية التي ترددها بعض الجهات: (رجال التشريع) فخطأ محض قطعاً؛ لأن رجال التشريع الذين يحرمون ويحللون بأهوائهم فيُتَّبعون في ذلك قد سماهم الله في كتابه أرباباً من دون الله؛ أي: نصبوا أنفسهم شركاء لله؛ إذ يقول الله

تعالى حكاية عن أهـــل الكتـــاب:﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ولذلك لا ينبغي لرجال يؤمنون بالله وبشـــرع الله، وأن الله وحده هو المشرع: أن يلقبوا أنفسهم برجال التشريع؛ إذ لا فرق بـــين أن يســـمى الشخص مشرعاً وبين أن يسمى معبوداً أو إلهاً.

إذاً تبينا أنه لا يجوز شرعاً محاولة مضاهاة الله والتشبه به في تشـــريعه بنصـــب رجال يشرعون غير شرع الله، كذلك لا يجوز استخدام أي وسيلة من الوسائل المؤدية إلى ذلك التشريع البشري الذي ينازع تشريع الله، كانتخاب رجال البرلمان، أو مجلس الشعب؛ ليشرعوا مع الله، أو من دون الله؛ لأنه يعتبر عند التحقيق اختيـــار أربـــاب يعبدون من دون الله، وهذا يتنافى مع لا إله إلا الله؛ لأن توحيد الحاكمية هـــو مـــن توحيد العبادة؛ فليعلم جيداً"(١).

الديمقراطية والشورى:

سبق بيان الشورى في النظام الإسلامي، ولكن مما ابتلي به بعض المسلمين عشاق الديمقراطية تسميتها بغير اسمها؛ ترويجاً لها عند العوام، وحتى يكون لهم مستمسك مـــن النصوص؛ فزعموا —وبئس ما زعموا- أن الديمقراطية العصرية هي الشورى الشـــرعية، وقد حذر الشيخ مراراً من أُولئك الكتاب الذين اختلط عليهم الأمر، ففســـروا النظـــام الديمقراطي الآثم بنظام الشورى، وبين المفهوم الواقعي السديد لها، فقال:"**ومن الأخطـــاء المنتشرة بين المثقفين في هذه الأيام التي نريد أن نحاصرها قبل أن يستفحل داؤها أكثر فأكثر؛ توهم كثير من المثقفين أن الشورى المطلوبة في الإسلام هي تلك الديمقراطيـــة**

---

(١) حقيقة الديمقراطية صـــ٣٠-٣٣.

الغربية. وفي الواقع هما أمران متباينان، ولا يلتقيان أبداً كالنور والظـــلام أو الليـــل والنهار"[١].

وقال أيضاً:"ولكن الذي نلحظه في هذه الأيام أنه كثر اللغط واختلط الأمر على بعض الكتاب المعاصرين بتأثير من النظم الدستورية الحديثة من غربية وشرقية؛ حتى جهلوا حقيقة الشورى في الإسلام فأخذوا يفسرون الشورى بما يشبه الديمقراطية، أو بها نفسها، إذ كثيرًا ما نسمع أو نقرأ لهم وهم يقولون: الديمقراطية الإسلامية.

والديمقراطية نظام أجنبي لفظاً ومعنى –كما تقدم–، والإسلام أسمى وأرفع من أن تفسر عدالته بالديمقراطية؛ لأن الإسلام رسالة الله العادلة الباقية، والديمقراطية حكم البشر؛ لأنها حكم الشعب الناضج الذي يحكم نفسه بنفسه –كما يزعمون– بواسطة نواب البرلمان الذين يسنون القوانين ويشرعون التشريعات، ويضعون العقوبات على حسب رغبة الشعب؛ دون التفات إلى شرع الله العليم الحكيم، وهم موظفون لدى الشعب لتنفيذ رغبتهم؛ معرضين عن شرع الله الذي أنزله في كتابه على رسوله وأمينه على وحيه، وأمره أن يحكم بين الناس بما أنزل الله. فالإيمان بهذا النظام يتنافى والإيمان بالله وبرسوله وكتابه... فعلى أولئك الذين يفسرون الشورى في الإسلام بهذا النظام الغربي الكافر أن يصححوا معلوماتهم، بل عليهم أن يصححوا إيمانهم؛ لأن الدعوة إلى البرلمان دعوة إلى اتخاذ أرباب من دون الله كما أسلفنا.

وإن كانوا يريدون أن الغرض من الشورى إيجاد هيئة أو سلطة منظمة برئيسها وأعضائها ولها استقلالها في تصرفاتها في الشؤون الداخلية والخارجية كما يزعمون، وليس لسلطة الدولة أن تؤثر فيها، في تخطيطها وتنظيمها؛ فهذه دعوة إلى إيجاد (حكومة داخل حكومة) ولا نعلم لهذه الحكومة الداخلية مثيلاً أو نظيراً في التاريخ الإسلامي.

---

(١) حقيقة الشورى في الإسلام صـــ ١٦-١٧

بيد أننا لا ننكر لو أن جهة من الجهات اتخذت مجلساً للشورى يعطي صلاحية محددة؛ ليقدم للسلطة آراء بناءة ومدروسة، ويكون للمجلس رئيسه وأعضاؤه، فيقدم آراء غير ملزمة بطلب، أو بدون طلب من ولي الأمر، لا ننكر هذا التنظيم؛ لأنه يعد من المصالح المرسلة المعروفة عند أهل العلم، وإن كانت آراء المجلس غير ملزمة قطعاً كما قررنا، بل الحاكم في المنهج الإسلامي فرد واحد يبايع فيطاع، ما لم يأمر بمعصية الله تعالى. هذا ما تدل عليه نصوص الكتاب والسنة، ودرج عليه سلف هذه الأمة، والمسألة معروفة في موضعها في كتب الفقه والسنة"[1].

(١) حقيقة الشورى في الإسلام صـ٣٤.

المطلب الثاني: جهوده في نقد النظام الاشتراكي:

إن النظام الاشتراكي من أقبح المذاهب الفكرية وهو وليد العلمانية الأوربية وشقيق الديمقراطية، وهو نظام يحمل الناس على العنف والشدة في سبيل تنفيذ تعاليمه وأهدافه، قال الشيخ رحمه الله:"**وأما النظام الشيوعي: فإنه يرى العدالة في حاكمية الحزب الحاكم الذي بيده، أو يجب أن يكون بيده زمام السلطة التشريعية، وعلى جميع الناس أفراداً وجماعات أن يخضعوا لما يفرضه عليهم هذا الحزب الحاكم المتسلط، بصرف النظر عن وجود الحزب المعارض أو عدم وجوده؛ لأنه الحزب المختار المتميز وهو الذي يسن القوانين، ويقدر العقوبات ويشرع التشريعات المختلفة؛ إذ لا معقب لحكمه ويصدق على تصرف هذا الحزب وصلاحيته الواسعة قول القائل:**

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام[1]"[2].

ومما ينبغي التنبيه عليه هو أن الفكر الإشتراكي الشيوعي هو فكر علماني ذو وُجةٍ اقتصادية، يلغي ملكية الفرد؛ وقد اغتر بأساليبهم بعض جهلة المسلمين فزعموا أن الإسلام صرخة في وجه الطبقية، وقد كتب الشيخ رحمه الله رسالة في هذا الباب مبيناً الحق الذي يجب اعتقاده ومحذراً من الاشتراكية، وسأقطف منها ما يكفي في هذا المقام، قال الشيخ رحمه الله:"**مسألة توزيع الثروات _على حد تعبيرهم _، حيث زعموا أن الإسلام لا يقر الطبقية في المجتمعات، بل يجب أن يكون الناس سواسية في أرزاقهم ، حيث قال بعضهم تعبيرا عن هذا المعنى:(إن الإسلام صيحة في وجه الطبقية)؛ كما أشرنا قبل. وهذا تعبير خاطئ وطائش، ينبئ عن جهل قائله أو تجاهله ، وتأثره بالرأي الشرقي الشيوعي**"[3].

---

(١) البيت للجيم بن الصعب في شرح التصريح ٢/٢٢٥، وانظر: لسان العرب ٦/٣٠٦، وقد جرى مجرى المثل.

(٢) حقيقة الشورى في الإسلام صـــ ١٢.

(٣) توزيع الثروات في الإسلام صـــ١١.

ثم رد الشيخ عليهم فقال:"ولبيان الحق في هذه المسألة وإزالة ما وقع فيها من التلبيس والخلط ، لا بد من بيان أقسام الأموال.

إن الأموال من حيث موقعها وأحكامها وتملكها وإنفاقها تنقسم إلى قسمين:

١. الأموال الخاصة: التي يملكها الأفراد؛ مستخلفين فيها، يخلف بعضهم فيها بعضا، فينفقون مما رزقهم الله.

٢. ومال عام: وهو مال بيت المال الذي يصرفه ولاة الأمر.

* الأموال الخاصة:

أما القسم الأول: فقد ألهم الله عباده طرق كسبها وتملكها وتحصيلها، وهيأ لهم الأسباب، وأباح لهم البيع والشراء والهبة والإرث والزراعة والاصطياد وغير ذلك من الوسائل التي بها يمتلك الإنسان المال، ثم تولى الله سبحانه بنفسه بيان كيفية إنفاقها، وقسّم الأرزاق بين العباد بنفسه سبحانه، وبين الُمنفِق والُمنفَق عليهم، وهذا يتطلب معرفة الحقوق الواجبة في الأموال. وفي الأموال حقوق كثيرة، وليس حق الزكاة فقط، وهي حقوق كثيرة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع:

منها : نفقة الزوجة، ونفقة الولد، ونفقة الأقارب المحتاجين، ونفقة الوالدين.

وهناك حقوق تخرج من محيط الأسرة إلى المحيط العام: كزكاة الفطر، وزكاة الأموال بأنواعها واختلاف أموالها، والكفارات. وغير ذلك من حقوق الأموال الكثيرة.

وقد أوجب الله هذه الحقوق للفقراء والمساكين ومن ذكر معهم، وجاء بعضهم في آية الصدقات، وقد تولى الله بيان ذلك بنفسه سبحانه، ولم يكل بيان ذلك إلى غيره، إذ يقول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ﴾ الآية . وتثبت هذه الآية وغيرها من الآيات الكثيرة؛ وجود الأغنياء المنفقين المتصدقين، ووجود الفقراء المنفق عليهم المحتاجين، وتثبت هذه الآية أيضاً

وغيرها اليد العليا واليد السفلى:(اليد العليا خير من اليد السفلى)[1]، إذ الناس طبقات في الإسلام: أغنياء وفقراء. فإذا راجعنا أحكام الأموال الخاصة في الإسلام ؛ لوجدناها مفصلة غاية التفصيل _ كما أشرنا _ ، وأن الأموال موزعة على مستحقيها، ولسنا بحاجة إلى من يتولون اليوم توزيع ثرواتنا؛ زاعمين أنهم سوف يرفعون من شأن فقرائنا؛ ليصبحوا أغنياء بعد فقر، حتى لا يكون هناك فقراء ...

وهذه محاولة فاشلة، لا تساير الواقع، بل الواقع يكذبها ويبطلها، وهي محاولة شرقية كافرة فاشلة. ولتأكيد بطلان المحاولة المبتدعة، وأنها مخالفة لسنة الله في خلقه التي لا تتبدل ولا تتغير، لا بد من الرجوع إلى ما كان عليه وضع ذلك المجتمع الإسلامي المثالي، مجتمع الصحابة الذي كان يتزل فيهم الوحي. كيف كان ذلك المجتمع ؟! هل كان طبقة واحدة دون تفاوت في أرزاقهم ؟! هذا تصور مخالف لواقعهم، بل الواقع أنه كان فيهم الأغنياء وفيهم الفقراء. والذي كان يوضح المسألة موقف الفقراء من الأغنياء ، والعكس ، وموقف الرسول ﷺ منهم جميعاً.

لقد كان موقف الأغنياء البذل والعطاء والإنفاق، بل الإيثار بدل البخل والشح، بل قد أثنى الله تعالى على الفريقين ثناءاً عاطراً، يقول تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ . هم فقراء المجتمع الإسلامي العظيم، قوم آثروا الفقر على الغنى؛ إذ تركوا ديارهم وأموالهم، فخرجوا مهاجرين إلى الله، يبتغون فضلا من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله بنصر دينه وأوليائه _ وهم الدعاة إلى دينه _. ثم أثنى الله على أغنيائهم؛ لحبهم الفقراء الذين هاجروا إليهم، بل كانوا يقدمونهم على أنفسهم ويؤثرونهم، ولو كانوا محتاجين، إذ وقاهم الله داء الشح والبخل، فيقول الله تعالى في شأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

(١) رواه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (٢٣٨٥).

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

ذلك هو المجتمع المسلم الأول، المجتمع التريه بفقرائه وأغنيائه، لا شح ولا بخل من جانب الأغنياء، ولا حسد ولا حقد ولا تطلّع إلى ما في أيدي الناس من جانب الفقراء. ينفق الأغنياء بطيبة من أنفسهم، وهم يقولون بلسان حالهم أو بلسان مقالهم أحياناً: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ . وإذا كان موقف الأغنياء الإنفاق والإيثار؛ فإن موقف الفقراء الغبطة والرغبة في فعل الخير والإنفاق كما فعل الأغنياء، والغبطة صفة حميدة، بخلاف الحسد؛ لأن الحسد تمني زوال نعمة الغير حقداً وكراهة رؤية النعمة على غيرك، وهو في حقيقته اعتراض على الله في عطائه وإنعامه على عباده كيف يشاء؛ يوسع على من يشاء لحكمة، ويُضيّق على من يشاء لحكمة؛ لأنه بعباده عليم خبير، أما الغبطة: فهي أن تتمنى أن يحصل لك ما حصل لغيرك من الخير؛ من علم وعمل وتقوى والتزام، ومن غنى وجاه ومنصب، دون تمني زوال ذلك عن غيرك؛ لتنفق ولتفعل الخير، وهنا تثاب على نيتك الطيبة وإن لم تنفق. ويوضح هذا المعنى موقف المهاجرين الذين ورد الحديث في شأنهم، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه إذ روى البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة قال: (إن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون؛ تمنوا أن يحصل لهم ما حصل لأغنيائهم، ولم يحسدوهم. فقال النبي ﷺ: ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثلما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله ﷺ! قال: تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين). قال أبو

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣)(٦٣٢٩) ومسلم (٥٩٥).

صالح الراوي لهذا الحديث عن أبي هريرة :(لما سئل عن كيفية ذكرهن؟ قال: يقول:سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون فعلهن كلهن ثلاثا وثلاثين) متفق عليه، كما تقدم. وعند مسلم وهو محل الشاهد: (فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، ماذا نصنع؟ كيف نلحق بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ جواب نبوي يثلج الصدور، ويقضي على الحسد، ويحث على العمل وعلى التحبب فيما بينهم جميعاً. هؤلاء هم فقراء المهاجرين بغبطتهم النزيهة ورغبتهم الشديدة في فعل الخير واكتساب الأجر، دون حسد لإخوانهم الأثرياء. هكذا كان ذلك المجتمع المثالي الذي رباهم رسول الهدى ونبي الرحمة ﷺ بتلكم التوجيهات النبوية السديدة: حثٌّ على الإنفاق والبذل، وترغيب في ذكر الله تعالى، مع بيان أنه قد يلحق الذاكر لله بالغني المنفق المجاهد بالإكثار من الذكر، وأما إذا أكثر الغني من ذكر الله أيضاً مع الإنفاق؛ فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ومن هذه الدراسة والأمثلة، ندرك أن مجتمع الصحابة يتكون من الأغنياء، بل من كبار الأثرياء؛ مثل: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وممن دون هؤلاء من الأغنياء المتوسطين، ومن مستوري الحال، ثم الفقراء؛ على تفاوت في فقرهم وحاجتهم ومسكنهم.

وبعد: فهل عمد رسول الله ﷺ -وهو رسول الهدى- إلى أموال أولئك الأثرياء ليصادرها ويوزعها على أولئك الفقراء والمساكين بما فيهم أهل الصفة، أفقر أصحاب النبي ﷺ: كأبي هريرة، الذين كانوا يلازمون رسول الله ﷺ بملء بطونهم؛ ليحفظوا أحاديث رسول الله ﷺ ولا يملكون شيئاً من حطام الدنيا؟!

هل فعل ذلك؛ ليقضي بذلك على الطبقية؛ كما زعم الزاعمون من الكتاب المحدثين في أثناء تخبطاتهم وترددهم بين الأنظمة الدستورية والاقتصادية الشرقية

والغربية، وقد زعموا أن الإسلام صيحة في وجه الطبقية كما أسلفنا؟! هذا باختصار ما يتعلق بالأموال الخاصة التي يملكها الأفراد.

إن هذا التصرف من هؤلاء الكتاب اعتراض سافر كما ترى على تقسيم الله تعالى الأرزاق بين عباده، وعدم الرضا بقضاء الله وقدره، وتدخل جريء في فعل الله العليم الحكيم. ولا نعلم لهم سلفاً فيما أقدموا عليه؛ إلا ما كان من كفار قريش حين اعترضوا على تخصيص الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بالنبوة وإنزال الكتاب الأخير عليه (القرآن)، فاعترضوا واقترحوا!!

وقد حكى الله ذلك بقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال بعض المفسرين(1): يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، وقيل غير ذلك. وسواء كان هذا أو ذاك؛ فإنهم لم يرضوا بقسمة الله العليم الحكيم، ولم تطب أنفسهم عندما اختار الله نبيه محمد ﷺ للرسالة الأخيرة، وأنزل عليه الكتاب، بل ذهبوا يقترحون في أمر النبوة وإنزال القرآن، فرد الله هذا الاعتراض غير اللائق رداً مفحماً يتلى إلى يوم القيامة، ويدخل في عمومه كل معترض على الله تعالى رداً لذلك الاعتراض: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . ردٌّ _ لو تدبر التالي هذه الآية _ كأنه نزل بعد أن وفدت الاشتراكية على الشرق الإسلامي، وأفسدت في الأرض، ودمرت الثروات ... كأن الآية نزلت ردا عليهم. يقول الله سبحانه وتعالى:(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) من النبوة والرسالة وإنزال الكتاب ؟! (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فلم نترك قسمة المعيشة وتوزيع الثروات والأرزاق بين العباد لغيرنا، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة والدنيا.

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير ٣١٤٥/٧.

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ أغنياء وفقراء. ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ أي: مُسخَّراً. لم يقل الرب سبحانه وتعالى: ليتخذ الأغنياء الفقراء مسخرين، ولكنه أجمل وأبهم؛ ليكون أعم، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا. هذا التسخير يأتي أولاً من الأغنياء بأموالهم؛ لأن الأغنياء يسخرون الفقراء بأموالهم ... قد يُسخِّر غني واحد مئات بل آلاف الفقراء؛ ليعملوا له أعمالا، وليُنمُّوا أمواله، ويحافظوا على أمواله، وهو فرد واحد، ليُسخِّرهم بهذا المال الذي منحه الله إياه.

ويأتي دور يُسخِّر فيه الفقراء الأغنياء .. فمثلا؛ لو تواطأ الفقراء والموظفون والعمال الذين يعملون في مصنع زيد الثري، فأضربوا، فرفضوا الأعمال طالبين مزيد الأجر، قد يصبر زيد يوماً أو يومين، ولكنه سوف يحس بأن أمواله تضيع، فيقدم الرجاء إلى الفقراء والمساكين والعمال والموظفين، فيقول: أنا أرجوكم رجاء خاصاً ورجاء حاراً لترجعوا إلى أعمالكم؛ لئلا تضيع أموالنا وتجمد. فيا ترى من المُسخِّر ومن المُسخَّر هذه المرة؟ الفقراء هم المسخِّرون والأغنياء هم المسخَّرون؛ لأن المسخَّر هو الذي يقول: أرجوك رجاء اعمل لي كذا وكذا. هذا سرّ الإبهام في قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾، هذا الإبهام من بلاغة القرآن ليشمل ويعم. وعلى هذا يقوم نظام الدنيا، ومن يريد أن يخل بهذا النظام، ويحاول _ في زعمه _ أن يصادر أموال الأغنياء والأثرياء ليوزعها على الفقراء ويحسن وضع الفقراء ويرفعهم؛ ليكونوا جميعا أغنياء، يحاول محاولة فاشلة وفاسدة.

وقد حاول ذلك في شرقنا الإسلامي بعض الناس .. فعندما وفدت الاشتراكية على أكبر وأغنى دولة عربية[1]، وفدت عليها الاشتراكية، وتأثر بعض الضباط بذلك،

(١) هذه البلد هي جمهورية مصر وقد أفصح الشيخ رحمه الله ذلك في شرحه لتجريد التوحيد الشريط (٨) و (ب) بقوله:"هكذا حاولت الاشتراكيّة أول ما وفدتْ على (مصر) وجدتْ بلدًا غنيـًّا أثرياء، أثارت الفقراء ضدّ الأثرياء، زعم الفقراء أنهم سوف يكونون مثل هؤلاء الأغنياء تمامـًا، قالوا نرفع درجاتكم إلى درجة الأغنياء، صفّقوا، وهَتَفوا، وأخيرًا : نزّلوا

وصاحوا في الفقراء ليرفعوا من درجاتهم، وصفّق الفقراء، وهللوا وكبروا وانتظروا الثراء والغنى، ولا شيء ... الذي حصل أن دمرت أموال الأثرياء، وهاجر الأثرياء، وأخذت الأموال إلى أيدي أولئك الضباط، ورجع ذلك البلد أفقر دولة من الدول العربية والإسلامية، فصاروا يهاجرون من ذلك البلد إلى البلدان الأخرى؛ ليعيشوا...كل ذلك لأنهم خرجوا على نظام الله تعالى، وتقسيم الله للأرزاق بين العباد، حيث جعل الناس أغنياء وفقراء.

هذا النظام الرباني هو الذي يصلح للعباد والبلاد، وهو الذي يستمر طالما الدنيا باقية لا تغيير ولا تبديل. هذا بالاختصار ما يتعلق بالأموال الخاصة التي جعل الله عباده مستخلفين فيها لينفقوا مما آتاهم الله من فضله ، وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ **فكتاب الله يثبت _ كما ترى _ منفِقا ومنفَقاً عليه، وذلك يعني وجود أثرياء ينفقون دائماً وأبدا، ووجود فقراء؛ لينفق عليهم باستمرار. وعلى هذا يقوم نظام الحياة، بتدبير الله سبحانه، ومحاولة إخلال هذا النظام يؤدي إلى الفساد في الأرض، كما أثبتت التجارب الكثيرة"**[(١)].

وبعد هذا النقل المطول الذي عرض فيه الشيخ ما يشفي ويكفي في الرد على الاشتراكية الداعية لسلب ملكية المال الخاص، تمم الشيخ الفائدة بالرد عليهم تجاه المال العام وعرض السلوك الصحيح في ذلك، فقال رحمه الله:**"وفي زعمهم أن المال العام الذي يعرف في وقتنا هذا أو الذي يحفظ في وقتنا هذا في وزارة معروفة تسمى وزارة المالية، يزعمون أنه يجب توزيعه على الناس جميعاً على حد سواء!**

=

الأغنياء وجعلوهم فقراء وسلبوا الأموال؛ لم يستطيعوا أن يجعلوا الناس طبقة واحدة، لا يمكن، مستحيل".

(١) توزيع الثروات في الإسلام صــ ١١-٢١.

ويقال لهؤلاء: أدركتم شيئاً وفاتتكم أشياء! أدركتم أنه مال عام يكون لكل مسلم فيه حق شائع، ولكن الذي فاتكم كيفية توزيع ذلك المال وإيصاله إلى المستحقين، مع مراعاة الأولويات.

يوزع المال العام بطرق كثيرة ومتنوعة، ويحفظ ذلك المال في الوزارة المعروفة عالميا بوزارة المالية، ومن هذه الوزارة يوزع المال على جميع الوزارات والمصالح الحكومية للتوزيع، فيوزع المال بطرق شتى منها:

أولاً: إنشاء المدارس الحكومية والجامعات الضخمة، وتأمين الكتب المدرسية مجاناً للدارسين، وتأمين المراجع المطلوبة للمعلمين مهما كثرت، وتوظيف العاملين في تلك المدارس والمعاهد والجامعات في جميع التخصصات، مع مكافأة مناسبة للدارسين أحياناً، ذلك نوع من أنواع توزيع المال العام.

ثانياً: تأثيث تلك المستشفيات العملاقة في كل مدينة من تلك المدن الكبيرة والصغيرة، وتوظيف الأطباء وسائر العاملين فيها، مع تأمين تلك الأدوية الغالية التي تصرف مجاناً لكل مريض، ذلك نوع من أنواع توزيع المال العام على المجتمع بطريقة غير مباشرة، ولكنها طرق واضحة يدركها كل منصف.

ثالثاً: وقد يعطي شيء من المال العام لبعض الأشخاص في بعض الظروف، وذلك مثل المال الذي يعطى للجندي أو الضابط الذي يبلي بلاء حسناً في قتال العدو، وقد يعطى ذلك نقدا جائزة له وتشجيعاً، وليكون أسوة لغيره، أو بشكل سكن، أو سيارات..أو غير ذلك من الطرق المتبعة لدى الجهة المسؤولة حسب اجتهاد تلك الجهة(١). وكل الذي أريد أن أثبته وأوضحه أن المال العام ملك عام لجميع أفراد المجتمع، ولكنه لا

---

(١) علق الشيخ صالح الفوزان حفظه الله عند هذا الموطن في نسخة للرسالة قدم لها-يسر الله إخراجها-:

رابعاً: تمد الفقراء العاجزين عن الكسب وليس لهم من ينفق عليهم، تمدهم بالمعونات، وقد تجعل لهم مرتبات شهرية أو سنوية، وتفتح دوراً لتعليم المهن والحرف وطلب الرزق، وتعينهم على فتح مؤسسات ومصانع يرتزقون من ورائها.

يعطى لكل داخل، بل هو عطاء تضبطه قواعد وأنظمة يعرفها أهل الاختصاص، فلينتبه لذلك، وليسأل أهل الاختصاص، دون تخبط أو إساءة ظن، مع عدم وجود علم كاف في المقام، والعلم قبل القول والعمل، والله أعلم"(١).

عوامل انتشار الاشتراكية الشيوعية:

لاشك أن لانتشار مثل هذه المذاهب الهدامة عوامل كثيرة، ومن أبرز تلك العوامل الاستعمار الذي غزا بلدان المسلمين، قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**فبينما يعاني الدعاة تلك المعاناة من الاستعمار الغربي وورثته المخلصين، فإذا هم يفاجأون باستعمار من نوع آخر أشد ضراوة وأشد حقداً على الدعوة الإسلامية وأهلها. وهو الاستعمار الشرقي الملحد، وكان ماكراً يظهر للغوغائيين نوعاً من الرحمة في أسلوب معسول يخدع السذج من الناس. فقد خدع الطبقة الفقيرة ووعدهم بثراء يأتيهم بين عشية وضحاها إذا أمنوا به وأخلصوا له؛ ليثيرهم ضد الأغنياء وأصحاب الأموال الطائلة، وكان يضحك على سذاجة الفقراء، فيقول لهم:"إن هؤلاء الإقطاعيين طالما ظلموكم، ونحن نريد أن نمن عليكم وننقذكم مما أنتم فيه من الفقر والحاجة ونرفعكم إلى المستوى اللائق بكم؛ لنحقق بذلك العدالة الاجتماعية حتى تعيشوا مع هؤلاء الأثرياء الإقطاعيين جنبا إلى جنب. من هنا طار الفقراء فرحاً وصفقوا لهم حتى كلت أيديهم من التصفيق. وهتفوا لهم بالبقاء يعيش يعيش حتى بحت حناجرهم فجعل الفقراء ينتظرون الثراء الموعود به من السادة المستعمرين الشيوعيين فلم يجدوا شيئا بل الحالة تزداد سوءا. فإذا المستعمرين يهجمون على أموال الأثرياء فيصادرونها باسم الفقراء، ولكن ولم تنقل إلى خزائن الفقراء كما كان يتوقع الفقراء، بل نقلت إلى خزانة الخاصة؛ لتشترى بها الضمائر الرخيصة والأيدي الأثيمة؛ لتسلط على دعاة الإسلام وعلماء المسلمين بالتعذيب والتشريد، والتقتيل لمحاولة القضاء على الدعوة وأهلها ظنا**

---

(١) توزيع الثروات صـ٢١-٢٣.

منهم بأن الدعوة سوف تموت بموت الدعاة والعلماء- خابوا وخسروا- صحيح أن الدعوة في المنطقة أصيبت بنكسة خطيرة بموت القادة المسئولين ولكنها لم تمت ولن تموت بإذن الله بل سوف تبقى ما بقيت الغبراء تحت الخضراء. بل إنها تواصل سيرها إلى الإمام ولو كره المجرمون المستعمرون والمؤمنون بهم.

إن هذا الاستعمار الشرقي من مكائده أنه دخل المنطقة وهو ينادي ويهتف مع المواطنين يسقط الاستعمار.. يسقط الاستعمار.. الاستعمار عدو الإنسانية إلى آخر الهتافات المضللة فاطمأن الغوغائيون وهتفوا بحياة الرفيق المخلص على درب الحرية الرفيق.. الرفيق.. ولكنه لم يرفق بهم ولم يرحمهم جعل يظهر في كل بلد بوجه وبلقب جديد ويتلون بحسب الظروف.

الشيوعيون، اليساريون، الاشتراكيون، الاشتراكية العربية، الاشتراكية الإسلامية الاشتراكية المحلية..

وهكذا ولا يزال يفسد في الأرض ويسفك الدماء، ويهلك الحرث والنسل، ويكسب الأصدقاء من أناس من بني جلدتنا ويتكلمون بلساننا، وينتسبون إلى ديننا وإسلامنا فيما يبدو للناس، وعلى الرغم من ذلك كله أن هذا الاستعمار هو صديق جمهور الغوغائيين؛ لأنة يمدنا بالأسلحة التي يحارب بها الاستعمار إنها من عجائب الدهر! وهل هناك استعمار أظلم من هذا الاستعمار الذي لم يترك لنا دينا ولا دنيا، {فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}١ فما قيمة الأسلحة التي تدفع ثمنها ديننا وعقيدتنا؟؟. أفلا يعقلون"[(١)].

ومن تلك العوامل ما ذكره الشيخ رحمه الله تحت عنوان: (**تمكين التصوف لجراثيم الشيوعية**) بقوله:"**إن الفكرة الشيوعية عندما جاءت إلى المنطقة**[(٢)] **وجدت بعض القلوب تطوف حول صنم المادة، ووجدت قلوباً أخرى تطوف حول صنم الشهوات**

(١) مشاكل الدعوة في العصر الحديث ضمن المجموع صـ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) أي في أفريقيا.

البهيمية، كما وجدتا قلوبا أخرى تطوف حول وثن التصوف، متعلقة بأستار أضرحة المشايخ لائذة بها راكعة وساجدة أمام عظمة الشيخ أو المشايخ، ناسية ربهم وخالقهم، أجل وجدت الشيوعية تلك القلوب في هذه الأماكن القذرة– على الرغم من دعوى الإيمان فساقتها كلها من حول تلك المعبودات الرخيصة وجمعتها وذوبتها، وقضت عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه القلوب هي التي كان إيمانها إيمانا تقليديا ضحلا، ولم يبلغ درجة اليقين في قلوب جمهور المسلمين الذين انتسبوا إلى الإيمان على أيدي مشايخ الصوفية وأتباعهم وأشباههم في الجهل، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم، ولم يذوقوا حلاوته، ولا يخص هذا الموقف القارة التي نتحدث عنها، ولكنه بلاء عام والله المستعان.

أما القلوب المؤمنة بالله المطمئنة في إيمانها والتي لم يجدوها حول تلك الأصنام والأوثان. بل لم يستطيعوا الوصول إليها؛ لأنها كانت مع الله في عبادة الله، في ذكر الله، في بيت من بيوت الله، وكانت مشغولة بالله عن غير الله في جنة الأنس بالله، وقد أغمضت عينها عما سوى الله، في تدبر كتاب الله، تجول في مخلوقاته وآلائه ونعمائه لتثني على المنعم بها سبحانه. وقد ابتعدت عن جيفة المادة وروث الشهوات وشرك الصوفية بل قد سمت همتها حتى كادت أن تكون مع الملائكة في طهارتها وسموهم. هذه القلوب في واد، والشيوعية في واد آخر. لا يجتمعان بل لو مرت الشيوعية بواديهم لأذابها إيمانهم وأخمدها وهذه القلوب هي التي بقيت في المنطقة اليوم مؤمنة بالله وبكتابه وبرسوله واليوم الآخر والله ولي التوفيق"[١].

(١) سير الدعوة في افريقيا عبر التاريخ ضمن المجموع صـ ٣٢٠-٣٢١.

النظام الديكتاتوري:

إن القوانين الوضعية مهما بلغت في الانتشار فإنها لا تخلو من دكتاتورية، تحمل الشعب على آرائها ونظرياتها، وإن كان البعض يعد النظام الديمقراطي نقيضاً للدكتاتورية، فلذا تأثر بهذه الدعوات بعض الجهلة، والنظام الدكتاتوري كما قال الشيخ رحمه الله:"**هو النظام العسكري في الغالب، فالحاكمية فيه لذلك الضابط المتسلط مع مجموعة من زملائه، وهم يشرعون كما يشاءون حسب ما تملي لهم أهواؤهم، في نوع من قمع واستفزاز مع ما لديهم من الجهل بالنظم العامة القوانين العالمية، ولكنهم يحكمون بقوة السلاح**"[1].

ومن الأخطاء الشائعة بين بعض الناس ما أثاره الغرب في روع بعض الجهلة، من أنهم يعيشون في هذا البلد[2] تحت حكم دكتاتوي؛ من أجل أن يثيروا الفرقة والشقاق بين الراعي والرعية، وقد نبه الشيخ رحمه الله على ذلك فقال:"**ومن الأخطاء الجسيمة التي يجب التنبيه عليها: وقوع كثير من شبابنا في سوء الظن بالحكم القائم عندنا في هذا البلد الإسلامي، حيث ظنوا بأنه حكم دكتاتوري يجب أن يتحول إلى حكم ديمقراطي؛ (كمستغيث من الرمضاء بالنار)؛ بناء على إيحاء بعض قادة الحركات الإسلامية أي: التي تطلق على نفسها الحركات الإسلامية، والإسلام بريء من تصرفاتهم. وهؤلاء الحركيون بفصائلهم المختلفة ينقسمون إلى قسمين:**

قسم جاهل: يجهل حقيقة الديمقراطية وحقيقة الدكتاتورية معاً، وهذه هي الصفة الغالبة على قادة الجماعات؛ لقلة دراستهم في الفقه الإسلامي (من يرد الله به خيرا يفقه في الدين)[3]**. وهذا القسم لعله يعذر بجهله، فيقال له: تعلم أولاً؛ العلم قبل**

---

(١) حقيقة الشورى صـ١٢.

(٢) المقصود المملكة العربية السعودية حرسها الله من كل سوء ومكروه.

(٣) رواه البخاري (٧١) ومسلم (٢٣٨٩).

القول والعمل، ويقال له: تصور قبل الحكم؛ لأن الحكم على الشيء فرع من تصوره. ويقال له أيضاً: لا تهرف بما لا تعرف.

وهناك قسم آخر: قد يكون لديهم علم ومعرفة، ويفرقون بين الحق والباطل، ولكن يحملهم على هذا التضليل قلة النصح للناس، بل سوء الظن أو سوء القصد؛ كما يظهر جليل من تصرفاتهم والله المستعان.

وهؤلاء يقال لهم: ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ **؛لأنهم يعلمون إن هذا المجتمع السعودي إنما يحكمه الإسلام، ولا شيء غير الإسلام؛ لا الديمقراطية، ولا الدكتاتورية، ولا الحزبية.**

هذا ما تمتاز به هذه المملكة العربية السعودية الإسلامية ولله الحمد والمنة. بل من ميزة هذا المجتمع السعودي أنه كله حزب واحد. فأي حزب يا ترى؟ أهو حزب حاكم؟! لا؛ إنما هو حزب محكوم، أجل حزب محكوم تحكمه شريعة الله التي أنزلها في كتابه الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ **.أجل حزب ينفذ شرع الله ولا يشرع من عند نفسه شيئاً"**(١).

(١) حقيقة الشورى صـــ ١٨-١٩.

المطلب الثالث: جهوده في نقد أدعياء تحرير المرأة:

إذا تقرر ما سبق من بطلان القوانين الوضعية في جانب السياسة والاقتصاد، فينبغي التأكيد على أن الخلق لا ينتظم حالهم إلا بالنظام الذي شرعه لهم الخالق تبارك وتعالى، فهو خالقهم وهو العالم بما يصلح دينهم ودنياهم، وفي هذا المطلب يتضح التنظيم الاجتماعي الرباني، وما يضاده من النظم التي تدعو إلى التفكك الأسري وخروج المرأة عن الفطرة السوية التي خلقها الله عليها. قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**من يتولى إدارة الأسرة؟ إن الإسلام لم يهمل إدارة هذه المؤسسة؛ وبيان من يرأسها، أو من أولى الناس بتحمل مسئوليتها. والذي يتضح من دراسة الإسلام أن الاختصاصات أو الصلاحيات موزعة بين الطرفين والواجبات محددة، ولكل جانب خاص وهو مسئول عنه: فللرجل اختصاص لا تشاركه فيه المرأة، ولا تقوى على الاضطلاع بمهمتها وسياستها، وللمرأة اختصاصات لا يصلح لها الرجل ولا يحسن القيام بها..فمحاولة أحد الطرفين التدخل في اختصاص الطرف الآخر يعرض المؤسسة للارتباك والاضطراب ويسلمها للفوضى...إذا كان الرجل هو الذي كلف ليمثل سياسة الأسرة الخارجية والاقتصادية على ما وصفنا، فإن المرأة هي المسئولة عن إدارة الأسرة الداخلية؛ تحفظ بيت زوجها في حضوره وغيابه، وتحفظ ماله، وتحفظ أولاده، وعليها تنظيم المترل إلى غير ذلك من الشؤون المترلية**"(١).

وهذه هي السياسة التي نظمها الحكيم العليم؛ كما دلت على ذلك النصوص الشرعية؛ إلا إن هذا التنظيم لم يسلم من هجم الذين لا خلاق لهم من الذين ركبوا سلك العلمانية، ومن تبنى أفكارهم الغربية؛ دعاة تحطيم المرأة، الذين زعموا أن الإسلام هضم المرأة، وقد كشف الشيخ رَحِمَهُ اللهُ هذه الأصوات المنكرة ورد عليها، فقال رَحِمَهُ اللهُ:"**كثيراً ما نسمع تلكم الأصوات المنكرة التي تنادي بأن الإسلام هضم حقوق المرأة وظلمها، ولم يعطها حريتها، ولم يساو بينها وبين الرجال إلى آخر تلكم العبارات المترجمة عما يكتبه**

(١) نظام الأسرة في الإسلام صـــ ١٥، ١٨.

أعداء الإسلام ضد الإسلام. في الواقع أن أصحاب هذه الدعوى هم أحد رجلين اثنين:

أما أحدهما: فجاهل ساذج سمع الناس قالوا قولة فاتبعهم، بل صار لهم بوقاً يبلغ ما يقولون، وليس لديه علم يستند عليه فيما يقول ويذيع، بل ليس له من الأمر شيء إلا البلاغ، وهو (يهرف بما لا يعرف).

وقد اغتر به كثير من الناس الذين لم يؤتوا من الفقه في الدين شيئاً ولاسيما النساء المثقفات بثقافة غير إسلامية أو الجاهلات المقلدات على غير هدى. وهذا الصنف من الناس يضل ويضلل غيره لأنه جاهل، وفي الوقت نفسه أنه يجهل جهله، يصدق عليه قول القائل:

إذا كنت لا تدري بأنك لا تدري فذاك إذن جهل مضاف إلى جهل

وأما الآخر: فهو إنسان ماكر يمكر ويكيد للإسلام والمسلمين، ويريد أن يفسد عليهم دينهم وأخلاقهم عن طريق فساد الأسرة متأثراً بأعداء الإسلام ومنفذاً لخطتهم في محاربة الإسلام.

إن هذا وذاك هما اللذان يطلقان هذا الصوت المنكر في كل مكان؛ لمحاولة التضليل، وقد تأثرت به الكثيرات من المسلمات الجاهلات ظناً منهن بأن هذا النداء في صالحهن فضمت أصواتهن إلى ذلك الصوت. فبذلك تصبح المرأة المسلمة المتأثرة بذلك النداء ظالمة لدينها وإسلامها متهمة إياه بأنه ظلمها، ذلك الإسلام الذي رفع من شأنها لو كانت تعلم وتفقه –وأين الفقه لدى نسائنا إلا ما شاء الله– والله المستعان.

فعلى المرأة المسلمة المثقفة أن تدرس دينها؛ لتعرف موقف الإسلام من المرأة وما لها من الكرامة في الإسلام ولا تتبع كل ناعق. وفي الوقت نفسه عليها أن تطلع على ما في القوانين الأجنبية مثل القوانين الفرنسية وغيرها؛ لتعلم موقف تلك القوانين من المرأة،

ثم عليها أن تعرف كيف كانت المرأة قبل الإسلام حيث كانت من سقط المتاع فاقدة القيمة والكرامة، وما أكرمها إلا الإسلام"[1].

وقد تمسك دعاة تضليل المرأة بشبهات واهية يظنون أنهم يؤيدون بها ما ذهبوا إليه من هضم الإسلام للمرأة، وذلك جناية جريئة على الله وشرعه، ومن ذلك: كون إرث المرأة بنصف إرث الرجل، قال الشيخ رحمه الله:"**وقد ركز دعاة المساواة على هذه النقطة، فتمكنوا من تضليل الكثيرات من المسلمات الغافلات حيث زينوا لهن بأن الإسلام يفضل الرجل على المرأة، فيعطيه في الميراث أكثر من النساء، فيعطيه مثل حظ الأنثيين، ولماذا؟!! وللإجابة على هذا السؤال أقول: حقاً إن الإسلام يعطي الرجل نصيب امرأتين، وهذا التفصيل في الميراث لا يترتب عليه تفضيل الرجل على المرأة في كل شيء، كما سنرى قريباً –إن شاء الله–. كما لا يلزم منه الحط من مكانة المرأة، بل إنه عطاء عادل ومنصف. بيان ذلك ما سبق أن ذكرنا من أن الإسلام يكلف الرجل وحده بالإنفاق على الأسرة المكونة من الزوجة والأولاد، بل وعلى كل محتاج من أقاربه، ولم يكلف المرأة حتى بنفقة نفسها ولا نفقتها على زوجها، ولو كانت هي أغنى من زوجها، أما قبل الزواج فنفقتها على أهلها. فهل من الإنصاف أن تعطي المرأة المنفَق عليها مثل الذي ينفِق عليها؟!! أعتقد أن المرأة المسلمة المنصفة سوف تبادر بالجواب على هذا السؤال قبل الرجال قائلة: إن ذلك ليس من الإنصاف لو حصل. بل الإنصاف ما فعله الإسلام، وقد أنصف الرجل والمرأة معاً، ولله الحمد والمنة**"[2].

ومن الأمور التي يتعلق بها دعاة تحرير المرأة: سفر المرأة، قال الشيخ رحمه الله:"**النقطة الثانية: من النقاط التي يركز عليها دعاة الحرية والمساواة: مشكلة سفر المرأة،**

(١) نظام الأسرة في الإسلام صـ١٩-٢١.

(٢) نظام الأسرة صـ٢٥-٢٦.

يقولون: إن الإسلام لا يسمح لها بالسفر، كما يسمح للرجل، ولو في سفر أداء فريضة الحج ولماذا؟!!

والعجيب من أمر هؤلاء أنهم كثيراً ما يقلبون الحقائق؛ ليغالطوا الناس، فيجعلون الإهانة كرامة، والكرامة إهانة كما في هذه المسألة. والمرأة المسلمة الجاهلة تسمع لكل ناعق؛ لجهلها أمر دينها؛ واستجابة للعاطفة أحياناً.

وفي الواقع أن الإسلام لم يمنع المرأة من السفر المباح إلا أنه قيد سفرها بقيد واحد، وهذا القيد في الحقيقة إكرام لها وحفظ لشرفها لو كانوا يعلمون. يشترط الإسلام لسفر المرأة وجود زوجها معها في السفر، أو أحد أقاربها الذين تحرم عليهم تحريماً مؤبداً، كأبيها وأخيها مثلاً؛ لأن هؤلاء سوف يضحون بأنفسهم في سبيل المحافظة عليها، وحفظ كرامتها، ولا تصل الذئاب إليها إلا على أشلائهم. كما يقومون بخدمتها في سفرها حيث تعجز عن الخدمة.

وهل اشتراط الإسلام لسفر المرأة هذا الشرط يعتبر إهانة للمرأة أم هو إكرام لها؟ إنها لإحدى الكبر!! فلتعقل المرأة المسلمة الإجابة على هذا الاستفهام.

أما السفر من حيث هو فالإسلام لا يمانع فيه. فالمرأة تسافر للحج، وتسافر للتجارة، وتسافر لزيارة أهلها وأقاربها، وتسافر لطلب العلم، ولغير ذلك من الأسباب، طالما الشرط متوفر، وهو وجود الزوج أو المحرم معها. هذا هو حكم الإسلام في سفر المرأة أيها المسلمون؛ إذ يقول رسول الله ﷺ :(لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا ومعها رجل ذو محرم عليها)[1]. وللحديث ألفاظ كثيرة وروايات متعددة وكلها تدل على أن الإسلام يشترط في سفر المرأة وجود الزوج، أو رجل ذي محرم عليها تحرم عليه تحريماً مؤبداً. وهذا يعد إكراماً للمرأة المسلمة لو كانت تعلم، وبالله التوفيق"[2].

(١) رواه البخاري (١٠٨٨) ومسلم (١٣٣٩).

(٢) نظام الأسرة صـ ٢٧-٢٨.

وقد عقد الشيخ رحمه الله فصلاً بين فيه موقف الإسلام من دعاة التبرج والاختلاط والخلوة فقال:"**إن موقف الإسلام واضح من هذه الجاهليات، وهو موقف فطري معقول، بل ومقبول لدى الأذواق السليمة، والإسلام يشدد الإنكار على هذه الجاهليات، ولاسيما جاهلية الخلوة؛ إذ يقول رسول الهدى -عليه الصلاة والسلام-:(ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان)[1]، (لا يخلون أحد بامرأة إلا مع ذي محرم)[2]. هكذا يقول رسول الإسلام أيها المسلمون.**

وفي النهي عن جاهلية التبرج، يقول تعالى:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾، ويقول مخاطباً لنبيه وخليله محمد -عليه الصلاة والسلام-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾. هكذا يأمر الإسلام المرأة المسلمة ابتداءً من أمهات المؤمنين الطاهرات إلى يوم الناس هذا، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. يأمرها بالحشمة والحياء وعدم الاختلاط؛ لأن الحياء شعبة من الإيمان، وينهى عن هذه الجاهليات، ويشدد الإنكار عليها؛ لأنها ذرائع للفساد الخلقي الذي إذا أصيبت به المجتمعات ضاعت وذهبت، ولقد صدق الشاعر حيث يقول:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا[3]"[4].

وقد ضرب الشيخ رحمه الله مثلاً جميلاً؛ يحذر فيه من دعاة تحرير المرأة، ومؤكداً على التمسك بتعاليم الإسلام، فقال رحمه الله:"**وهذه المرأة مثلها كمثل طعام شهي بذل صانعه في إعداده كل ما في وسعه، ثم أخذه فجعله في قارعة الطريق وبجوار المستنقعات، فرفع عنه الغطاء فهاجت إليه الحشرات من كل مكان تستنشق ريحه، فأخذ الذباب يحوم**

(١) رواه الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني صحيح الجامع (٢٥٤٦).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٣) ومسلم (١٣٤١).

(٣) هذا البيت لأحمد شوقي من قصيدة يمدح فيها الخديوي عباس، انظر: ديوانه.

(٤) نظام الأسرة صـ ٢٩-٣٠.

حوله فيسقط فيه أحياناً، والناس ينظرون إليه مستقذرين وعابسين وجوههم. وفي النهاية يصبح عشاءً للكلاب إذا تغلبت على الحشرات، ولابد أن تتغلب. هذا مثل المتبرجات المتجولات. فلتَبرأ المرأة المسلمة بنفسها وشرفها عن هذه المترلة المنحطة، ولتسدل جلباب الحياء على وجهها كما أمرها ربها، خير لها عند الله وأمام المجتمع.

ويريد الإسلام من وراء هذا كله المحافظة على الأسرة المسلمة؛ لأن سلامتها تعني سلامة المجتمع، كما أن فسادها فساد للمجتمع كله كما تقدم. وقد حرص الإسلام على هذا المعنى كل الحرص، وأنه لا يغفل هذه المحافظة حتى في حال أداء بعض العبادات التي تؤدى في حال اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد كالجمعة والعيدين مثلاً، فقد نظم الإسلام كيف يتم هذا الاجتماع؛ لأداء تلك العبادات. يقول رسول الهدى -عليه الصلاة والسلام- وهو ينظم الصفوف:(خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها)[1]، ولعلمه ﷺ ما تثيره المرأة المتعطرة في صدور الرجال، أمرها بقوله: (إذا خرجت المرأة إلى المسجد فلتغتسل من الطيب، كما تغتسل من الجنابة)[2]. وبعد: إن هذا الحديث والذي قبله يعتبران بحق من أبرز أمثلة سد الذرائع كما ترى"[3].

وبهذا يتم الكلام على هذا المبحث وبالله التوفيق.

---

(١) رواه مسلم (٤٤٠).

(٢) رواه النسائي (٥١٢٧) وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع (٥٠٣).

(٣) نظام الأسرة صـ ٣٢-٣٤.

المبحث الثاني
جهود الشيخ في الرد على الحركات المعاصرة

تمهيد

لقد أدرك الناس في الوقت الحاضر –إثر تجديد الإمام محمد بن عبد الوهاب– حلاوة العقيدة السلفية وعظم شأنها، فساروا على نهج سلفهم الصالح علماً وعملاً، وانتشرت هذه الدعوة في شتى بقاع الدنيا، ومع مرور الزمن بدأ الناس يتراجعون شيئاً فشيئاً عما كان عليه سلفهم؛ لأسباب كثيرة منها: ظهور جماعات في الساحة تحمل أفكار وعقائد وبعضها مخالف للعقيدة الصحيحة، همها ضم الناس تحت لوائها، فتجدها عازمة على الدعوة إلى الانتماء إليها، وتحث الناس للانتساب إليها، اختلفت أهدافهم وغاياتهم، وتنوعت مشاربهم؛ والملاحظ أن تلك المشارب لفيفاً من الفرق الأصيلة التي سبق الحديث عنها، نشأتهم في غير هذه البلاد، وحرصوا على الانغماس ونشر أفكارهم في هذا البلد التي ما زالت تعيش أثر ذلكم التجديد، وقد أدرك العلماء الربانيون خطورة تلك الجماعات وخصوصاً العلماء الذين لهم تجربة وخبرة لحال تلك الجماعات، ومن أولئك العلماء الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ فقد كان له سبر خاص لحال المخالفين عموماً، والأشاعرة والصوفية والخوارج خصوصاً، ومن تشربت إليه أفكار هذه الفرق من الحركات المعاصرة: وأخص بالذكر التبليغ والإخوان المسلمين بفصائلها، والمقصود أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من أوائل العلماء الذين تفطنوا لأخطاء تلك الجماعات، ولذلك كان يكثر التحذير من الانخراط مع تلك الجماعات، بل يحث على دعوتهم وتوجيههم؛ من أجل إصلاحهم وتصحيح مسارهم؛ ليسيروا معنا وفق الخير الذي نسير عليه، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مرة لطلابه:"**أنتم عرفتم الخير فقط ولم تعرفوا الشر، وجاءكم أصحاب الشر الذين عرفوا الشر ولم يعرفوا الخير، أو لم يتمكنوا من معرفة الخير، أثروا في شبابنا كثيراً، بل قَبل: الشباب في كثير من عقلائنا جعلوهم دعاة مسلطين عليكم، هم الذين يعملون فيكم، وأولئك يحركونهم من خلفهم.**

عاشت هذه الفكرة تعمل في خفاء فترة طويلة ولهم اتصال بالذين يدفعونهم من الخارج، أولئك ينتظرون بفارغ الصبر متى تقع الفوضى في هذا البلد، الفوضى التي يعيشونها هناك بالمظاهرات والإضراب و الإثارات والكلام الكثير، فإذا في هذه الأيام يسمعون ما كانوا يتوقعون، ويفرحون فرحاً شديداً، وتثلج صدورهم، في الوقت الذي يحزن أهل الخير وأهل الإصلاح حزناً شديداً، هذا هو الواقع، هل تدركون ذلك؟ يجب أن تدركوه، أنتم على خطر؛ فينبغي أن تنتبهوا لهذه الخطورة، ولو كررت هذا الكلام في عدة مناسبات، لا أزال أكرر وأدعوكم لتتصلوا بالشيوخ الكبار من مشايخنا، وتعرضوا عليهم كلامي مسجلاً، وتسألوا هل هذا هو الواقع؟ أو الكلام فيه نوع من المبالغة، اسألوا أهل الذكر وأهل الفقه، افهموا لتكونوا على يقين وتتحفظوا من هذه الحركات، العقل يقضي بما أقول.

أعود مرة أخرى إذاً فاعمل وإلا فاحذر، هذا الواجب وهذا الحزم، نحن على يقين في ديننا وعقيدتنا، تعمل معنا؟ فمرحبا بك، يدك في أيدينا، تريد أن تخرج على ديننا وعقيدتنا، وتشوش علينا فاحذر فاخرج، هذا الواجب وهذا الحزم، كان الأمر كذلك عاش الذين قبلكم على هذا الحزم، ولن يستطيع هؤلاء فيما مضى أن يتحركوا الذين ملئوا بالحركة الدنيا الآن.

وبالاختصار: فلتحذروا من جميع الحركات و من جميع الجماعات، أنتم الجماعة وأنتم المسلمون وأنتم أهل التبليغ ولا شيء غيركم في هذا المعنى، وبالله التوفيق"[1].

وتحذير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الشديد من الجماعات المعاصرة بسبب ما لمسه من شدة تأثر الشباب؛ فقد وصل الحد بهم إلى التشكيك بالمسائل الأصيلة الثابتة، بل وصل إلى رمي منهج أسلافهم بالتشدد، وأكتفي بذكر نموذج واحد لذلك التأثر، وتفطن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لبداية الانحراف، ودعوته أهل الخير والصلاح بإيقاف هذه الفتنة: سئل رَحِمَهُ اللَّهُ ما رأيكم فيمن يقول في السلفيين أنتم متشددون وليس عندكم حكمة في دعوة الناس؛ إذ لابد من

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٦).

مخالطة الناس وإن لزم الأمر بإقرار باطل وذلك لإزالته -إقرار باطل ثم إزالته؟!!..قال الشيخ رحمه الله:"**قبل أن أجيب على سؤالك أيها السائل أو من نقلت عنه هذه الفكرة، وهل استعمالك هذا الأسلوب من الحكمة؟ أنت في نفسك، كَوْنُ الناس يلقبون بعضهم بعضاً، أنتم السلفيون كذا، ما هو مقابل السلفيين؟! خلفي، أنتم الخلفيون كذا، أنتم السلفيون كذا، أنتم السروريون كذا، أنتم الإخوانيون كذا، أنتم التبليغيون كذا، أسألكم بالله أيها العقلاء أليس هذا الموقف موقف يتنافى مع العقل؟ مجتمع إسلامي يدرس منهجاً موحداً شريعة واحدة، عقيدة واحدة، مجتمع واحد، من أين جئتكم بهذه الألقاب؟ من أين أتتكم هذه الألقاب؟ غير موجودة قبل عدة سنوات عندما كنا طلاباً، لا نسمع شيئاً من هذه الألقاب.**

السلفي لا يضطر إلى أن يقول إنه سلفي إلا إذا وُجِدَ غيره، لا يوجد المقابل، ولكن؛ عند دراسة علم الكلام صحيح يقال: سلفي وخلفي كما تقدم لكن؛ في هذا المجتمع بالذات نترك المجتمعات الأخرى، أليس من العيب ومن العار أن نحدث فيما بيننا هذه الألقاب؟؟، ينبذ بعضنا البعض الآخر بالألقاب ويعيب بعضنا البعض بالألقاب، عيب قبل أن أقول حرام، وعلى العقلاء أن يتراجعوا ويوقفوا هذه الفتنة عند حدها، ولعل أكثركم -أنتم الشباب- لا تحسبون أنها فتنة بل هي فتنة، هذه الشرارة الأولى للفتنة، تلك الفتن التي تدمر البلاد والعباد، التي تسمعون ليل نهار في الإذاعات وتقرؤون في الصحف ما يجري في الجزائر، وما يجري هنا وهناك في تلك الأقطار، والتي لا داعي للتنفيس عن أسمائها، هكذا بدأت في التحزبات بإيجاد الطائفية، بوجود الجماعات والانتماءات ثم تطورت إلى حركات سياسية متنافسة متناحرة فذهبت الأرواح والأموال مَدَمَّرَة بسبب تلك الحركات التي تزعم أنها تدعو إلى الإسلام وليس لديها إسلام.

أقول مرة أخرى أخاطب العلماء والعقلاء، لا يجوز السكوت على هذه البداية السيئة، قبل عشرين سنة في هذا البلد لا تسمع شيئاً مِن هذا أبدا لكن؛ بدأت همساتها ونحن طلاب في المرحلة الجامعية فبدأت خيطاً.. خيطاً إلى أن انفجرت الفتنة، وصلت

إلى هذا المستوى، شباب مجتمعون في جامعة أو في مؤسسة وهم متفرقون متنـــافرون فيما بينهم؛ لأن هذه الانتماءات وزعتهم فصاروا جماعات.

وأما بالنسبة للسؤال إذا كان معنى التشديد الوقوف أمام هذا التيـــار فَـــنِعْمَ التشديد، فهذا التشديد هو الحكمة، إذا كان المراد بالتشديد الوقوف أمام هذا التيار وهذا التهييج وتنبيه الناس إلى ذلك، هذا مطلوب تشديد مطلـــوب؛ لأنـــه وُضِـــعَ موضعه.

وأما ما قلتَ في آخر السؤال تترك الباطل لتزيله فيما بعد، هذا خطأ في التصور إذا خالطت صاحب الباطل وأقررته عليه، ثم رجعت لتنكر هو ينتقصك قبل غيره.

إذن من الواجب عملاً بظاهر قوله عليه الصلاة والســـلام:(من رأى مـــنكم منكراً فليغيره..)[1] بمجرد أن ترى المنكر وتتأكد أنه منكر، تستعمل الدرجة التي أنت فيها، إن كنت صاحب سلطة تزيل المنكر بيدك، وإن لم تكن لك سلطة حيث وجدت المنكر تنكره بلسانك، وإذا كنت تخاف على نفسك حتى من الإنكار باللسان تنكره بقلبك، تبدأ بإنكار المنكر بمجرد أن تعلم بأنه منكر، أما ما ذكر السائل فأسلوب غير سليم"[2].

وقبل الحديث عن موقف الشيخ رحمه الله من الحركات المعاصرة المخالفة[3]، يحســـن التنبيه على أن مواقف الشيخ رحمه الله مبنية على تمام المعرفة بحال ما عليه تلك الحركـــات، وخطر تلك الانتماءات، لاسيما وأنه رحمه الله خالط بعضهم، فعاش في غير هذه البلاد قبـــل أن تغزوها بعض الأفكار المخالفة، بل وبعد استقراره في هذا البد، فإنه كان كثير السفر

---

(١) رواه مسلم (١٧٧).

(٢) جواب على سؤال بعد محاضرة بعنوان: (منهج أهل لسنة والجماعة في الدعوة إلى الله).

(٣) وبالمناسبة فالشيخ رحمه الله كان يستبشع تسمية الإسلام حركة فيقول:"**ولا ينبغي أن نحدث للإسلام اسماً غير اسمه مثل أن نسميه حركة، بل الحركات غالباً تصرفات مناوئة للإسلام، كحركة الخوارج والشيعة والروافض...**". من وريقات مشتملة على بعض الفوائد وجدتها بخط الشيخ.

في الدعوة إلى الله كما سبق الإشارة إلى ذلك في الترجمة، والمقصود أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عرف الشر وأدرك بفضل الله عليه حلاوة الخير في هذا البلد، فسخره الله لتبصير كثير ممن انطلت عليهم أفكار تلك الجماعات، مع الحكمة والحرص الشديد على تسديد تلك الجماعات وإرجاعها إلى الخط السلفي، إلا من أبى إلا الاستمرار على نشر الأفكار المضرة بالشباب السلفي المتماسك؛ فإنه كان يرى وجوب المحافظة على رأس المال، ووجوب التحذير من المخالفين وفق المصلحة الشرعية.

وقد انتظم هذا المبحث الموضح لجهود الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في المطالب التالية:

المطلب الأول: موقفه من إنشاء الجماعات والانتماء إليها:

إن من المقاصد الشرعية والقواعد المرعية الدعوة إلى جماعة واحدة للمسلمين، ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، فإن ثبتت الجماعة فانشقاق حزب أو أكثر عن هذه الجماعة لا محل له من القبول في شريعتنا الغراء، من أي شخص كان، ومهما كانت المقاصد والنوايا، وقد كثرت الجماعات في الوقت الحاضر، وكلها تزعم الدعوة إلى الإسلام والذب عن حياضه، وقد كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يحث على تعاون هذه الجماعات فيما بينها إذا كان الهدف واحداً، وهو الدعوة إلى الإسلام والذب عن حياضه.

ومما لاحظه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عدم الانسجام بين تلك الجماعات، وقد عد ذلك من المشاكل التي تعيق سير الدعوة، وأن هؤلاء الدعاة في هذه الجماعات يحتاجون إلى دعوة، فقال رَحِمَهُ اللهُ:"**ومما تشكوه الدعوة الإسلامية هذا اليوم النفرة وعدم الانسجام وقلة التعاون بين الجماعات التي تتصدى كل واحدة منها للدعوة إلى الله. وفي الواقع أن أكثر تلكم الجماعات بحاجة ماسة إلى من يدعوهم إلى الله ويبصرهم في دينه؛ حتى يكونوا مؤهلين أولا في أنفسهم للدعوة بالقضاء على التنافر فيما بينهم، وتنافر مناهجهم وبرامجهم في العمل.**

وهذه الجماعات أشبهها بالأحزاب السياسية المتنافسة لمصالحها الشخصية وأغراضها الذاتية[1]، وهي ذاتها محنة من المحن، ومشكلة من المشاكل للدعوة والدعاة معاً، إذا هي بقيت على وضعها ولم تعد النظر في سلوكها ومنهج عملها وبرامجها وأساليب دعوتها وسياستها، فخطرها على الدعوة يفوق كل خطر يهدد الدعوة من خارجها. فعلى هذه الجماعات أن تدرس تاريخ الدعاة الأولين من الصحابة والتابعين الذين نطق بهم القرآن وبه نطقوا، والذين انتشر الإسلام بدعوتهم، بل عليهم أن يفهموا الدين كما فهم أولئك السادة، ويسيروا سيرتهم وينسجوا على منوالهم مع ملاحظة الأساليب المناسبة في العصر الحديث والملابسات والظروف وأحوال الناس. وإن لم يسلكوا هذا المسلك فسوف لا يُكتب للدعوة أي نجاح أو أي تقدم؛ لأنه عمل لم يستوف الشروط وهو عمل غير صالح، وسوف لا يجدي ما أوتي أصحابها من الدهاء وسحر البيان والجدل والاستغفال.

أجل قد ينطلي هذا الأسلوب على بعض الناس فترة من الزمن ويحسبهم صادقين في دعوتهم؛ لكثرة لمعان الأسلوب، ولكنه لا ينطلي على الله الذي بيده النجاح والتوفيق فعليهم أن يراقبوا الله وحده؛ لأنه هو الذي له الأمر كله وبيده الخير كله لا إله إلا هو ولا رب سواه، وهو المستعان"[2].

---

(١) وتشبيه الشيخ رحمه الله لهذه الجماعات بالأحزاب السياسية قبل أن تنجلي الحقائق وتظهر كل جماعة أهدافها من الوصول إلى السلطة، فلما صدقت الفراسة في كثير من تلك الجماعات، بيَّن الشيخ خطر الانتماء إلى تلك الجماعات، متابعاً في ذلك فتوى هيئة كبار العلماء، وغيرهم ممن أدركوا الغاية من تلك الدعاوى، قال العلامة ابن باز رحمه الله:"ومما لاشك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون في مكافحة ذلك العمل في صف واحد؛ من أجل مصلحة المسلمين، ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم". مجموع فتاوى ابن باز ٤/١٣٧.

(٢) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـ ٢٢١-٢٢٢.

وأما مسألة الانتماء فلا شك أن الانتماء المشروع هو لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وما سوى ذلك فهو من أعظم أسباب الفرقة والاختلاف الذي حصل لمن كان قبلنا، وقد سئل الشيخ محمد أمان رحمه الله: ما حكم الانتماء إلى الطوائف الموجودة الآن؟

فقال:"**نجيب بما يفتح الله. الانتماءات إلى الطوائف غير جائزة، الانتماء غير جائز إلى هذه الطوائف الموجودة التي أشار إليها السائل، الانتماءات من أسباب التفرق وضعف المسلمين وتباغضهم وتشتتهم وتفرقهم، هذا هو الواقع، الواجب البقاء على الخط بعد أن تعرف الخط، الخط محفوظ: الخط المستقيم منذ أن خطط النبي ﷺ موجود ومعروف وواضح الخط: هو الذي قال فيه النبي ﷺ: (تركتكم على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك)**[1]...

جميع الانتماءات بدعة وضلالة وتفريق بين المسلمين، وإذا كان لا بد من وجود جماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين، فليذهبوا فلينشئوا هذا الانتماء وهذه الجماعات في أوربا وفي البلدان الكافرة هناك ينفعون، ولا معنى لوجود (الإخوان المسلمين) بين المسلمين، هنا نحن من قبل مسلمون، من أين تحطون؟

هذا الذي يقال عن الملك عبد العزيز رحمه الله عندما حجّ "حسن البنا" فقال له: (يا طويل العمر أنا أريد أن أنشئ لي جماعة هنا عندكم)، قال له : (يا طويل العمر أنا شعبي كلهم مسلمون، أين تحط جماعتك؟ ما لهم مكان، خليهم هناك في مصر). فرفض، جواب رزين عاقل متزن، هكذا لا محل لما يسمى (جماعة المسلمين) أو (الجماعة الإسلامية) أو (الإخوان المسلمين) أو (جماعة التبليغ) لا محل لهم في البلدان الإسلامية، ولكن أن يكون لهم عمل وتأثير في البلدان غير الإسلامية، هذا الذي يقال من الإنصاف...نسأل الله تعالى أن يجمعنا على خير، وأن يجعلنا من المتحابين في الله والعاملين في سبيل الله، وان يقينا وإياكم هذه الفتن وآثارها، وﷺ وبارك على نبينا

(١) سبق عزوه صـــ٥٦٥.

محمد وعلى آله وصحبه"[1].

والمقصود من ذلك أن وجود جماعات حزبية في الساحة المحكومة بشريعة الإسلام، يؤدي إلى مفاسد كثيرة، أهمها: حصول التفرق والاختلاف المنهي عنه في النصوص، والابتداع المتفشي في أوساط تلك الجماعات، والبعد عن لزوم جماعة المسلمين، وجعل الولاء والبراء ضيقاً لحزبهم، وغيرها من المفاسد المنهي عنها[2]. ولذلك أكد الشيخ رحمه الله على بدعية هذه التحزبات لتلك الجماعات التي غايتها سياسية تنافس الحكام، قال رحمه الله:"**وأما الجماعات والتحزب هذا أمر مبتدع، تبين أن هذه الجماعات كلها جماعات سياسية، وفي شريعة الإسلام إذا بويع لإمام من أئمة المسلمين لا يجوز إيجاد حزب سياسي آخر؛ لأن هذا الحزب السياسي سوف يرشح مرشحه، وهذا المرشح ينافس الإمام القائد، والحكم في هذا ما يقوله النبي عليه الصلاة والسلام: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخِر منهما)**[3]**، الذي وصل إلى الحكم بأي طريقة ولو كان بالقوة كما وصل معاوية بالقوة إلى السلطة**[4]**، من وصل إلى السلطة بين المسلمين وجمع الله على يده كلمة المسلمين، وراعى مصالح المسلمين، ونفذ شرع الله ودعا إلى دين الله، وأثبت الأمن والأمان بين المجتمع، تجب مبايعته وطاعته، فإذا وجد من ينافسه وجب قتله، هذا الحكم الشرعي، لذلك إيجاد جماعات سياسية هذا أمر محرم، جماعة واحدة سياسية لا يجوز إيجادها ووجودها حيث يوجد الحكم الإسلامي.**

نعم: إذا وجدت جماعة إسلامية في بلد ما، لا يحكم بشرع الله؛ ليدع الناس إلى دين الله، لا لمنافسة الحكام هناك، لا لسبهم ولعنهم، ولكن وجدت جماعة لديها علم

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٤).

(٢) انظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية لبكر بو زيد صـــ ١٠٤- وما بعدها.

(٣) سبق عزوه صــ٥٩٠.

(٤) وصل معاوية رضي الله عنه بتنازل الحسن له، وجمع الله كلمة المسلمين على يديه، حتى سمي عام الجماعة، كما قرر الشيخ ذلك في غير موطن.

ومعرفة وسلامة عقيدة؛ ليدعوا أولئك الحكام إلى دين الله، إلى إقامة شرع الله، ويعرضوا أنفسهم على العقلاء وأصحاب الرأي كما كان النبي ﷺ يعرض نفسه على العرب وعلى القبائل، ويغشى أسواقهم ويقول لهم:(من يحميني حتى أبلغ دين الله)[1] وكما عرض المجدد الثالث الذي نعيش أثر تجديده عرض نفسه على الأمراء بدءاً من الحريملة، إلى أن انتهى إلى الدرعية، فقيض الله من يؤازره ويحميه، إلى أن وحد الجزيرة فخرجت الدعوة الآن إلى العالم في ناحية معينة، ناحية توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات ولم يبق إلا الناحية الحاكمية، والناحية الحاكمية بحاجة إلى سلطة؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن...

أما وجود جماعات وأحزاب في مثل هذا البلد مع وجود الحكم الإسلامي هذا أمر غير جائز، على شبابنا أن يتراجعوا ويدركوا ويعرفوا موقفهم وموقعهم ليسوا كغيرهم، المفروض أن تكون الجماعة هنا جماعة واحدة تتعاون فيما بينها على الإبقاء على هذا المنهج السلفي الغالي الذي من الله به عليه"[2].

ومن الأخطاء المنتشرة عند بعض المنتسبين للعلم هو تغير مفهوم الدعوة إلى الله، فصاروا ينظرون إلى هذا الطريق، بعدم نجاحه إلا تحت لواء جماعة من تلك الجماعات، بل صار الواحد منهم ينطلق بدعوته من منظار ما ينتمي إليه من فرقة أو جماعة، فانشغل بعض الشباب بهذه الجماعات عن تعلم العقيدة وتعليمها، وخصوصاً أن بعض تلك الجماعات تزهد من دراسة العقيدة، وللشيخ رحمه الله توجيهات مفيدة، يكشف فيها عن سوءة تلك الجماعات، ومن ذلك قوله: **"صار الولاء والحب والبغض كله في إطار الجماعات المتفرقة! فذهبت الوحدة الإسلامية، الحب في الله والبغض في الله، والاشتغال بتحقيق العقيدة، وربما في هذه الجماعات مَنْ يعيب عليه الاشتغال بالعقيدة**

---

(١) يشير الشيخ إلى حديث أبي داود في سننه (٤٧٣٤) والترمذي في الجامع (٢٩٢٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني الصحيحة (١٩٤٧).

(٢) راجع: الإجابة على الأسئلة بعد شرح التدمرية الشريط (١٥) و (أ).

ما هي العقيدة؟ العقيدة .. العقيدة!! يا سبحان الله، إذا كان الاشتغال بالعقيدة عَيْباً ونَقْصاً ويتنافى مع أداء واجبات الجماعة، فبئست تلك الجماعة التي تحول بين الشباب وبين الاشتغال بالعقيدة وتحقيق العقيدة.

عاش شبابنا في هذا البلد لا يعرفون إلا سبيل المسلمين، لا يعلمون إلا سبيل الخير فجاءهم أقوام بفرق وأحزاب وبانتماءات وزينوا لهم تزيينا فوقعوا فيما وقعوا فيه، وصدق على شبابنا ما قال عمر بن الخطاب ﷺ:(تنقض عرى الإسلام عروة، عروة إذا نشا في الإسلام من لم يعرف الجاهلية)[١]، عدم معرفة الجاهلية قد يوقع الإنسان في شر من حيث لا يعلم[٢]...إلى أن قال:

"أيها الشباب انتبهوا لأنفسكم، التزموا منهجكم وقد رُزِقْتُم فِي دراستكم، في جامعاتكم ومعاهدكم ومدارسكم بدءاً من تحفيظ القرآن والتعليم الابتدائي إلى التعليم الجامعي، منهجاً لا وجود على وجه الأرض مثله، خُذْ هذا مِن مُجَرِّب، هذا المنهج الذي تدرسون فيه فروع اللغة العربية، القرآن وعلومه الحديث وعلومه والفقه وأصوله، والعقيدة على منهج السلف لا وجود له إلا عندكم احمدوا ربكم على هذه النعمة.

وإنْ جاء متحذلق فقال:(انتم متأخرون تعالوا نتبايع لنعمل العمل الإسلامي العام، لنرفع راية الإسلام فوق كل أرض، تحت كل سماء نريد الخلافة العامة، وبلاش

---

(١) هذا الأثر ذكره بهذا اللفظ شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في مواطن عديدة من كتبهما، ولم أعثر عليه مسنداً بهذا اللفظ، وروى بمعناه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٣٢/١٧ وابن سعد في الطبقات ١٢٩/٦ والحاكم في المستدرك ٤٧٥/٤ والبيهقي في الشعب ٦٩/٦ (٧١١٩) وأبو نعيم في الحلية ٢٤٣/٧ كلهم من طريق: شبيب بن غرقدة عن المستظل بن حصين البارقي قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: قد علمتُ وربِّ الكعبة متى تهلك العرب. فقام إليه رجلٌ من المسلمين فقال: متى يهلكون يا أمير المؤمنين؟ قال: حين يسوس أمرَهم من لم يعالج أمر الجاهلية ولم يصحب الرسول ﷺ).

(٢) انظر: الفوائد صـ ١٥٨.

من الدويلات هذه)، إياكم ثم إياكم السماع إلى مثل هذه الجعجعة المضللة؛ قوم حسدوكم على ما أنتم عليه من الخير من التحابب في الله من التعاون على البر والتقوى، من دراسة المنهج السلفي السليم الذي ليس فيه شيء مِنَ الشركيات والبدع، مع دراسة حاضر العالم الإسلامي، تدرسون حاضر العالم الإسلامي وتعلمون ما يجري حولكم، فيكم من الخير ما لا يوجد عند غيركم، ولو أنكم سافرتم وزرتم تلك البلاد كالجامعات وما يدرسون من المناهج وأخلاق الطلاب هناك والتعليم المختلط لحمدتم ربكم ولَردَدتمْ هذه الشبهات وهذا التزيين ولم تصغوا إليه"[1].

وبذلك يتضح توجيه الشيخ الأبوي، المتضمن النصيحة الصادقة المنبثقة من أعماق الفؤاد، المحفوفة بالعبارات الدالة على الخبرة التامة بحال تلك الانتماءات الضارة المضرة.

ولما انهالت تحذيرات العلماء من الانتساب لتلك الجماعات، بادروا إلى نشر مقولتهم المشهورة، ((إن الجماعات الإسلامية والحركات الإسلامية هي مجاري كثيرة، كلها تصب في نهر الدعوة إلى الله))، وقد علق الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على هذه المقولة بقوله:"**وجود جماعات سواء سميناها جماعات دينية أو جماعات إسلامية أو حركات إسلامية، عندما نتحدث عن هذه الجماعات نتحدث عن الأمور الواقعة الملموسة لمس اليد، ونرى تصرفاتهم والقول بأنهم وإن كثروا ولكن يصبون في مصب واحد، وهو الدعوة إلى الله كلام غير صحيح أقطع بهذا؛ بأنه غير صحيح**"[2]، ومخالف للواقع المشوب بالتنافر وعدم الانسجام.

وخلاصة القول لمن ما زال متشبثاً بالجماعات المخالفة: إن ما كان لله يبقى ويدوم، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وقد سبقت إشارة الشيخ إلى ذلك في توضيحه نوعي التجديد[3]؛ وأن تجديد وتوضيح ما اندرس من معالم الدين هو الذي يستمر ويبقى، ومنه تجديد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

---

(١) محاضرة بعنوان: (العقيدة أولاً) راجع: أواخر شريط (فقد العلماء).

(٢) إجابة على سؤال في محاضرة بعنوان: (المستقبل لهذا الدين) الشريط (٢).

(٣) صـ ٦٥٣.

رَحِمَهُ اللَّهُ، وأما التجديد المنبثق عن أفكار يضعها المصلح فلابد من انتهائها، ومنه تجديد الحركات المعاصرة، وقد ضرب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لها مثلاً فقال:"**إن هذه الحركات المشوشة، أشبه ما تكون بالثور المذبوح، الذي ربما يرفع رأسه أحياناً، فيخيف الناس، وهو في الحقيقة إنما يضطرب ويتحرك ليموت لا ليحيا، فلذلك هذه الحركات وهذه الجماعات إنما هي كحركة الثور المذبوح، فستموت كما مات الثور بإذن الله؛ إذ لا يبقى إلا الحق، وهذه هي سنة الله في أرضه، ومما ينبغي أن يعلم أن الباطل قد تطول مدته حتى تكاد الناس تيأس، ولكنه مما ينبغي أن يعلم أيضاً أن العاقبة للمتقين، والباطل يزول وينتهي ويضمحل**"(١).

والمقصود أن الانتماء إلى منهج السلف وسلوكه علماً وعملاً ودعوةً وصبراً على ما يلاقيه العبد فيه من أذى، هو الذي يبقى ويستمر (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)، وأما الانتماء لغير ذلك فلا يتحقق له الاستمرار، وإن طال اغترار البعض به، فاغترار البعض بالاشتراكية لم يدم، وهكذا كل ما خالف منهج السلف؛ فإن العاقبة للمتقين.

---

(١) من شريط بعنوان: (الإجابة العلمية على رسالة من تاب من الحزبية).

المطلب الثاني: موقفه من جماعة الإخوان المسلمين:

إن جماعة الإخوان المسلمين من كبرى الجماعات الإسلامية في الساحة، غير أن الخلل في صفوفها واضح؛ ولذا نادى كثير من المصلحين إلى ضرورة الإصلاح، والتحذير من أفكارها المنحرفة عن الجادة، وليس المقصود خلوها من الخير والصلاح؛ فالشر المحض إنما هو في النار، والمقام مقام نقد لتلك الأفكار المخالفة، وإصلاح لتلك المفاسد، فقد يتطلب نوعاً من القسوة؛ لتدارك الخطأ وإعادة البناء على أسس سليمة تنعش بها البلاد ويعيش فيها العباد. وعلى ذلك فمعرفة حقيقة دعوة الجماعة والأساس الذي بنيت عليه من أهم ما يعين على تقويم الجماعة بميزان الشريعة.

وقد سئل الشيخ رحمه الله:"**ما هي أصول دعوة الإخوان المسلمين؟**

فقال:"**لستُ منهم حتى أعرف أصول دعوهم!! لكنّي أعرف أنّها جماعةٌ سياسيّةٌ، حزبٌ سياسي أنشأهُ حسن البنا منافِساً للأحزاب السياسية المعاصرة له، فغلبهُم؛ لأنه حشد في جماعته: السلفيين والخلفيين والصوفية وجميع الطوائف؛ ليغلِب الآخرين، لأنه منافس لأحزاب حزبية قائمة في ذلك الوقت، حزبٌ سياسيٌ طموحٌ غُلِّف باسم الإسلام!!**

وما ذكره الشيخ رحمه الله ليس ادعاءً على حسن البنا رحمه الله، وإنما ذلك من خلال دراسة واقعهم وتصريحاهم وكتبهم. وبالمناسبة فقد قيل: (لو لم يكن للشيخ حسن البنا رحمه الله من الفضل على الشباب المسلم سوى أنه أخرجهم من دور الملاهي، والسينما ونحو ذلك، كالمقاهي، وكتلهم وجمعهم على دعوة واحدة ألا وهي دعوة الإسلام، لو لم يكن من الفضل إلا هذا لكفاه فضلاً وشرفًا)، هذا ما صرح به طالب علم كبير لـــ مجلة المجتمع!! وقد علق الشيخ رحمه الله على هذا الكلام قائلاً:"**وهذا الشخص عشت معه فترة من الزمن متجاورين، ومتزاملين في العمل، الذي أعرفه منه: خلاف ما ذكر الآن! نتركه هو! فكلنا نعلم دعوة حسن البنا: صحيح أنه أخرج الشباب التائهين من المقاهي، ومن دور السينما هذا شيء لا يُنكر، يذكره كل من يعرف، لكن بعد أن أخرجهم من تلك الأمكنة، من تلك الأماكن ماذا فعل معهم؟ هل دعاهم بأسلوب**

وبدعوة الأنبياء؟! أم نقلهم فجمعهم، فتفرقوا على الطرق الصوفية: كأنه نقلهم من جاهلية إلى جاهلية! لم ينقلهم إلى المفهوم الصحيح للإسلام، وكان الشيخ نفسه له طريقة، طريقة صوفية! هؤلاء الذين نقلهم من دور السينما، إما اعتنقوا طريقته، أو طرق أخرى! وهل دعوة الشيخ حسن البنا قضت على عبادة غير الله علنًا في بلده؟! وهل أخرج الناس من الطواف بالأضرحة في ضريح الحسين، وزينب، والبدوي؟!! وهل أخرج الناس من الحكم الديمقراطي إلى حكم الله؟! هذا هو الشرع، لو كانت الدعوة جاءت هكذا، تكون الدعوة الإسلامية الصحيحة. أما التجمع السياسي، والحركات المنافسة للجماعات الأخرى، والأحزاب الأخرى، ويكتب على الغلاف الإسلام!! وليس في داخل الكتاب هذا الإسلام شيء آخر!! حركة سياسية مزركشة. ليست هذه دعوة إلى الإسلام. يعلم كل طالب علم درس مذكرته، وما تحدث فيه عن نفسه من تجوله من ضريح إلى ضريح، هو نفسه يحدث عن نفسه تردده إلى بعض الأضرحة!!

إذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص[1]

إذا كان هو نفسه لم يصل من العلم ومعرفة المفهوم الصحيح للإسلام إلى مقاطعة الأضرحة، ومحاربة من يطوف بها، ودعوتهم وإرشادهم، بل هو نفسه يفعل كما يفعل العوام!! ماذا فعل بأصحاب الملاهي؟ هذا يذكرني ما تدعي الصوفية: أنهم هم الذين أدخلوا الإسلام في القارة الإفريقية!! ولي رد في بعض محاضراتي على هذا السؤال! الجواب: أنهم نقلوا بعض الوثنيين من الأفارقة من عبادة الأشجار والأحجار إلى عبادة البشر!! أخرجوهم من عبادة الجمادات إلى عبادة مشايخ الطرق!! لا فرق بين أن يكون المعبود حجرًا، أو شجرًا، أو إنسانًا، أو جنيًا، أو ملكًا؛ لأن العبادة لا تكون إلا لله. لذلك مثل هذه الدعوة لا ينبغي أن تنطلي على طلاب العلم، وأقول دائمًا لشبابنا: كونوا على يقين في عقيدتكم حتى لا يلبس عليكم، أو لا يلتبس عليكم

(١) هذا البيت جرى مجرى المثل.

الأمر! كل إنسان بسيط في باب العقيدة يعلم: أن ذلك التصرف ليس من الدعوة الإسلامية في شيء! عفا الله عمن صرح هذا التصريح، وهو مستغرب جدًا من مثله! وكان ينتقد هذه الجماعة انتقادًا لاذعًا عندما كنا معًا في الجامعة الإسلامية، ويتهمهم بأنهم يحاربون السنة! فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على الحق"[1].

والمقصود أن جماعة الإخوان المسلمين بنيت على غير الأساس الذي سار عليه السلف الصالح؛ فهدفهم تجميع الناس تحت مظلتهم، دون مراعاة لتصحيح عقائدهم، وإنما ليتوصلوا بهم إلى ساحة الحكم، مع العداء الشديد لكل من لم يقتنع بتنظيماتهم، وقد ضرب الشيخ رحمه الله لدعوة الإخوان المسلمين مثلاً يبين فيه حقيقة دعوتهم، فقال:"**فمثلهم كمثل الذي دخل سوقاً غاصة بالناس رجالاً ونساءً؛ ليدعوهم إلى الصلاة فجعل يناديهم قائلاً: أيها الناس إننا أنشأنا لكم مسجداً في غاية السعة فهلموا جميعاً؛ لأداء الصلاة فيه ولا يتأخرن أحد، وليأت كل واحد على ما هو عليه، المتوضئ بوضوئه، والمحدث بحدثه، والجنب بجنباته، بل حتى الحائض والنفساء؛ لأننا لا نرد أحداً، إذ قصدنا خلق مجتمع إسلامي عام شامل وكلنا (إخوان مسلمون)، ولا داعي للتشدد؛ لأن التشدد يفرق بين صفوف المسلمين، وبينما هو يرفع عقيرته بهذا الهذيان، فوجئ بداعية ناصح ممن رزق الفقه في الدين، وهو يقول للناس: أيها الأخوة المسلمون حان وقت الصلاة فقوموا فتوضأوا ثم صلوا صلاتكم حيث ينادي لها، فأخذ يعلمهم الطهارة، وأنها شرط لصحة الصلاة.**

فصاحب المجتمع المزعوم يستمع إليه بدهشة وهو يفكر؛ ليستحضر الأسلوب الذي يستعمله ضد هذا الداعية. إنه فكر وقدر ثم صرخ صرخة شيطانية قائلاً: أيها الأخوة المسلمون لا تسمعوا لهذا الكلام والغوا فيه لعلكم تغلبون على هذا المتشدد وتسكتونه، إلى آخر تلك الصيحة اليائسة.

أيها القراء الكرام: أنشدكم الله أيّ صاحبي السوق على الحق؟!!

---

(١) الإجابة من شريط بعنوان: (٢٧ سؤال عن الدعوة السلفية).

أما أحدهما: فقد دعا الناس إلى أداء الصلاة بوضوء وبطهارة كاملة، وبيّن للناس أن الطهارة شرط لصحة الصلاة، وقد نصح. وأما الآخر: فقد أوهم الناس أن المهم والمطلوب اجتماع الناس في صعيد واحد تحت اسم (المسلمين)، فيؤدون الصلاة على ما هم عليه قائلاً: لأننا نهينا عن التكلف، والدين يسر ولم يجعل الله علينا في الدين من حرج، يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وهلم جرا إلى آخر تلك الفتوحات الجديدة.

هكذا أترك الحكم على صاحبي السوق للقراء، وهم الحكم العدل إن شاء الله؛ لأنهم من طلبة العلم في الجملة؛ ولأن الحق أبلج والباطل لجلج، فهما لا يتشابهان. وبالله التوفيق"[1].

ومن تأمل هذا المثل الذي ضربه الشيخ، وقرأ في واقع وكتب القوم وجد صدق ما أشار إليه الشيخ رحمه الله.

إذا اتضح ما سبق من كيفية دعوة القوم، فيحسن الإشارة إلى أكبر وأهم أخطاء تلك الجماعة:

عدم الاهتمام بالدعوة إلى توحيد العبادة وتعلمه وتعليمه، فهمهم كما سبق تجميع الناس، بل وصل الحد إلى سكوتهم عن بعض الشركيات المنتشرة بين الناس؛ خشية تنفيرهم من دعوتهم، وتفشي البدع فيما بينهم من غير نكير؛ وهذا ما أدى إلى ضعف الولاء والبراء، فقد وصل الحد إلى التقارب مع الروافض وبعض المذاهب الهدامة؛ من أجل غايات دنية، وفيما يلي جملة من النماذج التي أوردها الشيخ رحمه الله عنهم.

قال الشيخ رحمه الله:"**تجميع الناس تحت اسم الإسلام بدون تربية وبدون تعليم وبدون توجيه، إسلام!! مسلم.. مسلم وكفى، هذا تضييع وتلبيس وغش وعدم نصح (من غشنا فليس منا)**[2]**، ليست هذه الدعوة...**

---

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) رواه مسلم (٢٨٠).

الدعوة الإسلامية: دعوة تربوية، والغريب في الأمر يكثرون من لفظة التربية، وليس لديهم تربية، لا يربون أبداً، لكن التربية في كتبهم كثيرة، خذوا مثالاً: عملتُ في بلدٍ إسلامي كبير توجد فيه هذه الجماعة بنسبة كبيرة جداً، ويوجد هناك أهل الحديث (السلفيون) منهج السلفيين، وضعوا لهم منهجاً خاصاً غير منهج الدولة، فيعلمون أولادهم بنين وبنات في مدارسهم الخاصة مِنْ تحفيظ القرآن إلى التعليم الجامعي، فإذا رأيت احدهم تعرفه من زيه ومن صلاته ومن حركاته أنه رجل سلفي، هناك تربية وتعليم، مساجدهم لَهَا ميزة، لكن الآخرين: الجماعة الكبيرة لا تفرق بينهم وبين سائر الطوائف والفرق الموجودة هناك...

ليست التربية أن أكتب في الكتب التربية والتربية، وليس هناك تربية عملية، لا، هذا الفرق بين الدعوة الإسلامية الصحيحة، وبين الانتساب إلى الإسلام والى الدعوة"[(١)].

وقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مبيناً أخطاء تلك الجماعة إضافة إلى ما سبق: "**بل إن هذه الجماعات اتخذت الإسلام مطية ووسيلة، لم يكن الإسلام عند هذه الجماعات الغاية، هذا ما نعلمه من هذه الجماعات.**

الإسلام يجب أن يكون غاية الغايات، ولكن عند أصحاب هذه الحركات الإسلام وسيلة، وسيلة إلى أي شيء، وسيلة إلى كرسي الحكم، وسيلة لدخول قبة البرلمان، وقد صرح بذلك كبار قادتهم وهو يعتب على الدعاة الذين يدعون إلى التوحيد والعقيدة، وينكرون على أولئك الذين يطوفون بالقبور، فيقول: (إن هؤلاء – أي دعاة الحق– لا يهتمون إلا بالعقيدة، ونحن نمر بأولئك الذين يطوفون بالقبور إلى قبة البرلمان) تعال نتساءل؟ إذا دخلوا قبة البرلمان بما يحكمون؟ هل بما أنزل الله؟ قطعاً لا؛ لأن البرلمان كما نعلم جميعاً إنما يحكم فيه النواب، نواب البرلمان موظفون لدى الشعب، الشعب يختار نواب للبرلمان، وهؤلاء النواب إما أن يحكموا بالقوانين

(١) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

المستوردة القديمة من قبل القوانين الفرنسية والانجليزية والأمريكية، أو الشرقية أو إذا تجرئوا وصاروا رجالاً يرفضون هذه القوانين المستوردة، ويضعون من عند أنفسهم قوانين تناسب ميول الشعوب، وهل هناك فرق بين الكفر المستورد والكفر المحلي؟! لا فرق إذا سنوا هم قوانين من عند أنفسهم، هي بضاعة محلية في حكم الإسلام، لا فرق بين الكفر المستورد والكفر المحلي الذي يضعه شباب من جلدتنا ويتكلمون بلساننا وينتمون إلى ديننا.

الذي يوجد الآن في الساحة إسلامان اثنان: إسلام هو دين الله بمعنى الاستسلام والانقياد والإذعان هذا الذي عليه المسلمون .

الإسلام الثاني: الإسلام السياسي، الإسلام السياسي هو الذي يدعوا إليه الحركيون؛ بدليل أننا نراهم يقفزون من قطار إلى قطار، وقد رأيناهم ذات مرة يعيشون مع قطار طهران فترة من الزمن فيبجلون ويمجدون، ولما تقلبت السياسة فإذا هم يقفزون من قطار طهران إلى قطار بغداد، وهذا شيء ملموس لمس اليد، كل عاقل يدرك كيف نضحك على قولنا، فنقول كل هذه الدعوة تصب مصب واحد. لا هذا إسلام سياسي متقلب يريد أن يجعل الإسلام مطية للوصول إلى كرسي الحكم، وليس هو الإسلام الذي ندعو إليه، هذا ما ندين الله به، وإذا كنتم على فقه الواقع –كما يقولون– أنتم تدركون ذلك ما الذي يجري الآن، ما الذي يجري في الجزائر، ما الذي يجري هنا وهناك فتن دامية؛ للوصول إلى قبة البرلمان، لا لشيء آخر، وكيف نضحك على عقولنا ونقول: إن كلهم على هدى"[1].

فالتعاون مع جميع المخالفين من أجل تحقيق رغبتهم، ولو بالتنازل عن ثوابت الدين، أمر غير منكر عند بعضهم، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: **"أنا أقول من استنتاجي وحسب تجاربي للقوم: إن لأولئك أصابع تلعب مع البعثيين والعلمانيين والقوميين والنسائيين[2]**

---

(١) إجابة على سؤال في محاضرة: (المستقبل لهذا الدين) الشريط (٢).

(٢) لعل المقصود دعاة حقوق المرأة.

يشتركون معهم؛ لأن من منهجهم أن يستعينوا بأي إنسان، وبأهل أي ملة إذا كانوا يظنون أن ذلك يقربهم إلى السلطة يوما ما، وهم عشاق السلطة وخطاب الكراسي، كراسي الحكم، لذلك لا تستبعد أن يعملوا كل شيء، خذ مثالا حيا: في الانتخابات التي جرت في الأردن أراد الإخوانيون أن يحصلوا على الأصوات، ولم يتيسر ذلك إلا أن يستعينوا بالقوميين والبعثيين الذين كانوا يكفروهم قبل أيام، استعانوا بالبعثيين والعلمانيين والقوميين وفازوا وتحصلوا على الكراسي الكثيرة، ولهم مكانة الآن هناك، بسم ماذا؟ بسم الإسلام، والذين ساعدوهم على ذلك غير الإسلاميين، مثال حي واقع نعيشه اليوم، والأمثلة من هذا القبيل كثيرة، هؤلاء القوم: الإسلام عندهم ليس بغاية خذوها مني صريحة، الإسلام عند من يسمون أنفسهم بـــ"الإسلاميين"، اليوم ليس هو الغاية بل الإسلام وسيلة، ما الغاية عندهم؟ السلطة، السلطة هي الغاية سواء وصلوا باسم الإسلام الخالص، أو بإسلام مشاب مختلط مع غيره، لا يضر، المهم الوصول إلى السلطة يوما ما، وهم يخططون للوصول إلى السلطة العامة، كما يزعمون إلى الشاملة؛ للقضاء على الدويلات المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، لذلك لا يعتبرون أي إسلام إسلاما، فإسلامكم ليس بإسلام عندهم، إسلامكم أنتم أيها المسلمون أصحاب العقيدة أهل التوحيد، إسلامكم عند أولئك الإسلاميين ليس بإسلام، خذوا تصريحاً من دكتور كبير من دكاترهم وزعمائهم يقول: (الذين يمثلون الإسلام في هذا الوقت: الإخوان المسلمون والجماعة الإسلامية في باكستان) ما هو الرقم الثالث؟ (الخمينيون)، هؤلاء الثلاثة هم الذين يمثلون الإسلام اليوم في نظر الإسلاميين"[1].

وقد صرح قادام بأن موقفهم حتى مع اليهود والنصارى موقف غير معادي، بل بينهم علائق أخوية ومصادقة إنسانية قبل أن تكون شريعة قومية، وليس بينهم إلا العلائق

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٣).

الطيبة، وخلافنا معهم من أجل الأرض، بل صرح بعضهم أنه لا يحال بين أي مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة[1].

وقد يصل الحال ببعضهم أن ينادي بالديمقراطية، أو بالاشتراكية وقد وقع مثل ذلك، قال الشيخ رحمه الله:"**أستحسن أن أنبه على أن الكتاب المعاصرين الحركيين ليس لديهم مذهب معين يتبعونه، فنجدهم يدعون إلى الديمقراطية الغربية في الناحية الدستورية؛ فإذا هم يدعون وينادون إلى الاشتراكية الشرقية في المجال الاقتصادي؛ فدعواهم إلى توزيع الثروات مجرد تقليد للاتجاه الشرقي وليس لديهم فكرة مدروسة اقتصادية أو دستورية لا شرقية ولا غربية، ولكنه تقليد وذبذبة، أما الإسلام فقد اكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه ، وقنعوا بالإسلام الرسمي الذي يثبت في الهوية : (الديانة : مسلم)**"[2].

ومن الأساليب التي عرفت بها جماعة الإخوان المسلمين بالإضافة إلى ما سبق: عدم الاهتمام بتعلم العلم الشرعي، والانشغال بالأنشطة التي يسمونها ثقافية، وإشغال الشباب بتلك الأساليب التي يتضمن بعضها شيء من المخالفات الشرعية، وربوا الشباب على ذلك، حتى شاع في المدارس والمعاهد ما يسمى بالنشاط الثقافي، فيجتمع فيه الشباب ويضعون لهم تنظيماً معيناً؛ جماعات لها أمراء ونواب، وتقام فيها بعض الدروس وبعض التمثيل والأناشيد ..الخ. وقد علق الشيخ رحمه الله على هذه الأساليب بقوله:"**هذا أسلوب من أساليب بعض الجماعات السياسية الحركية التي تريد أن تكسب الشباب بهذا الأسلوب، وتريد أن تبعدهم عن العلم النافع وعن العلماء الصالحين الربانيين، فيشغلون أوقاتهم في التمثيل والأناشيد، وهذه التقسيمات والمخيمات والمعسكرات حتى يستولوا على عقولهم هذا ما يسمونه بالتربية، فإذا تربوا بهذه التربية يتدرج بهذه**

---

(١) انظر: الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ ٤٠٩/١، الطريق إلى الجماعة الأم صـ١٣٢-١٣٤، جريدة الراية القطرية عدد ٤٦٩٦، وانظر للاستزادة: القطبية صـ٧٣وما بعدها.

(٢) توزيع الثروات في الإسلام صـ٢٢.

التربية ويكسبونه حتى يتخرج دكتور، وهو منهم؛ لأنهم أخذوه وهو صغير ربوه على التمثيل والأناشيد.

التمثيل حرام بإجماع أهل العلم، والأناشيد مشغلة، وهذه الأساليب كلها أساليب جديدة للدعوة إلى منهج معين للحركيين السياسيين الذين يريدون أن يحولوا بين شبابنا وبين العلم النافع، وبينهم وبين الاتصال بالعلماء العاملين الربانيين، فهنا المسؤولية تقع على الجهات المسئولة عن هذا التنظيم، وعن الذين يتساهلون هذا التساهل، ويُسَلِّمُون الشباب إلى هؤلاء يتصرفون فيهم كما يشاءون، فما أخطر هذا الموقف، وما اخطر مستقبله!"(١). وقال أيضاً مجيباً على سؤال قريب من سابقه:"**وإنما أوتي شبابنا في الآونة الأخيرة من هؤلاء الذين سموا أنفسهم الإسلاميين الجماعة الإسلامية، نسبة إلى الإسلام نسبة غير صحيحة، نسبة كاذبة، اسمعوا ماذا يفعلون: (من طرقهم في التوعية التي يسمونها توعية الطلاب أسلوب التمثيل)!! التمثيل سموه إسلاماً التمثيل في الشرع محرم، أقل ما فيه كذب، (والأناشيد) استبدلوا بدلاً من أن يعلموا الشباب قراءة القرآن وأحكام القرآن، وحفظ ما تيسر من القرآن والسنة، يعلمونهم الأناشيد، ويشغلونهم بالأناشيد، هذه الأناشيد يسمونها أناشيد إسلامية، ما معنى الأناشيد الإسلامية؟ إنما هي مدح لأشخاص من رؤسائهم رؤساء الحزبيين، والتفاخر كلام إن سلِم يصلح أن تقرأ تلك الأناشيد للمسافر؛ ليقطع بها الطريق كبعض الشعر، الأشعار التي تقرأ في الأسفار فيها الشجاعة فيها الكرم لا بأس، أما اتخاذ أناشيد كعبادة تقرأ بدل قراءة القرآن، وبدل ذكر الله هذه من الأمور المبتدعة.**

(والفكاهات المضحكة) يشغلون أوقات الشباب بالفكاهات المضحكة. (وقراءة الكتب السياسية والثقافية) شباب صغار يشغلوهم بقراءة الكتب السياسية؛ ليصلوا من هذه القراءة إلى التهييج السياسي...

---

(١) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

إنها لفتنة دخلت على شبابنا باسم التربية، وسفهاء تسلموا شبابنا باسم المربين، ولكنهم مفسدون وليسوا بمربين، ننصح شبابنا أن لا ينخدعوا بهذه العناوين (الجماعة الإسلامية) (التوعية الإسلامية) و (الأناشيد الإسلامية) (الإسلام المظلوم): الذي يضاف إليه كل شيء، ما ليس من الإسلام يضيفونه إلى الإسلام، ويسمون (الأناشيد الإسلامية) و (الجماعة الإسلامية) و (التوعية الإسلامية) وعرفتم ما هي التوعية، أين في هذه الأشياء التي ذكرناها الآن شيء من الإسلام؟ هل الأناشيد والتمثيل؟ وهل العبث باسم الله تعالى من الإسلام؟

نصيحتي لهذا السائل الذي استنصح ومن يسمع الابتعاد عن أمثال هؤلاء؛ لئلا يفسدوا عليهم دينهم"[(١)].

ومن الأساليب المعروفة عن هذه الجماعة، ما ذكره الشيخ عنهم، من وضع شروط للشباب المخدوع بأفكارهم، وأهم تلك الشروط المحافظة على السرية التامة لدعوته؛ حتى تتحقق الغايات والأهداف، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:"**وقعت في يدي عدة صفحات فيها شروط للمخدوعين، ولعل هذه الشروط ليست من السروريين، لعلها من الإخوانيين، يسمون المخدوع ملتزماً فكتبوا شروطاً للملتزمين، ذكرت في المحاضرة الفائتة شرطا واحداً، وأقف عنده الليلة عند ذلك الشرط.**

الشرط: السرية الكاملة: أن يحافظ الملتزم (المخدوع) أن يحافظ على السرية الكاملة لدعوته السرية الكاملة! ممن؟!! أنت مسلم تعيش بين المسلمين، مسلم ابن مسلم تعيش بين المسلمين، وهذه السرية إلى متى؟! وهل انتم في دار أرقم؟!! يوم كانت الدعوة سرية لحاجة لغرض ضرورة، الدعوة اليوم إن كانت إسلامية لا تحتاج إلى سرية حتى في أوروبا وأمريكا وفي جميع الدنيا، دعوتنا اليوم جهراً، دعاتنا هناك يجهرون بهذه العقيدة في بلاد الكفر في فرنسا في بريطانيا وينشئون مُدُنا يحولونها إلى مدن إسلامية.

---

(١) راجع: الإجابة على الأسئلة بعد شرح الشيخ التدمرية الشريط (١٠) و (ب).

الدعوة اليوم جهرية في كل مكان، حيث كان يضرب دعاة الحق قبل عشرين سنة في داخل المساجد، اليوم يدعوا الدعاة إلى هذه الدعوة جهراً وعلنا على المنابر، وهنا المهيجون يقولون لبعض الشباب الذين سموهم ملتزمين: عليكم بالسرية.

إذن هذه دعوة غير إسلامية إذن هذه عقيدة غير عقيدتنا، واتجاه غير اتجاهنا، طالما هناك سرية كاملة ويقول الطريق بعيد.. بعيد جدا معنى ذلك نَمْ لا تعمل شيء.

ويتناقض مرة أخرى فيقول أيها الشباب الملتزمون: الفرج قريب في توقعاتي إن الفرج قريب يعني عن قريب تصلون إلى ما تريدون، هكذا بهذه الهمسات وبهذه التصريحات وبهذه الشروط يضللون الشباب هذا التضليل، أعود فأقول المسؤولية مسؤوليتنا ولا عتاب على شبابنا؛ لأننا تركناهم فريسة للمهيجين فاسأل الله لي ولكم الثبات، أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويرزقنا الإخلاص فيما نقول وان يحفظ علينا ديننا وعقيدتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه"(١).

وخشية أن يُظن أن في تحذير الشيخ رَحِمَهُ اللهُ -من تلك الأساليب التي خُدع بها كثير من شبابنا-، نوعاً من المبالغة، وحتى يتبين للجميع أن أحكام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مبنية على المعرفة التامة لما عليه الإخوان، يحسن التنبيه على نصيحة أحد المجربين لحال الجماعة، وهو علي عشماوي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال في كتابه (التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين):"والساحة مليئة بالتيارات المختلفة التي خرج الكثير منها من عباءة الإخوان المسلمين، وإن كان كل في واد بعيد –فكرياً وتنظيمياً- وزاد الخلاف بين الجماعات، وزادت زاوية الانحراف عن الهدف، وهو الدين الحنيف، ونسوا حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام: (تختلف أمتي إلى بضع وسبعين شعبة، كلهم في النار إلا شعبة واحدة: من استمسك بكتاب الله وسنتي)، واعتقد كل أنه على الحق، واتهم الآخرين بالبطلان.

(١) آخر جواب على أسئلة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة في الدعوة إلى الله).

ووقف الإخوان المسلمين يرفعون شعارهم الشهير بين الجماعات والهيئات الإسلامية:(دعونا نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)(١)، وهو شعار يحاولون به الإمساك بموقع الريادة، وتوجيه دفة الأمور لصالحهم، دون محاولة الوقوف لتصحيح المسار أو تلافي السلبيات، أو تقويم الانحراف الذي استفحل أمره في مجال الحركة الإسلامية حتى أصبحت توصم بالعنف والإرهاب في كل بلاد الدنيا، وكان سبب هذا كله وقوع الكثيرين إما في إفراط شديد، وإما في تفريط مخل.

لهذا كله فإنني أرى أنه قد آن الأوان لأقف محذراً وفاتحاً المنافذ للشمس والهواء النقي أن يدخل سراديب الجماعة التي عفن هواؤها، وتعطنت رائحتها، وحتى تكون تجربتي معهم نذيراً للشباب أن يتلمس خطاه، وأن يرى مواقع أقدامه قبل أن يخطو، وألا

(١) قال الشيخ رحمه الله:"(**نتعاون عليه وفيما اختلفنا فيه يعذر بعضنا بعضاً**) ونحمل هذه اللوحة فوق رأسنا ونمشي بها لا أمر ولا نهي، ولا نصحح، ولا القول بأن هذه بدعة وهذه سنة، هذا شرك وهذا توحيد؛ لأن هذا يفرق الناس -ما أسوء هذا التفكير وما أكثر غلطه وخطئه!- من يعتقدون هذا الاعتقاد أن معنى الإسلام أن يجتمع الناس تحت مظلة لفظة الإسلام ثم كل يفعل ما يشاء، رافضي علماني عقلاني صوفي معتزلي فليكن، بل يُحذر من هذه الألقاب، فقط الإسلام. لو كان الأمر كذلك ما محل الدعوة؟ وأين محل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وأين محل النصح؟ أخوك اسمه مسلم ولو كان رافضي تحبه مع كونه رافضي تحبه! مع كونه علماني لا تأمر ولا تنهى!. **ليس هذا هو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، هذا التصور هو الذي يريد بعض الجماعات أن يسود وأن يفهم شبابنا الإسلام بهذا المعنى ، أما من يأمر وينهى عن المنكر ويبين هذا سنة وهذا بدعة يريد أن يُفرق بين الناس ، هذا التفريق هو الدين ، الحق يفرق والكتاب يفرق وأُرسل محمد ﷺ وتفرقت الناس عليه فمنهم من آمن به ومنهم من كفر به وفرق الله ﷻ العباد بين أهل السعادة وأهل الشقاوة. افهم جيداً لا تنطلي هذه العبارة عليكم (لا نفرق المسلمين كلهم مسلمون)** لا تقولوا رافضي ولا تقولوا شيعي ولا تقولوا سني ولا تقولوا بدعي، من جاء بهذا الأسلوب يجب أن يُرفَض فهمه وأنه لم يفهم الإسلام إما جاهل للإسلام أو متجاهل؛ لغرض دفاعاً عن جماعته؛ دفاعاً عن حزبه الذي نحا هذا النحو فليُفهم هذا جيداً". راجع: التعلق على شرح الواسطية للهراس الشريط (١٤) و (ب).

يلغي عقله ولا كيانه، ليعطي السمع والطاعة لأحد أياً كان.. فقد وهبنا الله العقل تكريماً للإنسان، فلا ينبغي أن نتنازل عنه، حتى لا يلعب بأقدارنا أحد أياً كان، وتحت أي شعار.

وبداية فإنني أعتبر أن (الإخوان) كانت (أم) التنظيمات الإسلامية في العالم العربي؛ لأنها أقدمها، وهي التي فرخت بقية التنظيمات بعد ذلك. وبداية الانحرافات جاءت من داخل الإخوان أنفسهم.

إن مشواري مع الإخوان بدأته من عام ١٩٥١م، وحتى خرجت من السجن – أي ثلاثة وعشرين عاماً- لا أنفي عن نفسي أية مسؤولية تجاه ما حدث..ولكني أقدمه – كما قلت- لشبابنا الذي بات تتقاذفه تيارات ترتدي ثوب الإخوان، ولا يعرفون عن أهدافها شيئاً، ويلقون بأنفسهم في خضم أهوال لا ينبغي لهم أن يتورطوا فيها"[١].

موقف الشيخ رحمه الله من السرورية:

انطلاقا من كلام العشماوي السابق؛ الذي قرر فيه أن الإخوان المسلمين أم التنظيمات الإسلامية في العالم العربي، وأنها فرخت بقية التنظيمات، فكل التنظيمات السرية خرجت من تحت عباءتها، يحسن الوقوف مع فصيل من الفصائل المشار إليها.

إنها السرورية المنتسبة إلى محمد سرور زين العابدين، وهي الجماعة التي انشقت نوعاً ما بخصائص جعلتها تتميز عن الجماعة الأم، ولخبرة الشيخ بحال التجمعين فقد سئل رحمه الله:" ما هي السرورية؟ وما الفرق بينها وبين الإخوان المسلمين؟ فقال:"**السرورية نسبة إلى "محمد سرور زين العابدين؛ المعروف بعدائه لكتب التوحيد وعدائه لأهل التوحيد، ومعروف بتزهيده للشباب في كتب التوحيد، ومُحاربته لكتب التوحيد، وكل ذلك مفصل عندكم في بعض محاضراتي السابقة، وعرفتم موقف كبار العلماء من كتابه وفتواهم فيه، هذه هي السرورية.**

---

(١) التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين صـــ٣-٤.

أما الإخوانُ المسلمون فأقدم منهم وأوسع منهم باعاً، وأكثر منهم دعايةً لِمَنهجهم ولحركتهم، وهم منتشرون فيكم يعيشون مَعَكُم، وهم يتظاهرون بالدعوة إلى الإسلام؛ لكن دعوة ليستْ دعوة عملية، لا إصلاح ولا أمر ولا نهيَ ولا إنكار منكر ولا تعليم؛ ولكن تَجْميع و تجهيل، ضربت مثلا لهذه الدعوة في بعض محاضراتي"[1].

والكلام على محمد سرور أو غيره في هذا المقام ليس من قبيل الغيبة المحرمة، بل هذا من قبيل النصح كما هو الحال في علم الجرح والتعديل، فإنه قد انخدع كثير من الشباب بما ينشره هذا الرجل من العناوين البراقة من السنة والبيان ومنهج الأنبياء وغيرها من العناوين التي خُدع بها الكثير، فصار للرجل في قلوب بعض الشباب مكانة وأيُّ مكانة –كما أشار الشيخ إلى الباعث من الإكثار من التحذير منه–، معرضين عن مشايخنا وعلمائنا وعن الكتب النافعة التي درسوها والمراجع العلمية والمكتبات الحافلة بالكتب النافعة كل ذلك تركوه، وتبادلوا مجلة البيان والسنة ومنهاج الأنبياء والعدالة الاجتماعية، وما في معنى هذه الكتب التي تحارب الإسلام باسم الإسلام، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**السرورية نسبة إلى محمد سرور زين العابدين رجل سوري كان يعيش في الكويت وعاش هنا في المملكة فترة من الزمن، وهو الآن يعيش في بريطانيا، هذا الرجل له كتب مؤلفة موجودة في الأسواق الذي جعلنا نستبيح أن نتكلم في شأنه، ونبين ما فيه من الشر؛ النصح لا شيء آخر. موقفنا هنا موقف رجال الجرح والتعديل في علم المصطلح في علم الرجال، رجال جعلوا مجهودهم الدفاع عن السنة يتتبعون الكذابين والمدلسين والوضاعين، ومن فيهم الضعف، وأصحاب الغفلة؛ يبينون للناس أن فلانا كذاب فلان دجال فلان وضاع فلان مدلس فلان رافضي لا خير فيه، هؤلاء ليس عملهم هذا غيبة، نصيحة دفاع عن السنة النبوية، ونحن الآن إذا قرأنا لمحمد سرور وأمثاله ، حملات على العقيدة على كتب التوحيد، عندما يقول كتب التوحيد**

---

(١) جواب على سؤال من شريط بعنوان: (الأجوبة الذهبية على الأسئلة المنهجية).

فيها جفاف؛ لأنها نصوص وأحكام لذلك زهِد فيها معظم الشباب، هكذا ينفر عن كتب التوحيد وكتب العقيدة التي ندرسها في جامعاتنا. وقد انتشرت في العالم الإسلامي بحمد الله تعالى رغم هذا الزعم وأن شباب المسلمين مقبلون كل الإقبال على كتب العقيدة الموجودة في جامعاتنا ومعاهدنا وكلياتنا، بل تأتي وفود لتطلب هذه الكتب فتقررها في بلادهم في أفريقيا وفي آسيا وفي البلاد العربية الأخرى كتب العقيدة التي وصفها محمد سرور بالجفاف، وزعم أن معظم شباب المسلمين أعرضوا عنها على عكس ذلك، منتشرة جدا والشباب مقبلون عليها، ومن أراد ذلك عليه أن يزور الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ليرى مئات من أبناء المسلمين من نحو مئة دولة فأكثر، يدرسون هذه الكتب فيتضلعون فيرجعون إلى بلادهم، فينشرون هذه العقيدة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي، فانتشرت هذه العقيدة حتى في أوروبا وأمريكا ودول الشرق، وسرور يحارب هذه العقيدة وهذا التوحيد.

السروريون ينتسبون إلى هذا الرجل والرجل حي يرزق يؤلف لذلك ننصح بهذه الصراحة شباب المسلمين أن لا ينخدعوا ببعض كتبه التي تحمل عناوين خداعة كمنهج الأنبياء، كتاب اسمه منهج الأنبياء فيه هذا الكلام الذي شرحت الآن في الجزء الأول، وقد عرض هذا الكتاب، أو ذكر لشيخنا الشيخ عبد العزيز ابن باز، وأمر بتمزيقه وأفتى بعدم جواز بيعه وأنه كتاب خبيث، وقال غيره من العلماء من هيئة كبار العلماء مثل هذا الكلام، هذه هي السرورية وهذا محمد سرور"(1).

---

(1) إجابة على سؤال وجه للشيخ في شرحه للتدمرية الشريط (10) و (ب)، وقد سئل الشيخ: ما رأيك فيمن يدافع عن كتاب منهج الأنبياء لسرور، ويقول نأخذ بالحق الذي فيه ونترك الباطل الذي فيه، ويقول بأن أسلوبه في عرض القصص جميل؟ فأجاب رحمه الله بقوله:

هذا التعليل، أولاً: إن بعض الحضور قد لا يعلمون هذا الكتاب، ولا يعلمون محمد سرور؛ لذلك كنت أستحسن مثل هذا السؤال إنما يقدم ويطرح بين طلبة العلم في المحاضرات في الفصول لا في مثل هذا المكان الذي يحضره العامة والخاصة، وعلى كل كما قيل (لكل سؤال جواب)، طالما عرض السؤال، نشرح السؤال ثم نجيب عليه: هذا الكتاب الذي سئلتُ عنه منهاج الأنبياء

=
كتاب ألفه شخص يقال له محمد سرور زين العابدين، سوري الأصل عاش في هذا البلد في منطقة القصيم فترة من الزمن، ويشتغل بالسياسة فطرد من هناك وعاش في الكويت، ثم انتهى به الأمر إلى السكن في بريطانيا، وله ما يسمى بالمنتدى وله مجلات ومن أسوأ مجلاته مجلة سماها مجلة السنة، هي سنته وليست سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، تلك المجلة التي يسب فيها طلاب العلم ويهاجم أهل الحق، كتابه منهاج الأنبياء أذكر منه مأخذان اثنان:
المأخذ الأول: يقول في الجزء الأول محمد سرور وهو يتحدث عن كتب العقيدة التي بين أيدينا يقول: إن كتب العقيدة هذه ألفت في غير وقتنا، أي في وقت سابق وفيها كثير من الجفاف، لماذا؟ لأنها نصوص وأحكام، لو لاحظ طالب العلم: العلة أسوأ من الحكم، الحكم ما هو؟ (فيها الجفاف)، الجفاف نسبة الجفاف إلى كتب العقيدة حكم سيء، والأسوأ منه تعليله بأنها (نصوص وأحكام) ما هي النصوص؟ آيات من كتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، هل يجوز لمسلم أن يصف كتاب الله وآيات من كتاب الله أنها فيها الجفاف، كتاب الله الذي هو تبيان لكل شيء، هدى ورحمة وشفاء، توصف آيات هذا الكتاب بأن فيها جفافاً، هذا ما يقوله محمد سرور زين العابدين رئيس السرورية، سئل شيخنا الشيخ عبد العزيز هذا السؤال، وكان جوابه إن هذا الكتاب لا يجوز بيعه ويجب تمزيقه، وأن ما جاء في هذا الكتاب ردة، هذا كلام يقوله مفتي هذه البلاد، عالم رباني معروف لدى الصغير والكبير في الداخل والخارج، حكم على قول محمد سرور بأن هذه النصوص فيها جفاف، وقال في النهاية (ولذلك زهد فيه معظم شباب المسلمين) هذه عبارته، وهذا الكلام لو كنت في خارج المسجد لعبرت تعبيراً مناسباً، ولكني أحفظ لساني في هذا المسجد أقول: هذا الكلام باطل، بس لا أزيد على هذا وإلا له وصف آخر، هذا الكلام باطل لا أصل له، معظم شباب المسلمين اليوم مقبلون على كتب العقيدة التي بين أيدينا على كتاب التوحيد، وشروح كتاب التوحيد، وعلى الواسطية والحموية والتدمرية، وشرح العقيدة الطحاوية وغيرها، لا أقول هذا الكلام مجازفة، لكننا كما تعلمون نعيش مع طلاب الجامعة الإسلامية التي ينتسب إليها نحو من مئة دولة، مئة جنسية وأكثر في هذه الجامعة، عشنا في هذه الجامعة نحوا من ثلاثين عاما ندرس العقيدة لأبناء المسلمين الذين يفدون من أقطار الدنيا، من الدول الإسلامية وغير الإسلامية، ثم كتب الله لي زيارة عشرين دولة يعمل فيها طلاب الجامعة الإسلامية ينشرون العقيدة السلفية ويقررون هذه الكتب التي درسوها هنا، فنحن اليوم عاجزون من تأمين هذه

والمنتسبون إلى هذا الحزب عرفوا بسمات منها: الوضوح بالقدح في الولاة ونشر عيوبهم والتمرد عليهم؛ لأن ذلك من إنكار المنكر –زعموا–، بل والتزهيد بالعلم والعلماء وأنهم لا يفقهون الواقع؛ بحجة عدم إنكارهم العلني على الحكام، ومن سماتهم الدعوة إلى الجهاد؛ ومقصودهم جهاد المسلمين وولاتهم الذين اعتقدوا ردتهم، فنتج عن دعوتهم ودعاواهم فساد عريض، سبق التنبيه على أشهر مظاهره، والتحذير من عواقبه في جهود الشيخ في توضيح مظاهر التهييج الساسي في العصر الحاضر(١). وتلك المظاهر نتيجة دعوة هذا

=

الكتب للمسلمين في أقطار الدنيا كلها كلهم يطلبون هذه الكتب، شباب المسلمين ولله الحمد مقبلون إقبالا لا نظير له فيما مضى على كتب العقيدة، حتى لو كانوا يعيشون تحت دول أو سلطة تضطهد الدعاة والدعوة وهم يصبرون على الاضطهاد، ومتمسكون بالعقيدة ويدرسون هذه العقيدة، وربما يهاجرون إلى حيث يجدون الأمن والأمان في الجامعة الإسلامية ومثيلاتها. قول محمد سرور إن معظم شباب المسلمين زهدوا في العقيدة قول باطل، لذلك إن لم أقل كما قال شيخنا بأن ما في هذا الكتاب وما رمى إليه سرور ردة، ولكني أستطيع أن أقول بكل اطمئنان بأنه إلحاد، هذا كلام إلحاد وهذا كلام دعاية ضد الإسلام، وضد عقيدة المسلمين، لا يقول مسلم هذا الكلام ولكن نترك أمره إلى الله. هذا المأخذ الأول.

المأخذ الثاني: كان يتحدث عن قوم لوط فيقول: لو استجاب قوم لوط في دعوة التوحيد لنبيهم واتبعوه ما نفعهم ذلك طالما هم أقاموا على جريمتهم، أي أن مرتكب الكبيرة لا ينفعه الإيمان، بل مرتكب الكبيرة كافر عنده، هذه عقيدة الخوارج، إذا كان صاحب الكبيرة لا ينفعه الإيمان والتوحيد معناه يبقى كافرا!! هذه عقيدة الخوارج، هذا ما يقوله محمد سرور في كتابه منهاج الأنبياء الذي سئلتُ عنه، وله كلام سيء وإن لم يكن أسوأ في بعض أعداد جريدة أو مجلة سماها السنة أي سنته – على الطلاب أن يراجعوا هذه المجلة؛ لأنها تأتي بالفاكس تنتشر بين الشباب وربما دخلت برمتها عن طريق بعض الدول المجاورة – وعلى كلٍ الرجل يقيم في بريطانيا ويحارب العقيدة هنا وأصحاب العقيدة، هذا محمد سرور" إجابة على سؤال وجه للشيخ في شرحه للتدمرية الشريط (١٥) و (ب).

(١) انظر: صـ ٦٨٣-٦٩٦.

الفصيل وغيره من الفصائل التي منبعها أم التنظيمات التي تكاد تتفق في موقفها من ولاة أمور المسلمين.

وقد بين الشيخ أن دعوتهم تشبه دعوة الخوارج، مشوبة بالتهور ومتضمنة للسباب ومحلاة بالتكفير، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"**دعوة تشبه دعوة الخوارج الذين زعموا أن من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوارج: الخروج على الحكام، ومحمد سرور يعلِّم شبابنا للأسف السب واللعن والبذاءة وإطلاق لفظة الطواغيت على كل حاكم، ولو كان يحكم بالإسلام، بالتعميم إن جميع الحكام طواغيت الجميع دون استثناء!! هذه دعوته وهذا أسلوبه، أسلوب سيء لذلك نخشى على شبابنا أن يتأثروا بهذا الأسلوب ويتعلموا البذاءة، أعيذكم أن تذهبوا هذا المذهب وأن تسلكوا هذا المسلك فهو مسلك غير إسلامي؛ يقول النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام:(ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء)**[1]**، والرجل يعلم الشباب في مجلاته البذاءة وطول اللسان، والنيل من الناس وخصوصاً الحكام...**

وليس من الدعوة في شيء أن تطلق لفظة الطواغيت على الحكام، ولو حكموا غير شريعة الله تعالى، ويصدق عليهم لفظ الطواغيت لكنك؛ في أسلوب وفي مقام الدعوة، أنت تدعو ولا تجرح ولا تلعن ولا تنفر، تدعوا بالحكمة.

ليس من الحكمة أن تقف هناك بين تلك الشعوب فتطلق عليهم أنه مجتمع جاهلي، وأن الحكام طواغيت، هل دعوت أم سببتَ؟!! ...

هذا تهور وليس بشجاعة؛ لذلك أعيذكم أن تتخلقوا بأخلاق هؤلاء، أخلاقٌ غير إسلامية وصفات بعيدة عن الإسلام"[2].

(١) سبق عزوه صـــ٧٨٠.

(٢) آخر جواب على أسئلة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة في الدعوة إلى الله).

وبذلك يتضح أن فصائل الإخوان المسلمين غزت بلدان المسلمين بمسميات مختلفة، وما حادثة الخليج منا ببعيد، فقد تأثر بسبب تهييجهم كثير ممن كان يعرف بالخير والصلاح.

وختاماً لهذا المطلب يجدر التنبيه إلى أن ما ذكرت للشيخ، إنما هي إشارات يسيرة من الجهود الكبيرة التي بذلها رَحِمَهُ اللَّهُ؛ نصيحة للمهيجين، وتثبيتاً للمؤمنين، وتنبيهاً للغافلين، وتذكيراً للمحسنين الظن بحال تلك الجماعات التي اتخذت التهييج شعاراً لها.

وقد أوذي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بسبب هذا الإقدام أذىً مستمراً في حياته وبعد موته، حتى تمنى بعض المحبين للشيخ أنه لم يحذر ذلكم التحذير، والحق أحق أن يذكر فيشكر، فالمتأمل في مواقف الشيخ يجد منبعها النصح لله ولرسوله ولكتابه وللأئمة المسلمين وعامتهم، ولذلك فقد نفع الله بتحذيراته من الحركات المهيجة نفعاً عظيماً تعدى إلى بلدان العالم، شهد له به أئمة العصر، ولذا سار من بعده على منواله، وولدت الأيام حقائق تلك الحركات، فتبين للكثير بعد ذلك حقيقة تحذيرات الشيخ رحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثالث: موقفه من جماعة التبليغ:

إن من الجماعات الكبيرة في الساحة التي تنتسب إلى الدعوة، جماعة الدعوة والتبليغ، وقد وفد فكر هذه الجماعة من شبه القارة الهندية، مخلوط بالتصوف، سالكاً طريقة تخالف دعوة الرسل، فيهتمون في دعوتهم بالفضائل وما لا خلاف فيه، وترك كل ما يؤول إلى التفرق –زعموا–؛ وهذا ما جعلهم يهتمون بالدعوة إلى توحيد الربوبية ويهملون توحيدي الألوهية والأسماء والصفات، وهكذا في العلم فلا يرون التوجه لطلب علم المسائل؛ لأنه يقسي القلب –زعموا–، والاكتفاء بعلم الفضائل، وهكذا في بقية أصولهم التي أصلوها، فالاكتفاء بما اتفق الجميع عليه هو أساس دعوتهم.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما سبق له سبر خاص في معرفة المخالفين، وجماعة التبليغ من الجماعات التي خالطها الشيخ فعرف ما لهم من الخير، وما عليهم من الانحراف، وكان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريصاً على دعوتهم، وضبط همتهم العالية في الدعوة بالضوابط الشرعية، ولذلك كان يذكر لهم بعض المحاسن التي تميزوا بها عن بعض الجماعات؛ طمعاً في هدايتهم وإصلاح حالهم، وحتى لا ينجرفوا مع قبورية شبه القارة الهندية، ومع ما تميزت به هذه الجماعة عن جماعة الإخوان المسلمين إلا أنها –وخصوصاً في بداية انتشارهم في البلاد العربية– لم تسلم من وصمة السرية التي سبق الحديث عنها في جماعة الإخوان، وهذه السرية هدفها جلب العرب وضمهم تحت لواء الجماعة، فإن معرفة بعض خبايا القوم ومعتقداتهم، تنفر أصحاب الفطر السليمة عنهم.

ومن أجمع الكلام الذي وجدته للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول جماعة التبليغ، ما قاله في توجيهات بعد العشاء، حيث قال:"**أما جماعة التبليغ جماعة صوفية، ولكن ليس لهم منهج موحد كالجماعة الكبرى، هذه الجماعة الانتماء الكبير الذي تحدثنا عنه التي سميناهم (حركة سياسية) حيث ما كانوا خيوطهم متصلة بعضها ببعض، في أي مكان، وهو الذي يدلكم على أنها حركة سياسية طموحة تحاول القفز يوماً ما على المدى البعيد على السلطة.**

لكن جماعة التبليغ ليس لهم منهج موحد جماعة مفككة صوفية، بدأت من القارة الهندية على أساس صوفي محض، ثم لما انتشرت في العالم وتفرقت اختلفت في عملها، وجدناها في بعض البلدان عملهم بناء المساجد والمدارس ورفض التبرعات، لا يقبلون أي تبرع، ولكن يعملون هذه الأعمال الإسلامية من أموالهم الحرة، وفي بعض البلدان من أعمالهم التجول ودعوة الناس إلى الإسلام في مفهومهم الضيق، رأيت هؤلاء وهؤلاء.

وحضرت مؤتمراً كبيراً لهم في دكّا في (بنغلاديش) اجتمع فيه خلق كثير وجاء بعض شبابنا من المسلمين أكثرهم من الدول العربية من المغرب ومن السعودية ومن الكويت، قبل فترة طويلة منذ عشر سنوات، فحدثني هؤلاء الشباب أنهم ذهبوا إلى

طلب العلم والدراسة (على الأصح) إلى دول أوربا، لكن غلبت عليهم البيئة فتأقلموا فصاروا كالأوروبيين في أخلاقهم، مجالسهم البارات وشرابهم الخمور، وهم من أبنائنا من هنا من السعودية والمغرب والكويت، شافهوني بهذا الخبر يقولون: أنقذنا الله على أيدي هؤلاء، مشيرين إلى جماعة التبليغ الذين حضروا المؤتمر، جاءوا من بلاد أوربا وأتوا معهم هؤلاء الشباب، والشباب حدثوني من أنفسهم بأنفسهم، كنت أنا وزميل لي حضرنا هذا المؤتمر؛ لدعوة من الجماعة موجهة إلى الجامعة الإسلامية، حضرنا ممثلو الجامعة الإسلامية في ذلك المؤتمر، كما حضر من جامعاتنا بعض الوفود حتى من جامعة الملك عبد العزيز من جدة، اندهشنا مما فعل أولئك، وأنقذ الله شبابنا على أيديهم، شاب سعودي تعرف علي قال يا شيخ: خرجت من السعودية بعد أن تخرجت من الثانوية وأدرس في فرنسا، ولكن لم أعتمر قط ولا أعرف كيف العمرة، سجل لي أعمال العمرة لأعتمر ثم أزورك في المدينة، ثم أرجع إلى أوربا إن شاء الله هذه المرة طالبا وداعيا، يجيد اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية، سجلت له أعمال العمرة فاعتمر وجاءني بالمدينة فزودته بالكتب المترجمة فرجع إلى أوربا فتعلم فتخرج، الآن مسئول في بعض الدوائر في بعض مدننا هنا في السعودية وأنا على اتصال به، وهو على اتصال بي دائماً، هداه الله على أيدي هذه الجماعة، هذا مثال واقعي والمغاربة عدد كبير منهم، كانوا يحكون لي كيفية دخول الجماعة عليهم، وكيف أخرجوهم من البارات، فيتلطفون بهم فيطلبون منهم يقولون لهم: أنتم أشبال وآباؤكم أسود، والشبل لا يعيش مع الغنم، هؤلاء بهائم الأوروبيين أنتم تعيشون مع البهائم، أنتم أشبال، والشبل يلحق بالأسود تعالوا نريكم وجوهكم في المرآة، قالوا أين المرآة، أخذوهم خارج باريس في المسجد، فاغتسلوا ودخلوا المسجد، وقالوا هذه المرآة، هذا الذي يليق بكم، جئتم من بلد يصلون في المساجد ويعبدون الله. فتابوا على أيديهم فحسن إسلامهم، أعمال لا يمكن لإنسان أن ينكر أنه عمل إسلامي، أعمال كتبنا في تقريرنا عندما رجعنا إلى المدينة وكتبنا تقريراً عن رحلتنا فيه الإشادة بأفعال هؤلاء بما

رأينا من كثرة عبادتهم في تلك الرحلة ومن أعمالهم، وتأثيرهم في شبابنا، وأن الله أنقذ شبابنا على أيديهم"[1].

وقبل إتمام كلام الشيخ يجدر الوقوف مع هذا التقرير وقفة تجلي حقيقته، فقد يتشبث به أصحاب دعوة التبليغ[2]؛ كتب الشيخ رحمه الله هذا التقرير بتاريخ ١٠/٢/ ١٣٩٩هـ، وذلك بناءً على ما شاهده ولمسه منهم في تلك السفره، ويدل ذلك على إنصافه رحمه الله ومعاملته المخالفين بالظاهر، والله يتولى السرائر، وهذا من باب حكاية الواقع.

وكتابة الشيخ رحمه الله بناءً على أن أولئك التبليغيين ليسوا مثل أولئك الصوفية القبورية ولا تربطهم بهم أية علاقة، وبناءً على أنهم لا يدعون إلى الانتماء إلى حزبهم، ورغبة في إصلاح أخطائهم، وتبصيرهم بجهالاتهم الواقعين فيها، وضبط ما عندهم من حماسة، فكل هذه الدواعي جعلت الشيخ يحسن بهم الظن، ومع ذلك فلم تدم تلك المغالطات، فقد كشف الله حالهم وأبدى أهدافهم، فعرفهم الشيخ أكثر ولذلك قال رحمه الله:**"قبل هذه المدة لا أخاف من تأثير جماعة التبليغ بشبابنا، كنت أستخف بأمرهم، بل ربما ذكرت لهم بعض المحاسن وبعض الأعمال الإسلامية التي رأيتها منهم في بعض الأقطار، وذلك مسجل في بعض أشرطتي، لكن أثبتت التجارب وأخبار الثقات في هذه الأيام وخصوصاً في مدينة جدة أن القوم على خلاف ما اعتقدت فيهم.**

كنت أعتقد أنهم جماعة ضعيفة ليس لهم منهج موحد، ولا علاقة لهم بالتبليغيين الذين هم في الهند الذين هم الصوفية المتطرفة، كنت أحسب أن من يسمون أنفسهم في هذا البلد ليس منهجهم كمنهج أولئك التبليغيين الصوفيين الهنود، ولكن تبين لي أنهم مرتبطون بأولئك وأوامرهم تأتي من هناك، ويأتمرون بأوامرهم وهم بمكة جنب البيت الحرم، لا يستفيدون من دروس الحرمين، ولكن يتلقون التعليمات من الهند،

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٤).

(٢) وبالمناسبة فمن طريف ما وقفت عليه من أقوال المتهجمين على الشيخ رحمه الله تعليقاً على تقريره المشار إليه، قول أحدهم:(ليس للشيخ الجامي حسنة إلا هذا التقرير الذي كتبه عن جماعة التبليغ)، ولعل هذا المسكين لم يقف أو تجاهل موقف الشيخ الآتي الذكر.

هذا ما بلغني من الرواة الثقات الذين أثق فيهم، ودائما الأخبار إنما تؤخذ من الرواة الثقات إذا كانوا ثقات عندي وجب علي العمل بأقوالهم وبرواياتهم، وجب علي أن أغير بعض مواقفي إن كان موقفي سابقاً غير هذا الموقف، وبناءاً على ذلك إن وصل أمر جماعة التبليغ إلى ما سمعت وعلمت من أخبار الثقات: يجب التحفظ منهم، ومن كان مخدوعاً بهم من شبابنا يجب علينا المبادرة إلى دعوته وإصلاحه ما استطعنا، أما من وصل منهم –على حد تعبيرهم– إلى الإمارة صار أميراً لهم، ويصدر الأوامر بعد أن يتلقاها من مصدره الأصيل، هناك فأصبح داعية يعتبر من الدعاة من أهل البدع الدعاة.

أهل البدع ينقسمون إلى قسمين: بدعي عادي يعمل بالبدع، وبدعي داعية: إذا وصل البدعي إلى درجة أنه داعية تجب مقاومته، وتجب مقاطعته ويجب التشهير به للتنفير منه، هذا ما كنا نفعله مع غيرهم، ولم نتشدد معهم قبل؛ ظناً منا إلى أن القوم فيهم الجهل وفيهم بعض نزعات الصوفية، ولكنهم ليسوا أهل مكر في الدعوة إلى فكرهم، فإذا تبين أنهم على ما وصفت الآن، فينبغي الاهتمام بأمرهم بإصلاح من أفسدوه، وباسترداد من سرقوه من شبابنا حسب الاستطاعة، وبمقاومة ومقاطعة أمرائهم وكبرائهم والتشهير بهم، والإعلان عنهم؛ ليبتعد عنهم ولا يغتر بهم؛ لأنهم كثيراً ما يرقون رقة تكاد أن تسيل، وهذه الرقة قد تخدع بعض الناس، ينخدعون برقتهم وبأسلوبهم المعسول وبتلونهم، لهم أسلوب مع زيد، ولهم أسلوب آخر مع عمر، هذا ما تبين لنا أخيراً، لذلك أنبه شبابنا على خطورة هذه الجماعة... خطرهم على شبابنا لا يقل عن خطر الحركة الكبيرة التي سمت نفسها (الإخوان المسلمين)، وفي الواقع نحن الذين ينبغي أن نكون جماعة التبليغ، ونحن الذي ينبغي أن نكون جماعة المسلمين؛ لأننا بحمد الله لا ندين إلا بالإسلام ولا نعمل إلا بالتبليغ، أن نبلغ دين الله وان نتمسك بإسلامنا، ولكن ليس من شأننا التحزب والتعصب للألقاب، ليس من

دأب السلف أن يلقبوا أنفسهم بألقاب ويتعصبوا لتلك الألقاب، ليس هذا من شأنهم ولا من شأنهم تقديس الرجال والغلو فيهم"[(١)].

وبعد هذا الاستطراد الذي يبين حقيقة التقرير، يتم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حديثه عن مخالطته لهذه الجماعة فيقول:**" ثم عملت معهم في جيبوتي وفي كينيا الأعمال التي سمعتم رأيت منهم ما (يدهش)**[(٢)]**، أيام المجاعة التي سمعتم –التي أصابت إفريقيا– ترسل المساعدات من هنا إلى شرق إفريقيا إلى جيبوتي إلى كينيا، فتبتلعها جماعة من الجماعات في الطريق، يقولون: هاتوا أيها العرب، لا تدخلوا البلد، ليس فيه أمن، يقتلوكم إذا دخلتم، فيأخذوا المساعدات فيبتلعوها!! فإذا عرضوا هذه المساعدة على جماعة التبليغ يقولون: لا، خلوا مساعدتاكم عندكم فتعالوا بنا، أنا ممن حمل المساعدة إلى (كينيا) فعرضت على رئيس جماعة التبليغ، فقال لا خذوا السيارة من مكتب الدعوة، ونحن بسيارتنا ونحن نوصلكم إلى حيث تموت الناس مع بهائمهم في البوادي، تجولنا خمسة أيام، ونحن بسيارتنا من مكتب الدعوة التابع لإدارة البحوث العلمية وهم في سيارتهم فنشتري الطعام ونوزع عليهم، قال أهل البلد سلموا ما لديكم من المساعدات من النقود، نحن ما نريد النقود لجماعة التبليغ، لا نريد بناء المساجد ولا المدارس، نريد قوتاً، فسلمنا لهم النقود وبحضورنا اشتروا ووزعوا ونحن معهم، أبوا أن يتركونا حتى توزع المساعدة، محافظة على مبدئهم عدم قبول المساعدة، وإنما ينفقون من أموالهم، هذا شيء مشاهد حضرت معهم وعملت معهم، لذلك إذا سمعتم مني أني مدحت أو أثنيت على جماعة التبليغ فيما رأيت، وما سمعت في "دكا"، وما رأيت وما شاهدت في "كينيا" وفي "جيبوتي"، ولا يلزم على ذلك أنهم على هدى في كل شيء، مَثلي في ذلك مَثل شيخ الإسلام الذي ينقل من علماء التصوف الكلام الطيب، ثم يقول: (ليس كل من نقلنا كلامهم نقول بكل ما يقولون)، وأنا :"أقول: ليس ما يفعله جماعة التبليغ إسلاماً**

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٦).

(٢) في الأشرطة كلمة غير واضحة لعلها ما أثبت.

وحقاً وصواباً، فيهم أخطاء، قد تصل أخطاؤهم إلى درجة الشرك، كما بلغني أنهم قد يصلون في المساجد التي فيها أضرحة في القبلة ولا ينكرون ذلك، ربما كلفوا من يتبعهم أن يفعل ذلك، وأخيراً انتشروا عندنا هنا فبدؤوا يسرقون السلفيين سرقة، كثير من شبابنا الآن مسروقون عندهم ونحن نطالبهم بأن يردوا سرقتنا، شبابنا إلى صفوفنا حتى نتعاون معهم، وإلا فنحن نعاديهم؛ لكونهم زهّدوا شبابنا في العلم قالوا طلب العلم يسبب قساوة القلب، فقالوا لهم تعالوا نحن نهذب نفوسكم ونطهر ضمائركم؛ لأن طلب العلم يتنافى مع طهارة الضمير، هذا الكلام فيه من الخطورة ربما يؤدي إلى الكفر والردة، تزهيد الناس في دراسة الكتاب والسنة وطلب العلم الواجب، وحملهم على مجرد الخروج واعتقاد أن مجرد الخروج عبادة وأنه في سبيل الله، هذه من الأخطاء، أريد أن أقول هذه الجماعة من الناحية السياسية ليس فيها من أمور سياسية، جماعة تريد أن تعبد الله وتريد أن تفعل الخير ولكن عن جهل ليس بعده جهل، زهّدوا في العلم وزهّدوا الناس في العلم، ويريدون أن يعبدوا الله تعالى على جهل، فعبادة الجاهل في الغالب الكثير غير مقبولة؛ لأنها تخبط ولأنها مبتدعة، يبتدعون في دين الله ما ليس منه هذه حقيقة التبليغ"(1).

وبهذا يتضح موقف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جماعة التبليغ، وإن كان المنتسبون لهذه الجماعة ليسوا على درجة واحدة، فالبعض قد تصل بدعته إلى الشرك بالله كما هو حال مؤسسيهم، والبعض دون ذلك بكثير -وخصوصاً المتأثرين بهم من جزيرة العرب- إلا أنهم لا يسلمون من تبعة أولئك؛ فإن رغبتهم في الانتساب إليهم دليل على ضعف الولاء والبراء عندهم، وقد سئل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منهج جماعة التبليغ وهل يعتبرون ليسوا من أهل السنة والجماعة أم لا؟ ويعاملون معاملة المبتدعة؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**"وعلى كل إن هذا السؤال منذ أن عرفت جماعة التبليغ في هذا البلد يتكرر، جماعة التبليغ جماعة في الأصل من الهند، وهي جماعة متصوفة عندهم تصوف وعندهم بدع، بل في شيوخهم نوع من**

---

(١) توجيهات بعد صلاة العشاء الشريط (٤).

الإشراك بالله تعالى؛ لأنهم يتعلقون بالقبور ويقدسون الأضرحة، هذا أصل جماعة التبليغ[1].

أما التبليغيون الموجودون في البلاد العربية بما في ذلك هذا البلد، ما أعتقد أن بدعتهم تصل إلى بدعة جماعة التبليغ الهندية[2]، هؤلاء مقلدون ومتبعون أولئك، ولكن يؤاخذون لإيمانهم بتلك الجماعة المبتدعة التي قد تصل بدعتهم إلى حد الشرك، قبل أن ينتهي وقتنا ننصح إخواننا الطيبين الذين يحبون العبادة ويحبون النصح ويحبون تبليغ الخير للناس ننصحهم أن لا ينتموا هذا الانتماء، ويمحوا من أنفسهم هذا اللقب (جماعة التبليغ)، وأقل ما في ذلك حب الشهرة والظهور، المسلم في عمله في الدعوة إلى الله والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينبغي أن يقف موقف الشهرة، يلقب نفسه بلقب جماعة تلقب نفسها بلقب؛ لتشتهر بهذا اللقب ولتعرف بهذا اللقب لماذا؟ بلغ ما تستطيع تبليغه إن كنت طالب علم بدون أن تنتمي إلى هذه الجماعة، ثم أثبتت التجربة أن كثيراً من شبابنا الذين ضاعوا تحت مظلة هذه الجماعة خرجوا تركوا طلب العلم، وتركوا كسب الحلال، فذهبوا يتجولون في العالم باسم التبليغ، فإذا سألت ماذا فعلت يقول: حضرت مع الأحباب، واستمعت إلى كلام الأحباب، الأحباب بلغوا ما عندهم، وأنت ماذا فعلت؟ هل مرافقتك للأحباب في التجول هو العبادة؟ مجرد هذا الخروج هو العبادة؟ هذا خطأ وتسمي ذلك في سبيل الله؟ لم تخرج لطلب العلم، لم تخرج للجهاد، لم تخرج للتعليم، وإنما خرجت لتساير الأحباب هذا خطأ، نصيحتي لشبابنا أن يبتعدوا من هذه الجماعة وأن يمحوا من أنفسهم هذا اللقب"[3].

---

(١) انظر: جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية تعريفها عقائدها تأليف: سيد طالب الرحمن.

(٢) وقد وردت بعض الأخبار التي تنبيء عن عدم سلامة التبليغيين في هذا البلد من وصمة التصوف بل ولجوء بعضهم إلى القبور والله أعلم.

(٣) إجابة على سؤال بعد شرح التدمرية الشريط (٢٥) و (أ).

وبذلك يتضح موقف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من الخروج معهم، وأنه لا يجوز الخروج معهم إلا لصاحب العلم الشرعي؛ ليبصرهم أمور دينهم، خصوصاً أن هذه الجماعة عرفت بالزهد بالعلم؛ لأنه يشغل عن الدعوة. وهذه دعوى باطلة ليس لها قرار إلا في قلوب من لم يذوقوا حلاوة العلم. وقد سبق بيان أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان شغوفاً بالدعوة إلى الله عز وجل بلسانه وبنانه، وذلك منذ وقت مبكر، فتجده داعية وفي نفس الوقت مشتغلاً بطلب العلم على مشايخه، ومحاضراته وشروحه ودروسه شاهدة ومحفزة على الدعوة إلى الله، وبذل كل ما يمكن لنشر دين الله تبارك وتعالى؛ وفق دعوة النبي ﷺ؛ ومع ذلك تجده كثيراً ما يرشد طلابه إلى الدعوة إلى الله بعد البصيرة في دينه؛ عملاً وتزكيةً لذلك التحصيل، كما أنه كثيراً ما يرشد إلى ضبط حماسة الدعوة بالشرع، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:"**سائل يسأل –شخص لعله حريص إن شاء الله على الدعوة الله– لكنه؛ أخطأ فيقول: لا بد من الدعوة ولو كان بدون علم؟!!** ثم علق على ذلك فقال:"**تصور خطير جداً!! تدعو إلى الله بدون علم!! إلى أي شيء تدعوا؟ إلام تدعوا؟** ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ **البصيرة العلم.**

أما خروج بعض الناس إلى البوادي إلى خارج البلاد إلى الهند إلى باكستان إلى إفريقيا بدعوى الدعوة إلى الله بغير علم يقول بعضهم:"يكفي أن ندخل الناس المساجد" طيب دخلوا المساجد فإذا دخلوا المساجد ماذا يفعلون؟ يدخلون ويجلسون فقط في المسجد فقط!!، هذا هو الإسلام؟!! لا يا أخا الإسلام تَعَلَّمْ أولاً؛ العلم قبل القول والعمل، تَعَلَّمْ ثم اعمل ثم ادعُ، وإذا كنتَ حريصاً هذا الحرص أبشرك بأن دعاة الحق لطلبة العلم يكفونك المئونة، اجلس تعلم، لا تستعجل طلاب العلم انتشروا في العالم يدعون إلى الله، والعلم انتشر والعقيدة انتشرت والدعوة انتشرت، وإن كانت بدأت تحارب اليوم في عقر دارها، هنا بأساليب ملتوية، وأما في الخارج فهي منتشرة والدعاة في الخارج يعتبرونكم ظهراً لهم فاعلموا هذه المكانة لأنفسكم.

وأيها الحريص على الدعوة لا يجوز لك أبداً أن تخرج إلى الناس فتدعوا بزعمك من دون علم، تفسد ولا تصلح لذلك من الواجب أن تتعلم ولا تشتغل

بالدعوة حتى تتعلم"[١]. وقال أيضاً مؤكداً ذلك:"**توجد في العصر الحديث جماعات تدعو إلى الله ولكنها في الغالب تتخبط على غير بصيرة، فالواجب على دعاة الحق أن يكونوا على بصيرة فاهمين ما يدعون إليه، ومتصورين له ومؤمنين به.** ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ **هاتان صفتان لأتباع محمد عليه الصلاة والسلام:**

١-القيام بواجب الدعوة.

٢- أن يكسبوا البصيرة قبل أن يشرعوا في الدعوة.

البصيرة هي العلم الذي مصدره الوحي والفقه الدقيق، الذي يستفيد منه الداعية الحكمة وحسن الأسلوب، وكسب القلوب والتحبب إلى الناس دون تملق ولا نفاق. والتحابب بين المسلمين عامة وبين الدعاة خاصة أمر ضروري لحياة الدعوة بل سبب لرضى الرب تعالى ودخول دار الكرامة (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم)[٢]"[٣].

وهذه بعض النماذج التي تدل على جهوده الكبيرة في هذا الجانب.

وبهذا يتم الكلام على هذا المبحث وبالله التوفيق.

---

(١) جواب على أسئلة محاضرة بعنوان: (منهج أهل السنة في الدعوة إلى الله).

(٢) روه مسلم (٩٣).

(٣) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـــ ٢٢١-٢٢٢.

المبحث الثالث
جهود الشيخ في الرد على منكري السنة

تمهيد

إن المتأمل في كتابات الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللهُ ومحاضراته وردوده يجد أن له جهوداً مشكورة في بيان أهمية السنة النبوية، والرد على المنكرين لها سواء المنكرين لها إنكاراً جزئياً أو إنكاراً مطلقاً، وقبل الولوج في ذلك يحسن بيان تعريف السنة في لغة العرب، وعند علماء الشريعة، وفق ما قرره الشيخ، قال رَحِمَهُ اللهُ:"**السنة في اللغة: هي الطريقة: سواء كانت محمودة أو سيئة، ويشهد لهذا المعنى، حديث جرير بن عبد الله البجلي:(من سنّ سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سنّ سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)[1]؛ ومعنى الحديث: أي من أتى بخصلة حسنة، فله أجرها وأجر من تأسى به وعمل مثل عمله؛ لأنه الفاتح لباب الخير، والدال عليه بعمله؛ وكذلك الحال بالنسبة للسيئة، لأن من أتى بخصلة سيئة، وتأسى به غيره، فعليه وزرها ووزر كل من تأسى به بعده، لأنه فاتح لباب الشر، وداعٍ إلى الشر بفعله ومبادرته. ويقول أهل اللغة: السنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة**"[2].

و"**السنة في لسان علماء الشريعة: يختلف علماء الشريعة في معنى السنة اختلافاً لفظياً لا جوهرياً: فيطلق علماء الأصول: لفظ السنة على أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأفعاله وتقريراته -وربما أطلقوها على أعمال الصحابة، كعمل أبي بكر وعثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في جمع القرآن، وعمل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تدوين الدواوين، ونحو ذلك، وهو مذهب جماعة من أهل الحديث.**

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٧٤، وانظر: الصفات الإلهية صـــ٢١-٢٣، لسان العرب ٢٢٥/١٣، القاموس المحيط صـــ١١١٣.

وقد يطلق الفقهاء: السنة على الطريق المسلوكة في الدين. في غير وجوب أو لزوم، ومن عباراتهم المعروفة في تعريف السنة: أن السنة ما يُثاب فاعله ولا يعاقب تاركه. ويطلق جمهور علماء الحديث: السنة على ما يقابل البدعة، فيقال: فلان على السنة، إذا كان عمله وتصرفاته الدينية، وفق ما جاء به رسول اللّه ﷺ، كما يقال: فلان على بدعة، إذا كان مخالفاً لهديه وسنته عليه الصلاة والسلام.

ومن إطلاقات السنة عندهم أيضاً: أنها قد تشمل صفاته الحميدة، وأخلاقه الكريمة، وسيرته العطرة، ويمكن أن يشهد لهم على هذا الإطلاق، قول أم المؤمنين خديجة-رضي الله عنها(كلا واللّه، لا يخزيك اللّه أبداً: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)[1]. وكذلك ما كان عليه الصلاة والسلام، معروفاً بين قومه، حتى قبل مبعثه من الصدق والأمانة؛ لأن كل ذلك يستفاد منه في إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام، ورسالته، وهي مرادفة للحديث، كما ترى بهذا الاعتبار"[2].

والسنة هي المصدر الثاني للتشريع، وهي وحي من رب العزة تبارك وتعالى؛ موضحة ومفسرة ومبينة لكتابه العزيز، فالسنة لها مكانة رفيعة، وقد اعتنى الشيخ رحمه الله بتوضيح تلك المكانة؛ فألف في ذلك رسالة مستقلة وسمها بـــ(منزلة السنة في التشريع الإسلامي) عرف فيها السنة، وبين أنها صنو القرآن وأنها الوحي الثاني، ثم عرض جملة من النقول عن الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم، في توضيح تلك المكانة، ثم قال:"**هكذا نتبين من هذا الاستعراض السريع لنصوص أهل العلم ومواقفهم في مختلف العصور، تلك النصوص التي يصعب إحصاؤها؛ نتبين أن الأمة مازالت، ولن تزال متفقة على أن السنة النبوية يجب أن يكون لها مقام معلوم في بيان الأحكام، وأنها حجة**

---

(١) رواه البخاري (٣).

(٢) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٧٥. وانظر: شرح الكوكب المنير ١٥٩/٢-١٦٦، فتح المغيث ٢١/١.

قائمة بنفسها، وأنه يجب الرجوع إليها، إذا ثبتت، ولا يجوز الحكم بالاجتهاد والرأي مع ثبوهما، وأنه قد ثبتت بها الأحكام، لو لم يرد بها الكتاب، هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنها بيان للقرآن، وتفسير له، ومفصّلة ما أجمل فيه، وهذه المعاني كلها محل إجماع عند من يعتد بأقوالهم، ولا نعلم أحداً خالف هذه القاعدة إلا الزنادقة وغلاة الرافضة الذين لا يتأثر الإجماع بمخالفتهم، بل لا يستشارون إن حضروا، ولا يُسأل عنهم إذا غابوا، لأنهم فارقوا جماعة المسلمين ونابذوهم، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، بمواقفهم العدائية لأصحاب رسول الله عليه الصلاة و السلام، ذلك الموقف الذي أدى إلى رد أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام – المصدر الثاني للتشريع الإسلامي– بدعوى أنها رواية قوم كافرين؛ ومن باب ذر الرماد في العيون– عيون السذّج طبعاً– قالوا: نحن نعمل بالقرآن، ونقتصر عليه، وهذا كلام لا ينطلي على أولى النُهى من طلاب العلم، وأهل الإيمان، واللّه الموفق"[١].

والمقصود من هذا المبحث هو بيان جهود الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في مقاومة وجهاد المعرضين عن السنة، والمنكرين لها، وهم في الحقيقة أقسام: منهم من رد السنة مطلقاً، وهؤلاء هم الروافض وما يسمون بالقرآنيين، ومنهم من رد السنة إنكاراً جزئياً وهؤلاء أقسام، يختلفون بحسب السبب الباعث لهم على الإنكار؛ فلذا وقعوا في التناقض والاضطراب، قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:**"وكل من يدعي الإيمان باللّه وبرسوله، ثم يتجرّأ فينكر سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو ينكر حجيتها، أو إفادتها العلم اليقيني، إنما يتناقض تناقضاً، ويضطرب في كلامه اضطراباً، ويتخبط في تصرفه تخبطاً..وسوف تنجلي الحقائق، يوم تبلى السرائر، والله المستعان"**[٢].

وفيما يلي من مطالب مزيد توضيح وبيان، والله المستعان:

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٨٥.

(٢) المصدر السابق صـــ ١٧٣.

المطلب الأول: جهوده في الرد على من رد السنة مطلقاً:

قال الشيخ رحمه الله:"**على الرغم من تلك الأدلة التي تصرخ بأعلى صوتها، وعلى الرغم من إجماع الأمة الإسلامية على أن السنة صنو الكتاب، وأن السنة هي الحكمة المذكورة في القرآن في غير ما آية، وأنها من وحي الله، وأن ديننا يؤخذ من الكتاب والسنة معاً لا من كتاب وحده، وعلى الرغم مما هو معروف من أن الدين الإسلامي مستمد من الكتاب والسنة معاً عقيدة وأحكاماً، على الرغم من كل ذلك لم تسلم السنة من هجم جهله المتفقهة، وعداء غلاة الرافضة والزنادقة، وأقلام بعض المتهورين المتطرفين**"(١). وخلاصة رأي هؤلاء هو استبعاد نصوص الوحيين، وكان تجرؤهم على السنة أصرح وأوضح، ولذلك يسميهم البعض (القرآنيون) قال الشيخ رحمه الله:"**(القرآنيون) أي العاملون بالقرآن، المستغنون به عن السنة، هذا تفسير كلمة (القرآنيون) حسب رغبتهم، ولكن التفسير المطابق لواقعهم، أنهم المخالفون للقرآن، المتبعون للهوى، وهذا أشبه بإطلاق كلمة (القدرية) على نفاة القدر؛ لأنهم في الواقع مخالفون للقرآن، خارجون عليه، كما خرجوا على السنة؛ لأن القرآن يدعوا الناس إلى الأخذ بالسنة إيجاباً وسلباً، إذ يقول الله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ ، ولا يتم الإيمان بالقرآن، إلا بالإيمان الصادق بمن أنزل عليه القرآن، والإيمان به إنما يعني تصديقه في أخباره، واتباع أمره ونهيه**"(٢).

وتعتبر الروافض من أوائل من رد السنة مطلقاً؛ لأن دينهم مبني على تكفير حملة السنة ونقلتها، قال الشيخ رحمه الله:"**وأما هؤلاء القرآنيون الجدد فليس لهم سلف فيما ذهبوا إليه إلا غلاة الرافضة والزنادقة الذين في قلوبهم مرض كراهة أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عن أصحاب رسوله.**

---

(١) انظر : الصفات الإلهية صـــ ٦١، ومترلة السنة ضمن المجموع صـــ ١٩٣.

(٢) مترلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٩٣-١٩٤ وانظر: الصفات الإلهية صـــ٦١-٦٢.

وهؤلاء الروافض مرضى القلوب زعموا –وبئس ما زعموا– وجوب الاكتفاء بالقرآن والاستغناء عن السنة مطلقاً في أصول الدين وفروعه؛ لأن الأحاديث في زعمهم رواية قوم كفار حيث كانوا يعتقدون أن النبوة إنما كانت لعلي بن أبي طالب ﷺ وأن جبريل أخطأ فنـــزل بها إلى محمد ﷺ بدل أن ينـــزل بها إلى علي ﷺ[1]، وهذا الزعم الفاسد والمقولة الجريئة هي أساس شبهة الروافض في رد الأحاديث النبوية، وهي شبهة مختلقة كما ترى.

ومن لوازم رأيهم الفاسد هذا أن أمر الوحي مضطرب، فلا يصدر من لدن عليم حكيم، الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، بل يتصرف فيه ملك الوحي كما يشاء ويختار، ينـــزل بالوحي على من يشاء ويعدل عمن يشاء بالوحي، كما يفهم من قول هؤلاء الروافض أن ملك الوحي نفسه غير معصوم أو غير أمين على الوحي وعلى أداء أمانة الرسالة، إذاً فما مدى إيمان الروافض بالله أولاً، ثم بالملائكة والنبيين عامة، وبخاتم النبيين خاصة، وبالكتاب الذي نزل عليه؟!"[2].

هذا...وإذا كانت شبهة الروافض والزنادقة في رد أحاديث الرسول ﷺ زاعمين الاكتفاء بالقرآن ما تقدم ذكره من موقفهم العدائي من الصحابة فما حجة القرآنيين الجدد؟ فليس لهم شبهة تذكر إلا ما كان من حب الظهور، ولو على حساب الكفر برسول الله، أو مجرد التقليد الأعمى، أو ما كان من عداء كامن للإسلام لم يمكن إظهاره إلا في هذه الصورة، ومهما يكن من أمرهم فإن القرآنيين الجدد أصل مذهبهم راجع إلى ما كان عليه غلاة الروافض. وقد عرفت شبهتهم فبئس التابع والمتبوع أو المُقَلِّد والمُقَلَّد"[3].

---

(١) سبق أن هذا الراي الفاسد قول الغرابية من الروافض، انظر: صـــ ٦٩٩.

(٢) الصفات الإلهية صـــ ٦٣.

(٣) المصدر السابق صـــ ٦٩-٧٠.

وقد أكد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في غير ما موضع أن دعوى الروافض ومن شاههم؛ -الاستغناء عن السنة- دعوة للاستغناء عن الدين، والله حافظ دينه، ومعلٍ كلمته، ولو كره الكافرون، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:"**ودعوى الاستغناء عن السنة هي في واقعها محاولة للاستغناء عن الإسلام، بأسلوب ملتوٍ، غير صريح، ويؤكد هذا ما سبق أن ذكرنا من أن أصل هذه المحاولة من الزنادقة، وغلاة الرافضة، الذين صرحوا بتكفير الصحابة، الذين هم سند هذا الدين، والذين نطق بهم القرآن وأثنى عليهم، من المهاجرين والأنصار؛ وتكفير هؤلاء السادة، إنما يعني تكذيب الله سبحانه في إخباره أنه رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأنهم اتبعوا رسوله، النبي الأمي في ساعة العسرة. كما يتضمن تكذيب خبر الرسول عليه الصلاة والسلام في ثنائه عليهم، وشهادته لمجموعة كبير منهم أنهم من أهل الجنة، ومن تجرأ على مثل هذا التصرف، ووصل إلى هذه الدرجة، فعليه أن يراجع الإسلام من جديد، لأنه قطع علاقته بالإسلام بهذا التصرف، الذي يعتبر ردة عن الإسلام، والله المستعان.**

وقد حاول هؤلاء الزنادقة، إزالة السنة من الوجود، والقضاء عليها لو استطاعوا، أن يجعلوا وجودها وجوداً شكلياً فاقداً للقيمة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينالوا منها شيئاً، وانقلبوا خاسرين ومهزومين، مثلهم كمثل الذي يحاول قلع جبلِ أُحُد مثلاً، فيحوم حوله، وفي سفحه، وينقل من أحجاره حجراً حجراً، ظناً منه أنه بصنيعه هذا يستطيع قلع الجبل وإزالته من مكانه، أو كالذي يغترف من البحر اغترافاً بيده أو بدلوه، محاولاً بذلك أن ينفد البحر أو ينقص؛ وما من شك أن هذا المسكين سوف تنتهي أوقاته ويحل أجله المحدود، والجبل جبل، والبحر بحر بل يبقى البحر ثابتاً في مكانه، يغوصه الغواصون من رجال هذا الشأن، ليخرجوا للناس اللآلئ والدرر من المسائل العلمية النافعة، كما يبقى الجبل ثابتاً وشامخاً، يصعده أصحاب الخبرة، ويترددون بين شعابه، ليعثروا على ما قد يخفى على غيرهم بين تلك الشعاب المتنوعة،

التي لا يسلكها إلا الخواص، ليخرجوا بالمسائل الدقيقة، التي لا يفطن لها غيرهم – إذ لكل ميدان رجال. هذه نهاية محاولة الرافضة ومن يشابههم ويسير في ركابهم"[1].

شبهة والرد عليها:

وقد أورد الشيخ رحمه الله شبهة بعض أولئك الزنادقة وكشف زيفها، فقال رحمه الله:**"وقد أراد المنكرون لأخبار الرسول عليه الصلاة والسلام، بناءً على القاعدة الكفرية السابقة، أن يجدوا ما يتعلقون به أمام خصومهم من أهل السنة، وذهبوا يبحثون عن الأخبار والأحاديث التي تؤيد ما ذهبوا إليه، من قريب أو بعيد، وفي أثناء بحثهم، عثروا على كلام باطل بطلان مذهبهم ونصّه هكذا: (ما جاءكم عني فاعرضوه على الكتاب فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فأني لم أقله). وطاروا به فرحاً، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينفلتوا بحديثهم هذا من أيدي حراس السنة ولم تنم عنهم تلكم العيون الساهرة، حفظاً على السنة، بل عثروا على حديثهم ذاك، فأعلنوا أنه من أباطيلهم ودسائسهم، حتى عرفه الناس، فسجلوه في كتبهم، وأجروا له عمليتهم الخاصة، وفندوه وجرحوه، وعرّوه، حتى انكشف حاله، فلله الحمد والمنة.**

قال السيوطي في رسالته اللطيفة (مفتاح الجنة): ثم قال البيهقي:"باب بيان بطلان ما يحتج به بعض من رد السنة، من الأخبار التي رواها بعض الضعفاء، في عرض السنة على القرآن – قال الشافعي – رحمه الله : احتج عليّ بعض من ردّ الأخبار، بما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:(ما جاءكم عني فاعرضوه على الكتاب، فما وافقه فأنا قلته، وما خالفه فأنا لم أقله) فقلت له: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء. قال البيهقي:أشار الإمام الشافعي إلى ما رواه خالد بن أبي كريمة، عن أبي جعفر عن النبي عليه الصلاة والسلام، أنه عاد اليهود فسألهم، فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام، فصعد النبي المنبر، فخطب الناس:فقال:(إن الحديث،

---

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـ١٩٤-١٩٥، وانظر: الصفات الإلهية صـ ٦٤.

سيفشوا عني، فما أتاكم يوافق القرآن فهو عني، وما أتاكم يخالف القرآن فليس عني) قال البيهقي: خالد مجهول، وأبو جعفر ليس بصحابي، فالحديث منقطع؛ وقال الشافعي: ليس يخالف الحديث القرآن، ولكن حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام يبين معنى ما أراد خاصاً أو عاماً، وناسخاً ومنسوخاً، ثم يلتزم الناس ما سن بفرض الله، ممن قيل عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فعن الله قبل، ثم ذكر السيوطي بقية كلام البيهقي حول الحديث[1]، والله أعلم"[2].

وهذا الحديث باطل سنداً ومتناً، قال عبد الرحمن بن مهدي:(الزنادقة والخوارج[3] وضعوا ذلك الحديث)[4]، وقال السخاوي رحمه الله:"سئل شيخنا –يعني ابن حجر- عن هذا الحديث فقال: إنه جاء من طرق لا تخلو من مقال"[5]، ونكارة متنه كافية في رده، فقد قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله:"وهذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه. وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم فقالوا: نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك، قالوا: فلما عرضناه على كتاب الله عز وجل وجدناه مخالفاً لكتاب الله؛ لأنا لم نجد في كتاب الله ألا نقبل من حديث رسول الله ﷺ إلا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به، والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال"[6].

---

(١) انظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة صـــ٢١ فما بعدها.

(٢) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٩٥-١٩٦.

(٣) لعله عبر بالخوارج عن أهل البدع الخارجين عن الدين، ولم يرد خصوص هذه الطائفة؛ فالخوارج لم يكن لهم أثر في وضع الحديث، والله أعلم.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ٣٣٠/٢.

(٥) المقاصد الحسنة صـــ٣٧.

(٦) جامع بيان العلم وفضله صـــ ٣٣٠/٢، وانظر:الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٧٩/٢.

المطلب الثاني: جهوده في توضيح أثر الاستعمار في الإعراض عن السنة:

ومما يجدر التنبيه عليه هو أن الاستعمار الغربي كان له الدور البارز في العصر الحاضر في الإعراض عن الدين عموماً وعن السنة خصوصاً؛ فإنه لم يكتف بسيطرته على بلاد المسلمين وخيراتهم، حتى حاول السيطرة على عقولهم ومعتقداتهم؛ فقام بإحياء ما اندثر من البدع والآراء المنحرفة، ومن ذلك الدعوة إلى رفض السنة والاكتفاء بالقرآن- والمقصود رد الدين كله- ، وكل ذلك عن طريق جهلة المسلمين؛ بأساليب كثيرة تعرض الشيخ رحمه الله لجملة منها حيث قال:"**إن الاستعمار الغربي الذي سيطر على كثير من البلدان الإسلامية لم يكن مخططه أن يستغل خيرات البلاد، ويستعبد سكانها فحسب- كما يظن البعض- بل كان من أهم مخططاتهم محاربة الإسلام، وتجهيل المسلمين بدينهم على حقيقته بجميع الوسائل الممكنة له الظاهرة والخفية. بل إنه استطاع أن يخلف من يرث عادات المستعمرين وتقاليدهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.**

الوسائل التي استعملها الاستعمار في محاربة المسلمين:

١- نشر الثقافة الغربية على نطاق واسع مع السعي في التخفيف من الثقافة العربية الإسلامية أو القضاء عليها إن أمكن ولو مع طول الزمن.

٢- تشجيع مدارس التبشير المسيحي وتدوين مناهجها لكي ينصرف أبناء المسلمين إليها تاركين مدارسهم الإسلامية وقد نجح في ذلك كله.

٣- تشجيع الطوائف المنحرفة التي تعمل باسم الإسلام في ميدان الدعوة كالقاديانية[١]وبعض الطوائف الصوفية؛ ليتمكن من ضرب الإسلام ودعوته من الداخل بأيد تنتمي إليه، تلهج بذكره، وهذا أخطر سلاح استعمله الاستعمار ضد الإسلام ودعوته.

---

(١) سبق الكلام عن هذه الفرقة انظر: صـــ ٧٣٣-٧٣٤.

٤- اعتبار اللغة الإنجليزية لغة رسمية في كثير من البلدان العربية والإسلامية، مما جعل شبابنا يقبلون تعلم هذه اللغة في الوقت الذي يجهلون فيه لغتهم الأصلية، بل استطاع الاستعمار أن يحمل شبابنا السذج على كراهة الإسلام وأهله بدعوة أنه دين تعصب ودين تأخر، وانطلى هذا الكلام على شبابنا؛ لجهلهم حقيقته، فضلوا!! فوقف الاستعمار، والمؤمنون به حجر عثرة في سبيل الدعوة الإسلامية، وأخيراً: غادر المستعمرون بلادنا وديارنا بعد أن تركوا على تركتهم ورثة مخلصين؛ ليحافظوا على تركتهم؛ ولأنهم يتمكنوا من العمل في صالحهم أكثر مما يتمكنون هم أنفسهم. وهذا يعني أن الاستعمار لم يخرج حتى الآن من بعض البلاد الإسلامية. ولا أدل على ما قلت من أن اللغة الإنجليزية لا تزال رسمية في بعض تلك البلاد والذين يستعملونها هم من المسلمين رسمياً، ولهم لغتهم وثقافتهم وما ذاك إلا لأنهم ورثة مخلصون يقدرون لغة المورث كما يقدرونه. وهؤلاء الورثة أشد عداوة لدعاة الإسلام ودعوتهم. والله المستعان"[١].

والمقصود أن هذا الاستعمار خلف أناس ينتسبون إلى الإسلام، وينادون برد السنة والاقتصار على القرآن، ومن أولئك القاديانية[٢]، قال الشيخ رحمه الله:"**الحديث عن القاديانية يذكرنا بالمشكلة الأم؛ ألا وهي الاستعمار الغربي؛ لأن القاديانية بل وجميع الطوائف المنحرفة التي تكيد للإسلام والمسلمين باسم الإسلام أغلبها من منتجات الاستعمار أو أصدقاء الاستعمار -بل إن بعض الطوائف الصوفية كان لها علاقة قوية وودية مع الاستعمار أيام كان الاستعمار يفسد في هذه المناطق الإسلامية كالمرغنية وفروعها، عرف الناس ذلك أم جهلوا إلا الخواص"[٣].**

---

(١) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة لحسين بخش صـ١٩-وما بعدها.

(٣) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـ٢٢٩.

والاستعمار لم يكتف بغرس بذوره في القارة الهندية فحسب بل حيثما حل، وقد تأثر بأفكارهم أفراد ممن ينتسبون إلى العلم، ومختلفون في ذلك التأثر بين مقلٍ ومستكثر؛ ومن ذلك أتباع المدرسة الإصلاحية العقلية في مصر(١)، وأفراد من السودان كالملحد محمود محمد طه(٢) الذي أسس الحزب الجمهوري في السودان(٣)، الذي زعم سقوط جميع التكاليف، والمتأثر بكتب الباطنية الصوفية، وقد رد عليه الشيخ رداً وافياً في محاضرة نفيسة قال الشيخ رحمه الله:"**ربما قرأ بعضكم محاضرة بعنوان:(المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية) محاضرة قديمة كتبتها، لعلها أول محاضرة، للرد على محمود محمد طه السوداني الذي هلك، الذي كان يتخبط أحياناً يدعي النبوة وأحياناً يدعي الربوبية، أنشأ له جماعة يسمون الجمهوريون..**"(٤).

---

(١) فقد نشرت مجلة المنار التي يشرف عليها الأستاذ محمد رشيد رضا سلسلة من المقالات بعنوان: (الإسلام هو القرآن وحده) بقلم الدكتور توفيق صدقي، وقد أيد رشيد رضا هذه المقالات، فقسم السنة إلى دين عام –السنة العملية– يجب قبوله، ودين خاص –وهو ما عدا ذلك– لسنا ملزمين بالأخذ به. ويذكر أن رشيد رضا رجع عن ذلك في آخر حياته، والله أعلم. انظر: دراسات في الحديث النبوي للأعظمي ٢٦/١-٢٧، وتدوين السنة للزهراني صـــ٥٩.

(٢) وقد سبق الكلام عن هذا الرجل صـــ ٧٢٥.

(٣) وهوحزب منحرف عن الإسلام عمد مؤسسه إلى إفراغ المصطلحات الإسلامية من مدلولاتها الشرعية، ووظف حياته لهدم الإسلام وتحريف أصوله، وسلك طريقاً ينأى بأتباعه عن الدين الصحيح بتلبيس الحق بالباطل، مستفيداً من أفكاره ومستعيناً بمصادر أخرى غير إسلامية من الفلسفات الإغريقية، وتابع غلاة الصوفية في المناداة بوحدة الوجود، وألبسها طابعاً علميًّا؛ لتجد سبيلها إلى نفوس الشباب وبعض المنبهرين ببريق العلم، وانتهى أمره بأن غالى فيه أتباعه واعتقدوه المسيح المنتظر، وأقرهم على ذلك ولم يعترض عليه. ولقد أراح الله المجتمع السوداني من شروره بعد أن استفحل أمره وأنقذ بإعدامه آلاف الشباب الأغرار وأنصاف المثقفين من فتنته. انظر: الموسوعة الميسرة ٤٢١/١-٤٢٦.

(٤) إجابة على سؤال عن حديث الصورة بعد درس (شروط لا إله إلا الله) الشريط (١) و (ب).

ومن المعاصرين الأحياء الذين يسيرون في ركب الدعوة إلى المنهج العقلي الاعتزالي في تطوير العقيدة والشريعة وتجديدها، ونبذ السنة لمخالفتها عقولهم، حسن الترابي مؤسس الجبهة القومية بالسودان[1]، فقد رد عليه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في مواطن عديدة[2].

وأنبه إلى أن المعرضين عن السنة الذين تولى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الرد عليهم، منهم من قصده رد الدين كله، وهؤلاء من لا يُتردد في تكفيرهم، ومنهم من انطلت عليهم بعض أفكار الملاحدة كبعض أصحاب المدرسة العقلية، فيجب التحذير مما وقعوا فيه من ضلال؛ خشية التأثر بهم.

---

(١) وهي: حركة إسلامية انبثقت من حركة الإخوان المسلمين، واستقطبت بعض القوى الإسلامية في السودان لتكوين جبهة واحدة ضد الأحزاب الأخرى، ثم بدأت تنحو منحاً بعيداً نسبيًّا عن منهج الإخوان المسلمين. انظر: الموسوعة الميسرة ١/٢٣١-٢٣٥.

(٢) راجع: محاضرة بعنوان: (ويأتيك بالأخبار ما لم تزود).

المطلب الثالث: جهوده في الرد على المنكرين للسنة إنكاراً جزئياً:

ومن صور الإعراض عن السنة؛ تحكيم العقول وتقديمها عليها، وقد سبق أن هذا مسلك الفلاسفة والمتكلمين ومن تبعهم من مقلدة المذاهب؛ وقد أنتج هذا المسلك صورة أخرى من صور الإعراض عن السنة وهو: رد أخبار الآحاد، وغير ذلك من الصور التي انتحلها أهل الأهواء، وفيما يلي عرضها وفق ما ورد عن الشيخ رحمه الله.

الإعراض عن السنة تقديساً وتقليداً لآراء الرجال:

لقد وصل الحال ببعض الجهلة المتفقهة إلى جعل الانتصار للمذهب هو الغاية، وحمل الناس على مذهبهم هو الهدف؛ ليضيفوا القدسية إلى أقوال رجالهم وأئمتهم، وقد وصل حال الفقه عندهم كما وصف الشيخ بقوله:"**وأما مادة الفقه فهي عبارة عن آراء بعيدة وخالية عن الأدلة، بل هي مسائل فرضية لا صلة لها بالواقع، أو استحسانات شخصية لا طعم لها ولا لون، وكل طالب يدرس آراء تنتمي إلى مذهب معين، محاولاً أن يثبت أن آراء وقياس مذهبه أفضل من آراء وقياس مذاهب الآخرين، ولا يمرن الطالب على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة على أنهما مصدران للتشريع الإسلامي، وعلى الرغم من ذلك يتخرج عالما من علماء المسلمين وداعية إلى الله تعالى!! وفي الواقع أن انحراف المنهج التعليمي ليس وليد العصر الحديث بل راجع إلى القرون التي خلت**"(1).

والمقصود كما قال الشيخ: أن"**تقديس الآراء أدى إلى الإعراض عن السنة، وإذا كان الحامل للرافضة، والمخدوعين بهم على ذلك الموقف العدائي، هو ما تكتنفه نفوسهم الخبيثة من الأحقاد على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، والظن السيئ برسول الله عليه الصلاة والسلام، وعدم الإيمان به، الإيمان الصادق واعتقادهم**

(1) مشاكل الدعوة والدعاة ضمن المجموع صـ٢٢٦.

في الملائكة عدم العصمة، وأخيراً عدم تقديرهم لرب العالمين حق قدره، إذ كان الحامل لهم هو هذه المعاني – فيا ترى ما الذي حمل بعض المتفقهة على هذا الجفاء والإعراض عن السنة، والوقوف منها موقف المستغني عنها؟!! الجواب: الذي يبدو لي أن الذي حمل القوم على ذلك هو الغلو في تقديس آراء الرجال، واعتبارها ديناً يدان به لرب العالمين، وقد أدى بهم هذا الغلو إلى إساءة الظن بنصوص الكتاب والسنة، فزعموا أنها إنما تقرأ وتسمع لأجل التبرك بألفاظها فقط، لا للاهتداء بها بتطبيق الأحكام التي اشتملت عليها !! صحيح أنها نصوص مباركة حقاً، فكتاب الله كتاب مبارك: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ . وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، مباركة أيضاً، وإذا ما تعلم المسلمون كتاب ربهم وسنة نبيهم، وعملوا بهما، محللين حلالهما، محرمين حرامهما، ومطبقين أحكامهما على حياتهم العامة والخاصة حصلت لهم بركة لا يتوقعونها، وقد حصلت لسلفهم يوم كانوا مؤمنين بهما حق الإيمان، أجل لو فَعَل المسلمون اليوم ذلك، لتغيرت حياتهم الجاهلية هذه، إلى حياة إسلامية مباركة، حياة الأمن والرفاهية، حياة الرحمة، يتمتعون فيها بالهيبة والمنعة والكرامة، يستردون فيها كل ما سلبوا من حقوقهم، المادية والمعنوية وتعود إليهم وحدة الصف، وينالون فيها النصر والغلبة، هذه هي البركة التي تتوقع من الإيمان بالكتاب والسنة، أما البركة التي معناها حصول الرزق الواسع للمنزل الذي يقرأ فيه القرآن الكريم، وصحيح البخاري، وأن ذلك المنزل سوف يسلم من الحريق، وتسلط العدو، ومفاجآت الثعابين وغير ذلك من حوادث الأيام، فنقول لهم: إن القرآن لم ينزل لهذا الغرض، ولا السنة أوحت إلى النبي بهذا الغرض، وعلى رسلكم – أيها القوم – !! وفي زعم هؤلاء (البركيِّين) : إن النصوص معزولة عن حياة المسلمين العامة والخاصة، وأن مصادر الأحكام هي آراء الرجال، وإليها المرجع، فعلى أهل كل مذهب أن يراجعوا آراء علماء مذهبهم، وإذا أرادوا معرفة حكم ما، وأن الدين كله هو ما في الكتب، التي هي عبارة عن (مجمع) آراء الرجال واجتهاداتهم واستحساناتهم وأقيستهم، وقد تقرأ بعض تلك الكتب، التي قد يعتبرها بعضهم (موسوعة علمية) من ألفها إلى يائها، ولا

تكاد تمر بحديث واحد أو آية واحدة يستشهد بها المؤلف على حكم من الأحكام. قد يتهمني البعض بالمبالغة، إذا قلت إن هذا التعصب للمذاهب، هو الذي حال بين كثير من المسلمين وبين فهم السنة، كما يجب، وهو من أسباب تفرق المسلمين وتشتتهم، وبالتالي فهو من أسباب تخلف المسلمين، وتسلط أعدائهم عليهم، لأنهم خالفوا كتاب ربهم، الذي هو عزهم، وهو يناديهم بقوله: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ حتى أصبحت الأمة الواحدة، كأصحاب ملل مختلفة، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد صار لهذا التفرق الديني – إن صحّ التعبير– أثره السيئ في حياة الأمة الاجتماعية والسياسية، وإن ما تعيشه أمتنا – اليوم – من هذا التشتت الذي لم يسبق له مثيل، ومن التخاذل أمام أعدائهم، والهزائم المتلاحقة، والعجز عن إيجاد وحدة إسلامية، تجمع شتات هذه الأمة، كل ذلك من شؤم التعصب المذموم، الممزق للأمة، والله المستعان. وقد تحدث غير واحد من أئمة المسلمين، عن أضرار التعصب المذهبي، وأعراض كثير من الناس بسببه، عن الكتاب والسنة، والاستغناء عنهما بالآراء"[(١)].

ومن أولئك المقدسين لآراء الرجال من سلك مسلكاً آخر في الإعراض عن السنة؛ حيث وصل الحال ببعضهم إلى طرق باب الوضع في الحديث؛ للوصول إلى مآربهم: إما في فضل أئمتهم وثلب مخالفيهم، أو في وضع ما يؤيد آراء أئمتهم، فإلى الله المشتكى.

والمقصود أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كانت له جهود مباركة في التحذير من التقليد والمقلدة، وما أجمل قوله: "**التقليد شر يعمي الإنسان، والمقلد ليس له تفكير، ليس عنده عقل، ولكن يتبع عقل وفهم غيره**"[(٢)]، وقال أيضاً:"**سوق التقليد سوق الخسارة، من دخل سوق التقليد خسر، فلا ينبغي أن يبقى الإنسان في سوق التقليد خصوصاً في باب الاعتقاد؛ لأنه بابٌ توقيفي يؤخذ من كتاب الله ومن سنة رسوله عليه الصلاة**

(١) منزلة السنة في التشريع ضمن المجموع صـــ ١٩٧-١٩٨

(٢) التعليق على شرح الواسطية الشريط (١٧) و (أ).

والسلام"(١). والمتأمل في محاضرات الشيخ وشروحه يجد أن الشيخ يحاول ترسيخ اعتماد الدليل ونبذ التقليد في نفوس مستمعيه، وكثيراً ما يحذرهم من تقليد أخطاء المشايخ، بل وعدم التعصب لأحد كائناً من كان(٢).

وقد رد الشيخ رحمه الله على الشطي الذي زعم أن التقليد سنة قديمة ومعروفة لدى القرون الثلاثة المفضلة، فقال:"**هذه النقطة من النقاط الكثيرة التي لم يوفق فيها أخونا الشطي. عفا الله عنه. فننصح الأخ الشطي أن يدرس حياة الأئمة الأربعة وما نصحوا به تلامذتهم وأصحابهم، ليجد أنهم كلهم نصحوا أصحابهم وتلامذتهم بعدم التقليد، وأن يأخذوا من حيث أخذوا وأنهم بشر لا يوحي إليهم (يقولون اليوم قولا ثم يرجعون عنه غدا)، وأن الواجب إتباع هدي رسول اللّه عليه الصلاة والسلام، وأي طالب علم اطلع على قول إمامٍ من الأئمة، وعرف أنه مخالف لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام، فالواجب عليه أن يترك قول ذلك الإمام لقول رسول عليه الصلاة والسلام.**

هذا ما كان عليه سلف هذه الأمة والقرون والمفضلة. ولا يعرفون للتعصب المذهبي معنى أبدا ولم يدر بخلدهم. ولا يرون أحدا يجب إتباعه والتأسي به غير رسول الله عليه الصلاة والسلام.

والغريب من أمر الشطي أنه تناقض في هذه النقطة، إذ سمعته غير مرة في محاضرته وهو يقول لا يرى التعصب المذهبي ولا يدعو إليه، والتناقض صفة لازمة لكل من يخطب على غير منبره أو يمد يده إلى مائدة لا تنالها يده القصيرة، وكان الواجب على الشطي إذا أراد أن يتحدث عن مثل هذه النقاط أن يرجع إلى الذين درسوا الإسلام بتوسع على أساس {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}، ومنهم

(١) شرح التدمرية الشريط (١٠) و (ب).

(٢) راجع: التعليق على شرح الطحاوية الشريط (١١) و (أ).

أولئك النخبة من خريجي كلية الشريعة وكلية الدعوة وأصول الدين، وقد نفع الله بهم البلاد والعباد في جملتهم ولو لم يرض عنهم الشطي، بل يسخر منهم.

ومن التناقض الذي وقع فيه الأخ الشطي أن موضوع محاضرته (ذم التفرق والتطرف)، فإذا هو يدعو إلى أسباب التفرق فيقع هو نفسه في التطرف...

ومما يجدر التنبيه عليه هنا أن الأخ الشطي ليس وحيد دهره أو فريد عصره في دعوته إلى التقليد، بل له سلف في دعوته هذه بشكل أفظع، إذ يدعي بعض المتأخرين من المؤلفين أن تقليد أحد الأئمة الأربعة واجب وجوبا في الوقت الذي لا يجوز تقليد غيرهم من الأئمة، حيث يقول صاحب (جوهرة التوحيد):

فواجب تقليـــد حبر منهم ... كـــذا حكى القـــول بلفظ يفهم

هذا ما قاله الناظم، وأما ما قاله الشارح– وهو إبراهيم البيجوري الشافعي– فهو أسوأ مما قاله الناظم، إذ زاد الطين بلة وأبعد النجعة وركب الصعب وقال شططا، وأعلن بذلك كله عن سوء تصوره لمسألة التقليد، حيث زعم أنه لا يجوز تقليد غير الأربعة ولو كان من أكابر الصحابة، هكذا بالحرف الواحد. وهذا الكلام لو حلل تحليلا لا تجد له طعماً ولا ريحاً، وهو كلام مرفوض شرعا وغير مستساغ عقلا"[1].

والمقصود من ذلك كله محاربته رحمه الله للتقليد، ومن نصائحه النفيسة في هذا الباب المشتملة على طريف مواقفه، ما ذكره رحمه الله في توجيهاته لطلابه، حيث قال:"**الفقه في الدين لا يأتي إلا بدراسة الكتاب والسنة، لا بآراء الرجال، آراء الرجال تُعرض على الكتاب والسنة، ما وافق يؤخذ وما خالف يرمى، على حد كلام الإمام الشافعي رحمه الله (إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا خالف قولي قول رسول عليه الصلاة والسلام فاضربوا بقولي عرض الحائط)، الأئمة الأربعة أعلنوا ودعوا الناس ونصحوا الناس ألا يقلدوهم، والإمام أبو حنيفة الذي ينتسب إليه أصحاب هذه الأقوال التي سمعتموها يقول:(حرام على أحد أن يقلدنا، لأننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه**

---

(١) الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن المجموع صـــ٣٥٤-٣٥٥.

غداً). الإمام أبو حنيفة يحرّم التقليد وأتباعه أشد الناس تقليداً وتعصباً، أكثر من جميع المذاهب –هذا من التجربة، نحن نعيش معهم جميعا– عندما كنت أدرّس الفقه في كلية الشريعة في كتاب "بداية المجتهد" لابن رشد، الكتاب يناقش المذاهب كلها، والمنهج ينص على المدرس أن يرجح المذهب الراجح بالدليل أمام الطلاب، كنت أعاني صعوبة ليس بعدها صعوبة، إذا وقع الترجيح اليوم على مذهب فيه مذهب أبي حنيفة فرح الهنود والباكستانيون جميعاً، فرحاً شديداً يخرجون معي من الفصل وهم فرحون، اليوم الذي يقع الترجيح عند غيرهم غضبوا غضباً شديداً، هذا الذي وقع، تعبت معهم تعباً ليس بعده تعب، لذلك أنا أعرف الناس بالمتعصبين على اختلاف مذاهبهم، عشت معهم كثيراً.

نصيحتي لشبابنا ألا يصغوا إلى مثل هذا الكلام الرخيص، الفقه الدقيق الفقه الصحيح أن تتفقه على الكتاب والسنة، وليس معنى ذلك ألا تدرس المذاهب لا، أتمنى لو تمكنت من دراسة الزاد عند الحنابلة ، وتدرس القدوري عند الحنفية، وتدرس الرسالة أو مختصر خليل عند المالكية، أو تدرس المنهاج أو على الأقل الزبد عند الشافعية، لو تمكنت من دراسة هذه الكتب ثم تعرض دراستك هذه على السنة، لكنت فقيها بالمفهوم الصحيح لأنك تعرض الآراء على الأساس، على الأصل، الذي عنده وقت ومازال يتمتع بنعمة الشباب ونعمة الفراغ عليه أن يسلك هذا المسلك، أدرسوا فقه المذاهب كلها مع دراسة السنة، هذا هو الفقه الصحيح، لأن الميزان بيدك، تزن هذه الآراء كلها على السنة ، هذا هو الفقه الصحيح الذي ينبغي أن يسمى الدقيق العميق".

الإعراض عن السنة برد بعضها بحجة أنه آحاد:

لم يكن هناك خلاف بين أحد من السلف في القرون الثلاثة المفضلة في وجوب العمل بالسنة دون تفريق بين ما سمي فيما بعد بخبر الآحاد وما سمي بالمتواتر، ولا ما يسمى بأصول الدين وفروعه، وكلها تقسيمات محدثة، قال الشيخ رحمه الله:"**فإذا كان كتاب الله محفوظاً –كما علم– وإذا كانت سنة نبيه محفوظة أيضاً –كما شرحنا، ثم عرفنا موقف خير هذه الأمة– وهم الصحابة والتابعون من نصوص الكتاب والسنة، حيث لا يعمدون إلى غيرها للاستدلال، ولا يلتمسون الهدى فيما سواها. ونحن على يقين أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وأولها إنما صلح بالتمسك الصادق لهدي الكتاب والسنة عقيدة وشريعة كما نحن على يقين ثابت أنه لا يصبح اليوم ديناً ما لم يكن ديناً أمس، فإذا كان ذلك كذلك فقد وجبت حجية كتاب الله، وحجية سنة المصطفى ﷺ بما لا يترك مجالاً للشك والتردد، وأن تلك الحجية ثابتة في الأحكام والعقيدة على حد سواء، إذ لا يوجد مبرر أو مصور للتفريق بين الأحكام والعقيدة حتى تصبح للعقيدة فئات خاصة من الأدلة غير الفئات التي يستدل بها في إثبات الأحكام، وتتخصص العقيدة في الأدلة العقلية ولا حظ لها في الأدلة النقلية إلا ما كان من باب الاتفاق أو الاستئناس لها.**

وفي اعتقادي الجازم أن هذا التصرف من مبتدعات العصر العباسي وما بعده، وهو من منتجات مدرسة (علم الكلام) الذي لا يتجاوز تاريخ ميلاده العهد العباسي، ويذكرني هذا التصرف ما كان يقوله عبد الله بن مسعود لتلامذته:(عليكم بالأمر العتيق)[1]، ويقول أيضاً: (اتبعوا ولا تبتدعوا، وقد كفيتم)[1]، والذي نعتقده وندين الله به – وهو المعقول أيضاً– أن كل ما صح الاستدلال به على الأحكام من النصوص الصريحة، والأحاديث الصحيحة، يصح الاستدلال بمثله في العقيدة في إثبات صفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله، وما يتعلق بأفعال العباد، بل على كل ما يجب الإيمان

---

(١) سبق عزوهما صـــ٦١٧.

به في الدين، ومن يفرق بين هذه الأبواب في أدلتها فيطالب بالدليل ولا دليل، فإذاً يصح الاستدلال بكل ما صح عن رسول الله ﷺ في العقيدة كما صح في الأحكام، وهذا هو المطلوب"[1].

وقال أيضاً:**"أما تصنيف الأحاديث إلى متواتر يستدل بها في الأصول والفروع معاً، وآحاد لا يستدل بها إلا في الفروع هذا التقسيم ليس تقسيم أهل الحديث، هذا تقسيم علماء الكلام، ولكن تأثر بهذا بعض علماء المصطلح وعلماء أصول الفقه، انطلت عليهم هذه القاعدة من حيث لا يشعرون، ويقررون ذلك الآن في كتبهم، هذا غلط، اشتراط التواتر في الأحاديث التي يستدل بها في باب الأسماء والصفات وفي الأصول جميعا، لا أصل لهذا، وأبو الأصول المعروف بأنه أبو الأصول الإمام الشافعي: يقرر هذا: أن الآحاد يستدل بها في باب الأسماء والصفات، كما يستدل بها في جميع الأحكام**[2]**، ينبغي أن يفطن لهذه القاعدة -خصوصاً طلاب العلم الجامعيون الذين يدرسون المصطلح وأصول الفقه-، ينبغي أن لا ينخدعوا إذا مرت عليهم مثل هذه القاعدة في أصول الفقه وهي لعلماء الكلام"**[3]. ويحسن التنبيه إلى أن المستنكر ليس تقسيم الأخبار في حد ذاته، وإنما المستنكر ما فَرَّع عليه أهل الأهواء من القبول والرد، فتقسيم الدين إلى ما يثبت بخبر الواحد وما لا يثبت به، تقسيم باطل وليس عليه دليل، فالواجب على كل مسلم أن يتمسك بما عليه أهل السنة من الاعتماد على النصوص الشرعية إذا ثبتت صحتها للمعصوم ﷺ.

وقد بين الشيخ رحمه الله سبب حصول مثل هذه المحدثات والغاية منها، والأساليب التي استخدموها للوصول إلى تلك الغاية، فقال رحمه الله:**"في أثناء الفتوحات الإسلامية الواسعة دخلت على المسلمين اصطلاحات أجنبية بواسطة الكتب اليونانية التي ترجمت**

---

(١) الصفات الإلهية صـ ٤٣-٤٤

(٢) انظر: الرسالة صـ٣٦٩ وما بعدها.

(٣) شرح التدمرية الشريط (١٨) و (ب).

إلى اللغة العربية في عدة علوم ومن أخطرها علم المنطق والفلسفة، فدخلت تلكم البحوث والاصطلاحات في الإلهيات، فأفسدت على الناس جوانب خطيرة من عقيدتهم؛ لأنها وجدت تشجيعاً رسمياً ودعماً قوياً من الخلفاء المعاصرين وفي مقدمتهم المأمون العباسي الذي تعرفون موقفه من كبار علماء المسلمين والأئمة البارزين كالإمام أحمد بن حنبل...

ومن تلكم الاصطلاحات الغربية والدخيلة تقسيم الأحاديث النبوية إلى ظنية وقطعية كخطوة أولى في سحب ثقة المسلمين من أحاديث نبيهم.

فزعموا أن الآحاد من الأحاديث لا تقيد العلم ولا يجوز الاستدلال بها في باب العقيدة، وإنما يستدل في هذا الباب بالأدلة القطعية، وهي الأحاديث المتواترة أو الآيات القرآنية، وقد انطلى- وللأسف الشديد- على علماء الكلام هذا القول المزخرف لضعف بضاعتهم في علوم السنة، وانشغالهم بالاصطلاحات الكلامية عن الكتاب والسنة، ثم جعل المتأخرون من علماء الأصول يتناقلون فيما بينهم هذا الاصطلاح وهذه الدعوى؛ مما جعل جمهور الخلف يعتقد هذا الاعتقاد، وظن الناس أن هذا هو معتقد المسلمين سلفاً وخلفاً. وخشية أن يفطن بعض الحذاق لهذا الخداع المقنع خطوا خطوة أخرى كذر للرماد في العيون. فقالوا قولة حق أرادوا بها الباطل؛ وهي قولتهم المشهورة (أن طريقة السلف أسلم) وأوهموا الناس أن طريقة السلف مجرد سرد النصوص دون فهم لمعانيها، حتى أطلق عليها بعضهم (أنها طريقة العوام)، وأما الطريقة المثلى التي فيها التحقيق والتدقيق هي طريقة الخلف، ولما هدأوا الجمهور بعباراتهم تلك مضوا في طريقهم في إفساد عقيدة المسلمين وإبعادهم عن سنة نبيهم، ولم يقف القوم عند هذا الحد بل خطوا خطوة أخرى أخطر من التي قبلها؛ إذ قالوا: إن باب العقيدة باب خطير ومبحث هذا الباب أساس في الإسلام فلا ينبغي أن يستدل فيه إلا بدليل قطعي لا يتطرق إليه النسخ ولا يخضع للتخصيص أو التقييد. ألا وهو الدليل العقلي، هذه هي الغاية في تدرجهم، وأنت ترى أن مفهوم الدليل القطعي قد

تغير، فبينما كان المراد به في الخطوة الأولى الأحاديث المتواترة أو الآيات القرآنية، فإذا يراد به هنا الدليل العقلي فقط.

وأما الأدلة اللفظية أو النقلية قرآناً وسنة فلا تنهض للاستدلال بها استقلالاً في هذا الباب. وإنما يستأنس بها إن وافقت الأدلة العقلية القطعية. هكذا تدرج القوم في أسلوبهم إلى أن عزلوا نصوص الكتاب والسنة عن وظيفتها وهي هداية الناس؟﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ والسنة مثل القرآن في الهداية (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما. كتاب الله وسنتي)[1]، (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري!! ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) رواه الترمذي، وفي لفظ (ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا وإن ما حرمه الرسول مثل ما حرمه الله)[2] أو كما قال..

وعلى الرغم من هذا النصوص وغيرها من النصوص التي تصرخ بأعلى صوتها بأن الهداية كل الهداية، والخير كل الخير في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي سنة رسوله المبينة للقرآن المفصلة ما أجمل فيه، المقيدة لإطلاقه، على الرغم من ذلك كله قد التمس القوم الهدى في غير وحي الله، فأضلهم الله؛ عقوبة لإعراضهم عنه واستخفافهم بشرعه. وفي حديث على بن أبي طالب عند الترمذي في وصف القرآن (من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله) [3].

وإذا ما عزلت النصوص كما رأينا. ولم تعد تصلح للاستدلال بها على سبيل الاستقلال فلم يبق إلا أن يرجع الناس إلى ما كانوا عليه قبل الوحي؛ وهو التحاكم

---

(١) سبق عزوه صـــ ٢٩٠.

(٢) سبق عزوه صـــ ٦٢١.

(٣) رواه الترمذي (٢٩٠٦) وقال:"هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال" وضعفه الألباني الضعيفة (٦٣٩٣).

إلى العقول فنتيجة لذلك خاضوا بعقولهم في المطالب الإلهية، فتكلموا في صفات الله، فاختلفت العقول وتنازعت -ولا بد أن تتنازع- فافترقوا فرقاً مختلفة يضلل بعضهم بعضاً بل ربما كفر بعضهم بعضاً، وكلهم على غير هدى، طبعاً على تفاوت في ضلالهم"(١).

وهذا الكلام يدل على خبرة الشيخ رحمه الله بأساليب هؤلاء الذين اتخذوا رد خبر الآحاد مطية لرد السنة مطلقاً، بل لرد النصوص الشرعية كلها.

وتأكيداً على ما سبق بكشف ما قد يتعلق به أصحاب تلك الدعاوى، يقول الشيخ رحمه الله:**"وأما دعوى المعارض (علماء الكلام) أنها أدلة لفظية عرضة للنسخ والتخصيص والتقييد، فلا يتم الاستدلال بها في هذا الباب، فهي ثرثرة نحفظها لعلماء الكلام الذين شغلهم الكلام عن العلم، فلا ينبغي أن يلقى لها بال؛ لأن جانب العقيدة لا يمكن أن يقع فيه نسخ وتغيير، وهذا التصرف لا يعرف قبل العصر العباسي، ولا يكاد يدور في رأس أحد من المسلمين قبل ذلك، إذ ليس من الدين ولا من مقتضى العقل الصريح، والفطرة السليمة ألاّ يستدل في المطالب الإلهية بكلام الله وكلام رسوله ﷺ، ليستدل عليها بقول العلاّف، والنظّام، وابن أبي دُؤاد وأمثالهم، وما ذلك إلا لتزهيد الناس في نصوص الكتاب والسنة، بينما الواجب الذي يقتضيه الإيمان دعوة الناس إلى الاعتصام بهما فقط دون التفات إلى غيرهما، ولا سيما في باب العقيدة وهو باب يجب ألا يتجاوز فيه الكتاب والسنة، كما قال الإمام أحمد رحمه الله في أثناء المناقشة أيام المحنة"**(٢).

وبهذا يتم الكلام على هذا المبحث، ونسأل الله سبحانه أن يجعلنا من حماة الدين والسنة، المتعبين لآثار السلف الصالح وبالله التوفيق.

---

(١) تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة صـ ٨٠-٨٢.

(٢) الصفات الإلهية صـ٤٤.

الخاتمة

أبرز النتائج:

الحمد لله أولاً وآخراً ظاهرا وباطناً، وبعد إتمام البحث—الذي لم أوف به الشيخ حقه– أختم بأبرز النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث:

أولاً: إن المتأمل لواقع الشيخ العلمي والعملي –بعد ما تم عرضه– يتضح له جلياً شدة عنايته رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى بأشرف العلوم وأولاها بالاهتمام، ذلك العلم الذي يعرف بأشرف معلوم، علم التوحيد الذي هو حق لله على العبيد، والموضح لما لصفات وأفعال الباري من العظمة والتمجيد، فقد كان لا يدع مناسبة تمر دون أن يبيّن فيها سمو هذا العلم وأهميته، حتى لا يكاد يعرف إلا به.

ولذلك فعقيدة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هي عقيدة السلف الصالح، المرتكزة على الوحيين، فالمتتبع لتقريراته يجده موافق لما قرره السلف الصالح في تلكم المسائل، وداع إلى منهجهم والسير على منوالهم، ومحارباً جميع الفرق والأحزاب التي خالفت تلكم العقيدة السلفية، حتى صار سيفاً مصلتاً على كل من خالف العقيدة الصحيحة؛ ناصراً بذلك دين الله، ومناصحاً عباده، مقتفياً في ذلك كله منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، فنحسبه من أولئك الرجال الذين سخرهم الله لحمل العقيدة الربانية والدفاع عنها والدعوة إليها، في هذا الزمن الذي غلبت فيه الأهواء والفتن.

ولا يسعني إلا أن أقول كما قال فضيلة الشيخ العلامة عمر بن محمد فلاته رَحِمَهُ اللَّهُ:"**وأشهد الله تعالى أنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد أدى كثيراً مما عليه من خدمة الدين، ونشر لسنّة سيّد المرسلين. ولقد صادف كثيراً من الأذى، وكثيراً من الكيد والمكر فلم ينثن ولم يفزع حتى لقي الله، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله.** فرحمه الله رحمة واسعة، ونور له في قبره، وجزاه عما قدم لهذه الملة خيراً كثيراً، وثواباً جزيلاً، وأصلح له عقبه وبارك فيهم، وجمعنا الله به في

دار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم"[1].

والناظر في شهادات أهل العلم له في حياته وبعد وفاته يلحظ اتفاق كلمتهم على المكانة الرفيعة التي كانت للشيخ محمد أمان رحمه الله بينهم، ومع ذلك كله لم يسلم رحمه الله من تهجم المتهجمين، وهذا يقتضي من الدعاة إلى الحق توطين النفوس على مواجهة العواصف العاتية، المنبثقة من سفاهة السفهاء وجهالة الجاهلين وحسد الحاسدين، وليست العبرة مأخوذة من ذلك فحسب، فهي سنة أجراها الله على خير خلقه أنبيائه ورسله، وورثها الدعاة المصلحون إلى يوم يبعثون، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ .

ثانياً: قرر الشيخ رحمه الله أن الإيمان بالله يكون بإفراده سبحانه وتعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

وأن توحيد الربوبية مركوز في الفطر، وأن جميع الرسل بعثوا للدعوة إلى تحقيق كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وأن العبادة حق لله تعالى فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك.

وفي تقرير معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، سلك منهج التقعيد والتوضيح والتدليل، ورد شبه المخالفين بالحجج النقلية والعقلية.

ثالثاً: قرر الشيخ رحمه الله أنه يجب الإيمان ببقية أركان الإيمان؛ بتصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية: من الإيمان بالملائكة والرسل والرسالات، وأمور المعاد، والقضاء والقدر وغيرها مما يجب الإيمان به.

---

(١) في كتابه المؤرخ في ١٤١٧/٢/٨هـ.

وأن الإيمان عمل بالقلب والجوارح وقول باللسان يزيد وينقص، وأن مرتكب الكبيرة لا يستحق الإيمان الكامل المطلق، ولا يسلب عنه مطلق الإيمان، بل مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته. وحب الصحابة من الإيمان والنيل منه من الفسوق والعصيان.

رابعاً: قرر الشيخ رحمه الله معنى منهج السلف وأن اتباعه واجب حتم لا خيار فيه، وحذر من جميع المناهج المخالفة، وبين أن منهج السلف أعلم وأحكم وأفضل من كل من جاء بعدهم، وكثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

خامساً: كانت للشيخ جهود مباركة في مقاومة الفكر الضال والتهييج السياسي المتأثر بآراء الخوارج في أوساط المجتمع، وكانت له مواقف[1] -وخصوصاً في ما يتعلق بالإمامة- مسددة وموافقة لما عليه العلماء المتقدمين والمتأخرين؛ فمنهج السلف يدعو إلى الاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف، ويجنح للخير والسلامة والبعد عن أسباب الفتن والملامة.

سادساً: إن المتأمل في ردود الشيخ رحمه الله على المخالفين يجد أن له سبر خاص لحال المخالفين عموماً، والأشاعرة والصوفية والخوارج خصوصاً؛ ولذلك كان من أوائل من كشف حال بعض الحركات المعاصرة التي تشربت إليها أفكار تلك الفرق، وكان رحمه الله يكثر التحذير من الانخراط مع تلك الجماعات، بل يحث على دعوتهم وتوجيههم؛ من أجل إصلاحهم وتصحيح مسارهم؛ ليسروا معنا وفق الخير الذي نسير عليه.

(١) وبسبب تلك المواقف تعرض لصنوف من الأذى والتشهير فصبر حتى لقي ربه، والعاقبة للصابرين.

سابعاً: ناقش الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كثير من القضايا الفكرية، وكشف عن أصحاب الدعوات المضللة التي تدعو لنبذ حكم الله والتحاكم إلى القوانين والنظم الوضعية: سواء في القطاع السياسي كالنظام الديمقراطي، أو في القطاع الاقتصادي كالنظام الاشتراكي، أو في القطاع الاجتماعي كدعاة السفور والانحلال الأخلاقي للمرأة.

التوصيات:

ولعل أهم النتائج تجلت فيما سبق، ومن باب إتمام الفائدة، أذيل هذه الخاتمة بما يلي من توصيات:

الأولى: إن الجانب الدعوي الذي بذله الشيخ محمد أمان رَحِمَهُ اللَّهُ؛ احتساباً لنشر دين الله، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر كبير جداً، فلم يكن ذلك مقصوراً في هذه البلاد السعودية وإنما تعدى لكثير من بلدان المسلمين، فحري بهمم الباحثين أن تعلو لإبراز ذلك وإظهاره، فيبنون الجوانب التي لم أتعرض لها في هذه الرسالة.

الثانية: أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ خلف ثروة علمية كبيرة غير ما هو منشور، وجلها مكنونة ضمن شروحاته وتعليقاته على جملة من المتون العلمية، ولاشتمالها على توضيحات واستدراكات وتحريرات علمية رصينة يجدر العناية بها وإخراجها حتى تعم الفائدة.

الثالثة: أن من أهم ما تمتع به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان والداً مربياً ومعلماً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى، فتجده حريصاً على ترسيخ ما تحلى به من صفات حميدة في نفوس طلابه، فيعتبر من أولئك المدرسين الذين كان لهم عميق الأثر في توجيه وتربية الطلاب، فحري كذلك أن تدرس الجوانب التربوية المتعلقة بشخصيته رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولاشك أن في دراسة تلك الجوانب التي نحتاجها في حياتنا، لأولئك العلماء العاملين ومعرفة أقوالهم ومواقفهم، فيه الوفاء لهم بما قاموا به، فينشط من بعدهم للسير على دربهم واقتفاء أثرهم، واتباع خطاهم.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي بتوفيقه وإعانته تتيسر العقبات، وتقضى بفضله وجوده الحاجات، وتبلغ بمنته الغايات، وتنال المكرمات، ولا أدعي فيه التمام على وجه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدي، فإن أصبت فبتوفيق من العزيز الرحيم، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله على كل حال، والله المستعان.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية ورقمها	الصفحة

سورة الفاتحة

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾:٥	٢١٠

سورة البقرة

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ... ﴾: ١ — ٤	٤١٠
﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ...... ﴾:٣-٤	٤٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ..... ﴾: ٢١	١٨٥
﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾: ٢٢	١٨٥
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾: ٢٥	٥٣٨
﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾: ٤٦	٣٣٩
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾: ٨٥	٤١٣
﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ... ﴾: ٩٧	٤٠٧
﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ... ﴾: ١٠٢	٢٣٤
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾: ١١٥	٧٥٠
﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ.. ﴾: ١٣٦	٤١٠
﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾: ١٤٠	٢٧٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾: ١٥٣	٣٢٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ... ﴾: ١٥٩	١٠٦
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾: ١٦٣	٣٧٨
﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾: ١٧٣	٢١٢

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ .. ﴾: ١٧٧ .... ٤٠٣
﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾: ١٧٩ .... ٥٩٩
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾: ١٨٥ .... ٥٢٣
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ... ﴾: ٢١٣ .... ٢١٢
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾: ٢٢٣ .... ٧٧٩
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾: ٢٢٣ .... ٣٣٩
﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾: ٢٣٨ .... ٥٣٨
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ .. ﴾: ٢٥٥ .... ٣١٥
﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ .. ﴾: ٢٥٦ .... ١٦٩
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ .. ﴾: ٢٦١ .... ٤٦
﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾: ٢٨١ .... ٥٠٤
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾: ٢٨٢ .... ٦٦
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ .. ﴾: ٢٨٥ .... ٤٠٤
﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾: ٢٨٦ .... ٥٠٤

سورة آل عمران

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ .. ﴾: ١ – ٤ .... ٤١٢
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ.. ﴾: ٧ .... ٣٧٨
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾: ١٩ .... ٤٢٧
﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ... ﴾: ٢٨ .... ٢١٧
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ .. ﴾: ٣١ .... ١٧٨
﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾: ٤٥ .... ٢٥٢

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ .... ﴾: ٦٤	١٦٩
﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ... ﴾: ٧١	٨٠٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾: ٧٧	٣٢٨
﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ .. ﴾: ٨٤	٤٢٢
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ .... ﴾: ٨٥	٤٢٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾:١٠٢	١
﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾:١٠٣	١٠٣
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ .. ﴾:١٠٤	٥٨٨
﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾:١٣٣	٤٨٥
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ .. ﴾: ١٤٤	٤٤٨
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ .. ﴾: ١٤٤- ١٤٥	٤٤٩
﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾: ١٥٤	٥٩٦
﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾: ١٥٩	٦٠٥
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ .. ﴾: ١٧٣	٥٤٥
﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: ١٧٥	٢٠٢
﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾:١٨٢	٥٠٤
﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾:١٨٧	١٠٥
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ .. ﴾: ١٩١	٤٧٠

سورة النساء

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ .... ﴾:١	١
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ .. ﴾: ٢٣	٣٧٨

﴿ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ ﴾: ٢٣..٧٧٩
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾: ٤٨..............................٢٢٥
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا .. ﴾: ٥٨ ....٦٠١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾: ٥٨ ....٣٦٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾: ٥٩.....................٥٨٩
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ .. ﴾:٦٤.................................٥٢٤
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ .. ﴾: ٦٥...............١٧٩
﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ ... ﴾: ٦٩.......................٤٤٧
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ... ﴾:٨٢..٤٩٦
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ .. ﴾: ٨٣..........................٦٨٢
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ .. ﴾:٨٧..٤٥٧
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾:٨٧..٢٨٠
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾: ١٠٥.............٥٩٦
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ .. ﴾: ١١٥...........................٣٥٢
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾: ١٢٢...٢٨٠
﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾:١٢٥..................................١٧٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ .. ﴾: ١٣٦......................٤١٠
﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ... ﴾: ١٣٦.........................٤١٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ ... ﴾: ١٥٠-١٥١.................٤٢٢
﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ .. ﴾: ١٥٧ - ١٥٨.......................٤٣٠
﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ .. ﴾: ١٦٤.....................................٤٣٦

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾: ١٦٤	٢٧٣
﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ .. ﴾: ١٦٥	٤٣٥
﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾: ١٦٥	٤٢٢
﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ .. ﴾: ١٧١	٢٣١

سورة المائدة

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ... ﴾: ٣	٤٤٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾: ٨	٥٩٧
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾: ١١	٢٠٧
﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ .... ﴾: ١٦	٥١٧
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾: ٢٣	٢٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾: ٣٥	٢١٥
﴿ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ .. ﴾: ٤٤	٤١٥
﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾: ٤٤	٥٩٧
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ .... ﴾: ٤٨	٤٢٠
﴿ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ .. ﴾: ٤٨	٤٢٧
﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾: ٥٠	٥٩٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ... ﴾: ٥٤	١٧٨
﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾: ٥٤	٣٢٩
﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾: ٦٤	٢٩٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ .. ﴾: ٦٧	٢٣٧
﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: ٦٧	٢٣٦

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾:٧٢	٢٢٦
﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ﴾: ٩٩	٤٤٥
﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ... ﴾:١١٦	٣٢٧

سورة الأنعام

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾: ١	١٨٥
﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ .... ﴾:١٢	٤٥٨
﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ .. ﴾: ١٩	٤٤٣
﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ... ﴾:٥١	٤٧٣
﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾:٥٧	٥٩٦
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ.... ﴾:٥٩	٤٩٤
﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ... ﴾:٨١	١٦٦
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ... ﴾:٨٢	١٦٦
﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾: ٨٦	٤٣٨
﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾:٩١	٤٩٢
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا .... ﴾: ٩٣	٧٣٠
﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾: ٩٩	٣٣٥
﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ .. ﴾: ١٠٠-١٠١	٣٧٤
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ... ﴾: ١٠٣	٣٣٥
﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾:١٠٨	٤٧٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا ... ﴾: ١١٢	٤١٦
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾: ١٢١	٤١٦

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ﴾: ١٢١	٤١٦
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ .. ﴾ ١٢٢	٢٦٣
﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا .. ﴾: ١٤٨	٤٩٨
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ ... ﴾:١٥٣	٦١٢
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾: ١٥٥	٨٦٠
﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾: ١٦٢	٢١٢

سورة الأعراف

﴿ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ .... ﴾:٦-٧	٤٥٧
﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ .... ﴾: ٨-٩	٤٨٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾:٤٠	٤١٣
﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ .... ﴾:٥٤	٧٥٠
﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾: ٥٥ — ٥٦	٢٠٥
﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا .... ﴾:٥٦	٢٠٣
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ... ﴾:٥٧	٥١٦
﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾: ٨٧	٥٩٧
﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ... ﴾: ١٤٣	٢٧٣
﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ... ﴾: ١٤٣	٣٣٧
﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا ﴾: ١٤٨	٣٢٧
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾: ١٥٧	٤٢٠
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾: ١٥٨	٤٤٣
﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾: ١٨٠	٢٩٢

﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾: ١٨٥	٣٣٥
﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾: ١٨٨	٤٣٤

سورة الأنفال

﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾: ٢	٥٤٥
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ .... ﴾: ٢ - ٣	٥٤٢
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ .... ﴾: ٢ - ٤	٥٣٣
﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾: ١٧	٥٠٦
﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ ... ﴾: ٣٠	٤٣٣
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾: ٧٤	٥٦٦

سورة التوبة

﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ .... ﴾: ٦	٣٢٨
﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ﴾: ٢٤	٢٠١
﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ .. ﴾: ٣٠	٧٢٣
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: ٣١	٢٥٣
﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾: ٤٠	٣٢٣
﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا ... ﴾: ٦٠	٧٨٨
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ... ﴾: ١٠٠	٥٦٧
﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾: ١٠١	٤٦٢
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ﴾: ١٢٨	٤٤٢

سورة يونس

﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾: ٢١	٤٠٩
﴿ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾: ٣١	١٦١

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ... ﴾ :٩٩........................ ٤٩٥
﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ :١٠٧.. ٣٩٢

سورة هود

﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾:١٨................ ٤٧٩
﴿ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾:٣٤.. ٥٢٣
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾: ١١٨ — ١١٩............ ٦٠٨
﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾: ٤٦.. ٣٢٧
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ.. ﴾: ٤٧......................... ٣٢٧
﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾: ٨٤ .... ٤١٢

سورة يوسف

﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾:٤١.. ٤٩٢
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾: ١٠٦.................................. ١٥٩
﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي .. ﴾:١٠٨..................... ٨٤٥

سورة الرعد

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... ﴾: ١١.................... ٤٠٨

سورة إبراهيم

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ .. ﴾: ١١.. ٤٣٤
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا ... ﴾ ١١-١٢........................ ٢٠٨
﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾:٢٧.................. ٤٦٠
﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾: ٣٤... ٥٩٦
﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾: ٣٥ .... ٢٢١
﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ ... ﴾: ٤٦.................................. ٤٣٢

سورة الحجر

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾:٩	٤٥٢
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾:٨٥	١٨٩
﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾:٩٤	٤٣١

سورة النحل

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾: ١٧	١٥٩
﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾: ٢٠ – ٢١	١٨٨
﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾: ٣٥	٤٣٦
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴾: ٣٦	١٩٣
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ .. ﴾: ٤٤	٢٨٠
﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾: ٦٠	٣٥٨
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾:٦٨	٤١٥
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾:٨٠	٥٠٤
﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾: ٨٢	٤٣٦
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾: ١٢٥	٤٤٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾: ١٢٨	٣٢٣

سورة الإسراء

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾: ٩	٣٨١
﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾: ٤٧	٢٣٦
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾: ٥٧	١٩٨
﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ .... ﴾:٥٧	٣٦٤
﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾..: ٩٠ – ٩٣	٤٣١

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ ... ﴾: ١٠٧ – ١٠٩	٤٥
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ ... ﴾: ١١٠	٢٠٥

سورة الكهف

﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ .... ﴾:٢٩	٥٠٤
﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾: ٤٩	٣٨٤
﴿ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ﴾:٥٨	٣٩٢
﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴾: ٧٣	٤٣٥
﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ... ﴾ : ١٠٩	٤١٤
﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا .. ﴾: ١١٠	٢٠٣

سورة مريم

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾: ٢٥	٤٥٤
﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا... ﴾: ٣٠ – ٣٤	٤٣٠
﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾: ٦٥	٢٧٨
﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾:٧١-٧٢	٤٨٣

سورة طه

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾: ٥	٢٧٣
﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ.... ﴾: ١١ – ١٢	٤١٧
﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾:٦٩	٢٣٤
﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي ... ﴾: ٧٧	٣٣٦
﴿ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ ﴾: ٨١	٢٣١
﴿ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴾:١٠٩	٤٧٢
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾: ١١٠	٢٧٨

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: ١١٥.......................٤٣٥
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: ١٢٤ – ١٢٧ ....٧٨١

سورة الأنبياء

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ...﴾: ٧.............................١٩٣
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾: ٢٢.......................................١٥٧
﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾:٢٣.............................. ....٥١٣
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ ...﴾: ٢٥..............٤٢٦
﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾: ٢٧...............................٤٠٧
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ...﴾:٤٧.............٤٨٠
﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا..﴾: ٦٦ – ٦٧.............٤٢٩
﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: ٦٨............................٤٢٩
﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ....﴾: ٦٩ – ٧٠ ....٤٢٩
﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ...﴾:١٠٤...............................٤٧١
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: ١٠٧.......................................٤٤٦

سورة الحج

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: ٨..................٧٣٩
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾: ٣ – ٤..............................٧٣٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ...﴾٦-٧..........................٤٦٩
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ ...﴾: ٥٢ ....٤٢٣
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾:٧٥..........................٤٣٨

سورة المؤمنون

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ....﴾:٣٢....................................١٩٣

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ... ﴾ ٨٤-٨٩	١٥٩
﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ ... ﴾: ٩١	١٥٨
﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ .... ﴾: ١٠٢-١٠٣	٤٨٠
﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾: ١٠٠	٤٦١
﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾: ١٠٨	٣٢٨
﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾: ١١٥	٤٧٠
﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ .. ﴾: ١١٧	٢٠٦

سورة النور

﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾: ٣١	١٩١
﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ... ﴾: ٥٤	٤٣٦
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ .. ﴾: ٥١	٤٩
﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ... ﴾: ٦٣	٤٤٥

سورة الفرقان

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ... ﴾: ١ - ٢	٣٧٥
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ... ﴾: ٢٠	٤٣٤
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ .. ﴾: ٥٣	٤٦١

سورة الشعراء

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: ١٠٥	٤٤٠
﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ... ﴾: ٦١ - ٦٢	٣٣٦

سورة النمل

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ... ﴾: ٥٩ - ٦٠	١٨٦
﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ ﴾: ٦٠	١٨٦

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ .. ﴾: ٦٢ .... ٢١١
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾: ٦٥ .... ٤٣٤

سورة القصص

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ .. ﴾: ٣٠ .... ٣٢٧
﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾: ٦٨ .... ٤٣٨
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾: ٧ .... ٤١٥
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾: ٨٨ .... ١٢٩

سورة العنكبوت

﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ... ﴾: ١ – ٢ .... ١٧٧
﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾: ٣ .... ١٧٧
﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ .. ﴾: ٣١ .... ٣٦٤
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾: ٦٣ .... ٢٤٨
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ ﴾: ٦٨ .... ٧٣٠

سورة الروم

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾: ٢٧ .... ٤٧١
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا... ﴾: ٣٠ .... ١٥١
﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾: ٥٤ .... ٣٧٥

سورة لقمان

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾: ١٣ .... ١٦٧
﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾: ١٤ .... ١٣
﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ ... ﴾: ١٥ .... ٢١٨
﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾: ٢٢ .... ١٧٩

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾: ٢٥	٤١١
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... ﴾: ٢٧	٩١

سورة السجدة

﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾:٢٢	٣٠٤

سورة الأحزاب

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ .. ﴾: ٣٣	٨٠٥
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ... ﴾:٣٦	٦٢٣
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ... ﴾: ٤٠	٤٣٩
﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾: ٤٤	٣٣٩
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ... ﴾:٤٨	٢٠٨
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ .. ﴾: ٥٩	٨٠٥
﴿ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾:٦٩	٢٥٢
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾: ٧٠ - ٧١	١
﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾:٦٢	٦٦٥

سورة سبأ

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾: ٣	٣٨٤
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا .. ﴾: ٢٨	٤٤٣
﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ .... ﴾: ٤٠ — ٤١	٣٠٦

سورة فاطر

﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾:٣	٥١٠
﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾:٨	٥١٢
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾:١٤	٢٨١

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾:٢٢......... ....٤٦٦
﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ .. ﴾:٣٦-٣٧..٤٨٦

سورة يس

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾:٢٢.......................................٤٧٠
﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ .. ﴾:٧٧-٨٠.............٤٧١
﴿ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾:٤٢.............. ....٥٠٤
﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾:٨٢............. ....٥١٨
﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾:٨٣...............................٥١٦

سورة الصافات

﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ... ﴾: ١٤٩ – ١٨٢ ....٣٧٥
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾:٩٦................. ....٥٠٤
﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾:٣٥-٣٦............................١٧٩
﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾: ٨٦ – ٨٧ ....٢٣٠

سورة ص

﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ﴾:٢٧...٤٧٠
﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾:٧٥..٣٦٤

سورة الزمر

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾: ٢ ....١٩٦
﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ﴾:٩.............٢٠٣
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ.... ﴾: ٣٠ – ٣١...٤٤٧
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾: ٣٨ ....١٨٢
﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ... ﴾:٥٤.................... ....١٧٩

﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾:٦٥	٢٢٦
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:٤٤	٤٧٣
﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾:٥٣	٥٥٦

سورة غافر

﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾: ١٢	٥٩٦
﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾:١٨	٤٧٣
﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾: ٢٨	٤٣٢
﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾:٤٦	٤٦٢
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾: ٦٠	٢٠٥
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ ...﴾: ٧٨	٤٣٦

سورة فصلت

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ﴾: ٣٧	١٥٣
﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾: ٤٢	٨٠٠

سورة الشورى

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: ١٠	٥٩١
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ...﴾: ١١	١٥٠
﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾: ٥١	٤١٦
﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾:٣٦-٣٩	٦٠٤

سورة الزخرف

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾:٢٤	١٧٩
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ ...﴾: ٢٦ - ٢٨	١٦٤
﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ : ٣١	٧٠٢

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾: ٣٢.............................٧٠٢	
﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ.. ﴾: ٣٦ – ٣٨.............٦١٧	
﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ ﴾: ٨٠...٣٧٢	
﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ :٨٦.. ....١٧٤	

سورة الجاثية

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾: ١٣ ....١٥٤
﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾: ٢٩..............٤٠٩

سورة محمد

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾:١٩...٢٩١
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾:١٧...................................٥١٥
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾: ٣١.............................٩٧

سورة الفتح

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾: ٤................٥٤٥
﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ.. ﴾: ٦...٢٣٠
﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾: ١٠ ... .٧٥٠
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾: ١٨...........................٥٦٨
﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾:٢٧...٥٤٧
﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾:٢٨...................................١٥٢
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ... ﴾: ٢٩...٥٧٨

سورة الحجرات

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾:٧.........................٥١٤
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾: ٩ ....٥٥٦

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾: ١٤..............................٥٥٠

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾: ١٥....................................١٧٥

سورة ق

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾: ١٧ ....٤٠٨

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾: ١٨ ....٤٠٨

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴾: ٣٨ ....٣٨٥

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾: ٣٨ ....٣٨٤

سورة الذاريات

﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾: ٥٠ ....٢١٠

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾: ٥٦.....................................١٤١

سورة الطور

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾:١٩............ ....٤٨٧

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾: ٣٥..١٥٠

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ... ﴾:٤٥-٤٧..............................٤٦٣

سورة النجم

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾: ٣ – ٤...٢٧٨

سورة القمر

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ .... ﴾: ٤١ – ٤٢...٤٣٠

سورة الحديد

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾: ٤..٣٢٣

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾: ٧ ....٧٩٤

﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴾:١٠...............٥٦٩

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا .. ﴾: ١٣	٤٨٣
﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾١٣	٣٣٥
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾: ٢٥	٤٤٩

سورة المجادلة

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ ..... ﴾: ٢٢	٢١٧

سورة الحشر

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾: ٧	٨٥٠
﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ﴾: ٨	٧٨٩
﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾: ٩	٧٩٠
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾: ١٠	٥٧٣

سورة الممتحنة

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾: ٨	٢١٨

سورة الصف

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾: ٨ - ٩	٤٣٣

سورة الجمعة

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾: ٤	٧٩١
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: ١٠	٤٩٢

سورة المنافقون

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾: ٨	٤٢٦

سورة التغابن

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾: ١٢	٤٤٤
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ ... ﴾: ١٢	٤٣٦

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾: ١٦..٥٨٨

سورة التحريم

﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾:٢..٣٧٥
﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾: ٦......................................٤٠٤

سورة الملك

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾: ٢...............................١٩٥
﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ﴾:١٤..٤٩٣
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾: ١٦..٧٥٠

سورة القلم

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾: ٤..٤٣١

سورة الحاقة

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ :٢٤..... ....٤٨٧

سورة نوح

﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾: ٣ .... ٤٢٩
﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾:٢٥................ ....٤٦٣
﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾: ٢٦ - ٢٧ ....٤٢٩

سورة الجن

﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾: ١٨...............................٢٠٦
﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا .... ﴾: ٢١ — ٢٢.................................٤٣٤

سورة المدثر

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾: ٤٨...٤٨٨

سورة القيامة

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ .... ﴾: ٢٢ - ٢٣ .... ٣٣٥

﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾:٣٦....... ....٤٧٠

سورة الإنسان

﴿ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾: ٩..٧٩٠
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾:٣٠.. ٣٤٧

سورة التكوير

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾:٢٨....... ....٥٠٤
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾:٢٩.............. ....٤٩٤

سورة الانفطار

﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴾: ١٠ -١٢...٤٠٨

سورة المطففين

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٍ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾: ١٥..٣٣٨

سورة الانشقاق

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ :٦............. ....٤٥٧

سورة البروج

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾: ١٦ ....٣٢٦

سورة الغاشية

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ... ﴾: ١٧ — ٢٠..................................١٥٧
﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ... ﴾:٢٥-٢٦...................................٤٧٨

سورة الفجر

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾: ٢٢ ....٢٧٣

سورة البينة

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾: ٥..................................١٩٦

سورة الزلزلة

﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾:٤-٥	٤١٥

سورة العصر

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾: ١ – ٣	٥٢٩

سورة الإخلاص

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾: ١ - ٢	٢٨٢
﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ... ﴾:٣-٤	٣٧٤
﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾: ٤	٢٧٧

سورة الناس

﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾:١	٢١٠

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة..	٥٦٠
اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم	٦١٧
أثر ابن عباس في أسباب الشرك	٢٣٠
اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ	٢٣٤
أجعلتني والله عدلاً، بل ما شاء الله وحده	٢٤٧
أحبها؛ لأنها صفة الرحمن	٣٠٢
أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس	٤٠٧
أدق من الشعر وأحد من السيف	٤٨٣
إذا استعنت فاستعن بالله	٢١٠
إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله	٤٦٠
إذا بويع لخليفتين؛ فاقتلوا الآخر منهما	٥٩٠
إذا خرجت المرأة إلى المسجد فلتغتسل من الطيب	٨٠٦
إذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه	٣٢٥
إذا لم تستح فاصنع ما شئت	٤٨٦
إذا مرض العبد أو سافر كتب له	١٣٤
أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله	١٧٦
أصحابي أصحابي أمتي أمتي، فيقال له: لا تدري ما أحدثوا بعدك	٤٣٤
أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً	٢٤٠
أعز الله الأمير ومن يأتي يوم القيامة فمن يمنعه اليوم	٣٢٥
اعقلها وتوكل على الله	٣٥٣
اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٤٩٤
أعوذ برضاك من سخطك	٣٩٧
أعوذ بعزة الله وقدرته	٣٩٧
أغيظُ رجلٍ عند الله	٢٤٩

اقتدوا باللذين من بعدي	٧١٧
ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه	٦٢٣
ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان	٨٠٥
أما يرضيك لومت قبلي؛ حتى أكفنك	٢٥١
إنّ أَخْنَعَ الأسماء	٢٤٩
إن الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله ألا الله	٥٣٣
إن الرقى والتمائم والتولة شرك	٢٤٠
إن السلطان ظل الله في الأرض	٥٩١
إن الشيطان لا يسلك فجاً سلكه عمر	٥٧١
إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه	٤٦٠
إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة	٥٦١
إن الله جميل يحب الجمال	٢٦٨
إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء	٤٦٧
إن الله طيب لايقبل إلى طيبا	٢٦٨
إن الله يدني المؤمن فيضع كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟	٤٧٩
إن اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٢٤٥
إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام	١٠٩
إن أناساً يتناولون أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر	١٠٩
إن ربكم ليس بأعور	٣٦٠
إن في من كان قبلكم محدثون	
إن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه، وأبشر بالخير	٥٩٠
أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة، إلا قطعت	٢٣٨
إن لكل نبياً حوضاً	٤٧٦
إن لله تسعة وتسعين اسماً	٢٩٥
إن لله ملائكة سياحين في الأرض	٤٦٥
إنّ من شرار الناس: من تُدركهم الساعة وهم أحياء	٢٤٢
أنا أغنى الشركاء عن الشرك	٢١٩

أنا أول شافع وأول مشفع وأول من ينشق عنه القبر	٤٧٥
أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي	٤٣٩
أنا سيد الناس يوم القيامة	٢٥٢
أنا سيد ولد آدم ولا فخر	٢٥٢
أنا فرطكم على الحوض	٤٧٧
الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد	٤٢٧
إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	٣٤٠
إنما أنا بشر مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون	٤٣٥
إنما ذلك العرض	٤٧٩
إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه	٥٩٨
إنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية	٣٦٠
أنه تاب توبة لو وُزِعت على أهل المدينة لوسعتهم	٥٥٧
إنها تابت توبة لو وُزِعت على أهل الدنيا لوسعتهم	٥٥٨
إنها ليست بنجس	٣٠
إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل	٢٤٢
الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله	٤٠٤
برحمتك أستغيث أصلح لي	٣٩٧
تبعث أمتي يوم القيامة غراً محجلين	٤٧١
تخلقوا بأخلاق الله	٢٦٧
تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما	٢٩٠
تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ بعد عنها	٥٦٥
تقديم أبي بكر ليصلي بالناس في مرضه ﷺ	٥٨٤
ثلاث من كن فيه وجد	١٧٨
ثلاثون عاماً ثم يؤتي الله ملكه من يشاء	٥٨٥
حديث البطاقة	٤٨١
حديث الشفاعة	٤٧٤
حديث قصة الحديبية	٦٠٦

خلق الله آدم على صورته	٥٠
خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم	٢٥٢
خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها،	٨٠٦
الدعاء مخ العبادة	٢٠٥
الدعاء هو العبادة	٢٠٥
الدنيا جنة الكفار وسجن المؤمن	٤٨٨
الدين النصيحة –ثلاثا– قلنا لمن	٥٩٠
ذاك لو كان وأنا حي؛ فأستغفر لك	٢٥١
ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم؛ يصلون كما نصلي	٧٩١
رضيك رسول اللّه لديننا وكيف لا نرضاك لدنيانا	٧٠٥
رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة	٤١٦
سبحان ربي الأعلى	٣٢١
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله	٦٠٢
سحقاً سحقاً لمن بدل وغيّر	٤٧٨
سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها تصديق لكتاب الله	٣٥٢
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	٧٥٤
طوله شهر وعرضه شهر	٤٧٧
الظلمة دون الجسر	٤٨٢
عذاب القبر حق	٤٦٤
العَظَمَةُ إزاري والكِبْرِياءُ رِدَائي	٢٦٨
على المسلمين السمع والطاعة ما لم يؤمروا بمعصية	٥٨٩
عليكم بالأمر العتيق	٦١٧
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي	٥٦٦
فإن الله حرم على النار من قال لا إله الله	١٧٦
فمن قال بقول جهم، فقد فارق الجماعة	٣٥١
قال الله سبحانه: (قد فعلت)	٥٢٧
قال: ائتي أبا بكر	٥٨٤

القبر إما حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة	٤٦١
القدر سر الله فلا نكشفه	٥٠١
القدر نظام التوحيد؛ فمن وحَّد الله وكذب بالقدر	٤٩٠
قصة أصحاب الغار	٢١٥
قولوا بقولكم أو بعض قولكم	٢٣٢
قولوا لا إله إلا الله تفلحوا	٤٣١
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض	٤٩٤
كل مولود يولد على الفطرة	١٥١
كلا واللّه، لا يخزيك اللّه أبداً: إنك لتصل الرحم	٨٤٨
كلكم خطاءون وخير الخطائين التوابون	٩٦
كلمتان خفيفتان على اللسان	٤٨١
كنا – والتابعون متوافرون– نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه	٣٥٠
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا	٨٤٧
لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه	٣٩٧
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين	١
لا تسبوا أصحابي	٥٧٣
لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم	٢٣١
لا تلعنوه ما علمت إلا أنه يحب الله	٥٥٧
لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها	٧٨٠
لا رقية إلا من عين أو حمة	٢٤٠
لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار	٥٥٢
لا يتجاوز الكتاب والسنة	٣٤٢
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم	٨٠٥
لا يخلون أحد بامرأة إلا مع ذي محرم	٨٠٦
لا يدخل أحدكم الجنة بعمله	٤٨٧
لا يزال يلقى فيها -يعني النار- وتقول: هل من مزيد؟	٣٣٣
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٥٥٠

لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين	٧٣٤
لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما	١٧٥
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب	١٩٧
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه	١٨٠
لا؛ لئلا يقال: إن محمداً يقتل أصحابه	٥٤٨
لأن أحلف بـــاللّه كاذبا أحب إلي من أن	٢٤٦
لعن الله اليهود والنصارى؛ اتّخذوا قبور أنبيائهم	٢٤٢
لعن الله من لعن والديه، لعن الله من ذبح لغير الله،	٧١٧
لقد خففت عن عبادي، وأمضيت فريضتي	٣٢٧
لم يعملوا خيرا قط	٥٣٩
اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك	٢٠٠
اللهم اشهد، اللهم اشهد	٣٦٢
اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا	٢١٤
اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة	٢١٥
اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام	٢١٥
لو توكلتم على الله حق توكله	٢٠٨
لو كان أخي موسى حيا لما وسعه إلا إتباعي	٤١٥
لولا أن قومك قريبوا عهد بالجاهلية	٥٨١
ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء	٧٨٠
ليهنك هذا العلم أبا المنذر	٢٦١
ما تقول في أبي بكر وعمر؟	١٠٥
ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط	٤٣٢
ما شئت كان وإن لم أشـــــــأ	٥٠١
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر	٤٨٧
ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله	١٧٧
ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحي	٤٦٤
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٥٦٦

من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله	٨٦٩
من تعلق تميمة فقد أشرك	٢٣٨
من تُكتب له صلاته كلها، ومنهم من يُكتب له النصف والربع والعشر	٥٦٨
من حلف بالأمانة فليس منا	٢٤٦
من حلف بغير اللّه فقد كفر أو	٢٤٦
من خلع يداً من طاعة	٥٨٩
من رأى منكم منكراً فليغيره..	٨١١
من سنّ سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة	٨٤٨
من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له	١٧١
من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد	٥٩٦
من غشنا فليس منا	٨٢٣
من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه	١٧٦
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له	١٧٦
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت	٧٨٠
من لقيت خلف هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله	١٧٥
من مات فقد قامت قيامته	٤٥٩
من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله	١٧٤
من يحميني حتى أبلغ	٥١٦
من يرد الله به خيرا يفقه في الدين	٨٠٠
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	٥٩٤
هلك المتنطعون قالها ثلاثاً	٢٣١
هما أثقل في الميزان من جبل أحد	٤٨١
وإنا إن شاء الله بكم لاحقون	٥٤٨
وجدته في قعر النار، فأخرجته في ضحضاح من النار	٤٨٨
وحج آدم موسى	٤٩٩
وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة	٥٦٩
وضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه	٣٦٢

ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية	٥٨٩
يا رسول الله أيضحك الله سبحانه وتعالى؟	٣٣١
يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه	٢٣٥
يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد	١٦٧
يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهماً	٤٧٤
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة	٢٢٦
اليد العليا خير من اليد السفلى	٧٩٠
يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين	٣٣١
ينـــزل ربنا إلى السماء الدنيا	٣٠٤
يترل ربنا حين يبقى	٣٠٤
يؤتى برجل عظيم كثير الشحم ويوضع في الميزان	٤٨١

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
إبراهيم بن سيار النظام البصري	٣٤٤
أبو إسحاق بن محمد بن السري الزجاج البغدادي	١٩٠
أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي البصري	٢٧٣
أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة	٦٥٢
أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي	٣٧١
أحمد بن حسين بن حسن بن علي المعروف بابن أرسلان	٨٠
أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي	٦٥٦
أحمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي	٤٤٠
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني	٦٥٨
أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي الخطيب	٦٢٩
أحمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني	٢٩٧
أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي	١٩٢
أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد القزويني	٤٩١
أحمد بن فرج بن حريز الإيادي المعروف بابن أبي دؤاد	٣٤٤
أحمد بن محمد المختار التيجاني	٧٢٤
أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الحسني الأنجري	٧١٦
أرسطو طاليس	٦٦١
إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي المروزي	٣٢٥
إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني الشافعي	٣٤٣
إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي الأصبهاني المعروف بقوام السنة	٢٩١
إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني المصري صاحب الإمام الشافعي	٣٣٨
أفلاطون بن أرسطن	٦٦١
بشر بن غياث بن أبي كريمةالعدوي مولاهم البغدادي المريسي	٣٨٨
الجعد بن درهم	٧٤٦
جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي (المتوكل)	٦٥٧

الجهم بن صفوان الراسبي مولاهم السمرقندي	٣٤٤
الحجاج بن يوسف الثقفي	٦٥٠
الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري	٤٦٢
الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي	٣٩٨
خالد بن عبد الله بن يزيد القسري	٦٥٠
الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم البصري	٣٣٨
سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون	٢٣٥
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	٢٣٠
شريك بن عبد الله بن سنان بن مالك النخعي	٢١٤
عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي	٣٢٥
عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب	٧٦٧
عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي الشافعي	٣٨٨
عبد القادر بن موسى بن عبد الله البغدادي الحنبلي	٧٢٤
عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الإسفراييني البغدادي	٦٤٥
عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري	٢٩٦
عبد الله بن أبي زيد القيرواني	١٤٥
عبد الله بن سبأ	٦٩٩
عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري	٢٩٤
عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي	٣٢٥
عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور (المأمون)	٦٥٧
عبد الله بن يوسف بن عبد الله الطائي الجويني والد إمام الحرمين	٢٦٢
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي	٢٦٢
عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي	٦٥٠
عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي المكي	٤٦٢
عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري	١٤٥
عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي	٦٥٢
عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي	٤٠٧

عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي	٣١٠
علي بن إسماعيل بن سالم بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري	٢٦٢
علي بن علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي المعروف بابن أبي العز الحنفي	٤٠٥
عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي	١٨٦
عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي	٣٥٢
عمرو بن عبيد البصري القدري	٧٤٨
الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخرساني	١٩٦
قتادة ابن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري الضرير الأكمه	٤٦٣
مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي	٢٨٥
المبارك بن عبد الكريم الجزري أبو السعادات ابن الأثير	٤٧٢
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي المعروف بابن القيم	١٩٨
محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المالكي	٢٩٦
محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي	١٥٤
محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي	٤٩٢
محمد بن إسحاق بن إسحاق السلمي المشهور بابن خزيمة	٣٢٤
محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن منده الأصبهاني	١٤٥
محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي	٣٥١
محمد بن الحسن بن فورك	٣٣٤
محمد بن الفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب	٥٢٩
محمد بن الهذيل العلاف البصري	٣٤٤
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري،	١٤٥
محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري	١٤٨
محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني	٢٦٢
محمد بن عبد الله بن تومرت	٧٧١
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي	٢٩٦
محمد بن عبد الوهاب البصري أبو علي الجبائي	٥٢٠
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي	٦٦٢

محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي الشهير بابن عربي	١٦٠
محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني النعاني	٤٦٣
محمد بن عمر بن الحسن بن علي، المشهور بالفخر الرازي	٢٦٢
محمد بن محمد الطوسي أبو حامد الغزالي الشافعي	٢٦٢
محمد بن محمد طرخان التركي الفارابي	٧٤٧
محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري	٣٧٧
محمد بن هارون الرشيد بن محمد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور (المعتصم)	٦٥٧
محمود محمد طه	٧٢٩
معبد بن عبد الله بن عكيم الجهني البصري	٦٥٠
النعمان بن ثابت بن التميمي الكوفي، أبو حنيفة	١٤٥
هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي (الواثق)	٦٥٧
واصل بن عطاء الغزال المخزومي البصري القدري	٧٤٨
الوليد بن مسلم الدمشقي مولى بني أمية	٢٩٦
وهب بن منبه بن كامل بن بن سيج أبو عبد الله الصنعاني	١٧٣
يحيى بن شرف بن مُري بن حسن بن حسين الحزامي النووي	٣٣٤

فهرس الفرق والطوائف

الأزارقة........................	٦٧٩
الأشاعرة......................	٢٢٤
الباطنية.......................	٧٠٩
البوذية........................	٧١٤
الجبهة القومية	٨٦٣
الجهمية........................	٢٢٤
الحزب الجمهوري...	٨٥٥
الخوارج..........	٢٢٦
السمنية..	٧٤٨
الصوفية......................	٣٣٠
الفلاسفة.....................	٢٦٧
القاديانية	٧٣٣
الكلابية	٢٨٨
الماتريدية..........................	٢٢٤
المعتزلة	٢٢٤
المفوضة..........................	٢٧٤
الهشامية.........................	٧١١
الهندوسية	٧١٤

المصادر والمراجع

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تأليف: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق: يوسف الوابل ورضا نعسان، دار الراية، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

إبطال التأويلات لأخبار الصفات، تأليف: محمد بن الحسين بن الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، دار إيلاف الدولية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

ابن سبأ حقيقة لا خيال، تأليف: سعدي الهاشمي، نشر مكتبة الدار بالمدينة النبوية، الطبعة الأولى.

اتباع منهج السلف واجب حتم لا خيار فيه، تأليف: محمد أمان الجامي، مخطوط لم يتم طبعه، قمت بتصويره من قرطاسية ابن رجب بالمدينة النبوية.

الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

إثبات صفة العلو، تأليف: عبد الله بن أحمد ابن قدامة، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

أثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، تأليف: محمد الطيب اليوسف، المكتبة المكية –مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

اجتماع الجيوش الإسلامية، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

الإحكام في أصول الحكام، تأليف: أبي محمد ابن حزم، منشورات دار الآفاق الجديدة.

إحياء علوم الدين، تأليف: محمد بن محمد بن محمد الغزالي، دار عالم الكتب.

اختلاف الحديث ضمن كتاب الأم، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ.

الإخلاص والنية، تأليف: عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار البشائر، الطبعة الأولى.

الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ، تأليف: محمود عبد الحليم، دار الدعوة للطبع والنشر، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ.

آداب الشافعي ومناقبه، تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تخريخ وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الدليل الأثرية ومؤسسة الريان، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ.

إرشاد الساري في شرح السنة للبربهاري، تأليف: أحمد بن يحيى النجمي، مكتبة الفرقان الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

الاستغاثة والرد على البكري، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الله السهلي، مكتبة دار المنهاج الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

الاستقامة، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، تأليف: عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ.

الأسماء والصفات تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السويدي للتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

أصول الكافي، تأليف: محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

أصول مذهب الشيعة، تأليف: ناصر بن عبد الله القفاري، دار الرضا الجيزة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

الاعتصام، تأليف:إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق مشهور حسن سلمان، الدار الأثرية، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ.

الاعتقاد، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: فريح البهلال، طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م.

اقتضاء الصراط المستقيم، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد –الرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

الأمثال، تأليف: أبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

الأنساب، تأليف: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

الآيات البينات في عدم سماع الأموات ، تأليف: نعمان بن محمود الألوسي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة، تأليف: حمود بن عبد الله التويجري، مؤسسة النور للطباعة–الرياض، الطبعة الأولى.

إيقاظ الهمم في شرح الحكم، تأليف: أحمد بن محمد بن عجيبة، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، دار المعارف.

الإيمان، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

بدائع الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ.

البداية والنهاية، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف - بيروت.

بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، تأليف: عبد الله الجميلي، الطبعة الرابعة.

البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية، تأليف: عبد الله نومسوك، أضواء السلف، الطبعة ١٤٢٠هـ.

تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد الزبيدي، مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، سنة ١٣٠٦هـ.

التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، تأليف: علي عشماوي، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية.

تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية – بيروت.

تاريخ دمشق ، تأليف: ابن عساكر، دار الفكر–بيروت، الطبعة الأولى.

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تأليف: أبي المظفر طاهر بن محمد الاسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

تجريد التوحيد المفيد، تأليف: أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

تحريم النظر في كتب أهل الكلام، تأليف: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن دمشقية، عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين الشرع والقدر، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره، تأليف: محمد بن مطر الزهراني، دار الخضيري، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ.

التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تأليف: أبي بكر بن فرج القرطبي، اعتنى به وعلق عليه: عبد المجيد طعمه حلبي، دار المؤيد –الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

الترغيب والترهيب، تأليف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، اعتنى به: مشهور حسن سلمان، مكتبة المعارف –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

التسعينية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار المنهاج ١٤٢٤هـ.

التعرف لمذهب أهل التصوف، تأليف: الكلاباذي تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الإيمان – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ. وطبعة بتحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة.

التعليم في المسجد النبوي في العهد السعودي، تأليف: محمد جزاء الحربي، رسالة ماجستير

من قسم الدعوة بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية.

تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن تأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، دار طوق النجاة.

تقريب التدمرية، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ ١٤٢٤هـ.

تقرير القواعد وتحرير الفوائد، تأليف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: مشهور حسن سلمان، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة شؤون المطبوعات والبحث العلمي — الرياض.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تأليف: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ١٤٠٥هـ.

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تأليف: محمد بن أحمد الملطي، تحقيق: يمان سعد الدين، دار المؤتمن، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

تنوير العقول في التفريق بين النبي والرسول، تأليف: محمد بن عبد الله الإمام، مكتبة الإمام الوادعي.

تهذيب اللغة، تأليف: محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: رياض زكي، دار المعرفة —بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

توزيع الثروات في الإسلام، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تأليف: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة–بيروت – الطبعة: الأولى١٩٩٣م.

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح نونية ابن القيم ، تأليف:أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف: سليمان بن عبد الله آل الشيخ، المكتب الإسلامي —بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

جامع الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بإشراف صالح آل الشيخ، طبعة دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

جامع بيان العلم وفضله، تأليف: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة السابعة ١٤٢٧هـ.

الجامع لأحكام القرآن، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد الله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: محمد عزير شمس وعلي العمران، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

الجامع لشعب الإيمان، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.

جماع العلم ضمن كتاب الأم، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ.

جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية تعريفها-عقائدها، تأليف: سيد طالب الرحمن، دار البيان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

جهود ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات، تأليف:وليد بن محمد العلي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر للسخاوي، تحقيق: إبراهيم باجس، دار ابن حزم -بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

حادي الارواح إلى بلاد الأفراح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

حاشية ابن عابدين، تأليف: محمد أمين بن عابدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

حاشية البيجوري (تحقيق المقام على كفاية العوام في علم الكلام)، تأليف: إبراهيم بن محمد الباجوري، دار الكتب العلمية للنشر ٢٠٠٧م.

حاشية الخرشي على مختصر خليل، تأليف: محمد الخرشي، دار صادر -بيروت.

الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تأليف: إسماعيل بن محمد التيمي، تحقيق: محمد ربيع المدخلي وأبي رحيم، دار الراية –الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

حجية خبر الآحاد في العقائد والأحكام، تأليف: ربيع بن هادي المدخلي، طبع مجمع الملك فهد بمناسبة ندوة (عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة النبوية)١٤٢٥هـ.

حقيقة الخوارج في الشرع وعبر التاريخ، تأليف: فيصل بن قزاز الجاسم، دار غراس، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

حقيقة الشورى في الإسلام، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، تأليف: بكر بو زيد، مطابع الدرعية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

الحكم على الشيء فرع عن تصوره ضمن مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

الحكومة الإسلامية، تأليف: الخميني، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

الحيدة والاعتذار، تأليف: عبد العزيز الكناني، عبد العزيز الكناني، تحقيق: علي بن ناصر فقيهي، دار الفتح –الشارقة،الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

خبر الواحد وحجيته، تأليف: أحمد الشنقيطي، طبع عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها لأصحابه، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي –بيروت.

الخطط المقريزية، تأليف: أحمد بن علي المقريزي، دار صادر –بيروت.

الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم، تأليف: ناصر بن عبد الله السعوي، دار المعراج الدولية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

الداء والدواء، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار

عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

درء تعارض العقل والنقل، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، كبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

دراسات في الحديث النبوي ، تأليف: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.

الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لمجموعة من أئمة الدعوة، جمع: عبد الرحمن القاسم، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة –مصر.

دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد، تأليف: عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء–الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ.

ديوان الشافعي، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد عفيف الزعبي.

ديوان الكميت بن زيد الأسدي جمع وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

الديوان المليح المشتمل على الطرفة الحكيمة والنصيحة القويمة والقول السديد بطريقي التصريح والتلميح، شعر: زيد بن محمد بن هادي المدخلي، دار المنهاج، ١٤٢٤هـ.

ذم التأويل، تأليف: موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار الفتح –الشارقة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

ذيل طبقات الحنابلة، تأليف: عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

الرحلة إلى أفريقيا، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق: خالد السبت، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

الرحلة في طلب الحديث، تأليف: أحمد بن علي بن ثابت لخطيب البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

الرد على الزنادقة والجهمية، تأليف: أحمد بن حنبل، طبع بالقاهرة الطبعة الأولى

١٣٩٣هـــ.

الرد على المخالف من أصول الإسلام ضمن الردود، تأليف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـــ.

الرد على المنطقيين، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـــ.

الرد على من أنكر الحرف والصوت، تأليف: عبد الله بن سعيد السجزي، تحقيق: محمد باكريم با عبد الله، دار الراية –الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ.

الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، تأليف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم وابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـــ.

الرسالة، تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: احمد شاكر.

الرسل والرسالات، تأليف: عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٢هـــ.

الروح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الفتاح محمود ، دار الفكر – الأردن، الطبعة الثانية ١٩٨٦هـــ.

زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: صلاح عويضة ومحمد شحاته، دار المنار، الطبعة الأولى ١٤١٩هـــ.

زهر الآداب وثمر الألباب، تأليف: إبراهيم بن علي، الحصري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف –الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـــ.

سلسلة الأحاديث الضعيفة تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـــ.

السنة، تأليف: أحمد بن عمر بن أبي عاصم، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الصميعي، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـــ.

السنة، تأليف: عبد الله بن أحمد، الدار العلمية للطباعة والنشر-دلهي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـــ.

سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد بن ماجه، طبع بإشراف صالح بن عبد العزيز آل

الشيخ، دار السلام –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث السجستاني، طبع بإشراف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي وبذيله الجوهر النقي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، مصورة عن الهندية.

السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

سنن سعيد بن منصور: سعيد بن منصور، تحقيق: سعد الحميد، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ. وطبعة دار الوطن المضمنة تعليقات ابن عثيمين.

سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ.

سير الدعوة في أفريقيا عبر التاريخ، ضمن مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، تأليف: عز الدين بن عبد السلام بن حسن السلمي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف عبد الحي بن العماد الحنبلي، المكتب التجاري للطباعة –بيروت.

شرح أشعار الهذليين، تأليف: الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف: هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة –الرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

شرح الأصول الثلاثة، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، اعتنى به: محمود بن إبراهيم الطرابلسي، مكتبة النصيحة ودار المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

شرح السنة، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤط وآخرين، المكتب

الإسلامي –بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

شرح العقيدة الأصفهانية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد –الرياض،١٤١٨هـ.

شرح العقيدة الواسطية، تأليف: صالح بن فوزان الفوزان، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد –الرياض، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ.

شرح العقيدة الواسطية، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ.

شرح الكوكب المنير، تأليف: ابن النجار الفتوحي، تحقيق: محمد الرحيلي وآخر، مركز البحث العلمي، دار إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

شرح الواسطية، تأليف: محمد خليل الهراس، تحقيق: علوي السقاف، دار الهجرة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

شرح جوهرة التوحيد المسمى بتحفة المريد، تأليف: إبراهيم بن محمد البيجوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

شرح حديث النزول،تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق:محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

شرح ديوان أبي تمام، تأليف: الخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

شرح صحيح مسلم، تأليف: أبي زكريا محي الدين النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة-بيروت، الطبعة العاشرة ١٤٢٥هـ.

شرح منتهى الإرادات، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

الشرك وأنواعه، تأليف: جفري افندي وهاب، رسالة علميه لنيل درجه الماجستير، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

الشريعة، تأليف: محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الله الدميجي، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

الشعر والشعراء، تأليف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، الطبعة الثانية.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف: عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

الشيخ العلامة المحدث محمد عبد الرزاق حمزة حياته العلمية وجهوده الدعوية وآثاره الحميدة، تأليف: محمد بن أحمد سيدأحمد، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ.

الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة اهل السنة والجماعة، تأليف: سعيد بن مسفر القحطاني، توزيع مؤسسة الجريسي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

الشيخ محمد خليل هراس و جهوده في تقرير عقيدة السلف، تأليف: واصل السلمي، رسالة علمية بجامعة أم القرى لم تطبع.

صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، ومعه التعليقات الحسان لمحمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام –الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

صحيح الجامع: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

صحيح السيرة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف –الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري، دار السلام –الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

صريح السنة لابن جرير الطبري تحقيق : بدر يوسف المعتوق دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ.

الصفات الإلهية، تأليف: محمد أمان الجامي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

صفة صلاة النبي ﷺ، تأليف: ، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف –الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق:

علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـــ.

الضعفاء، تأليف: محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـــ.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، نشر دار مكتبة الحياة-بيروت.

طبقات الشافعية، تأليف: عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي-مصر.

طريق الهجرتين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي وزائد النشيري، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـــ.

الطريق إلى الجماعة الأم، تأليف عثمان عبد السلام نوح، دار الإيمان للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

طريقة الإسلام في التربية، ضمن مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ.

عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: ابن العربي المالكي، دار الكتب العلمية.

عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام، تأليف: سليمان العودة، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـــ.

العبودية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار المغني الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـــ.

عداء الماتريدية للعقيدة السلفية في الأسماء والصفات، تأليف: الشمس السلفي الأفغاني، الطبعة الثانية ١٤١٩هـــ.

العرش ، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـــ.

العرش وما روي فيه، تأليف: محمد بن عثمان ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد خليفة التميمي، مكتبة الرشد وشركة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـــ.

العقل والنقل عند ابن رشد،ضمن مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ.

العقيدة الإسلامية وتاريخها، تأليف: محمد أمان الجامي، دار المنهاج، ١٤٢٥هـــ-٢٠٠٤م.

عقيدة السلف وأصحاب الحديث، تأليف:إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة –الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

العقيدة الطحاوية، تأليف: أبي جعفر الطحاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –الرياض، ١٤٠٤هـ.

علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مطبعة النهضة الحديثة-مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

العلو للعلي العظيم، تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عبد الله بن صالح البراك، دار الوطن-الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف:محمد شمس الحق العظيم أبادي، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث –القاهرة، ١٤٢٢هـ.

الفتاوى الكبرى، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع عبد الرحمن ابن قاسم، مكتبة ابن تيمية تصوير من مطبعة الحكومة بمكة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي ابن حجر، بتعليق ابن باز وتصحيح محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية ١٣٨٠، وطبعة السلام –الرياض.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ.

فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، تأليف: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –الرياض، ١٤٢٢هـ.

الفرق بين الفرق، تأليف:عبد القاهر البغدادي، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.

فرق معاصرة تنتسب إلى الاسلام، تأليف: غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية –جدة، الطبعة الخامسة ١٤٢٦هـ.

الفقيه والمتفقه، تأليف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي — بيروت، الطبعة: الثانية.

الفوائد، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة ١٤٢٤،٢هـ-٢٠٠٣م.

القرآنيون وشبهاتهم حول السنة ، تأليف: خادم حسين إلهي بخش، مكتبة الصديق، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

القضاء والقدر، تأليف: عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

القطبية هي الفتنة فاعرفوها، تأليف: أبي إبراهيم بن سلطان العدناني، مجالس الهدى والإنتاج —الجزائر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، تأليف: إبراهيم بن محمد البريكان، دار ابن القيم وابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

القواعد المثلى، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة السنة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

الكافي في فقه الإمام أحمد ، تأليف: عبد الله بن أحمد ابن قدامة، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي —بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

كتاب العين، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

كرامات أولياء الله جل جلاله، تأليف: هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة —الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

الكشف عن مناهج الأدلة، تأليف: محمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.

الكفاية في علم الرواية ، تأليف: أحمد بن علي الخطيب، دار ابن تيمية –القاهرة، ١٤١٠هـ.

كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ضمن مجموع رسائل ابن رجب، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر ، بيروت ط:٦، ١٤١٤هـ.

لسان الميزان، تأليف: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: خليل بن محمد العربي، دار المؤيد، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

لمعة الاعتقاد لابن قدامة مع تعليقات ابن عثيمين، تحقيق: أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، تأليف: محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقي-دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

الماتريدية دراسة وتقويماً، تأليف: أحمد بن عوض الله الحربي، دار الصميعي، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم، تأليف: أحمد سردار محمد مهر الشيخ، عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

المبسوط، تأليف: شمس الدين السرخسي، تحقيق: أبي الوفاء الأفغاني، دار المعرفة-بيروت.

مجمع الأمثال، تأليف: أحمد بن محمد بن أحمد الميداني، تحقيق: جان عبد الله توما، دار صادر –بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة، ١٤١٦هـ.

مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الشيخ عبد العزيز بن باز، جمع وإشراف محمد بن سعد الشويعر، طبع ونشر رئاسةإدارة البحوث العلمية والإفتاء إدار مجلة البحوث- الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السلمان، دار الوطن-الرياض، ١٤١٣هـ.

المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي –عنيزة، ١٤١٢هـ.

المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية، طبع بإشراف رابطة العالم الإسلامي، وطبع ضمن مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

المحلى، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، دار الفكر-بيروت.

محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم، تأليف: مسعود الندوي، مراجعة: تقي الدين الهلالي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد –الرياض، ١٤٢٠هـ.

مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٩٣م.

مختصر الصواعق المرسلة، تأليف: محمد الموصلي، تحقيق: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

مدارج السالكين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: إياد بن عبد اللطيف القيسي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

المدخل لدراسة العقيدة، تأليف: إبراهيم بن محمد البريكان، دار ابن القيم وابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم، تأليف: د. عوض الله جاد حجازي، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع جمعاً ودراسة، تأليف: خالد بن مسعود الجعيد وعلي العلياني وناصر الجهني، دار الهدي النبوي والفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

المستدرك على الصحيحين، تأليف: أبي عبد الله الحاكم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة –مصر، وأخرى بتحقيق شعيب وآخرون، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

المسند الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

المسيرة لداعية جنوب الجزيرة القرعاوي، تأليف: بندر بن فهد الايداء، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ضمن مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

مشكاة المصابيح مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، تأليف: محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الاسلامية، اسطنبول، الطبعة الثانية.

معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل ١٤٢٠هـ.

مغني اللبيب، تأليف: عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية-الكويتن الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

المغني، تأليف: عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي وآخرين، دار عالم الكتب، الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ.

مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، تأليف: جلال الدين السيوطي، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤١٢هـ.

مفتاح دار السعادة، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن القيم وابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف: الراغب الاصفهاني، دار الكتاب العربي –بيروت، ١٣٩٢هـ.

مقالات الإسلاميين، تأليف: علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، مكتبة ابن تيمية –القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ.

مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المكتبة العصرية –جدة، ١٤٢٥هـ.

الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة ناصر للثقافة-بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

مناقب الإمام أحمد، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

مناقب الشافعي ، تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد صقر، دار التراث، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.

منزلة السنة في التشريع، ضمن مجموع رسائل الجامي، تأليف: محمد أمان بن علي الجامي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

منهاج السنة النبوية، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعه الامام محمد بن سعود، الطبعة الثانيه ١٤١١هـ ١٩٩١م.

منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، تأليف: إبراهيم بن محمد البريكان، دار ابن القيم وابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، دار السلفية – الكويت، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

المواقف في علم الكلام، تأليف: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب- بيروت.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ.

موقف ابن تيمية من آراء الفلاسفة، تأليف: صالح بن غرم الله الغامدي، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

نظام الأسرة في الإسلام، تأليف: محمد أمان الجامي، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

النهاية، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية-بيروت.

هذه هي الصوفية، تأليف: عبد الرحمن الوكيل، دون. د.ط.

الوابل الصيب، تأليف: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن قائد، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: أحمد بن محمد بن خلكان، مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

المراجع الأخرى من الدوريات والأشرطة:

الآثار السيئة لخلع باب الجامعة الإسلامية بالمدينة في عهدها الجديد، مقال للشيخ عبد المحسن العباد، منشور في شبكة الانترنت.

الأحاديث الواردة في الخوارج: جمع ودراسة، د. عبد العزيز بن عبد الله الهليل، بحث منشور في حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية (مجلة علمية محكمة) العدد (١٣).

التصوف من صور الجاهلية، تأليف: محمد أمان الجامي، ضمن مجلة البحوث العلمية والإفتاء، العدد (١٢) سنة ١٤٠٥هـ.

فضيلة الشيخ المحدث محمد عبد الله بن أحمد الصومالي، للشيخ عمر السبيل، مجلة الأصالة العدد (٢٧).

قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، من تاريخ ١٣٩٤/١١/٢٥-١٣٩٤/١٢/٢٥هـ، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

مقالات من مجلة الجامعة الإسلامية:

افتتاحية العدد (٤١).

كلمة العدد (بمناسبة إعلان رئيسها تطبيق الشريعة باكستان)، العدد (٤٣).

ما هكذا يا سعد تورد الإبل العدد (٤٣).

افتتاحية العدد (٤٥).

كلمة التحرير بمناسبة (حادثة الحرم ١٤٠٠هـ) العدد (٤٥).

ماذا تعرف عن أرومو؟ العدد (٤٥) والعدد (٤٦).

قائمة (من أعماق الكتب) العدد (٤٦)

الأشرطة المتضمنة لشروح الشيخ ومحاضراته والتي أشرت إليها في مبحث آثاره وأعماله، وقدس يسر الله جمعها من تسجيلات ابن رجب بالمدينة النبوية، وجل تلك المواد السمعية متوفرة على الموقع الإكتروني للشيخ:

http://www.eljame.com

أهم المواقع التي استفيد منها في البحث:

/http://www.sahab.net

http://alshazlia.net

http://www.alhilali.net

./

فهرس الموضوعات

المقدمة:	١
أهمية الموضوع وأسباب اختياره:	٢
خطة البحث:	٤
المنهج المتبع في البحث:	١٠
الصعوبات التي واجهتني في البحث:	١٢
شكر وتقدير:	١٣
التمهيد: ترجمة الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله.	١٦
تمهيد	١٧
المبحث الأول: اسمه ونسبه وأسرته ومولده ووفاته.	١٩
المبحث الثاني: نشأته وطلبه للعلم وصفاته ورحلاته ومؤهلاته.	٢١
المطلب الأول: نشأته وطلبه للعلم	٢١
المطلب الثاني: رحلاته	٣٤
المطلب الثالث: مؤهلاته العــــلمية	٤٢
المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه	٤٣
المبحث الثالث: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ورثاؤه.	٦٢
ثناء العلماء عليه	٦٣
ورثاؤه	٧٨
المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه.	٨٠
المطلب الأول: شيوخه	٨٠
المطلب الثاني: تلاميذه	٨٦
المبحث الخامس: عقيدته.	٨٩
افتراءات عن الشيخ والجواب عنها	٩٤
المبحث السادس: آثاره العلمية وأعماله.	١١٠
المطلب الأول: آثاره العلمية	١١٠
مؤلفاته ورسائله	١١٠

آثاره في مجلة الجامعة الإسلامية	١١٧
شروحاته	١١٩
محاضراته وتوجيهاته	١٢٣
المطلب الثاني: أعماله	١٣١
أعماله في الجامعة الإسلامية	١٣١
التدريس في المسجد النبوي	١٣٤
التدريس في غير ما سبق	١٣٤
مساهمته في الجهاد في بلاده الحبشة	١٣٥
الباب الأول: جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله في توضيح الإيمان بالله:	**١٤٠**
تمهيد	١٤١
أقسام التوحيد	١٤٢
الفصل الأول: جهوده في توضيح توحيد الربوبية والألوهية	١٤٦
المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح توحيد الربوبية.	١٤٧
المطلب الأول: جهوده في تعريف الرب والربوبية	١٤٧
المطلب الثاني: جهوده في توضيح أدلة وجود الرب سبحانه وتعالى	١٤٩
أولاً: الأدلة النقلية	١٥٠
ثانياً: دليل الفطرة	١٥١
ثالثاً: دليل الآيات والمخترعات	١٥٢
رابعاً: دليل الإجماع	١٥٥
خامساً: الأدلة العقلية	١٥٦
المطلب الثالث: إقرار المشركين بتوحيد الربوبية	١٥٩
المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح توحيد الألوهية.	١٦٢
المطلب الأول: جهوده في تعريف الإله والإلهية	١٦٢
المطلب الثاني: جهوده في بيان أهمية توحيد الإلهية	١٦٤
المطلب الثالث: جهوده في توضيح كلمة التوحيد وما يتعلق بها من مسائل	١٦٨
أولاً: معناها	١٦٨
ثانياً: فضلها	١٧٠

ثالثاً: شروطها	١٧٣
رابعاً: لا تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله	١٨١
خامساً: بيان من ضل في مفهومها	١٨٢
المطلب الرابع: جهود الشيخ في توضيح دلائل توحيد الألوهية	١٨٥
الاستدلال بتوحيد الربوبية	١٨٦
الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات	١٨٨
المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح العبادة وبيان أنواعها.	١٩٠
المطلب الأول: جهوده في توضيح معنى العبادة وبيان حقيقتها	١٩٠
حقيقة العبودية	١٩١
المطلب الثاني: جهوده في توضيح أهمية العبادة	١٩٣
المطلب الثالث: جهوده في توضيح شروط العبادة وأركانها	١٩٥
أركان العبادة	١٩٨
الركن الأول: المحبة	١٩٩
الركن الثاني: الخوف	٢٠٢
الركن الثالث: الرجاء	٢٠٣
المطلب الرابع: جهوده في توضيح بعض أنواع العبادة	٢٠٤
الدعاء	٢٠٤
التوكل	٢٠٦
الذبح	٢١٢
التوسل	٢١٣
الولاء والبراء	٢١٦
من صرف من العبادة شيئاً لغير الله فقد أشرك	٢١٩
المبحث الرابع: جهود الشيخ في توضيح ما ينافي توحيد العبادة.	٢٢١
تمهيد	٢٢١
المطلب الأول: جهوده فيما يتعلق بالشرك	٢٢٢
حقيقة الشرك	٢٢٢
أقسام الشرك	٢٢٤

جهود الشيخ في التحذير من الشرك	٢٢٨
المطلب الثاني: جهوده في بيان ما ينافي حقيقة التوحيد من الأفعال	٢٣٣
أولاً: السحر	٢٣٣
حقيقة سحر النبي صلى الله عليه وسلم	٢٣٥
ثانياً: التمائم	٢٣٨
ثالثاً: الرقى	٢٤٠
رابعاً: اتخاذ القبور مساجد	٢٤١
أنواع زيارة الموتى	٢٤٤
المطلب الثالث : جهوده في بيان ما ينافي حقيقة التوحيد من الأقوال	٢٤٠
أولاً: الحلف بغير الله	٢٤٥
ثانياً: الألفاظ التي تفيد التشريك نحو (ما شاء الله وشئت)	٢٤٧
ثالثاً: الاستسقاء بالأنواء	٢٤٨
رابعاً: التسمي بملك الأملاك وما في معناه	٢٤٩
خامساً: التوسل الممنوع	٢٥٠
سادساً: الحكم بغير ما أنزل الله	٢٥٣
الفصل الثاني: جهوده في توضيح توحيد الأسماء والصفات	٢٥٨
تمهيد	٢٥٩
المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات.	٢٦٠
المطلب الأول: جهوده في بيان أهمية العلم بأسماء الله وصفاته	٢٦٠
حقيقة قول الفلاسفة التشبه بأسماء الله على قدر الطاقة	٢٦٦
المطلب الثاني: جهوده في تعريف توحيد الأسماء والصفات	٢٦٩
المطلب الثالث: جهوده في توضيح معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات	٢٧٢
قولهم (بلا تعطيل)	٢٧٤
قولهم (من غير تكييف)	٢٧٥
قولهم (ولا تمثيل)	٢٧٥
أسس منهج السلف في باب الأسماء والصفات	٢٧٨

الأساس الثاني: تتريه الله عن مشابهة المخلوقات	٢٨٢
الأساس الثالث: قطع الطمع في إدراك الكيفية	٢٨٤
خلاصة قواعد المنهج السلفي في باب الأسماء والصفات	٢٨٦
المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالأسماء والصفات.	٢٩١
تمهيد	٢٩١
المطلب الأول: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالأسماء الحسنى	٢٩٢
أصل اشتقاق الاسم	٢٩٢
المسألة الأولى: الاسم والمسمى	٢٩٣
المسألة الثانية: أسماء الله تعالى لا حصر لها	٢٩٥
المسألة الثالثة: الإلحاد في أسماء الله تعالى وأنواعه	٢٩٧
المسألة الرابعة: العلاقة بين الأبواب الثلاثة (الأسماء والصفات والإخبار)	٢٩٩
المطلب الثاني: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالصفات	٣٠٢
معنى الصفة	٣٠٣
المسألة الأولى: صفات الله كلها كمال	٣٠٤
المسألة الثانية: العلاقة بين الصفات والذات	٣٠٧
المسألة الثالثة: حكم إنكار صفة من صفات الباري	٣١١
المطلب الثالث: جهوده في توضيح أقسام الصفات	٣١٣
أقسام الصفات باعتبار إثباتها ونفيها	٣١٣
أقسام الصفات باعتبار (الثبوتية) باعتبار تعلقها بذات الله وفعله	٣١٦
أقسام الصفات باعتبار أدلة ثبوتها	٣١٧
المطلب الرابع: نماذج من جهوده في تقرير بعض الصفات	٣٢٠
الصفة الأولى: العلو	٣٢١
الصفة الثانية:المعية	٣٢٣
الصفة الثالثة:الترول	٣٢٤
الصفة الرابعة: الكلام	٣٢٧
الصفة الخامسة: المحبة	٣٢٩
الصفة السادسة: الضحك	٣٣١

الصفة السابعة: الوجه	٣٣٢
الصفة الثامنة: القدَم	٣٣٣
المسألة التاسعة: الرؤية	٣٣٥
المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح قواعد أهل السنة في باب الأسماء والصفات.	٣٤١
تمهيد	٣٤١
المطلب الأول: جهوده في توضيح قواعد الاستدلال في باب الأسماء والصفات	٣٤٢
قاعدة: أسماء الله وصفاته لا يتجاوز فيها القرآن والحديث	٣٤٢
قاعدة: أسماء الله تعالى وصفاته تثبت بخبر الآحاد	٣٤٥
قاعدة: الإجماع حجة في باب الأسماء والصفات	٣٥٠
قاعدة: المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح	٣٥٣
قاعدة الكمـــــــــــال	٣٥٧
قاعدة: الواجب في نصوص الأسماء والصفات إجراؤها على ظاهرها	٣٦١
المطلب الثاني: جهوده في توضيح بقية القواعد المتعلقة بالأسماء والصفات	٣٦٧
قاعدة: دلالة أسماء الله تعالى الحسنى	٣٦٧
قاعدة: طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته الإثبات المفصل والنفي المجمل	٣٧٢
قاعدة: الصفات معلومة باعتبار المعنى مجهولة باعتبار الكيفية	٣٧٦
قاعدة: التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها	٣٨٠
قاعدة: النفي في الكتاب والسنة لا يأتي إلا لإثبات كمال الضد	٣٨٣
قاعدة : القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر	٣٨٩
قاعدة : القول في الصفات كالقول في الذات	٣٩٤
الباب الثاني: جهود الشيخ محمد أمان رحمه الله في توضيح بقية أركان الإيمان ومسائل الاعتقاد الأخرى:	٤٠٠
الفصل الأول: جهوده في توضيح بقية أركان الإيمان	٤٠١
تمهيد	٤٠٢
المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالملائكة.	٤٠٣
المطلب الأول: من هم الملائكة	٤٠٤
المطلب الثاني: كيفية الإيمان بهم	٤٠٦

المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالكتب.	٤١٠
تمهيد	٤١٠
المطلب الأول: جهوده في بيان كيفية الإيمان بالكتب السماوية	٤١١
المطلب الثاني: الوحي وأقسامه	٤١٥
المطلب الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم	٤١٨
واجبنا نحو القرآن الكريم	٤١٩
المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالرسل.	٤٢٢
تمهيد	٤٢٢
المطلب الأول: جهوده في فيما يتعلق بالإيمان بالأنبياء والرسل عموماً	٤٢٥
حاجة البشرية غلى الرسل	٤٢٥
دعوة الرسل واحدة	٤٢٦
ابتلاء الرسل وصبرهم على دعوتهم	٤٢٨
الرسل ليس لهم شيء من خصائص الألوهية والربوبية	٤٣٤
المطلب الثاني: كيفية الإيمان بالرسل	٤٣٥
حماية جناب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام	٤٣٨
المطلب الثالث: الإيمان بنبينا محمد ﷺ	٤٤١
المسألة الأولى: عموم رسالته ﷺ	٤٤٣
المسألة الثانية: واجبنا نحوه ﷺ	٤٤٤
المسألة الثالثة: بلاغه ﷺ البلاغ المبين	٤٤٦
المسألة الرابعة: موته ﷺ	٤٤٧
المطلب الرابع: الآيات والدلائل على صدق نبوة الأنبياء، والمسائل المتعلقة بذلك	٤٤٩
المعجزة والكرامة وخوارق الشيطان	٤٥٣
المبحث الرابع: جهود الشيخ في توضيح الإيمان باليوم الآخر.	٤٥٧
تمهيد	٤٥٧
المطلب الأول: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بأول منازل الآخرة وما يتعلق به من مسائل	٤٥٩
عذاب القبر ونعيمه حق	٤٦٠

المسألة الأولى: سماع الأموات	٤٦٤
المسألة الثانية:هل حياة الأنبياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا	٤٦٦
المطلب الثاني: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالبعث	٤٦٨
هل البعث روحاني أم جسماني	٤٦٨
المطلب الثالث: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالشفاعة	٤٧٢
أنواع من الشفاعات	٤٧٢
المطلب الرابع: جهوده في توضيح ما يتعلق بالإيمان بالحوض والحساب والميزان والصراط	٤٧٦
الحوض	٤٧٦
الحساب	٤٧٨
الميزان	٤٨٠
الصراط	٤٨٢
المطلب الخامس: الإيمان بالجنة والنار	٤٨٤
الجنة والنار موجودتان لا تفنيان	٤٨٥
المسألة الأولى: هل تعتبر الأعمال ثمناً لدخول الجنة؟	٤٨٧
المسألة الثانية: هل ينتفع الكافر بعمله الصالح؟	٤٨٩
المبحث الخامس: جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالقضاء والقدر.	٤٩٠
تمهيد	٤٩٠
المطلب الأول: جهوده في توضيح القدر ومراتبه	٤٩١
مراتب القدر	٤٩٣
الإيمان بالقدر والشرع	٤٩٦
المطلب الثاني: جهوده في النهي عن الخوض في القدر	٥٠٠
المطلب الثالث: جهوده في توضيح مسألة أفعال العباد	٥٠٢
أقسام الناس في مسألة افعال العباد	٥٠٥
المطلب الرابع: جهوده في توضيح بعض المسائل المؤثرة في الخلاف في باب القدر	٥١١
المسألة الأولى: هل الإنسان مسير أم مخير؟	٥١١
المسألة الثانية: الهداية والإضلال	٥١٢

المسألة الثالثة: ظاهرة السببية ودلالتها على حكمة الباري	٥١٥
المسألة الرابعة: فعل الأصلح	٥٢٠
المسألة الخامسة: الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية	٥٢١
المسألة السادسة: الاستطاعة	٥٢٥
الفصل الثاني: جهوده في توضيح حقيقة الإيمان ومسائله.	٥٢٨
المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح حقيقة الإيمان.	٥٢٩
تمهيد	٥٢٩
المطلب الأول: جهوده في تعريف الإيمان لغة وشرعاً	٥٢٩
المطلب الثاني: جهوده في توضيح الإيمان عند المخالفين	٥٢٤
المطلب الثالث: جهوده في تحرير محل التزاع بين الجمهور ومرجئة الفقهاء	٥٤٠
المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح زيادة الإيمان ونقصانه، والاستثناء فيه.	٥٤٤
المطلب الأول: جهوده في توضيح زيادة الإيمان ونقصانه	٥٤٤
المطلب الثاني: جهوده في توضيح الإستثناء في الإيمان	٥٤٦
المطلب الثالث: جهوده في توضيح الصلة بين مراتب الدين	٥٤٨
المبحث الثالث: جهود الشيخ في توضيح الكبيرة، ومسائل تتعلق بها.	٥٥٢
المطلب الأول: جهوده في توضيح الكبيرة وحكم مرتكبها	٥٥٢
حكم مرتكب الكبيرة	٥٥٣
المطلب الثاني: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالكبيرة	٥٥٨
المسألة الأولى: الفرق بين الكبيرة والاستهزاء بالدين	٥٥٨
المسألة الثانية: الشهادة لمعين	٥٦٠
المسألة الثالثة: لعن المعين	٥٦١
المسألة الرابعة: حكم سب الله تعالى والدين والرسول	٥٦٢
الفصل الثالث: جهوده في توضيح مسائل تتعلق بالصحابة والإمامة.	٥٦٤
المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالصحابة.	٥٦٥
تمهيد	٥٦٥
المطلب الأول: جهوده في توضيح فضل الصحابة رضي الله عنهم	٥٦٧
المطلب الثاني: جهوده في توضيح تفاوت الصحابة في الفضل	٥٦٩

المطلب الثالث: جهوده في توضيح موقف أهل السنة من الصحابة	٥٧٢
المطلب الرابع: موقف الشيخ في من طعن في الصحابة	٥٧٧
المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح مسائل تتعلق بالإمامة.	٥٨٠
تمهيد	٥٨٠
المطلب الأول: جهوده في توضيح الإمامة بعد عصر النبوة	٥٨٣
المطلب الثاني: جهوده في توضيح الحقوق الواجبة لولي الأمر	٥٨٨
مناصحتهم وعدم الخروج عليهم	٥٩٠
المطلب الثالث: جهوده في توضيح المصالح المنوطة بولي الأمر	٥٩٥
المسألة الأولى: تحكيم شرع الله	٥٩٥
المسألة الثانية: العدل	٥٩٩
المسألة الثالثة: الإشراف على بيت المال	٦٠٢
المسألة الرابعة: الشورى	٦٠٣
الباب الثالث: جهود الشيخ محمد أمان: في توضيح منهج السلف في الاستدلال والرد على الفرق والأفكار المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.	**٦٠٧**
تمهيد	٦٠٨
الفصل الأول: جهوده في توضيح منهج السلف في الاستدلال والرد على المخالفين.	٦١٠
المبحث الأول: جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الاستدلال.	٦١١
تمهيد	٦١١
المطلب الأول: جهود الشيخ في توضيح المراد بمنهج السلف الصالح، وحكم الأخذ به	٦١٢
المراد بالسلف لغة واصطلاحاً	٦١٢
حقيقة السلفية	٦١٥
حكم معرفة منهج السلف	٦١٦
حكم الانتساب لمنهج السلف	٦١٩
المطلب الثاني: جهود الشيخ في توضيح منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند السلف	٦٢٢
أولاً: القرآن الكريم والسنة النبوية	٦٢٢
وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة	٦٢٥

الأخذ بخبر الآحاد في مسائل الاعتقاد	٦٢٦
ثانياً: الإجماع	٦٢٩
وجوب اعتماد فهم السلف	٦٣٠
ثالثاً: العقل	٦٣٣
النقل الصحيح لا يعارض العقل الصريح	٦٣٥
رابعاً: الفطرة السليمة	٦٣٦
اللغة العربية	٦٣٩
سمات وخصائص المنهج السلفي	٦٤٠
المبحث الثاني: جهود الشيخ في توضيح منهج السلف في الرد على المخالفين.	٦٤٢
تمهيد	٦٤٢
المطلب الأول: جهود الشيخ في توضيح أسباب الفرقة والخلاف	٦٤٣
حديث الافتراق	٦٤٤
أهم الأسباب المؤدية للافتراق	٦٤٧
المطلب الثاني: جهود الشيخ في توضيح جهاد السلف في الرد على المخالفين	٦٤٩
وقائع تاريخية لإنكار السلف على المخالفين	٦٥٠
التجديد نوعين إصلاحي واجتهادي	٦٥٣
أشهر المجددين للدعوة السلفية	٦٥٦
الحذر من ظاهرتي التساهل والتخذيل مع المخالفين	٦٦٦
الحذر من ظاهرة الجرأة بدون حق	٦٧٢
الفصل الثاني: جهوده في الرد على بعض الفرق.	٦٧٥
المبحث الأول: جهود الشيخ في الرد على الخوارج.	٦٧٦
المطلب الأول: الكلام عن الخوارج من حيث النشأة والحكم	٦٧٧
المسألة الأولى: أصل نشأة الخوارج وبعض معتقدلتهم	٦٧٧
المسألة الثانية: حكم تكفير الخوارج	٦٨١
المطلب الثاني: جهود الشيخ تجاه مظاهر التهييج السياسي في الوقت الحاضر	٦٨٢
المسألة الأولى: الزهد والتزهيد في العلم والعلماء	٦٨٣
المسألة الثانية: رفع المتعالمين إلى مصاف العلماء بدعوى فقه الواقع	٦٨٧

المسألة الثالثة: الطعن في الولاة وتهييج الناس عليهم	٦٩٠
المسألة الرابعة: التحزبات والتكتلات لغير منهج السلف	٦٩٢
المبحث الثاني: جهود الشيخ في الرد على الرافضة.	٦٩٧
تمهيد	٦٩٧
المسألة الأولى: أصل منشأ الروافض	٦٩٧
المسألة الثانية: موقف الرافضة من الشريعة وحملتها	٦٩٩
المسألة الثالثة: الخميني وحقيقة إسلامه	٧٠٣
المسألة الرابعة: الحكم على الشيعة	٧٠٧
المسألة الخامسة: الباطنية وعلاقتهم بالروافض	٧٠٨
المسألة السادسة: عقيدة الأسماء والصفات عند الروافض	٧١٠
المبحث الثالث: جهود الشيخ في الرد على الصوفية.	٧١٢
المسألة الأولى: أصل نشأة الصوفية	٧١٤
المسألة الثانية: مفاهيم الدين عند الصوفية	٧١٧
المسألة الثالثة: من أساليب الصوفية في الدعوة إلى طرقهم	٧٢٢
القاب يستغلها مشايخ الصوفية لاستجلاب الأرزاق وإفساد العقيدة	٧٢٣
إسقاط التكاليف الشرعية	٧٢٦
الكذب لنشر دعوتهم	٧٣٠
المسألة الرابعة: القاديانية وخطرهم على الإسلام	٧٣١
المسألة الخامسة: أهداف مشايخ الصوفية في دعوتهم	٧٣٣
المسألة السادسة: الحكم على الصوفية	٧٣٦
المبحث الرابع: جهود الشيخ في الرد على الفلاسفة والمتكلمين.	٧٣٨
تمهيد	٧٣٨
المطلب الأول: الفلاسفة	٧٤١
المطلب الثاني: الجهمية	٧٤٤
المطلب الثالث:المعتزلة	٧٤٧
المطلب الرابع: متكلمة الصفاتية	٧٥٦
المسألة الأولى: التعريف بالأشاعرة	٧٥٨

المسألة الثانية: الصفات عند الأشاعرة	٧٦٠
المسألة الثالثة: بعض معتقداتهم (الكسب، المعاد)	٧٦٥
كونهم أقرب الطوائف غلى الحق	٧٦٧
المسألة الرابعة: أسباب انتشار الأشاعرة	٧٦٨
الفصل الثالث: جهوده في الرد على بعض الأفكار المخالفة.	٧٧٢
المبحث الأول: جهود الشيخ في نقد النظم والقوانين الوضعية.	٧٧٣
تمهيد	٧٧٣
المطلب الأول: جهوده في نقد النظام الديمقراطي	٧٧٥
الحريات المزعومة في النظام الديمقراطي	٧٧٧
أصل نشأة الديمقراطية	٧٨٠
كيفية الوصول غلى الحكم في النظام الديمقراطي	٧٨٢
الديمقراطية والشورى	٧٨٤
المطلب الثاني: جهوده في نقد النظام الاشتراكي	٧٨٧
أقسام الأموال	٧٨٨
عوامل انتشار الاشتراكية	٧٩٦
النظام الدكتاتوري	٧٩٩
المطلب الثالث: جهوده في نقد أدعياء تحرير المرأة	٨٠١
شبهات يتعلق بها دعاة تحرير المرأة	٨٠٣
خطر التبرج والاختلاط	٨٠٥
المبحث الثاني: جهود الشيخ في الرد على الحركات المعاصرة.	٨٠٧
تمهيد	٨٠٧
المطلب الأول: موقفه من إنشاء الجماعات والانتماء إليها	٨١١
المطلب الثاني: موقفه من جماعة الإخوان المسلمين	٨١٩
مَثل ضربه الشيخ لجماعة الإخوان	٨٢١
موقف الشيخ من السرورية	٨٣١
المطلب الثالث: موقفه من جماعة التبليغ	٨٣٧
وقفة مع تقرير الشيخ عن جماعة التبليغ	٨٤٠

المبحث الثالث: جهود الشيخ في الرد على منكري السنة.	٨٤٧
تمهيد	٨٤٧
المطلب الأول: جهوده في الرد على من رد السنة مطلقاً	٨٥٠
شبهة بعض الزنادقة في رد السنة والرد عليها	٨٥٣
المطلب الثاني: جهوده في توضيح أثر الاستعمار في الإعراض عن السنة	٨٥٥
المطلب الثالث: جهوده في الرد على المنكرين للسنة إنكاراً جزئياً	٨٥٩
الإعراض عن السنة تقديساً وتقليداً لآراء الرجال	٨٥٩
الإعراض عن السنة برد بعضها بحجة أنه آحاد	٨٦٥
الخاتمة	٨٧٠
أبرز النتائج	٨٧١
التوصيات	٨٧٤
الفهارس	٨٧٦
فهرس الآيات القرآنية	٨٧٧
فهرس الأحاديث والآثار	٩٠٠
فهرس الأعلام	٩٠٨
فهرس الفرق والطوائف	٩١٢
المصادر والمراجع	٩١٣
فهرس الموضوعات	٩٣٤